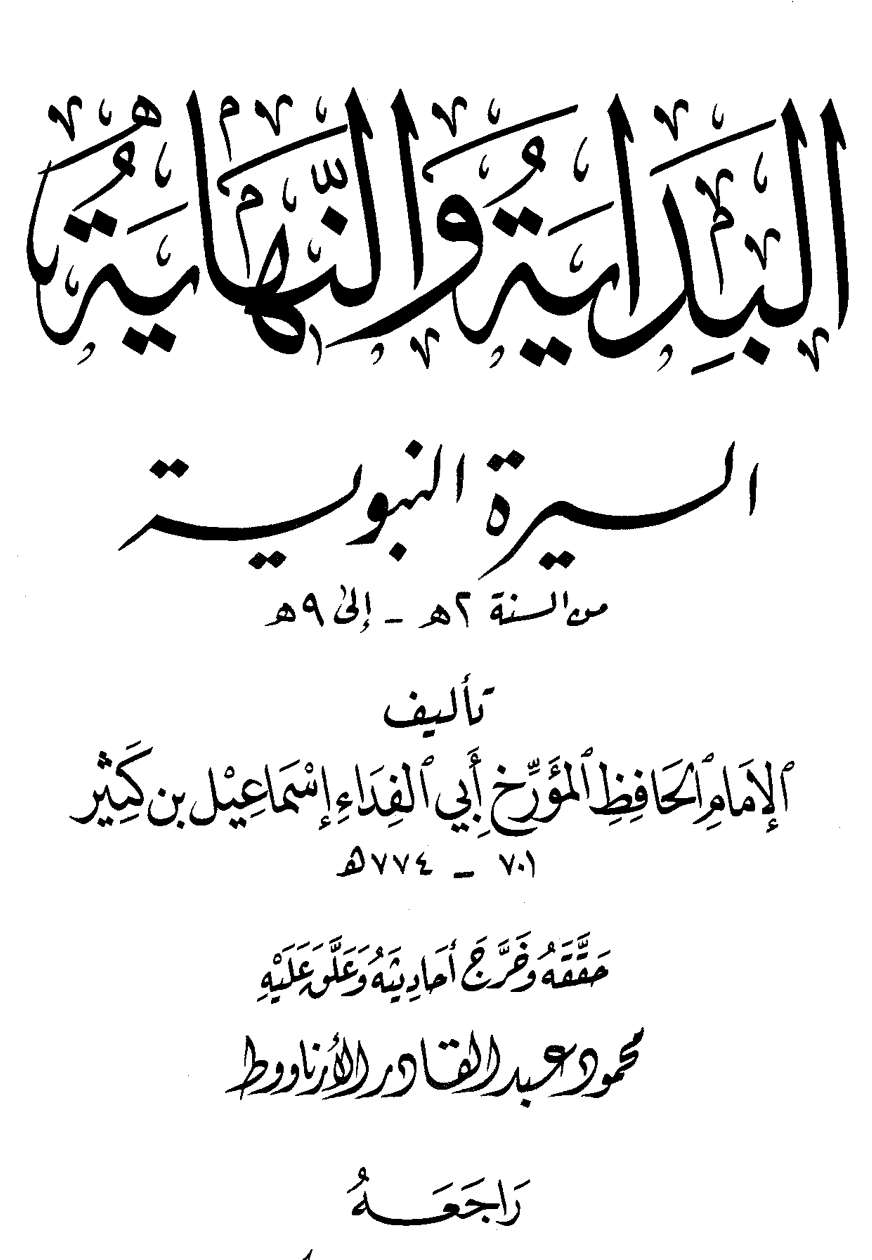


الشيخ عبد القادر الأرناؤوط — الدكتور بشار عواد معروف

الجزء الرابع

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

البداية والنهاية

السيرة النبوية

من السنة ٢هـ - إلى ٩هـ

● الموضوع: تاريخ
العنوان: البداية والنهاية 20/1
تأليف: الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير

الطبعة الثالثة

1434 هـ - 2013 م

ISBN 978-9953-520-84-1



● الطباعة: مطبعة IPEX - بيروت - التجليد: شركة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

● الورق: كريم - ألوان الطباعة: لونان - التجليد: فني / كعب لوحة

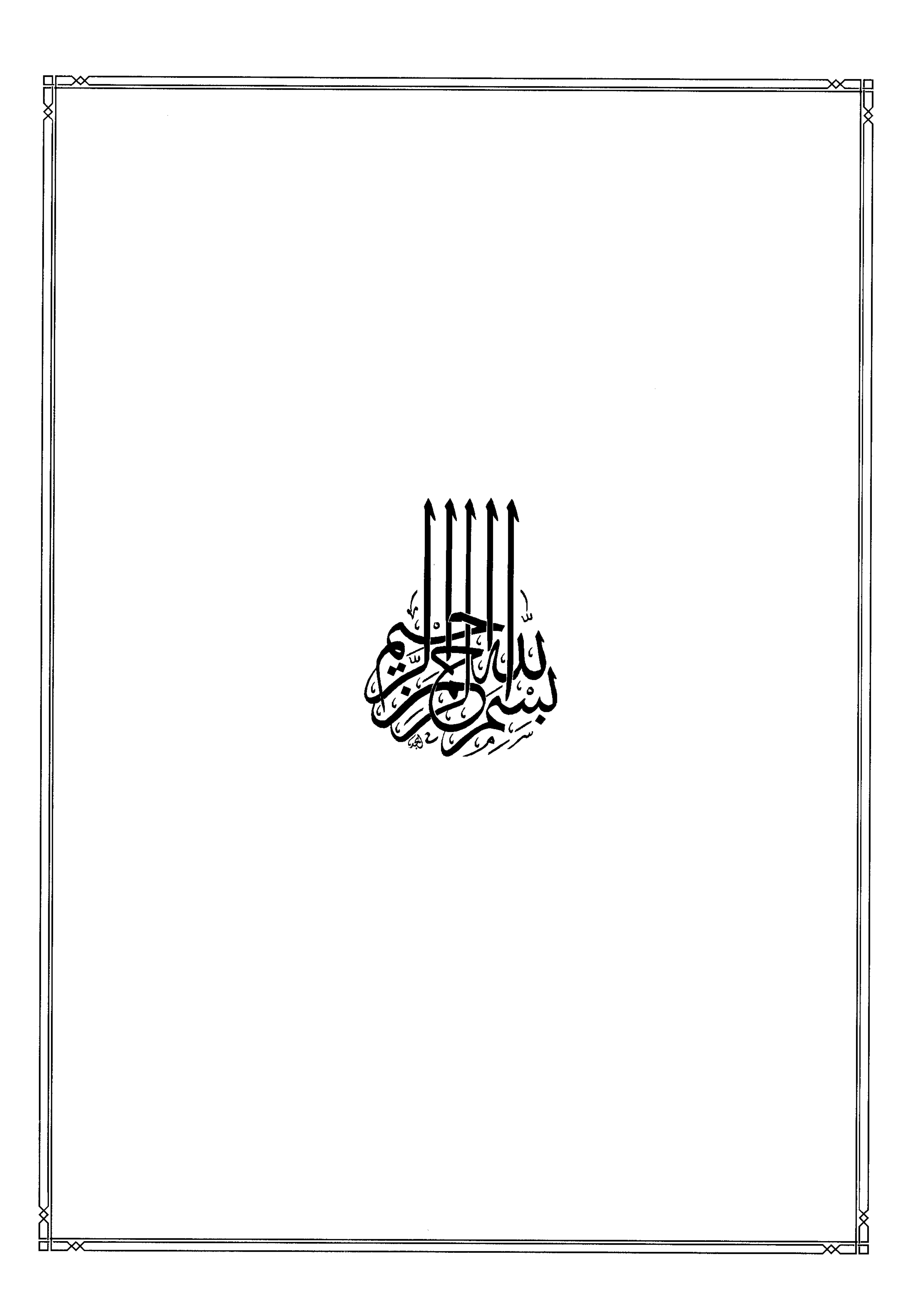
● القياس: 17×24 - عدد الصفحات: 10128 - الوزن: 15250 غ

دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي - صالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450
الإدارة تلفاكس: 2243502 - 2258541

بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة - تلفاكس: 817857 01 - جوال: 204459 03

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾



ذكر ما وقع في السَّنة الثانية من الهجرة من الحوادث

وقع فيها كثير من المغازي والسَّرَايا ، ومن أعظمها وأجلّها بدر الكبرى ، التي كانت في رمضان منها ، وقد فرَّق الله بها بين الحقّ والباطل ، والهدى والغيّ .

وهذا أوان ذكر المغازي والبعوث ، فنقول وبالله المستعان :

كتاب المغازي

قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب « السيرة »[١] ، بعد ذكره أحبار[٢] اليهود ، ونصبهم العداوة للإسلام وأهله ، وما نزل فيهم من الآيات : فمنهم ؛ حييّ بن أخطب ، وأخواه أبو ياسر ، وجديّ ، وسلاّم بن مشكم ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق ، وسلاّم بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع الأعور ، تاجر أهل الحجاز ، وهو الذي قتله الصحابة بأرض خيبر ـ كما سيأتي ـ والرّبيع بن الرّبيع بن أبي الحقيق ، وعمرو بن جحاش ، وكعب بن الأشرف ، وهو من طيّئ ، ثم أحد بني نبهان ، وأمّه من بني النّضير ـ وقد قتله الصحابة قبل أبي رافع ، كما سيأتي ـ وحليفاه الحجّاج بن عمرو ، وكردم بن قيس ، لعنهم الله ، فهؤلاء من بني النّضير .

ومن بني ثعلبة بن الفطيون[٣] ؛ عبد الله بن صوريا ، ولم يكن بالحجاز أحد أعلم بالتوراة منه ـ قلت : وقد قيل : إنّه أسلم .

وابن صلوبا ، ومخيريق ـ وقد أسلم يوم أحد كما سيأتي ـ وكان حَبْرَ قومه[٤] .

ومن بني قينقاع ؛ زيد بن اللّصيت ، وسعد بن حنيف ، ومحمود بن شيحان[٥] ، وعزيز بن أبي

---

(١) تنبيه : كتاب « السيرة النبوية » لابن إسحاق لا يعرف مكان وجوده كاملاً فيما أعلم ، والذي نشر منه بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ثم بتحقيق الدكتور سهيل زكّار ، إنما هو قطعة منه ليس فيها الموطن الذي نقل عنه المؤلف رحمه الله ، وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٤) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) في (آ) : « أخبار » والمثبت من (ط) وهو مناسب للسياق .

(٣) انظر شرح الإمام السُّهَيلي لها في « الروض الأنف » (٤/ ٣٩٧) .

(٤) في (آ) : « خير قومه » وفي (ط) « حبر قومه » وهو الصواب .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « شيحان » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « سيحان » بالسين .

عزيز ، وعبد الله بن صيف[١] ، وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونعمان بن أضا ، وبحريّ بن عمرو ، وشأس[٢] بن عديّ ، وشأس[٢] بن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونعمان بن عمرو[٣] ، وسكين بن أبي سكين ، وعديّ بن زيد ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، ومالك بن صيف ، وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وأزار بن أبي أزار .

قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر[٤] .

ورافع بن حارثة [ورافع بن حريملة][٥] ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سلام .

قلت : وقد تقدّم إسلامه[٦] ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : وكان حبرهم[٧] وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله[٨] .

قال ابن إسحاق[٩] : ومن بني قريظة ؛ الزّبير بن باطا بن وهب ، وعزّال بن شمويل ، وكعب بن أسد ـ وهو صاحب عقدهم الذي نقضوه عام الأحزاب ـ وشمويل بن زيد [وجبل بن عمرو بن سكينة ، والنّحّام بن زيد ، وكردم[١٠] بن كعب ، ووهب بن زيد] ونافع بن أبي نافع ، وعديّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة بن حبيب ، ورافع بن رميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا .

قال : ومن بني زريق ؛ لبيد بن أعصم ، وهو الذي سحر رسول الله ﷺ[١١] .

---

(١) قال ابن هشام : ويقال : « ابن ضيف » .

(٢) في (آ) : « شأش » وفي (ط) « شاش » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .

(٣) في (آ) و(ط) : « بن عمير » وهو خطأ ، وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف .

(٤) في (آ) و(ط) : « ابن أبي آزر » . وفي « السيرة النبوية » و« الروض الأنف » (٤/٣٠٦) : « آزر بن آزر » وأثبته عنهما .

(٥) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وأثبته عن (ط) فقط .

(٦) يعني إسلام (عبد الله بن سَلَام) رضي الله عنه .

(٧) في (آ) : « وكان خيرهم » وأثبت لفظ (ط) .

(٨) انظر ترجمته وما جاء حول قصة إسلامه رضي الله عنه في « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (١/٢٣٣ ـ ٢٣٤) وتعليقي عليه ، طبع دار ابن كثير .

(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٥١٥ ـ ٥١٦) .

(١٠) كذا في (آ) و(ط) في هذا الموطن : « كردم » وفي « السيرة النبوية » : « قردم » بالقاف . وما بين الحاصرتين عن (ط) وحدها .

(١١) قلت : وقد روى حديث سحرِ (لبيد بن أعصم اليهودي) لرسول الله ﷺ البخاري (٥٦٦٦) ومسلم (٢١٨٩) من =

ومن يهود بني حارثة ؛ كنانة بن صوريا .

ومن يهود بني عمرو بن عوف ؛ قردم بن عمرو .

ومن يهود بني النجّار ؛ سلسلة بن برهام .

قال ابن إسحاق[١] : فهؤلاء أحبار يهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، رضي الله عنهم ، وأصحاب المسألة الذين [كانوا][٢] يكثرون الأسئلة لرسول الله ﷺ ، على وجه التّعنّت والعناد والكفر . قال : وأصحاب النّصب لأمر الإسلام ليطفئوه ، إلّا ما كان من عبد الله بن سلام ، ومخيريق .

ثم ذكر إسلام عبد الله بن سلام ، وإسلام عمّته خالدة[٣] ، كما قدّمناه ، وذكر إسلام مخيريق يوم أحد[٤] ، كما سيأتي ، وأنّه قال لقومه ، وكان يوم السبت : يا معشر يهود ، والله إنّكم لتعلمون أنّ نصر محمد عليكم لحقّ . قالوا : إنّ اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه وخرج [حتى أتى رسول الله][٥] ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ويصنع فيها ما أراه الله[٦] ، وكان كثير الأموال ، ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه ، قال : فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني : « مخيريق خير يهود »[٧] .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق[٨] من مال إلى هؤلاء [الأضداد] من اليهود ، من المنافقين من الأوس والخزرج ، فمن الأوس ؛ زويّ بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصّامت الأنصاريّ ، وفيه نزل : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] وذلك أنّه قال حين تخلّف عن غزوة تبوك : لئن كان هذا الرجل صادقاً ، لنحن شرّ من الحمير[٩] . فنماها ابن امرأته عمير بن سعد

= حديث عائشة رضي الله عنها . انظر تفاصيل ذلك وشرحه والتعليق عليه في « جامع الأصول » لابن الأثير (٥/ ٦٥ ـ ٦٧) بتحقيق والدي وأستاذي فضيلة المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٦) وقد ذكر كلام ابن إسحاق باختصار .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة مني يقتضيها سياق الكلام .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٦ ـ ٥١٧) واسمها (خالدة بنت الحارث) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٨) .

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٦) في (آ) و(ط) : ((يرى فيها ما أراه الله)) وأثبت لفظ « السيرة النبوية » مصدر المؤلف في نقله .

(٧) رواه ابن سعد في « الطبقات » (١/ ٥٠١ و٥٠٢) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/ ٢٢٩) من طريق الواقدي ، وهو متروك .

(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥١٩) .

(٩) في (ط) : ((لنحن شرّ من الحمر)) .

إلى رسول الله ﷺ ، فأنكر الجلاس ذلك وحلف ما قال ، فنزل فيه ذلك . قال[1] : وقد زعموا أنّه تاب وحسنت توبته ، حتى عرف منه الإسلام والخير . قال : وأخوه الحارث بن سويد ، وهو الذي قتل المجذّر بن ذياد البلويّ ، وقيس بن زيد أحد بني ضبيعة يوم أحد ، خرج مع المسلمين ، وكان منافقاً ، فلمّا التقى الناس ، عدا عليهما فقتلهما ، ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام[2] : وكان المجذّر قد قتل أباه سويد بن الصّامت في بعض حروب الجاهلية ، فأخذ بثأر أبيه منه يوم أحد . كذا قال ابن هشام .

وقد ذكر ابن إسحاق أنّ الذي قتل سويد بن الصّامت إنّما هو معاذ بن عفراء ، قتله [غيلةً] في غير حرب ، قبل يوم بعاث ، رماه بسهم فقتله . وأنكر ابن هشام أن يكون الحارث قتل قيس بن زيد ، قال : لأنّ ابن إسحاق لم يذكره في قتلى أحد .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فبعث الحارث إلى أخيه الجلاس يطلب له التوبة ؛ ليرجع إلى قومه ، فأنزل الله ، فيما بلغني عن ابن عباس : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٦][3] . إلى آخر القصة قال : وبِجَادُ بن عثمان بن عامر ، ونبتل بن الحارث ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « من أحبّ أن ينظر إلى شيطان فلينظر إلى هذا »[4] . وكان جسيماً ، أدلم[5] ، ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين ، أسفع الخدّين ، وكان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ، ثم ينقله إلى المنافقين ، وهو الذي قال : إنّما محمد أذن ؛ من حدّثه بشيء صدّقه . فأنزل الله فيه : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ ﴾ الآية [التوبة : ٦١][6] .

قال : وأبو حبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وثعلبة بن حاطب ، ومعتِّب بن قشير ، وهما اللّذان عاهدا الله ﴿ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [التوبة : ٧٥][7] ، ثم نكثا ، فنزل فيهما ذلك .

ومعتِّب هو الذي قال يوم أحد : ﴿ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ ﴾ [آل عمران : ١٥٤] . فنزل فيه

---

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٠) وما بين الحاصرتين مستدرك منه .
(٣) رواه النسائي (٧/ ١٠٧) بنحوه ، وهو حديث صحيح .
(٤) ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٥٢١) ولفظه عنده : ((من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث)) .
(٥) الأدلم من الرجال : الطويل الأسود . « لسان العرب » (دلم) .
(٦) رواه ابن أبي حاتم بسند حسن .
(٧) رواه الطبري في « تفسيره » وغيره ، وهو ضعيف جداً .

الآية[١] ، وهو الذي قال يوم الأحزاب : كأنّ محمداً يعدنا أنّا نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط ، فأنزل الله فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢][٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : والحارث بن حاطب .

قال ابن هشام : ومعتّب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ـ وهما من بني أميّة بن زيد ـ من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم . قال : وقد ذكر ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أميّة بن زيد ، في أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق[٤] : وعبّاد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف وبَحْزَج ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وعمرو بن خذام[٥] ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطّاف ، وابناه يزيد[٦] ومجمّع ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضّرار ، وكان مجمّع غلاماً حدثاً ، قد جمع أكثر القرآن ، وكان يصلّي بهم فيه ، فلمّا خرّب مسجد الضّرار ـ كما سيأتي بيانه بعد غزوة تبوك ـ وكان في أيام عمر ، سأل أهل قباء عمر أن يصلّي بهم مجمّع ، فقال : لا والله ، أو ليس إمام المنافقين في مسجد الضّرار؟ فحلف بالله ماعلمت بشيء من أمرهم . فزعموا أنّ عمر تركه فصلّى بهم . قال : ووديعة بن ثابت ، وكان ممن بنى مسجد الضّرار ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] فنزل فيه ذلك .

قال : وخذام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضّرار من داره .

قال ابن هشام مستدركاً على ابن إسحاق في منافقي بني النّبيت من الأوس : وبشر ورافع ابنا زيد .

قال ابن إسحاق[٧] : ومربع بن قيظيّ ، وكان أعمى ، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز في حائطه[٨] وهو ذاهب إلى أحد : لا أحلّ لك ، إن كنت نبيّا ، أن تمرّ في حائطي . وأخذ في يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك لرميتك بها . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال

---

(١) رواه ابن أبي حاتم ، وإسناده حسن .
(٢) أخرجه جويبر عن ابن عباس ، وجويبر ضعيف جداً .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٢) .
(٥) في (آ) : « حزام » وفي (ط) : « عمرو بن حرام » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : « يزيد » وفي « السيرة » : « زيد » . وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الإصابة » (٣/ ٦٥٣) في رسم « يزيد » وذكر الخلاف في الاسمين ، وقال : الصواب أنهما أخوان .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٣ـ٥٢٥) .
(٨) الحائط : البستان .

رسول الله ﷺ : « دعوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر »[١] .

وقد ضربه سعد بن زيد الأشهليّ بالقوس فشجّه . قال : وأخوه أوس بن قيظيّ ، وهو الذي قال : ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ . قال الله : ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣][٢] .

قال : وحاطب بن أميّة بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً ، قد عسا[٣] في جاهليته ، وكان له ابن من خيار المسلمين يقال له : يزيد بن حاطب . أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار بني ظفر ، فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو يموت ، فجعلوا يقولون : أبشر بالجنّة يا بن حاطب .

قال : فنجم[٤] نفاق أبيه ، فجعل يقول : أجل ، جنّة من حرمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال : وبشير بن أبيرق [وهو][٥] أبو طعمة ، سارق الدّرعين ، الذي أنزل الله فيه : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآيات [النساء : ١٠٧][٦] .

قال : وقزمان ، حليف لبني ظفر ، الذي قتل يوم أحد سبعة نفر ، ثم لمّا آلمته الجراحة ، قتل نفسه ، وقال : والله ما قاتلت إلاّ حميّة على قومي ، ثم مات ، لعنه الله[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلاّ أنّ الضحّاك بن ثابت كان يتّهم بالنّفاق وحبّ يهود . فهؤلاء كلّهم من الأوس .

قال ابن إسحاق[٩] : ومن الخزرج ؛ رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، [وعمرو بن قيس] ، وقيس بن عمرو بن سهل ، والجدّ بن قيس ، وهو الذي قال : ﴿ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ﴾ [التوبة : ٤٩][١٠]

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » : « . . . أعمى البصيرة » .
(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير الطبري ، وابن المنذر والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٣٥-٤٣٦) عن عروة بن الزبير وغيره مرسلاً .
(٣) أي : كبر وأسن . انظر « لسان العرب » (عسو) .
(٤) أي : ظهر .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » .
(٦) رواه الترمذي بنحوه رقم (٣٠٣٦) وهو حديث حسن .
(٧) انظر « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني عند شرحه للحديث رقم (٤٢٠٢) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٥) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٦ ، ٥٢٧) .
(١٠) قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : رواه أبو نعيم وابن مردويه من طريق الضحَّاك عن ابن عباس ، ورواه ابن مردويه من حديث عائشة بسند ضعيف أيضاً ، ومن حديث جابر بسند فيه مبهم .

وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وكان رأس المنافقين ـ ورئيس الخزرج والأوس أيضاً ، كانوا قد أجمعوا على أن يملّكوه عليهم في الجاهلية ، فلمّا هداهم الله للإسلام قبل ذلك ، شرِق اللعين بريقه[١] ، وغاظه ذلك جدّاً ـ وهو الذي قال : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون : ٨][٢] .

وقد نزلت فيه آيات كثيرة جدّاً ، وفيه وفي وديعة ـ رجل من بني عوف ـ ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهطه ، نزل [قوله تعالى] : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ الآيات [الحشر : ١٢][٣] . حين مالوا في الباطن إلى بني النّضير .

فصل

ثم ذكر ابن إسحاق[٤] مَنْ أسلم من أحبار اليهود على سبيل التّقيّة ، فكانوا كفاراً في الباطن ، فأتبعهم بصنف المنافقين ، وهم من شرّهم ؛ سعد بن حنيف ، وزيد بن اللّصيت ، وهو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنّه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته! فقال رسول الله ﷺ : « والله لا أعلم إلاّ ما علّمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، فهي في هذا الشّعب ، قد حبستها شجرة بزمامها » . فذهب رجال من المسلمين فوجدوها كذلك[٥] .

قال : ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حُرَيملة ، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم مات ـ فيما بلغنا ـ : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » .

ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي هبّت الريح الشديدة يوم موته ، عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك ، فقال : « إنّها هبّت لموت عظيم من عظماء الكُفَّار » فلمّا قدموا المدينة ، وجدوا رفاعة قد مات في ذلك اليوم[٦] .

وسلسلة بن بِرهام ، وكنانة وابن صوريا . فهؤلاء ممن أسلم من منافقي اليهود .

قال[٧] : فكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد ، ويسمعون أحاديث المسلمين ، ويسخرون

---

(١) أي غص به . انظر « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٠٠) .
(٣) رواه ابن إسحاق وابن المنذر وأبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عباس .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .
(٥) ورواه الواقدي في « المغازي » (٢/ ٤٢٣) ، عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه ، والبيهقي في « الدلائل » (٤/ ٥٩ـ٦٠) ، عن موسى بن عقبة مرسلاً .
(٦) وذكره الواقدي في « المغازي » (٢/ ٤٢٢ـ٤٢٣) ، عن رافع بن خديج وجابر بن عبد الله ، وابن إسحاق في « سيرته » في غزوة بني المصطلق عن شيوخه الثلاثة مرسلاً ، وسيأتي عند المصنِّف .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٨ـ٥٢٩) .

ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع في المسجد يوماً منهم أناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدّثون بينهم ، خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم إلى بعض ، فأمر بهم رسول الله ﷺ ، فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب إلى عمرو بن قيس ، أحد بني النّجّار ، وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله ، فسحبه حتى أخرجه [من المسجد][(١)] ، وهو يقول ، لعنه الله : أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب إلى رافع بن وديعة النجّاريّ فلبّبه بردائه ، ثم نتره[(٢)] نتراً شديداً ، ولطم وجهه ، فأخرجه من المسجد وهو يقول : أفّ لك منافقاً خبيثاً .

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان طويل اللحية ، فأخذ بلحيته ، وقاده بها قوداً عنيفاً ، حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه جميعاً ، فلدمه[(٣)] بهما لدمة في صدره خرّ منها . قال : يقول : خدشتني يا عمارة . فقال عمارة : أبعدك الله يا منافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ .

وقام أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجّار ـ وكان بدريّاً ـ إلى قيس بن عمرو بن سهل ـ وكان شابّاً ، وليس في المنافقين شابّ سواه ـ فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه [من المسجد] .

وقام رجل من بني خدرة إلى رجل يقال له : الحارث بن عمرو ـ وكان ذا جمّة ـ فأخذ بجمّته ، فسحبه بها سحباً عنيفاً على ما مرّ به من الأرض حتى أخرجه ، فجعل يقول المنافق : قد أغلظت يا أبا الحارث[(٤)] . فقال : إنّك أهل لذلك أي عدوّ الله ؛ لما أنزل فيك ، فلا تقربنّ مسجد رسول الله ﷺ ؛ فإنّك نجس .

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زويّ بن الحارث ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً وأفّف[(٥)] منه ، وقال : غلب عليك الشيطان وأمرُه .

ثم ذكر ابن إسحاق[(٦)] ما نزل فيهم من الآيات[(٧)] من سورة « البقرة » ، ومن سورة « التوبة » ، وتكلّم على تفسير ذلك ، فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٢) نتره : جذبه .
(٣) أي ضربه ببطن كفه . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٢٩) وما بين الحاصرتين في النص تكملة منه .
(٤) كذا في (آ) و(ط) : ((يا أبا الحارث)) والذي في « السيرة النبوية » لابن هشام : ((يا بن الحارث)) .
(٥) أي تَضَجَّر . انظر « لسان العرب » (أفف) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٣٠ـ٥٧٢) .
(٧) في (آ) : ((من القرآن)) وأثبت لفظ (ط) .

ذكر
أول المغازي ، وهي غزوة الأبواء ، ويقال لها : غزوة ودّان

وأول البعوث ، وهو بعث حمزة بن عبد المطلب ، أو عبيدة بن الحارث ، كما سيأتي في [المغازي] .

قال البخاريّ[١] : كتاب المغازي ، قال ابن إسحاق : أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم بواط ، ثم العشيرة .

ثم روى[٢] عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل : كم غزا رسول الله ﷺ ؟ قال : تسع عشرة . شهد منها سبع عشرة ، [أوّلهن] العسيرة ، أو العشيرة ، وسيأتي الحديث بإسناده ولفظه والكلام عليه عند غزوة العشيرة ، إن شاء الله وبه الثقة[٣] .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] ، عن بريدة ، قال : غزا [مع][٥] رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة .

ولمسلم عنه[٦] ، أنّه غزا مع رسول الله ﷺ ستّ عشرة غزوة .

وفي رواية له عنه[٧] ، أنّ رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان منهنّ .

وقال الحسين بن واقد[٨] ، عن ابن بريدة ، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ غزا سبع عشرة غزوة ، وقاتل في ثمان ؛ يوم بدر ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، ومكة ، وحنين ، وبعث أربعاً وعشرين سريّة .

وقال يعقوب بن سفيان[٩] : حدّثنا محمد بن عثمان الدّمشقيّ التّنوخيّ ، ثنا الهيثم بن حميد ، أخبرني النّعمان ، عن مكحول ، أنّ رسول الله ﷺ غزا ثماني عشرة غزوة ، قاتل في ثمان غزوات ؛ أولهن بدر ، ثم أحد ، ثم الأحزاب ، ثم قريظة ، ثم بئر معونة ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة مكّة ، ثم حنين والطائف .

---

(١) انظر « فتح الباري » (٧/ ٢٧٩) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣٩٤٩) .
(٣) انظر ص (٢٢) من هذا الجزء .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٤٧٣) .
(٥) زيادة من « صحيح البخاري » .
(٦) انظر « صحيح مسلم » رقم (١٨١٤) (١٤٧) .
(٧) رواها مسلم رقم (١٨١٤) (١٤٦) وابن أبي شيبة في « المغازي » رقم (١١٣) .
(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٥٩) .
(٩) هو في « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٣٠٠) مرسلاً .

قوله : بئر معونة ، بعد قريظة فيه نظر ، والصحيح أنها بعد أحد ، كما سيأتي .

قال يعقوب[(١)] : حدّثنا سلمة بن شبيب ، ثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزّهريّ ، سمعت سعيد بن المسيّب يقول : غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة . وسمعته مرة أخرى يقول : أربعاً وعشرين . فلا أدري أكان ذلك وهماً ، أو شيئاً سمعه بعد ذلك .

وقد روى الطّبرانيّ ، عن الدّبريّ[(٢)] ، عن عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن الزّهريّ قال : غزا رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين غزوة .

وقال عبد بن حميد في « مسنده » :[(٣)] حدّثنا سعيد بن سلاّم ، ثنا زكريا بن إسحاق ، حدثنا أبو الزّبير ، عن جابر ، قال : غزا رسول الله ﷺ إحدى وعشرين غزوة .

وقد روى الحاكم[(٤)] (من طريق هشام ، عن قتادة أنّ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين ، ثم قال الحاكم[(٥)]) : لعلّه أراد السّرايا دون الغزوات ، فقد ذكرت في « الإكليل » على الترتيب ، بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المئة .

قال: وأخبرني الثقة من أصحابنا ببخارى ، أنّه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السّرايا والبعوث دون الحروب نيّفاً وسبعين ، وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جدّاً ، وحمله كلام قتادة على ما قال ، فيه نظر .

وقد روى الإمام أحمد[(٦)] ، عن أزهر بن القاسم الراسبيّ ، عن هشام الدّستوائيّ ، عن قتادة أنّ مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون ؛ أربع وعشرون بعثاً ، وتسع عشرة غزوة ، خرج في ثمانٍ منها بنفسه ؛ بدرٍ ، وأحد ، والأحزاب ، والمريسيع ، وقديد ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين .

وقال موسى بن عقبة[(٧)] ، عن الزّهريّ : هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ؛ يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق ـ وهو يوم الأحزاب وبني قريظة ـ في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان من سنة خمس ، ثم قاتل يوم

---

(١) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) مرسلاً ، وعبد الرزاق في المصنف (٩٦٥٩) مرسلاً أيضاً .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عبّاد الدّبَري ، راوي كتب عبد الرزاق عنه ، وروى عنه الطبراني وغيره ، وكان صدوقاً . مات سنة (٢٨٥) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٢٥٦) .

(٣) هو في ((المنتخب من مسند عبد بن حميد)) رقم (١٠٦٥) .

(٤) وأخرجه البيهقي أيضاً في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٦٢) .

(٥) انظر « فتح الباري » (٧/ ٢٨١) .

(٦) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٦٢) وانظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٥ـ٦) .

(٧) ورواه من طريقه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٣٠٢ ، ٣٠٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) وأصله في البخاري رقم (٤٠٢٦) .

خيبر سنة ستّ ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمان ، ثم قاتل يوم حنين ، وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان ، ثم حجّ أبو بكر سنة تسع ، ثم حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع سنة عشر ، وغزا ثنتي عشرة غزوة ولم يكن فيها قتال ، قال : وكانت أول غزوة غزاها الأبواء .

وقال حنبل بن إسحاق[١] ، عن هلال بن العلاء[٢] ، عن عبد الله بن جعفر الرقّيّ ، عن مطرّف بن مازن اليمانيّ ، عن معمر ، عن الزّهريّ[٣] قال : أول آية نزلت في القتال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ الآية [الحج : ٣٩] بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر يوم الجمعة ، لسبع عشرة من رمضان ، إلى أن قال : ثم غزا بني النّضير ، ثم غزا أحداً في شوال ـ يعني من سنة ثلاث ـ ثم قاتل يوم الخندق في شوال سنة أربع ، ثم قاتل بني لحيان في شعبان سنة خمس ، ثم قاتل يوم خيبر سنة ستّ ، ثم قاتل يوم الفتح في شعبان سنة ثمان ، وكانت حنين في رمضان سنة ثمان ، وغزا رسول الله ﷺ إحدى عشرة غزوة لم يقاتل فيها ، فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ الأبواء ، ثم العشيرة ، ثم غزوة غطفان ، ثم غزوة بني سليم ، ثم غزوة الأبواء[٤] ، ثم غزوة بدر الأولى ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة الحديبية ، ثم غزوة الصّفراء ، ثم غزوة تبوك آخر غزوة ، ثم ذكر البعوث . هكذا كتبته من تاريخ الحافظ ابن عساكر[٥] ، وهو غريب جداً ، والصواب ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله مرتّباً .

وهذا الفنّ مما ينبغي الاعتناء به والاعتبار بأمره والتّهيّؤ له ، كما رواه محمد بن عمر الواقديّ ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن أبيه ، سمعت عليّ بن الحسين يقول : كنا نعلّم مغازي النبيّ ﷺ كما نعلّم السورة من القرآن .

قال الواقديُّ[٦] : وسمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمِّي الزّهريّ يقول في علم المغازي : علم الآخرة والدنيا .

وقال محمد بن إسحاق[٧] ، رحمه الله ، في « المغازي » بعد ذكره ما تقدم مما سقناه عنه ، من تعيين

---

(١) هو حنبل بن إسحاق أبو علي ، ابن عمّ الإمام أحمد بن حنبل ، وكان ثقة ثبتاً صدوقاً ، من أعلام الحنابلة الكبار ، مات سنة (٢٧٣) هـ . انظر ترجمته ومصادرها في « المنهج الأحمد » (١/ ٢٦٤) و« شذرات الذهب » (٣/ ٣٠٧) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي فضيلة المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط .

(٢) في (آ) و(ط) : « حنبل بن هلال ، عن إسحاق بن العلاء » وهو خطأ ، والصواب ما أثبته .

(٣) انظر « مغازي الزهري » ص (١٠٥) .

(٤) كذا في (آ) و(ط) وهي مكررة في السياق ، ولعلها : « بواط » . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٦٣) .

(٥) لم أجده في نسخ « تاريخ دمشق » المخطوطة والمطبوعة المتوافرة عندي على كثرتها ، ويبدو أنه مما سقط منها وهو كثير ، وذكره ابن منظور في « مختصره » (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩) .

(٦) وأخرجهما من طريقه الخطيب البغدادي في « الجامع » رقم (١٥٩١) و(١٥٨٩) والواقدي متروك .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٠ ، ٥٩١) وقد أخرجه من طريقه بنحوه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠) .

رؤوس الكفر من اليهود والمنافقين ، لعنهم الله أجمعين ، وجمعهم في أسفل سافلين : ثم إنّ رسول الله ﷺ تهيّأ لحربه ، وقام فيما أمره الله به من جهاد عدوّه ، وقتال من أمره به ممن يليه [من المشركين] .

قال : وقد قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين حين اشتدّ الضّحاء ، وكادت الشمس تعتدل ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بقية شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجّة ، وولي [تلك] الحجّة المشركون ، والمحرّم .

ثم خرج رسول الله ﷺ غازياً في صفر ، على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق(١) : حتى بلغ ودّان ، وهي غزوة الأبواء .

قال ابن جرير(٢) : ويقال لها : غزوة ودّان أيضاً ، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم مخشيّ بن عمرو الضّمريّ ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول .

قال ابن هشام(٣) : وهي أول غزوة غزاها ، عليه السلام .

قال الواقديّ(٤) : وكان لواؤه ـ عليه السلام ـ مع عمّه حمزة ، وكان أبيض .

قال ابن إسحاق(٥) : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك بالمدينة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصيّ في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنيّة المرة ، فلقي [بها] جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلاّ أنّ سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي به في سبيل الله في الإسلام ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانيُّ حليف بني زهرة ، وعتبة بن غزوان بن جابر المازنيّ حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وكانا مسلمين ، ولكنّهما خرجا ليتوصّلا بالكفار .

قال ابن إسحاق : وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن أبي جهل .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٠٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١) .
(٤) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٨) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩١ـ٥٩٢) .

وروى ابن هشام ، عن أبي عمرو[١] بن العلاء ، عن أبي عمرو المدنيّ أنّه قال : كان عليهم مكرز بن حَفْصٍ .

قلت : وقد تقدّم عن حكايةَ الواقديّ قولان ؛ أحدهما أنه مكرز ، والثاني أنه أبو سفيان صخر بن حرب ، وأنه رجّح أنه أبو سفيان ، فالله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] القصيدة المنسوبة إلى أبي بكر الصديق في هذه السّريّة التي أولها : [من الطويل]

أمن طيف سلمى بالبطاح الدّمائث ... أرقتَ وأمرٍ في العشيرة حادثِ
ترى من لؤيّ فرقة لا يصدّها ... عن الكفر تذكير ولا بعثُ باعثِ
رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذّبوا ... عليه وقالوا لستَ فينا بماكثِ
إذا ما دعوناهم إلى الحقّ أدبروا ... وهرّوا هريرَ المُجْحَرات اللواهثِ

القصيدة إلى آخرها .

وذكر[٣] جواب عبد الله بن الزِّبعرى في مناقضتها التي أولها : [من الطويل]

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث ... بكيتَ بعين دمعها غير لابثِ
ومن عجب الأيام والدَّهر كلّه ... له عجب من سابقات وحادث
لجيش أتانا ذي عرام يقوده ... عبيدة يدعى في الهياج ابن حارث
لنترك أصناما بمكّة عكّفاً ... مواريث موروث كريم لوارث

وذكر تمام القصيدة ، وما منعنا من إيرادها بتمامها إلا أنّ الإمام عبد الملك بن هشام ، رحمه الله ـ وكان إماماً في اللغة ـ ذكر أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال سعد بن أبي وقّاص في رميته تلك فيما يذكرون : [من الوافر]

ألا هل أتى رسول الله أنّي ... حميتُ صحابتي بصدور نبلي
أذود بها أوائلهم ذياداً ... بكلّ حزونة وبكلّ سهلِ
فما يعتدّ رام في عدوٍّ ... بسهم يا رسول الله قبلي
وذلك أنّ دينك دين صدق ... وذو حقّ أتيتَ به وفضلِ
ينجّي المؤمنون به ويخزى ... به الكُفَّار عند مقام مهلِ
فمهلاً قد غويتَ فلا تعبني ... غويَّ الحيّ ويحك يا بن جهلِ

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » (١/ ٢٣) : « ابن أبي عمرو » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٢ـ٥٩٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٣ـ٥٩٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٤ـ٥٩٥) .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد .

قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين . وقد خالفه الزّهريّ وموسى بن عقبة[١] والواقديّ[٢] ، فذهبوا إلى أنّ بعث حمزة قبل بعث عبيدة بن الحارث ، والله أعلم .

وسيأتي في حديث سعد بن أبي وقّاص أن أول أمراء السّرايا عبد الله بن جحش الأسديّ .

قال ابن إسحاق[٣] : وبعض العلماء يَزْعُمُ أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وهكذا حكى موسى بن عقبة ، عن الزّهريّ[٤] .

فصل

قال ابن إسحاق[٥] : وبعث رسول الله ﷺ في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سيف البحر[٦] من ناحية العيص ، في ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام [بذلك الساحل] في ثلاثمئة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجديّ بن عمرو الجهنيّ ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

قال ابن إسحاق[٧] : وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أنّ بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشبّه ذلك على الناس .

قلت : وقد حكى موسى بن عقبة عن الزّهريّ[٨] ، أنّ بعث حمزة قبل عبيدة بن الحارث ، ونصّ على أنّ بعث حمزة كان قبل غزوة الأبواء ، فلما قفل ، عليه السلام ، من الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ، وذكر نحو ما تقدّم . وقد تقدّم عن الواقديّ أنّه قال : كانت سريّة حمزة في رمضان من السنة الأولى ، وبعدها سريّة عبيدة في شوّال منها ، والله أعلم .

وقد أورد ابن إسحاق[٩] ، عن حمزة ، رضي الله عنه ، شعراً يدلّ على أن رايته أول راية عقدت في

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨) من طريقهما .
(٢) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥) .
(٦) سيف البحر : ساحله . انظر « لسان العرب » (سيف) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦) .
(٨) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨ ـ ٩) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٦) .

الإسلام ، لكن قال ابن إسحاق : فإن كان حمزة قال ذلك فهو كما قال لم يكن يقول إلا حقّاً ، فالله أعلم أيّ ذلك كان ، فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبيدة أول ، والقصيدة هي قوله : [من الطويل]

ألا يا لقومي للتّحلّم والجهلِ — وللنقص من رأي الرجال وللعقلِ
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ — لهم حرمات من سوامٍ ولا أهلِ
كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا — لهم غير أمر بالعفاف وبالعدلِ
وأمر بإسلام فلا يقبلونه — وينزل منهم مثل منزلة الهزلِ
فما برحوا حتى انتدبتُ لغارةٍ — لهم حيث حلّوا أبتغي راحة الفضلِ
بأمر رسول الله أول خافقٍ — عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامةٍ — إلهٍ عزيزٍ فعله أفضل الفعل
عشيّة ساروا حاشدين وكلّنا — مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلمّا تراءينا أناخوا فعقّلوا — مطايا وعقّلنا مدى غرض النّبل
وقلنا لهم حبل الإله نصيرنا — وما لكمُ إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً — فخاب وردّ الله كيد أبي جَهْلِ
وما نحن إلا في ثلاثين راكباً — وهم مئتان بعد واحدة فضل
فيال لؤيّ لا تطيعوا غواتكم — وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإني أخاف أن يصبّ عليكمُ — عذاب فتدعوا بالندامة والثّكل

قال[١] : فأجابه أبو جهل بن هشام ـ لعنه الله ـ فقال :

عجبت لأسباب الحفيظة والجهل — وللشاغبين بالخلاف وبالبَطل
وللتاركين ما وجدنا جدودنا — عليه ذوي الأحساب والسّؤدُد الجَذْلِ

ثم ذكر تمامها .

قال ابن هشام[٢] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هاتين القصيدتين لحمزة ـ رضي الله عنه ـ ولأبي جهل ـ لعنه الله ـ .

غزوة بواط من ناحية رضوى

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ـ يعني من السنة الثانية ـ يريد قريشاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٦ ـ ٥٩٨) .

قال ابن هشام[١] : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون .

وقال الواقديّ[٢] : استخلف عليها سعد بن معاذ ، وكان رسول الله ﷺ في مئتي راكب ، وكان لواؤه مع سعد بن أبي وقّاص ، وكان مقصده أن يعترض لعير قريش ، وكان فيه أمية بن خلف ومئة رجل ، وألفان وخمسمئة بعير .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

[غزوة العُشيرة]

ثم غزا قريشاً . يعني بذلك الغزوة التي يقال لها : غزوة العشيرة ، وبالمهملة ، والعشير وبالمهملة ، والعشيراء وبالمهملة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

قال الواقديّ[٣] : وكان لواؤه مع حمزة بن عبد المطلب . قال : وخرج ، عليه السلام ، يتعرّض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام .

قال ابن إسحاق[٤] : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفاء الخَبَار[٥] ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها : ذات الساق ، فصلّى عندها ، فثمّ مسجده ، فصنع له عندها طعام ، فأكل منه وأكل الناس معه ، فرسوم أثافيّ البرمة[٦] معلوم هنالك ، واستقي له من ماء يقال له : المشيرب . ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبةَ عبد الله ، ثم صبّ لليسار حتى هبط يليل ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضّبوعة ، ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بِصُخَيْراتِ اليمام ، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مُدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد قال البخاريّ[٧] : حدثنا عبد الله ، ثنا وهب ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٨) .
(٢) انظر « طبقات ابن سعد » (٢/ ٨) .
(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد (٢/ ٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩) .
(٥) قال الفيروزابادي : الخَبَار : موضع قريب من المدينة ، وكان على طريق رسول الله ﷺ حين خرج يريد قريشاً قبل وقعة بدر . انظر « المغانم المطابة » ص (١٢٧) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : ((فرسوم أثافي البرمة)) وفي « السيرة النبوية » : ((فموضع أثافي البرمة)) .
(٧) رواه « البخاري » رقم (٣٩٤٩) .

زيد بن أرقم ، فقيل له : كم غزا النبيّ ﷺ من غزوة؟ قال : تسع عشرة . قال : كم غزوت أنت معه؟ قال : سبع عشرة غزوة . قلت : فأيُّهنَّ كان[١] أول؟ قال : العشير ، أو العسيرة . فذكرت لقتادة ، فقال : العشيرة . وهذا الحديث ظاهر في أنّ أول الغزوات العشيرة ، ويقال بالسين . وبهما مع حذف التاء . وبهما مع المد ، اللهم إلا أن يكون المراد غزاة شهدها مع النبيّ ﷺ زيد بن أرقم ؛ العشيرة ، وحينئذ لا ينفي أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم ، وبهذا يحصل الجمع بين ما ذكره محمد بن إسحاق وبين هذا الحديث ، والله أعلم .

قال محمد بن إسحاق[٢] : ويومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ ما قال ، فحدّثني[٣] يزيد بن محمد بن خثيم ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، حدّثني أبو يزيد محمد بن خثيم عن عمّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، فلما نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً ، فصالح بها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، فوادعهم ، فقال لي عليّ بن أبي طالب : هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء النفر من بني مدلج ، يعملون في عين لهم ، ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة فغشينا النوم ، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه ، فوالله ما أهبّنا[٤] إلاّ رسول الله ﷺ [يحرّكنا] بقدمه فجلسنا ، وقد تترّبنا من تلك الدّقعاء ، [فيومئذ] قال رسول الله ﷺ لعليّ : « يا أبا تراب » . لما عليه من التراب ، فأخبرناه بما كان من أمرنا ، فقال : « ألا أخبركم بأشقى الناس رجلين؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . فقال : « أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والّذي يضربك يا عليّ على هذه ـ ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ـ حتى يبلّ[٥] منها هذه » . ووضع يده على لحيته . وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وله شاهد من وجه آخر في تسمية عليّ أبا تراب ، كما في « صحيح البخاريّ »[٦] أنّ عليّاً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد فنام فيه ، فدخل رسول الله ﷺ فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضباً ، فجاء إلى المسجد فأيقظه وجعل يمسح التراب عنه ، ويقول : « قم أبا ترابٍ ، قم أبا تُرابٍ » .

---

(١) كذا في (آ) و(ط) : وفي جميع نسخ « البخاري » : ((فأيهم كانت)) . قال ابن مالك والصواب ؛ ((فأيُّها أو أيُّهن)) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٥٩٩) .
(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢ ـ ١٣) .
(٤) أهبّنا : أيقظنا من النوم .
(٥) في (آ) : « تبل » وأثبت لفظ (ط) .
(٦) رواه البخاري (٤٤١) و(٦٢٨٠) .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق[١] : ثم لم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من العشيرة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشرة ، حتى أغار كرز بن جابر الفهريّ على سرح[٢] المدينة ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له : سفوان من ناحية بدر ، وهي غزوة بدر الأولى ، وفاته كرز فلم يدركه .

وقال الواقديّ[٣] : وكان لواؤه مع عليّ بن أبي طالب .

قال ابن هشام ، والواقديّ : وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة .

قال ابن إسحاق[٤] : فرجع رسول الله ﷺ ، فأقام جمادى ورجباً وشعبان ، وقد كان بعث رسول الله ﷺ بين يدي ذلك سعداً في ثمانية رهط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرّار من أرض الحجاز .

قال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أنّ بعث سعد هذا كان بعد حمزة ، ثم رجع ولم يلق كيداً . هكذا ذكره ابن إسحاق مختصراً ، وقد تقدّم ذكر الواقديّ لهذه البعوث الثلاثة ، أعني بعث حمزة في رمضان ، وبعث عبيدة في شوال ، وبعث سعد في ذي القعدة ، كلّها في السنة الأولى .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : حدّثني عبد المتعال بن عبد الوهّاب ، حدثني يحيى بن سعيد . قال عبد الله ابن الإمام أحمد : وحدّثني سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ ، حدّثنا أبي ، ثنا المجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن سعد بن أبي وقّاص قال : لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، جاءته جهينة فقالوا : إنك قد نزلت بين أظهرنا ، فأوثق حتى نأتيك وتؤمنّا . فأوثق لهم فأسلموا . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مئة ، وأمرنا أن نغير على حيّ من بني كنانة إلى جنب جهينة ، فأغرنا عليهم ، وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة ، فمنعونا ، وقالوا : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! فقال بعضنا لبعض : ما ترون؟ فقال بعضنا : نأتي نبيّ الله ﷺ فنخبره . وقال قوم : لا ، بل نقيم ههنا . وقلت أنا في أناس معي : لا ، بل نأتي عير قريش فنقتطعها . وكان الفيء إذ ذاك : من أخذ شيئاً فهو له . فانطلقنا إلى العير ، وانطلق أصحابنا إلى النبيّ ﷺ ، فأخبروه الخبر ، فقام غضبان محمرّ الوجه فقال : « أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرّقين؟ إنّما أهلك من كان قبلكم الفرقة ، لأبعثنّ عليكم رجلاً ليس بخيركم ، أصبركم على الجوع والعطش » . فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسديَّ ، فكان أول أمير في الإسلام .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١) .
(٢) السرح : المال يُسام في المرعى من الأنعام . « لسان العرب » (سرح) .
(٣) انظر « الطبقات » لابن سعد (٢/ ٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٠ ـ ٦٠١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٧٨) وإسناده ضعيف .

وقد رواه البيهقيّ في « الدلائل »[(١)] من حديث يحيى بن أبي زائدة ، عن مجالد به نحوه ، وزاد بعد قولهم لأصحابه : لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! : فقالوا : نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام[(٢)] .

ثم رواه[(٣)] من حديث أبي أسامة ، عن مجالد ، عن زياد بن علاقة ، عن قطبة بن مالك ، عن سعد بن أبي وقّاص ، فذكر نحوه ، فأدخل بين سعد وزياد قطبة بن مالك ، وهذا أنسب ، والله أعلم .

وهذا الحديث يقتضي أنّ أول أمراء السّرايا عبد الله بن جحش الأسديّ ، وهو خلاف ما ذكره ابن إسحاق ، أنّ أول الرايات عقدت لعبيدة بن الحارث بن المطلب[(٤)] ، وللواقديّ[(٥)] حديث زعم أنّ أول الرايات عقدت لحمزة بن عبد المطلب ، والله أعلم .

باب سريّة عبد الله بن جحش التي كانت سبباً لغزوة بدر العظمى ، وذلك يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، والله على كلّ شيء قدير

قال ابن إسحاق[(٦)] : وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش بن رئاب الأسديَّ في رجب مقفله من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وهم ؛ أبو حذيفة بن عتبة ، وعكّاشة بن محصن بن حرثان ، حليف بني أسد بن خزيمة ، وعتبة بن غزوان ، حليف بني نوفل ، وسعد بن أبي وقّاص الزّهريّ ، وعامر بن ربيعة الوائليّ ، حليف بني عديّ ، وواقد بن عبد الله بن عبد منافٍ بن عرين بن ثعلبة بن يربوع التّميميّ ، حليف بني عديّ أيضاً ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، حليف بني عديّ أيضاً ، وسهيل بن بيضاء الفهريّ ، فهؤلاء سبعة ثامنهم[(٧)] أميرهم عبد الله بن جحش ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٤) .
(٢) وهي كذلك في « المسند » للإمام أحمد (١/ ١٧٨) .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩٥) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٠٥) .
(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٢/ ٦) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٢) .
(٧) كذا في (آ) و(ط) وهو خطأ من المؤلف رحمه الله ، وذلك أنه ذكرهم ثمانية وعدَّهم سبعة ؛ فإن ابن إسحاق أدخل في أسماء الثمانية بعد أبي حذيفة بن عتبة ، عبدَ الله بن جحش ، فمجموع من ذكرهم ابن إسحاق تسعة ، فلما ذكرهم المصنّف دون أميرهم عبد الله ، حسب أن الباقي سبعة ، ظنّاً منه أن مجموع من ذكرهم ابن إسحاق ثمانية ، لذلك أتى المؤلف رحمه الله برواية ابن إسحاق القادمة ليبيِّن الاضطراب الحادث بين الروايتين ـ في ظنّه ـ فقال : « فالله أعلم » .

وقال يونس[١] ، عن ابن إسحاق : كانوا ثمانية ، وأميرهم التاسع ، فالله أعلم ، وستأتي تسميتهم على خلاف ما قال ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق[٢] : وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره من أصحابه أحداً ، فلمّا سار بهم يومين فتح الكتاب ، فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي فامض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطّائف ، فترصّد بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم » . فلمّا نظر في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . وأخبر أصحابه بما في الكتاب ، وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلّف منهم أحد ، وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له : بحران . أضلّ سعد بن أبي وقّاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلّفا في طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه ، حتى نزل نخلةً ، فمرّت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً[٣] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرميّ .

قال ابن هشام : واسم الحضرميّ عبد الله بن عبّاد الصّدفيّ .

قال السّهيليّ[٤] : وقيل غير ذلك في نسبه وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلمّا رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكّاشة بن محصن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمّار لا بأس عليكم منهم . وتشاور الصحابة فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ، فقالوا : والله لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلنّ الحرم فليمتنعنّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام . فتردّد القوم وهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التّميميّ عمرو بن الحضرميّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابُه بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أنّ عبد الله قال لأصحابه : إنّ لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس . فعزله وقسم الباقي بين أصحابه ، وذلك قبل أن ينزل الخمس .

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٨ ـ ٢٠) من طريقه .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٤) .

(٣) الأدم : الجلود . واحدها أديم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (١/ ١٨٩) .

(٤) انظر « الروض الأنف » : (٥/ ٧٩ ـ ٨٠) .

قال[١] : لمّا نزل الخمس نزل كما قسمه عبد الله بن جحش . كما قاله .

قال ابن إسحاق[٢] : فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ ، أسقط في أيدي القوم ، وظنّوا أنّهم قد هلكوا وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدّم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يردّ عليهم من المسلمين ممّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ، تفائل بذلك على رسول الله ﷺ : عمرو بن الحضرميّ قتله واقد بن عبد الله ؛ عمرو عمرت الحرب ، والحضرميّ حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم ، فلمّا أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ[٣] : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة : ٢١٧][٤] أي ؛ إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأنتم أهله ، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ أي : قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أكبر عند الله من القتل ، ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ الآية .

قال ابن إسحاق[٥] : فلمّا نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشّفق[٦] ، قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين ، وبعثت قريش في فداء عثمان والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : « لا نفديكموهما حتّى يقدم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقّاص ، وعتبة بن غزوان ـ فإنّا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبيكم » . فقدم سعد وعتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ . فأمّا الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ، فمات بها كافراً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٠٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٠٣ ـ ٦٠٤) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/٣٦٨ ـ ٣٧٢) .
(٤) ورواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٩/١١) وحسّنه الحافظ ابن حجر في « العجاب في بيان الأسباب » وسيأتي عند المصنف من رواية ابن أبي حاتم .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٠٤ ـ ٦٠٥) .
(٦) الشفق : الخوف .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء .

قال ابن إسحاق[٢] : والحديث في ذلك عن الزّهريّ ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير . وهكذا ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن الزّهريّ[٣] ، وكذا روى شعيب[٤] ، عن الزّهريّ ، عن عروة نحواً من هذا ، وفيه : وكان ابن الحضرميّ أوّل قتيل بين المسلمين والمشركين .

وقال عبد الملك بن هشام[٥] : هو أوّل قتيل قتله المسلمون ، وهذه أوّل غنيمة غنمها المسلمون ، وعثمان والحكم بن كيسان أوّل من أسره المسلمون .

قلت : وقد تقدّم فيما رواه الإمام أحمد[٦] ، عن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال : فكان عبد الله بن جحش أول أمير في الإسلام .

وقد ذكرنا في « التفسير »[٧] لما أورده ابن إسحاق شواهد [مسندة] .

فمن ذلك ما رواه الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدّميّ حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه حدّثني الحضرميّ ، عن أبي السّوّار ، عن جندب بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ بعث رهطاً ، وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح ـ أو عبيدة بن الحارث ـ فلمّا ذهب ينطلق بكى صبابةً[٨] إلى رسول الله ﷺ ، فجلس ، فبعث عليهم مكانه عبد الله بن جحشٍ ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال : « لا تكرهنّ أحداً على السّير معك من أصحابك » . فلمّا قرأ الكتاب استرجع ، وقال : سمعاً وطاعة لله ولرسوله . فخبّرهم الخبر ، وقرأ عليهم الكتاب فرجع رجلان وبقي بقيّتهم ، فلقوا ابن الحضرميّ ، فقتلوه ، ولم يدروا أنّ ذلك اليوم من رجب أو من جمادى ، فقال

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٢) انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٦٠٥) .
(٣) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠ ـ ٢١) .
(٤) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٦) تقدم في ص٢٤ .
(٧) ذكره المؤلف في « تفسيره » (١/ ٣٦٨) بسند ابن أبي حاتم ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (١/ ٢٥٠) إلى ابن أبي حاتم وغيره .
(٨) أي : شوقاً .

المشركون للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام . فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ الآية [البقرة : ٢١٧] .

وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّيّ الكبير في « تفسيره »[١] : عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرّة عن ابن مسعود عن جماعة من الصحابة : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ وذلك أنّ رسول الله ﷺ بعث سريّة ، وكانوا سبعة نفر ، عليهم عبد الله بن جحشٍ ، وفيهم عمار بن ياسرٍ ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وسعد بن أبي وقاصٍ ، وعتبة بن غزوان ، وسهل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعيّ ، حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب لابن جحشٍ كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل[٢] ، فلمّا نزل بطن ملل فتح الكتاب ، فإذا فيه أن سر حتى تنزل بطن نخلة . فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض وليوص ؛ فإنّني موص وماض لأمر رسول الله ﷺ ، فسار ، وتخلّف عنه سعد وعتبة ؛ أضلاّ راحلة لهما ، فأقاما يطلبانها ، وسار هو وأصحابه حتى نزل بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بنِ كيسان ، والمغيرة بن عثمان ، وعبد الله بن المغيرة . فذكر قتل واقد لعمرو بن الحضرميّ ، ورجعوا بالغنيمة والأسيرين ، فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون ، وقال المشركون : إن محمداً يزعم أنّه يتّبع طاعة الله ، وهو أول من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب . وقال المسلمون : إنّما قتلناه في جمادى .

قال السّدّيّ : وكان قتلهم له في أول ليلة من رجب ، وآخر ليلة من جمادى الآخرة .

قلت : لعل جمادى كان ناقصاً فاعتقدوا بقاء الشهر ليلة الثلاثين ، وقد كان الهلال رئي تلك الليلة ، فالله أعلم .

وهكذا روى العوفيّ ، عن ابن عباس أنّ ذلك كان في آخر ليلة من جمادى ، وكانت أول ليلة من رجب ، ولم يشعروا[٣] .

وكذا تقدّم في حديث جندب الذي رواه ابن أبي حاتم .

وقد تقدّم في سياق ابن إسحاق أن ذلك كان في آخر ليلة من رجب ، وخافوا إن لم يتداركوا هذه الغنيمة وينتهزوا هذه الفرصة ، دخل أولئك في الحرم ، فيتعذّر عليهم ذلك ، فأقدموا عليهم عالمين بذلك .

---

(١) وذكره المصنف في « تفسيره » (١/٣٦٨) بسنده عن السُّدِّي . ورواه الطبري في « تفسيره » (٢/٣٤٩) عن السُّدي .

(٢) ملل : اسم موضع على بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة من ناحية مكة بين الحرمين . انظر « معجم البلدان » (٤/٦٣٧) و« المغانم المطابة » ص (٣٩١) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/٣٦٩) و« تفسير الطبري » (٢/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) .

وكذا قال الزُّهريُّ ، عن عروة . رواه البيهقيّ[١] ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان .

قال الزُّهريُّ ، عن عروة : فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ ، عقل[٢] ابن الحضرميِّ ، وحرّم الشهر الحرام كما كان يحرّمه ، حتى أنزل الله « براءة » رواه البيهقيّ[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : فقال أبو بكر الصدِّيق في غزوة عبد الله بن جحش جواباً للمشركين فيما قالوا من إحلال الشهر الحرام .

قال ابن هشامٍ[٥] : هي لعبد الله بن جحشٍ : [من الطويل]

تعـدّون قتـلاً فـي الحـرام عظيمـة ... وأعظـم منه لـو يـرى الـرّشـد راشـدُ
صـدودكـمُ عمَّـا يقـول محمـد ... وكفـر بـه والله راءٍ وشـاهـد
وإخـراجكـم مـن مسجـد الله أهلَـه ... لئـلا يُـرى لله فـي البيـت سـاجـد
فـإنّـا وإن عيّـرتمـونـا بقتلـه ... وأرجـف بـالإسـلام بـاغٍ وحـاسـدُ
سقَينا من ابن الحضرميّ رماحنا ... بنخلـةَ لمّـا أوقـد الحـرب واقـد
دمـاً وابـن عبـد الله عثمـان بيننـا ... ينـازعـه غُـلّ مـن القـدّ عـانـد[٦]

فصل
في تحويل القبلة في سنة ثنتين من الهجرة قبل وقعة بدر

قال بعضهم : كان ذلك في رجب من سنة ثنتين . وبه قال قتادة وزيد بن أسلم ، وهو رواية عن محمد بن إسحاق[٧] .

وقد روى أحمد[٨] عن ابن عباس ما يدلّ على ذلك ، وهو ظاهر حديث البراء بن عازب كما سيأتي .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢١) .
(٢) قال ابن الأثير : العقل : الدِّيَة ، وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدِّية من الإبل ، فعقلها في فناء أولياء المقتول ؛ أي شدها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه ، فسميت الدِّية عقلا بالمصدر . « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٢٧٨) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٥) .
(٦) عاند : سائل بالدم لا ينقطع . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٣) .
(٧) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد » (١/ ٢٤٢) ، وتفسير « الطبري » (٢/ ٣ ـ ٥) و« دلائل النبوة » (٢/ ٥٧٥) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٥) ، وهو حديث صحيح .

والله أعلم . وقيل : في شعبان منها . قال ابن إسحاق : بعد غزوة عبد الله بن جحش . ويقال : صرفت القِبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة[١] .

وحكى هذا القول ابن جرير[٢] ، من طريق السّدّيّ بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة .

[وبه] قال الجمهور الأعظم ؛ إنّها صرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة . ثم حكى[٣] عن محمد بن سعد ، عن الواقديّ أنّها حوّلت يوم الثلاثاء النصف من شعبان[٤] ، وفي هذا التحديد نظرٌ ، والله أعلم .

وقد تكلّمنا على ذلك مستقصى في « التفسير »[٥] عند قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ[٦] ﴾ [البقرة : ١٤٤] . وما قبلها وما بعدها من اعتراض سفهاء اليهود والمنافقين والجهلة الطّغام[٧] على ذلك ؛ لأنّه أول نسخ وقع في الإسلام . هذا وقد أحال الله قبل ذلك في سياق القرآن تقرير جواز النّسخ عند قوله[٨] : ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ ننسأها[٩] نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٦] .

وقد قال البخاريّ[١٠] : حدّثنا أبو نعيم ، سمع زهيراً ، عن أبي إسحاق ، عن البراء أنّ النبيّ ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً [أو سبعة عشر شهراً] ، وكان يعجبه أن تكون قبلته إلى البيت ، وأنّه صلّى أول صلاة صلاها إلى الكعبة العصر ، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممّن كان معه ، فمرّ على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله ، لقد صلّيت مع النبيّ ﷺ قِبَل مكة . فداروا كما هم قِبَل البيت ، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٦) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٦) .
(٤) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٤) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٨ ـ ٢٨٠) .
(٦) هكذا في (آ) و(ط) بالتاء ، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي . انظر « حجّة القراءات » لابن مجاهد ص (١١٦ ـ ١١٧) .
(٧) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم . انظر « لسان العرب » (طغم) .
(٨) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢١٤ ـ ٢١٨) .
(٩) هكذا في (آ) و(ط) وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وقرأ الباقون : (نُنسها) . انظر « تفسير » القرطبي (١/ ٦٧ ـ ٦٨) و« حجة القراء السبعة » لابن مجاهد (١٠٩ ـ ١١٠) .
(١٠) رواه « البخاري » (٤٤٨٦) .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ورواه مسلم[١] من وجه آخر .

وقال ابن أبي حاتم[٢] : حدّثنا أبو زرعة ، حدّثنا الحسن بن عطيّة ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ قد صلّى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحبّ أن يوجّه نحو الكعبة فأنزل الله : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . قال : فوجّه نحو الكعبة . وقال السّفهاء من الناس ، وهم اليهود : ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . فأنزل الله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

وحاصل الأمر أنّ رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه ، كما رواه الإمام أحمد[٣] ، عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما ، فصلّى إلى بيت المقدس أول مقدمه المدينة ، واستدبر الكعبة ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً . وهذا يقتضي أن يكون ذلك إلى رجب من السنة الثانية . والله أعلم .

وكان عليه السلام ، يحبّ أن تصرف قبلته نحو الكعبة قبلة إبراهيم ، وكان يكثر الدعاء والتّضرّع والابتهال إلى الله ، عزّ وجلّ ، فكان مما يرفع يديه وطرفه إلى السماء سائلاً ذلك ، فأنزل الله عز وجل[٤] : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ الآية .

فلمّا نزل الأمر بتحويل القبلة خطب رسول الله ﷺ المسلمين وأعلمهم بذلك . كما رواه النّسائيُّ[٥] ، عن أبي سعيد بن المعلّى ، وأنّ ذلك كان وقت الظّهر .

وقال بعض الناس[٦] : نزل تحويلها بين الصلاتين . قاله مجاهد وغيره .

ويؤيّد ذلك ما ثبت في « الصحيحين »[٧] ، عن البراء أنّ أول صلاة صلاّها ، عليه السلام ، إلى الكعبة بالمدينة ، العصر . والعجب أنّ أهل قباء لم يبلغهم خبر ذلك إلى صلاة الصّبح من اليوم الثاني .

كما ثبت في « الصحيحين »[٨] ، عن ابن عمر قال : بينما النّاس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم

---

(١) رواه « مسلم » (٥٢٥) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٤) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٥) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٩ ـ ٢٤) و« تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٨) .
(٥) رواه النسائي (٢/ ٥٥) (٧٣١) وفي السنن الكبرى (١١٠٠٤) وإسناده ضعيف .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٤٩) .
(٧) رواه البخاري (٤٠) ، ومسلم (٥٢٥) مع إبهام الصلاة .
(٨) رواه البخاري (٤٠٣) ومسلم (٥٢٦) .

آتٍ ، فقال : إنّ رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

وفي « صحيح مسلم »[١] ، عن أنس بن مالك نحو ذلك .

والمقصود أنّه لمّا نزل تحويل القبلة إلى الكعبة ونسخ به الله تعالى حكم الصلاة إلى بيت المقدس ، طعن طاعنون من السفهاء والجهلة الأغبياء ، وقالوا : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . هذا والكفرة من أهل الكتاب يعلمون أنّ ذلك من الله ؛ لما يجدونه من صفة محمد ﷺ في كتبهم ؛ من أنّ المدينة مهاجره ، وأنّه سيؤمر بالاستقبال إلى الكعبة كما قال[٢] : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ ﴾ الآية [البقرة : ١٤٤] . وقد أجابهم الله تعالى مع هذا كلّه عن سؤالهم ، وتعنّتهم ، فقال[٣] : ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] أي ؛ هو المالك المتصرّف الحاكم الذي لا معقّب لحكمه ، الذي يفعل ما يشاء في خلقه ، ويحكم ما يريد في شرعه ، وهو الذي يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ويضلّ من يشاء عن الطريق القويم ، وله في ذلك الحكمة التي يجب لها الرِّضا والتّسليم .

ثم قال تعالى[٤] : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي ؛ خياراً ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي : وكما اخترنا لكم أفضل الجهات في صلاتكم ، وهديناكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم والد الأنبياء بعد التي كان يصلِّي بها موسى فمن قبله من المرسلين ، كذلك جعلناكم خيار الأمم ، وخلاصة العالم ، وأشرف الطّوائف ، وأكرم التّالد والطّارف[٥] ؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس ؛ لإجماعهم عليكم وإشارتهم يومئذ بالفضيلة إليكم ، كما ثبت في « صحيح البخاريّ »[٦] ، عن أبي سعيد مرفوعاً مِن استشهاد نوح بهذه الأمّة يوم القيامة . وإذا استشهد بهم نوح مع تقدّم زمانه ، فمن بعده بطريق الأولى والأحرى .

ثم قال تعالى مبيّناً حكمته في حلول نقمته بمن شكّ وارتاب بهذه الواقعة ، وحلول نعمته على من صدّق وتابع هذه الكائنة ، فقال[٧] : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم رقم (٥٢٧) .
(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٨٠) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) .
(٥) التالد والطارف : القديم والحديث من المال .
(٦) رواه « البخاري » (٣٣٣٩) .
(٧) انظر « تفسير ابن كثير » (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

قال ابن عباس[(١)] : إلاّ لنرى ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ أي : وإن كانت هذه الكائنة العظيمة الموقعِ كبيرة المحلّ شديدة الأمر ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ ﴾ أي ؛ فهم مؤمنون بها مصدّقون لها ، لا يشكّون ولا يرتابون بل يرضون ويسلّمون ، ويؤمنون ، ويعملون ؛ لأنّهم عبيد للحاكم العظيم القادر المقتدر الحليم الخبير اللطيف العليم .

وقوله[(٢)] : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ ﴾ أي : بشرعته استقبال بيت المقدس والصلاة إليه . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدّاً يطول استقصاؤها ، وذلك مبسوط في « التفسير »[(٣)] ، وسنزيد ذلك بياناً في كتابنا « الأحكام الكبير »[(٤)] .

وقد روى الإمام أحمد[(٥)] : حدّثنا عليّ بن عاصم ، حدّثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمر[(٦)] بن قيس ، عن محمد بن الأشعث ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ ـ يعني في أهل الكتاب ـ : « إنّهم لم يحسدونا على شيءٍ كما يحسدوننا على يوم الجمعة الّتي هدانا الله لها[(٧)] وضلّوا عنها[(٨)] ، وعلى القبلة الّتي هدانا الله لها وضلّوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام : آمين » .

فصل

في فرضية صوم شهر رمضان سنة ثنتين قبل وقعة بدر[(٩)]

قال ابن جرير[(١٠)] : وفي هذه السنة فرض شهر رمضان . وقد قيل : إنّه فرض في شعبان منها . ثم حكى[(١١)] أنّ رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فسألهم عنه ، فقالوا : هذا يومٌ نجّى الله فيه موسى ، فقال : « نحن أحقّ بموسى [منكم] » فصامه ، وأمر الناس

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢/ ١٣ ـ ١٤) و« تفسير القرطبي » (٢/ ١٥٦) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٨) .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٢٧٣ ـ ٢٨٠) .
(٤) قلت : وهو مما لم يتمه رحمه الله . قال ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (٨/ ٣٩٩) بتحقيقي عند تعداد مؤلفاته : ((وشرع في أحكام كثيرة حافلة كتب منها مجلدات إلى الحج)) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٣٤ ـ ١٣٥) وهو حديث صحيح .
(٦) في (آ) و(ط) : « عمرو » . والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » . وانظر « تهذيب الكمال » (٢/ ٤٨٤) .
(٧) في (آ) : « إليها » والمثبت من (ط) .
(٨) لفظ : ((عنها)) سقط من (ط) .
(٩) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٤) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(١٠) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٧) .
(١١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٧) .

بصيامه . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »[(١)] عن ابن عباسٍ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ الآية [البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٥] .

وقد تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[(٢)] بما فيه كفايةٌ من إيراد الأحاديث المتعلّقة بذلك ، والآثار المرويّة في ذلك ، والأحكام المستفادة منه ، ولله الحمد .

وقد قال الإمام أحمد[(٣)] : حدّثنا أبو النّضر ، حدّثنا المسعوديّ ، حدّثنا عمرو بن مرّة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوالٍ ، وأحيل الصيام ثلاثة أحوالٍ . فذكر أحوال الصلاة ، قال : وأمّا أحوال الصيام ، فإنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فجعل يصوم من كلّ شهرٍ ثلاثة أيامٍ ، وصام عاشوراء ، ثم إنّ الله ، عزّ وجلّ ، فرض عليه الصيام ، وأنزل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكيناً ، فأجزأ ذلك عنه .

ثم إنّ الله ، عزّ وجلّ ، أنزل الآية الأخرى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخّص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصّيام ، فهذان حولان . قال : وكانوا يأكلون ، ويشربون ، ويأتون النّساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إنّ رجلاً من الأنصار يقال له : صرمة كان يعمل صائماً حتى أمسى ، فجاء إلى أهله فصلّى العشاء ، ثم نام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فأصبح صائماً ، فرآه رسول الله ﷺ قد جهد جهداً شديداً ، فقال : « ما لي أراك قد جهدت جهداً شديداً ؟ » فأخبره . قال : وكان عمر قد أصاب من النساء[(٤)] بعدما نام ، فأتى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له ، فأنزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ورواه أبو داود في « سننه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث المسعوديّ نحوه[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري (٢٠٠٤) ومسلم (١١٣٠) .
(٢) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٣٠٥ ـ ٣١٣) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٤٦) وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٤) بعده في « مسند الإمام أحمد » : « من جارية أو من حُرَّة » .
(٥) رواه أبو داود (٥٠٧) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٧٤) .

وفي « الصحيحين »[١] من حديث الزّهريّ ، عن عروة ، عن عائشة أنّها قالت : كان عاشوراء يصام ، فلمّا نزل رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر .

وللبخاريّ[٢] عن ابن عمر وابن مسعودٍ مثله ، ولتحرير هذا موضعٌ آخر من « التفسير »[٣] ، ومن « الأحكام الكبير » وبالله المستعان .

قال ابن جريرٍ[٤] : وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر ، وقد قيل : إنّ رسول الله ﷺ خطب الناس قبل الفطر بيومٍ أو يومين ، وأمرهم بذلك .

قال : وفيها صلّى النبيّ ﷺ صلاة العيد ، وخرج بالناس إلى المصلّى ، فكان أوّل صلاة عيدٍ صلاّها ، وخرجوا بين يديه بالحربة ، وكانت للزّبير ، وهبها له النّجاشيّ ، فكانت تحمل بين يدي رسول الله ﷺ في الأعياد .

قلت : وفي هذه السّنة ، فيما ذكره غير واحدٍ من المتأخّرين ، فرضت الزّكاة ذات النّصب ، كما سيأتي تفصيل ذلك كلّه بعد وقعة بدرٍ ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثّقة ، وعليه التّكلان ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

غزوة بدرٍ العظمى

يوم الفرقان يوم التقى الجمعان[٥]

قال الله تعالى[٦] : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

وقال الله تعالى[٧] : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

(١) رواه البخاري رقم (٢٠٠١) ومسلم رقم (١١٢٥) .

(٢) رواه البخاري (١٨٩٢) عن ابن عمر ، و(٤٥٠٣) عن ابن مسعود . ورواه أيضاً مسلم في (١١٢٦) و(١١٢٧) عنهما .

(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (١/ ٣٠٥ ـ ٣٢٥) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤١٨) .

(٥) قال ابن أبي شيبة في « المغازي » رقم (١٢٠) : ((كانت بدر لسبع عشرة من رمضان في يوم جمعة)) ثم أورد رواية أخرى عقبها برقم (١٢١) ولفظها : ((وكانت بدر يوم الاثنين لسبع عشرة من رمضان)) .

(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٢/ ٩٢ ـ ٩٣) .

(٧) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٨) .

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال : ٥ ـ ٨] وما بعدها إلى تمام القصّة من سورة « الأنفال » ، وقد تكلّمنا عليها هنالك[١] ، وسنورد هاهنا في كلّ موضعٍ ما يناسبه .

قال ابن إسحاق[٢] ، رحمه الله ، بعد ذكره سريّة عبد الله بن جحشٍ : ثم إنّ رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان صخر بن حربٍ مقبلاً من الشّام في عيرٍ لقريشٍ عظيمةٍ ، فيها أموالٌ وتجارةٌ ، وفيها ثلاثون رجلاً أو أربعون ، منهم مخرمة بن نوفلٍ ، وعمرو بن العاص .

قال موسى بن عقبة[٣] ، عن الزّهريّ : كان ذلك بعد مقتل ابن الحضرميّ بشهرين . قال : وكان في العير ألف بعيرٍ ، تحمل أموال قريشٍ بأسرها إلاّ حويطب بن عبد العزّى ، فلهذا تخلّف عن بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدّثني محمد بن مسلم بن شهابٍ ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكرٍ ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عباسٍ ، كلٌّ قد حدّثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدرٍ ، قالوا : لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشّام ، ندب المسلمين إليهم وقال : « هذه عير قريشٍ فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ؛ لعلّ الله ينفّلكموها » فانتدب الناس ، فخفّ[٥] بعضهم وثقل بعضٌ ؛ وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً ، وكان أبو سفيان ، حين دنا من الحجاز ، يتحسّس[٦] الأخبار ، ويسأل من لقي من الرّكبان ؛ تخوّفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرّكبان ؛ أنّ محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمروٍ الغفاريّ ، فبعثه إلى مكّة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمروٍ سريعاً إلى مكّة .

قال ابن إسحاق[٧] : فحدّثني من لا أتّهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب ، قبل قدوم ضمضمٍ إلى مكّة بثلاث ليالٍ ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطّلب ، فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومصيبةٌ ، فاكتم عليّ ما أحدّثك . قال لها : وما رأيت؟

---

(١) انظر القصة بتمامها وما يتعلّق بها ، في « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٧٣) ولتمام الفائدة راجع « المغازي » لابن أبي شيبة رقم (١٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٦) .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٢) وذكره الذهبي في « تاريخ الإسلام » في « المغازي » منه ص(١٠٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧) .
(٥) في (آ) : « فخفف » والمثبت من (ط) .
(٦) في (آ) : « يتجسس » . وتحسّس الخبر : تَطلّبه وتبحّثه ، والتحسُّس شبه التسمُّع والتبصُّر . « لسان العرب » (حسس) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٩) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٢٨) .

قالت : رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا ، يالغدر[١] ، لمصارعكم في ثلاثٍ . [فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله ، مثل[٢] به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا ، يا لغدر ، لمصارعكم في ثلاثٍ] . ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيسٍ[٣] ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ إلّا دخلتها منها فلقةٌ[٤] . قال العباس : والله إنّ هذه لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ، لا تذكريها لأحدٍ .

ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له واستكتمه إيّاها ، فذكرها الوليد لأبيه[٥] عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدّثت به قريشٌ . قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهلٍ بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلمّا رآني أبو جهلٍ قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلمّا فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال أبو جهلٍ : يا بني عبد المطّلب [متى حدثت فيكم هذه النبيّة؟! قال : قلت : وما ذاك؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة . قال : قلت : وما رأت؟ قال : يا بني عبد المطّلب] أما رضيتم أن يتنبّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّه قال : انفروا في ثلاثٍ . فسنتربّص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول ، فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيءٌ ، نكتب عليكم كتاباً ؛ أنّكم أكذب أهل بيتٍ في العرب . قال العباس : فوالله ما كان منّي إليه كبير شيءٍ ، إلّا أنّي جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثمّ تفرّقنا ، فلمّا أمسيت لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلّا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النّساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة [لشيءٍ] ممّا سمعت؟! قال : قلت : قد والله فعلت ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايم الله لأتعرّضنّ له ، فإذا عاد لأكفيكنّه . قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مغضبٌ ، أرى أنّي قد فاتني منه أمرٌ أحبّ أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنّي لأمشي نحوه ، أتعرّضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللّسان ، حديد النّظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ[٦] . قال : قلت في نفسي : ما له ، لعنه الله ، أكلّ هذا فرقٌ منّي أن أشاتمه؟! وإذا هو قد سمع ما لم

---

(١) قال السهيلي في « الروض الأنف » (٥/ ١١٦) : هكذا هو بضم الغين والدال ؛ جمع غَدُورٍ . . . أي إن تخلَّفْتم فأنتم غُدُرٌ لقومكم .

(٢) أي : قام منتصباً . انظر « القاموس المحيط » (مثل) .

(٣) أبو قبيس : هو اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما . انظر « معجم البلدان » (١/ ٨٠) .

(٤) الفِلْقة : القطعة .

(٥) في (آ) و(ط) : « لابنه » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » ، و« تاريخ الطبري » .

(٦) أي يسرع .

أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمروٍ الغفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي ، واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحوّل رحله ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريشٍ ، اللّطيمة اللّطيمة[١] ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمدٌ في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . قال : فشغلني عنه وشغله عنّي ما جاء من الأمر ، فتجهّز الناس سراعاً وقالوا : أيظنّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ؟! والله ليعلمنّ غير ذلك .

وذكر موسى بن عقبة[٢] رؤيا عاتكة ، كنحوٍ من سياق ابن إسحاق . قال[٣] : فلمّا جاء ضمضم بن عمروٍ على تلك الصّفة ، خافوا من رؤيا عاتكة ، فخرجوا على الصّعب والذّلول .

قال ابن إسحاق[٤] : فكانوا بين رجلين ؛ إمّا خارجٍ وإمّا باعثٍ مكانه رجلاً ، وأوعبت قريشٌ[٥] ، فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ، إلاّ أنّ أبا لهب بن عبد المطّلب بعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، قد أفلس بها .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني ابن أبي نجيحٍ ، أنّ أميّة بن خلفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيطٍ وهو جالسٌ في المسجد بين ظهراني قومه ، بمجمرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومجمرٌ[٧] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليٍّ ، استجمر ، فإنّما أنت من النّساء . قال : قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به . قال : ثم تجهّز ، وخرج مع الناس . هكذا قال ابن إسحاق في هذه القصّة .

وقد رواها البخاريّ[٨] على نحوٍ آخر ، فقال : حدّثني أحمد بن عثمان ، حدّثنا شريح بن مسلمة ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، حدّثني عمرو بن ميمونٍ ، أنّه سمع عبد الله بن مسعودٍ حدّث عن سعد بن معاذٍ أنّه كان صديقاً لأميّة بن خلفٍ ، وكان أميّة إذا مرّ بالمدينة ، نزل على سعد بن معاذٍ ، وكان سعدٌ إذا مرّ بمكّة نزل على أميّة ، فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انطلق سعد بن معاذٍ معتمراً ، فنزل على أميّة بمكّة ، فقال لأميّة : انظر لي ساعة خلوةٍ ؛ لعلّي أطوف بالبيت . فخرج به قريباً

---

(١) اللطيمة : الجِمال التي تحمل العِطر والبزَّ ، غير الميرة . والمعنى أدركوها . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٢٥١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤) .
(٣) أي موسى بن عقبة . انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٠٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٠٩ ـ ٦١٠) .
(٥) أي خرجوا بأجمعهم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٥/ ٢٠٦) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٠) . قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٤) : بيَّن ابن إسحاق ـ في روايتنا هذه ـ الصفة التي كاد بها أبو جهل أمية حتى خالف رأي نفسه في ترك الخروج من مكة .
(٧) المجمرة : ما يُوضع فيه الجمر مع البَخُور . والمجمَر : العود يُتبخر به . انظر « لسان العرب » (جمر) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٠) .

من نصف النّهار ، فلقيهما أبو جهلٍ ، فقال : يا أبا صفوان ، من هذا معك؟ قال : هذا سعدٌ . قال له أبو جهلٍ : ألا أراك تطوف بمكّة آمناً ، وقد آويتم الصّباة[١] ، وزعمتم أنّكم تنصرونهم وتُعينونهم ، أما والله ، لولا أنّك مع أبي صفوان ، ما رجعت إلى أهلك سالماً . فقال له سعدٌ ، ورفع صوته عليه : أما والله ، لئن منعتني هذا ، لأمنعنّك ما هو أشدّ عليك منه ؛ طريقك على المدينة . فقال له أميّة : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، فإنّه سيّد أهل الوادي ، قال سعدٌ : دعنا عنك يا أميّة ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّهم قاتلوك » . قال : بمكّة؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أميّة فزعاً شديداً ، فلمّا رجع إلى أهله قال : يا أمّ صفوان ، ألم تري ما قال لي سعدٌ؟ قالت : وما قال لك؟ قال : زعم أنّ محمداً أخبرهم أنّهم قاتليّ ، فقلت له : بمكّة؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكّة . فلمّا كان يوم بدرٍ ، استنفر أبو جهلٍ الناس فقال : أدركوا عيركم ، فكره أميّة أن يخرج ، فأتاه أبو جهلٍ فقال : يا أبا صفوان ، إنّك متى يراك الناس قد تخلّفت وأنت سيّد أهل الوادي ، تخلّفوا معك . فلم يزل به أبو جهلٍ حتى قال : أمّا إذ غلبتني[٢] ، فوالله لأشترينّ أجود بعيرٍ بمكّة . ثم قال أميّة : يا أمّ صفوان ، جهّزيني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربيّ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلّا قريباً . فلمّا خرج أميّة ، أخذ لا ينزل منزلاً إلّا عقل بعيره ، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدرٍ .

وقد رواه البخاريّ في موضعٍ آخر[٣] ، عن أحمد بن إسحاق ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق به نحوه . تفرّد به البخاريّ[٤] .

وقد رواه الإمام أحمد[٥] ، عن خلف بن الوليد وعن أبي سعيدٍ ، كلاهما عن إسرائيل ، وفي رواية إسرائيل : قالت له امرأته : والله إنّ محمداً لا يكذب .

قال ابن إسحاق[٦] : ولمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ، ذكروا ما كان[٧] بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتونا من خلفنا . وكانت الحرب التي كانت بين قريشٍ وبين بني بكرٍ ، في ابنٍ لحفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤيٍّ ؛ قتله رجلٌ من بني بكرٍ بإشارة عامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح ، ثم أخذ بثأره أخوه مكرز بن حفصٍ ، فقتل عامراً وخاض بسيفه في

---

(١) يقصد رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين من مكة إلى المدينة . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٣) : ((الصباة ؛ بضم المهملة وتخفيف الموحدة ، جمع صابئ بموحدة مكسورة ثم تحتانية خفيفة بغير همزة ، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين)) .

(٢) في (آ) و(ط) : « عبتني » وأثبت لفظ « صحيح البخاري » .

(٣) رواه البخاري (٣٦٣٢) .

(٤) في (آ) و(ط) : « محمد بن إسحاق » والتصحيح من « صحيح البخاري » .

(٥) في « المسند » (١/ ٤٠٠) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦١٠ ـ ٦١١) .

(٧) في (ط) : « ما كانوا » .

بطنه ، ثم جاء من الليل فعلّقه[١] بأستار الكعبة ، فخافوهم بسبب ذلك الذي وقع بينهم .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير ، قال : لمّا أجمعت قريشٌ المسير ، ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكرٍ ، فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سراقة [بن مالك] بن جعشمٍ المدلجيّ ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا لكم جارٌ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه . فخرجوا سراعاً .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى[٣] : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٧ ـ ٤٨] . غرّهم ـ لعنه الله ـ حتى ساروا ، وسار معهم منزلةً منزلةً ، ومعه جنوده وراياته ، كما قاله غير واحدٍ منهم ، فأسلمهم لمصارعهم ، فلمّا رأى الجدّ والملائكة تنزل للنصر ، وعاين جبريل ، نكص على عقبيه ، وقال : إنّي بريءٌ منكم ، إنّي أرى ما لا ترون ، إنّي أخاف الله . وهذا كقوله [تعالى][٤] : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وقد قال [الله] تعالى[٥] : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] . فإبليس ـ لعنه الله ـ لمّا عاين الملائكة يومئذٍ تنزل للنصر ، فرّ ذاهباً ، فكان أوّل من هرب يومئذٍ ، بعد أن كان هو المشجّع لهم ، المجير لهم ، كما غرّهم ووعدهم ومنّاهم ، وما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً .

وقال يونس[٦] عن ابن إسحاق : خرجت قريشٌ على الصّعب والذّلول ، في تسعمئةٍ وخمسين مقاتلاً ، معهم مئتا فرسٍ يقودونها ، ومعهم القيان يضربن بالدّفوف ، ويغنّين بهجاء المسلمين ، وذكر المطعمين لقريشٍ يوماً يوماً .

وذكر الأمويّ[٧] أنّ أوّل من نحر لهم ، حين خرجوا من مكّة ، أبو جهلٍ ؛ نحر لهم عشراً ، ثم نحر لهم أميّة بن خلفٍ بعسفان تسعاً ، ونحر لهم سهيل بن عمروٍ بقديدٍ عشراً ، ومالوا من قديدٍ إلى مياهٍ نحو

---

(١) أي سيف عامر .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٢) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٦ ـ ١٩) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (٨/ ١٠١ ـ ١٠٢) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ١٠٩) .
(٦) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٢) .
(٧) وأخرجه الواقدي في « المغازي » (١/ ١٤٤) عن موسى بن عقبة ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٩ ـ ١١٠) .

البحر ، فظلّوا فيها وأقاموا بها يوماً ، فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعاً ، ثم أصبحوا بالجحفة ، فنحر لهم يومئذٍ عتبة بن ربيعة عشراً ، ثم أصبحوا بالأبواء ، فَنَحَر لهم نبيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج عشراً ، ونحر لهم العباس بن عبد المطّلب عشراً ، ونحر لهم على ماء بدرٍ أبو البختريّ عشراً ، ثم أكلوا من أزوادهم .

قال الأمويّ : [حدّثنا أبي] حدّثنا أبو بكرٍ الهذليّ قال : كان مع المشركين ستّون فرساً وستّمئة درعٍ ، وكان مع رسول الله ﷺ فرسان وستّون درعاً .

هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكّة ، ومسيرهم إلى بدرٍ . وأمّا رسول الله ﷺ فقال ابن إسحاق[(١)] : وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان ، في أصحابه ، واستعمل ابن أمّ مكتومٍ على الصلاة بالناس ، وردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، واستعمله على المدينة ، ودفع اللّواء إلى مصعب بن عميرٍ ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ؛ إحداهما مع عليّ بن أبي طالبٍ ، يقال لها : العقاب . والأخرى مع بعض الأنصار .

قال ابن هشامٍ[(٢)] : كانت راية الأنصار مع سعد بن معاذٍ .

وقال الأمويّ : وكان معهم فرسان كانت مع الحباب بن المنذر .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وجعل رسول الله ﷺ على السّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النّجّار .

وقال الأمويّ[(٤)] : وكان معهم فرسان ، على إحداهما مصعب بن عميرٍ ، وعلى الأخرى الزّبير بن العوّام ، ومرّةً سعد بن خيثمة ، ومرةً المقداد بن الأسود .

وقد روى الإمام أحمد[(٥)] ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد .

وروى البيهقيّ[(٦)] ، من طريق ابن وهبٍ ، عن أبي صخرٍ ، عن أبي معاوية البجليّ[(٧)] ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ أنّ عليّاً قال له : ما كان معنا إلاّ فرسان ؛ فرسٌ للزّبير ، وفرسٌ للمقداد بن الأسود . يعني يوم بدرٍ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٢ ـ ٦١٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٤) وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١١٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٥ ، ١٣٨) وهو حديث صحيح .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩) .
(٧) في (آ) و(ط) : « البلخي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » (٣٤/ ٣٠٣) .

قال الأمويّ[١] : حدّثنا أبي ، حدّثنا إسماعيل بن أبي خالدٍ عن البهيّ[٢] قال : كان مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ فارسان ؛ الزّبير بن العوّام على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على الميسرة .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها[٤] ، فكان رسول الله ﷺ وعليٌّ ومرثد بن أبي مرثدٍ يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة[٥] يعتقبون بعيراً . كذا قال ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى .

وقد قال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا عفان ، عن حمّاد بن سلمة ، حدّثنا عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيشٍ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : كنّا يوم بدرٍ كلّ ثلاثةٍ على بعيرٍ ؛ كان أبو لبابة وعليٌّ زميلَي رسول الله ﷺ . قال : فكانت عقبة[٧] رسول الله ﷺ ، فقالا : نحن نمشي عنك . فقال : « ما أنتما بأقوى منّي ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وقد رواه النّسائيّ[٨] عن الفلاّس ، عن ابن مهديٍّ ، عن حمّاد بن سلمة به .

قلت : ولعلّ هذا كان قبل أن يردّ أبا لبابة من الرّوحاء ، ثم كان زميلاه عليٌّ ومرثدٌ بدل أبي لبابة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٩] : حدّثنا محمد بن جعفرٍ ، حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى[١٠] ، عن سعد بن هشامٍ ، عن عائشة : أنّ رسول الله ﷺ أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدرٍ . وهذا على شرط « الصحيحين » . وإنّما رواه النّسائيّ[١١] ، عن أبي الأشعث ، عن خالد بن الحارث ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة به .

قال شيخنا الحافظ المزيّ في « الأطراف »[١٢] : وتابعه سعيد بن بشيرٍ[١٣] ، عن قتادة ، وقد رواه

---

(١) انظر « تاريخ الإسلام » ، « المغازي » ص (٧٩) .
(٢) في (آ) و(ط) : « التيمي » . والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٣/ ٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣) .
(٤) أي يتعاقبونها في الركوب واحداً بعد واحد . انظر « لسان العرب » (عقب) .
(٥) وهو من موالي رسول الله ﷺ انظر ترجمته في « أسد الغابة » (١/ ١٥٦) و« الإصابة » (١/ ١٣٥) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤١١) وهو حديث حسن من أجل عاصم بن بهدلة .
(٧) أي جاءت نَوْبَتُه ووقت ركوبه . انظر « لسان العرب » (عقب) .
(٨) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٠٧) .
(٩) في « المسند » (٦/ ١٥٠) وهو حديث صحيح .
(١٠) في (آ) و(ط) : « زرارة بن أبي أوفى » وهو خطأ . والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٩/ ٣٣٩) .
(١١) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٠٩) .
(١٢) يعني « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » والنقل منه (١١/ ٤١٠) .
(١٣) في (آ) و(ط) : « سعيد بن بشر » والتصحيح من « تحفة الأشراف » وانظر « تهذيب الكمال » (١٠/ ٣٤٩) .

هشامٌ ، عن قتادة ، عن زرارة ، عن أبي هريرة[١] ، فالله أعلم .

وقال البخاريّ[٢] : حدّثنا يحيى بن بكيرٍ ، ثنا اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، أنّ عبد الله بن كعبٍ قال : سمعت كعب بن مالكٍ يقول : لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها ، إلّا في غزوة تبوك ، غير أنّي تخلّفت عن غزوة بدرٍ ، ولم يعاتب الله أحداً تخلّف عنها ، إنّما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريشٍ ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعادٍ ، تفرّد به .

قال ابن إسحاق[٣] : فسلك رسول الله ﷺ طريقه من المدينة إلى مكّة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، ثم مرّ على تُربان ، ثم على ملَلٍ ، ثم على غَميس الحَمام ، ثم على صخيرات اليمامة ، ثم على السّيالة ، ثم على فجّ الرّوحاء ، ثم على شنوكة ، وهي الطريق المعتدلة ، حتى إذا كان بعرق الظّبية ، لقي رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ، فقال له الناس : سلّم على رسول الله ﷺ . قال : أوَفيكم رسول الله ﷺ ؟ قالوا : نعم . فسلّم عليه ثم قال : لئن كنت رسول الله ، فأخبرني عمّا في بطن ناقتي هذه . قال له سلمة بن سلامة بن وقشٍ : لا تسأل رسول الله ﷺ وأقبل عليّ ، فأنا أخبرك عن ذلك ؛ نزوت عليها ، ففي بطنها منك سخلةٌ . فقال رسول الله ﷺ : « مه ، أفحشت على الرجل » . ثم أعرض عن سلمة ، ونزل رسول الله ﷺ سجسج ، وهي بئر الرّوحاء ، ثم ارتحل منها حتى إذا كان منها بالمنصرف ، ترك طريق مكّة بيسارٍ وسلك ذات اليمين على النّازية ، يريد بدراً ، فسلك في ناحيةٍ منها ، حتى إذا جزع وادياً[٤] يقال له : رُحْقَان[٥] بين النّازية وبين مضيق الصّفراء ، ثم على المضيق ، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريباً من الصّفراء ، بعث بسبس بن عمروٍ الجهني ، حليف بني ساعدة ، وعديّ بن أبي الزّغباء ، حليف بني النّجار إلى بدرٍ ، يتجسّسان له الأخبار عن أبي سفيان صخر بن حربٍ وعِيره .

وقال موسى بن عقبة[٦] : بَعَثَهما قبل أن يخرج من المدينة ، فلمّا رجعا فأخبراه بخبر العير ؛ استنفر الناس إليها ، فإن كان ما ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق محفوظاً ، فقد بعثهما مرّتين ، والله أعلم .

---

(١) انظر « السنن الكبرى » للنسائي (٨٨١٠) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٥١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٣ـ٦١٤) .
(٤) جزع الوادي : أي قطَعه ولا يكون إلا عَرْضاً . « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٦٩) .
(٥) في (آ) و(ط) : ((وحقان)) وهو خطأ ، والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٤) و« المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(١٥٤) .
(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٢) .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[١] : ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقد قدّمهما ، فلمّا استقبل الصّفراء ، وهي قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما : مُسلحٌ . وللآخر : مُخرئٌ ، وسأل عن أهلهما ، فقيل : بنو النار ، وبنو حراقٍ ، بطنان من غفارٍ . فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فتركهما والصّفراء بيسارٍ ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له : ذفران ، فجزع فيه ثم نزل ، وأتاه الخبر عن قريشٍ ومسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريشٍ ، فقام أبو بكرٍ الصدّيق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمروٍ فقال : يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، فوالّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى بِرك الغُماد[٢] ، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له [به] . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشيروا عليّ أيّها الناس » . وإنّما يريد الأنصار ، وذلك أنّهم كانوا عدد الناس ، وأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنّا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمّتنا ، نمنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره ، إلاّ ممّن دهمه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذٍ : والله لكأنّك تريدنا يارسول الله . قال : « أجل » . قال : فقد آمنّا بك ، وصدّقناك ، وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطّاعة لك ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحقّ ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منا رجلٌ واحدٌ ، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً ، إنّا لصبُرٌ في الحرب ، صدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله يريك منا ما تقرّ به عينك ، فسر على بركة الله . قال : فسرّ رسول الله ﷺ بقول سعدٍ ونشّطه ، ثم قال : « سيروا وأبشروا ، فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم » . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله[٣] .

وله شواهد من وجوهٍ كثيرةٍ ، فمن ذلك ما رواه البخاريّ في « صحيحه »[٤] : حدّثنا أبو نعيمٍ ، حدّثنا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٤) ولفظ ((به)) الذي بين الحاصرتين مستدرك منها .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد بأقصى اليمن ، وقيل : هو في أقاصي هجر ، انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٨٩) و« الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص (٨٦) بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس . وقال السهيلي في « الروض الأنف » (٢/ ٦٥) : « وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة بالحبشة » .

(٣) ولتمام الفائدة راجع « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٤) رواه البخاري (٣٩٥٢) .

إسرائيل ، عن مخارقٍ ، عن طارق بن شهابٍ قال : سمعت ابن مسعودٍ يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه ، أحبّ إليّ ممّا عدل به ؛ أتى النبيّ ﷺ وهو يدعو على المشركين ، فقال : لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبيّ ﷺ أشرق وجهه وسرّه ، انفرد به البخاريّ دون مسلمٍ ، فرواه في مواضع من « صحيحه » ، من حديث مخارقٍ به[١] . ورواه النّسائيّ[٢] من حديثه ، وعنده : جاء المقداد يوم بدرٍ على فرسٍ . . . فذكره .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عبيدة ، هو ابن حميدٍ ، عن حميدٍ الطويل ، عن أنسٍ قال : استشار النبيّ ﷺ مخرجه إلى بدرٍ ، فأشار عليه أبو بكرٍ ، ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، ثم استشارهم ، فقال بعض الأنصار : إيّاكم يريد رسول الله يا معشر الأنصار . فقال بعض الأنصار : يا رسول الله[٤] ، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برْك الغُماد لاتبعناك ، وهذا الإسناد ثلاثيٌّ صحيح على شرط الصحيح .

وقال أحمد أيضاً[٥] : حدّثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنس بن مالكٍ أنّ رسول الله ﷺ شاور حيث بلغه إقبال أبي سفيان . قال : فتكلّم أبو بكرٍ فأعرض عنه ، ثم تكلّم عمر فأعرض عنه ، فقال سعد بن عبادة : إيّانا يريد رسول الله ﷺ ، والّذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بِرك الغماد لفعلنا . فندب رسول الله ﷺ الناس . قال : فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا[٦] قريشٍ ، وفيهم غلامٌ أسود لبني الحجّاج فأخذوه ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه ، فيقول : ما لي علمٌ بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل بن هشامٍ ، وعتبة بن ربيعة ، [وشيبة] ، وأميّة بن خلفٍ . فإذا قال ذلك ضربوه ، فإذا ضربوه ، قال : نعم ، أنا أخبركم ، هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه قال : ما لي بأبي سفيان علمٌ ، ولكن هذا أبو جهلٍ وعتبة وشيبة وأُميّة [في الناس][٧] فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي ، فلمّا رأى ذلك انصرف فقال : « والذي نفسي بيده إنّكم لتضربونه إذا صدقكم ، وتتركونه إذا كذبكم . قال : وقال

---

(١) رواه البخاري (٤٦٠٩) .
(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١١٤٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٨٨) .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « المسند » : « فقال قائل الأنصار : تستشيرنا يا نبي الله؟ » .
(٥) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .
(٦) الروايا : جمع راوِيَة ، والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء . انظر « لسان العرب » (روي) .
(٧) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » .

رسول الله ﷺ : « هذا مصرع فلان غداً » . يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا . فما أماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ .

ورواه مسلم[١] ، عن أبي بكرٍ ، عن عفّان به نحوه .

وقد روى ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره » ، وابن مردويه[٢] ، واللفظ له ، من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن أسلم ، عن أبي عمران ، أنّه سمع أبا أيوب الأنصاريّ يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة : « إنّي أخبرت عن عير أبي سفيان أنّها مقبلةٌ ، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير ، لعلّ الله يغنمناها؟» . فقلنا : نعم . فخرج وخرجنا ، فلمّا سرنا يوماً أو يومين ، قال لنا : « ما ترون في القوم، فإنّهم قد أخبروا بمخرجكم؟ » . فقلنا : لا والله ، ما لنا طاقةٌ بقتال القوم ، ولكنّا أردنا العير . ثم قال : « ما ترون في قتال القوم؟ » . فقلنا مثل ذلك . فقال المقداد بن عمروٍ : إذاً لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . قال : فتمنّينا معشر الأنصار لو أنّا قلنا مثل ما قال المقداد، أحبّ إلينا من أن يكون لنا مالٌ عظيمٌ . قال : فأنزل الله ، عزّ وجلّ، على رسوله : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [الأنفال : ٥] . وذكر تمام الحديث .

وروى ابن مردويه أيضاً[٣] ، من طريق محمد بن عمروٍ بن علقمة بن وقّاصٍ اللّيثيّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، حتى إذا كان بالرّوحاء ، خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، بلغنا أنّهم بكذا وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال عمر مثل قول أبي بكرٍ ، ثم خطب الناس فقال : « كيف ترون؟ » . فقال سعد بن معاذٍ : يا رسول الله ، إيّانا تريد ، فوالّذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قطّ ، ولا لي بها علمٌ ، ولئن سرت حتى تأتي بِرك الغماد من ذي يمنٍ ، لنسيرنّ معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسى : اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معكم متّبعون ، ولعلّك أن تكون خرجت لأمرٍ وأحدث الله إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض له ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت . فنزل القرآن على قول سعدٍ : ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ الآيات .

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٩) .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٦٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه . وانظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٥) وفي سنده ابن لهيعة ، وفيه كلام .

(٣) وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٨٥٠٧) ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة به ، وذكره المصنف في « التفسير » (٣/ ٥٥٥) بسند ابن مردويه . والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٦٣) ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن مردويه ، وفي سنده محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، وهو صدوق له حسن الحديث ، على أن والده عمرو بن علقمة مجهول ، كما هو مبين في « تحرير التقريب » .

وذكره الأمويّ في « مغازيه »[١] ، وزاد بعد قوله : وخذ من أموالنا ما شئت : وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منّا كان أحبّ إلينا ممّا تركت ، وما أمرت به من أمرٍ ، فأمرنا تبعٌ لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غُمدان[٢] ، لنسيرنّ معك .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفران ، فسلك على ثنايا يقال لها : الأصافرُ ، ثم انحطّ منها إلى بلدٍ يقال له : الدّبة[٤] . وترك الحنّان بيمينٍ ، وهو كثيبٌ عظيمٌ كالجبل العظيم ، ثم نزل قريباً من بدرٍ ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه .

قال ابنُ هشامٍ : هو أبو بكرٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : ـ كما حدّثني محمد بن يحيى بن حَبّان ـ : حتى وقف على شيخٍ من العرب ، فسأله عن قريشٍ وعن محمدٍ وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » . فقال : أو ذاك بذاك؟ قال : « نعم » . قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به رسول الله ﷺ ـ وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به قريشٌ ـ فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتما؟ فقال له رسول الله ﷺ : « نحن من ماءٍ » . ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماءٍ؟ أمن ماء العراق؟ قال ابن هشامٍ : يقال لهذا الشيخ : سفيان الضّمريّ .

قال ابن إسحاق[٦] : ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلمّا أمسى بعث عليّ بن أبي طالبٍ ، والزّبير بن العوّام ، وسعد بن أبي وقّاصٍ ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ ، يلتمسون الخبر له ، كما حدّثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزّبير[٧] ، فأصابوا راويةً لقريشٍ ، فيها أسلم غلام بني الحجّاج ، وعريضٌ أبو يسارٍ غلام بني العاص بن سعيدٍ ، فأتوا بهما ، فسألوهما ، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلّي ، فقالوا : نحن سقاة قريشٍ ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ،

---

(١) انظر « سبل الهدى والرشاد » (٤/ ٤٢ ، ٤٣) .
(٢) غمدان : قصبة صنعاء باليمن ، كان الضحاك بناه على اسم الزهرة ، وخرَّبه عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فصار تلاً عظيماً . انظر « الروض المعطار » ص (٤٢٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٥ ـ ٦١٦) ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٥) .
(٤) في (آ) و(ط) : « الدِّية » ، والتصحيح من هامش (ط) و« السيرة النبوية » و« تاريخ الطبري » . والدبة : بلد بين الأصافر وبدر . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٥٤٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٦) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وهو مرسل .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٦ ـ ٦١٧) .
(٧) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٦) ، و« دلائل البيهقي » (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) .

فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما[1] قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركع رسول الله ﷺ ، وسجد سجدتيه وسلّم ، وقال : « إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما! صدقا والله ، إنّهما لقريشٍ ، أخبراني عن قريشٍ » . قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى . والكثيب : العقنقل[2] . فقال لهما رسول الله ﷺ : « كم القوم؟ » قالا : كثيرٌ . قال : « ما عدّتهم؟ » . قالا : لا ندري . قال : « كم ينحرون كلّ يوم؟ » . قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . فقال رسول الله ﷺ : « القوم ما بين التّسعمئة إلى الألف » . ثم قال لهما : « فمن فيهم من أشراف قريشٍ؟ » . قالا : عتبة بن رَبيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيم بن حزامٍ ، ونوفل بن خويلدٍ ، والحارث بن عامرٍ بن نوفلٍ ، وطعيمة بن عديّ بن نوفلٍ ، والنّضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، ونبيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمروٍ ، وعمرو بن عبد ودٍّ . قال : فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » .

قال ابن إسحاق[3] : وكان بسبس بن عمروٍ ، وعديّ بن أبي الزّغباء[4] قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تلٍّ قريبٍ من الماء ، ثم أخذا شنّاً[5] لهما يستقيان فيه ، ومجديّ بن عمروٍ الجهنيّ على الماء ، فسمع عديٌّ وبسبسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العير غداً أو بعد غدٍ ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . قال مجديٌّ : صدقت . ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عديٌّ وبسبسٌ ، فجلسا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ ، وأخبراه بما سمعا ، وأقبل أبو سفيان حتى تقدّم العير حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمروٍ : هل أحسست أحداً؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلاّ أنّي قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التّلّ ، ثم استقيا في شنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما ففتّه ، فإذا فيه النّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجه عيره عن الطريق ، فساحل بها[6] وترك بدراً بيسارٍ ، وانطلق حتى أسرع ، وأقبلت قريشٌ ، فلمّا نزلوا الجحفة ، رأى جهيم بنُ الصّلت بن مخرمة ابن المطّلب بن عبد منافٍ رؤيا ، فقال : إنّي رأيت[7] فيما يرى النائم ، وإنّي لبين النائم واليقظان ، إذ نظرت إلى رجلٍ قد أقبل على فرسٍ ، حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، وفلانٌ ، وفلانٌ . فعدّ رجالاً ممّن قتل يوم بدرٍ من

---

(١) أذلقوهما : بالغوا في ضربهما وآذوهما . انظر « شرح غريب السيرة » لأبي ذر الخشني (٢/ ٣٤) .
(٢) العقنقل : الرمل المتراكم . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦١٧ ـ ٦١٨) .
(٤) تصحفت في (آ) إلى « الرغباء » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٥) الشن : القربة . انظر « مختار الصحاح » (شنن) .
(٦) فساحل بها : أي أخذها إلى طريق الساحل .
(٧) لفظ « رأيت » سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

أشراف قريشٍ ، ثم رأيته ضرب في لبّة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نضحٌ من دمه . فبلغت أبا جهلٍ ، لعنه الله ، فقال : هذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني المطّلب ، سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق[١] : ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجّاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشامٍ : والله لا نرجع حتى نرد بدراً ـ وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سوقٌ كلّ عامٍ ـ فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا . وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهبٍ الثّقفيّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجحفة : يا بني زهرة ، قد نجّى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفلٍ ، وإنّما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبنها وارجعوا ، فإنّه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعةٍ ، لا ما يقول هذا . قال : فرجعوا ، فلم يشهدها زهريٌّ واحدٌ ؛ أطاعوه وكان فيهم مطاعاً ، ولم يكن بقي بطنٌ من قريشٍ إلاّ وقد نفر منهم ناسٌ ، إلاّ بني عديٍّ ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحدٌ . قال : ومضى القوم ، وكان بين طالب بن أبي طالبٍ ـ وكان في القوم ـ وبين بعض قريشٍ محاورةٌ ، فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشمٍ ، وإن خرجتم معنا ، أنّ هواكم مع محمدٍ . فرجعَ طالبٌ إلى مكة مع من رجع ، وقال في ذلك : [من الرجز]

لاهُـمّ إمّـا يغـزونّ طـالـبْ   في عصبةٍ محالفٌ[٢] محاربْ

في مِقنبٍ[٣] من هذه المقانبْ   فليكن المسلوب غير السّالبْ

وليكن المغلوب غير الغالبْ

قال ابن إسحاق[٤] : ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ، خلف العقنقل وبطن الوادي ، وهو يليل ، بين بدرٍ وبين العقنقل ، الكثيب الذي خلفه قريشٌ ، والقليب ببدرٍ ، في العدوة الدّنيا من بطن يليل إلى المدينة .

قلت : وفي هذا قال الله تعالى[٥] : ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ أي ؛ من ناحية الساحل . ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٨ ـ ٦١٩) .
(٢) في (ط) : « مخالف » .
(٣) المقنب : جماعة الخيل مقدار ثلاثمئة أو نحوها . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦١٩ ـ ٦٢٠) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٠ ـ ١٢) .

مَفْعُولًا ﴾ الآيات [الأنفال : ٤٢] . وبعث الله السماء ، وكان الوادي دهساً[١] ، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ماءٌ ، لبّد لهم الأرض[٢] ، ولم يمنعهم من السير ، وأصاب قريشاً منها ماءٌ لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

قلت : وفي هذا قوله تعالى[٣] : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال : ١١] . فذكر أنّه طهّرهم ظاهراً وباطناً ، وأنّه ثبّت أقدامهم ، وشجّع قلوبهم ، وأذهب عنهم تخذيل الشيطان ، وتخويفه للنفوس ووسوسته للخواطر ، وهذا تثبيت الباطن والظاهر ، وأنزل النصر عليهم من فوقهم ، في قوله[٤] : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ . أي : على الرءوس ﴿ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ . أي : لئلاّ يستمسك منهم السلاح . ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ [الأنفال : ١٢ ـ ١٤] .

قال ابن جريرٍ[٥] : حدّثني هارون بن إسحاق ، ثنا مصعب بن المقدام ، ثنا إسرائيل ، ثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : أصابنا من الليل طشٌّ من المطر[٦] ، يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف ، نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ ، يعني قائماً يصلّي[٧] ، وحرّض على القتال .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدّثنا عبد الرحمن بن مهديٍّ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : ما كان فينا فارسٌ يوم بدرٍ غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائمٌ ، إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ يصلّي ويبكي حتى أصبح . وسيأتي هذا الحديث مطوّلاً . ورواه النّسائيّ[٩] ، عن بندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة به .

---

(١) الدهس : قيل : هو كل لين سهل لا يبلغ أن يكون رملاً ، وليس بتراب ولا طين . انظر « لسان العرب » (دهس) .
(٢) لبّد الأرض : جعلها قوية لا تسوخ فيها الأرجل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ٢٢٤) .
(٣) انظر « تفسير ابن كثير » : (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٥) .
(٤) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٧) .
(٥) انظر تفسير الطبري (٩/ ١٩٤ ـ ١٩٥) و« تاريخه » (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٦) .
(٦) طش المطر : الضعيف القليل منه « النهاية » .
(٧) أي يدعو الله تعالى .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٥) وهو حديث صحيح .
(٩) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٢٣) . عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة به . وكذا في « جامع المسانيد » للمصنف (١٩/ ١٠٥) و« تحفة الأشراف » (٧/ ٣٥٧ و٣٥٨) وليس عن بندار (وهو محمد بن بشار) عن غندر كما في (آ) و(ط) هنا .

وقال مجاهدٌ[١] : أنزل عليهم المطر ، فأطفأ به الغبار ، وتلبّدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

قلت : وكانت ليلة بدرٍ ، ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة ، وقد بات رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلّي إلى جذم شجرةٍ هناك ، ويكثر في سجوده أن يقول : « يا حيّ يا قيّوم » . يكرّر ذلك ويلظّ به ، عليه السلام[٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بدرٍ ، نزل به .

قال ابن إسحاق[٤] : فحُدّثت عن رجالٍ من بني سلِمة ، أنّهم ذكروا أنّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ، ـ ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرّأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة » . قال : يا رسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزلٍ ، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله ، ثم نغوّر[٥] ما وراءه من القلب[٦] ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماءً ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ « لقد أشرت بالرّأي » .

قال الأمويّ[٧] : حدّثنا أبي ، قال : وزعم الكلبيّ ، عن أبي صالحٍ ، عن ابن عباسٍ قال : بينا رسول الله ﷺ يجمع الأقباص ، وجبريل عن يمينه ، إذ أتاه ملكٌ من الملائكة ، فقال : يا محمد ، إنّ الله يقرأ عليك السلام . فقال رسول الله ﷺ : « هو السّلام ، ومنه السلام ، وإليه السلام » . فقال الملك : إنّ الله يقول لك : إنّ الأمر هو الذي أمرك به الحباب بن المنذر . فقال رسول الله ﷺ : « ياجبريل ، هل تعرف هذا ؟ » . فقال : ما كلُّ أهل السماء أعرف ، وإنّه لصادقٌ ، وما هو بشيطانٍ .

---

(١) وأخرجه عنه الطبري في « تفسيره » (٩/ ١٩٦) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٤٤٧) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٢٢) من حديث علي ، رضي الله عنه وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٠) وإسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين ابن إسحاق والرجال من بني سلمة ، وقد وصله الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) من حديث الحباب ، وفي سنده مجاهيل . قال الذهبي في تلخيصه : قلت : حديث منكر ، وسنده ـ سكت عنه ، ولعله يريد وسنده (واهٍ) أو نحوه ، ورواه الأموي من حديث ابن عباس كما في « البداية » (٥/ ٨٢) وفيه الكلبي ، وهو كذاب .

(٥) قال أبو ذر الخشني : من رواه بالغين المعجمة فمعناه نذهبه وندفنه ، ومن رواه بالعين المهملة ـ وهو لفظ رواية الطبري ـ فمعناه نفسده . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٥) .

(٦) القُلُب : جمع قَلِيب ، وهو البئر قبل أن تُطوى ـ أي تبنى بالحجارة ـ فإذا طُويت فهي الطَّوِيّ . انظر « لسان العرب » (قلب) .

(٧) أورده المؤلف مختصراً في « تفسيره » (٣/ ٥٦٤) .

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم ، نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فغوّرت ، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه ، فملىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

وذكر بعضهم أنّ الحباب بن المنذر لمّا أشار بما أشار به على رسول الله ﷺ ، نزل ملكٌ من السماء ، وجبريل عند النبيّ ﷺ ، فقال الملك : يا محمد ، ربّك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إنّ الرأي ما أشار به الحباب . فنظر رسول الله ﷺ إلى جبريل ، فقال : ليس كلّ الملائكة أعرفهم ، وإنّه مَلكٌ وليس بشيطانٍ . وذكر الأمويّ ، أنّهم نزلوا على القليب الذي يلي المشركين نصف الليل ، وأنّهم نزلوا فيه ، واستقوا منه ، وملؤوا الحياض حتى أصبحت ملاءً ، وليس للمشركين ماءٌ .

قال ابن إسحاق[١] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّه حدّث أنّ سعد بن معاذٍ قال : يا نبيّ الله ، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعدّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ؛ جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا[٢] ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ما نحن بأشدّ حبّاً لك منهم ، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ، ما تخلّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخيرٍ ، ثم بني لرسول الله ﷺ عريشٌ كان فيه .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت ، فأقبلت ، فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصوّب[٤] من العقنقل ، وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي ، قال : « اللهمّ هذه قريشٌ قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادّك وتكذّب رسولك ، اللهمّ فنصرك الذي وعدتني ، اللهمّ أحنهم[٥] الغداة » . وقد قال رسول الله ﷺ وقد رأى عتبة بن ربيعة في القوم ، وهو على جملٍ له أحمر : « إن يكن في أحدٍ من القوم خيرٌ ، فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا » .

قال[٦] : وقد كان خفاف بن إيماء بن رحضة ، أو أبوه إيماء بن رحضة الغفاريّ ، بعث إلى قريشٍ ابناً له بجزائر[٧] أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدّكم بسلاحٍ ورجال ، فعلنا . قال : فأرسلوا إليه مع ابنه ، أن وصلتك رحم ، وقد قضيت الذي عليك ، فلعمري إن كنّا إنّما نقاتل الناس ، ما بنا ضعفٌ عنهم ، وإن كنا إنّما نقاتل الله ، كما يزعم محمدٌ ، فما لأحدٍ بالله من طاقةٍ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٠) .
(٢) عبارة : « من قومنا » ليست في « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢١) .
(٤) أي : تَتَصوَّبُ .
(٥) أحنهم : أهلكهم . والحَيْن : الهلاك . انظر « لسان العرب » (حين) .
(٦) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢١) .
(٧) جمع جزور ، وهو ما يصلح لأن يُذبح من الإبل . انظر « لسان العرب » (جزر) .

قال[١] : فلمّا نزل الناس ، أقبل نفرٌ من قريشٍ حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ ، فيهم حكيمُ بنُ حِزَامٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » . فما شرب منه رجلٌ يومئذٍ إلاّ قتل ، إلاّ ما كان من حكيم بن حزامٍ ، فإنّه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجّاني يوم بدرٍ .

قلت : وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذٍ ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، كما سيأتي بيان ذلك في فصلٍ نعقده بعد الوقعة ، ونذكر أسماءهم على حروف المعجم ، إن شاء الله .

ففي « صحيح البخاريّ »[٢] ، عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ أصحاب بدرٍ ثلاثمئةٍ وبضعة عشر ، على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النّهر ، وما جاوزه معه إلاّ مؤمنٌ .

وللبخاريّ أيضاً[٣] عنه قال : استُصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيّفاً على ستين ، والأنصار نيّفاً وأربعين ومئتين .

وروى الإمام أحمد[٤] ، عن نصر بن بابٍ[٥] ، عن حجّاجٍ ، عن الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ أنّه قال : كان أهل بدرٍ ثلاثمئةٍ وثلاثة عشر رجلاً ، وكان المهاجرون ستةً وسبعين ، وكان هزيمة أهل بدرٍ لسبع عشرة مضين ، يوم الجمعة ، في شهر رمضان .

وقال الله تعالى[٦] : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ﴾ الآية [الأنفال : ٤٣] . وكان ذلك في منامه تلك الليلة . وقيل : إنه نام في العريش ، وأمر الناس أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم ، فدنا القوم منهم ، فجعل الصدّيق يوقظه ، ويقول : يا رسول الله ، دنوا منّا ، فاستيقظ . وقد أراه الله إياهم في منامه قليلاً . ذكره الأمويّ[٧] . وهو غريبٌ جدّاً . وقال تعالى[٨] : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [الأنفال : ٤٤] . فعندما تقابل الفريقان ، قلّل الله كلاً منهما في أعين الآخرين ، ليجترىء هؤلاء على هؤلاء ، وهؤلاء على هؤلاء ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وليس هذا معارضاً لقوله

---

(١) أي : ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٢) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٥٩) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٥٦) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) وإسناده ضعيف لضعف نصر بن باب الخراساني ، والحجاج مدلس ، وهو ابن أرطاة ، لكنه حديث حسن بشواهده .
(٥) في (آ) : « رئاب » وانظر « الجرح والتعديل » (٨/ ٤٦٩) .
(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٤/ ١٣) .
(٧) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٦٧) .
(٨) انظر « تفسير ابن كثير » (٤/ ١٣ ـ ١٤) .

تعالى في سورة « آل عمران »[١] : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ . فإنّ المعنى في ذلك ، على أصحّ القولين ، أنّ الفرقة الكافرة ترى الفرقة المؤمنة مثلي عدد الكافرة ، على الصحيح أيضاً ، وذلك عند التحام الحرب والمسايفة[٢] أوقع الله الوهن والرعب في قلوب الذين كفروا ، فاستدرجهم أولاً بأن أراهم إيّاهم عند المواجهة قليلاً ، ثم أيّد المؤمنين بنصره ، فجعلهم في أعين الكافرين على الضِّعف منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وغلبوا ، ولهذا قال : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ .

قال إسرائيل[٣] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة[٤] ، عن عبد الله : لقد قُلّلوا في أعيننا يوم بدرٍ ، حتى إنّي لأقول لرجلٍ إلى جنبي : أتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مئةً .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ ، وغيره من أهل العلم ، عن أشياخٍ من الأنصار قالوا : لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عميربن وهبٍ الجمحيّ ، فقالوا : احزر[٦] لنا القوم أصحاب محمدٍ . قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمئة رجلٍ ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ أللقوم كمين أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئاً ، ولكن قد رأيت ، يا معشر قريشٍ ، البلايا[٧] تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت النّاقع ، قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأٌ إلاّ سيوفهم ، والله ما ما أرى أن يقتل رجلٌ منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم . فلمّا سمع حكيم بن حزامٍ ذلك ، مشى في الناس ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبير قريشٍ وسيّدها ، والمطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرميّ . قال : قد فعلت ، أنت عليّ بذلك ، إنّما هو حليفي ، فعليّ عقله وما أصيب من ماله ، فأت ابن الحنظليّة[٨] ـ يعني أبا جهل ـ فإنّي لا أخشى أن يشجُر أمر الناس غيره . ثم قام عتبة خطيباً ، فقال : يا معشر قريشٍ ، إنّكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه ؛ لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجلٍ يكره النظر إليه ؛ قتل

---

(١) الآية (١٣) منها . انظر « تفسير ابن كثير » (٢/ ١٢ ـ ١٤) .
(٢) في (ط) : « المسابقة » .
(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ١٣) .
(٤) في (ط) : « عن أبي عبيد وعبد الله » وهو خطأ .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٢ ـ ٦٢٤) و« تاريخ الطبري » (٤١١ ـ ٤٤٢) .
(٦) حزر الشيء حزراً : قدّره بالتخمين . انظر « المعجم الوسيط » (حزر) .
(٧) البلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت ـ صاحب الناقة ـ فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٥) .
(٨) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (١/ ٦٢٣) : والحنظلية أُمُّ أبي جهل ، وهي أسماء بنت مخرِّبة .

ابن عمّه ، أو ابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا ، وخلّوا بين محمدٍ وبين سائر العرب ، فإن أصابوه ، فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ، ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون . قال حكيمٌ : فانطلقت حتى جئت أبا جهلٍ ، فوجدته قد نثل درعاً له ، فهو يهنئها ، فقلت له : يا أبا الحكم ، إنّ عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ والله سحره[١] حين رأى محمداً وأصحابه ، فلا والله لا نرجع حتى يحكُم الله بيننا وبين محمدٍ ، وما بعتبة ما قال ، ولكنّه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزورٍ ، وفيهم ابنه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ ، فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك[٢] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف ثم صرخ : واعمراه واعمراه . قال : فحميت الحرب ، وحقب[٣] أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرّ ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة . فلمّا بلغ عتبة قول أبي جهلٍ : انتفخ والله سحره . قال : سيعلم مصفّر استه[٤] من انتفخ سحره ، أنا أم هو .

ثم التمس عتبة بيضةً ؛ ليدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضةً تسعه ؛ من عظم رأسه ، فلمّا رأى ذلك اعتجر[٥] على رأسه ببردٍ له .

وقد روى ابن جريرٍ[٦] ، من طريق مسوّر بن عبد الملك اليربوعيّ ، عن أبيه ، عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحكم ، إذ دخل حاجبه فقال : حكيم بن حزامٍ يستأذن . قال : ائذن له . فلمّا دخل قال : مرحباً يا أبا خالدٍ ، ادن . فحال له عن صدر المجلس حتى جلس بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله فقال : حدّثنا حديث بدرٍ . فقال : خرجنا حتى إذا كنّا بالجحفة رجعت قبيلةٌ من قبائل قريشٍ بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً ، ثم خرجنا حتى نزلنا العدوة التي قال الله تعالى ، فجئت عتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك في أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت ؟ قال : أفعل ماذا ؟ قلت : إنّكم لا تطلبون من محمدٍ إلّا دم ابن الحضرميّ ، وهو حليفك ، فتحمّل بديته ، ويرجع الناس . فقال : أنت عليّ بذلك ، واذهب إلى ابن الحنظليّة ، يعني أبا جهلٍ ، فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمّك ؟ فجئته فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن خلفه ، وإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : فسخت عقدي من عبد شمسٍ ، وعقدي اليوم إلى بني مخزومٍ . فقلت له : يقول لك

---

(١) أي : رِئَتُه ، يقال ذلك للجبان . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٢/ ٣٤٦) .
(٢) قال السهيلي : أي اطلُب من قريش الوفاء بخُفرتهم لك . انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٢٥) .
(٣) يقال : حقب الأمر . إذا اشتدَّ . انظر « لسان العرب » (حقب) .
(٤) قال الزبيدي في « تاج العروس » (صفر) : يقال في الشتم : هو مصفر استه . أي ضرّاط .
(٥) اعتجر ، معناه تعمم بغير تلحٍّ ، أي لم يجعل تحت لحيته منها شيئاً . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٢/ ٣٦) .
(٦) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٣) .

عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم [عن ابن عمّك][١] بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلت : لا ، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره . قال حكيمٌ : فخرجت مبادراً إلى عتبة لئلاّ يفوتني من الخبر شيءٌ ، وعتبة متّكىءٌ على إيماء بن رحضة الغفاريّ ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهلٍ والشّرّ في وجهه ، فقال لعتبة : انتفخ سحرك ؟ فقال له عتبة : ستعلم . فسلّ أبو جهلٍ سيفه ، فضرب به متن فرسه . فقال إيماء بن رحضة : بئس الفأل هذا . فعند ذلك قامت الحرب .

وقد صفّ رسول الله ﷺ أصحابه وعبّأهم أحسن تعبئةٍ ، فروى التّرمذيّ[٢] ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : صفّنا رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ليلاً .

وروى الإمام أحمد[٣] ، من حديث ابن لهيعة : حدّثني يزيد بن أبي حبيبٍ ، أنّ أسلم أبا عمران حدّثه ، أنّه سمع أبا أيوب يقول : صَفَفنا يوم بدرٍ ، فبدرت منّا بادرةٌ أمام الصفّ ، فنظر إليهم النبيّ ﷺ فقال : « معي معي » . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ حسنٌ .

وقال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني حَبّان بن واسع بن حبّان ، عن أشياخ من قومه ، أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوف أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ[٥] يعدّل به القوم ، فمرّ بسواد بن غزيّة حليف بني عديٍّ بن النّجّار ، وهو مستنتلٌ[٦] من الصفّ ، فطعن في بطنه بالقدح وقال :« استوِ يا سواد » . فقال : يا رسول الله ، أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، فأقدني . فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، فقال : « استقد » . قال : فاعتنقه فقبّل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » . قال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك ، أن يمسّ جلدي جلدك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ وقاله[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ عوف بن الحارث ، وهو ابن عفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يضحك الربّ من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدوّ حاسراً » . فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه ، فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه .

---

(١) زيادة من « تاريخ الطبري » .
(٢) رواه الترمذي (١٦٧٧) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٢٠) والراوي عن ابن لهيعة هو عبد الله بن المبارك ، ولذلك حسَّنه المصنف .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٦) وفي سنده جهالة .
(٥) القِدْح : السهم .
(٦) أي : متقدِّم .
(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « وقاله له » .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم عدّل رسول الله ﷺ الصّفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكرٍ ، ليس معه فيه غيره .

وقال ابن إسحاق وغيره[٢] : وكان سعد بن معاذٍ ، رضي الله عنه ، واقفاً على باب العَرِيش متقلّداً بالسيف ، ومعه رجالٌ من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ خوفاً عليه من أن يدهمه العدوّ من المشركين . والجنائب النّجائب مهيّأةٌ لرسول الله ﷺ ، إن احتاج إليها ركبها ورجع إلى المدينة ، كما أشار به سعد بن معاذٍ .

وقد روى البزّار في « مسنده »[٣] من حديث محمد بن عقيلٍ ، عن عليٍّ أنّه خطبهم فقال : يا أيّها الناس ، من أشجع الناس ؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين . فقال : أما إنّي ما بارزني أحدٌ إلاّ انتصفت منه ، ولكن هو أبو بكرٍ ؛ إنّا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ ؛ لئلاّ يهوي إليه أحدٌ من المشركين ؟ فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلاّ أبو بكرٍ ، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحدٌ ، إلاّ أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس . قال : ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ ؛ فهذا يجؤه ، وهذا يتلتله ، ويقولون : أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً ، فوالله ما دنا منّا أحدٌ إلاّ أبو بكرٍ ؛ يضرب هذا ويجأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول : ربّي الله . ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه ، فبكى حتى اخضلّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله ، أَمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو ؟ فسكت القوم فقال عليٌّ : فوالله ، لساعةٌ من أبي بكرٍ ، خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون ؛ ذاك رجلٌ يكتم إيمانه ، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه ، ثم قال البزّار : لا نعلمه يروى إلاّ من هذا الوجه .

فهذه خصوصيّةٌ للصدّيق حيث هو مع الرسول ﷺ في العريش ، كما كان معه في الغار ، رضي الله عنه وأرضاه ، ورسول الله ﷺ يكثر الابتهال والتضرّع والدّعاء ، ويقول فيما يدعو به : « اللهمّ إنّك إن تَهلك هذه العصابةُ ، لا تعبد بعدها في الأرض » . وجعل يهتف بربّه ، عزّ وجلّ ، ويقول : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، اللهمّ نصرك » . ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرّداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، يلتزمه من ورائه ، ويسوّي عليه رداءه ، ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك[٤] . هكذا حكى السّهيليّ عن قاسم بن ثابتٍ أنّ الصدّيق إنّما قال : بعض مناشدتك ربّك . من باب الإشفاق ؛ لما رأى من نصبه في الدّعاء والتضرّع ، حتى سقط الرّداء عن منكبيه فقال : بعض هذا يا رسول الله ، أي ؛ لم تتعب نفسك هذا التعب ، والله قد وعدك

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) . و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٩) .

(٣) « البحر الزخار » رقم (٧٦١) ، وهو في « كشف الأستار » برقم (٢٤٨١) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٤٧) : رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٤) رواه بنحوه مسلم رقم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بالنصر ، وكان ، رضي الله عنه ، رقيق القلب ، شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ[١] .

وحكى السّهيليّ عن شيخه أبي بكر بن العربيّ[٢] أنّه قال : كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف ، والصدّيق في مقام الرجاء ، وكان مقام الخوف في هذا الوقت يعني أكمل . قال : لأنّ لله أن يفعل ما يشاء ، فخاف أن لا يعبد في الأرض بعدها ، فخوفه ذلك عبادةٌ .

قلت : وأمّا قول بعض الصّوفيّة : إنّ هذا المقام ، في مقابلة ما كان يوم الغار . فهو قولٌ مردودٌ على قائله ؛ إذ لم يتدبّر هذا القائل عور[٣] ما قال ، ولا لازمه ، ولا ما يترتّب عليه ، والله أعلم[٤] .

هذا وقد تواجه الفئتان ، وتقابل الفريقان ، وحضر الخصمان ، بين يدي الرحمن ، واستغاث بربّه سيّد الأنبياء ، وضجّ الصّحابة بصنوف الدّعاء ، إلى ربّ الأرض والسماء ، سامع الدعاء وكاشف البلاء ، فكان أوّل من قتل من المشركين ، الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ . قال ابن إسحاق[٥] : وكان رجلاً شرساً سيّىء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم ، أو لأهدمنّه ، أو لأموتنّ دونه ، فلمّا خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطّلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة ، فأطنّ[٦] قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، تشخب رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ـ زعم ـ أن يبرّ يمينه ، واتّبعه حمزة ، فضربه حتى قتله في الحوض .

قال الأمويّ[٧] : فحمي عند ذلك عتبة بن ربيعة ، وأراد أن يظهر شجاعته ، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، فلمّا توسّطوا بين الصّفّين ، دعوا إلى البراز ، فخرج إليهم فتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ ، وهم : عوفٌ ومعوّذٌ ابنا الحارث ، وأمّهما عفراء ، والثالث عبد الله بن رواحة ، فيما قيل ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم من حاجةٍ . وفي روايةٍ[٨] : فقالوا : أكفاءٌ كرامٌ ، ولكن أخرجوا

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٣٠) .

(٢) وهو الحافظ المحدِّث الكبير ، عالم أهل الأندلس في عصره ، المتوفى سنة (٥٤٦هـ) . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (٦/ ٢٣٢) .

(٣) العور : الشَّين والقُبح . انظر « لسان العرب » (عور) .

(٤) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٧/ ٢٨٩) : قال الخطابي : لا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربّه من النبي ﷺ في تلك الحال ؛ بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم ؛ لأنه كان أول مشهد شهده ، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال ؛ لتسكن نفوسهم عند ذلك ؛ لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال ، كفّ عند ذلك وعلم أنه استجيب له ؛ لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٥) .

(٦) أطنَّ قدمه : قطعها . انظر « القاموس المحيط » (طنن) .

(٧) انظر الخبر بنحوه في « المغازي » للواقدي (١/ ٦٨) .

(٨) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٤٥) و« دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٧٢) .

إلينا من بني عمّنا . ونادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا . فقال النبيّ ﷺ : « قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا عليّ »[١] .

وعند الأمويّ ، أنّ النّفر من الأنصار لمّا خرجوا ، كره ذلك رسول الله ﷺ ؛ لأنّه أول موقفٍ واجه فيه رسول الله ﷺ أعداءه، فأحبّ أن يكون أولئك من عشيرته، فأمرهم بالرّجوع، وأمر أولئك الثلاثة بالخروج.

قال ابن إسحاق[٢] : فلمّا دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ وفي هذا دليلٌ أنّهم كانوا ملبّسين ، لا يُعرفون من السلاح ، فقال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال عليٌّ : عليٌّ . قالوا : نعم ، أكفاءٌ كرامٌ . فبارز عبيدة ، وكان أسنّ القوم ، عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز عليٌّ الوليد بن عتبة ، فأمّا حمزة ، فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأمّا عليٌّ ، فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعليٌّ بأسيافهما على عتبة ، فذفّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ، رضي الله عنه .

وقد ثبت في الصحيحين[٣] ، من حديث أبي مجلزٍ ، عن قيس بن عبادٍ ، عن أبي ذرٍّ أنّه كان يقسم قسماً أنّ هذه الآية : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] نزلت في حمزة وصاحبيه ، وعتبة وصاحبيه ، يوم برزوا في بدرٍ . هذا لفظ البخاريّ في تفسيرها .

وقال البخاريّ[٤] : حدّثنا حجّاج بن منهالٍ ، حدّثنا المعتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلزٍ ، عن قيس بن عبادٍ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، أنّه قال : أنا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن ، عزّ وجلّ ، في الخصومة يوم القيامة .

قال قيسٌ : وفيهم نزلت : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ قال : هم الذين بارزوا يوم بدرٍ ؛ عليٌّ وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . تفرّد به البخاريّ .

وقد أوسعنا الكلام عليها في « التفسير »[٥] بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمنّة .

وقال الأمويّ : حدّثنا معاوية بن عمروٍ ، عن أبي إسحاق ، عن ابن المبارك ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن عبد الله البهيّ قال : برز عتبة وشيبة والوليد ، وبرز إليهم حمزة وعبيدة وعليٌّ ، فقالوا : تكلّموا نعرفكم. فقال حمزة، أنا أسد الله، وأسد رسول الله ﷺ، أنا حمزة بن عبد المطّلب. فقال: كفءٌ كريمٌ.

---

(١) رواه أبو داود مختصراً رقم (٢٦٦٥) وهو حديث صحيح .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥) .
(٣) رواه البخاري (٤٧٤٣) ومسلم (٣٠٣٣) .
(٤) رواه البخاري (٤٧٤٤) .
(٥) انظر « تفسير ابن كثير » (٥/ ٤٠١) .

وقال عليٌّ : أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ﷺ . وقال عبيدة : أنا الذي في الحلفاء . فقام كلّ رجلٍ إلى رجلٍ ، فقاتَلوهم فقتلهم الله . فقالت هند في ذلك : [من المتقارب]

أعينيّ جودا بدمعٍ سَرِبْ   على خير خِندفَ[1] لم ينقلبْ
تداعى له رهطه غدوةً   بنو هاشمٍ وبنو المطّلبْ
يذيقونه حدّ أسيافهم   يَعُلّونه بعد ما قد عطِبْ

ولهذا نذرت هند أن تأكل من كبد حمزة .

قلت : وعبيدة هذا ، هو ابن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، ولمّا جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ أضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ ، فأفرشه[2] رسول الله ﷺ قدمه ، فوضع خدّه على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله ، لو رآني أبو طالبٍ ، لعلم أنّي أحقّ بقوله : [من الطويل]

ونُسلِمه[3] حتى نُصرّعَ حوله   ونذهلَ عن أبنائنا والحلائل[4]

ثم مات ، رضي الله عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنّك شهيدٌ » . رواه الشافعيّ ، رحمه الله .

وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين في المعركة ، مِهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ؛ رمي بسهمٍ فقتله .

قال ابن إسحاق[5] : فكان أوّل من قتل ، ثم رمي بعده حارثة بن سراقة ، أحد بني عديٍّ بن النّجّار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهمٍ فأصاب نحره فمات .

وثبت في « الصحيحين »[6] عن أنسٍ ، أنّ حارثة بن سراقة قتل يوم بدرٍ ، وكان في النّظّارة[7] ، أصابه سهمٌ غربٌ فقتله ، فجاءت أمّه فقالت : يا رسول الله ، أخبرني عن حارثة ، فإن كان في الجنّة صبرت ، وإلّا فليرينّ الله ما أصنع . يعني من النّياح ، وكانت لم تحرّم بعد[8] . فقال لها رسول الله ﷺ : « ويحك ، أهبلت ، إنّها جنانٌ ثمانٍ ، وإنّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى » .

قال ابن إسحاق[9] : ثم تزاحف الناس ، ودنا بعضهم من بعضٍ .

---

(١) خندف : لقب ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة نسب إليها بعض قبائل العرب ، ومنهم قريش . انظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص (١٠ ـ ١١ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠) .
(٢) في (آ) و(ط) : « فأشرفه » والمثبت من هامش (ط) نقلاً عن « السيرة الحلبية » وهو أصحُّ .
(٣) أي ولا نسلمه .
(٤) جمع حليلة وهي الزوجة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٧) .
(٦) رواه البخاري (٢٨٠٩ و٣٩٨٢ و٦٥٥٠ و٦٥٦٧) ليس الحديث في « صحيح مسلم » .
(٧) عبارة « وكان في النظارة » ليست في البخاري ، وهي عند أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٤) .
(٨) أي النياحة .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥) .

وقال(١) : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : « إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنّبل » .

وفي « صحيح البخاريّ »(٢) ، عن أبي أسيدٍ قال : قال لنا رسول الله يوم بدرٍ : « إذا أكثبوكم - يعني المشركين - فارموهم واستبقوا نبلكم » .

وقال البيهقيّ(٣) : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدّثني [عمر بن] عبد الله [بن عروة بن عروة] بن الزّبير ، قال : جعل رسول الله ﷺ شعار المهاجرين يوم بدرٍ : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله . وسمّى خيله : خيل الله .

قال ابن هشامٍ(٤) : كان شعار الصحابة يوم بدرٍ : أحدٌ أحدٌ .

قال ابن إسحاق(٥) : ورسول الله ﷺ في العريش ، معه أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، يعني وهو يستغيث الله ، عزّ وجلّ ، كما قال الله تعالى(٦) : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٩ - ١٠] .

قال الإمام أحمد(٧) : حدّثنا أبو نوحٍ قرادٌ ، ثنا عكرمة بن عمّارٍ ، ثنا سماكٌ الحنفيّ أبو زُميلٍ ، حدّثني ابن عباسٍ ، حدّثني عمر بن الخطاب ، قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمئةٍ ونيّفٌ ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فاستقبل النبيّ ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال : « اللهمّ أنجز لي ما وعدتني ، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تعبد بعد في الأرض أبداً » .

قال : فما زال يستغيث ربّه ويدعوه ، حتى سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءَه فردّه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا رسول الله ، كفاك مناشدتك ربّك ، فإنّه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وذكر تمام الحديث كما سيأتي .

---

(١) أي ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٥ - ٦٢٦) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٨٤) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٧٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٦ - ٦٢٧) .
(٦) انظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٨ - ٥٦٢) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) وهو حديث حسن .

وقد رواه مسلمٌ ، وأبو داود ، والتّرمذيّ ، وابن جريرٍ ، وغيرهم[١] ، من حديث عكرمة بن عمّارٍ اليمانيّ ، وصحّحه عليّ بن المدينيّ ، والتّرمذيّ .

وهكذا قال غير واحدٍ عن ابن عباسٍ ، والسّدّيّ ، [وابن] جريجٍ ، وغيرهم ؛ أنّ هذه الآية نزلت في دعاء النبيّ ﷺ يوم بدرٍ[٢] .

وقد ذكر الأمويّ وغيره ، أنّ المسلمين عجّوا إلى الله ، عزّ وجلّ ، في الاستغاثة بجنابه ، والاستعانة به . وقوله تعالى : ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ أي ؛ ردفاً لكم ومدداً لفئتكم . رواه العوفيّ عن ابن عباسٍ ، وقاله مجاهدٌ ، وابن كثيرٍ ، وعبد الرحمن بن زيدٍ ، وغيرهم[٣] .

وقال أبو كدينة ، عن قابوسٍ ، [عن أبيه][٤] ، عن ابن عباسٍ : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ : وراء كلّ مَلَكٍ ملكٌ . وفي روايةٍ عنه بهذا الإسناد : ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾ بعضهم على أثر بعضٍ[٥] . وكذا قال أبو ظبيان ، والضّحّاك ، وقتادة . وقد روى علي بن أبي طلحة الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ قال : وأمدّ الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، وكان جبريل في خمسمئةٍ مجنّبةٍ ، وميكائيل في خمسمئةٍ مجنّبةٍ[٦] ، وهذا هو المشهور .

ولكن قال ابن جريرٍ[٧] : حدّثني المثنّى ، حدّثنا إسحاق ، ثنا يعقوب بن محمدٍ الزّهريّ ، حدّثني عبد العزيز بن عمران ، عن الزّمْعيّ[٨] ، عن أبي الحويرث ، عن محمد بن جبيرٍ ، عن عليٍّ قال : نزل جبريل في ألفٍ من الملائكة عن ميمنة النبيّ ﷺ ، وفيها أبو بكرٍ ، ونزل ميكائيل في ألفٍ من الملائكة عن ميسرة النبيّ ﷺ ، وأنا في الميسرة .

ورواه البيهقيّ في « الدّلائل »[٩] من حديث محمد بن جبيرٍ عن عليٍّ ، فزاد : ونزل إسرافيل في ألفٍ من الملائكة ، وذكر أنّه طعن يومئذٍ بالحربة حتى اختضبت إبطه من الدماء ، فذكر[١٠] أنّه نزلت ثلاثة آلافٍ من الملائكة . وهذا غريبٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ، ولو صحّ لكان فيه تقويةٌ لما تقدّم من

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٣) وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١) والطبري في « تفسيره » (٩/ ١٨٩) .
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠) . و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٥٩) .
(٣) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٠ ـ ١٩١) . و« التفسير » (٣/ ٥٦٠) .
(٤) سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٠) و« تفسير الطبري » (٩/ ١٩١) .
(٥) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩١) . و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٥٦٠) .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٥) . و« التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٠) .
(٧) انظر « تفسير الطبري » (٩/ ١٩٢) .
(٨) في (آ) و(ط) : « الربعي » والتصحيح من « تهذيب الكمال » (٢٩/ ١٧١) .
(٩) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٥٥) .
(١٠) أي عليٌّ ، رضي الله عنه .

الأقوال ، ويؤيّدها قراءة من قرأ : بألفٍ من الملائكة مردَفين[١] بفتح الدال ، والله أعلم .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، ثنا محمد بن سنانٍ القزّاز ، ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو عليٍّ الحنفيّ ، حدّثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهبٍ ، أخبرني إسماعيل بن عون بن عبيد الله بن أبي رافعٍ ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، عن أبيه عن جدّه ، عن عليٍّ قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، قاتلت شيئاً من قتالٍ ، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل . قال : فجئت فإذا هو ساجدٌ يقول : يا حيّ يا قيُّوم ، يا حيّ يا قيّوم . لا يزيد عليها ، فرجعت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، فذهبت إلى القتال ، ثم جئت وهو ساجدٌ يقول ذلك أيضاً ، حتى فتح الله على يده .

وقد رواه النّسائيّ في « اليوم والليلة »[٣] ، عن بندارٍ ، عن عبيد الله بن عبد المجيد أبي عليّ الحنفيّ به .

وقال الأعمش[٤] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : ما سمعت مناشداً ينشد أشدّ من مناشدة محمدٍ ﷺ يوم بدرٍ ، جعل يقول : اللهمّ إنّي أنشدك عهدك ووعدك ، اللهمّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، ثم التفت وكأنّ شقّ وجهه القمر ، وقال :كأنّي أنظر إلى مصارع القوم عشيّة . رواه النسائيّ من حديث الأعمش به[٥] . وقال : لمّا التقينا يوم بدرٍ ، قام رسول الله ﷺ يصلّي ، فما رأيت مناشداً ينشد حقّاً له ، أشدّ مناشدةً من رسول الله ﷺ . . . وذكره .

وقد ثبت إخباره ، عليه الصلاة والسلام ، بمواضع مصارع رؤوس المشركين يوم بدرٍ ، في « صحيح مسلم » عن أنس بن مالكٍ ، كما تقدّم[٦] .

وسيأتي في « صحيح مسلم » أيضاً عن عمر بن الخطاب .

ومقتضى حديث ابن مسعودٍ ، أنّه أخبر بذلك يوم الوقعة ، وهو مناسبٌ .

وفي الحديثين الآخرين عن أنسٍ وعمر ، ما يدلّ على أنّه أخبر بذلك قبل ذلك بيومٍ ، ولا مانع من الجمع بين ذلك ، بأن يخبر به قبل ذلك بيومٍ وأكثر ، وأن يخبر به قبل ذلك بساعةٍ يومَ الوقعة ، والله أعلم .

---

(١) وهي قراءة نافع . انظر « حجة القراءات » ص (٣٠٧) .
(٢) « دلائل النبوة » (٣/ ٤٩) والحاكم في « المستدرك » (١/ ٢٢٢) وإسناده ضعيف .
(٣) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦١١) وفي « السنن الكبرى » (١٠٤٤٧) .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٠) .
(٥) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٤٤٢) .
(٦) رواه مسلم رقم (١٧٧٩) .

وقد روى البخاريّ[١] ، من طرقٍ ، عن خالدٍ الحذّاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قبّةٍ له يوم بدرٍ : اللهمّ أنشدك عهدك ووعدك ، اللهمّ إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكرٍ بيده وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربّك . فخرج وهو يثب في الدّرع ، وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥ـ٤٦] . وهذه الآية مكيةٌ .

وقد جاء تصديقها يوم بدرٍ ، كما رواه ابن أبي حاتم[٢] : حدّثنا أبي ، ثنا أبو الرّبيع الزّهرانيّ ، ثنا حمّادٌ ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : لمّا نزلت ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ قال عمر : أيّ جمعٍ يهزم ؟! وأيّ جمعٍ يغلب ؟! قال عمر : فلمّا كان يوم بدرٍ ، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدّرع وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ، فعرفت تأويلها يومئذٍ[٣] .

وروى البخاريّ[٤] ، من طريق ابن جريجٍ ، عن يوسف بن ماهان ، سمع عائشة تقول : نزّل على محمدٍ ﷺ بمكّة وإنّي لجاريةٌ ألعب : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ .

وقال ابن إسحاق[٥] : وجعل رسول الله ﷺ يناشد ربّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهمّ إن تهلك هذه العصابة اليوم ، لا تعبد . وأبو بكرٍ يقول : يا نبيّ الله ، بعض مناشدتك ربّك ، فإنّ الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفق النبيّ ﷺ خفقةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكرٍ ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النّقع . يعني الغبار .

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم وقال : والّذي نفس محمدٍ بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ ، فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبرٍ ؛ إلّا أدخله الله الجنة . فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلهنّ : بخٍ بخٍ أفما بيني وبين أن أدخل الجنّة إلّا أن يقتلني هؤلاء ؟! قال : ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل ، رحمه الله .

وقال الإمام أحمد[٦] : حدّثنا هاشمٌ ، ثنا سليمان ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : بعث رسول الله ﷺ بسبسة[٧] عيناً ؛ ينظر ما صنعت عِير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحدٌ غيري وغير النبيّ ﷺ ـ قال : لا أدري ما استثنى من بعض نسائه ـ قال : فحدّثه الحديث . قال : فخرج رسول الله ﷺ فتكلّم فقال : إنّ لنا

---

(١) رواه البخاري (٢٩١٥ و٣٩٥٣ و٤٨٧٥ و٤٨٧٧) .
(٢) ذكره المؤلف في « تفسيره » (٧/ ٤٥٧) .
(٣) وهو مرسل .
(٤) رواه البخاري (٤٨٧٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٧) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٣٦) .
(٧) في (ط) : « بَسْبَسا » ، وهو بموحدتين مفتوحتين بينهما مهملة ساكنة ثم مهملة مفتوحة . وفي « صحيح مسلم » : « بُسَيْسَة » بموحدة مصغراً ، وانظر « الإصابة » (١/ ٢٨٨) و« شرح صحيح مسلم » للنووي (١٣/ ٤٤) .

طلبةً ، فمن كان ظهره حاضراً ، فليركب معنا . فجعل رجالٌ يستأذنونه في ظهورهم في علو المدينة ، قال : لا ، إلاّ من كان ظهره حاضراً . وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدرٍ ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يتقدّمنّ أحدٌ منكم إلى شيءٍ ، حتى أكون أنا أُوذنه » . فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى جنّةٍ عرضها السماوات والأرض » . قال : يقول عمير بن الحمام الأنصاريّ : يا رسول الله ، جنّةٌ عرضها السماوات والأرض ؟ قال : « نعم » . قال : بخٍ بخٍ . فقال رسول الله ﷺ : « ما يحملك على قول : بخٍ بخٍ ؟ » . قال : لا والله يا رسول الله ، إلاّ رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فإنّك من أهلها » . قال : فأخرج تمراتٍ من قرَنه[1] ، فجعل يأكل منهنّ ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنّها حياةٌ طويلةٌ . قال : فرمى ما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل ، رحمه الله .

ورواه مسلمٌ[2] ، عن أبي بكر بن أبي النّضر[3] ، وجماعةٍ ، عن أبي النّضر هاشم بن القاسم ، عن سليمان بن المغيرة به .

وقد ذكر ابن جريرٍ[4] أنّ عميراً قاتل وهو يقول ، رضي الله عنه : [من الرجز]

ركضاً إلى الله بغير زادِ   إلاّ التّقى وعمل المعادِ
والصّبر في الله على الجهادِ   وكلّ زادٍ عرضة النّفادِ
غير التّقى والبرّ والرّشادِ

وقال الإمام أحمد[5] : حدّثنا حجّاجٌ ، حدّثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : لمّا قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتويناها ، وأصابنا بها وعكٌ ، وكان رسول الله ﷺ يتخبّر عن بدرٍ ، فلمّا بلغنا أنّ المشركين قد أقبلوا ، سار رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وبدرٌ بئرٌ ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين منهم ؛ رجلاً من قريشٍ ، ومولىً لعقبة بن أبي معيط ، فأمّا القرشيّ فانفلت ، وأمّا المولى فأخذناه[6] ، فجعلنا نقول له : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : « كم

---

(١) القرَن : جعبة من جلود تشق ويجعل فيها النُّشّاب ، وهو النبل . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/٥٥) .
(٢) رواه مسلم (١٩٠١) .
(٣) في (آ) و(ط) : « عن أبي بكر بن أبي شيبة » والتصحيح من « صحيح مسلم » وانظر « تهذيب الكمال » (٣٣/١٤٩) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/٤٤٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/١١٧) وهو حديث صحيح .
(٦) في (آ) و(ط) : « فوجدناه » والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .

القوم ؟ » . قال : هم والله كثيرٌ عددهم ، شديدٌ بأسهم . فجهد النبيّ ﷺ أن يخبره كم هم ، فأبى ، ثم إنّ النبيّ سأله : « كم ينحرون من الجزر ؟ » فقال : عشراً كلّ يوم . فقال النبيّ ﷺ : « القوم ألفٌ ، كلّ جزورٍ لمئةٍ وتبعها » . ثم إنّه أصابنا من الليل طشٌّ من مطرٍ ، فانطلقنا تحت الشجر والحجَف ؛ نستظلّ تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربّه ويقول : « اللهمّ إنّك إن تهلك هذه الفئةُ ؛ لا تعبد » . فلمّا طلع الفجر نادى « الصلاة عباد الله » . فجاء الناس من تحت الشجر والحجَف ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ ، وحرّض على القتال ، ثم قال : « إنّ جمع قريشٍ تحت هذه الضّلع[١] الحمراء من الجبل » . فلمّا دنا القوم منّا وصافقناهم ، إذا رجلٌ منهم على جملٍ له أحمر ، يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عليّ ، ناد لي حمزة ـ وكان أقربهم من المشركين ـ من صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة فقال : هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسي ، وقولوا : جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أنّي لست بأَجْبَنكم . فسمع ذلك أبو جهلٍ فقال : أنت تقول ذلك ؟ والله لو غيرك يقوله ؛ لأعضضته ، قد ملأت رئتُك جوفَك رعباً . فقال : إيّاي تعيّر يا مصفّر استه ؟ ستعلم اليوم أيّنا الجبان . فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد ؛ حميّةً ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتيةٌ من الأنصار شببةٌ[٢] . فقال عُتْبةُ : لا نُريدُ هؤلاءِ ، ولكنْ يُبارِزُنا مِن بني عَمِّنا مِن بني عبدِ المُطَّلِب . فقال رسولُ الله ﷺ : قُمْ يا علـيُّ ، وقُم يا حمزةُ ، وقُم يا عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب . فقتل الله عُتبة وشيبة ابني ربيعة ، والوليد بن عُتبة ، وجُرح عُبيدةُ ، فقتلنا منهم سبعين ، وأسرنا سبعين ، وجاء رجلٌ من الأنصار قصيرٌ بالعباس بن عبد المُطّلب أسيراً ، فقال العباسُ : يا رسول الله ، إنّ هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجلٌ أجلحُ ، من أحسن الناس وجهاً ، على فرسٍ أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاريُّ : أنا أسرتُه يا رسول الله . فقال : اسكُت ، فقد أيّدك الله بملكٍ كريمٍ . قال : فأسرنا من بني عبد المُطّلب ؛ العباس ، وعقيلاً ، ونوفل بن الحارث . هذا سياقٌ حسنٌ ، وفيه شواهدُ لما تقدّم ولما سيأتي . وقد تفرّد بطُوله الإمامُ أحمدُ .

وروى أبو داود بعضه من حديث إسرائيل به[٣] .

ولمّا نزل رسولُ الله ﷺ ، من العريش ، وحرّض الناس على القتال ، والناسُ على مصافّهم صابرين ، ذاكرين الله كثيراً ، كما قال الله تعالى آمراً لهم[٤] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الآية [الأنفال : ٤٥] .

وقال الأُمويُّ : حدّثنا معاويةُ بنُ عمروٍ ، عن أبي إسحاق قال : قال الأوزاعيُّ : كان يُقالُ : قلّما ثبت

---

(١) الضِّلَع : جبيل منفرد صغير . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/٩٦) .
(٢) في (ط) : « مشبة » و« شَبَبَة » : جمع شاب وفي « مسند الإمام أحمد » : « سِتَّة » .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٦٦٥) وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « تفسير » المؤلف (٤/ ١٤ ـ ١٥) .

قومٌ قياماً ، فمن استطاع عند ذلك أن يجلس ، أو يغُضّ طرفه ، ويذكُر الله ، رجوتُ أن يسلم من الرِّياء .
وقال عُتبةُ بنُ ربيعة يوم بدرٍ لأصحابه : ألا ترونهم ، يعني أصحاب النبيّ ﷺ ، جُثيّاً على الرُّكب ، كأنّهم حرسٌ يتلمّظُون كما تتلمّظُ الحيّاتُ[1] ، أو قال : الأفاعي .

قال الأُمويُّ في « مغازيه » : وقد كان النبيُّ ﷺ ، حين حرّض المُسلمين على القتال ، قد نفل كُلّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : « والّذي نفسي بيده ، لا يُقاتلُهم اليوم رجُلٌ [فيُقتلُ] صابراً مُحتسباً ، مُقبلاً غير مُدبرٍ ، إلاّ أدخله الله الجنّة » . وذكر قصّة عُمير بن الحُمام ، كما تقدّم .

وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه ، وكذلك أبو بكرٍ الصدّيقُ ، كما كانا في العريش يُجاهدان بالدُّعاء والتّضرُّع ، ثُم نزلا ، فحرّضا وحثّا على القتال ، وقاتلا بالأبدان ؛ جمعاً بين المقامين الشريفين .

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدّثنا وكيعٌ ، حدّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مُضرّبٍ ، عن عليٍّ قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، ونحنُ نلُوذُ برسول الله ﷺ ، وهو أقربُنا إلى العدُوّ ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً .

ورواه النّسائيُّ[3] ، من حديث أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن عليٍّ قال : كُنّا إذا حمي البأسُ ولقي القومُ ، اتّقينا[4] برسول الله ﷺ .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدّثنا أبو نُعيمٍ ، حدّثنا مسعرٌ ، عن أبي عونٍ ، عن أبي صالح الحنفيّ ، عن عليٍّ قال : قيل لعليٍّ ولأبي بكرٍ ، رضي الله عنهما ، يوم بدرٍ : مع أحدكما جبريلُ ، ومع الآخر ميكائيلُ ، وإسرافيلُ ملَكٌ عظيمٌ ، يشهدُ القتال ولا يُقاتلُ ، أو قال : يشهدُ الصّفّ .

وهذا يُشبهُ ما تقدّم من الحديث ؛ أنّ أبا بكرٍ كان في الميمنة ، ولمّا تنزّل الملائكةُ يوم بدرٍ تنزيلاً ، كان جبريلُ على أحد المُجنّبتين في خمسمئةٍ من الملائكة ، فكان في الميمنة من ناحية أبي بكرٍ الصدّيق ، وكان ميكائيلُ على المُجنّبة الأُخرى في خمسمئةٍ من الملائكة ، فوقَفُوا في الميسرة ، وكان عليُّ بنُ أبي طالبٍ فيها .

وفي حديثٍ رواه أبو يعلى[6] ، من طريق محمد بن جُبير بن مُطعمٍ ، عن عليٍّ قال : كنتُ أمتحُ[7] على القليب يوم بدرٍ ، فجاءت ريحٌ شديدةٌ ، ثم أُخرى ثُم أُخرى ، فنزل ميكائيلُ في ألفٍ من الملائكة ،

---

(١) أي : تخرج لسانها .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٦) ، وهو حديث صحيح .
(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٣٩) .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « السنن الكبرى » : « بعثنا » وجاء في هامشها في النسخ : « ألفينا » .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٤٧) وهو حديث حسن .
(٦) رواه أبو يعلى في « مسنده » رقم (٤٨٩) . وقد ذكره المصنف هنا بمعناه وفي إسناده ضعف .
(٧) متح الماء : نزعه واستخرجه .

فوقف على يمين رسول الله ﷺ وهناك أبو بكرٍ ، وإسرافيلُ في ألفٍ في الميسرة وأنا فيها ، وجبريلُ في ألفٍ . قال : ولقد طعنتُ يومئذٍ حتى بلغ [الدّمُ][١] إبطي .

وقد ذكر صاحبُ « العقد »[٢] وغيرُه ، أنّ أفخر بيتٍ قالته العربُ ، قولُ حسان بن ثابتٍ : [من الكامل]

وبِبئر[٣] بدرٍ إذ يكُفُّ مطيّهُم[٤] جبريلُ تحت لوائنا ومحمدُ

وقد قال البخاريُّ[٥] : حدّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيم ، حدّثنا جريرٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن مُعاذ بن رفاعة بن رافعٍ الزُّرقيّ ، عن أبيه ، وكان أبوه من أهل بدرٍ ، قال : جاء جبريلُ إلى رسول الله ﷺ فقال : ما تعُدُّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المُسلمين » . أو كلمةً نحوها . قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاريُّ .

وقد قال الله تعالى[٦] : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ يعني الرؤوس ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وفي « صحيح مسلم »[٧] من طريق عكرمة بن عمّارٍ ، عن أبي زُمَيلٍ ، حدّثني ابنُ عباسٍ قال : بينما رجلٌ من المُسلمين [يومئذ][٨] يشتدُّ في أثر رجلٍ من المُشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً بالسّوط فوقه ، وصوت الفارس يقولُ : أقدم حيزُومُ . إذ نظر إلى المُشرك أمامه قد خرّ مُستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم [أنفُه][٩] وشُقّ وجهُه كضربة السّوط ، فاخضرّ ذلك أجمعُ ، فجاء الأنصاريُّ فحدّث ذاك رسول الله ﷺ، فقال : « صدقت ، ذلك من مدد السماء الثّالثة » . فقتلوا يومئذٍ سبعين ، وأسرُوا سبعين .

قال ابنُ إسحاق[١٠] : [و] حدّثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن حزمٍ ، عمّن حدّثه عن ابن عباسٍ ، عن رجُلٍ من بني غفارٍ قال : حضرتُ أنا وابنُ عمٍّ لي بدراً ، ونحنُ على شِركنا ، فإنّا لفي جبلٍ ننتظرُ الوقعة على من تكونُ الدّبرةُ[١١] ، فننتهبُ ، فأقبلت سحابةٌ ، فلمّا دنت من الجبل ، سمعنا منها حمحمة الخيل ،

---

(١) تكملة من « مسند أبي يعلى » .
(٢) انظر « العقد الفريد » (٦/١٠٦) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) وفي « العقد الفريد » : « بيوم » .
(٤) كذا في (آ) و(ط) وفي « العقد الفريد » : « يرد وجوههم » .
(٥) رواه البخاري (٣٩٩٢) .
(٦) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/٥٦٢ـ٥٦٦) .
(٧) رواه مسلم (١٧٦٣) .
(٨) تكملة من « صحيح مسلم » .
(٩) تكملة من « صحيح مسلم » والخطم : الأثر على الأنف .
(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٣٣) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/٥٢) .
(١١) الدبرة : الهزيمة في القتال . انظر « المعجم الوسيط » (دبر) .

وسمعنا فارساً يقولُ : أقدم حيزومُ . فأمّا صاحبي فانكشف قناعُ قلبه ، فمات مكانه ، وأمّا أنا فكدتُ أن أهلك ، ثُم انتعشتُ[١] بعد ذلك .

وقال ابنُ إسحاق[٢] : وحدّثني عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أُسيدٍ مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً ، قال بعد أن ذهب بصرُه : لو كنتُ اليوم ببدرٍ ومعي بصري ؛ لأريتُكم الشّعب الذي خَرَجَت منه الملائكةُ ، لا أشُكُّ فيه ولا أتمارى .

فلمّا نزلت الملائكةُ ورآها إبليسُ ، وأوحى الله إليهم[٣] : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال : ١٢] .

وتثبيتُهم أنّ الملائكة كانت تأتي الرّجُل في صورة الرجل يعرفُه ، فيقولُ له : أبشرُوا فإنّهم ليسوا بشيءٍ ، والله معكم ، كُرُّوا عليهم .

ولمّا رأى إبليسُ الملائكة ، ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ [الأنفال : ٤٨] وهو في صورة سُراقة ، وأقبل أبو جهلٍ يُحرّضُ أصحابه ويقولُ : لا يهُولنّكم خذلانُ سُراقة إيّاكم ، فإنّه كان على موعدٍ من محمدٍ وأصحابه . ثُم قال : واللاّت والعُزّى ، لا نرجعُ حتى نُفرّق محمداً وأصحابه في الجبال ، فلا تقتُلُوهم وخُذُوهُم أخذاً .

وقال الواقديُّ[٤] : حدّثني ابنُ أبي حبيبة ، عن داود بن الحُصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان الملَكُ يتصوّرُ في صورة من يعرفُون ، فيقولُ : إنّي قد دنوتُ منهم وسمعتُهم يقولون : لو حملُوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيءٍ ، إلى غير ذلك من القول ، فذلك قولُه : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية .

وروى البيهقيُّ[٥] ، من طريق سلامة ، عن عُقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن أبي حازمٍ ، عن سهل بن سعدٍ قال : قال أبو أُسيدٍ ، بعدما ذهب بصرُه : يا بن أخي ، والله لو كنتُ أنا وأنت ببدرٍ ، ثُم أطلق اللهُ بصري ، لأريتُك الشّعب الذي خرجت علينا منه الملائكةُ ، من غير شكٍّ ولا تمارٍ .

وروى البخاريُّ[٦] ، عن إبراهيم بن موسى ، عن عبد الوهّاب ، عن خالدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم بدرٍ : « هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسه ، وعليه أداةُ الحرب » .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « تماسكت » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) . ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٢ ـ ٥٣) عن ابن إسحاق بسياق أطول من هذا .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٧) .
(٤) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٧٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٥٣) .
(٦) رواه البخاري (٣٩٩٥) .

وقال الواقديُّ[١] : حدّثنا ابنُ أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وأخبرني موسى بنُ محمد بن إبراهيم التّيميُّ ، عن أبيه ، وحدّثني عائذُ[٢] بنُ يحيى ، عن أبي الحُويرث ، عن عُمارة بن أُكيمة اللّيثيّ[٣] ، عن عكرمة ، عن حكيم بن حزامٍ ، قالوا : لمّا حضر القتالُ ورسولُ الله ﷺ رافعٌ يديه ، يسألُ الله النصر وما وعده ، يقولُ : « اللهمّ إن ظهروا على هذه العصابة ، ظهر الشّركُ ، ولا يقُومُ لك دينٌ » . وأبو بكرٍ يقولُ : والله لينصُرنّك الله ، وليُبيّضنّ وجهك . فأنزل الله ألفاً من الملائكة مُردفين ، عند أكتاف[٤] العدُوّ ، قال رسولُ الله ﷺ : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعتجرٌ بعمامة صفراء ، آخذٌ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلمّا نزل إلى الأرض تغيّب عنّي ساعةً ، ثُمّ طلع وعلى ثناياهُ النّقعُ[٥] ، يقولُ : أتاك نصرُ الله إذ دعوته » .

وروى البيهقيُّ[٦] ، عن أبي أُمامة بن سهلٍ ، عن أبيه قال : يا بُنيّ ، لقد رأيتُنا يوم بدرٍ وإنّ أحدنا ليُشيرُ إلى رأس المُشرك ، فيقعُ رأسُه عن جسده ، قبل أن يصل إليه السيفُ .

وقال ابنُ إسحاق[٧] : حدّثني والدي ، حدّثني رجالٌ من بني مازنٍ ، عن أبي واقدٍ اللّيثيّ قال : إنّي لأتبعُ رجلاً من المشركين لأَضْرِبَهُ ، فوقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنّ غيري قد قتله .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عيسى بن عبد الله التّيميّ ، عن الرّبيع بن أنسٍ قال : كان النّاسُ يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم ، بضربٍ فوق الأعناق وعلى البنان ، مثل سمة النّار وقد أُحرق به[٨] .

وقال ابنُ إسحاق[٩] : حدّثني من لا أتّهمُ ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : كان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائمَ بيضاً قد أرخوها على ظهورهم ، إلّا جبريل فإنّه كانت عليه عمامةٌ صفراءُ .

وقد قال ابنُ عباسٍ[١٠] : لم تُقاتل الملائكةُ في يومٍ سوى يوم بدرٍ من الأيام ، وكانوا يكُونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً ، لا يضربون .

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٥٣ ـ ٥٤) ، ورواه الواقدي في « مغازيه » (١/ ٨١) بروايات عديدة .
(٢) في (آ) و (ط) : « عابد » والتصحيح من « تهذيب الكمال » (١٧/ ٤١٤ ـ ٤١٥) .
(٣) بعده في م : « عن عكرمة » . وهو خطأ .
(٤) وفي « مغازي الواقدي » : « أكناف » .
(٥) النقع : الغبار . انظر « لسان العرب » (نقع) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٥٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٣) ، وإسناده ضعيف .
(٨) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١٧٢) إلى ابن أبي حاتم .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٣) .
(١٠) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٤) .

وقال الواقديُّ[١] : حدثني عبدُ الله بنُ موسى بن أبي أُميّة ، عن مُصعب بن عبد الله ، عن مولىً لسُهيل بن عمروٍ ، سمعتُ سُهيل بن عمروٍ يقولُ : لقد رأيتُ يوم بدرٍ رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ[٢] ، بين السماء والأرض مُعلِمين ، يقتُلون ويأسرُون ، وكان أبو أُسيدٍ يُحدّثُ بعد أن ذهب بصرُه قال : لو كنتُ معكم الآن ببدرٍ ومعي بصري ، لأريتُكم الشّعب الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشُكُّ ولا أمتري .

قال[٣] : وحدّثني خارجةُ بنُ إبراهيم ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ لجبريل : « مَن القائلُ يوم بدرٍ من الملائكة : أقدم حيزُومُ ؟ » . فقال جبريلُ : « يا محمدُ ، ما كُلّ أهل السماء أعرفُ » .

قلتُ : وهذا الأثرُ مُرسلٌ ، وهو يرُدُّ قول من زعم أنّ حيزُوم اسمُ فرس جبريل ، كما قاله السُّهيليُّ وغيرُه[٤] ، والله أعلمُ .

وقال الواقديُّ[٥] : حدّثني إسحاقُ بنُ يحيى ، عن حمزة بن صُهيبٍ ، عن أبيه قال : فما أدري كم يدٍ مقطُوعةٍ ، وضربةٍ جائفةٍ لم يدم كلمُها ، قد رأيتُها يوم بدرٍ .

وحدثني[٦] محمدُ بنُ يحيى ، عن أبي عُفَير[٧] ، عن رافع بن خديجٍ ، عن أبي بُردة بن نيارٍ قال : جئتُ يوم بدرٍ بثلاثة أرؤُسٍ ، فوضعتُهنّ بين يدي رسول الله ﷺ فقلتُ : أمّا رأسان فقتلتُهما ، وأمّا الثالثُ فإنّي رأيتُ رجلاً طويلاً قتله[٨] ، فأخذتُ رأسه . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك فُلانٌ من الملائكة » .

وحدّثني[٩] موسى بنُ محمد بن إبراهيم ، عن أبيه قال : كان السائبُ بنُ أبي حُبيشٍ يُحدّثُ في زمن عُمر يقولُ : والله ما أسرني أحدٌ من الناس . فيقالُ : فمن ؟ يقولُ : لمّا انهزمت قُريشٌ ، انهزمتُ معها ، فأدركني رجلٌ أبيضُ[١٠] طويلٌ ، فأوثقني رباطاً ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ فوجدني مربوطاً ، فنادى في العسكر[١١] : من أسر هذا ؟ [فليس أحدٌ يزعم أنه أسرني][١٢] ، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال :

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٦) .
(٢) البَلَق : سواد وبياض ، وكذا (البُلْقة) يقال : فرس أبلق وفرس بلقاء . « مختار الصحاح » (بلق) .
(٣) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٧) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٥/ ١٣٨ ـ ١٣٩) .
(٥) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٨) .
(٦) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٨ ـ ٧٩) .
(٧) في (آ) و(ط) : « أبي عقيل » . والتصحيح من « المغازي » مصدر المؤلف في نقله ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (٦/ ٢٢٦) ، و« المشتبه في أسماء الرجال » للذهبي (٢/ ٤٨٧) .
(٨) في « المغازي » للواقدي : ((ضربه)) .
(٩) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٧٩) .
(١٠) في (ط) : « أشعر » . وما جاء في (آ) موافق لما في « المغازي » .
(١١) في « المغازي » : « المعسكر » .
(١٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .

« من أسرك ؟ » . قلتُ : لا أعرفُه . وكرهتُ أن أُخبره بالذي رأيتُ . فقال رسولُ الله ﷺ : « أسرك ملَكٌ من الملائكة ، اذهب يا بن عوفٍ بأسيرك » .

وقال الواقديُّ[(١)] : حدثني عائذُ بنُ يحيى ، حدثنا أبو الحُويرث ، عن عُمارة بن أُكيمة ، عن حكيم بن حِزامٍ قال : لقد رأيتُنا يوم بدرٍ ، وقد وقع [بوادي خَلْصٍ][(٢)] بجادٌ[(٣)] من السماء قد سدّ الأُفُق ، فإذا الوادي يسيلُ نَمْلاً[(٤)] ، فوقع في نفسي أنّ هذا شيءٌ من السماء أُيّد به محمدٌ ، فما كانت إلّا الهزيمةُ ، ولقي الملائكة .

وقال إسحاقُ بنُ راهويه[(٥)] : حدّثنا وهبُ بنُ جرير بن حازمٍ ، حدثني أبي عن محمد بن إسحاق ، حدثني أبي ، عن جُبير بن مُطعمٍ قال : رأيتُ قبل هزيمة القوم ، والناسُ يقتتلون ، مثل البجاد الأسود قد نزل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشُكّ أنّها الملائكةُ ، فلم يكُن إلّا هزيمةُ القوم .

ولمّا تنزّلت الملائكةُ للنصر ، ورآهم رسولُ الله ﷺ حين أغفى إغفاءةً ثم استيقظ ، وبشّر بذلك أبا بكرٍ وقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ يقُودُ فرسه ، على ثناياه النّقعُ » . يعني من المعركة ، ثم خرج رسولُ الله ﷺ من العريش في الدّرع ، فجعل يُحرّضُ على القتال ، ويُبشّرُ الناس بالجنة ، ويُشجّعُهم بنزول الملائكة ، والناسُ بعدُ على مصافّهم لم يحملوا على عدوّهم ، حصل لهم السكينة والطُّمأنينةُ ، وقد حصل النُّعاسُ الذي هو دليلٌ على الطمأنينة والثبات والإيمان ، كما قال[(٦)] : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ[(٧)] ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال : ١١] .

وهذا كما حصل لهم بعد ذلك يوم أُحُدٍ بنصّ القرآن ، ولهذا قال ابنُ مسعودٍ[(٨)] : النعاسُ في المصافّ من الإيمان ، والنعاسُ في الصلاة من النِّفاق .

وقال الله تعالى[(٩)] : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١٩] .

---

(١) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٨٠) .
(٢) تكملة استدركتها من « المغازي » مصدر المؤلف .
(٣) البجاد : الكساء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٩٦) .
(٤) في م : « نهلاً » .
(٥) وذكره الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (٢/ ٢١١ ـ ٢١٢) وعزاه إلى إسحاق بن راهويه ، وقال : هذا إسناد حسن إن كان إسحاق بن يسار سمعه من جبير .
(٦) انظر التفسير (٣/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣) .
(٧) في (آ) و(ط) : « يُغَشِّيكُمُ » بضم الياء وتشديد الشين ونصب « النعاس » وهي قراءة ابن عامر وأهل الكوفة وفي قراءة أبي عمرو وابن كثير : « إذا يغشاكم » . انظر « حجة القراءات » ص (٣٠٨) .
(٨) انظر « تفسير الطبري » (٤/ ١٤١ و٩/ ١٩٣) .
(٩) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) .

قال الإمامُ أحمدُ[١] : حدثنا يزيدُ بنُ هارون ، ثنا محمدُ بنُ إسحاق ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أنّ أبا جهلٍ قال حين التقى القومُ : اللهمّ أقْطَعُنا للرّحم ، وآتانا بما لا نعرفُ ، فأحنه الغداة . فكان هو المُستفتِح .

وكذا ذكره ابنُ إسحاق في « السيرة »[٢] .

ورواه النسائيُّ[٣] ، من طريق صالح بن كيسان ، عن الزُّهريّ .

ورواه الحاكمُ[٤] ، من حديث الزُّهريّ أيضاً ، ثم قال : صحيحٌ على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه .

وقال الأُمويُّ[٥] : حدثنا أسباطُ بنُ محمدٍ القرشيُّ ، عن مُطرّفٍ ، عن عطية في قوله : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ . قال : قال أبو جهلٍ : اللهم انصُر أعزّ الفئتين ، وأكرم القبيلتين ، وأكثر الفريقين . فنزلت : ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ .

وقال عليُّ بنُ أبي طلحة[٦] ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] . قال : أقبلت عِيرُ أهل مكة تُريدُ الشام ، فبلغ ذلك أهل المدينة ، فخرجوا ومعهم رسولُ الله ﷺ يُريدون العيـر ، فبلغ ذلك أهل مكة ، فأسرعوا إليها ؛ لكيلا يغلب عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه ، فسبقت العيرُ رسول الله ﷺ ، وكان الله قد وعدهم إحدى الطائفتين ، وكانوا يُحبُّون أن يلقَوُا العير ، وسار رسولُ الله ﷺ بالمسلمين يُريد القوم ، وكره القومُ مسيرهم لشوكة القوم ، فنزل النبيُّ ﷺ والمسلمون ، وبينهم وبين الماء رَملةٌ دِعصةٌ[٧] ، فأصاب المسلمين ضعفٌ شديدٌ ، وألقى الشيطانُ في قلوبهم الغيظ ، يُوسوسُهم : تزعُمون أنّكم أولياءُ الله وفيكم رسولُه ، وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم كذا ؟! فأمطر الله عليهم مطراً شديداً ، فشرب المسلمون وتطهّروا ، فأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، فصار الرملُ لبداً ، ومشى الناسُ عليه والدوابُّ ، فساروا إلى القوم ، وأمدَّ[٨] الله نبيّه ﷺ والمؤمنين بألفٍ من الملائكة ، فكان جبريلُ في خمسمئةٍ من الملائكة مُجنّبةً ، وميكائيلُ في خمسمئةٍ من الملائكة مُجنّبةً ، وجاء إبليسُ في جندٍ من الشياطين ومعه رايتُه[٩] ، وهم في صورة رجالٍ من بني مُدلجٍ ، والشيطانُ في

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٣١) ، وهو حديث صحيح .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٨) .
(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١٢٠١) .
(٤) « المستدرك » (٢/ ٣٢٨) .
(٥) وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٨) .
(٦) وأخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٨٦) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٨ ـ ٧٩) بلفظه .
(٧) الدعصة : المستدير من الرمل . انظر « لسان العرب » (دعص) .
(٨) في (ط) : و« أيد » .
(٩) في (ط) : « ذريته » .

صورة سُراقة بن مالكٍ بن جُعشُمٍ ، وقال الشيطانُ للمشركين : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . فلمّا اصطفّ الناسُ قال أبو جهلٍ : اللهم أولانا بالحقّ فانصُره . ورفع رسولُ الله ﷺ يديه فقال : « يا ربّ ، إن تهلك هذه العصابةُ فلن تُعبد في الأرض أبداً » . فقال له جبريلُ : خُذ قُبضةً من التراب . فأخذ قُبضةً من التراب فرمى بها وجوههم ، فما من المشركين من أحدٍ إلاّ وأصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابٌ من تلك القُبضة ، فولّوا مدبرين ، وأقبل جبريلُ إلى إبليس ، فلمّا رآه ، وكانت يدُه في يد رجلٍ من المشركين ، انتزع إبليسُ يده ثم ولّى مدبراً وشيعتُه ، فقال الرجلُ : يا سُراقةُ ، أما زعمت أنّك لنا جارٌ ؟ قال : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ٤٨] . وذلك حين رأى الملائكة . رواه البيهقيُّ في « الدلائل » .

وقال الطّبرانيُّ[١] : ثنا مسعدةُ بنُ سعدٍ العطّارُ ، ثنا إبراهيمُ بنُ المُنذر الحزاميُّ ، ثنا عبدُ العزيز بنُ عمران ، ثنا هشامُ بنُ سعدٍ ، عن عبد ربّه بن سعيد بن قيسٍ الأنصاريّ ، عن رفاعة بن رافعٍ قال : لمّا رأى إبليسُ ما تفعلُ الملائكةُ بالمشركين يوم بدرٍ ، أشفق أن يخلُص [القتلُ] إليه ، فتشبّث به الحارثُ بنُ هشامٍ وهو يظُنُّ أنّه سُراقةُ بنُ مالكٍ ، فوكز في صدر الحارث فألقاه ، ثم خرج هارباً حتى ألقى نفسه في البحر ، ورفع يديه فقال : اللهم إنّي أسألُك نظرتك إيّاي . وخاف أن يخلُص القتلُ إليه . وأقبل أبو جهلٍ فقال : يا معشر الناس ، لا يهُولنّكم[٢] خذلانُ سُراقة بن مالكٍ ، فإنّه كان على ميعادٍ من محمدٍ ، ولا يهُولنّكم قتلُ شيبة وعُتبة والوليد ، فإنّهم قد عجّلُوا ، فواللاّت والعُزّى لا نرجعُ حتى نفرقهم بالجبال[٣] ، فلا أُلفينّ رجلاً منكم قتل رجلاً ، ولكن خُذُوهم أخذاً حتى تعرِّفوهم سوء صنيعهم ، من مُفارقتهم إيّاكم ، ورغبتهم عن اللاّت والعُزّى . ثم قال أبو جهلٍ مُتمثّلاً : [من الرجز]

ما تنقمُ الحربُ الشّمُوسُ منّي   بازلُ عامين حديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أُمّي

وروى الواقديُّ[٤] ، عن موسى بن يعقوب الزّمْعيّ ، [عن عمّه][٥] ، عن أبي بكر بن أبي سليمان بن[٦] أبي حثمة ، سمعتُ مروان بن الحكم يسألُ حكيم بن حزامٍ عن يوم بدرٍ ، فجعل الشيخُ يكرهُ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٤٥٥٠) وما بين الحاصرتين زيادة منه . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٧٧) : وقال : فيه عبد العزيز بن عمران . وهو ضعيف .
(٢) في « المعجم الكبير » : « يهزمنكم » .
(٣) في (آ) و « معجم الطبراني » : « نفرنهم بالجبال » . وأثبت لفظ (ط) .
(٤) انظر « مغازي الواقدي » (١/ ٩٥) ، وأخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٩ ـ ٨٠) ، من طريق الواقدي به .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « المغازي » و« دلائل النبوة » .
(٦) في (آ) و(ط) : « عن » . وأثبت لفظ « المغازي » .

ذلك ، فألحّ عليه ، فقال حكيمٌ : التقينا فاقتتلنا ، فسمعتُ صوتاً وقع من السماء إلى الأرض ، مثل وقع الحصاة في الطّست ، وقبض النبيُّ ﷺ القبضةَ الترابَ ، فرمى بها فانهزمنا .

قال الواقديُّ[١] : وحدّثنا إسحاقُ بنُ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، سمعتُ نوفل بن مُعاوية الدّيليّ يقولُ : انهزمنا يوم بدرٍ ونحن نسمعُ صوتاً كوقع الحصى في الكأس[٢] ، في أفئدتنا ومن خلفنا ، وكان ذلك من أشدّ الرعب علينا .

وقال الأُمويُّ[٣] : ثنا أبي ، [ثنا ابنُ إسحاق] ، حدّثني الزُّهريُّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، أنّ أبا جهلٍ حين التقى القومُ قال : اللهم أقطعُنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرفُ ، فَأَحِنْهُ الغداة . فكان هو المستفتح . فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجّع الله المسلمين على لقاء عدوّهم ، وقلّلهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسولُ الله ﷺ خفقةً في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكرٍ ، هذا جبريلُ مُعتجرٌ بعمامته ، آخذٌ بعنان فرسه يقُودُه ، على ثناياه النّقعُ ، أتاك نصرُ الله وعِدَتُه » . وأمر رسولُ الله ﷺ فأخذ كفّاً من الحصى بيده ، ثم خرج فاستقبل القوم فقال : « شاهت الوجوهُ » . ثُم نفخهم[٤] بها ، ثم قال لأصحابه : « احملُوا » . فلم تكُن إلّا الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديدهم ، وأسر من أسر منهم .

وقال زيادٌ ، عن ابن إسحاق[٥] : ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حَفنةً من الحصباء ، فاستقبل بها قريشاً ثم قال : « شاهت الوجوهُ » . ثُم نفخهم بها ، وأمر أصحابه فقال : « شُدُّوا » . فكانت الهزيمةُ ، فقتل الله من قتل من صناديد قريشٍ ، وأسر من أسر من أشرافهم .

وقال السُّدّيُّ الكبيرُ : قال رسولُ الله ﷺ لعليٍّ يوم بدرٍ : « أعطني حصىً من الأرض » . فناوله حصىً عليه ترابٌ ، فرمى به في وجوه القوم ، فلم يبق مشركٌ إلّا دخل في عينيه من ذلك التراب شيءٌ ، ثم ردفهم المسلمون يقتُلونهم ويأسرُونهم ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾ وهكذا قال عُروةُ ، وعكرمةُ ، ومجاهدٌ ، ومحمدُ بنُ كعبٍ ، ومحمدُ بنُ قيسٍ ، وقتادةُ ، وابنُ زيدٍ ، وغيرُهم ؛ أنّ هذه الآية نزلت في ذلك يوم بدرٍ . وقد فعل ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، مثل ذلك في غزوة حُنينٍ ، كما سيأتي في موضعه ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله ، وبه الثقةُ .

وذكر ابنُ إسحاق[٦] ، أنّ رسول الله ﷺ لمّا حرّض أصحابه على القتال ، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب ، وهزمهم الله تعالى ، صعِد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكرٍ ، ووقف سعدُ بنُ مُعاذٍ ومن معه

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٩٥) .
(٢) في (ط) : « الطاس » .
(٣) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٢٨) .
(٤) في (ط) : « ثم نفحهم » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .

من الأنصار على باب العريش ومعهم السيوفُ ؛ خيفة أن تكُرّ راجعةٌ من المشركين إلى النبيّ ﷺ .

قال ابنُ إسحاق[١] : ولمّا وضع القومُ أيديهم يأسرُون ، رأى رسولُ الله ﷺ ، فيما ذُكر لي ، في وجه سعد بن مُعاذٍ الكراهية لما يصنعُ الناسُ ، فقال له : « كأنّي بك يا سعدُ تكرهُ ما يصنعُ القومُ ؟ » . قال : أجل والله يا رسول الله ، كانت أول وقعةٍ أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخانُ في القتل أحبّ إليّ من استبقاء الرجال .

قال ابنُ إسحاق[٢] : وحدثني العباسُ بنُ عبد الله بن معبَدٍ ، عن بعض أهله ، عن عبد الله بن عباسٍ ، أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ : « إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشمٍ وغيرهم قد أُخرجُوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشمٍ فلا يقتُله ، ومن لقي أبا البَختريّ بن هشامِ بن الحارث بن أسدٍ فلا يقتُله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ فلا يقتُله ، فإنه إنّما خرج مستكرهاً » . فقال أبو حُذيفة بنُ عُتبة بن ربيعة : أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترُكُ العباس ، والله لئن لقيتُه لألحمنّه بالسيف . فبلغت رسول الله ﷺ فقال لعُمر : « يا أبا حفصٍ ، قال عُمرُ : والله إنّه لأولُ يومٍ كنّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حفصٍ ، أيُضربُ وجهُ عمّ رسول الله بالسيف ؟ » . فقال عمرُ : يا رسول الله ، دعني فلأضربْ عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فقال أبو حُذيفة : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قُلتُ يومئذٍ ، ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تُكفّرها عنّي الشهادةُ ، فقُتل يوم اليمامة شهيداً ، رضي الله عنه .

مقتلُ أبي البختريّ بن هشامٍ

قال ابنُ إسحاق[٣] : وإنّما نهى رسولُ الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ ؛ لأنّه كان أكفّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة ، كان لا يُؤذيه ولا يبلُغُه عنه شيءٌ يكرهُه ، وكان ممن قام في نقض الصحيفة ، فلقيه المُجذّرُ بنُ ذيادٍ البلويُّ حليفُ الأنصار فقال له : إنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك . ومع أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكة ، وهو جُنادةُ بنُ مُليحة ، وهو من بني ليثٍ . قال : وزميلي ؟ فقال له المُجذّرُ : لا والله ، ما نحنُ بتاركي زميلك ، ما أمرنا رسولُ الله إلاّ بك وحدك . قال : لا والله ، إذاً لأمُوتنّ أنا وهو جميعاً ، لا يتحدّثُ عنّي نساءُ قريش مكّة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة .

وقال أبو البختريّ وهو يُنازلُ المُجذّر : [من الرجز]

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠) .

لـن يَتْـرُكَ[١] ابـنُ حُـرّةٍ زميلَـهُ حتـى يمُـوتَ أو يـرى سبيلَـهُ

قال : فاقتتلا . فقتله المُجذَّرُ بنُ ذيادٍ ، وقال في ذلك : [من الرجز]

إمّـا جهلـتَ أو نسيـت نسبـي فـأثبـتِ النّسبـة أنّـي مـن بلـي

الطّـاعنيـن بـرمـاح اليـزنـي[٢] والطّاعنين[٣] الكبش[٤] حتى يَنْحَني

بشّـر بيُتـمٍ مَـن أبـوه البَختـريّ أو بشّـرن بمثلهـا منّـي بنـي

أنـا الـذي يقـالُ أصلـي مـن بلـي أطعُـنُ بـالصّعـدة[٥] حتـى تنثنـي

وأعبـطُ القِـرن بعضـبٍ مشـرفـي أُرزمُ للمـوت كـإرزام المـرِي

فلا يَرى مُجذّراً يفري فري

ثم أتى المُجذَّرُ رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحقّ ، لقد جَهِدْتُ عليه أن يستأسر فآتيك به ، فأبى إلّا أن يُقاتلني ، فقاتلتُه فقتلتُه .

فصل
[في مقتل أُميّة بن خلفٍ][٦]

قال ابنُ إسحاق[٧] : وحدّثني يحيى بنُ عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، وحدّثنيه أيضاً عبدُ الله ابنُ أبي بكرٍ وغيرُهما ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كان أُميّةُ بنُ خلفٍ لي صديقاً بمكّة ، وكان اسمي عبد عمروٍ ، فسمِّيْتُ[٨] حين أسلمتُ : عبد الرحمن ، فكان يلقاني إذ نحنُ بمكّة فيقولُ : يا عبد عمروٍ ، أرغبتَ عن اسمٍ سمّاكه أَبُوكَ[٩] ؟ قال : فأقولُ : نعم . قال : فإنّي لا أعرفُ الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعُوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبُني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرفُ . قال : وكان إذا دعاني : يا عبد عمروٍ ، لم أُجبه . قال : فقلتُ له : يا أبا عليٍّ ، اجعل ما شئت . قال : فأنت عبدُ الإله .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « لن يُسلم » .
(٢) اليزني : نسبة إلى ذي يزن ، ملك من ملوك اليمن .
(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « والضاربين » .
(٤) الكبش : سيد القوم . انظر « مختار الصحاح » (كبش) .
(٥) الصعدة : عصا الرّمح ، ثم سمي الرمح صعدة . « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٧) .
(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣١) .
(٨) كذا في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٥١) : « فسميت » ، وفي (ط) : « فتسمّيت » .
(٩) كذا في (آ) و(ط) : « أبوك » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « أبواك » .

قال : قلتُ : نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأُجيبُه فأتحدّثُ معه ، حتى إذا كان يومُ بدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه عليٍّ ، وهو آخذٌ بيده . قال : ومعي أدراعٌ لي قد استلبتُها ، فأنا أحملُها ، فلمّا رآني قال : يا عبد عمروٍ . فلم أُجبه . فقال : يا عبد الإله . فقلتُ : نعم . قال : هل لك فيّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قال : قلتُ : نعم ، ها الله [ذا][١] . قال : فطرحتُ الأدراعَ من يدي ، وأخذتُ بيده وبيد ابنه ، وهو يقولُ : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللَّبن[٢] ؟ ثُم خرجت أمشي بهما .

قال ابنُ إسحاق[٣] : حدّثني عبدُ الواحد بنُ أبي عونٍ ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : قال لي أُميّةُ بنُ خلفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ منكم ، المُعلَمُ بريشة نعامةٍ في صدره ؟ قال : قلتُ : حمزةُ . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدُ الرحمن : فوالله إنّي لأقودُهما إذ رآه بلالٌ معي ؛ وكان هو الذي يُعذّبُ بلالاً بمكّة على [ترك][٤] الإسلام ، فلمّا رآه قال : رأسُ الكُفر أُميّةُ بنُ خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . قال : قلتُ : أي بلالُ ، أسيريَّ ؟ . قال : لا نجوتُ إن نجا . قال : ثُم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أُميّةُ بن خلفٍ ، لا نجوتُ إن نجا . فأحاطُوا بنا حتى جعلُونا في مثل المَسَكَةِ[٥] ، فأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلف رجلٌ السيف ، فضرب رجل ابنه فوقع ، وصاح أُميّةُ صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ . قال : قلتُ : انجُ بنفسك ولا نجاء ، فوالله ما أُغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما[٦] بأسيافهم حتى فرغُوا منهما . قال : فكان عبدُ الرحمن يقولُ : يرحمُ الله بلالاً ، فجعني بأدراعي وبأسيريّ .

وهكذا رواه البخاريُّ في « صحيحه »[٧] قريباً من هذا السّياق ، فقال في الوكالة : حدّثنا عبدُ العزيز ، هو ابنُ عبد الله ـ حدّثنا يوسفُ ـ هو ابنُ الماجشُون عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الرحمن بن عوفٍ قال : كاتبتُ أُميّة بن خلفٍ كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[٨] بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلمّا ذكرتُ الرحمن قال : لا أعرفُ الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهليّة . فكاتبتُه عبد عمروٍ ، فلمّا كان يومُ بدرٍ ، خرجتُ إلى جبلٍ لأُحرزه حين نام الناسُ ، فأبصره

---

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفي « تاريخ الطبري » : « هلم إذاً » .
(٢) قال ابن هشام : يريد باللبن : أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن . انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٣١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٢) .
(٤) ما بين الحاصرتين مستدرك من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٢) .
(٥) أي : جعلونا في حلقة كالسوار ، وأحدقوا بنا . « النهاية » (٤/ ٣٣١) .
(٦) أي : قطعوا لحمهما . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) .
(٧) رواه البخاري رقم (٢٣٠١) .
(٨) الصاغية : بصاد مهملة وغين معجمة ، خاصة الرجل . عن « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني (٥/ ٢٤٨) .

بلالٌ ، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار فقال : أُميّةُ بنُ خلف ؟! لا نجوتُ إن نجا أُميّةُ ، فخرج معه فريقٌ من الأنصار في آثارنا ، فلمّا خشيتُ أن يلحقُونا ، خلّفتُ لهم ابنه لأشغلهم فقتلُوه ، ثم أتوا حتى تبعُونا ، وكان رجُلاً ثقيلاً ، فلمّا أدركُونا قلتُ له : ابرُك . فبرك فألقيتُ عليه نفسي لأمنعه ، فتخلّلُوه بالسُّيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدُهم رجلي بسيفه . فكان عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ يُرينا ذلك الأثر[١] في ظهر قدمه .

سمع يوسفُ صالحاً ، وإبراهيمُ أباه . تفرّد به البخاريُّ من بينهم كلّهم .

وفي مُسند رفاعة بن رافعٍ[٢] ، أنّه هو[٣] الذي قتل أُميّة بن خلفٍ .

مقتلُ أبي جهلٍ ، لعنه الله

قال ابنُ هشامٍ[٤] : وأقبل أبو جهلٍ يومئذٍ يرتجزُ [وهو يقاتل][٥] ويقولُ : [من الرجز]

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ منّي   بازلُ عامين حديثٌ سنّي
لمثل هذا ولدتني أُمّي

قال ابنُ إسحاق[٦] : ولمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من عدُوّه ، أمر بأبي جهلٍ أن يُلتمس في القتلى ، وكان أوّلُ من لقي أبا جهلٍ ، كما حدّثني ثورُ بنُ زيدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، وعبدُ الله بنُ أبي بكرٍ أيضاً قد حدّثني ذلك ، قالا : قال مُعاذُ بنُ عمروٍ بن الجمُوح أخو بني سلمة : سمعتُ القوم ، وأبو جهلٍ في مثل الحرجة[٧] ، وهم يقُولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه . فلمّا سمعتُها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ[٨] نحوه ، فلمّا أمكنني ، حملتُ عليه فضربتُه ضربةً أطنّت قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتُها حين طاحت ، إلّا بالنّواة تطيحُ من تحت مرضخة النّوى حين يُضربُ بها . قال : وضربني ابنُه عكرمةُ على عاتقي ، فطرح يدي فتعلّقت بجلدةٍ من جنبي ، وأجهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلتُ عامّة يومي وإنّي لأسحبُها خلفي ، فلمّا آذتني وضعتُ عليها قدمي ، ثُم تمطّيتُ بها عليها حتى طرحتُها ـ قال ابنُ

---

(١) لفظ « الأثر » سقط من (ط) وانفردت به (آ) .
(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤٥٣٥) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٢) وعزاه للطبراني ، وقال : وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف .
(٣) أي : رافع بن مالك والد رفاعة .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤) .
(٥) زيادة من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥) .
(٧) قال ابن هشام : الحرجة : الشجر الملتفّ .
(٨) أي : قصدت .

إسحاق[١] : ثُم عاش بعد ذلك حتى كان زمنُ عثمان ، ثُم مرّ بأبي جهلٍ ، وهو عقيرٌ[٢] ، مُعوّذُ بنُ عفراء فضربه حتى أثبته ، وتركه وبه رمقٌ ، وقاتل مُعوّذٌ حتى قُتل ، فمرّ عبدُ الله بنُ مسعودٍ بأبي جهلٍ ، حين أمر رسولُ الله ﷺ أن يُلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « انظُرُوا ، إن خفي عليكم في القتلى ، إلى أثر جُرحٍ في رُكبته ، فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحنُ غُلامان ، وكنتُ أشفّ منه بيسيرٍ ، فدفعتُه فوقع على رُكبتيه فجُحش في إحداهما جحشاً لم يزل أثرُه به . قال ابنُ مسعودٍ : فوجدتُه بآخر رمقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عُنُقه ، قال : وقد كان ضبث[٣] بي مرّةً بمكّة ، فآذاني ولكزني ، ثُم قلتُ له : هل أخزاك الله يا عدُوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟! قال : أعمَدُ من رجُلٍ قتلتُموه ، أخبرني لمن الدّائرةُ اليوم ؟ قال : قلتُ : لله ولرسوله .

قال ابنُ إسحاق[٤] : وزعم رجالٌ من بني مخزُومٍ ، أنّ ابن مسعودٍ كان يقولُ : قال لي[٥] : لقد ارتقيتَ مُرتقىً صعباً يا رُويعي الغنم . قال : ثُم احتززتُ رأسه ، ثُم جئتُ به رسول الله ﷺ فقلتُ : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوّ الله .

فقال : « الله الذي لا إله غيرُه ؟ » . وكانت يمينَ رسول الله ﷺ ، فقلتُ : نعم ، والله الذي لا إله غيرُه . ثُم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله . هكذا ذكر ابنُ إسحاق ، رحمه الله .

وقد ثبت في «الصحيحين»[٦] ، من طريق يوسف بن يعقوب بن الماجشُون، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوفٍ قال : إنّي لواقفٌ يوم بدرٍ في الصفّ ، فنظرتُ عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غُلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما ، فتمنّيتُ أن أكُون بين أَظلَعَ منهما ، فغمزني أحدُهما فقال : يا عمّ ، أتعرفُ أبا جهلٍ ؟ فقلتُ : نعم ، وما حاجتُك إليه ؟ قال : أُخبرتُ أنّه يسُبُّ رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه ، لا يُفارقُ سوادي سوادَه حتى يموت الأعجلُ منّا .

فتعجّبتُ لذلك ، فغمزني الآخرُ فقال لي أيضاً مثلها ، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهلٍ وهو يجُولُ في الناس ، فقلتُ : ألا تريان ؟ هذا صاحبُكم الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى النبيّ ﷺ فأخبراه فقال : « أيُّكما قتله ؟ » . قال كُلٌّ منهما : أنا قتلتُه . قال : « هل مسحتُما سيفيكُما ؟ » . قالا : لا . قال : فنظر النبيُّ ﷺ في السيفين فقال : « كلاكُما قتله » . وقضى بسلبه لمُعاذ بن عمروٍ بن الجمُوح ، والآخرُ مُعاذُ ابنُ عفراء .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) .
(٢) أي : جريح .
(٣) ضبث : قبض .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٦) ، و« تاريخ الطبري » (٢/ ٤٥٥) .
(٥) يعني أبو جهل ، لعنه الله .
(٦) رواه البخاري (٣١٤١) ومسلم (١٧٥٢) .

وقال البخاريُّ[١] : حدّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيم ، ثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : قال عبدُ الرحمن : إنّي لفي الصّفّ يوم بدرٍ ، إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السّنّ ، فكأنّي لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدُهما سراً من صاحبه : يا عمّ ، أرني أبا جهلٍ . فقلتُ : يا بن أخي ، وما تصنعُ به ؟ قال : عاهدتُ الله إن رأيتُه ، أن أقتُله أو أموت دونه . فقال لي الآخرُ سراً من صاحبه مثله . قال : فما سرّني أنّي بين رجُلين مكانهما ، فأشرتُ لهما إليه ، فشدّا عليه مثل الصّقرين حتى ضرباه ، وهما ابنا عفراء .

وفي « الصحيحين »[٢] أيضاً ، من حديث سُليمان التّيميّ ، عن أنس بن مالكٍ قال : قال رسولُ الله ﷺ : « من ينظُرُ ما صنع أبو جهلٍ ؟ » . قال ابنُ مسعودٍ : أنا يا رسول الله . فانطلق ، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد . قال : فأخذ بلحيته . قال : فقلتُ : أنت أبو جهلٍ ؟ فقال : وهل فوق رجلٍ قتلتُموه . أو قال : قتله قومُه .

وعند البخاريّ[٣] ، عن أبي أُسامة ، عن إسماعيل ، عن قيسٍ[٤] ، عن ابن مسعودٍ ، أنّه أتى أبا جهلٍ فقال : قد أخزاك الله ؟[٥] فقال : هل أعمَد من رجلٍ قتلتُموه .

وقال الأعمشُ[٦] ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله قال : انتهيتُ إلى أبي جهلٍ وهو صريعٌ وعليه بيضةٌ ومعه سيفٌ جيّدٌ ، ومعي سيفٌ رديءٌ ، فجعلتُ أنقُفُ رأسه بسيفي وأذكُرُ نقفاً كان ينقُفُ رأسي بمكّة ، حتى ضعُفتْ يدُه ، فأخذتُ سيفه ، فرفع رأسه فقال : على من كانت الدّائرةُ ؛ لنا أو علينا ؟ ألستَ رُويعينا بمكّة ؟ قال : فقتلتُه ثُم أتيتُ النّبيّ ﷺ فقلتُ : قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلاّ هو ؟ » . فَاسْتَحْلَفني ثلاث مرّاتٍ ، ثُم قام معي إليهم فدعا عليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[٧] : حدّثنا وكيعٌ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة قال : قال عبدُ الله : انتهيتُ إلى أبي جهلٍ يوم بدرٍ وقد ضُربت رجلُه [وهو صريع][٨] ، وهو يذُبُّ الناس عنه بسيفٍ له ، فقلتُ : الحمدُ لله الذي أخزاك الله يا عدُوّ الله . قال : هل هو إلاّ رجلٌ قتله قومُه ، قال : فجعلتُ

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٨) .
(٢) رواه البخاري (٣٩٦٢) و(٣٩٦٣) و(٤٠٢٠) ومسلم (١٨٠٠) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٦١) .
(٤) في (آ) و(ط) : « عن إسماعيل بن قيس » وهو خطأ ، والتصحيح من « صحيح البخاري » .
(٥) في (ط) : « هل أخذاك الله ؟ » .
(٦) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨٤٧٠) ، من طريق الأعمش به ، وإسناده ضعيف .
(٧) رواه أحمد في المسند (١/ ٤٤٤) ، وإسناده ضعيف .
(٨) زيادة من « مسند الإمام أحمد » .

أتناولُه بسيفٍ لي غير طائلٍ ، فأصبتُ يده ، فندر[١] سيفُه ، فأخذتُه فضربتُه حتى قتلتُه . قال : ثُم خرجتُ حتى أتيتُ النبيّ ﷺ كأنّما أُقَلُّ من الأرض ، فأخبرتُه فقال : « الله الذي لا إله إلّا هو ؟ » . فردّدها ثلاثاً . قال : قلتُ : الله الذي لا إله إلّا هو . قال : فخرج يمشي معي حتى قام عليه فقال : « الحمدُ لله الذي قد أخزاك الله يا عدُوّ الله ، هذا كان فرعون هذه الأُمّة » .

وفي روايةٍ أُخرى : قال ابنُ مسعودٍ : فنفَلني سيفه .

وقال أبو إسحاق الفزاريُّ[٢] ، عن الثّوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن ابن مسعودٍ قال : أتيتُ رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، فقلتُ : قد قتلتُ أبا جهلٍ . فقال : « الله الذي لا إله إلّا هو ؟ » . فقلتُ : الله الذي لا إله إلّا هو . مرّتين أو ثلاثاً . قال : فقال النبيُّ ﷺ : « الله أكبرُ ، الحمدُ لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثُم قال : « انطلق فأرنيه » . فانطلقتُ فأريتُه فقال : « هذا فرعونُ هذه الأُمّة » .

ورواه أبو داود ، والنّسائيُّ . من حديث أبي إسحاق السّبيعيّ به[٣] .

وقال الواقديُّ : وقف رسولُ الله ﷺ على مصرع ابني عفراء فقال : « رحم الله ابني عفراء ، فهما شُركاءُ في قتل فرعون هذه الأُمّة ورأس أئمّة الكُفر » . فقيل : يا رسول الله ، ومن قتله معهما ؟ قال : « الملائكةُ ، وابنُ مسعودٍ قد شرك في قتله » رواه البيهقيُّ[٤] .

وقال البيهقيُّ[٥] : أخبرنا الحاكمُ ، أخبرنا الأصمُّ ، حدّثنا أحمدُ بنُ عبد الجبار ، حدّثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عنبسة بن الأزهر ، عن أبي إسحاق قال : لمّا جاء رسولَ الله ﷺ البشيرُ يوم بدرٍ بقتل أبي جهلٍ ، استحلفه ثلاثة أيمانٍ بالله الذي لا إله إلّا هو ، لقد رأيتَه قتيلاً ؟ فحلف له ، فخرّ رسولُ الله ﷺ ساجداً .

ثُم روى البيهقيُّ[٦] ، من طريق أبي نُعيمٍ ، عن سلمة بن رجاءٍ ، عن الشّعثاءِ ؛ امرأةٍ من بني أسدٍ ، عن عبد الله بن أبي أوفى ، أنّ رسول الله ﷺ صلّى ركعتين ؛ حين بُشّر بالفتح ، وحين جيء برأس أبي جهلٍ .

وقال ابنُ ماجه[٧] : حدّثنا أبو بشرٍ بكرُ بنُ خلفٍ ، حدّثنا سلمةُ بنُ رجاءٍ قال : حدّثتني شعثاءُ ، عن

---

(١) أي : سقط .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٤٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) رواه أبو داود (٢٧٠٩) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٧٠) وهو حديث حسن .

(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٨-٨٩) .

(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩) .

(٦) في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩) .

(٧) رواه ابن ماجه (١٣٩١) ، وإسناده ضعيف .

عبد الله بن أبي أوفى ، أنّ رسول الله ﷺ صلّى يوم بُشّر برأس أبي جهلٍ ركعتين .

وقال ابنُ أبي الدُّنيا[(١)] : حدّثنا أبي ، حدّثنا هُشيمٌ[(٢)] ، أخبرنا مُجالدٌ ، عن الشّعبيّ ، أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إنّي مررتُ ببدرٍ فرأيتُ رجلاً يَخْرُجُ من الأرض ، فيضربُه رجلٌ بمقمعةٍ معه حتى يغيب في الأرض ، ثُم يخرُجُ فيفعلُ به مثل ذلك مراراً . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهل بنُ هشامٍ يُعذّبُ إلى يوم القيامة » .

وقال الأُمويُّ في « مغازيه » : سمعتُ أبي ، ثنا المُجالدُ بنُ سعيدٍ ، عن عامرٍ قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : إنّي رأيتُ رجلاً جالساً في بدر ، ورجلٌ يضربُ رأسه بعمودٍ من حديدٍ ، حتى يغيب في الأرض . فقال رسولُ الله ﷺ : « ذاك أبو جهلٍ ، وُكّل به ملَكٌ يفعلُ به كلّما خرج ، فهو يتجلجلُ[(٣)] فيها إلى يوم القيامة »[(٤)] .

وقال البخاريُّ[(٥)] : حدّثنا عُبيدُ بنُ إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : قال الزُّبيرُ : لقيتُ يوم بدرٍ عُبيدة بن سعيدٍ بن العاص ، وهو مُدجّجٌ لا يُرى منه إلاّ عيناه ، وهو يُكنى أبا ذات الكرش ، فقال : [أنا][(٦)] أبو ذات الكرش . فحملتُ عليه بعنَزةٍ ، فطعنتُه في عينه فمات . قال هشامٌ : فأُخبرتُ أنّ الزُّبير قال : لقد وضعتُ رجلي عليه ، ثُم تمطّيتُ فكان الجهد أن نزعتُها ، وقد انثنى طرفاها . قال عُروةُ : فسأله إيّاها رسولُ الله ﷺ فأعطاه [إيّاها][(٧)] ، فلمّا قُبض رسولُ الله ﷺ أخذها ، ثُم طلبها أبو بكرٍ ، فأعطاه ، فلمّا قُبض أبو بكرٍ سألها إيّاه عمرُ ، فأعطاه إيّاها ، فلمّا قُبض عمرُ أخذها ، ثُم طلبها عثمانُ منه ، فأعطاه إيّاها ، فلمّا قُتل عثمانُ وقعت عند آل عليٍّ ، فطلبها عبدُ الله بنُ الزُّبير ، فكانت عنده حتى قُتل .

وقال ابنُ هشامٍ[(٨)] : حدّثني أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازي ، أنّ عُمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص ، ومرّ به : إنّي أراك كأنّ في نفسك شيئاً ، أراك تظُنُّ أنّي قتلتُ أباك ، إنّي لو قتلتُه لم أعتذر إليك من قتله ، ولكنّي قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المُغيرة ، فأمّا أبوك فإنّي مررتُ به وهو

---

(١) ورواه أيضاً البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٨٩-٩٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في (آ) و(ط) : « هشام » وهو خطأ ، والصواب ما أثبته وانظر « تهذيب الكمال » (٣٠/ ٢٧٢) و(٢٧/ ٢١٩) .
(٣) أي : يغوص في الأرض حين يخسف به . انظر « النهاية » (١/ ٢٨٤) .
(٤) وإسناده ضعيف .
(٥) رواه البخاري (٣٩٩٨) .
(٦) لفظ « أنا » سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) لفظ « إياها » سقط (آ) وأثبته من (ط) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧) .

يبحثُ بحث الثّور برَوقه[١] ، فحِدتُ عنه ، وقصد له ابنُ عمّه عليٌّ فقتله .

قال ابنُ إسحـاق[٢] : وقاتل عُكّاشةُ بنُ محصن بن حُـرثان الأسديُّ ، حليفُ بني عبد شمسٍ ، يوم بدرٍ بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأعطـاه جـذْلاً من حطبٍ فقـال : « قاتل بهذا يا عُكّاشةُ » فلمّا أخذه من رسول الله ﷺ هزّه ، فعاد سيفاً في يده طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيفُ يُسمّى العون ، ثُم لم يزل عنده يشهدُ به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتله طُليحةُ الأسديُّ أيام الرّدّة ، وأنشد طُليحةُ في ذلك قصيدةً ، منها قولُه : [من الطويل]

عشيّة غادرتُ ابنَ أقرم ثاوياً وعُكّـاشـةَ الغنمـيَّ عنـد مجـال

وقد أسلم بعد ذلك طُليحةُ ، كما سيأتي بيانُه .

قال ابنُ إسحاق[٣] : وعُكّاشةُ هو الذي قال ، حين بشّر رسولُ الله ﷺ أُمّته بسبعين ألفاً يدخُلُون الجنة بغير حسابٍ[٤] ولا عذابٍ : ادعُ الله أن يجعلني منهم . قال : « اللهمّ اجعله منهم » . وهذا الحديثُ مُخرّجٌ في الصّحاح والحسان وغيرها[٥] .

قال ابنُ إسحاق[٦] : وقال رسولُ الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « منّا خيرُ فارسٍ في العرب » . قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : « عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ » فقال ضرارُ بنُ الأزور الأسديُّ : ذاك رجلٌ منّا يا رسول الله . قال : « ليس منكم ولكنّهُ منّا[٧] » . للحلف .

وقد روى البيهقيُّ[٨] عن الحاكم ، من طريق محمد بن عُمر الواقديّ ، حدّثني عمرُ بنُ عثمان الجَحْشيُّ[٩] عن أبيه ، عن عمّته قالت : قال عُكّاشةُ بنُ مِحصَنٍ : انقطع سيفي يومَ بدرٍ ، فأعطاني رسولُ الله ﷺ عُوداً ، فإذا هو سيفٌ أبيضُ طويلٌ ، فقاتلتُ به حتى هزم الله المُشركين ، ولم يزل عنده حتى هلك .

---

(١) الروق : القرن . انظر « القاموس المحيط » (روق) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٣٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٤) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٣٥) طبع دار ابن كثير .
(٥) رواه البخاري (٥٧٠٥) و(٥٧٥٢) و(٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٧) لفظ « منّا » سقط من (آ) وأثبته من (ط) .
(٨) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩) .
(٩) تحرفت في (ط) إلى : « الخشني » والصواب ما جاء في (آ) .

وقال الواقديُّ[1] : وحدّثني أسامةُ بنُ زيدٍ ، عن داود بن الحُصين ، عن رجالٍ من بني عبد الأشهل عدّةٍ قالوا : انكسر سيفُ سلمة بن حريشٍ يوم بدرٍ ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طابٍ ، فقال : « اضرب به » . فإذا هو[2] سيفٌ جيّدٌ ، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبيدٍ[3] .

ردُّه ، عليه السلامُ ، عين قتادة

قال البيهقيُّ في « الدلائل »[4] : أخبرنا أبو سعدٍ المالينيُّ ، أخبرنا أبو أحمد بنُ عديٍّ ، حدّثنا أبو يعلى ، حدّثنا يحيى الحِمّاني ، ثنا عبدُ الرحمن بنُ سليمان ، ابنُ الغسيل ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أبيه ، عن جدّه قتادة بن النُّعمان ، أنّه أُصيبت عينُه يوم بدرٍ ، فسالت حدقتُه على وجنته ، فأرادوا أن يقطعُوها ، فسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » . فدعاه فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدري أيَّ عينيه أُصيبت .

وفي روايةٍ[5] : فكانت أحسن عينيه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عُمر بن عبد العزيز ، أنّه لمّا أخبره بهذا الحديث عاصمُ بنُ عمر بن قتادة ، وأنشد مع ذلك : [من الطويل]

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدّ عَيْنُهُ ... فـرُدّت بكـفّ المُصطفـى أيّمـا ردّ[6]

فقال عمرُ بنُ عبد العزيز ، رحمه الله ، عند ذلك مُنشداً قول أُميّة بن أبي الصّلت في سيف بن ذي يزن ، فأنشده عمرُ في موضعه : حقّاً . [من البسيط]

تلك المكارمُ لا قَعبان من لبنٍ ... شيبـا بمـاءٍ فعـادا بعـدُ أبـوالا

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٩٣ ـ ٩٤) .

(٢) لفظ ((هو)) سقط من (ط) .

(٣) وجسر أبي عبيد هذا على مرحلتين من الكوفة وبه جرت معركة شهيرة بين المسلمين والفرس سنة (١٤هـ) وقيل سنة (١٣هـ) . انظر « معجم البلدان » (٢/ ١٤٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٦٠) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩ ـ ١٠٠) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص (٣٠٧) .

(٦) البيت في « شذرات الذهب » (١/ ١٨٠) وفيه : « . . . أحسن الرَّدِّ » .

فصلٌ

قصةٌ أُخرى شبيهةٌ بها

قال البيهقيُّ[١] : أنا أبو عبد الله الحافظُ ، أنا محمدُ بنُ صالحٍ ، أنا الفضلُ بنُ محمدٍ الشّعرانيُّ ، ثنا إبراهيمُ بنُ المنذر ، أخبرنا عبدُ العزيز بنُ عمران ، حدّثني رفاعةُ بنُ يحيى ، عن مُعاذ بن رفاعة بن رافعٍ ، عن أبيه رفاعة بن رافع بن مالكٍ ، عن أبيه قال : لمّا كان يومُ بدرٍ تجمّع الناسُ على أُميّة[٢] بن خلفٍ ، فأقبلتُ إليه ، فنظرتُ إلى قطعةٍ من درعه قد انقطعت من تحت إبطه . قال : فطعنتُه بالسيف فيها طعنةً قَطَعَتْهُ[٣] ، ورُميتُ بسهمٍ يوم بدرٍ ، ففُقئت عيني فبصق فيها رسولُ الله ﷺ ودعا لي ، فما آذاني منها شيءٌ . وهذا غريبٌ من هذا الوجه ، وإسنادُه جيّدٌ ، ولم يُخرجُوه[٤] .

ورواه الطّبرانيُّ من حديث إبراهيم بن المُنذر .

قال ابنُ هشامٍ[٥] : ونادى أبو بكرٍ ابنه عبد الرحمن وهو يومئذٍ مع المشركين لم يُسلم بعدُ ، فقال : أين مالي يا خبيثُ ؟ فقال عبدُ الرحمن : [من الرجز]

لم يبق إلا شكّةٌ ويعبُوبْ وصارمٌ يقتُلُ ضُلاّل الشّيبْ

يعني لم يبق إلاّ عُدّةُ الحرب ، وحِصانٌ ـ وهو اليعبُوبُ ـ يقاتلُ عليه شيوخ الضلالة ، هذا يقولُه في حال كفره .

وقد روينا في « مغازي الأمويّ » أنّ رسول الله ﷺ جعل يمشي يوم بدرٍ هو وأبو بكرٍ الصّدّيقُ بين القتلى ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ : [من الطويل]

نُفلّــقُ هــامــاً ....

فيقولُ الصديقُ[٦] :

... مــن رجــالٍ أعــزّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٠) .

(٢) في (آ) و(ط) : « أبي » . والتصحيح من « دلائل النبوة » .

(٣) لفظ « قطعته » سقط من (ط) .

(٤) انظر « المستدرك على الصحيحين » (٣/ ٢٣٢) ، وقال الحافظ الذهبي في تلخيصه : عبد العزيز بن عمران ضعّفوه .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٣٨) .

(٦) يكمل أبو بكر رضي الله عنه ما قاله رسول الله ﷺ من شعر حصين بن الحمام . انظر « الشعر والشعراء » (٢/ ٦٤٨) .

والحديث ذكره المؤلف في « تفسيره » (٣/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) .

ذكر طرح رؤوس الكفر في بئرٍ [يومَ][(١)] بدرٍ

قال ابن إسحاق[(٢)] : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب[(٣)] ، طرحوا فيه إلاّ ما كان من أميّة بن خلفٍ ، فإنّه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليخرجوه فتزايل[(٤)] [لحمه][(٥)] ؛ فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة ، فلمّا ألقاهم في القليب وقف عليهم [رسول الله ﷺ][(٦)] فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقّاً » . قال : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟! فقال : « لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقٌّ » . قالت عائشة : والناس يقولون : « لقد سمعوا ما قلت لهم » . وإنما قال رسول الله ﷺ : « لقد علموا » .

قال ابن إسحاق[(٧)] : وحدثني حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ ، قال : سمع أصحاب النبيّ ﷺ رسول الله من جوف الليل وهو يقول : « يا أهل القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا أميّة بن خلفٍ ، ويا أبا جهل بن هشامٍ ـ فعدّد من كان منهم في القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربي حقاً » . فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتنادي قوماً قد جيّفوا ؟! فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يجيبوني » .

وقد رواه الإمام أحمد[(٨)] ، عن ابن أبي عديٍّ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ، فذكر نحوه ، وهذا على شرط الشيخين .

قال ابن إسحاق[(٩)] : وحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله ﷺ قال : « يا أهل القليب ، بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيّكم ؛ كذّبتموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، هل وجدتم ماوعدكم ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً » .

قلت : وهذا ممّا كانت عائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله عنها ، تتأوّله من الأحاديث ـ كما قد جمع ما

---

(١) سقط لفظ « يوم » في (آ) وأثبته من (ط) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩) .
(٣) القليب : البئر . « القاموس المحيط » (قلب) .
(٤) تزايل : تفرق . عن حاشية « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٥) سقط لفظ « لحمه » من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٨) .
(٦) ما بين الحاصرتين تكملة لازمة من « السيرة النبوية » (١/ ٦٣٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩) .

كانت تتأوّله من الأحاديث في جزء- وتعتقد أنّه معارضٌ لبعض الآيات ، وهذا المقام مما كانت تعارض فيه قوله : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] . وليس هو بمعارضٍ له ، والصواب قول الجمهور من الصحابة ومن بعدهم ؛ للأحاديث الدّالة نصّاً على خلاف ما ذهبت إليه ، رضي الله عنها وأرضاها .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا عبيد بن إسماعيل ، حدّثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : ذكر عند عائشة ، رضي الله عنها ، أنّ ابن عمر رفع إلى النبيّ ﷺ : « إنّ الميّت يعذّب في قبره ببكاء أهله » . فقالت : وَهَل[٢] ، رحمه الله ، إنّما قال رسول الله ﷺ : « إنّه ليعذّب بخطيئته وذنبه ، وإنّ أهله ليبكون عليه الآن » . قالت[٣] : وذاك مثل قوله : إنّ رسول الله ﷺ قام على القليب وفيه قتلى بدرٍ من المشركين ، فقال لهم ما قال ، قال : « إنّهم ليسمعون ما أقول » . وإنّما قال : « إنّهم الآن ليعلمون أنّ ما كنت أقول لهم حقٌّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [النمل : ٨٠] . ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] تقول : حين تبوّؤوا مقاعدهم من النار .

وقد رواه مسلمٌ[٤] عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة به .

وقد جاء التصريح بسماع الميّت بعد دفنه في غير ما حديثٍ[٥] ، كما سنقرّر ذلك في كتاب الجنائز من « الأحكام الكبير » إن شاء الله .

ثم قال البخاريّ[٦] : حدّثني عثمان ، ثنا عبدة ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : وقف النبيّ ﷺ على قليب بدرٍ ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ » . ثم قال : « إنّهم الآن يسمعون ما أقول لهم » . وذكر لعائشة فقالت : إنّما قال النبيّ ﷺ : « إنّهم الآن ليعلمون أنّ الذي كنت أقول لهم هو الحقّ » . ثم قرأت : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ حتى قرأت الآية .

وقد رواه مسلمٌ عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة ، وعن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيعٍ ، كلاهما عن هشام بن عروة[٧] .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٨) .
(٢) لفظ « وَهَلَ » سقط من (ط) .
(٣) رواه البخاري (٣٩٧٩) .
(٤) رواه مسلم (٩٣٢) .
(٥) كقوله ﷺ : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان » رواه البخاري رقم (١٣٣٨) و(١٣٧٤) ومسلم رقم (٢٨٧٠) (٧٠) و(٧١) وأبو داود (٣٢٣١) والنسائي (٧/ ٩٧) ، من حديث أنس رضي الله عنه .
(٦) رواه البخاري (٣٩٨٠) و(٣٩٨١) .
(٧) رواه مسلم (٩٣٢) .

وقال البخاريّ[(١)] : حدّثنا عبد الله بن محمدٍ ، سمع روح بن عبادة ، ثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنس بن مالكٍ ، عن أبي طلحة ، أنّ رسول الله ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعةٍ وعشرين رجلاً من صناديد قريشٍ ، فقذفوا في طويٍّ من أطواء[(٢)] بدرٍ خبيثٍ مخبثٍ ، وكان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعَرْصة ثلاث ليالٍ ، فلما كان ببدرٍ اليوم الثالث ، أمر براحلته فشدّ عليها رحلها ، ثم مشى واتّبعه أصحابه وقالوا : ما نرى ينطلق إلاّ لبعض حاجته . حتى قام على شفة الرّكيّ[(٣)] ، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ؛ يا فلان بن فلانٍ ، ويا فلان بن فلانٍ : « أيسرّكم أنّكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً ، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ » . فقال عمر : يا رسول الله ، ما تكلّم من أجسادٍ لا أرواح فيها ؟ فقال النبيّ ﷺ : « والذي نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة[(٤)] : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ؛ توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمةً ، وحسرةً ، وندماً .

وقد أخرجه بقية الجماعة إلاّ ابن ماجه ، من طرقٍ ، عن سعيد بن أبي عروبة[(٥)] .

ورواه الإمام أحمد[(٦)] ، عن يونس بن محمدٍ المؤدّب ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدّث أنس بنُ مالكٍ . فذكر مثله ، فلم يذكر أبا طلحة ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، ولكنّ الأول أصحّ وأظهر ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[(٧)] : حدّثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنّ رسول الله ﷺ ترك قتلى بدرٍ ثلاثة أيامٍ حتى جيّفوا ، ثم أتاهم فقام عليهم فقال : « يا أميّة بن خلفٍ ، يا أبا جهل بن هشامٍ ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً ؟ فإنّي قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً » . قال : فسمع عمر صوته فقال : يا رسول الله ، أتناديهم بعد ثلاثٍ ؟ وهل يسمعون ؟ يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ . فقال : « والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطعون أن يجيبوا » .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٦) .
(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الأطواء : جمع طويّ وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار . « فتح الباري » (٧/ ٣٠٢) .
(٣) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : الركي ، بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره : البئر قبل أن تطوى . « فتح الباري » (٧/ ٣٠٢) .
(٤) يعني راوي الحديث .
(٥) رواه مسلم (٢٨٧٥) وأبو داود (٢٦٩٥) والترمذي (١٥٥١) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٥٧) .
(٦) رواه « المسند » (٣/ ١٤٥) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٧) .

ورواه مسلم[١] ، عن هدبة بن خالدٍ ، عن حمّاد بن سلمة به .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حسان بن ثابتٍ[٣] : [من الوافر]

عرفتُ ديار زينب بالكثيبِ ... كخطّ الوحي في الورق القشيبِ
تداولَها الرِّياح وكلُّ جَونٍ ... من الوسميّ منهمرٍ سكوبِ
فأمسى رسمها خلَقاً وأمست ... يباباً بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكّر كلّ يومٍ ... وردّ حرارة القلب[٤] الكئيب
وخبّر بالذي لا عيب فيه ... بصدقٍ غيرِ إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدرٍ ... لنا في المشركين من النصيب
غداة كأنّ جمعهمُ حراءٌ ... بدت أركانه جُنْح الغروب
فلاقيناهمُ منا بجمعٍ ... كأسد الغاب مُرْدَانٍ وشُيب
أمام محمدٍ قد وازروه ... على الأعداء في لفْح الحروب
بأيديهمْ صوارم مرهفاتٌ ... وكلّ مجرّبٍ خاطي الكعوب
بنو الأوس الغطارفُ وازرتْها ... بنو النّجّار في الدّين الصّليب
فغادرنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعتبةَ قد تركنا بالجبوب
وشيبة قد تركنا في رجالٍ ... ذوي حسبٍ إذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لمّا ... قذفناهم كباكب في القليب
ألم تجدوا كلامي كان حقّاً ... وأمر الله يأخذ بالقلوبِ
فما نطقوا ولو نَطقُوا لقالوا ... صدقتَ وكنت ذا رأي مصيب

قال ابن إسحاق[٥] : ولمّا أمر رسول الله ﷺ أن يلقوا في القليب ، أُخذ عتبة بن ربيعة فسحب في القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر لونه ، فقال : « يا أبا حذيفة[٦] ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيءٌ » . أو كما قال رسول الله ﷺ ، فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ،

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٤) ، وفيه : « هَدَّاب بن خالد » وكان يعرف بالاسمين معاً . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٤/ ٣٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ٨٢) بتحقيق الدكتور وليد عرفات .
(٤) في « ديوان حسّان » : « الصدر » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٠ ـ ٦٤١) .
(٦) في (ط) : « يا حذيفة » وهو خطأ ، وما جاء في (آ) هو الصواب .

فكنت أرجو أن يهديَه ذلك للإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، أحزنني ذلك . فدعا له رسول الله ﷺ بخيرٍ ، وقال له خيراً .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا الحميديّ ، حدثنا سفيان ، ثنا عمروٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ قال : هم والله كُفَّار قريشٍ . قال عمرو : هم قريشٌ ، ومحمدٌ ﷺ نعمة الله ، ﴿ وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم : ٢٨] . قال : النار يوم بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حسّان بن ثابتٍ[٣] : [من البسيط]

قومي الذين همُ آووا نبيّهم ... وصدّقوه وأهل الأرض كفّار

إلّا خصائص أقوامٍ همُ سلفٌ ... للصالحين من الأنصار أنصارُ

مستبشرين بقسم الله قولهمُ ... لمّا أتاهم كريم الأصل مختار

أهلاً وسهلاً ففي أمنٍ وفي سعةٍ ... نعم النبيّ ونعم القَسم والجار

[فأنزلوه بدارٍ لا يخاف بها ... من كان جارهم داراً هي الدار][٤]

وقاسموه بها الأموال إذ قدموا ... مهاجرين وقسم الجاحد النار

سرنا وساروا إلى بدرٍ لحينهمُ ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلّاهمُ بغرورٍ ثم أسلمهمْ ... إنّ الخبيث لمن والاه غرّار

وقال إنّي لكم جارٌ فأوردهم ... شرّ الموارد فيه الخزي والعار

ثم التقينا فولّوا عن سَراتهمُ ... من منجدين ومنهم فرقةٌ غاروا

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا يحيى بن أبي بكيرٍ[٦] وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل ، [عن سماك بن حربٍ][٧] ، عن عِكْرِمَة[٨] ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من القتلى ، قيل له : عليك العِير ، ليس دونها شيءٌ . فناداه العباس وهو في الوثاق : إنّه لا يصلح لك . قال : « لم ؟ » قال : لأنّ الله وعدك إحدى الطائفتين ، وقد أنجز لك ما وعدك .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٧٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٤) .

(٣) انظر « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

(٤) هذا البيت سقط من (آ) واستدرك من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٤) .

(٥) رواية يحيى في « المسند » (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١/ ٣١٤) وروايته سماك عن عكرمة فيها اضطراب .

(٦) في (آ) و(ط) : « يحيى بن أبي بكر » وهو خطأ من النسّاخ ، والتصحيح من « مسند الإمام أحمد » .

(٧) سقط من النسخ ، والمثبت من « المسند » .

(٨) هو عكرمة البَرْبَريّ ، أبو عبد الله ، مولى ابن عباس وراويته . مات سنة (١٠٥) هـ . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٢) و« شذرات الذهب » (٢/ ٣٢) بتحقيقي .

وقد كان جملة من قتل من سَراة الكُفَّار يوم بدرٍ سبعين ، هذا مع حضور ألفٍ من الملائكة ، وكان قدر الله السابق فيمن بقي منهم ؛ أن سَيُسْلِمُ منهم بشرٌ كثيرٌ ، ولو شاء الله لسلّط عليهم ملكاً واحداً فأهلكهم عن آخرهم ، ولكن قتلوا من لا خير فيه بالكلّيّة ، وقد كان في الملائكة جبريل ، الذي أمره الله تعالى فاقتلع مدائن قوم لوطٍ وكنّ سبعاً ، فيهن من الأمم والدوابّ والأراضي والمزروعات ، ما لا يعلمه إلا الله ، فرفعهنّ حتى بلغ بهنّ عَنان السماء على طرف جناحه ، ثم قلبهنّ منكّساتٍ ، وأتبعهنّ بالحجارة التي سوِّمت لهم ، كما ذكرنا ذلك في قصة قوم لوطٍ فيما تقدم[١] .

وقد شرع الله جهاد المؤمنين للكافرين ، وبيّن تعالى حكمه في ذلك فقال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ الآية [محمد : ٤] .

وقال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ الآية [التوبة : ١٤ ـ ١٥] .

فكان قتل أبي جهلٍ على يدي شابٍّ من الأنصار ، ثم بعد ذلك يوقف عليه عبد الله بن مسعودٍ ، ويمسك بلحيته ، ويصعد على صدره حتى قال له : لقد ارتقيت مرتقىً صعباً يا رويعي الغنم ، ثم بعد هذا حزّ رأسه واحتمله حتى وضعه بين يدي رسول الله ، فشفى الله به قلوب المؤمنين ، كان هذا أبلغ من أن تأتيه صَاعِقةٌ ، أو أن يسقط عليه سقف منزله ، أو يموت حتف أنفه ، واللهُ أعلم .

وقد ذكر ابن إسحاق[٢] فيمن قتل يوم بدرٍ مع المشركين ممن كان مسلماً ، ولكنّه خرج معهم تقيّةً منهم؛ لأنّه كان فيهم مضطهداً قد فتنوه عن إسلامه ، جماعةً ؛ منهم : الحارث بن زمعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الفاكه ، [وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة][٣] ، وعليّ بن أميّة بن خلفٍ ، والعاص بن منبّه بن الحجّاج . قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ٩٧] . وكان جملة الأسارى يومئذٍ سبعين أسيراً ، كما سيأتي الكلام عليهم فيما بعد إن شاء الله ، منهم من آل رسول الله ﷺ ؛ عمّه العباس بن عبد المطّلب ، وابن عمّه عقيل بن أبي طالبٍ ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

وقد استدلّ الشافعيّ والبخاريّ[٤] وغيرهما بذلك ، على أنّه ليس كلّ من ملَك ذا رحمٍ محرمٍ يعتق

---

(١) انظر ما تقدم من كلام المؤلف على قوم لوط في الجزء الأول من الكتاب .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤١) .
(٣) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤١) .
(٤) انظر « فتح الباري » (٥/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .

عليه ، وعارضوا به حديث الحسن ، عن سمرة في ذلك[١] ، فالله أعلم .

وكان فيهم أبو العاص بن الرّبيع بن عبد شمس بن أميّة ، زوج زينب بنت النبيّ ﷺ[٢] .

فصل

وقد اختلف الصحابة في الأسارى ؛ أيقتلون أو يفادون ؟ على قولين ، كما قال الإمام أحمد[٣] : حدّثنا عليّ بن عاصمٍ ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ ، وذكر رجلاً ، عن الحسن قال : استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدرٍ ، فقال : « إنّ الله ، عزّ وجلّ ، قد أمكنكم منهم » . قال : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . قال : فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، ثم عاد النّبيُّ ﷺ فقال : « أيها الناس ، إنّ الله قد أمكنكم منهم ، وإنما هم إخوانكم بالأمس » . [قال][٤] : فقام عمر فقال : يا رسول الله ، اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، ثم عاد النبيّ ﷺ فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكرٍ الصّدّيق ، فقال : يا رسول الله ، نرى[٥] أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغمّ ، فعفا عنهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٦٨] انفرد به أحمد .

وقد روى الإمام أحمد[٦] ـ واللفظ له ـ ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيّ وصحّحه ، وكذا عليّ بن المدينيّ ، وصحّحه من حديث عكرمة بن عمّارٍ ، حدّثنا سماكٌ الحنفيّ أبو زُمَيلٍ ، حدّثني ابن عباسٍ ، حدّثني عمر بن الخطاب ، قال : نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه يوم بدرٍ ، وهم ثلاثمئةٍ ونيّفٌ ، ونظر إلى المشركين ، فإذا هم ألفٌ وزيادةٌ ، فذكر الحديث كما تقدّم إلى قوله : فقُتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً . واستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ وعليّاً وعمر ، فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، هؤلاء بنو العمّ والعشيرة والإخوان ، وإنّي أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوةً لنا على الكُفّارِ ، وعسى أن يهديهم الله ، فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا بن الخطّاب ؟ » قال : قلت : والله

---

(١) وقد رواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٥ و١٨ و٢٠) وأبو داود (٣٩٤٩) والترمذي (١٣٦٥) والنسائي في « السنن الكبرى » (٤٨٩٨) و(٤٩٠٢) ، وهو حديث صحيح .

(٢) قال ابن العماد الحنبلي : ولما أسلم لم يجدِّد له النبي ﷺ نكاحه على بنته ، بل أبقاهما على نكاحهما . انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٥٢) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٤٣) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٧) وفي سنده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي ، صدوق يخطئ ويصرُّ ، ولكن للحديث شاهد من حديث ابن عمر وابن مسعود ، فهو حديث حسن لغيره .

(٤) زيادة من : « مسند الإمام أحمد » .

(٥) كذا في (آ) و(ط) : « نرى » والذي في « مسند الإمام أحمد » : « إن ترى » .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) ومسلم (١٧٦٣) وأبو داود (٢٦٩٠) والترمذي (٣٠٨١) .

ما أرى ما رأى أبو بكرٍ ، ولكن أرى أن تمكّنني من فلانٍ ـ قريبٍ لعمر ـ فأضرب عنقه ، وتمكّن عليّاً من عقيلٍ فيضرب عنقه ، وتمكّن حمزة من فلانٍ أخيه فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنّه ليست في قلوبنا هوادةٌ للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهويَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ ، ولم يهوَ ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، فلمّا كان من الغد قال عمر : فغدوت إلى النبيّ ﷺ وأبي بكرٍ وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ، فإن وجدتُ بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لِلّذي عرض عليّ أصحابك من أخذهم الفداء ، قد عُرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشّجرة » ـ لشجرةٍ قريبةٍ ـ وأنزل الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[1] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ من الفداء ، ثم أحلّ لهم الغنائم ، وذكر تمام الحديث .

وقال الإمام أحمد[2] : حدّثنا أبو معاوية ، حدّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة[3] ، عن عبد الله[4] قال : لما كان يوم بدرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ » قال : فقال أبو بكرٍ : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم ؛ لعلّ الله أن يتوب عليهم .

قال : وقال عمر : يا رسول الله ، أخرجوك وكذّبوك ، قرّبهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه[5] عليهم ناراً . فقال العباس : قطعت رحمك . قال : فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً ، فقال ناسٌ : يأخذ بقول أبي بكرٍ . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عمر . وقال ناسٌ : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، فخرج عليهم فقال : « إنّ الله ليُلين قلوب رجالٍ فيه حتّى تكون ألين من اللّبن[6] ، وإنّ الله ليشدّ قلوب رجالٍ فيه حتّى تكون أشدّ من الحجارة ، وإنّ مثلك يا أبا بكرٍ ، كمثل إبراهيم ، عليه السلام ، قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . ومثلك يا أبا بكرٍ كمثل عيسى ، قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ وإنّ مثلك يا عمر كمثل نوحٍ ، قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ وإنّ مثلك يا عمر كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ أنتم عالةٌ ، فلا يبقينَّ أحدٌ إلاّ بفداءٍ أو ضربة عنقٍ . قال عبد الله : فقلت : يا رسول الله ، إلا سهيل بن

---

(١) كذا في (آ) « تكون » بالتاء وهي قراءة أبي عمرو ، وقرأ الباقون « يكون » بالياء وهو ما جاء في (ط) انظر « حجة القراءات » لابن مجاهد ص(٣١٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٨٣ و٣٨٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) في « ط » : « عبيدة » . وهو خطأ وما جاء في (آ) موافق لما في « مسند الإمام أحمد » وهو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن مسعود الهذلي . انظر « تهذيب الكمال » (١٤/ ٦١) .

(٤) يعني (ابن مسعود) وإذا أطلق (عبد الله) عند المُحدِّثين فالمعني بذلك (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) .

(٥) في « مسند الإمام أحمد » : « أضرم » .

(٦) في (ط) : « من اللين » .

بيضاء[١] ؛ فإنّي قد سمعته يذكر الإسلام . قال : فسكت . قال : فما رأيتني في يومٍ أخوف أن تقع عليّ حجارةٌ من السماء من ذلك اليوم ، حتى قال : « إلاّ سهيل بن بيضاء » . قال : فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[٢] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾ إلى آخر الآيتين ، وهكذا رواه الترمذيّ ، والحاكم من حديث أبي معاوية[٣] ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

ورواه ابن مردويه[٤] من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة بنحو ذلك ، وقد روي عن أبي أيوب الأنصاريّ بنحوه[٥] .

وقد روى ابن مردويه ، والحاكم في « المستدرك »[٦] من حديث عبيد الله بن موسى ، حدّثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عمر ، قال : لمّا أسر الأسارى يوم بدرٍ أسر العباس فيمن أسر ، أسره رجلٌ من الأنصار ، قال : وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال : « إنّي لم أنم الليلة من أجل عمّي العبّاس ، وقد زعمت الأنصار أنّهم قاتلوه » . قال عمر : أفآتيهم ؟ قال : « نعم » . فأتى عمر الأنصار ، فقال لهم : أرسلوا العباس . فقالوا : لا والله لا نرسله . فقال لهم عمر : فإن كان لرسول الله رِضىً ؟ قالوا : فإن كان له رضىً فخذه . فأخذه عمر ، فلمّا صار في يده ، قال له عمر : يا عباس ، أسلم فوالله لأن تسلم أحبّ إليّ من أن يسلم الخطّاب ، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك .

---

(١) قال العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في تعليقه على « مسند الإمام أحمد » بتحقيقه (٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) : « الصواب سهل بن بيضاء ، وهو أخو سهيل لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفير بدر ، فشهد بدراً مع المشركين ، فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ، فخلى عنه ، والذي روى هذه القصة في سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ مسلماً ، لا شك فيه ، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه ، لأن سهيلاً أشهر من أخيه سهل ، والقصة في سهل » . انظر « طبقات ابن سعد » (٤/ ٢١٣) ، و« الإصابة » (٣/ ١٩٤) .

(٢) تقدم التعليق عليها . انظر ص(٩٥) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٧١٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢١ ـ ٢٢) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٣) من حديث عبد الله بن عمر ، والسيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنهما .

(٥) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٣) .

(٦) ذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٢) ، وعزاه لابن مردويه . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٩) بنحوه ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : هو على شرط مسلم ، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر بن جابر البجلي الكوفي ، قال الحافظ ابن حجر : صدوق لين الحفظ ، وهو ممن يعتبر به في المتابعات حسبُ ، ولم يتابع .

قال : واستشار رسول الله ﷺ أبا بكرٍ ، فقال أبو بكرٍ : عشيرتك ؛ فأرسلهم ، واستشار عمر ، فقال : اقتلهم . ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن تكون[1] لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية . ثم قال الحاكم[2] : هذا حديثٌ صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وروى الترمذيّ ، والنّسائيّ ، وابن حبان[3] في « صحيحه »[4] من حديث سفيان الثّوريّ ، عن هشام بن حسّان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن عليٍّ قال : جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ ، فقال : خيّر أصحابك في الأسارى ، إن شاؤوا الفِدَاء وإن شاؤوا القتل ، على أن يقتل عاماً قابلاً منهم مثلهم . قالوا : الفداء ويقتل منا ، وهذا حديثٌ غريبٌ جدّاً ، ومنهم من رواه مرسلاً ، عن عبيدة ، والله أعلم .

وقد قال ابن إسحاق[5] ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاءٍ ، عن ابن عبّاسٍ في قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يقول : لولا أنّي لا أعذّب من عصاني ، حتى أتقدّم إليه ، لمسّكم فيما أخذتم عذابٌ عظيمٌ .

وهكذا روي عن ابن أبي نجيحٍ ،عن مجاهدٍ أيضاً[6] ، واختاره ابن إسحاق[7] وغيره .

وقال الأعمش[8] : سبق منه أن لا يعذّب أحداً شهد بدراً ، وهكذا روي عن سعد بن أبي وقّاصٍ ، وسعيد بن جبيرٍ ، وعطاء بن أبي رباحٍ[9] .

وقال مجاهدٌ والثّوريّ[10] : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ أي : لهم بالمغفرة .

وقال الوالبي[11] ، عن ابن عباسٍ : سبق في أمّ الكتاب الأول ، أنّ المغانم وفداء الأسارى حلالٌ لكم ، ولهذا قال بعده : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] .

---

(١) انظر التعليق على ص(٩٥) .
(٢) بعده في (ط) : « في صحيحه » .
(٣) في (آ) و(ط): « ابن ماجه » وهو سبق قلم من النسّاخ والصواب ما أثبته، وعبارة في «صحيحه» انفردت بها (آ) .
(٤) رواه الترمذي (١٥٦٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٦٦٢) وابن حبان في « الإحسان » رقم (٤٧٩٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٧٥ ـ ٦٧٦) .
(٦) رواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٧) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٧٦) .
(٨) وقد ذكره المصنف في « التفسير » (٤/ ٣٤) .
(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) عن سعد ، وعن سعيد بن جبير ، الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٦) ، وذكره عن عطاء بن أبي رباح المؤلف في « تفسيره » (٤/ ٣٤) .
(١٠) ذكره عن مجاهد ، السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٠٣) ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وعن الثوري ، المؤلف في « تفسيره » (٤/ ٣٤) .
(١١) ذكره المؤلف في « التفسير » (٤/ ٣٤) .

وهكذا روي عن أبي هريرة ، وابن مسعودٍ ، وسعيد بن جبيرٍ ، وعطاءٍ ، والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، واختاره ابن جريرٍ[١] .

وقد ترجّح هذا القول بما ثبت في « الصحيحين »[٢] عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحدٌ من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرّعب مسيرة شهرٍ ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي ، وأعطيت الشّفاعة ، وكان النّبيّ يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى النّاس عامّةً » .

وروى الأعمش ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ : « لم تحلّ الغنائم لسود الرّؤوس غيرنا »[٣] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ ، فأذن الله تعالى في أكل الغنائم ، وفداء الأسارى .

وقد قال أبو داود : حدّثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشيّ[٤] ، ثنا سفيان بن حبيبٍ ، ثنا شعبة ، عن أبي العنبس ، عن أبي الشّعثاء ، عن ابن عباسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدرٍ أربعمئة[٥] . وهذا كان أقلّ ما فودي به أحدٌ منهم من المال ، وأكثر ما فودي به الرجل منهم أربعة آلاف درهمٍ .

وقد وعد الله من آمن منهم بالخلف عما أخذ منه في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ الآية [الأنفال : ٧٠] .

وقال الوالبيّ[٦] ، عن ابن عباسٍ : نزلت في العباس ، ففادى نفسه بالأربعين أوقيّةً من ذهبٍ .

قال العباس : فآتاني الله أربعين عبداً ـ يعني كلّهم يتّجر له ـ قال : وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله ، جلّ ثناؤه .

وقال ابن إسحاق[٧] : حدّثني العباس بن عبد الله بن معبدٍ[٨] ، عن بعض أهله ، عن ابن عباسٍ ،

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٤٤ـ٤٦) .
(٢) رواه البخاري (٣٣٥) و(٤٣٨) و(٣١٢٢) مختصراً ، ومسلم (٥٢١) .
(٣) رواه الترمذي (٣٠٨٥) وقال : حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٤) في (آ) و(ط) : « العبسي » . والتصحيح من « سنن أبي داود » وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٣٨٢) .
(٥) رواه أبو داود (٢٦٩١) ، وهو حديث صحيح دون جملة « أربعمئة » .
(٦) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤٩) .
(٧) ورواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥٠٦) والطبري في « تاريخه » (٢/ ٤٦٣) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤١) .
(٨) في (آ) و(ط) : « مغفل » والتصحيح من هامش (ط) و« تاريخ الطبري » و« دلائل النبوة » . وانظر « تهذيب الكمال » (١٤/ ٢١٩) .

قال : لمّا أمسى رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، والأسارى محبوسون بالوثاق بات النبيّ ﷺ ساهراً أول الليل ، فقال له أصحابه : ما لك لا تنام يا رسول الله ؟ فقال : « سمعت أنين عمّي العباس في وثاقه » فأطلقوه ، فسكت ، فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[١] : وكان رجلاً موسراً ففادى نفسه بمئة أوقيّةٍ من ذهبٍ .

قلت : وهذه المئة كانت عن نفسه ، وعن ابني أخويه عقيلٍ ونوفلٍ ، وعن حليفه عتبة بن عمروٍ أحد بني الحارث بن فهرٍ ، كما أمره بذلك رسول الله ﷺ حين ادّعى أنّه كان قد أسلم ، فقال له رسول الله ﷺ : « أمّا ظاهرك فكان علينا ، والله أعلم بإسلامك وسيجزيك » فادّعى أنّه لا مال عنده ، قال : « فأين المال الّذي دفنتَه أنت وأمّ الفضل ، وقلت لها : إن أصبت في سفري فهذا لبنيّ ، الفضل وعبد الله وقثم ؟ » . فقال : والله إنّي لأعلم أنّك رسول الله ، إنّ هذا شيءٌ ما علمه إلا أنا وأمّ الفضل . رواه ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيحٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عباسٍ[٢] .

وثبت في « صحيح البخاريّ »[٣] من طريق موسى بن عقبة ، قال الزّهريّ : حدّثني أنس بن مالكٍ قال : إنّ رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ قالوا : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا العباس فداءه . فقال : « لا والله لا تذرون منه درهماً » .

قال البخاريّ[٤] : وقال إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيبٍ ، عن أنسٍ ، أنّ النّبيّ ﷺ أتي بمالٍ من البحرين ، فقال : « انثروه في المسجد » فكان أكثر مالٍ أتي به رسول الله ﷺ ؛ إذ جاءه العباس ، فقال : يا رسول الله ، أعطني ؛ إنّي فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، فقال : « خذ » . فحثا في ثوبه ثم ذهب يقلّه ، فلم يستطع ، فقال : مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت عليّ . قال : « لا » . فنثر منه ثم ذهب يقلّه ، فلم يستطع . فقال : مر بعضهم يرفعه إليّ . قال : « لا » . قال : فارفعه أنت عليّ : قال : « لا » . فنثر منه ، ثم احتمله على كاهله ثم انطلق ، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا ؛ عجباً من حرصه ، فما قام رسول الله [ﷺ] وثمّ منها درهمٌ .

وقال البيهقيّ[٥] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، عن أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس ، عن أسباط بن نصرٍ ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السّدّيّ ، قال : كان فداء العباس وابني أخويه ؛ عقيل بن أبي طالبٍ ونوفل بن الحارث بن عبد المُطّلِب ، كلّ رجلٍ أربعمئة دينارٍ ، ثم توعّد تعالى الآخرين ، فقال : ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٧١] .

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤١) ، عن ابن إسحاق به .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٣) ، عن ابن إسحاق به .
(٣) رواه البخاري (٢٥٣٧) و(٣٠٤٨) و(٤٠١٨) .
(٤) رواه البخاري معلقاً (٤٢١) و(٣٠٤٩) و(٣١٦٥) بصيغة الجزم .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٠) .

فصلٌ

والمشهور أنّ الأسارى يوم بدرٍ كانوا سبعين ، والقتلى من المشركين سبعين ، كما ورد في غير ما حديثٍ مما تقدّم ، وسيأتي إن شاء الله ، وكما في حديث البراء بن عازبٍ في « صحيح البخاريّ »[١] أنّهم قتلوا يوم بدرٍ سبعين ، وأسروا سبعين .

وقال موسى بن عقبة : قتل يوم بدرٍ من المسلمين من قريشٍ ستةٌ ، ومن الأنصار ثمانيةٌ ، وقتل من المشركين تسعةٌ وأربعون ، وأسر منهم تسعةٌ وثلاثون . هكذا رواه البيهقيّ عنه[٢] . قال : وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة في عدد من استشهد من المسلمين وقتل من المشركين .

ثم قال[٣] : أخبرنا الحاكم ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا أحمد بن عبد الجبّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، قال : واستشهد من المسلمين يوم بدرٍ أحد عشر رجلاً ؛ أربعةٌ من قريشٍ ، وسبعةٌ من الأنصار ، وقتل من المشركين بضعةٌ وثلاثون[٤] رجلاً .

وقال في موضعٍ آخر : وكان مع رسول الله ﷺ أربعةٌ وأربعون[٥] أسيراً ، وكانت القتلى مثل ذلك .

ثم روى البيهقيّ[٦] ، من طريق أبي صالحٍ كاتب اللّيث ، عن اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن الزّهريّ ، قال : وكان أوّل قتيلٍ من المسلمين ؛ مِهجعٌ مولى عمر ، ورجلٌ من الأنصار ، وقتل يومئذٍ من المشركين زيادةٌ على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك . قال[٧] : ورواه ابن وهبٍ ، عن يونس بن يزيد ، عن الزّهريّ ، عن عروة بن الزُّبير .

قال البيهقيّ : وهو الأصحّ فيما رويناه في عدد من قتل من المشركين وأسر منهم . ثم استدلّ على ذلك بما ساقه هو[٨] والبخاريّ أيضاً من طريق أبي إسحاق ، عن البراء بن عازبٍ ، قال : أمّر رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ عبد الله بن جبيرٍ ، فأصابوا منا سبعين ، وكان النبيّ ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئةً ؛ سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

---

(١) رواه البخاري (٣٩٨٦) .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٢) .
(٣) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٣) .
(٤) كذا في (آ) : « ثلاثون » ، وفي (ط) : « عشرون » ، وفي « دلائل النبوة » : « وأربعون » .
(٥) في (آ) و(ط) : « أربعون » وأثبت لفظ « دلائل النبوة » .
(٦) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٧) يعني البيهقي فيما رواه في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٤) .
(٨) يعني في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٤) .

قلت : والصحيح أنّ جملة المشركين كانوا ما بين التّسعمئة إلى الألف ، وقد صرّح قتادة[١] بأنّهم كانوا تسعمئةٍ وخمسين رجلاً ، وكأنّه أخذه من هذا الذي ذكرناه ، والله أعلم .

وفي حديث عمر المتقدّم[٢] ، أنّهم كانوا زيادةً على الألف . والصحيح الأول ؛ لقوله عليه السلام : « القوم ما بين التسعمئة إلى الألف »[٣] .

وأمّا الصحابة يومئذٍ فكانوا ثلاثمئةٍ وبضعة عشر رجلاً ، كما سيأتي التنصيص على ذلك ، وعلى أسمائهم ، إن شاء الله .

وتقدّم في حديث الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ أنّ وقعة بدرٍ كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان . وقاله أيضاً عروة بن الزبير ، وقتادة ، وإسماعيل السّدّيّ الكبير ، وأبو جعفرٍ الباقر[٤] .

وروى البيهقيّ[٥] من طريق قتيبة ، عن جريرٍ ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله بن مسعودٍ في ليلة القدر ، قال : تحرَّوها لإحدى عشرة بقين ؛ فإنّ صبيحتها يوم بدرٍ .

قال البيهقيّ[٦] : وروي عن زيد بن أرقم ، أنّه سئل عن ليلة القدر ، فقال : ليلة تسع عشرة . ما شكّ . وقال : يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

قال البيهقيّ[٧] : والمشهور عن أهل المغازي أنّ ذلك لسبع عشرة ليلةً مضت من شهر رمضان .

ثم قال البيهقيّ[٨] : أخبرنا أبو الحسين بن بشران ، حدّثنا أبو عمرو بن السّمّاك ، حدّثنا حنبل بن إسحاق ، ثنا أبو نعيمٍ ، ثنا عمرو بن عثمان ، سمعت موسى بن طلحة يقول : سئل أبو أيوب الأنصاريُّ عن يوم بدرٍ ، فقال : إمّا لسبع عشرة خلت ، أو ثلاث عشرة خلت أو لإحدى عشرة بقيت ، وإما لسبع عشرة بقيت . وهذا غريبٌ جدّاً .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر[٩] في ترجمة قُباث بن أشيم اللّيثيّ ، من طريق الواقديّ وغيره بإسنادهم إليه ، أنّه شهد يوم بدرٍ مع المشركين ، فذكر هزيمتهم مع قلّة أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : وجعلت

---

(١) فيما ذكره الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٧٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠) وإسناده صحيح .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢ ـ ٤٣) ضمن سياق حديث طويل .
(٤) وقد أخرج أقوالهم البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٧ ـ ١٢٨) .
(٦) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨) .
(٨) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩) .
(٩) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) (المخطوط) .

أقول في نفسي : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلّا النساء ، والله لو خرجت نساء قريشٍ بأكمتها[١] ، ردّت محمداً وأصحابه ، فلمّا كان بعد الخندق ، قلت : لو قدمت المدينة فنظرت إلى ما يقول محمدٌ ، وقد وقع في نفسي الإسلامُ . قال : فقدِمتها ، فسألت عنه فقالوا : هو ذاك في ظلّ المسجد في ملأ من أصحابه ، فأتيته وأنا لا أعرفه من بين أصحابه ، فسلّمت ، فقال : « يا قباث بن أشيم ، أنت القائل يوم بدرٍ : ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلا النّساء ؟ » فقلت : أشهد أنّك رسول الله ؛ فإنّ هذا الأمر ما خرج منّي إلى أحدٍ قطّ ، ولا ترمرمت[٢] به إلّا شيئاً حدّثت به نفسي ، فلولا أنّك نبيٌّ ما أطلعك الله[٣] عليه ، هلمّ أبايعك على الإسلام ؛ فأسلمت .

فصلٌ

وقد اختلفت الصحابة ، رضي الله عنهم ، يوم بدرٍ في المغانم من المشركين يومئذٍ ؛ لمن تكون منهم ، وكانوا ثلاثة أصنافٍ ، حين ولّى المشركون ؛ ففرقةٌ أحدقت برسول الله ﷺ ، تحرسه خوفاً من أن يرجع أحدٌ من المشركين إليه ، وفرقةٌ ساقت وراء المشركين يقتلون منهم ويأسرون ، وفرقةٌ جمعت المغانم من متفرّقات الأماكن ، فادّعى كلّ فريقٍ من هؤلاء أنّه أحقّ بالمغنم من الآخرين ؛ لما صنع من الأمر المهمّ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحولٍ ، عن أبي أُمَامَة الباهليّ ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا أصحابَ بدرٍ نزلت حين اختلفنا في النّفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ ، فقسمه بين المسلمين عن بواءٍ ، يقول : على السواءِ[٥] . وهكذا رواه أحمد[٦] ، عن محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق به .

ومعنى قوله : على السواء . أي : ساوى فيها بين الذين جمعوها ، وبين الذين اتّبعوا العدوّ ، وبين

---

(١) في الأصل : « أكمها » . وفي م : « بالها » .
(٢) هكذا في (آ) وترمرم : حَرَّك فاه للكلام ولم يتكلم . وفي (ط) « ولا تزمزمت » بزاءين ، وكذلك هو عند ابن الأثير في « النهاية » (٢/ ٣١٣) ، وقال : الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يُفهم .
(٣) سقط لفظ الجلالة من (ط) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٢) .
(٥) في (آ) و(ط) : « عن سواء » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « على السواء » وهو الصواب وقد أثبتناه عنه ، ويؤكد ذلك شرح المؤلف الآتي بعد قليل .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٢٢) . وهو حديث حسن لغيره .

الذين ثبتوا تحت الرايات ، لم يخصّص بها فريقاً منهم ممّن ادّعى التّخصيص بها ، ولا ينفي هذا تخميسها وصرف الخمس في مواضعه ، كما قد يتوهّمه بعض العلماء ؛ منهم أبو عبيدٍ[(١)] وغيره ، والله أعلم .

بل قد تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقّار من مغانم بدرٍ .

قال ابن جريرٍ[(٢)] : وكذا اصطفى جملاً لأبي جهلٍ ، كان في أنفه برةٌ[(٣)] من فضّةٍ ، وهذا قبل إخراج الخمس أيضاً .

وقال الإمام أحمد[(٤)] : ثنا معاوية بن عمروٍ ، ثنا [أبو إسحاق][(٥)] ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش[(٦)] بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسى ، عن أبي سلّامٍ ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصّامت قال : خرجنا مع النبيّ ﷺ ، فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله العدوّ ، فانطلقت طائفةٌ في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكبّت طائفةٌ على العسكر[(٧)] يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفةٌ برسول الله ﷺ ؛ لا يصيب العَدُوُّ منه غِرّةً ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعضٍ ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها [وجمعناها][(٨)] وليس لأحدٍ فيها نصيبٌ . وقال الذين خرجوا في طلب العدوّ : لستم بأحقّ بها[(٩)] منّا ، نحن نفينا منها العدوّ وهزمناهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدوّ منه غِرّةً ؛ فاشتغلنا به . فنزلت : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ١] . فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين ، وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدوّ نفّل الرّبع ، فإذا أقبل راجعاً نفّل الثّلث ، وكان يكره الأنفال .

وقد روى التّرمذيّ وابن ماجه[(١٠)] من حديث الثوريّ ، عن عبدالرحمن بن الحارث آخره . وقال الترمذيّ : هذا حديثٌ حسنٌ .

---

(١) في (ط) : « عبيدة » . وانظر « كتاب الأموال » لأبي عبيد ص(٣٨٢ـ٣٨٨) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٧٩) .
(٣) البرة : حَلْقة تجعل في لحم الأنف . قاله ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ١٢٢) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) . وهو حديث حسن لغيره .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « مسند الإمام أحمد » ومكانه في (ط) : « ثنا ابن إسحاق » .
(٦) في (آ) و(ط) : « ابن عباس » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبته ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٣٧) .
(٧) في (ط) : « على المغنم » .
(٨) ما بين الحاصرتين زيادة من « مسند الإمام أحمد » .
(٩) في (آ) و(ط) : « به » . وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .
(١٠) رواه الترمذي (١٥٦١) ، وابن ماجه (٢٨٥٢) ، وهو حديث حسن .

ورواه ابن حبّان في « صحيحه » ، والحاكم في « مستدركه » من حديث عبد الرحمن ، وقال الحاكم : صحيحٌ على شرط مسلمٍ ، ولم يخرجه[١] .

وقد روى أبو داود ، والنّسائيّ ، وابن حبّان ، والحاكم[٢] من طرقٍ ، عن داود بن أبي هندٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا كان يوم بدرٍ ، قال رسول الله ﷺ : « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » . فتسارع في ذلك شبّان الرّجال ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلمّا كانت الغنائم جاؤوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشّيوخ : لا تستأثروا علينا ؛ فإنّا كنّا ردءاً لكم ، ولو انكشفتم لفئتم إلينا . فتنازعوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . وقد ذكرنا في سبب نزول هذه الآية آثاراً أخر يطول بسطها هاهنا ، ومعنى الكلام أنّ الأنفال مرجعها إلى حكم الله ورسوله ، يحكمان فيها بما فيه المصلحة للعباد في المعاش والمعاد ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . ثم ذكر ما وقع في قصة بدرٍ ، وما كان من الأمر حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الآية [الأنفال : ٤١] فالظاهر أنّ هذه الآية مبيّنةٌ لحكم الله في الأنفال ، الذي جعل مردّه إليه وإلى رسوله ﷺ ، فبيّنه تعالى ، وحكم فيها بما أراد تعالى ، وهو قول ابن[٣] زيدٍ[٤] ، وقد زعم أبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ[٥] ، رحمه الله ، أنّ رسول الله ﷺ قسم غنائم بدرٍ على السّواء بين الناس ، ولم يخمّسها ، ثم نزل بيان الخمس بعد ذلك ناسخاً لما تقدّم ، وهكذا روى الوالبيّ ، عن ابن عباسٍ ، وبه قال مجاهدٌ ، وعكرمة والسّدّيّ ، وفي هذا نظرٌ ، والله أعلم ؛ فإنّ سياق الآيات قبل آية الخمس وبعدها ، كلّها في غزوة بدرٍ ، فيقتضي [أنّ][٦] ذلك نزل جملةً في وقتٍ واحدٍ غير متفاصلٍ بتأخّرٍ يقتضي نسخ بعضه بعضاً ، ثم في « الصحيحين »[٧] عن عليٍّ ، رضي الله عنه ، أنّه قال في قصة شارفَيه اللّذين اجتبّ أَسْنَمَتَهُما حمزة : إنّ

---

(١) رواه ابن حبان (٤٨٥٥) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦) .

(٢) رواه أبو داود (٢٧٣٧) والنسائي في « السنن الكبرى » (١١١٩٧) وابن حبان (٥٠٩٣) « الإحسان » والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) ، وهو حديث صحيح .

(٣) في (ط) : « أبي » . والتصحيح من « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٩) و« الطبري » (٩/ ١٧٨) فهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ١١٤) .

(٤) يعني أن ابن زيد قال بأن آية : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ . . . ﴾ محكمة وليست منسوخة كما قال أبو عبيد في كتابه « الأموال » ص(٣٨٤) .

(٥) انظر « كتاب الأموال » ص(٣٨٤) .

(٦) لفظ « أن » سقط من (آ) وأثبته من (ط) لتمام المعنى .

(٧) رواه البخاري (٢٣٧٥) و(٣٠٩١) ومسلم (١٩٧٩) .

إحداهما كانت من الخمس يوم بدرٍ . ما يردّ صريحاً على أبي عبيدٍ ؛ أنّ غنائم بدرٍ لم تخمّس ، والله أعلم . بل خمّست كما هو قول البخاريّ وابن جريرٍ ، وغيرهما ، وهو الصحيح الراجح ، والله أعلم .

فصلٌ

في رجوعه ، عليه السلام ، من بدرٍ إلى المدينة ، وما كان من الأمور في مسيره إليها مؤيّداً منصوراً عليه من ربّه أفضل الصلاة والسلام

وقد تقدّم أنّ الوقعة كانت يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

وثبت في « الصحيحين »[(١)] أنّه كان إذا ظهر على قومٍ أقام بالعرْصة ثلاثة أيامٍ ، وقد أقام عليه الصلاة والسلام ، بعرْصة بدرٍ ثلاثة أيامٍ كما تقدّم ، وكان رحيله منها ليلة الإثنين ، فركبَ ناقته ووقف على قليب بدرٍ ، فقرّع أولئك الذين سحبوا إليه كما تقدّم ذكره ، ثم سار ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه الأسارى والغنائم الكثيرة ، وقد بعث ، عليه الصلاة والسلام ، بين يديه بشيرين إلى المدينة بالفتح والنّصر والظّفر على من أشركَ بالله وجحده وبه كفر ؛ أحدهما عبد الله بن رواحة إلى أعالي المدينة ، والثاني زيد بن حارثة إلى السّافلة .

قال أسامة بن زيدٍ : فأتانا الخبر حين سوّينا [التّراب][(٢)] على رقيّة بنت رسول الله ﷺ ، وكان زوجُها عثمان بن عفّان ، رضي الله عنه ، قد احتبس عندها يمرّضها بأمر رسول الله ﷺ ، وقد ضرب له رسول الله بسهمه وأجره في بدرٍ .

قال أسامة : فلمّا قدم أبي زيد بن حارثة جئته وهو واقفٌ بالمصلّى ، وقد غشيه الناس ، وهو يقول : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشامٍ ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ العاص بن هشامٍ ، وأُمَيَّةُ بن خلفٍ ، ونُبَيهٌ ومنبّهٌ ابنا الحجّاج .

قال : قلت : يا أبت ، أحقٌّ هذا ؟ قال : إي والله يا بنيّ .

وروى البيهقيّ[(٣)] ، من طريق حمّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيدٍ : أنّ النبيّ ﷺ خلّف عثمان وأسامة بن زيدٍ على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٥) و(٣٩٧٦) ومسلم (٢٨٧٥) .
(٢) لفظ « التراب » سقط من (آ) واستدركته من (ط) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٣٠) .

رسول الله ﷺ بالبشارة ، قال أسامة : فسمعت الهيعة ، فخرجت فإذا زيدٌ قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدّقت حتى رأينا الأسارى ، وضرب رسول الله ﷺ لعثمان بسهمه .

وقال الواقديّ[١] : صلّى رسول الله ﷺ مرجعه من بدرٍ العصر بالأثيل ، فلمّا صلّى ركعةً تَبَسَّمَ ، فسئل عن تبسّمه ، فقال : « يُرى[٢] ميكائيل وعلى جناحه النّقع ، فتبسّم إليّ ، وقال : إنّي كنت في طلب القوم . وأتاه جبريل حين فرغ من قتال أهل بدرٍ ، على فرسٍ أنثى معقود الناصية ، قد عصم ثنيّته[٣] الغبار ، فقال : يا محمد ، إنّ ربي بعثني إليك ، وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ قال : « نعم » .

قال الواقدي[٤] : قالوا : وقدّم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأُثيل ، فجاءا يوم الأحد حين اشتدّ الضّحى ، وفارق عبد الله بن رواحة زيد بن حارثة من العقيق ، فجعل عبد الله بن رواحة ينادي على راحلته : يا معشر الأنصار ، أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم ، قتل ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وأبو جهلٍ ، وقتل زمعة بن الأسود ، وأميّة بن خلفٍ ، وأسر سهيل بن عمروٍ . قال عاصم بن عديٍّ : فقمت إليه ، فنحوته[٥] ، فقلت : أحقّاً يا بن رواحة ؟ فقال : إي والله ، وغداً يقدم رسول الله ﷺ بالأسرى مقرّنين . ثم تتبّع دور الأنصار بالعالية يبشّرهم داراً داراً ، والصّبيان يشتدّون[٦] معه يقولون : قتل أبو جهلٍ الفاسق . حتى إذا انتهى إلى دار بني أميّة ، وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، يبشّر أهل المدينة ، فلمّا جاء المصلّى صاح على راحلته : قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وابنا الحجّاج ، وقتل أميّة بن خلفٍ ، وأبو جهلٍ ، وأبو البختريّ ، وزمعة بن الأسود ، وأسر سهيل بن عمروٍ ذو الأنياب ، في أسرى كثيرٍ . فجعل بعض الناس لا يصدّقون زيداً ، ويقولون : ما جاء زيد بن حارثة إلا فلاًّ[٧] ، حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، وقدم زيدٌ حين سوّينا على رقيّة بنت رسول الله ﷺ التّراب[٨] بالبقيع ، وقال رجلٌ من المنافقين لأسامة : قتل صاحبكم ومن معه . وقال آخر لأبي لبابة : قد تفرّق أصحابكم تفرّقاً لا يجتمعون فيه أبداً ، وقد قتل علية أصحابه ، وقتل[٩] محمدٌ ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيدٌ لا يدري ما يقول من الرّعب ، وجاء فَلّاً . فقال أبو لبابة : يكذّب الله

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ١١٣) .
(٢) في « المغازي » و« دلائل النبوة » : « مرَّ بي » .
(٣) في (ط) : « ثنييه » .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١١٤) .
(٥) أي : قصدته .
(٦) في (ط) : « ينشدون » .
(٧) الفل : المنهزم .
(٨) لفظ « التراب » من (ط) .
(٩) في (ط) : « قتل » بلا واو .

قولك . وقالت اليهود : ما جاء زيدٌ إلّا فَلاًّ . قال أسامة : فجئت حتى خلوت بأبي ، فقلت : أحقٌّ ما تقول ؟ فقال : إي والله حقٌّ ما أقول يا بنيّ . فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت : أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لنقدّمنّك إلى رسول الله إذا قدم ، فليضربنّ عنقك . فقال : إنّما هو شيءٌ سمعته من الناس يقولونه . قالوا : فجيء بالأسرى ، وعليهم شُقران مولى رسول الله ﷺ ، وكان قد شهد معهم بدراً ، وهم تسعةٌ وأربعون رجلاً ، الذين أُحصوا .

قال الواقديّ[١] : وهم سبعون في الأصل ، مجتمعٌ عليه ، لا شكّ فيه . قال : ولقي رسول الله ﷺ إلى الرّوحاء رؤوس الناس يهنّئونه بما فتح الله عليه .

فقال له أُسيد بن الحضير : يا رسول الله ، الحمد لله الذي أظفرك ، وأقرّ عينك ، والله يا رسول الله ، ما كان تخلّفي عن بدرٍ وأنا أظنّ أنّك تلقى عدوّاً ، ولكن ظننت أنّها عِيرٌ ، ولو ظننت أنّه عدوٌّ ما تخلّفت . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى وفيهم عقبة بن أبي معيطٍ ، والنّضر بن الحارث ، وقد جعل على النّفل عبد الله بن كعبٍ بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النّجّار ، فقال راجزٌ من المسلمين ـ قال ابن هشامٍ : يقال : إنّه هو عديّ بن أبي الزّغباء ـ : [من الرجز]

أقم لها صدورها يا بسبس ... ليس بذي الطّلح لها معرَس
ولا بصحراءِ غميرٍ محبس ... إنّ مطايا القوم لا تحبَّسُ
فحملها على الطريق أكيس ... قد نصر الله وفرّ الأخنس

قال : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء نزل على كثيبٍ بين المضيق وبين النّازية ، يقال له : سيَرٌ . إلى سرحةٍ به ، فقسم هنالك النّفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السّواء ، ثم ارتحل حتى إذا كان بالرّوحاء لقيه المسلمون يهنّئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقشٍ ، كما حدّثني عاصم بن عمر ، ويزيد بن رومان : ما الذي تهنّئوننا به ؟ والله إن لقينا إلا عجائز صُلعاً كالبدن المعقّلة فنحرناها ، فتبسّم رسول الله ﷺ ثم قال : « أي ابن أخي ، أولئك الملأ » . قال ابن هشامٍ[٣] : يعني الأشراف والرُّؤساء .

(١) انظر « المغازي » (١/١١٦ ـ ١١٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .

مقتل النّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيطٍ
لعنهما الله

قال ابن إسحاق[١] : حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصّفراء قتل النّضر بن الحارث ، قتله عليّ بن أبي طالبٍ ، كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة ، ثم خرج حتى إذا كان بعِرق الظّبية[٢] قتل عقبة بن أبي معيطٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : فقال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله : فمن للصّبية يا محمّد ؟ قال : « النّار » . وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوفٍ ، كما حدّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسرٍ . وكذا قال موسى بن عقبة في « مغازيه »[٤] ، وزعم أنّ رسول الله ﷺ لم يقتل من الأسارى أسيراً غيره . قال : ولمّا أقبل إليه عاصم بن ثابتٍ ، قال : يا معشر قريشٍ ، علام أُقتل من بين من هاهنا ؟ قال : على عداوتك الله ورسوله .

وقال حمّاد بن سلمة[٥] ، عن عطاء بن السّائب ، عن الشّعبيّ ، قال : لمّا أمر النبيّ بقتل عقبة ، قال : أتقتلني يا محمد من بين قريشٍ ؟ قال : « نعم! أتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاء وأنا ساجدٌ خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها ، فما رفعها حتّى ظننت أنّ عينيَّ ستَنْدُران[٦] ، وجاء مرّةً أخرى بسلا شاةٍ فألقاه على رأسي وأنا ساجدٌ ، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي » .

قال ابن هشامٍ[٧] : ويقال : بل قتل عقبة عليّ بن أبي طالبٍ، فيما ذكره الزّهريّ وغيره من أهل العلم .

قلت : كان هذان الرجلان من شرّ عباد الله ، وأكثرهم كُفْرَاً ، وعناداً ، وبغياً ، وحسداً ، وهجاءً للإسلام وأهله ، لعنهما الله ، وقد فعل .

قال ابن هشامٍ[٨] : فقالت قُتيلة بنت الحارث ، أخت النّضر بن الحارث في مقتل أخيها : [من الكامل]

يـا راكبـاً إنّ الأثيـل مظنّـةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنت موفّق
أبلـغ بهـا ميتـاً بـأنّ تحيّـةً ... ما إن تزال بها النّجائب تخفق

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٤٤) .
(٢) موضع بين مكة والمدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٢٣٩) و(٢٦٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٤) .
(٤) ورواه عنه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١١٧) .
(٥) ذكره البلاذري في « أنساب الأشراف » (١/ ١٤٨) .
(٦) أي : تسقطان .
(٧) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٤٤) .
(٨) في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي (٢/ ٤٢) : « قال ابن إسحاق » وجاء في هامشها مايلي : « في (آ) و(ر) : قال ابن هشام » .

منّـي إليـك وعبـرةً مسفـوحـةً ... جـادت بـوابلهـا وأخـرى تخنـقُ[١]
هـل يسمعـنّ النّضـر إن نـاديتـه ... أم كيـف يسمـع ميّـتٌ لا ينطـقُ
أَمحمـدٌ يـا خيـر ضـنءٍ[٢] كـريمـةٍ ... مـن قـومهـا والفحـل فحـلٌ معـرقُ
مـا كـان ضـرّك لـو مننـت وربّمـا ... مـنّ الفتـى وهـو المغيـظ المحنـقُ
أو كنـت قـابـل فـديـةٍ فلينفقـن ... بـأعـزّ مـا يغلـو بـه مـا ينفـقُ
والنّضـر أقـرب مـن أسـرت قـرابـةً ... وأحقّهـم إن كـان عتـقٌ يعتـقُ
ظلّـت سيـوف بنـي أبيـه تنـوشـه ... لله أرحـامٌ هنـالـك تشقـقُ
صبـراً يقـاد إلـى المنيّـة متعبـاً ... رسـف المقيّـد وهـو عـانٍ مـوثـق

قال ابن هشامٍ[٣] : ويقال ، والله أعلم : إنّ رسول الله ﷺ لمّا بلغه هذا الشّعر قال : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد تلقّى رسولَ الله ﷺ بهذا الموضع أبو هندٍ مولى فروة بن عمروٍ البياضيّ حجّامه ، عليه الصلاة والسلام ، ومعه زقٌّ خمرٍ مملوءٌ حيساً ـ وهو التّمر والسّويق بالسّمن ـ هديةً لرسول الله ﷺ فقبله منه ، ووصّى به الأنصار .

قال ابن إسحاق[٥] : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيومٍ .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني نبيه بن وهبٍ أخو بني عبد الدّار أنّ رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه ، وقال : « استوصوا بهم خيراً » . قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عميرٍ لأبيه وأمّه ، في الأسارى ، قال أبو عزيزٍ : مرّ بي أخي مصعب بن عميرٍ ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يديك به ؛ فإنّ أمّه ذات متاعٍ لعلّها تفديه منك . قال أبو عزيزٍ : فكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدرٍ ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التّمر ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ما تقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبزٍ إلا نفحني بها ، فأستحيي فأردّها فَيَرُدُّها عليّ ما يمسّها .

قال ابن هشامٍ[٧] : وكان أبو عزيزٍ هذا صاحب لواء المشركين ببدرٍ بعد النّضر بن الحارث ، ولمّا قال

---

(١) هذا البيت لم يرد في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، فليستدرك .
(٢) في (ط) : « ضي » . والضنء من كل شيء : نَسْلُهُ .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٤٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١ / ٦٤٤) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١ / ٦٤٤) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١ / ٦٤٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١ / ٦٤٦) .

أخوه مصعبٌ لأبي اليَسَرِ ، وهو الذي أسره ، ما قال ، قال له أبو عزيزٍ : يا أخي ، هذه وصاتك بي ؟ فقال له مصعبٌ : إنّه أخي دونك . فسألت أمّه عن أغلى ما فدي به قرشيٌّ ، فقيل لها : أربعة آلاف درهمٍ . فبعثت بأربعة آلاف درهمٍ ففدته بها .

قلت : أبو عزيزٍ هذا اسمه زرارة ، فيما قاله ابن الأثير في « غابة الصحابة »[١] ، وعدّه خليفة بن خيّاطٍ في أسماء الصحابة[٢] . وكان أخا مصعب بن عميرٍ لأَبَوَيْهِ[٣] ، وكان لهما أخٌ آخر لأبويهما ، وهو أبو الرّوم بن عُمَيْرٍ ، وقد غلط من جعله قتل يوم أحدٍ كافراً ، ذاك أبو عزّة ، كما سيأتي في موضعه . والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٤] : حدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أنّ يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، قال : قدم بالأُسارى حين قُدم بهم ، وسودة بنت زمعة زوج النبيّ ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوفٍ ومعوِّذٍ ابني عفراء . قال : وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتي بهم . قالت : فرجعت إلى بيتي ، ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمروٍ في ناحية الحجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحبلٍ . قالت : فلا والله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت : أي أبا يزيد ، أعطيتم بأيديكم ، ألا متّم كراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلّا قول رسول الله ﷺ من البيت : « يا سودة ، أعلَى الله وعلى رسوله تحرّضين » ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقّ ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت ، ثم كان من قصة الأسارى بالمدينة ما سيأتي بيانه وتفصيله فيما بعد من كيفية فدائهم وكمّيّته ، إن شاء الله .

ذكر فرح النّجَاشيّ ، رضي الله عنه ، بوقعة بدرٍ

قال الحافظ البيهقيّ[٥] : أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفيّ ببغداد ، ثنا أحمد بن سلمان النّجّاد ، ثنا عبد الله بن أبي الدّنيا ، حدّثني حمزة بن العباس ، ثنا عبدان بن عثمان ، ثنا عبد الله بن المبارك ، أنا عبدُ الرحمن بن يزيد بن[٦] جابرٍ ، عن عبد الرحمن ـ رجلٍ من أهل صنعاء ـ قال :

---

(١) يريد « أسد الغابة في معرفة الصحابة » والنقل في المطبوع منه بدار الشعب بالقاهرة (٦/ ٢١٣) .
(٢) انظر « طبقات خليفة » (١/ ٣٣) .
(٣) في (آ) و(ط) : « لأبيه » . والذي في « أسد الغابة » (٦/ ٢١٣) : « لأبويه » وهو ما أثبته لانسجامه مع السياق .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) .
(٦) في (ط) : « عن » . وهو خطأ .

أرسل النّجاشيّ ذات يومٍ إلى جعفر بن أبي طالبٍ وأصحابه ، فدخلوا عليه وهو في بيتٍ عليه خُلْقانُ ثيابٍ ، جالسٌ على التراب ، قال جعفرٌ : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلمّا أن رأى ما في وجوهنا قال : إنّي أبشّركم بما يسرّكم ؛ إنّه جاءني من نحو أرضكم عينٌ لي ، فأخبرني أنّ الله قد نصر نبيّه ، وأهلك عدوّه ، وأُسر فلانٌ وفلانٌ ، وقتل فلانٌ وفلانٌ ، التقوا بوادٍ يقال له : بدرٌ . كثير الأراك ، كأنّي أنظر إليه ، كنت أرعى به[١] لسيّدي - رجلٍ من بني ضمرة - إبله . فقال له جعفرٌ : ما بالك جالساً على التراب ليس تحتك بساطٌ ، وعليك هذه الأخلاق[٢] ؟ قال : إنّا نجد فيما أنزل الله على عيسى : إنّ حقاً على عباد الله أنْ يحدثوا لله تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمةٍ . فلمّا أحدث الله لي نصر نبيّه ﷺ ، أحدثت له هذا التواضع .

فصلٌ
في وصول خبر مصاب أهل بدرٍ إلى أهاليهم بمكة

قال ابن إسحاق[٣] : وكان أول من قدم مكة بمصاب قريشٍ الحيسمان بن عبد الله الخزاعيّ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكَم بن هشامٍ ، وأميّة بن خلفٍ ، وزمعة بن الأسود ، ونبيهٌ ومنبّهٌ ، وأبو البختريّ بن هشامٍ . فلمّا جعل يعدّد أشراف قريشٍ ، قال صفوان ابن أميّة : والله إن يعقل هذا ، فسلوه عنّي . فقالوا : ما فعل صفوان بن أميّة ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا .

قال موسى بن عقبة : ولما وصل الخبر إلى أهل مكة وتحقّقوه قطّعت النساء شعورهنّ ، وعقرت خيولٌ كثيرةٌ ورواحل .

وذكر السّهيليّ[٤] عن كتاب « الدلائل » لقاسم بن ثابتٍ أنّه قال : لما كانت وقعة بدرٍ سمع أهل مكة هاتفاً من الجنّ يقول : [من الطويل]

أزار الحنيفيّـــون بـــدراً وقيعـــةً   سينقضّ منها ركن كسرى وقيصرا
أبـادت رجـالاً مـن لـؤيٍّ وأبـرزت   خـرائـد يضـربـن التـرائـب حسّـرا
فيـا ويـح مـن أمسـى عـدوّ محمـدٍ   لقد جار عن قصد الهدى وتحيّرا

---

(١) سقط من : (ط) .
(٢) في (آ) و(ط) : « الأخلاط » وما أثبته هو الصواب ، والأخلاق : جمع الخلَق ، وهو البالي من الثياب .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٦) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٥/٢٢٤ - ٢٢٥) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباسٍ ، عن عكرمة مولى ابن عباسٍ قال : قال أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، [وأسلمت][٢] أمّ الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّقٍ في قومه ، وكان أبو لهبٍ قد تخلّف عن بدرٍ فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، وكذلك كانوا صنعوا ؛ لم يتخلّف رجلٌ إلّا بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدرٍ من قريشٍ ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوةً وعزّاً . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إنّي لجالسٌ فيها أنحت أقداحي ، وعندي أمّ الفضل جالسةً ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهبٍ يجرّ رجليه بشرٍّ ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ، فبينا هو جالسٌ إذ قال الناس : هذا أبو سفيان ـ واسمه المغيرة ـ بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال : فقال أبو لهبٍ : هلمّ إليّ ، فعندك لعمري الخبر . قال : فجلس إليه والناس قيامٌ عليه فقال : يا بن أخي ، أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلّا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بلقٍ بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيءٌ . قال أبو رافعٍ : فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهبٍ يده فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : وثاورته[٣] ، فاحتملني وضرب بي الأرض ، ثم برك عليّ يضربني ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فقامت أمّ الفضل إلى عمودٍ من عمد الحجرة فأخذته ، فضربته به ضربةً فلعت[٤] في رأسه شجّةً منكرةً ، وقالت : أستضعفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام مولّياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

زاد يونس ، عن ابن إسحاق[٥] : فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ، ما دفناه حتى أنتن ، وكانت قريشٌ تتّقي هذه العدسة كما تتّقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش : ويحكما ، ألا تستحيان! إنّ أباكما قد أنتن في بيته ، لا تدفنانه ؟! فقالا : إنّا نخشى عدوى هذه القرحة . فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسّلوه إلّا قذفاً بالماء عليه من بعيدٍ ، ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة ، فأسندوه إلى جدارٍ ثم رضموا عليه بالحجارة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٦ ـ ٦٤٧) .
(٢) لفظ « وأسلمت » لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) أي : « بادرته » .
(٤) في (آ) و(ط) : « فبلغت » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام ، وفلَعَتْ : شقت .
(٥) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٤٥ ـ ١٤٦) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق[١] : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنّها كانت لا تمرّ على مكان أبي لهبٍ هذا إلّا تستّرت بثوبها حتى تجوزَ .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني يحيى بن عبّادٍ [بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبّاد] ، عن أبيه[٣] قال : ناحت قريشٌ على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فَيَبْلُغَ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم[٤] ؛ لا يأرب عليكم محمدٌ وأصحابه في الفداء .

قلت : وكان هذا من تمام ما عَذَّب الله به أحياءهم في ذلك الوقت ، وهو تركهم النّوح على قتلاهم ؛ فإنّ البكاء على الميت مما يُبِلُّ فؤاد الحزين .

قال ابن إسحاق[٥] : وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثةٌ من ولده ؛ زمعة ، وعقيلٌ ، والحارث ، وكان يحبّ أن يبكي على بنيه . قال : فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلامٍ له ، وكان قد ذهب بصره : انظر هل أحلّ النّحب ؟ هل بكت قريشٌ على قتلاها ؟ لعلّي أبكي على أبي حكيمة ـ يعني ولده زمعة ـ فإنّ جوفي قد احترق . قال : فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلّته . قال : فذاك حين يقول الأسود : [من الوافر]

أتبكي أن أضلّ لها بعيرٌ ... ويمنعها من النوم السّهود

فلا تبكي على بكرٍ ولكن ... على بدرٍ تقاصرتِ الجدود

على بدرٍ سراة بني هُصيصٍ ... ومخزومٍ ورهط أبي الوليد

وبكّي إن بكيت على عقيلٍ[٦] ... وبكّي حارثاً أسد الأسود

وبكّيهم ولا تَسَمي[٧] جميعاً ... وما لأبي حكيمة من نديد

ألا قد سادَ بعدهمُ رجالٌ ... ولولا يوم بدرٍ لم يسودوا[٨]

---

(١) ورواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/١٤٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٧ـ٦٤٨) .
(٣) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٧) .
(٤) في (ط) : « تستأنسوا » . واستأنى به : انتظر به . « لسان العرب » (أنى) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/٦٤٨) .
(٦) كذا في (آ) و(ط) : « أبا عقيل » وفي « السيرة النبوية » : « على عقيل » ولعله أصحُ .
(٧) أي : لا تسأمي .
(٨) في بعض هذه الأبيات إقواء .

فصل

في بعث قريشٍ إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم

قال ابن إسحاق[١] : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبيرة السّهميّ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ له بمكَّة ابناً كيّساً تاجراً ذا مالٍ ، وكأنّكم به قد جاء في طلب فداء أبيه » . فلمّا قالت قريشٌ : لا تعجلوا بفداء أسراكم ؛ لا يأرب عليكم محمدٌ وأصحابه . قال المطّلب بن أبي وداعة ـ وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى ـ صدقتم ، لا تعجلوا ، وانسلّ من الليل ، وقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهمٍ ، فانطلق به .

قلت : وكان هذا أول أسيرٍ فُدي ، ثم بعثت قريشٌ في فداء أسراهم ، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرٍو ، وكان الذي أسره مالك بن الدّخشم ، أخو بني سالم بن عوفٍ ، فقال في ذلك : [من المتقارب]

أســرتُ سُهيــلاً فــلا أبتغــي   أسيــراً بــه مــن جميــع الأُمــمْ
وخنــدف تعلــم أن الفتــى   فتــاهــا سهيــلٌ إذا يُظلــمْ
ضربت بذي الشفر حتى انثنى   وأكرهت نفسي على ذي العلَمْ

قال ابن إسحاق[٢] : وكان سهيلٌ رجلاً أعلَم[٣] من شفته السُّفْلى .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاءٍ أخو بني عامرٍ بن لؤيٍّ ، أنّ عمر بن الخطّاب قال لرسول الله ﷺ : دعني أنزع ثنيَّة سهيل بن عمروٍ يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً . فقال رسولُ الله ﷺ : « لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً » .

قلت : وهذا حديثٌ مرسلٌ ، بل معضلٌ .

قال ابن إسحاق[٥] : وقد بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا : « إنّه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمّه » .

قلت : وهذا هو المقام الذي قامه سهيلٌ بمكة ، حين مات رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ من العرب ، ونجم النّفاق بالمدينة وغيرها ، فقام بمكة فخطب الناس ، وثبّتهم على الدين الحنيف ، كما سيأتي في موضعه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .
(٣) الأعلم : المشقوق الشفة . « لسان العرب » (علم) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩) .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا قاولهم فيه مكرزٌ وانتهى إلى رضائهم قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رِجلي مكان رجله وخلّوا سبيله ، حتى يبعث إليكم بفدائه . فخلّوا سبيل سهيلٍ وحبسوا مكرزاً عندهم . وأنشد له ابن إسحاق في ذلك شعراً[٢] أنكره ابن هشامٍ[٣] ، فالله أعلم .

[قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ قال : وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان صخر بن حرب .

قال ابن إسحاق[٥] : وكانت أمّه بنت عقبة بن أبي معيطٍ .

قال ابن هشام[٦] : بل كانت أمّه أخت أبي معيطٍ . قال ابن هشام : وكان الذي أسره عليّ بن أبي طالبٍ][٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : وحدثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، [قال] : فقيل لأبي سفيان : افد عمراً ابنك . قال : أيجمع عليّ دمي ومالي ؟ قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ؟! دَعُوه في أيديهم يُمْسِكُوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوس بالمدينة ، إذ خرج سعد بن النّعمان بن أُكّالٍ ، أخو بني عمرو بن عوفٍ ، ثم أحد بني معاوية معتمراً ، ومعه مريّةٌ[٩] له ، وكان شيخاً مسلماً في غنم له بالنّقيع[١٠] ، فخرج من هنالك معتمراً ، [ولا يخشى الذي صنع به][١١] ، لم يظنَّ أنّه يحبس بمكة ، إنّما جاء معتمراً ، وقد كان عهد قريشاً لا يعرضون لأحدٍ جاء حاجّاً أو معتمراً إلّا بخيرٍ ، فعدا عليه أبو سفيان بن حربٍ بمكة ، فحبسه بابنه عمروٍ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠) .

(٢) قلت : وهي قوله ـ كما في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) ـ : [من الطويل]

فديت بأزواد ثمان سبا فتىً ... ينال الصميمَ غُرْمُها لا المواليا
رهنت يدي والمال أيسر من يدي ... عليَّ ولكني خشيت المخازيا
وقلت سهيلٌ خيرُها فاذهبوا به ... لأبنائنا حتى نُدير الأمانيا

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٦) في « السيرة النبوية » (١/ ٦٥٠) .

(٧) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) .

(٨) انظر « السيرة النبوية » (١/ ٦٥٠ ـ ٦٥١)

(٩) مريّة : تصغير امرأة .

(١٠) في (آ) و(ط) : « البقيع » . والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٠) . والنقيع : موضع قرب المدينة . انظر « معجم البلدان » (٤/ ٨٠٨) .

(١١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .

أرهط ابن أُكّالٍ أجيبوا دعاءه تعاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإنّ بني عمرٍو لئامٌ أذلّةٌ لئن لم يفكّوا[١] عن أسيرهم الكبلا

قال : فأجابه حسّان بن ثابتٍ يقول[٢] : [من الطويل]

لو كان سعدٌ يوم مكة مطلقاً[٣] لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلا
بعضبٍ حسامٍ أو بصفراءَ نبعةٍ تحنّ إذا ما أُنبضت تحفز النّبلا

قال : ومشى بنو عمرو بن عوفٍ إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكّوا به صاحبهم ، فأعطاهم النبيّ ﷺ فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى سبيل سعدٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان في الأسارى أبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن أميّة ، ختن رسول الله ﷺ وزوج ابنته زينب .

قال ابن هشامٍ[٥] : وكان الذي أسره خراش بن الصّمَّة أحد بني حرامٍ .

قال ابن إسحاق : وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً وأمانةً وتجارةً ، وكانت أمّه هالة بنت خويلدٍ أخت خديجة بنت خويلدٍ ، وكانت خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوّجه بابنتها زينب ، وكان لا يخالفها ، وذلك قبل الوحي ، وكان عليه السلام ، قد زوّج ابنته رقيّة أو أمّ كلثومٍ من عتبة بن أبي لهبٍ ، فلمّا جاء الوحي قال أبو لهبٍ : اشغلوا محمداً بنفسه . وأمر ابنه عتبة فطلّق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول ، فتزوّجها عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ومشوا إلى أبي العاص فقالوا له : فارق صاحبتك ونحن نزوّجك بأيّ امرأةٍ من قريشٍ شئت . قال : لا والله إذاً ؛ لا أفارق صاحبتي ، وما أحبّ أنّ لي بامرأتي امرأةً من قريشٍ . وكان رسول الله ﷺ يثني عليه في صهره ، فيما بلغني .

قلت : الحديث بذلك في الثناء عليه في صهره ثابتٌ في « الصحيح »[٦] كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٧] : وكان رسول الله ﷺ لا يُحلّ بمكة ، ولا يحرّم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب ابنة رسول الله ﷺ وبين أبي العاص ، وكان لا يقدر على أن يفرّق بينهما .

---

(١) في (ط) : « يكفوا » .
(٢) انظر « ديوان حسان » (١/ ٤٣٥) .
(٣) في « ديوان حسان » : « خافكم » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢) .
(٦) رواه « البخاري » (٣١١٠) و(٣٧٢٩) و« مسلم » (٢٤٤٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٢) .

قلت : إنّما حرّم الله المسلمات على المشركين عام الحديبية ، سنة ستٍّ من الهجرة ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق[١] : حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لمّا بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها . قالت : فلمّا رآها رسول الله ﷺ ، رقّ لها رقّةً شديدةً ، وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها الذي لها ، فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

قال ابن إسحاق[٢] : فكان ممّن سمّي لنا ممّن منّ عليه رسول الله ﷺ من الأسارى بغير فداءٍ ؛ من بني أميّة أبو العاص بن الرّبيع ، ومن بني مخزومٍ المُطَّلِبُ بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزومٍ ، أسره بعضُ بني [الحارث][٣] بن الخزرج ، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله ، فلحق بقومه .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه أن يخلّيَ سبيل زينب ، يعني أن تهاجر إلى المدينة ، فوفّى أبو العاص بذلك ، كما سيأتي .

وقد ذكر ذلك ابن إسحاق هاهنا فأخّرناه ؛ لأنّه أنسب ، والله أعلم .

وقد تقدّم ذكر افتداء العباس بن عبد المطلب عمّ النبيّ ﷺ نفسه وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه بمئة أوقيّةٍ من الذهب .

وقال ابن هشامٍ[٥] : كان الذي أسره[٦] أبو أيوب خالد بن زيدٍ .

قال ابن إسحاق[٧] : وصيفيّ بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ ، ترك في أيدي أصحابه ، فأخذوا عليه ليبعثنّ لهم بفدائه ، فخلّوا سبيله ، ولم يف لهم ، فقال حسّان بن ثابتٍ في ذلك[٨] : [من الطويل]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٣) لفظ « الحارث » سقط من (آ) وأثبته من (ط) و« السيرة النبوية » (١/ ٦٥٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٩) .
(٦) في (آ) و(ط) : أسر أبي العاص ، وهو خطأ ، لأن الذي أسر أبا العاص هو خراش بن الصِّمَّة ، كما تقدم في الصفحة التي قبلها .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٠) وفي « ديوان حسّان » (٢/ ١٣٠) : « صيفي بن عابد » .
(٨) انظر « ديوان حسان » (١/ ١٤٩) .

وما كان صيفيٌّ ليوفي أمانةً[١] قفا ثعلبٍ أعيا ببعض الموارد

قال ابن إسحاق[٢] : وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهيب بن حذافة بن جمح ، كان محتاجاً ذا بناتٍ ، قال : يا رسول الله ، لقد عرفت ما لي من مالٍ ، وإنّي لذو حاجةٍ وذو عيالٍ ؛ فامنن عليّ . فمنّ عليه رسول الله ﷺ ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً ، فقال أبو عزّة يمدح رسول الله ﷺ على ذلك :

[من الطويل]

مَن مبلغٌ عني الرسول محمداً بأنّك حقٌّ والمليك حميد
وأنت امرؤٌ تدعو إلى الحقّ والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤٌ بوّئت فينا مباءةٌ لها درجاتٌ سهلةٌ وصعود
فإنّك من حاربته لمحاربٌ شقيٌّ ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذُكّرتْ بدراً وأهله تَأَوَّبَ[٣] ما بي حسرةٌ وقعود

قلت : ثم إنّ أبا عزّة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ، ولعب المشركون بعقله ، فرجع إليهم ، فلمّا كان يوم أحدٍ أسر أيضاً ، فسأل من النبيّ ﷺ أن يمنّ عليه أيضاً ، فقال النبيّ ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمداً مَرَّتَيْنِ » . ثم أمر به ، فضربت عنقه[٤] ، كما سيأتي في غزوة أحدٍ .

ويقال : إنّ فيه قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرّتين »[٥] .

وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلّا منه ، عليه الصلاة والسلام .

قال ابن إسحاق[٦] : وحدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير قال : جلس عمير بن وهبٍ الجمحيّ مع صفوان بن أميّة في الحجر ، بعد مصاب أهل بدرٍ بيسيرٍ ، وكان عمير بن وهبٍ شيطاناً من شياطين قريشٍ ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقَون منه عناءً وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عميرٍ في أسارى بدرٍ .

قال ابن هشام[٧] : وكان الذي أسره رفاعة بن رافعٍ ، أحد بني زريقٍ .

قال ابن إسحاق[٨] : فحدّثني محمد بن جعفرٍ ، عن عروة قال ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ،

---

(١) في « الديوان » : « بذمة » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٠) .
(٣) من الأوب وهو الرجوع .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) .
(٥) رواه « البخاري » (٦١٣٣) و« مسلم » (٢٩٩٨) ، والحديث ليس خاصاً بأبي عزّة .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٦١) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦١) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦١ ـ ٦٦٣) .

فقال صفوان : والله إنْ[١] في العيش بعدهم خيرٌ . قال له عميرٌ : صدقت والله ، أما والله لولا دَينٌ عليّ ليس عندي قضاؤه ، وعيالٌ أخشى عليهم الضّيعة بعدي ، لركبت إلى محمدٍ حتى أقتله ، فإنّ لي فيهم[٢] علّةً ؛ ابني أسيرٌ في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان بن أميّة ، فقال : عليّ دَينك ، أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أُواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم . فقال له عميرٌ : فاكتم عنّي شأني وشأنك . قال : سأفعل . قال : ثم أمر عميرٌ بسيفه فشحذ له وسمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفرٍ من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدرٍ ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهبٍ ، وقد أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيفَ ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهبٍ ، ما جاء إلّا لشرٍّ ، وهو الذي حرّش بيننا ، وحزرنا[٣] للقوم يوم بدرٍ . ثم دخل عمر[٤] على رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ، هذا عدوّ الله عمير بن وهبٍ ، قد جاء متوشّحاً سيفه . قال : « فأدخله عليّ » . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ؛ فإنّه غير مأمونٍ . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلمّا رآه رسول الله ، وعمر آخذٌ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ، ادن يا عمير » . فدنا ثم قال : أنعم صباحاً . وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله : « قد أكرمنا الله بتحيةٍ خيرٍ من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهلِ الجنة » . قال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهدٍ . قال : « فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : جئت لهذا الأسيرِ الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » قال : قبّحها الله من سيوفٍ ، وهل أغنت شيئاً ؟ قال : « اصدقني ، ما الذي جئت له ؟ » قال : ما جئت إلّا لذلك . قال : « بل قعدت أنت وصفوان بن أميّة في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريشٍ ، ثم قلت : لولا دَينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمّل لك صفوان بن أميّة بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » . فقال عميرٌ : أشهد أنّك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزّل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إنّي لأعلم ما أتاك به إلّا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحقّ ، فقال رسول الله ﷺ : « فقّهوا أخاكم في دينه ، وعلّموه القرآن ، وأطلقوا أسيره » . ففعلوا . ثم قال : يا رسول الله ، إنّي كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحبّ أن تأذن لي فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ؛ لعلّ الله يهديهم ، وإلّا آذيتهم في دينهم كما

---

(١) في (ط) : « ما أن » . و« إن » هنا بمعنى « ما » النافية .

(٢) في « السيرة النبوية » : « قِبَلهم » .

(٣) حزر : قدر بالتخمين .

(٤) لفظ « عمر » سقط من : (ط) .

كنتُ أوذي أصحابك في دينهم . قال : فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهبٍ يقول : أبشروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ ، تنسيكم أيام[١] بدرٍ .

وكان صفوان يسأل عنه الرّكبان ، حتى قدم راكبٌ فأخبره عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلّمه أبداً ، ولا ينفعه بنفعٍ أبداً .

قال ابن إسحاق[٢] : فلمّا قدم عميرٌ مكة ، أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرٌ .

قال ابن إسحاق : وعمير بن وهبٍ ، أو الحارث بن هشامٍ ، هو الذي رأى عدوّ الله إبليس ، حين نكص على عقبيه يوم بدرٍ ، وفرّ هارباً ، وقال : إنّي بريءٌ منكم ، إنّي أرى ما لا ترون . وكان إبليس يومئذٍ في صورة سراقة بن مالك بن جعشمٍ أمير مدلجٍ .

فصل

ثم إنّ الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، تكلّم على ما نزل من القرآن في قصة بدرٍ ، وهو من أول سورة « الأنفال » إلى آخرها ، فأجاد وأفاد[٣] ، وقد تقصّينا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير »[٤] فمن أراد الاطّلاع على ذلك فلينظره ثمّ ، ولله الحمد والمنّة .

فصل

ثم شرع ابن إسحاق في تَسْمِيَةِ من شهد بدراً من المسلمين[٥] ، فسرد أسماء من شهدها من المهاجرين أولاً ، ثم أسماء من شهدها[٦] من الأنصار أوسها وخزرجها ، إلى أن قال[٧] : فجميع من شهد بدراً من المسلمين ؛ من المهاجرين والأنصار ؛ من شهدها [منهم] ومن ضرب له بسهمه وأجره ، ثلاثمئة رجلٍ وأربعة عشر رجلاً ؛ من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون ، ومن الأوس أحدٌ وستون رجلاً ، ومن الخزرج مئةٌ وسبعون رجلاً . وقد سردهم البخاريّ في « صحيحه »[٨] مرتّبين على حروف

---

(١) في (ط) : « وقعة » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦٦ ـ ٦٧٧) .
(٤) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٥ ـ ٥٩٩) و(٤/ ٣ ـ ٤٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٧٧ ـ ٧٠٦) ولفظ « منهم » مستدرك منه .
(٦) سقط من : (ط) .
(٧) انظر « سيرة ابن إسحاق » ص (٢٨٨) وانظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٧٠٦) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » ، باب تسمية من سمي من أهل بدر . . ، من كتاب « المغازي » . « فتح الباري » (٧/ ٣٢٦) بعد الحديث رقم (٤٠٢٧) .

المعجم ، بعد البداءة برسول الله ﷺ ثم بأبي بكرٍ ، وعمر[١] ، وعثمان ، وعليٍّ ، رضي الله عنهم .

وهذه تسمية من شهد بدراً من المسلمين مرتّبين على حروف المعجم[٢] ، وذلك من كتاب « الأحكام الكبير » للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المَقْدِسِيِّ ، وغيره ، بعد البداءة باسم رئيسهم وفخرهم وسيِّد ولد آدم محمدٍ رسول الله ﷺ .

حرف الألف

أُبيّ بن كعبٍ النّجّاريّ سيِّد القُرّاء ، الأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزومٍ المخزوميّ . أسعد بن يزيد بن الفاكه بن يزيد بن خلدة بن عامر بن العجلان ، أسود بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنمٍ . كذا قال موسى بن عقبة[٣] .

وقال الأمويّ : سوادُ بن رزام بن ثعلبة بن عبيد بن عديّ . شكّ فيه . وقال سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحاق[٤] : سواد بن زريق بن ثعلبة .

وقال ابن عائذٍ : سواد بن زيدٍ[٥] . أسير بن عمروٍ الأنصاريّ أبو سليطٍ . وقيل : أسير بن عمروٍ بن أميّة بن لوذان بن سالم بن ثابتٍ الخزرجيّ . ولم يذكره موسى بن عقبة .

أنس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث الأوسيّ . كذا سماه موسى بن عقبة[٦] . وسماه الأمويّ في « السيرة » أُنَيْساً[٧] .

[قلت : وأنس بن مالكٍ خادم النبيّ ﷺ ، لما روى عمر بن شبّة النّميريّ[٨] ، حدّثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، عن أبيه ، عن ثمامة بن أنس قال : قيل لأنس بن مالكٍ : أشهدت بدراً ؟ قال : وأين أغيب عن بدرٍ لا أمّ لك ؟! .

---

(١) اسم « عمر » رضي الله عنه ، سقط من : (ط) .
(٢) وقد ذكرهم بترتيب آخر ابن سَيِّد الناس في « عيون الأثر » (١/ ٤١٧ ـ ٤٣٢) طبع دار ابن كثير .
وقد صنَّف العالم الحموي (محمد الحسن السَّمان الحموي) صاحب « فيض المنعم من صحيح مسلم » مصنَّفاً في ذكرهم لازال مخطوطاً ويحتفظ به مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدُبي .
(٣) يعني تسمية « أسود بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غنم » فقط . وقد ذكر هذا القول معزواً لابن عقبة ، ابنُ الأثير في « أسد الغابة » (١/ ١٠٣) وابنُ حجر في « الإصابة » (١/ ٧٣ ـ ٧٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٨) .
(٥) وذكره بهذه التسمية ابنُ حجر في « الإصابة » (١/ ٧٤) ، ولم يعزها لأحد .
(٦) انظر « أسد الغابة » (١/ ١٥٠) .
(٧) في (ط) والأموي في السيرة أنيس ، وهو خطأ .
(٨) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٣٦١) .

وقال محمد بن سعدٍ[١] : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ ، ثنا أبي ، عن مولىً لأنس بن مالكٍ ، أنّه قال لأنسٍ : شهدت بدراً ؟ قال : لا أمّ لك ، وأين أغيب عن بدرٍ ؟! قال محمد بن عبد الله الأنصاريّ : خرج أنس بن مالكٍ مع رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وهو غلامٌ يخدمه .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزّيّ في « تهذيبه »[٢] : هكذا قال الأنصاريّ ، ولم يذكر ذلك أحدٌ من أصحاب المغازي] .

أنس بن معاذ [بن أنس] بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمروٍ بن مالك بن النّجار . أنسة الحبشيّ مولى رسول الله ﷺ . أوس بن ثابت بن المنذر النّجاريّ . أوس بن خَوْلِيٍّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن [الخزرج الخزرجيّ . وقال موسى بن عقبة : أوس بن عبد الله بن الحارث] بن خوليٍّ . أوس بن الصّامت الخزرجيّ أخو عبادة بن الصّامت . إياس بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكرٍ حليف بني عديّ بن كعبٍ .

حرف الباء

بجير بن أبي بجيرٍ حليف بني النّجّار . بحّاث بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمّارة البلويّ حليف الأنصار ، بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد بن عمروٍ بن سعيد[٣] بن ذبيان بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهنيّ حليف بني ساعدة ، وهو أحد العينين[٤] هو وعديّ بن أبي الزّغباء كما تقدّم . بشر ابن البراء بن معرورٍ الخزرجيّ الذي مات بخيبر من الشاة المسمومة ، بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ والد النّعمان بن بشيرٍ . ويقال : إنّه أول من بايع الصّدّيق . بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأوسيّ ، ردّه عليه الصلاة والسلام ، من الرّوحاء واستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره .

حرف التاء

تميم بن يَعار بن قيس بن عديّ بن أميّة بن جدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج . تميمٌ مولى خراش بن الصّمّة . تميمٌ مولى بني غنم بن السّلم . وقال ابن هشامٍ[٥] : هو مولى سعد بن خيثمة .

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٣٦١) .

(٢) انظر « تهذيب الكمال » (٣/ ٣٦٨) .

(٣) في « الاستيعاب » (١/ ١٩٠) و« جمهرة أنساب العرب » ص (٤٤٤) و« أسد الغابة » (١/ ٢١٣) و« الإصابة » (١/ ٢٨٨) : « سعد » .

(٤) يعني أنه كان هو وعدي عينين يترقبان موعد نزول عِير أبي سفيان ببدر ، قبيل الغزوة .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٠) .

حرف الثاء

ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عديّ بن العجلان . ثابت بن ثعلبة ـ ويقال لثعلبة هذا : الجذع ـ بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة . ثابت بن خالد بن النّعمان بن خنساء بن عسيرة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النّجار النّجاريّ . ثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عديّ بن عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار النجّاريّ . ثابت بن عمرو بن زيد بن عديّ بن سَوادِ بن مالك بن غنم بن مالك بن النجّار النجّاريّ . ثابت بن هزّالٍ الخزرجيّ . ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن الأوس . ثعلبة بن عمرو بن عبيد بن مالكٍ النجّاريّ . ثعلبة بن عمرو بن محصنٍ الخزرجيّ . ثعلبة بن عتمة بن عديّ بن نابي السّلميّ . ثقف بن عمروٍ ، من بني حجر آل بني سليمٍ ، وهو من حلفاء بني كثير بن غنم بن دودان بن أسدٍ .

حرف الجيم

جابر بن خالد بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النّجّار النّجّاريّ . جابر بن عبد الله بن رئاب بن النّعمان بن سنان بن عبيد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سَلمة السّلميّ ، أحد الذين شهدوا العقبة .

[قلت : فأمّا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرامٍ السّلميّ أيضاً ، فذكره البخاريّ فيهم في مسندٍ[(١)] ، عن سعيد بن منصورٍ ، عن أبي معاويةَ ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابرٍ قال : كنت أميح[(٢)] لأصحابي الماء يوم بدرٍ . وهذا الإسناد على شرط مسلمٍ ، لكن قال محمد بن سعدٍ[(٣)] : ذكرت لمحمد بن عمر ـ يعني الواقديّ ـ هذا الحديث ، فقال : هذا وهمٌ من أهل العراق . وأنكر أن يكون جابرٌ شهد بدراً .

وقال الإمام أحمد بن حنبلٍ[(٤)] : حدثنا روح بن عبادة ، ثنا زكريا بن إسحاق ، ثنا أبو الزّبير ، أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوةً ، ولم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعني أبي ، فلمّا قتل أبي يوم أحدٍ ، لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ عن غزاةٍ .

ورواه مسلمٌ[(٥)] ، عن أبي خيثمة عن روحٍ][(٦)] .

---

(١) لعله في كتابه « المصنّف في أسماء الصحابة » الذي ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٨٩) .
(٢) في (ط) : « أمتح » .
(٣) انظر « تاريخ دمشق » (١١/ ٢١٧) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٢٩) .
(٥) رواه « مسلم » (١٨١٣) .
(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته من (ط) .

جبّار بن صخرٍ السلميّ . جبر بن عتيكٍ الأنصاريّ . جبير بن إياسٍ الخزرجيّ .

حرف الحاء

الحارث بن أنس بن رافعٍ الخزرجيّ . الحارث بن أوس بن معاذٍ ، ابن أخي سعد بن معاذٍ الأوسيّ . الحارث بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة بن زيد بن مالك بن الأوس ، ردّه عليه الصلاة والسلام ، من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن خزمة بن عديٍّ بن أبي غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليفٌ لبني زعورا بن عبد الأشهل . الحارث بن الصّمّة الخزرجيّ ، ردّه عليه الصلاة والسلام ؛ لأنّه كسر من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره . الحارث بن عرفجة الأوسيّ . الحارث بن قيس بن خالدٍ[١] أبو خالدٍ الخزرجيّ . الحارث بن النّعمان بن أميّة الأنصاريّ . حارثة بن سراقة النّجّاريّ ، أصابه سهمٌ غربٌ وهو في النّظّارة ، فرفع إلى الفردوس . حارثة بن النّعمان بن رافعٍ الأنصاريّ . حاطب بن أبي بلتعة اللّخميّ ، حليف بني أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ . حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميّة الأشجعيّ ، من بني دهمان . هكذا ذكره ابن هشامٍ[٢] عن غير ابن إسحاق .

وقال الواقديّ[٣] : حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍّ .

وكذا ذكره ابن عائذٍ في « مغازيه » .

وقال ابن أبي حاتمٍ[٤] : حاطب بن عمرو بن عبد شمسٍ . سمعته من أبي ، وقال : هو رجل مجهولٌ .

الحباب بن المنذر الخزرجيّ . ويقال : كان لواء الخزرج معه يومئذٍ . حبيب بن أسود مولى بني حرامٍ من بني سلِمة . وقال موسى بن عقبة[٥] : حبيب بن سعدٍ . بدل « أسود » .

وقال ابن أبي حاتمٍ[٦] : حبيب بن أسلم مولى آل جشم بن الخزرج . أنصاريّ بدريّ . حريث بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه الأنصاريّ أخو عبد الله بن زيد الذي أري النّداء[٧] . الحصين بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ . حمزة بن عبد المطلب بن هاشمٍ عمّ رسول الله ﷺ .

---

(١) في (ط) : « خلدة » وانظر « أسد الغابة » (١/ ٤١١) و(٦/ ٨١) و« الإصابة » (١/ ٥٩٣) و« سيرة ابن هشام » (١/ ٧٠٠) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٨) وليس عنده : « الأشجعي من بني دهمان » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٥٦) .

(٤) انظر « الجرح والتعديل » (٣/ ٣٠٣) .

(٥) انظر « الاستيعاب » (١/ ٣١٩) .

(٦) انظر « الجرح والتعديل » (٣/ ٩٦) .

(٧) أي : الأذان .

حرف الخاء

خالد بن البكير أخو إياسٍ المتقدّم . خالد بن زيدٍ أبو أيوب النّجّاريّ . خالد بن قيس بن مالك بن العجلان الأنصاريّ . خارجة بن الحميّر ، حليف بني خنساء من الخزرج ، وقيل : اسمه حمزة[١] بن الحميّر . وسمّاه ابن عائذٍ : أبا خارجة[٢] ، فالله أعلم . خارجة بن زيدٍ الخَزْرَجيّ صهر الصّدّيق . خبّاب بن الأرتّ ، حليف بني زهرة ، وهو من المهاجرين الأوّلين ، وأصله من بني تميم ، ويقال : من خزاعة . خبّابٌ مولى عتبة بن غزوان ، من المهاجرين الأوّلين . خراش بن الصّمّة السّلميّ . خبيب بن إساف [بن عنبة][٣] الخَزْرَجيّ . خريم بن فاتكٍ . ذكره البخاريّ[٤] فيهم . خليفة بن عديٍّ الخزرجيّ . خليد بن قيس بن النّعمان بن سنان بن عبيدٍ [الأنصاريّ السّلميّ][٥] . خنيس بن حذافة بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهمٍ بن عمرو بن هصيصٍ بن كعب بن لؤيّ السّهميّ . قتل يومئذٍ فتأيّمت منه حفصة بنت عمر بن الخطاب . خوّات بن جبيرٍ الأنصاريّ ، ضرب له بسهمه وأجره ، ولم يشهدها بنفسه . خوليّ بن أبي خَوْلِيٍّ ! العجليّ حليف بني عديّ . من المهاجرين الأوّلين . خلّاد بن رافعٍ . وخلّاد بن سويدٍ . وخلّاد بن عمرو بن الجموح الخزرجيّون .

حرف الذّال

ذكوان بن عبد قيس الخزرجيّ . ذو الشّمالين بن عبد بن عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامرٍ ، من خزاعة ، حليفٌ لبني زهرة ، قتل يومئذٍ شهيداً .

قال ابن هشامٍ[٦] : واسمه عميرٌ ، وإنّما قيل له : ذو الشّمالين ؛ لأنّه كان أعسر .

حرف الرّاء

رافع بن الحارث الأوسيّ . رافع بن عُنجَدة . قال ابن هشامٍ[٧] : هي أمّه . رافع بن المعلّى بن لوذان الخزرجيّ قتل يومئذٍ . ربعيّ بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن عجلان بن ضبيعة . وقال موسى بن عقبة : ربعيّ بن أبي رافعٍ . ربيع بن إياسٍ الخزرجيّ . ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن

---

(١) في (ط) : « حارثة » .

(٢) في (آ) و(ط) : « خارجة » والتصحيح من « المشتبه » (١/ ٢٥١) و« تبصير المنتبه » (١/ ٤٥٦) .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من : (آ) . وانظر « أسد الغابة » (٢/ ١١٨) و« الإصابة » (٢/ ٢٦١) .

(٤) انظر « التاريخ الكبير » (٣/ ٢٢٤) .

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من : (آ) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨١) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٨) .

لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليفٌ لبني عبد شمس بن عبد منافٍ ، وهو من المهاجرين الأوّلين . رخيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة الخزرجيّ . رفاعة بن رافعٍ الزّرقيّ ، أخو خلّاد بن رافعٍ . رفاعة بن عبد المنذر بن زنبرٍ الأوسيّ أخو أبي لبابة . رِفاعةُ بن عمرو بن زيدٍ الخزرجيّ .

حرف الزّاي

الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصيٍّ ، ابن عمّة رسول الله ﷺ وحواريّه . زياد بن عمروٍ . وقال موسى بن عقبة[١] : زياد بن الأخرس بن عمروٍ الجهنيّ . وقال الواقديّ : زياد بن كعبٍ بن عمروٍ بن عديٍّ بن عمرو بن رفاعة بن كليبٍ بن مودوعة[٢] بن عديّ بن عمرو بن الرُّبْعي[٣] بن رشدان بن قَيْسِ بن جهينة . زياد بن لبيد الزّرقيّ . زيد[٤] بن المزيّن بن قيسٍ الخزرجيّ . زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عديّ بن عجلان بن ضبيعة . زيد بن حارثة شراحيل[٥] مولى رسول الله ﷺ ، رضي الله عنه . زيد بن الخطَّاب بن نُفَيْلٍ أخو عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنهما . زيد بن سهل بن الأسود بن حرامٍ النّجّاريّ أبو طلحة ، رضي الله عنه .

حرف السّين

سالم بن عميرٍ الأوسيّ . سالم بن عوفٍ الخزرجيّ . [سالم بن معقلٍ مولى أبي حذيفة[٦] . السّائب بن عثمان بن مظعونٍ الجمحيّ . شهد[٧] مع أبيه . سبرة بن فاتكٍ . ذكره البخاريّ . سبيع بن قيس بن عيشة الخزرجيّ . سراقة بن عمروٍ النّجّاريّ . سراقة بن كعبٍ النّجّاريّ أيضاً . سعد بن خولة مولى بني عامرٍ بن لؤيٍّ ، من المهاجرين الأوّلين . سعد بن خيثمة الأوسيّ ، قتل يومئذٍ شهيداً . سعد بن الرّبيع الخزرجيّ الذي قتل يوم أحدٍ شهيداً . سعد بن زيد بن مالك الأوسيّ . [وقال الواقدي][٨] سعد بن زيد بن الفاكه الخزرجيّ . سعد بن سهيل بن عبد الأشْهل النّجّاريّ . سعد بن عبيدٍ الأنصاريّ . سعد بن

(١) انظر « الاستيعاب » (٢/ ٥٣٣) و« أسد الغابة » (٢/ ٢٧٣) .
(٢) في (آ) : « بردعة » وفي (ط) : « برذعة » والتصحيح من « أسد الغابة » وانظر « الإصابة » (٢/ ٥٨٦) .
(٣) في (ط) : « الزبعري » . وانظر « أسد الغابة » (٢/ ٢٧٣) و« تبصير المنتبه » (٢/ ٥٩٢) .
(٤) في (آ) و(ط) : « زياد » والتصحيح من « الاستيعاب » (٢/ ٥٥٨) و« أسد الغابة » (٢/ ٣٠٠) و« الإصابة » (٢/ ٦٢٠) وعندهم جميعاً وسماه الواقدي « يزيد » .
(٥) في (ط) : « شرحبيل » .
(٦) سقط من : (آ) وأثبته من (ط) .
(٧) يعني شهد بدراً .
(٨) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) .

عثمان بن خلدة الخزرجيّ أبو عبادة . وقال ابن عائذٍ : أبو عبيدة . سعد بن معاذٍ الأوسيّ . كان لواء الأوس معه . سعد بن عبادة بن دليمٍ الخزرجيّ . ذكره غير واحدٍ ؛ منهم عروة ، والبخاريّ ، وابن أبي حاتمٍ ، والطّبرانيّ فيمن شهد بدراً ، ووقع في « صحيح مسلمٍ »[١] ما يشهد بذلك حين شاور النبيّ ﷺ في ملتقى النّفير من قريشٍ ، فقال سعد بن عبادة : كأنّك تريدنا يا رسول الله ، الحديث . والصحيح أنّ ذلك سعد بن معاذٍ ، والمشهور[٢] أنّ سعد بن عبادة ردّه من الطريق ، قيل : لاستنابته على المدينة . وقيل : لدغته حيّةٌ ، فلم يتمكّن من الخروج إلى بدرٍ . حكاه السّهيليّ عن ابن قتيبة[٣] ، فالله أعلم .

سعد بن أبي وقّاصٍ مالك بن أهيبٍ الزّهريّ ، أحد العشرة . سعد بن مالكٍ أبو سهلٍ . قال الواقديّ[٤] : تجهّز ليخرج ، فمرض فمات قبل الخروج . سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيلٍ العدويّ ، ابن عمّ عمر بن الخطاب ، يقال : قدم من الشام بعد مرجعهم من بدرٍ ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . سفيان بن بشر بن عمروٍ الخزرجيّ . سلمة بن أسلم بن حريشٍ الأوسيّ . سلمة بن ثابت بن وقش بن زغبة . سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة . سليمٌ بن الحارث النّجاريّ . سليم بن عمروٍ السّلميّ . سليم بن قيس بن فهدٍ الخزرجيّ . سليم بن ملحان ، أخو حرام بن ملحان النجّاريّ . سماك بن أوس بن خرشة ، أبو دجانة . ويقال : سماك بن خرشة . سماك بن سعد بن ثعلبة الخزرجيّ . وهو أخو بشير بن سعدٍ المتقدّم . سهل بن حنيفٍ الأوسيّ . سهل بن عتيكٍ النجّاريّ . سهل بن قيسٍ السّلميّ . سهيل[٥] بن رافعٍ النجّاريّ . الذي كان له ولأخيه موضع المسجد النبويّ كما تقدّم . سهيل بن وهبٍ الفهريّ ، وهو ابن بيضاء ، وهي أمّه . سنان بن أبي سنان بن محصن بن حرثان ، من المهاجرين ، حليف بني عبد شمس بن عبد منافٍ . سنان بن صيفيٍّ السّلميّ . سواد بن زريق بن زيدٍ الأنصاريّ[٦] . وقال الأمويّ : سواد بن رزامٍ . سواد بن غزيّة بن أُهيبٍ البلويّ . سويبط بن سعد بن حرملة العبدريّ . سويد بن مخشيٍّ أبو مخشيٍّ الطّائيّ ، حليف بني عبد شمسٍ ، وقيل : اسمه أربد[٧] بن حميرٍ[٨] .

---

(١) انظر « مسلم » (١٧٧٩) .

(٢) اختُلِف في شهود سعد بن عبادة بدراً . انظر « الاستيعاب » (٢/ ٥٩٤) و« أسد الغابة » (٢/ ٣٥٦) و« الإصابة » (٣/ ٦٦) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٢٩٦) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٠١) .

(٥) في (آ) : « سهل » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب . وانظر « الاستيعاب » (٢/ ٦٣٣) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٨) .

(٧) في (آ) و(ط) : « أزيد » وفي « أسد الغابة » (١/ ٧٢) و« الإصابة » (١/ ٤٢) و« تبصير المنتبه » (١/ ٤٦٥) : « أربد » .

(٨) في (آ) : « حميرة » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

حرف الشّين

شجاع بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة ، حليف بني عبد شمسٍ ، من المهاجرين الأوّلين . شمّاس بن عثمان المخزوميّ .

قال ابن هشام[١] : واسمه عثمان بن عثمان ، وإنّما سمّي شمّاساً ؛ لحسنه وشبهه شمّاساً كان في الجاهليّة . شقران مولى رسول الله ﷺ .

قال الواقديّ[٢] : لم يسهم له ، وكان على الأسرى ، فأعطاه كلّ رجلٍ ممّن له في الأسرى[٣] شيئاً ، فحصل له أكثر من سهمٍ .

حرف الصّاد

صهيب بن سنانٍ الرّوميّ ، من المهاجرين الأوّلين . صفوان بن وهب بن ربيعة الفهريّ ، أخو سهيل بن بيضاء ، قتل شهيداً يومئذٍ . صخر بن أميّة بن خنساء السّلميّ .

حرف الضّاد

ضحّاك بن حارثة بن زيدٍ السّلميّ . ضحّاك بن عبد عمروٍ النجّاريّ . ضمرة بن عمروٍ الجهنيّ . وقال موسى بن عقبة[٤] : ضمرة بن كعب بن عمروٍ حليف الأنصار ، وهو أخو زياد بن عمروٍ .

حرف الطّاء

طلحة بن عبيد الله التّيميّ ، أحد العشرة ، قدم من الشام بعد مرجعهم من بدرٍ ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره . طفيل بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، من المهاجرين ، وهو أخو حصينٍ وعبيدة . طفيل بن مالك بن خنساء السّلميّ . طفيل بن النّعمان بن خنساء السّلميّ ، ابن عمّ الذي قبله . طُليب بن عمير بن وهب بن أبي[٥] كثير[٦] بن عبد بن[٧] قصيٍّ . ذكره الواقديّ[٨] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٣) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ١٥٣) .
(٣) لفظ « الأسرى » سقط من (آ) .
(٤) انظر « الاستيعاب » (٢/ ٧٤٩) و« أسد الغابة » (٣/ ٦٢) .
(٥) سقط من (ط) وانظر « الاستيعاب » (٢/ ٧٧٢) و« الإصابة » (٣/ ٥٤٠) .
(٦) في (آ) و(ط) : « كبير » والتصحيح من « الاستيعاب » و« الإصابة » .
(٧) سقط من : (ط) . وانظر « الاستيعاب » و« الإصابة » .
(٨) انظر « المغازي » (١/ ١٥٤) .

حرف الظّاء

ظُهير بن رافعٍ الأوسيّ . ذكره البخاريّ[١] .

حرف العين

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّ ، الذي حمته الدّبر[٢] حين قتل بالرّجيع . عاصم بن عديٍّ بن الجدّ بن عجلان ، ردّه عليه السلام من الرّوحاء ، وضرب له بسهمه وأجره . عاصم بن قيس بن ثابتٍ الخزرجيّ . عاقل بن البكير ، أخو إياسٍ وخالدٍ وعامرٍ . عامر بن أميّة بن زيد بن الحسحاس النجّاريّ . عامر بن الحارث الفهريّ . كذا ذكره سلمة ، عن ابن إسحاق ، وابن عائذٍ . وقال موسى بن عقبة وزيادٌ ، عن ابن إسحاق : عمرو بن الحارث[٣] . عامر بن ربيعة بن مالكٍ العنزي ، حليف بني عديٍّ ، من المهاجرين . عامر بن سلمة بن عامر بن عبد الله البلويّ القضاعيّ ، حليف بني مالك بن سالم بن غنمٍ .

قال ابن هشامٍ[٤] : ويقال : عمرو[٥] بن سلمة . عامر بن عبد الله بن الجرّاح [بن هلال بن أُهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهرٍ ، أبو عبيدة بن الجرّاح][٦] ، أحد العشرة ، من المهاجرين الأوّلين . عامر بن فهيرة مولى أبي بكرٍ . عامر بن مخلّدٍ النجّاريّ . عائذ بن ماعص بن قيسٍ الخزرجيّ . عبّاد بن بشر بن وقشٍ الأوسيّ . عبّاد بن قَيْس بن عامرٍ الخزرجيّ . عبّاد بن قَيْس بن عيشة الخزرجيّ ، أخو سبيعٍ المتقدّم . عبادة[٧] بن الخشخاش القضاعيّ . عبادة بن الصّامت الخزرجيّ . عبادة[٨] بن قيس بن كعب بن قيسٍ . عبد الله بن أميّة بن عرفطة . عبد الله بن ثعلبة بن خزمة ، أخو بحّاثٍ المتقدّم . عبد الله بن جحش بن رئابٍ[٩] الأسديّ . عبد الله بن جبير بن النّعمان الأوسيّ . عبد الله بن الجدّ بن قيسٍ السّلميّ . عبد الله بن حقّ بن أوس السّاعديّ . وقال موسى بن عقبة ، والواقديّ ، وابن عائذٍ : عبد ربٍّ

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠١٢) و(٤٠١٣) .
(٢) الدَّبْر : جماعة النحل والزنابير . انظر « القاموس المحيط » (دبر) .
(٣) انظر الاختلاف في اسمه في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٣) .
(٥) في (ط) : « عمر » .
(٦) سقط من : (آ) وأثبته من (ط) . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ١٢٨) و« الإصابة » (٣/ ٥٨٦) .
(٧) في (ط) : « عبَّاد » .
(٨) في (ط) : « عبَّاد » .
(٩) في (آ) : « ريان » . وانظر « الاستيعاب » (٣/ ٨٧٧) و« أسد الغابة » (٣/ ١٩٤) و« الإصابة » (٤/ ٣٥) .

ابن حقٍّ . وقال ابن هشامٍ[١] : عبد ربّه بن حقٍّ . عبد الله بن الحميّر ، حليفٌ لبني حرامٍ ، وهو أخو خارجة بن الحميّر من أشجع . عبد الله بن الرّبيع بن قيسٍ الخزرجيّ . عبد الله بن رواحة الخزرجيّ . عبد الله بن زيد بن عبد ربّه بن ثعلبة[٢] الخزرجيّ ، الذي أُري النّداء . عبد الله بن سرَاقة العدويّ . لم يذكره موسى بن عقبة ولا الواقديّ ولا ابن عائذٍ ، وذكره ابن إسحاق وغيره[٣] . عبد الله بن سلمة بن مالكٍ العجلانيّ[٤] ، حليف الأنصار . عبد الله بن سهل[٥] بن رافعٍ ، أخو بني زعورا . عبدُ الله بن سهيل بن عمروٍ ، خرج مع أبيه والمشركين ، ثم فرّ من المشركين إلى المسلمين فشهدها معهم . عبد الله بن طارق بن مالكٍ القضاعيّ ، حليف الأوس . عبد الله بن عامرٍ ، من بليٍّ ، ذكره ابن إسحاق[٦] . عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول الخزرجيّ ، وكان أبوه رأس المنافقين . عبد الله بن عبد الأسد بن هلالٍ بن عبد الله بن عمر[٧] بن مخزومٍ ، أبو سلمة ، زوج أمّ سلمة ، قتل يومئذٍ[٨] . عبد الله بن عبد مناف بن النّعمان السّلميّ . عبد الله بن عبسٍ . عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد[٩] بن تيم بن مرّة بن كعبٍ ، أبو بكرٍ الصّدّيق ، رضي الله عنه . عبد الله بن عرفطة بن عديٍّ الخزرجيّ . عبد الله بن عمرو[١٠] بن حرامٍ السّلميّ ، أبو جابرٍ . عبد الله بن عمير بن عديٍّ الخزرجيّ . عبد الله بن قيس بن خالدٍ النجّاريّ . عبد الله بن قيس بن صخر بن حرامٍ السّلميّ . عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجّار ، جعله النّبيّ ﷺ مع عديٍّ بن أبي الزّغباء على النّفل يوم بدرٍ . عبد الله بن مخرمة بن عبد العُزّى ، من المهاجرين الأوّلين . عبد الله بن مسعودٍ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) . وهو قول ابن إسحاق ، وإنما سكت عليه ابن هشام ولم يذكر قولاً آخر بعده .
(٢) كذا في (آ) و(ط) وفي « المغازي » للواقدي (١/ ١٦٦) و« سيرة ابن هشام » (١/ ٦٩٢) و« أسد الغابة » (٣/ ٢٤٧) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه » . وفي « الإصابة » (٤/ ٩٧) : « عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله بن ثعلبة بن زيد . . » ثم قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : كذا نسبه أبو عمر ـ انظر « الاستيعاب » (٣/ ٩١٢) ـ فزاد في نسبه ثعلبة ، والمعروف إسقاطه . انتهى من « الإصابة » ، وليس عند ابن عبد البر « ثعلبة » الأخير .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٤) و« الإصابة » (٤/ ١٠٥) حيث أشار الحافظ ابن حجر إلى أن ابن إسحاق والزبير وخليفة اتفقوا على شهوده بدراً . وقال عقب ذلك : واختلف على موسى بن عقبة في شهوده بدراً .
(٤) في (آ) و(ط) : « العجلان » والتصحيح من « الاستيعاب » (٣/ ٩٢٣) و« أسد الغابة » (٣/ ٢٦٦) .
(٥) في (آ) : « سهيل » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٢٦٩) و« الإصابة » (٤/ ١٢٢) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) .
(٧) في (ط) : « عمرو » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٢٩٤) و« الإصابة » (٤/ ١٥٢) .
(٨) والصواب أنه شهد أحداً ، وأن وفاته كانت في جمادى الآخرة سنة أربع بعد انتقاض جرح أصابه بأحد . وهو قول الجمهور ـ كما نقله الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٤/ ١٥٤) .
(٩) قوله : « ابن سعد » سقط من : (آ) . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٣٠٩) و« الإصابة » (٤/ ١٦٩) .
(١٠) في (ط) : « عمر » وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٣٤٦) و« الإصابة » (٤/ ١٨٩) .

الهذليّ ، حليف بني زهرة ، من المهاجرين الأوّلين . عبد الله بن مظعونٍ الجمحيّ ، من المهاجرين الأولين . عبد الله بن النّعمان بن بُلدُمة السّلميّ . عبد الله بن أُنَيْسَة[١] بن النّعمان السّلميّ . عبد الرحمن ابن جبر بن عمروٍ ، أبو عبسٍ[٢] الخزرجيّ . عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة ، أبو عقيلٍ القُضاعيُّ البلويّ . عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلابٍ الزّهريّ ، أحد العشرة ، رضي الله عنهم . عبس بن عامر بن عديٍّ السّلميّ ، عبيد بن التّيّهان ، أخو أبي الهيثم بن التّيّهان ، ويقال : « عتيكٌ » بدل « عبيدٍ » . عبيد[٣] بن ثعلبة من بني غنم بن مالكٍ . عبيد[٤] بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامرٍ . عبيد بن أبي عبيدٍ . عبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد منافٍ ، أخو الحصين والطّفيل ، وكان أحد الثلاثةِ الذين بارزوا يوم بدرٍ ، فقطعت يده ، ثم مات بعد المعركة ، رضي الله عنه . عتبان بن مالك بن عمروٍ الخزرجيّ . عتبة بن ربيعة بن خالدٍ بن معاوية البهرانيّ ، حليف بني أميّة بن لوذان . عتبة بن عبد الله بن صخرٍ السّلميّ . عتبة بن غزوان بن جابرٍ ، من المهاجرين الأوّلين . عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد منافٍ الأمويّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخُلَفاء الأربعة وأحد العشرة ، تخلّف على زوجته رقيّة بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأَجره . عثمان بن مظعونٍ الجمحيّ أبو السّائب ، أخو عبد الله وقدامة ، من المهاجرين الأوّلين . عديّ بن أبي الزّغباء الجهنيّ ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ وبسبس بن عمروٍ بين يديه عيناً . عصمة بن الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان . عصيمة ، حليفٌ لبني الحارث بن سوادٍ ، من أشجع ، وقيل : من بني أسد بن خزيمة . عطيّة بن نويرة بن عامر بن عطية الخزرجيّ . عقبة بن عامر بن نابي السّلميّ . عقبة بن عثمان بن خلدة الخزرجيّ ، أخو سعد بن عثمان . عقبة بن عمروٍ ، أبو مسعودٍ البدريّ . وقع في « صحيح البخاريّ »[٥] أنّه شهد بدراً ، وفيه نظرٌ عند كثيرٍ من أصحاب المغازي[٦] ؛ ولهذا لم يذكروه . عقبة بن وهب بن ربيعة الأسديّ ، أسد خزيمة حليفٌ لبني عبد شمسٍ ، وهو أخو شجاع بن وهبٍ ، من المهاجرين الأوّلين . عقبة بن وهب بن كَلدة ، حليف بني غطفان . عكّاشةبن محصنٍ الغنميّ ، من المهاجرين الأوّلين ، وممّن لا حساب عليه . عليّ بن أبي طالبٍ الهاشميّ ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الثلاثة الذين بارزوا يومئذٍ ، رضي الله عنه . عمّار بن ياسرٍ العنسيّ المذحجيّ ، من المهاجرين الأولين . عمارة بنُ حزم بن زيدٍ النجّاريّ . عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، أحد الخلفاء الأربعة ، وأحد الشيخين المقتدى بهما ، رضي الله عنهما . عمرو بنُ إياسٍ من أهل اليمن ، حليفٌ لبني

---

(١) كذا في (ط) : « ابن أنيسة » ، وهو الصواب وفي (آ) : « ابن هنسة » .
(٢) في (آ) : « عنس » . وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٣) في (آ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٥٣٥) و« الإصابة » (٤/ ٤٠٨) .
(٤) في (آ) : « عبيد الله » . وانظر « أسد الغابة » (٣/ ٥٣٩) و« الإصابة » (٤/ ٤١١) .
(٥) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٠٧) .
(٦) انظر ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني حول هذا الموضوع في « فتح الباري » (٧/ ٣١٨ـ ٣١٩) .

لوذان بن عمرو بن سالمٍ ، وقيل : هو أخو ربيعٍ وودقة . عمرو بن ثعلبة بن وهب بن عديٍّ بن مالك بن عديٍّ بن عامرٍ ، أبو حكيمٍ . عمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فهرٍ الفهريّ . عمرو بن سراقة العدويّ ، من المهاجرين ، عمرو بن أبي سرحٍ الفهريّ ، من المهاجرين . وقال الواقديّ ، وابن عائذٍ : « معمرٌ » بدل « عمروٍ » . عمرو بن طلق بن زيد بن أميّة بن سنان بن كعب بن غنمٍ وهو في بني حرامٍ . عمرو بن الجموح بن حرامٍ الأنصاريّ . عمرو بن قيس بن زيد بن سواد بن مالك بن غنمٍ . ذكره الواقديّ والأمويّ عمرو بن قيس بن مالك بن عديٍّ[١] [بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي][٢] بن عامرٍ ، أبو خارجة . ولم يذكره موسى بن عقبة . عمرو بن عامر بن الحارث الفهريّ . ذكره موسى بن عقبة . عمرو بن معبد بن الأزعر الأوسيّ . عمرو بن معاذٍ الأوسيّ ، أخو سعد بن معاذٍ . عمير بن الحارث بن ثعلبة ، ويقال : عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة السّلميّ . عمير بن حرام بن الجموح السّلميّ . ذكره ابن عائذٍ والواقديّ . عمير بن الحمام بن الجموح ، ابن عمّ الذي قبله ، قتل يومئذٍ شهيداً . عمير بن عامر بن مالك بن الخنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازنٍ ، أبو داود المازنيّ . عمير بن عوفٍ ، مولى سهيل بن عمروٍ . وسمّاه الأمويّ وغيره عمرو بن عوفٍ . وكذا وقع في « الصحيحين »[٣] في حديث[٤] بعث أبي عبيدة إلى البحرين . عُمَيرُ بن مالك بن أهيبٍ الزّهريّ ، أخو سعد بن أبي وقّاصٍ ، قتل يومئذٍ شهيداً . عنترة مولى بني سليمٍ ، وقيل : إنّه منهم . فالله أعلم . عوف بن الحارث بن رفاعة بن الحارث النجّاريّ ، وهو ابن عفراء بنت عبيد بن ثعلبة النجّاريّة ، قتل يومئذٍ شهيداً . عويم بن ساعدة الأنصاريّ من بني أميّة بن زيدٍ . عياض بن غنمٍ الفهريّ ، من المهاجرين الأوّلين ، رضي الله عنهم أجمعين .

حرف الغين

غنّام بن أوسٍ الخزرجيّ . ذكره الواقديّ[٥] ، وليس بمجمعٍ عليه .

---

(١) بعده في (آ) و(ط) : « بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي » والتصحيح في « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٤) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و« السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٤) وانفردت به (ط) .

(٣) انظر « صحيح البخاري » (٣١٥٨) و(٤٠١٥) و(٦٤٢٥) و« صحيح مسلم » (٢٩٦١) وقال الحافظ في « فتح الباري » (٦/ ٢٦٢) : وكأنه كان يقال فيه بالوجهين ، وقد فرق العسكري بين عمير بن عوف وعمرو بن عوف ، والصواب الوحدة .

(٤) لفظ « حديث » سقط من : (آ) .

(٥) انظر « المغازي » (١/ ١٧٢) .

حرف الفاء

الفاكه بن بشر بن الفاكه الخزرجيّ . فروة بن عمرو بن ودقة الخزرجيّ .

حرف القاف

قتادة بن النّعمان الأوسيّ . قدامة بن مظعونٍ الجمحيّ ، من المهاجرين ، أخو عثمان وعبد الله . قطبة بن عامر بن حديدة السّلميّ . قيس بن السّكن النّجّاريّ . قيس بن أبي صعصعة عمرو بن زيدٍ المازنيّ ، كان على الساقة يوم بدرٍ . قيس بن محصن بن خالدٍ الخزرجيّ . قيس بن مخلّد بن ثعلبة النّجّاريّ .

حرف الكاف

كعب بنُ حمارٍ ، وَيُقالُ : جمّازٍ[(١)] . ويقال : حمّان[(٢)] . وقال ابن هشامٍ[(٣)] : من غبشان ، ويقال : كعب بن مالك بن ثعلبة بن جمّازٍ . وقال الأمويّ : كعب بن ثعلبة بن حبالة بن غنمٍ الغسّانيّ ، من حلفاء بني الخزرج بن ساعدة . كعب بن زيد بن قيسٍ النّجّاريّ . كعب بن عمروٍ ، أبو اليسر السّلميّ . كلفة بن ثعلبة ، أحد البكّائين . ذكره موسى بن عقبة . كنّاز بن حصين بن يربوعٍ ، أبو مرثدٍ الغنويّ ، من المهاجرين الأوّلين .

حرف الميم

مالك بن الدّخشم ، ويقال[(٤)] : ابن الدّخشن الخزرجيّ . مالك بن أبي خوليٍّ الجعفيّ ، حليف بني عديٍّ . مالك بن ربيعة ، أبو أسيدٍ الساعديّ . مالك بن قدامة الأوسيّ . مالك بن عمروٍ ، أخو ثقف بن عمروٍ ، وكلاهما مهاجريّ ، وهما من حلفاء بني تميم بن دودان بن أسدٍ . مالك بن مسعودٍ الخزرجيّ . مالك بن نميلة . وقال الواقديّ[(٥)] : مالك بن ثابت بن نميلة المزنيّ ، حليفٌ لبني عمرو بن عوفٍ . مبشّر ابن عبد المنذر بن زنبرٍ الأوسيّ ، أخو أبي لبابة ورفاعة ، قتل يومئذٍ شهيداً . المجذّر بن ذيادٍ[(٦)] البلويّ ، مهاجريٌّ . محرز بن عامرٍ النّجّاريّ . محرز بن نضلة الأسديّ ، حليف بني عبد شمسٍ ، مهاجريٌّ ،

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٣/ ١٣١٢) و« أسد الغابة » (٤/ ٤٧٣) .
(٢) انظر « الإصابة » (٥/ ٥٩١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٦) .
(٤) انظر « الإصابة » (٥/ ٧٢١) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ١٦١) .
(٦) في (آ) و(ط) : « زياد » والتصحيح من « الاشتقاق » لابن دُريد ص(٥٥٠) .

محمد بن مسلمة ، حليف بني عبد الأشهل . مدلجٌ ، ويقال : مدلاج بن عمرٍو . أخو ثقف بن عمرٍو ، مهاجريٌّ . مرثد بن أبي مرثدٍ الغنويّ . مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطّلب بن عبد منافٍ ، من المهاجرين الأوّلين ، وقيل : اسمه عوفٌ . مسعود بن أوسٍ الأنصاريّ النّجّاريّ . مسعود بن خلدة الخزرجيّ . مسعود بن ربيعة القاريّ ، حليف بني زهرة ، مهاجريٌّ . مسعود بن سعدٍ ـ ويقال : ابن عبد سعدٍ ـ ابن عامر بن عديٍّ بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث . مسعود بن سعد بن قيسٍ الخزرجيّ . مصعب بن عميرٍ العبدريّ ، مهاجريٌّ ، كان معه اللّواء يومئذٍ . معاذ بن جبلٍ الخزرجيّ . معاذ بن الحارث النّجّاريّ ، وهذا هو ابن عفراء ، أخو عوفٍ ومعوّذٍ . معاذ بن عمرو بن الجموح الخزرجيّ . معاذ بن ماعصٍ الخزرجيّ ، أخو عائذٍ . معبد بن عبّاد بن قشير بن الفدم[١] بن سالم[٢] بن غنمٍ ، ويقال : معبد بن عبادة بن قيسٍ . وقال الواقديّ[٣] : « قشعرٌ » بدل « قشيرٍ » . وقال ابن هشامٍ[٤] : قشغرٌ . أبو حميضة . معبد بن قيس بن صخرٍ السّلميّ ، أخو عبد الله بن قيسٍ . معتّب بن عبيد بن إياسٍ البلويّ القضاعيّ . معتّب بن عوفٍ الخزاعيّ ، حليف بني مخزومٍ ، من المهاجرين . معتّب بن قشيرٍ الأوسيّ . معقل بن المنذر السّلميّ . معمر بن الحارث الجمحيّ ، من المهاجرين . معن بن عديٍّ الأوسيّ . معوّذ بن الحارث النّجّاريّ ، وهو ابن عفراء ، أخو معاذٍ وعوفٍ . معوّذ بن عمرو بن الجموح السّلميّ ، لعله أخو معاذ بن عمرٍو . المقداد بن عمرٍو البهرانيّ ، وهو المقداد بن الأسود ، من المهاجرين الأوّلين ، وهو ذو المقال المحمود الذي تقدّم ذكره ، وكان أحد الفرسان يومئذٍ . مليل بن وبرة الخزرجيّ . المنذر بن عمرٍو بن خنيسٍ السّاعديّ . المنذر بن قدامة بن عرفجة الخزرجيّ . المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاريّ ، من بني جَحْجَبَى . مهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ، أصله من اليمن ، وكان أول قتيلٍ من المسلمين يومئذٍ .

حرف النون

نصر بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفرٍ وهو[٥] كعبٌ . نعمان بن عبد عمرٍو النّجّاريّ ، وهو أخو الضّحّاك . نعمان بن عمرو بن رفاعة النّجّاريّ . نعمان بن عصر [ابن الرّبيع][٦] بن الحارث ، حليفٌ

---

(١) في (آ) : « القذم » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) بعده في « أسد الغابة » (٥/ ٢٢٠) و« الإصابة » (٦/ ١٦٦) : « بن مالك بن سالم » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٦٧) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٩٣) .

(٥) في (آ) و(ط) : « بن » والتصحيح من « الأنساب » للسمعاني (٤/ ١٠١) و« أسد الغابة » (٥/ ٣١٤) .

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « الاستيعاب » (٤/ ١٤٨٧) و« أسد الغابة » (٥/ ٣٣٦) و« الإصابة » (٦/ ٤٤٨) .

لبني الأوس . نعمان بن مالك بن ثعلبة الخزرجيّ ، ويقال له : قوقلٌ . نعمان بن يسارٍ[١] ، مولىً لبني نعمان بن سنان بن[٢] عبيدٍ ، ويقال : نعمان بن سنانٍ . نوفل بن عبد الله بن نضلة الخزرجيّ .

حرف الهاء

هانئ بن نيارٍ ، أبو بردة البلويّ ، خال البراء بن عازبٍ . هلال بن أميّة الواقفيّ ، وقع ذكره في أهل بدرٍ في « الصحيحين »[٣] ، في قصة كعب بن مالكٍ ، ولم يذكره أحدٌ من أصحاب المغازي . هلال بن المعلّى الخزرجيّ ، أخو رافع بن المعلّى .

حرف الواو

واقد بن عبد الله التّميميّ ، حليف بني عديٍّ ، من المهاجرين . وديعة بن عمرو بن جرادٍ الجهنيّ . ذكره الواقديّ[٤] وابن عائذٍ . ودقة[٥] بن إياس بن عمروٍ الخزرجيّ ، أخو ربيع بن إياسٍ . وهب بن سعد بن أبي سرحٍ ، ذكره موسى بن عقبة وابن عائذٍ والواقديّ ، في بني عامر بن لؤيٍّ[٦] ، ولم يذكره ابن إسحاق .

حرف الياء

يزيد بن الأخنس بن جناب[٧] بن حبيب بن جرّة السّلميّ ، قال السّهيليّ[٨] : شهد هو وأبوه وابنه ـ يعني بدراً ـ ولا يعرف لهم نظيرٌ في الصحابة ، ولم يذكرهم ابن إسحاق ولا الأكثرون ، لكن شهدوا معه بيعة الرِّضوان . يزيد بن الحارث بن قيسٍ الخزرجيّ ، وهو الذي يقال له : ابن فُسحم . وهي أمّه ، قتل يومئذٍ شهيداً ببدرٍ . يزيد بن عامر بن حديدة ، أبو المنذر السّلميّ . يزيد بن المنذر بن[٩] سرحٍ السّلميّ ، وهو أخو معقل بن المنذر .

---

(١) ليس له ترجمة بهذا الاسم في « الاستيعاب » و« أسد الغابة » و« الإصابة » .
(٢) لفظ « ابن » سقط من (ط) .
(٣) انظر « صحيح البخاري » (٤٤١٨) و« صحيح مسلم » (٢٧٦٩) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٦٢) .
(٥) في (ط) : « ورقة » . قال الحافظ في « الإصابة » (٦/ ٦٠٢) : اختلف في ضبطه ؛ فقيل بالفاء ، وقيل بالقاف ، والأكثر على أنه بالدال .
(٦) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد » (٣/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) و« المغازي » للواقدي » (١/ ١٥٦) .
(٧) في (آ) : « حبان » ولا يوجد هذا الاسم في نسب يزيد بن الأخنس في « أسد الغابة » (٥/ ٤٧٤) .
(٨) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٣٠٠) .
(٩) لفظ « ابن » سقط من : (آ) .

باب الكنى

أبو أُسيدٍ مالك بن ربيعة ، تقدّم . أبو الأعور بن الحارث بن ظالمٍ النّجّاريّ ، وقال ابن هشامٍ[١] : أبو الأعور الحارث بن ظالمٍ . وقال الواقديّ[٢] : أبو الأعور كعب بن الحارث بن جندب بن ظالمٍ . أبو بكرٍ الصدِّيق عبد الله بن عثمان ، تقدّم . أبو حبّة بن عمرو بن ثابتٍ ، أحد بني ثعلبة بن عمرو بن عوفٍ الأنصاريّ . أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، من المهاجرين ، وقيل : اسمه مهشّمٌ . أبو الحمراء مولى الحارث بن رفاعة ابن عفراء . أبو خزيمة بن أوس بن أصرم النجّاريّ . أبو سبرة بن[٣] أبي رهم بن عبد العزّى ، من المهاجرين . أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو عكّاشة ، ومعه ابنه سنانٌ ، من المهاجرين . أبو الضّيّاح[٤] النّعمان ـ وقيل : عمير ـ ابن ثابت بن النّعمان بن أميّة بن امرئ القيس بن ثعلبة ، رجع من الطريق ، وقتل يوم خيبر ، رجع لجرحٍ أصابه من حجرٍ فضرب له بسهمه . أبو عرفجة ، من حلفاء بني جحجبى . أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ . أبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، تقدّم . أبو مرثدٍ الغنويّ كنّاز بن حصينٍ ، تقدّم . أبو مسعودٍ البدريّ عقبة بن عمروٍ ، تقدّم . أبو مليل بن الأزعر بن زيدٍ الأوسيّ .

فصل

فكان جملة من شهد بدراً من المسلمين ثلاثمئةٍ وأربعة عشر رجلاً[٥] ، منهم رسول الله ﷺ ، كما قال البخاريّ[٦] : ثنا عمرو بن خالدٍ ، ثنا زهيرٌ ، ثنا أبو إسحاق ، سمعت البراء بن عازبٍ يقول : حدّثني أصحاب محمدٍ ﷺ ، ورضي عنهم ، ممّن شهد بدراً ، أنّهم كانوا عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ؛ بضعة عشر وثلاثمئةٍ . قال البراء : لا والله ما جاوز معه النهر إلّا مؤمنٌ .

ثمّ رواه البخاريّ من طريق إسرائيل وسفيان الثّوريّ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء نحوه[٧] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٥) .

(٢) انظر « المغازي » (١/ ١٦٤) .

(٣) في (آ) و(ط) : « مولى » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٨٥) و« الاستيعاب » (٤/ ١٦٦٦) و« أسد الغابة » (٦/ ١٣٤) .

(٤) في (ط) : « الصياح » وبعده في (آ) و(ط) : « بن » .

(٥) وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ١٨٨) بعد أن ذكر ما تقدم مما قاله المؤلف : « من المهاجرين ستة وثمانون ، ومن الأوس أحد وستون ، ومن الخزرج مئة وسبعون ، وإنما قَلَّ عدد الأوس عن الخزرج ، وإن كان أشد منهم وأقوى شوكة وأصبر عند اللقاء ، لأن منازلهم كانت في حوالي المدينة ، وجاء النّفير بغتة » .

(٦) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٧) .

(٧) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٨) و(٣٩٥٩) .

قال ابن جريرٍ[١] : وهذا قول عامّة السّلف ؛ أنّهم كانوا ثلاثمائةٍ وبضعة عشر رجلاً .

وقال البخاريّ[٢] أيضاً : ثنا محمودٌ ، ثنا وهبٌ ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : استصغرت أنا وابن عمر يوم بدرٍ ، وكان المهاجرون يوم بدرٍ نيّفاً على ستين ، والأنصار نيّفاً وأربعين ومئتين . هكذا وقع في هذه الرواية .

وقال ابن جريرٍ[٣] : ثنا محمد بن عبيدٍ المحاربيّ ، ثنا أبو مالكٍ الجنبيّ ، عن الحجّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباسٍ ، قال : كان المهاجرون يوم بدرٍ سبعين رجلاً ، وكان الأنصار مئتين وستةً وثلاثين رجلاً ، وكان حامل راية النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ ، وحامل راية الأنصار سعد بن عبادة . وهذا يقتضي أنّهم كانوا ثلاثمئةٍ وستة رجالٍ .

قال ابن جريرٍ[٤] : وقيل : كانوا ثلاثمئةٍ وسبعة رجالٍ .

قلت : وقد يكون هذا عدّ معهم النبيّ ﷺ ، والأوّل عدّهم بدونه ، فالله أعلم .

وقد تقدّم[٥] عن ابن إسحاق أنّ المهاجرين كانوا ثلاثةً وثمانين رجلاً ، وأنّ الأوس أحدٌ وستون رجلاً ، والخزرج مئةٌ وسبعون رجلاً ؛ وسردهم . وهذا مخالفٌ لما ذكره البخاريّ ، ولما روي عن ابن عباسٍ ، فالله أعلم .

وفي « الصحيح »[٦] عن أنسٍ ، أنّه قيل له : شهدت بدراً ؟ فقال : وأين أغيب ؟

وفي « سنن أبي داود » عن سعيد بن منصورٍ ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان طلحة بن نافعٍ ، عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرامٍ أنّه قال : كنت أميح أصحابي الماء يوم بدرٍ ، وهذان لم يذكرهما البخاريّ ولا الضّياء ، فالله أعلم .

قلت : وفي الذين عدّهم ابن إسحاق في أهل بدرٍ من ضرب له بسهمٍ في مغنمها مع أنّه[٧] لم يحضرها ، تخلّف عنها لعذرٍ أذن له في التّخلّف بسببه ، وكانوا ثمانيةً أو تسعةً ، وهم ؛ عثمان بن عفان ، تخلّف على رقيّة بنت رسول الله ﷺ يمرّضها حتى ماتت ، فضرب له بسهمه وأجره ، وسعيد بن

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٢) .
(٢) انظر « صحيح البخاري » (٣٩٥٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣١) وفي (ط) : « حدثني » .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٣٢) .
(٥) تقدم في الصفحة التي قبلها (١٢٠) .
(٦) ذكره الحافظ في « الفتح » (٧/ ٢٩٢) وعزاه للإمام أحمد ، وذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٣٩٧) وعزاه لابن سعد في « طبقاته » .
(٧) في (ط) : « وأنه » .

زيد بن عمرو بن نفيلٍ ، كان بالشام ، فضرب له بسهمه وأجره ، وطلحة بن عبيد الله ، كان بالشام أيضاً فضرب له بسهمه وأجره ، وأبو لبابة بشير بن عبد المنذر ، ردّه رسول الله ﷺ من الرّوحاء حين بلغه خروج النّفير من مكة ، فاستعمله على المدينة ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن حاطب بن عبيد بن أميّة ، ردّه رسول الله ﷺ أيضاً من الطريق ، وضرب له بسهمه وأجره ، والحارث بن الصّمّة ، كسر بالرّوحاء فرجع ، فضرب له بسهمه ـ زاد الواقديّ[١] : وأجره ـ وخوّات بن جبيرٍ ، لم يحضر الوقعة وضرب له بسهمه وأجره ، وأبو الضّيّاح بن ثابتٍ ، خرج مع رسول الله ﷺ ، فأصاب ساقه[٢] فصيل حجرٍ[٣] ، فرجع ، وضرب له بسهمه وأجره . قال الواقديّ[٤] : وسعد بن[٥] مالكٍ ، تجهّز ليخرج فمات . وقيل : إنّه مات بالرّوحاء . فضرب له بسهمه وأجره .

وكان الذين استشهدوا من المسلمين يومئذٍ أربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين ستةٌ وهم ؛ عبيدة بن الحارث بن المطلب ، قطعت رجله فمات بالصّفراء[٦] ، رحمه الله ، وعمير بن أبي وقّاصٍ ، أخو سعد بن أبي وقّاصٍ الزّهريّ ، قتله العاص بن سعيدٍ[٧] ، وهو ابن ستّ عشرة سنةً ، ويقال[٨] : إنّه كان قد أمره رسول الله ﷺ بالرجوع لصغره فبكى ، فأذن له في الذّهاب ، فقتل ، رضي الله عنه . وحليفهم ذو الشّمالين بن عبد عمروٍ الخزاعيّ ، وصفوان بن بيضاء ، وعاقل بن البكير الليثيّ ، حليف بني عديٍّ ، ومهجعٌ مولى عمر بن الخطاب ، وكان أول قتيلٍ قتل من المسلمين يومئذٍ . ومن الأنصار ثمانيةٌ وهم ؛ حارثة بن سراقة ، رماه حبّان بن العرقة بسهمٍ ، فأصاب حنجرته ، فمات ، ومعوّذٌ وعوفٌ ابنا عفراء ، ويزيد بن الحارث ـ ويقال : ابن فُسحمٍ ـ وعمير بن الحمام ، ورافع بن المعلّى بن لوذان ، وسعد بن خيثمة ، ومبشّر بن عبد المنذر ، رضي الله عن جميعهم .

وكان مع المسلمين سبعون بعيراً كما تقدّم . قال ابن إسحاق : وكان معهم فَرسان ؛ على أحدهما

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ١٦٣) .
(٢) في (آ) : « رأسه » .
(٣) الفصيل من الحجر : القطعة منه . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٤٥١) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٦٨) .
(٥) في (آ) و(ط) : « أبو » .
(٦) الصفراء : وادٍ قرب المدينة ، كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاج ، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة ، وبينه وبين بدر مرحلة . انظر « معجم البلدان » (٣/ ٣٩٩) و« المغانم المطابة » ص (٢١٩) .
(٧) كذا في (آ) و(ط) . والذي في « المغازي » (١/ ١٤٥) : « عمرو بن عبد » . وفي « الاستيعاب » (٣/ ١٢٢١) و« طبقات ابن سعد » (٣/ ١٤٩ ، ١٥٠) و« أسد الغابة » (٤/ ٢٩٩) و« الإصابة » (٤/ ٧٢٥) : « عمرو بن عبد ود » . ولعل المصنف تابع السهيلي في « الروض الأنف » (٥/ ٢٩٧) حيث عزاه إلى الواقدي . والذي في « طبقات ابن سعد » عن الواقدي : « عمرو بن عبد ود » كما سبق .
(٨) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠) .

المقداد بن الأسود ، واسمها بعزجة ـ ويقال : سبحة ـ وعلى الأخرى الزّبير بن العوّام ، واسمها اليعسوب . وكان معهم لواءٌ يحمله مصعب بن عميرٍ ، ورايتان ؛ يحمل إحداهما للمهاجرين عليّ بن أبي طالبٍ ، والتي للأنصار يحملها سعد بن عبادة ، وكان رأس مشورة المهاجرين أبو بكر الصديق ، ورأس مشورة الأنصار سعد بن معاذٍ .

وأمّا جمع المشركين فأحسن ما يقال فيهم : إنّهم كانوا ما بين التّسعمئة إلى الألف ؛ وقد نصّ عروة وقتادة أنّهم كانوا تسعمئةٍ وخمسين رجلاً . وقال الواقديّ[١] : كانوا تسعمئةٍ وثلاثين رجلاً . وهذا التحديد يحتاج إلى دليلٍ ، وقد تقدّم في بعض الأحاديث أنّهم كانوا أزيد من ألفٍ ، فلعلّه عدد أتباعهم معهم . والله أعلم .

وقد تقدّم في الحديث الصحيح عند البخاريّ[٢] ، عن البراء أنّه قتل منهم سبعون ، وأسر سبعون . وهذا قول الجمهور ، ولهذا قال كعب بن مالكٍ في قصيدةٍ له : [من الكامل]

فأقام بالعَطَن المعطّن منهمُ سبعون عتبةُ منهمُ والأسود

وقد حكى الواقديّ[٣] الإجماع على ذلك ، وفيما قاله نظرٌ ؛ فإنّ موسى بن عقبة وعروة بن الزّبير قالا خلاف ذلك ، وهما من أئمة هذا الشأن ، فلا يمكن حكاية الاتفاق بدون قولهما ، وإن كان قولهما مرجوحاً بالنسبة إلى الحديث الصحيح ، والله أعلم .

وقد سرد أسماء القتلى والأسارى ابن إسحاق وغيره[٤] ، وحرّر ذلك الحافظ الضّياء في « أحكامه » جيّداً ، وقد تقدّم في غضون سياقات القصة ذكر أوّل من قتل منهم ، وهو الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ ، وأول من فرّ وهو خالد بن الأعلَم الخزاعيّ ـ أو العقيليّ ـ حليف بني مخزومٍ ، وما أفاده ذلك ؛ فإنه أسر ، وهو القائل في شعره : [من الطويل]

ولسنا على الأعقاب تدمى كُلُومُنَا ولكن على أقدامنا يقطر الدَّم

فما صدق في ذلك ، وأول من أسروا عقبة بن أبي معيطٍ ، والنّضر بن الحارث ، قتلا صبراً بين يدي رسول الله ﷺ من بين الأسارى ، وقد اختلف في أيّهما قتل أولاً على قولين ، وأنّه ، عليه الصلاة والسلام ، أطلق جماعةً من الأسارى مجّاناً بلا فداءٍ ، منهم ؛ أبو العاص بن الربيع الأمويّ ، والمطّلب بن حنطب بن الحارث المخزوميّ ، وصيفيّ بن أبي رفاعة كما تقدّم ، وأبو عزّة الشاعر ، ووهب بن عميرٍ بن

---

(١) الذي في « المغازي » (١/ ٣٩) : « خرجوا بتسعمئة وخمسين » .

(٢) رواه البخاري (٣٩٨٦) .

(٣) ذكر الواقدي في « المغازي » الذي بين أيدينا (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) أقوالاً مختلفة في عدد قتلى وأسرى المشركين ، ولم يذكر فيها إجماعاً ولا اتفاقاً .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٧٠٨ ـ ٧١٥) و(٢/ ٣ ـ ٨) .

وهبٍ الجمحيّ ، كما تقدّم ، وفادى بقيّتهم ، حتى عمّه العباس أخذ منه أكثر ممّا أخذ من سائر الأسرى ؛ لئلاّ يحابيه لكونه عمّه ، مع أنّه قد سأله الذين أسروه من الأنصار أن يتركوا له فداءه ، فأبى عليهم ذلك وقال : لا تتركوا منه درهماً ، وقد كان فداؤه متفاوتاً ، فأقلّ ما أخذ أربعمئةٍ ، ومنهم من أخذ منه أربعون أوقيّةً من ذهبٍ . قاله موسى بن عقبة . وأخذ من العباس مئة أوقيّةٍ من ذهبٍ ، ومنهم من استؤجر على عمل بمقدار فدائه ، كما قال الإمام أحمد[١] : ثنا عليّ بن عاصمٍ قال : قال داود : ثنا عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : كان ناس من الأسرى يوم بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة . قال : فجاء غلامٌ يوماً يبكي إلى أبيه ، فقال[٢] : ما شأنك ؟ فقال : ضربني معلّمي . فقال : الخبيث يطلب بذحل بدرٍ[٣] ، والله لا تأتيه أبداً . انفرد به أحمد ، وهو على شرط السّنن ، وتقدّم بسط ذلك كلّه ، ولله الحمد والمِنَّةُ .

فصل
في فضل من شهد بدراً من المسلمين

قال البخاريّ[٤] في هذا الباب : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا معاوية بن عمروٍ ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميدٍ ، سمعت أنساً يقول : أصيب حارثة يوم بدرٍ ، فجاءت أمّه إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يك في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تكن الأخرى فترى[٥] ما أصنع . فقال : « ويحك ، أو هبلت ، أوَ جنّةٌ واحدةٌ هي ؟ إنّها جنانٌ كثيرةٌ ، وإنّه في جنّة الفردوس » . تفرّد به البخاريّ من هذا الوجه .

وقد روي من غير هذا الوجه من حديث ثابتٍ وقتادة ، عن أنسٍ ، وأنّ حارثة كان في النّظّارة ، وفيه : « إنّ ابنكِ أصاب الفردوس الأعلى » . وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضل أهل بدرٍ ؛ فإنّ هذا الذي لم يكن في بحبحة[٦] القتال ولا في حومة الوغى ، بل كان من النّظّارة من بعيدٍ ، وإنّما أصابه سهمٌ غربٌ ، وهو يشرب من الحوض ، ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردوس ، التي هي أعلى الجنان وأوسط الجنة ، ومنه تفجّر أنهار الجنة ، التي أمر الشارع أمّته إذا سألوا الله الجنة أن يسألوه إياها ، فإذا كان هذا حال هذا ، فما ظنّك بمن كان واقفاً في نحر العدوّ ، وعدوّهم على ثلاثة أضعافهم عدداً وعدداً .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) في (آ) : « أمه فقالت » .
(٣) في (آ) : « بدخل بدر » وفي (ط) : « يدخل بدرا » والتصحيح من « المسند » والذحل : الثأر . انظر « لسان العرب » (ذحل) .
(٤) رواه « البخاري » (٣٩٨٢) و(٦٥٥٠) .
(٥) في (آ) و(ط) : « فترى » وفي « صحيح البخاري » : « ترى » .
(٦) في (ط) : « بحيحة » .

ثم روى البخاريّ ومسلمٌ جميعاً[١] ، عن إسحاق بن راهويه ، عن عبد الله بن إدريس ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السّلميّ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ ، قصّة حاطب بن أبي بلتعة وبعثه الكتاب إلى أهل مكة عام الفتح ، وأنّ عمر استأذن رسول الله ﷺ في ضرب عنقه ؛ فإنّه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : « قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ولفظ البخاريّ : « أليس من أهل بدرٍ ؟! ولعلّ الله اطّلع على أهل بدرٍ ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة » أو : « قد غفرت لكم » . فدمعت عينا عمر ، وقال : الله ورسوله أعلم .

وروى مسلمٌ[٢] ، عن قتيبة ، عن الليث ، عن أبي الزّبير ، عن جابرٍ ، أنَّ عبداً لحاطبٍ جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً ، فقال : يارسول الله ، ليدخلنّ حاطبٌ النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنّه شهد بدراً والحديبية » .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سليمان بن داود ، ثنا أبو بكر بن عيّاشٍ ، حدّثني الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابرٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يدخل النّار رجلٌ شهد بدراً أو الحُديبية » . تفرّد به أحمد ، وهو على شرط مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يزيد ، أنبأنا حمّاد بن سلمة ، عن عاصم بن أبي النّجود ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، قال : « إنّ الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . ورواه أبو داود[٥] ، عن أحمد بن سنانٍ ، وموسى بن إسماعيل ، كلاهما عن يزيد بن هارون به .

وروى البزّار في « مسنده »[٦] ثنا محمد بن مرزوقٍ ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا عكرمة ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّي لأرجو أن لا يدخل النار من شهد بدراً إن شاء الله » . ثم قال : لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلّا من هذا الوجه . قلت : وقد تفرّد البزّار بهذا الحديث ، ولم يخرجوه ، وهو على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقال البخاريّ[٧] في باب شهود الملائكة بدراً : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا جريرٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن معاذ بن رفاعة بن رافعٍ الزّرقيّ ، عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدرٍ ـ قال : جاء جبريل إلى

---

(١) رواه « البخاري » (٣٩٨٣) و« مسلم » (٢٤٩٤) .
(٢) رواه « مسلم » (٢٤٩٥) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه أبو داود (٤٦٥٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) هو في « كشف الأستار » (٢٧٦١) وقال في « المجمع » (٩/ ١٦١) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .
(٧) رواه « البخاري » (٣٩٩٢) .

النبيّ ﷺ ، فقال : ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم ؟ قال : « من أفضل المسلمين » ـ أو كلمةً نحوها ـ قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . انفرد به البخاريّ .

فصل

في قدوم زينب بنت الرسول ﷺ ، مهاجرةً[١] من مكة إلى المدينة (بعد وقعة بدرٍ بشهرٍ ، بمقتضى ما كان شرط زوجها أبو العاص للنبيّ ﷺ ، كما تقدّم)[٢]

قال ابن إسحاق[٣] : ولما رجع أبو العاص إلى مكة وقد خلّي سبيله ـ يعني كما تقدّم ـ بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : « كونا ببطن يأجج[٤] حتى تمرّ بكما زينب ، فتصحباها فتأتياني بها » . فخرجا مكانهما ، وذلك بعد بدرٍ بشهرٍ ـ أو شيعه ـ فلمّا قدم أبو العاص مكة أمرها باللّحوق بأبيها ، فخرجت تجهّز .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، قال : حدّثت عن زينب أنّها قالت : بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : يابنة محمدٍ ، ألم يبلغني أنّك تريدين اللّحوق بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك . فقالت : أي ابنة عمّ ، لا تفعلي ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاعٍ مما يرفق بك في سفرك أو بمالٍ تتبلّغين به إلى أبيك ، فإنّ عندي حاجتك فلا تضطني[٦] منّي ؛ فإنّه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل . قالت : ولكنّي خفتها ، فأنكرت أن أكون أريد ذلك .

قال ابن إسحاق[٧] : فتجهّزت ، فلمّا فرغتْ من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودجٍ لها ، وتحدّث بذلك رجالٌ من[٨] قريشٍ ، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى ، والفهريّ[٩] ، فروّعها هبّارٌ بالرّمح ، وهي في الهودج ، وكانت حاملاً ـ

---

(١) لفظ « مهاجرة » سقط من : (ط) .
(٢) ما بين القوسين لم يرد في (ط) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٣) .
(٤) يأجج : موضع بمكة .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام » (١/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤) .
(٦) في (ط) : « تضطبني » ومعنى : « لا تضطني » أي لا تنقبضي مني » .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) .
(٨) لفظ « من » لم يرد في (آ) وأثبته من (ط) .
(٩) في (آ) و(ط) : « ابن عبد العُزى الفهري » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .

فيما يزعمون ـ فطرحت [ذا بطنها][١] ، وبرك حموها كنانة ، ونثر كنانته ، ثم قال : والله لا يدنو منّي رجلٌ إلّا وضعت فيه سهماً . فتكركر الناس عنه[٢] .

وأتى أبو سفيان في جلّةٍ من قريشٍ ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنّا نبلك حتى نكلّمك . فكفّ ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنّك لم تصب ؛ خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانيةً ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمدٍ ، فيظنّ الناس إذ خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، أنّ ذلك عن ذلٍّ أصابنا ، وأنّ ذلك منّا ضعفٌ ووهنٌ ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجةٍ ، وما لنا من ثؤرةٍ[٣] ، ولكن ارجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت الأصوات وتحدّث الناس أن قد رددناها ، فسلّها سرّاً وألحقها بأبيها . قال : ففعل . وقد ذكر ابن إسحاق[٤] أنّ أولئك النّفر الذين ردّوا زينب لمّا رجعوا إلى مكة قالت هند تذمّهم على ذلك : [من الطويل]

أفـي السّلـم أعيـارٌ جفـاءً وغلظـةً   وفي الحرب أشباه النّساء العَوَارِكِ[٥]

وقد قيل : إنّها قالت ذلك للذين رجعوا من بدرٍ ، بعد ما قتل منهم الذين قتلوا .

قال ابن إسحاق[٦] : فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقدما بها ليلاً على رسول الله ﷺ .

وقد روى البيهقيّ في « الدلائل »[٧] من طريق عمر بن عبد الله بن عروة بن الزّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، فذكر قصّة خروجها وردّهم لها ووضعها ما في بطنها ، وأنّ رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة وأعطاه خاتمه ؛ لتجيء معه ، فتلطّف زيدٌ ، فأعطاه راعياً من مكة ، فأعطى الخاتم لزينب ، فلمّا رأته عرفته ، فقالت : من دفع إليك هذا ؟ قال : رجلٌ في ظاهر مكة . فخرجت زينب ليلاً ، فركبت وراءه حتى قدم بها المدينة . قال : فكان رسول الله ﷺ يقول : « هي أفضل بناتي أصيبت فيّ » . قال : فبلغ ذلك عليّ بن الحسين بن زين العابدين ، فأتى عروة فقال : ما حديثٌ بلغني أنك تحدِّثه[٨] ؟ فقال عروة : والله ما أحبّ أنّ لي ما بين المشرق والمغرب وأنّي أنتقص فاطمة حقّاً هو لها ، وأمّا بعد فلك[٩] أن لا أُحَدِّث به أبداً .

---

(١) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » .
(٢) أي : رجعوا . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٤/ ١٦٦) .
(٣) أي : طلب ثأر .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٥) العوارك : الحُيَّض من النساء .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧) .
(٨) في (آ) : « بحدثته » وفي (ط) : « تحدثته » والتصحيح من « دلائل النبوة » .
(٩) في (آ) و(ط) : « وأما بعد ذلك » والتصحيح من « دلائل النبوة » .

قال ابن إسحاق[١] : فقال في ذلك عبد الله بن رواحة[١] ، أو أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ـ قال ابن هشام : هي لأبي خيثمة ـ : [من الطويل]

أتاني الذي لا يقدر النَّاس قدره ... لزينب فيهم من عقوقٍ ومأثمِ
وإخراجها لم يخز فيها محمدٌ ... على مأْقطٍ وبيننا عطر منشمِ
وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضمٍ ... ومن حربنا في رغم أنفٍ ومندمِ
قرنَّا ابنه عمراً ومولى يمينه ... بذي حلَقٍ جلد الصّلاصل محكمِ
فأقسمت لا تنفكّ منّا كتائبٌ ... سراةُ خميسٍ من لُهامٍ مسوّمِ
نروع قريش الكفر حتى نعلّها ... بخاطمةٍ فوق الأنوف بميسمِ
ننزّلهم أكناف نجدٍ ونخلةٍ ... وإن يُتهموا بالخيل والرّجل نتهمِ
يد الدهر حتى لا يعوّج سربنا ... ونلحقهم آثار عادٍ وجرهمِ
ويندم قومٌ لم يطيعوا محمداً ... على أمرهم وأيّ حينٍ تندّمِ
فأبلغ أبا سفيان إمّا لقيتَه ... لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلمِ
فأبشر بخزيٍ في الحياة معجّلٍ ... وسربال قارٍ خالداً في جهنّمِ

قال ابن إسحاق[٢] : ومولى يمين أبي سفيان الذي عناه الشاعر ، هو عامر بن الحضرميّ .

وقال ابن هشامٍ : إنّما هو عقبة بن عبد الحارث بن الحضرميّ ، فأمّا عامر بن الحضرميّ ، فإنّه قتل يوم بدرٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد حدّثني يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن أبي إسحاق الدّوسيّ ، عن أبي هريرة قال : بعث النبيّ ﷺ سريّةً أنا فيها ، فقال : « إن ظفرتم بهبّار بن الأسود ، والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرّقوهما بالنّار » . فلما كان الغد بعث إلينا ، فقال : « إنّي قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما[٤] ، ثم رأيت أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يحرق بالنار إلّا الله ، عزّ وجلّ ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما » . تفرّد به ابن إسحاق ، وهو على شرط السّنن[٥] ولم يخرجوه .

وقال البخاريّ[٦]: ثنا قتيبة، ثنا اللّيث ، عن بكيرٍ ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن أبي هريرة ، رضي الله

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٥ ـ ٦٥٦) والأبيات في « ديوانه » ص(١٣٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٧) .
(٤) في (آ) و(ط) : « أخذتموها » والتصحيح من « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٥) في (آ) : « الشيخين » . وهو خطأ من الناسخ ، يقول المؤلف بعده : « ولم يخرّجوه » ويقصدُ أصحاب السنن .
(٦) رواه « البخاري » (٣٠١٦) .

عنه ، أنّه قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ ، فقال : « إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار » . ثم قال حين أردنا الخروج : « إنّي أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً ، وإنّ النار لا يعذّب بها إلّا الله ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » .

وقد ذكر ابن إسحاق[١] أنّ أبا العاص أقام بمكة على كفره ، واستمرّت زينب عند أبيها بالمدينة ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارةٍ لقريشٍ ، فلمّا قفل من الشام لقيته سريّةٌ ، فأخذوا ما معه ، وأعجزهم هرباً ، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب فاستجار بها فأجارته ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح ، وكبّر ، وكبّر الناس ؛ صرخت من صُفّة النساء : أيها الناس ، إنّي قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلّم رسول الله ﷺ ، أقبل على الناس ، فقال : « أيّها الناس ، هل سمعتم الذي سمعت ؟ » . قالوا : نعم . قال : « أما والذي نفس محمدٍ بيده ما علمت بشيءٍ [من ذلك][٢] حتى سمعت ما سمعتم ، وإنّه يجير على المسلمين أدناهم » . ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فدخل على ابنته زينب فقال : « أي بنيّة ، أكرمي مثواه ، ولا يخلصنّ إليك ؛ فإنّك لا تحلّين له » . قال : وبعث رسول الله ﷺ ، فحثّهم على ردّ ما كان معه ، فردّوه بأسره لا يفقد منه شيئاً ، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكّة ، فأعطى كلّ إنسانٍ ما كان له ، ثم قال : يا معشر قريشٍ ، هل بقي لأحدٍ منكم عندي مالٌ لم يأخذه ؟ قالوا : لا ، فجزاك الله خيراً ، فقد وجدناك وفيّاً كريماً . قال : فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلّا تخوّف أن تظنّوا أنّي إنّما أردت أن آكل أموالكم ، فلمّا أدّاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدّثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ ، قال : ردّ عليه رسول الله ﷺ ، زينب على النكاح الأوّل ، ولم يحدث شيئاً . وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد[٤] ، وأبو داود ، والترمذيّ ، وابن ماجه من حديث محمد بن إسحاق[٥] ، وقال الترمذيّ : ليس بإسناده بأسٌ ، ولكن لا نعرف وجه هذا الحديث ، ولعله قد جاء من قبل حفظ داود بن الحصين .

وقال السّهيليّ[٦] : لم يقل به أحدٌ من الفقهاء ، فيما علمت .

وفي لفظٍ : ردّها عليه رسول الله ﷺ ، بعد ستّ سنين .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨) .

(٢) تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٧) وهو حديث حسن بشواهده .

(٥) رواه أبو داود (٢٢٤٠) والترمذي (١١٤٣) وابن ماجه (٢٠٠٩) وهو حديث حسن بشواهده .

(٦) انظر مسند أحمد (٣/ ٣٦٩) .

وفي روايةٍ : بعد سنتين بالنّكاح الأوّل . رواه ابن جريرٍ[١] ،

وفي روايةٍ : لم يحدث نكاحاً[٢] .

وهذا الحديث قد أشكل على كثيرٍ من العلماء ؛ فإنّ القاعدة عندهم أنّ المرأة إذا أسلمت وزوجها كافرٌ ، فإن كان قبل الدخول تعجّلت الفرقة ، وإن كان بعده انتظر إلى انقضاء العدّة ، فإن أسلم فيها استمرّ على نكاحها ، وإن انقضت ولم يسلم انفسخ نكاحها ، وزينب ، رضي الله عنها ، أسلمت حين بعث رسول الله ﷺ ، وهاجرت بعد بدرٍ بشهرٍ ، وحرّم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ستٍّ ، وأسلم أبو العاص قبل الفتح سنة ثمانٍ ، فمن قال : ردّها عليه بعد ستّ سنين . أي من حين هجرتها ، فهو صحيحٌ ، ومن قال : بعد سنتين . أي : من حين حرّمت المسلمات على المشركين ، صحيحٌ أيضاً ، وعلى كلّ تقديرٍ ، فالظاهر انقضاء عدّتها في هذه المدة التي أقلّها سنتان من حين التحريم أو قريبٌ منها ، فكيف ردّها عليه بالنّكَاح الأوّل ؟ فقال قائلون : يحتمل أنّ عدّتها لم تنقض ، وهذه قصة عين يتطرّق إليها الاحتمال . وعارض آخرون هذا الحديث بالحديث الأوّل الذي رواه أحمد والترمذيّ ، وابن ماجه[٣] من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدّه أنّ رسول الله ﷺ ردّ بنته على أبي العاص بن الربيع بمهرٍ جديدٍ ونكاحٍ جديدٍ .

قال الإمام أحمد : هذا حديثٌ ضعيفٌ واهٍ ، ولم يسمعه الحجاج من عمرو بن شعيبٍ ، إنّما سمعه من محمد بن عبيد الله العرزميّ ، والعرزميّ لا يساوي حديثه شيئاً ، والحديث الصحيح الذي روي أنّ النّبيّ ﷺ أقرّهما على النكاح الأوّل .

وهكذا قال الدارقطنيّ[٤] : لا يثبت هذا الحديث ، والصواب حديث ابن عباسٍ أنّ رسول الله ﷺ ردّها بالنكاح الأوّل .

وقال الترمذيّ[٥] : هذا حديثٌ في إسناده مقالٌ ، والعمل عليه عند أهل العلم أنّ المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنّه أحقّ بها ما كانت في العدّة ، وهو قول مالكٍ ، والأوزاعيّ ، والشافعيّ ، وأحمد ، وإسحاق .

وقال آخرون : بل الظاهر انقضاء عدّتها ، ومن روى أنه جدّد لها نكاحاً فضعيفٌ ، ففي قضية زينب ، والحالة هذه ، دليلٌ على أنّ المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدّتها فنكاحها لا ينفسخ

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٧٢) .

(٢) رواه الترمذي (١١٤٣) ، وحَسَّنه .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٠٧ و٢٠٨) والترمذي (١١٤٢) وابن ماجه (٢٠١٠) ، وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « سنن الدارقطني » (٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) .

(٥) وذلك عقب حديث عمرو بن شعيب السابق ، وانظر أيضاً قول البيهقي في « السنن الكبرى » (٧/ ١٨٨) .

بمجرّد ذلك ، بل تبقى بالخيار ؛ إن شاءت تزوّجت غيره ، وإن شاءت تربّصت وانتظرت إسلام زوجها أيّ وقتٍ كان ، وهي امرأته ما لم تتزوّج ، وهذا القول فيه قوةٌ ، وله حظٌّ من جهة الفقه ، والله تعالى أعلم .

ويستشهد لذلك بما ذكره البخاريّ[1] حيث قال : نكاح من أسلم من المشركات وعدّتهن . حدّثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشامٌ ، عن ابن جريجٍ . وقال عطاءٌ ، عن ابن عباسٍ : كان المشركون على منزلتين من رسول الله ﷺ والمؤمنين ؛ كانوا مشركي أهل حربٍ يقاتلونهم ويقاتلونه ، ومشركي أهل عهدٍ لا يقاتلهم ولا يقاتلونه ، وكان إذا هاجرت امرأةٌ من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر ، فإذا طهرت حلّ لها النكاح ، فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه ، وإن هاجر عبدٌ منهم أو أمةٌ فهما حران ولهما ما للمهاجرين ، ثم ذكر من أهل العهد مثل حديث مجاهدٍ . هذا لفظه بحروفه ، فقوله : فكان إذا هاجرت امرأةٌ من أهل الحرب لم تخطب حتى تحيض وتطهر . يقتضي أنّها كانت تستبرئ بحيضةٍ ، لا تعتدّ بثلاثة قروءٍ ، وقد ذهب قومٌ إلى هذا . وقوله : فإن هاجر زوجها قبل أن تنكح ردّت إليه . يقتضي أنّه ، وإن هاجر بعد انقضاء مدة الاستبراء والعدّة ، أنّها تردّ إلى زوجها الأوّل ما لم تنكح زوجاً غيره ، كما هو الظّاهر من قصة زينب بنت النبيّ ﷺ ، وكما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، والله أعلم .

فصلٌ

فيما قيل من الأشعار في غزوة بدرٍ العظمى

فمن ذلك ما ذكره ابن إسحاق[2] ، عن حمزة بن عبد المطلب ، وأنكرها ابن هشامٍ : [من الطويل]

ألم تر أمراً كان من عجب الدّهر … وللحَيـن أسبـابٌ مبيّنـة الأمـرِ
ومـا ذاك إلّا أنّ قـومـاً أفـادهـم … فخـانـوا تـواصٍ بـالعقـوق وبـالكفـرِ
عشيّـة راحـوا نحـو بـدرٍ بجمعهـم … فكـانـوا رهـونـاً للـرّكيّـة مـن بـدر
وكنّا طلبنا العِيـر لـم نبـغ غيرهـا … فسـاروا إلينـا فـالتقينـا علـى قـدر
فلمـا التقينـا لـم تكـن مثنـويّـةٌ … لنـا غيـر طعـنٍ بـالمثقّفـة السّمـرِ
وضربٍ ببيضٍ يختلي الهام حدّها … مشهّـرة الألـوان بيّنـة الأثـر
ونحـن تـركنـا عتبـة الغيّ ثـاويـاً … وشيبة في قتلى تجرجمُ في الجفر
وعمروٌ ثوى فيمن ثوى من حماتهم … فشُقّت جيوب النائحات على عمرو
جيوب نساءٍ مـن لـؤيّ بـن غـالـبٍ … كـرام تفـرّعـن الـذّوائب مـن فهـر
أولئـك قـومٌ قتّلـوا فـي ضـلالهـم … وخلّـوا لـواءً غيـر محتضـر النّصـر

---

(١) رواه « البخاري » (٥٢٨٦) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨ ـ ٩) .

لـواءَ ضـلالٍ قـاد إبليـس أهلـه ... فخـاس بهـم إنّ الخبيـث إلى غـدرِ
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً ... برئت إليكم ما بيَ اليوم من صبر
فـإنـي أرى مـا لا تـرون وإنّنـي ... أخـاف عقـاب الله والله ذو قسـر
فقـدّمهـم للحيـن حتـى تـورّطـوا ... وكـان بمـا لـم يخبر القـوم ذا خبر
فكـانـوا غـداة البئـر ألفـاً وجمعنـا ... ثـلاث مئيـنٍ كـالمسـدّمـة الـزّهـر
وفينـا جنـود الله حيـن يمـدّنـا ... بهم في مقامٍ ثَمّ مستوضح الذّكرِ
فشـدّ بهـم جبريـل تحـت لـوائنـا ... لـدى مـأزقٍ فيـه منـايـاهـمُ تجـري

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها من الحارث بن هشامٍ ، أخي أبي جهلٍ عمرو بن هشامٍ ، تركناها عمداً .

وقال عليّ بن أبي طالبٍ ـ وأنكرها ابن هشامٍ[١] ـ : [من الطويل]

ألـم تـر أنّ الله أبلـى رسـولـه ... بـلاءَ عـزيـزٍ ذي اقتـدارٍ وذي فضـلِ
بمـا أنـزل الكفّـار دار مـذلّـةٍ ... فـلاقـوا هـوانـاً مـن إسـارٍ ومـن قتـل
فـأمسـى رسـول الله قـد عـزّ نصـره ... وكـان رسـول الله أُرسـل بـالعـدل
فجـاء بفـرقـانٍ مـن الله منـزلٍ ... مبيّنـةٌ آيـاتـه لـذوي العقـل
فـآمـن أقـوامٌ بـذاك وأيقنـوا ... فـأمسـوا بحمـد الله مجتمعـي الشمـل
وأنكـر أقـوامٌ فـزاغـت قلـوبهـم ... فـزادهـمُ ذو العـرش خبـلاً علـى خبـل
وأمكـن منهـم يـوم بـدرٍ رسـولـه ... وقـومـاً غضـابـاً فعلهـم أحسـن الفعـل
بـأيـديهـمُ بيـضٌ خفـافٌ عصـوا بهـا ... وقـد حـادثـوهـا بـالجـلاء وبـالصّقـل
فكـم تـركـوا مـن نـاشـىءٍ ذي حميّـةٍ ... صـريعـاً ومـن ذي نجـدةٍ منهـم كهـل
تبيـت عيـون النـائحـات عليهـمُ ... تجـود بـإسبـال الـرّشـاش وبـالـوبـل
نـوائـح تنعـى عتبـة الغـيّ وابنـه ... وشيبـة تنعـاه وتنعـى أبـا جهـل
وذا الرّجل تنعى وابن جدعان فيهم ... مسلّبـةً حـرّى مبيّنـة الثُكـل
ثـوى منهـمُ فـي بئـر بـدرٍ عصـابـةٌ ... ذوو نجداتٍ في الحروب وفي المحل
دعـا الغـيّ منهـم مـن دعـا فـأجـابـه ... وللغـيّ أسبـابٌ مـرمّقـة الـوصـل
فـأضحَـوا لَـدى دار الجحيـم بمعـزلٍ ... عن الشّغب والعدوان في أسفل السُّفْل

وقد ذكر ابن إسحاق نقيضتها من الحارث بن هشامٍ أيضاً ، تركناها قصداً .

وقال كعب بن مالكٍ[٢] : [من الطويل]

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » (٢/ ١١ ـ ١٢) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٦٦ ـ ١٦٧) بتحقيق د . سامي مكي العاني ، طبع عالم الكتب ببيروت .

عجبت لأمر الله والله قادرُ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ
قضى يوم بدرٍ أن نلاقيَ معشراً ... بغوا وسبيل البغي بالناس جائرُ
وقد حشدوا واستنفروا من يليهمُ ... من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا ... بأجمعها كعبٌ جميعاً وعامرُ
وفينا رسول الله والأوس حوله ... له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصرُ
وجمع بني النجّار تحت لوائه ... يمشّون في الماذيِّ والنّقع ثائرُ
فلمّا لقيناهم وكلٌّ مجاهد ... لأصحابه مستبسل النّفس صابرُ
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره ... وأنّ رسول الله بالحقّ ظاهرُ
وقد عرّيت بيضٌ خفافٌ كأنها ... مقابيس يزهيها لعينيك شاهرُ
بهنّ أبدنا جمعهم فتبدّدوا ... وكان يلاقي الحَين من هو فاجرُ
فكبّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه ... وعتبة قد غادرنَه وهو عاثرُ
وشيبة والتّيميّ غادرن في الوغى ... وما منهم إلّا بذي العرش كافرُ
فأمسوا وَقود النار في مستقرّها ... وكلّ كفورٍ في جهنم صائرُ
تلظّى عليهم وهي قد شبّ حميها ... بزبر الحديد والحجارة ساجرُ
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولّوا وقالوا إنّما أنت ساحرُ
لأمرٍ أراد الله أن يَهلكوا به ... وليس لأمرٍ حمّه الله زاجرُ

وقال كعبٌ[1] في يوم بدرٍ : [من الطويل]

ألا هل أتى غسّانَ في نأي دارها ... وأخبرُ شيءٍ بالأمور عليمها
بأن قد رمتنا عن قسيّ عداوة ... معدٌّ معاً جهّالها وحليمها
لأنّا عبدنا الله لم نرج غيره ... رجاء الجنان إذ أتانا زعيمها
نبيٌّ له في قومه إرث عزّةٍ ... وأعراق صدقٍ هذّبتها أرومها
فساروا وسرنا فالتقينا كأنّنا ... أسود بقاءٍ لا يرجّى كليمها
ضربناهمُ حتى هوى في مكرّنا ... لمنخر سوءٍ من لؤيٍّ عظيمها
فولّوا ودسناهم ببيضٍ صوارمٍ ... سواءٌ علينا حلفها وصميمها

وقال كعبٌ[2] أيضاً : [من الوافر]

لعمر أبيكما يا بَنَي لؤيٍّ ... على زهوٍ لديكم وانتخاءِ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٢٠٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٥) .

لمـا حـامـت فـوارسكـم ببـدرٍ ولا صبـروا بـه عنـد اللقـاءِ
وردنـاه بنـور الله يجلـو دجـى الظّلمـاء عنّـا والغطـاء
رسـول الله يقـدمنـا بـأمـرٍ مـن امـر الله أحكـم بـالقضـاء
فمـا ظفـرت فـوارسكـم ببـدرٍ ومـا رجعـوا إليكـم بـالسّـواء
فـلا تعجـل أبـا سفيـان وارقُـب جيـاد الخيـل تطلُـع مـن كـداء
بنصـر الله روحُ القـدس فيهـا وميكـالٌ فيـا طيـب المـلاء

وقال حسّان بن ثابتٍ[١] ـ قال ابن هشام: ويقال: هي لعبد الله بن الحارث السّهميّ ـ: [من البسيط]

مستشعـري حلـق المـاذيّ يقـدمهـم جلـد النّحيـزة مـاضٍ غيـر رعـديـدِ
أعنـي رسـول إلـه الخلـق[٢] فضّلـه علـى البـريّـة بـالتقـوى وبـالجـودِ
وقـد زعمتـم بـأن تحمـوا ذِمـاركـمُ ومـاء بـدرٍ زعمتـم غيـر مـورودِ
ثـمّ وردنـا ولـم نسمـع[٣] لقـولكـمُ حتـى شـربنـا رواءً غيـر تصـريـدِ
مستعصميـن بحبـلٍ غيـر منجـذمٍ مستحكـمٍ مـن حبـال الله ممـدودِ
فينـا الـرسـول وفينـا الحـقّ نتبعـه حتـى الممـات ونصـرٌ غيـر محـدودِ
وافٍ ومـاضٍ شهـابٌ يستضـاء بـه بـدرٌ أنـار علـى كـلّ الأمـاجيـدِ

وقال حسان بن ثابتٍ أيضاً[٤]:

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكةٍ إبارتُنا الكفّار[٥] في ساعة العسرِ
قتلنـا سـراة القـوم عنـد مجـالنـا[٦] فلـم يـرجعـوا إلّا بقـاصمـة الظّهـر
قتلنـا أبـا جهـلٍ وعتبـة قبلـه[٧] وشيبـة يكبـو لليـديـن وللنّحـر[٨]
قتلنـا سُـويـداً ثـم عتبـة بعـده وطعمـة أيضـاً عنـد ثـائـرة القتـر
فكـم قـد قتلنـا مـن كـريـمٍ مـرزَّإٍ لـه حسبٌ فـي قـومـه نـابِهُ الـذّكـر

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٢٨) مع تقديم وتأخير .
(٢) في « ديوانه » : « أعني الرسول فإن الله » .
(٣) في « ديوانه » : « ولم نُهدد » .
(٤) الأبيات في «ديوانه» (١/ ١٤٢) وفيها تداخل ونقص وخلاف عما في كتابنا و«السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٢١ ـ ٢٢ .
(٥) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « قَتَلْنَا مِنَ الكُفَّار . . . » .
(٦) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « عند رحالهم » .
(٧) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « بعده » .
(٨) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « وشيبة أيضاً عند نائرة الصَّبر » .

تـركنـاهـمُ للعـاويـات[١] ينبنهـم ويصلـون نـاراً بعـد حـاميـة القعر
لعمرك مـا حـامت فـوارس مـالكٍ وأشيـاعهـم يـوم التقينـا علـى بـدر

وقال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، في يوم بدرٍ ، وفي قطع رجله في مبارزته هو وحمزة وعليٍّ مع عتبة وشيبة والوليد بن عتبة ، وأنكرها ابن هشامٍ : [من الطويل]

ستبلـغ عنّـا أهـل مكـة وقعـةٌ يهـبّ لهـا مـن كـان عـن ذاك نـائيـا
بعتبـة إذ ولّـى وشيبـة بعـده ومـا كـان فيهـا بكـر عتبـة راضيـا
فـإن تقطعـوا رِجلي فـإنّـيَ مسلـمٌ أرجّـي بهـا عيشـاً مـن الله دانيـا
مع الحور أمثال التّماثيل أخلصت من الجنة العليا لمن كـان عـاليـا
وبعـت بهـا عيشـاً تعـرّقت صفـوه وعـاجلتـه حتـى فقـدتُ الأدانيـا
فـأكرمني الرحمن من فضل منّه بثوبٍ من الإسلام غطّى المساويا
ومـا كـان مكـروهـاً إلـيّ قتـالهـم غـداة دعـا الأكفـاء مـن كـان داعيـا
ولـم يبـغ إذ سـالـوا النبيّ سـواءنـا ثـلاثتنـا حتـى حضـرنـا المنـاديـا
لقينـاهـمُ كـالأسـد تخطـر بـالقنـا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا
فمـا بـرحـت أقـدامنـا مـن مقـامنـا ثـلاثتنـا حتـى أُزيـروا المنـائيـا

وقال ابن إسحاق[٢] : وقال حسّان بن ثابتٍ[٣] أيضاً ؛ يذمّ الحارث بن هشامٍ على فراره يوم بدرٍ ، وتركه قومه لا يقاتل دونهم : [من الكامل]

تبلـت فـؤادَك فـي المنـام خـريـدةٌ تشفـي الضّجيـع ببـاردٍ بسّـامِ
كـالمسـك تخلطـه بمـاء سحـابـةٍ أو عـاتـقٍ كـدم الـذّبيـح مـدام
نفـج الحقيبـة بـوصهـا متنضّـدٌ بلهـاء غيـر وشيكـة الأقسـام
بنيـت علـى قطـنٍ أجـمّ كـأنّـه فُضُـلاً إذا قعـدت مـداك رخـام
وتكـاد تكسـل أن تجـيء فـراشَهـا فـي جسـم خـرعبـةٍ وحسـن قـوام
أمّـا النهـار فـلا أفتّـر ذكـرهـا والليـل تـوزعنـي بهـا أحـلامـي
أقسمـت أنسـاهـا وأتـرك ذِكـرهـا حتـى تغيّـب فـي الضـريـح عظـامي
يـا مـن لعـاذلـةٍ تلـوم سفـاهـةً ولقـد عصيـت علـى الهـوى لـوّامـي
بكـرت علـيّ بسحـرةٍ بعـد الكـرى وتقـاربٍ مـن حـادث الأيـام

---

(١) في « ديوان حسّان بن ثابت » : « للخامعات تنوبهم » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٦ ـ ١٨) .
(٣) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » ص(٢٩) .

زعمت بأنّ المرء يكرب عمره عدمٌ لمعتكرٍ من الأصرام
إن كنت كاذبةَ الذي حدّثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبّة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّةٍ ولجام
تذر العناجيج الجياد بقفرةٍ مرّ الدّموك بمحصدٍ ورجام
ملأت به الفرجين فارمدّت به وثوى أحبّته بشرّ مقام
وبنو أبيه ورهطه في معركٍ نصر الإله به ذوي الإسلام
طحنتهمُ والله ينفذ أمره حربٌ يشبّ سعيرها بضرام
لولا الإله وجريها لتركنه جزر السباع ودسنه بحوام
من بين مأسورٍ يشدّ وثاقه صقرٍ إذا لاقى الأسنّة حام
ومجدّلٍ لا يستجيب لدعوةٍ حتى تزول شوامخ الأعلام
بالعار والذلّ المبيّن إذ رأى بيض السيوف تسوق كلّ همام
بيدَيْ أغرّ إذا انتمى لم يخزه نسب القصار سميدعٍ مقدام
بيضٌ إذا لاقت حديداً صمّمت كالبرق تحت ظلال كلّ غمام

قال ابن هشامٍ(١) : تركنا في آخرها ثلاثة أبياتٍ أقذع فيها . [من الكامل]

قال ابن هشامٍ(٢) : فأجابه الحارث بن هشامٍ ، أخو أبي جهلٍ عمرو بن هشامٍ فقال : [من الكامل]

القوم أعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مهري بأشقر مزبد
وعرفت أنّي إن أقاتل واحداً أُقْتَلْ ولا ينكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبّة فيهمُ طمعاً لهم بعقاب يومٍ مفسد

وقال حسان(٣) أيضاً : [من الكامل]

يا حار قد عوّلت غير معوّلٍ عند الهياج وساعة الأحسابِ
إذ تمتطي سرُح اليدين نجيبةً مرطى الجراء طويلة الأقرابِ
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النّجاء وليس حين ذهابِ
ألّا عطفت على ابن أمّك إذ ثوى قعص الأسنّة ضائع الأسلابِ
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار مخزيةٍ وسوء عذابِ

وقال حسّان(٤) أيضاً : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨) برواية : « الله أعلم ما تركت » .
(٣) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٢٩٨) و« السيرة النبوية » (٢/ ١٩ ـ ٢٠) .
(٤) انظر « ديوان حسان » (١/ ١٨٠) و« السيرة النبوية » (٢/ ١٩) .

لقد علمتْ قريشٌ يوم بدرٍ ... غداة الأسر والقتل الشديدِ
بأنّا حين تشتجر العوالي ... حماةُ الحرب يوم أبي الوليدِ
قتلنا ابنيْ ربيعة يوم سارا ... إلينا في مضاعفة الحديدِ
وفرّ بها حكيمٌ يوم جالت ... بنو النّجّار تخطر كالأسودِ
وولّت عند ذاك جموع فهرٍ ... وأسلمها الحويرث من بعيدِ
لقد لاقَيْتُمُ ذلّاً وقتلاً ... جهيزاً نافذاً تحت الوريدِ
وكلّ القوم قد ولّوا جميعاً ... ولم يلووا على الحسب التّليدِ

وقالت هند بنت أُثاثة بن عبّاد بن المطّلب ، ترثي عبيدة بن الحارث بن المطلب : [من الطويل]

لقد ضمّن الصّفراءُ مجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً وافر اللّبّ والعقلِ
عبيدة فابكيه لأضياف غربةٍ ... وأرملةٍ تهوي لأشعث كالجذل
وبكّيه للأقوام في كلّ شتوةٍ ... إذا احمرّ آفاق السماء من المحل
وبكّيه للأيتام والرّيح زفزفٌ ... وتشبيب قدرٍ طالما أزبدت تغلي
فإن تصبح النّيران قد مات ضَوْؤها ... فقد كان يذكيهنّ بالحطب الجزل
لطارق ليلٍ أو لملتمس القرى ... ومستنبحٍ أضحى لديه على رسل

وقال الأمويّ في « مغازيه » : حدّثني سعيد بن قطنٍ ، قال : قالت عاتكة بنت عبد المطلب في رؤياها التي رأت وتذكر بدراً : [من الطويل]

ألمّا تكن رؤياي حقّاً ويأتكم ... بتأويلها فلٌّ من القوم هاربُ
رأى فأتاكم باليقين الذي رأى ... بعينيه ما تفري السيوف القواضب
فقلتم ولم أكذب كذبت وإنّما ... يكذّبني بالصّدق من هو كاذب
وما جاء إلّا رهبة الموت هارباً ... حكيمٌ وقد أعيت عليه المذاهب
أقامت سيوف الهند دون رؤوسكم ... وخطّيّةٌ فيها الشّبا والثّعالب
كأن حريقُ النار لمعَ ظباتها ... إذا ما تعاطتها اللّيوث المشاغب
ألا بأبي يوم اللقاء محمداً ... إذا عضّ من عُون الحروب الغوارب
مرى بالسيوف المرهفات نفوسكم ... كفاحاً كما تمري السحاب الجنائب
فكم بردت أسيافه من مليكةٍ ... وزعزع وردٌ بعد ذلك صالب
فما بال قتلى في القليب ومثلهم ... لدى ابن أخي أسرى له ما تضارب
فكانوا نساء أم أتى لنفوسهم ... من الله حَينٌ ساق والحَين حالب
فكيف رأى عند اللقاء محمداً ... بنو عمّه والحرب فيها التجارب
ألم يغشكم ضرباً لوقعه الـ ... ـجبان وتبدو بالنهار الكواكب

حلفت لئن عادوا لنصطلينّهم بحاراً تردّى تجربتْها المقانب
كأنّ ضياء الشمس لمع ظباتها لها من شعاع النور قرنٌ وحاجب

وقالت عاتكة أيضاً فيما نقله الأمويّ : [من الطويل]

هلّا صبرتم للنبيّ محمدٍ ببدرٍ ومن يغشى الوغى حقّ صابرِ[1]
ولم ترجعوا عن مرهفاتٍ كأنّها حريقٌ بأيدي المؤمنين بواترُ
ولم تصبروا للبيض حتى أُخذتمُ قليلاً بأيدي المؤمنين المساعر
ووليّتم نفراً وما البطل الذي يقاتل من وقع السلاح بنافرِ
أتاكم بما جاء النبيّون قبله وما ابن أخي البرّ الصّدوق بشاعرِ
سيكفي الذي ضيّعتمُ من نبيّكم وينصره الحيّان عمروٌ وعامرُ

وقال طالب بن أبي طالبٍ يمدح رسول الله ﷺ ويرثي أصحاب القليب من قريشٍ الذين قتلوا يومئذٍ من قومه ، وهو بعد على دين قومه إذ ذاك : [من الطويل]

ألا إنّ عيني أنفدت دمعها سكباً تبكّي على كعبٍ وما إن ترى كعبا
ألا إنّ كعباً في الحروب تخاذلوا وأرداهمُ ذا الدهر واجترحوا ذنبا
وعامر تبكي للملمّات غدوةً فيا ليت شعري هل أرى لهمُ قربا
فيا أخوينا عبد شمسٍ ونوفلاً فدى لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ودٍّ وألفةٍ أحاديث فيها كلّكم يشتكي النّكبا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ وحرب أبي يكسوم إذ ملؤوا الشّعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا
فما إن جنينا في قريشٍ عظيمةً سوى أنْ حمينا خير من وطئ التّربا
أخا ثقةٍ في النائبات مُرَزَّأً كريماً نثاه لا بخيلاً ولا ذربا
يطيف به العافون يغشَون بابه يؤمّون نهراً لا نزوراً ولا صربا
فوالله لا تنفكّ نفسي حزينةً تململ حتى تصدقوا الخزرج الضّربا

فصل

وقد ذكر ابن إسحاق[2] أشعاراً من جهة المشركين قويّة الصّنعة ، يرثون بها قتلاهم يوم بدرٍ ، فمن ذلك قول ضرار بن الخَطّاب بن مرداسٍ أخي بني محارب بن فهرٍ ، وقد أسلم بعد ذلك ، والسّهيليّ في « روضه » يتكلّم على أشعار من أسلم منهم بعد ذلك : [من الطويل]

---

(١) من بعض هذه الأبيات إقواء .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣ ـ ١٤) .

عجبت لفخر الأوس والحَيْن دائرٌ ... عليهم غداً والدّهر فيه بصائرٌ
وفخرِ بني النّجّار أن كان معشرٌ ... أصيبوا ببدر كلّهم ثمّ صائر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا ... فإنّا رجالٌ[١] بعدهم سنغادر
وتردي بنا الجرد العناجيج وسْطكُم ... بني الأوس حتى يشفيَ النّفسَ ثائر
ووسط بني النجّار سوف نكرّها ... لها[٢] بالقنا والدّارعين زوافر
فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلّا الأمانيَّ ناصر
وتبكيهمُ من أهل يثرب نسوةٌ ... لهنّ بها ليلٌ عن النّوم ساهر
وذلك أنّا لا تزال سيوفنا ... بهنّ دمٌ ممّن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدرٍ فإنّما ... بأحمدَ أمسى جدّكم وهْو ظاهر
وبالنّفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون في اللأْواءِ والموت حاضر
يعدّ أبو بكرٍ وحمزة فيهمُ ... ويدعى عليٌّ وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتّجت في ديارها ... بنو الأوس والنّجّار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤيِّ بن غالبٍ ... إذا عُدّت الأنساب كعبٌ وعامر
هم الطّاعنون الخيل في كلّ معركٍ ... غداة الهياج الأطيبون الأكاثر[٣]

فأجابه كعب بن مالكٍ بقصيدته التي أسلفناها[٤] ، وهي قوله : [من الطويل]

عجبت لأمر الله والله قادرُ ... على ما أراد ليس لله قاهرُ

قال ابن إسحاق[٥] : وقال أبو بكرٍ واسمه شدّاد بن الأسود بن شَعوب .

قلت : وقد ذكر البخاريّ[٦] أنّه خلف على امرأة أبي بكرٍ الصدّيق ، حين طلّقها الصديق ، وذلك لمّا[٧] حرّم الله المشركات على المسلمين ، واسمها أمّ بكرٍ : [من الوافر]

تُحَيِّي بالسّلامة أمّ بكرٍ ... وهل لي بعد قومي من سلام
فماذا بالقليب قليبِ بدرٍ ... من القينات والشَّرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدرٍ ... من الشّيزى تكلّل بالسّنام[٨]

---

(١) في الأصول (رجالًا) وهو خطأ صححه عن « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٢) في (آ) : « بها » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) في (ط) : « الأكابر » .
(٤) انظر ص(١٤٨ ـ ١٤٩) من هذا الجزء .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩) .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٩٢١) .
(٧) لفظ « لما » سقط من (ط) .
(٨) والسّنام : لحم ظهر البعير . انظر « لسان العرب » (سنم) .

وكم لك بالطّويّ طويّ بدرٍ ... من الحومات[١] والنَّعم المُسام
وكم لك بالطويّ طويّ بدرٍ ... من الغايات والدّسُع العظام[٢]
وأصحاب الكريم أبي عليٍّ ... أخي الكأس الكريمة والنّدَام
وإنّك لو رأيت أبا عقيلٍ ... وأصحاب الثّنيّة من نَعام
إذاً لظلِلت من وجدٍ عليهم ... كأمّ السّقب[٣] جائلة المرام
يخبّرنا الرسول لسوف نحيا ... وكيف حياة أصداءٍ وهام

قلت : وقد أورد البخاريّ بعضها في « صحيحه »[٤] ليعرف به حال قائلها .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال أُميّة بن أبي الصّلت[٦] ، يرثي من قتل من قريشٍ يوم بدرٍ : [من مجزوء الكامل]

ألّا بكيتِ على الكرا ... م بني الكرام أولي الممادحْ
كبُكا الحمام على فرو ... ع الأيْك في الغصن الجوانح
يبكين حرّى مستكيـ ... ـنات يرحن مع الرّوائح
أمثالهنّ الباكيا ... ت المعولات من النّوائح
من يبكهم يبكي على ... حزْنٍ ويصدق كلّ مادح
ماذا ببدرٍ والعقنـ ... ـقل من مرازبةٍ جحاجح
فمدافع البرقين فالـ ... ـحنّان من طرف الأواشح
شُمطٍ وشبّانٍ بها ... ليلٍ مغاويرٍ وحاوح
ألّا ترون لما أرى ... ولقد أبان لكلّ لامح
أن قد تغيّر بَطْنُ مكّة ... فهي موحشة الأباطح
من كلّ بطريقٍ لبطـ ... ـريق نقيّ الودّ واضح
دعموص أبواب الملو ... ك وجائبٍ للخرق فاتح
ومن السّراطمة الخلا ... جمة الملاوثة المناجح

---

(١) في (آ) : « الحرمات » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » .
(٢) هذا البيت تقدم في (آ) إلى ما قبل البيت الذي قبله وترتيب الأبيات في (ط) كما أثبته موافق لترتيبها في « السيرة النبوية » لابن هشام .
(٣) السقب : ولد الناقة .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣٩٢١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠ ـ ٣٢) .
(٦) الأبيات في « ديوان أمية بن أبي الصَّلت » ص(٣٤٨) صنعة د. عبد الحفيظ السطلي ، مع تقديم وتأخير .

القـــائليـــن الفـــاعليـ ـــن الآمـريـن بكـلّ صـالـح
المطعميـــن الشّحـــم فـــو ق الخبـز شحمـاً كـالأنـافـخ
نقـل الجفـان مـع الجفـا ن إلـى جفـانٍ كـالمنـاضـح
ليســت بــأصفــارٍ لمــن يعفـــو ولا رحٍّ رحـــارح
للضّيــف ثــم الضيــف بعـ ـد الضيف والبسط السّلاطح
وهـــب المئيـــن مـــن المئيـ ـن إلـى المئيـن مـن اللّواقـح
ســوق المـؤبّـل للمـؤبّـ ـل صـادراتٍ عـن بـلادح
لكــرامهــم فــوق الكــرا م مــزيّــةٌ وزن الــرّواجــح
كتثــاقــل الأرطــال بــالـ ـقسطاس بـالأيـدي المـوائـح
خــذلتهــمُ فئــةٌ وهــم يحمـون عـورات الفضـائـح
الضّــاربيـــن التّقــدميّـ ـة بـالمهنّـدة الصّفـائـح
ولقــد عنــانــي صــوتهــم مـن بيـن مستسـقٍ وصـائـح
لله درّ بنـــــــي علـ ـيٍ أيّـمٍ منهـم ونـاكـح
إن لـــم يغيـــروا غـــارةً شعـواء تجحـر كـلّ نـابـح
بــالمقــربــات المبعــدا ت الطّامحـات مع الطّوامـح
مُـرداً علـى جـردٍ إلـى أُسـدٍ مكـالبـةٍ كـوالـح
ويــلاقِ قــرنٌ قــرنــه مشـي المصـافـح للمصـافـح
بــزَهــاء ألــفٍ ثــمّ ألـ ـفٍ بيـن ذي بـدنٍ ورامـح

قال ابن هشامٍ[١] : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ .

قلت : هذا شعر المخذول المعكوس المنكوس ، الذي حمله كثرة جهله وقلّة عقله ، على أن مدح المشركين وذمّ المؤمنين ، واستوحش بمكة من أبي جهل بن هشامٍ ، وأضرابه من الكفرة اللئّام ، والجهلة الطّغام ، ولم يستوحش بها من عبد الله ورسوله ، وحبيبه وخليله ، فَخر البشر ، ومَن وجهه أنور من القمر ، ذي العِلم الأكمل ، والعقل الأشمل ، ومِن صاحبه الصدّيق المبادر إلى التصديق ، والسابق إلى الخيرات ، وفعل المكرمات ، وبذل الألوف والمئات ، في طاعة ربّ الأرض والسماوات ، وكذلك بقيّة أصحابه الغرّ الكرام ، الذين هاجروا من دار الكفر والجهل إلى دار العلم والإسلام ، رضي الله عن جميعهم ، ما اختلط الضّياء والظلام ، وما تعاقبت الليالي والأيام ، وقد تركنا أشعاراً كثيرةً أوردها ابن إسحاق ، رحمه الله ، خوف الإطالة وخشية الملالة ، وفيما أوردنا كفايةٌ ، ولله الحمد والمنّة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢) .

وقد قال الأمويّ في « مغازيه »[١] : سمعت أبي ، ثنا[٢] سليمان بن أرقم ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ عفا عن شعر الجاهليّة .

قال سليمان : فذكر ذلك للزّهريّ فقال : عفا عنه إلّا قصيدتين ؛ كلمة أميّة التي ذكر فيها أهل بدرٍ ، وكلمة الأعشى التي يذكر فيها الأحوص .

وهذا حديثٌ غريب ، وسليمان بن أرقم هذا متروكٌ[٣] ، والله أعلم .

فصل
في ذكر غزوة بني سُلَيمٍ سنة ثنتين من الهجرة النبويّة

قال ابن إسحاق[٤] : وكان فراغ رسول الله ﷺ من بدرٍ في عَقِيْب[٥] شهر رمضان ، أو في شوالٍ ، ولمّا قدم المدينة لم يقم بها إلّا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سليمٍ .

قال ابن هشامٍ[٦] : واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاريّ ، أو ابن أمّ مكتومٍ الأعمى .

قال ابن إسحاق[٧] : فبلغ ماءً من مياههم يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كَيْداً ، فأقام بها بقيّة شوالٍ وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلّ تلك[٨] الأسارى من قريشٍ .

فصل
غزوة السّويق في ذي الحجّة منها ، وهي غزوة قرقرة الكُدْر[٩]

قال السّهيليّ[١٠] : والقَرقرة : الأرض الملساء ، والكُدْر : طيرٌ في ألوانها كدرةٌ .

---

(١) وذكره ابن عدي في « الكامل في الضعفاء » (٣/ ١١٠٥) .
(٢) في (ط) : « حدثنا » .
(٣) وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : « ضعيف » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٠) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) طبع دار ابن كثير .
(٥) في (ط) : « عقب » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣) .
(٨) لفظ « تلك » الثاني هذا لم يرد في (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .
(٩) مكان هذا العنوان في (ط) : « فصل غزوة بني سليم سنة اثنتين من الهجرة » وهو السابق لهذا في (آ) كما هو مثبت .
(١٠) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٤٠٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وكان أبو سفيان ـ كما حدّثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتّهم ـ عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فَلُّ قريشٍ من بدرٍ ، نذر أن لا يمسّ رأسه ماءٌ من جنابةٍ حتى يغزو محمداً ، فخرج في مئتي راكبٍ من قريشٍ لتبرّ يمينه ، فسلك النّجديّة حتى نزل بصدر قناةٍ إلى جبلٍ يقال له : ثيبٌ[٢] . من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النّضير تحت الليل ، فأتى حُيَيّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له وخافه ، فانصرف عنه إلى سلّام بن مشكمٍ ، وكان سيّد بني النّضير في زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقراه وسقاه ، وبَطَن له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريشٍ ، فأتوا ناحيةً منها يقال لها : العريض ، فحرّقوا في أصوارٍ من نخلٍ بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرثٍ لهما ، فقتلوهما وانصرفوا راجعين ، فنذر بهم الناس ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم .

قال ابن هشامٍ[٣] : واستعمل على المدينة أبا لبابة بَشير بن عبد المنذر .

قال ابن إسحاق : فبلغ قرقرة الكدر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، ووجد أصحابُ رسول الله ﷺ أزواداً كثيرةً قد ألقاها المشركون يتخفّفون منها وعامّتها سويقٌ ، فسمّيت غزوة السّويق . قال المسلمون : يا رسول الله ، أنطمع أن تكون هذه لنا غزوةً ؟ قال : « نعم » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال أبو سفيان فيما كان من أمره هذا ، ويمدح سلّام بن مشكمٍ اليهوديّ :

[من الطويل]

وإنّي تخيّرت المدينة واحداً ... لحلفٍ فلم أندم ولم أتلوّمِ
سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامةً ... على عجَلٍ منّي سلام بن مشكم
ولمّا تولّى الجيش قلت ولم أكن ... لأُفرحه : أبشر بغزوٍ ومغنم
تأمّل فإنّ القوم سرٌّ وإنّهم ... صريح لؤيٍّ لا شماطيط جُرهم
وما كان إلّا بعض ليلة راكبٍ ... أتى ساعياً من غير خلّة معدم

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) .
(٢) في (ط) : « نيب » وما جاء في (آ) هو الصواب ، وانظر لتمام الفائدة تعليق شيخنا العلّامة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٨٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩١) .

فصل

في دخول علي بن أبي طالبٍ ، رضي الله عنه على زوجته فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وذلك في سنة ثنتين بعد وقعة بدرٍ ، لما رواه البخاريّ ومسلمٌ[١] ، من طريق الزّهريّ ، عن عليٍّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليٍّ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : كانت لي شارفٌ من نصيبي من المغنم يوم بدرٍ ، وكان النبيّ ﷺ أعطاني شارفاً ممّا أفاء الله عليه من الخمس يومئذٍ ، فلمّا أردت أن أبتنيَ بفاطمة بنت النبيّ ﷺ ، واعدت رجلاً صوّاغاً في بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخرٍ ، فأردت أن أبيعه من الصّوّاغين فأستعين به في وليمة عرسي ، فبينا أنا أجمع لشارفيّ من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفايَ مناختان إلى جنب حجرة رجلٍ من الأنصار ، حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفيّ قد أُجبّت أسنمتها ، وبُقرت خواصرهما ، وأُخذ من أكبادهما ، فلم أملك عينيّ حين رأيت المنظر ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطّلب ، وهو في هذا البيت ، وهو في شَربٍ من الأنصار ، وعنده قَينةٌ وأصحابه ، فقالت في غنائها : [من الوافر]

ألا يا حمزُ للشّرف النّواء

فوثب حمزة إلى السيف ، فأجبّ أسنمتهما[٢] ، وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما . قال عليٌّ : فانطلقت حتى أدخل على النبيّ ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فعرف النبيّ ﷺ الذي لقيت فقال : « ما لك ؟ » . فقلت : يا رسول الله ، ما رأيت كاليوم ، عدا حمزة على ناقتيّ فأجبّ أسنمتهما ، وبقر خواصرهما ، وها هو ذا في بيتٍ معه شَربٌ ، فدعا النبيّ ﷺ بردائه فارتداه ، ثم انطلق يمشي ، واتّبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة ، فاستأذن عليه فأذن له ، فطفق النبيّ ﷺ يلوم حمزة فيما فعل ، فإذا حمزة ثمِلٌ محمرّةٌ عيناه ، فنظر حمزة إلى النبيّ ﷺ ، ثم صعّد النّظر فنظر إلى ركبتيه ، ثم صعّد النظر فنظر إلى وجهه ، ثم قال حمزة : وهل أنتم إلّا عبيدٌ لأبي ؟ فعرف النبيّ ﷺ أنّه ثمِلٌ ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى ، فخرج وخرجنا معه ، هذا لفظ البخاريّ في كتاب المغازي .

وقد رواه في أماكن أُخر من « صحيحه » بألفاظٍ كثيرةٍ ، وفي هذا دليلٌ على ما قدّمناه من أنّ غنائم بدرٍ قد خمّست ، لا كما زعمه أبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ في كتاب « الأموال »[٣] ، من أنّ الخمس إنّما نزل بعد

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٠٣) ومسلم رقم (١٩٧٩) .

(٢) في (آ) : « أسنمتها » .

(٣) انظر « كتاب الأموال » ص(٣٨٤) .

قسمتها ، وقد خالفه في ذلك جماعةٌ ؛ منهم البخاريّ وابن جريرٍ ، وبيّنّا غلطه في ذلك في « التفسير »[١] وفيما تقدّم ، والله أعلم .

وكان هذا الصّنع من حمزة وأصحابه ، رضي الله عنهم ، قبل أن تحرّم الخمر ، بل قد قُتل حمزة يوم أحدٍ ، كما سيأتي ، وذلك قبل تحريم الخمر ، والله أعلم .

وقد يَستدلّ بهذا الحديث من يرى أنّ عبارة السّكران مسلوبةٌ لا تأثير لها ؛ لا في طلاقٍ ، ولا إقرارٍ ، ولا غير ذلك ، كما ذهب إليه من ذهب من العلماء ، كما هو مقرَّرٌ في كتاب « الأحكام » .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا سفيان ، عن ابن[٣] أبي نجيحٍ ، عن أبيه ، عن رجلٍ سمع عليّاً يقول : أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ، فقلت : ما لي من شيءٍ ، فكيف ؟ ثم ذكرت صلته وعائدته ، فخطبتها إليه ، فقال : « هل لك من شيءٍ ؟ » . قلت : لا . قال : « فأين درعك الحطميّة التي أعطيتك يوم كذا وكذا ؟ » . قال : هي عندي . قال : « فأعطنيها » . قال : فأعطيتها إياه . هكذا رواه أحمد في « مسنده » ، وفيه رجلٌ مبهمٌ .

وقد قال أبو داود[٤] : حدّثنا إسحاق بن إسماعيل الطّالقانيّ ، ثنا عبدة ، ثنا سعيدٌ ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لما تزوّج عليٌّ فاطمة ، رضي الله عنهما ، قال له رسول الله ﷺ : « أعطها شيئاً » . قال : ما عندي شيءٌ . قال : « أين دِرعك الحُطَميّة ؟ » .

ورواه النسائيّ[٥] ، عن هارون بن إسحاق ، عن عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أيوب السّختيانيّ به .

وقال أبو داود[٦] : حدّثنا كثير بن عبيدٍ الحمصيّ ، ثنا أبو حيوة ، عن شعيب بن أبي حمزة ، حدثني غيلان بن أنسٍ من أهل حمصٍ ، حدثني محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن رجلٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ، أنّ عليّاً لما تزوّج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أراد أن يدخل بها ، فمنعه رسول الله ﷺ حتى يعطيها شيئاً ، فقال : يا رسول الله ، ليس لي شيءٌ ، فقال له النبيّ ﷺ : « أعطها درعك » ، فأعطاها درعه ، ثم دخل بها .

---

(١) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ٥٤٩) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٠) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي بعده .
(٣) لفظ « ابن » سقط من (آ) وأثبته من (ط) وهو الصواب .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢١٢٥) ، وهو حديث صحيح .
(٥) رواه النسائي (٣٣٧٦) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود رقم (٢١٢٦) وهو حديث حسن ، يشهد له الذي قبله .

وقال البيهقيّ في « الدلائل »[١] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ[٢] ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصمّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبّار ، ثنا يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن عليٍّ قال : خَطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ، فقالت مولاةٌ لي : هل علمت أنّ فاطمة قد خُطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت : لا . قالت : فقد خُطبت ، فما يمنعك أن تأتيَ رسول الله ﷺ فيزوّجك ؟ فقلت : وعندي شيءٌ أتزوج به ؟ فقالت : إنّك إن جئت رسول الله ﷺ زوّجك . قال : فوالله ما زالت تُرجّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ ، فلما أن قعدت بين يديه أُفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلّم جلالةً وهيبةً ، فقال رسول الله ﷺ : « ما جاء بك ، ألك حاجةٌ ؟ » . فسكتّ ، فقال : « ما جاء بك ، ألك حاجةٌ ؟ » . فسكتّ ، فقال : « لعلّك جئت تخطب فاطمة » . فقلت : نعم . فقال : « وهَلْ عندك من شيءٍ تستحلّها به » . فقلت : لا والله يا رسول الله . فقال : « ما فعلت درعٌ سلّحتُكها ؟ » فوالذي نفس عليٍّ بيده ، إنّها لحُطَميّةٌ ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت : عندي . فقال : « قد زوّجتكها ، فابعث إليها بها فاستحلّها بها » . فإن كانت لَصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فولدت فاطمة لعليٍّ حسناً ، وحسيناً ، ومحسّناً ، مات صغيراً ، وأمّ كلثومٍ ، وزينب .

ثم روى البيهقيّ[٤] من طريق عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عليٍّ قال : جهّز رسول الله ﷺ فاطمة في خَميلٍ وقِربةٍ ووسادة أدُمٍ حشوها إذخرٌ .

ونقل البيهقيّ عن كتاب « المعرفة » لأبي عبد الله بن منده ، أنّ علياً تزوّج فاطمة بعد سنةٍ من الهجرة ، وابتنى بها بعد ذلك بسنةٍ أخرى .

قلت : فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياق حديث الشّارفين ، يقتضي أنّ ذلك عقب وقعة بدرٍ بيسيرٍ ، فيكون ذلك كما ذكرناه في أواخر السنة الثانية ، والله أعلم .

فصل
في ذكر جُمَلٍ من الحوادث الواقعة سنة ثنتين من الهجرة

تقدّم ما ذكرناه من تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بعائشة أمّ المؤمنين ، رضي الله عنها ، وذكرنا ما سلف من الغزوات المشهورة ، وقد تضمّن ذلك وفيات أعيانٍ من المشاهير من المؤمنين والمشركين ،

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ١٦٠) .
(٢) يعني الحاكم صاحب « المستدرك على الصحيحين » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٣١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٦١) .

فكان ممّن توفّي فيها : الشهداء يوم بدرٍ ، وهم أربعة عشر ، ما بين مهاجريٍّ وأنصاريٍّ ، تقدّم تسميتهم ، والرؤساء من مشركي قريشٍ ، وقد كانوا سبعين رجلاً على المشهور .

وتوفّي بعد الوقعة بيسيرٍ أبو لهبٍ عبد العزّى بن عبد المطلب ، لعنه الله ، كما تقدّم . ولما جاءت البشارة إلى المؤمنين من أهل المدينة مع زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، بما أحلّ الله بالمشركين وبما فتح على المؤمنين ، وجدوا رقيّة بنت رسول الله ﷺ قد توفّيت ، وساووا عليها التراب ، وكان زوجها عثمان بن عفان قد أقام عندها يمرّضها بأمر النبيّ ﷺ له بذلك ، ولهذا ضرب له بسهمه في مغانم بدرٍ ، وأجره عند الله يوم القيامة ، ثم زوّجه بأختها الأخرى أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، ولهذا كان يقال لعثمان بن عفان : ذو النّورين ، ويقال : إنّه لم يُغْلِق أحدٌ على ابنتي نبيٍّ ، واحدةً بعد الأخرى غيره ، رضي الله عنه وأرضاه .

وفيها حوّلت القبلة ، كما تقدّم[1] ، وزيد في صلاة الحضر على ما سلف .

وفيها فرض الصِّيام صيام رمضان ، كما تقدم .

وفيها فرضت الزكاة ذات النّصُب ، وفرضت زكاة الفطر .

وفيها خضع المشركون من أهل المدينة ، واليهود الذين هم بها ؛ من بني قينقاع وبني النّضير وبني قريظة ، ويهود بني حارثة ، وصانعوا المسلمين ، وأظهر الإسلام طائفةٌ كثيرةٌ من المشركين واليهود ، وهم في الباطن منافقون ؛ منهم من هو على ما كان عليه ، ومنهم من انحلّ بالكلّيّة ، فبقي مذبذباً ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما وصفهم الله في كتابه .

قال ابن جرير[2] : وفيها كتب رسول الله ﷺ المعاقل ، وكانت معلّقةً بسيفه .

قال ابن جريرٍ[3] : وقيل : إنّ الحسن بن عليٍّ ولد فيها .

قال : وأما الواقديّ فإنّه زعم أنّ ابن أبي سبرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبي جعفرٍ ، أنّ عليّ بن أبي طالبٍ بنى بفاطمة في ذي الحجّة منها . قال : فإن كانت هذه الرواية صحيحةً ، فالقول الأوّل باطلٌ .

* * *

(١) انظر « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٨ ـ ٦٢) بتحقيق شيخيَّ المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، والمحقِّق الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٨٦) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٨٥) .

سنة ثلاث من الهجرة

في أوّلها كانت غزوة نجدٍ ، ويقال لها : غزوة ذي أمرّ[(١)] .

قال ابن إسحاق[(٢)] : فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السّويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجّة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمرّ .

قال ابن هشامٍ[(٣)] : واستعمل على المدينة عثمان بن عفَّان .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجدٍ صفَراً كلّه أو قريباً من ذلك ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

وقال الواقديّ[(٤)] : بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من غطفان من بني ثعلبة بن محاربٍ تجمّعوا بذي أمرّ يريدون حربه ، فخرج إليهم من المدينة يوم الخميس لثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيعِ الأول سنة ثلاثٍ ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، فغاب أحد عشر يوماً ، وكان معه أربعمئةٍ وخمسون رجلاً ، وهربت منه الأعراب في رؤوس الجبال ، حتى بلغ ماءً يقال له : ذو أمرّ فعسكر به ، وأصابهم مطرٌ كثيرٌ ، فابتلّت ثياب رسول الله ﷺ ، فنزل تحت شجرةٍ هناك ، ونشر ثيابه لتجفّ ، وذلك بمرأىً من المشركين ، واشتغل المسلمون في شؤونهم ، فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم ، يقال له غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث . فقالوا : قد أمكنك الله من قتل محمدٍ . فذهب ذلك الرجل ، ومعه سيفٌ صقيلٌ ، حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً ، فقال : يا محمد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : « الله » . ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » . قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، والله لا أكثّر عليك جمعاً أبداً . فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه ، فلمّا رجع إلى أصحابه ، فقالوا : ويلك ، ما لك ؟ فقال : نظرت إلى رجلٍ طويلٍ فدفع في صدري ، فوقعت لظهري ، فعرفت أنه ملَكٌ ، وشهدت أن محمداً رسول الله ، والله لا أكثّر عليه جمعاً ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام . قالوا : ونزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) انظر ما قاله شيخنا العلّامة حمد الجاسر رحمه الله في ضبطه لاسم هذا الموقع فيما علّقه على « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٢٣ ـ ٢٤) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٦) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٤) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ١٩٤) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٤) .

﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ ﴾ الآية [المائدة : ١١] .

قال البيهقيّ[1] : وسيأتي في غزوة ذات الرّقاع قصةٌ تشبه هذه ، فلعلّهما قصتان .

قلت : إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً ؛ لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم ، بل استمر على دينه ، ولكن عاهد النبيّ ﷺ أن لا يقاتله ، والله أعلم .

غزوة الفُرُع[2] من بُحران[3]

قال ابن إسحاق[4] : فأقام بالمدينة ربيعاً الأول كلّه ، أو إلّا قليلاً منه ، ثم غزا يريد قريشاً .

قال ابن هشام[5] : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ . قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحران ، وهو معدنٌ بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام بها شهر ربيعٍ الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقال الواقديّ[6] : إنما كانت غيبته ، عليه السلام ، عن المدينة عشرة أيامٍ ، فالله أعلم .

[illegible]

وقد وزعم الواقديّ[7] أنها كانت في يوم السبت ، النصف من شوالٍ سنة ثنتين من الهجرة، فالله أعلم . وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق[8] : وقد كان فيما بين ذلك من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع .

قال : وكان من حديثهم أنّ رسول الله ﷺ جمعهم في سوقهم ، ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريشٍ من النّقمة وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسلٌ ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم » . قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنّا قومك ! لا يغرّنّك أنّك لقيت قوماً لا عِلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصةً ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ١٦٩) .
(٢) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٣١٥_٣١٦) .
(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٥٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٦) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٥) .
(٦) انظر « المغازي » (١/ ١٩٧) و« عيون الأثر » (١/ ٤٥٥) .
(٧) انظر « المغازي » (١/ ١٧٦) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٤) .

قال ابن إسحاق[١] : فحدثني مولىً لزيد بن ثابتٍ ، عن سعيد بن جبيرٍ ، أو عن[٢] عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيهم : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ يعني أصحاب بدرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وقريشٍ : ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٢ـ ١٣] .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنّ بني قينقَاع كانوا أول يهود نقضوا العهد وحاربوا فيما بين بدرٍ وأحدٍ .

قال ابن هشام[٤] : فذكر عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسْوَر بن مخرمة ، عن أبي عونٍ ، قال : كان من أمر بني قينقاع أنّ امرأةً من العرب قدمت بجلبٍ لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغٍ هناك منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلمّا قامت انكشفت سوأتها ؛ فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصّائغ فقتله ، وكان يهوديّاً ، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فأُغضب[٥] المسلمون ، فوقع الشرّ بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق[٦] : فحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في مواليّ ـ وكانوا حلفاء الخزرج ـ قال : فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ، أحسن في مواليّ . قال : فأعرض عنه . قال : فأدخل يده في جيب درع النبيّ ﷺ ـ قال ابن هشام[٧] : وكان يقال لها : ذات الفضول ـ فقال له رسول الله ﷺ : « أرسلني » . وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً ، ثم قال : « ويحك أرسلني » . قال : لا والله لا أُرسلك حتى تحسن في مواليّ ؛ أربعمئة حاسرٍ وثلاثمئة دارعٍ ، قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداةٍ واحدةٍ ، إني والله امرؤٌ أخشى الدّوائر . قال : فقال له رسول الله ﷺ : « هم لك » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٤) .
(٢) في (آ) و(ط) : « وعن » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧ ـ ٤٨) .
(٥) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مغضب » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩) .

قال ابن هشام[١] : واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في محاصرته إياهم أبا لبابة بَشير بن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلةً .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني أبي ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصَّامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ ، تشبّث بأمرهم عبد الله بن أُبيٍّ ، وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصَّامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني عوفٍ ، لهم من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ ، وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولّى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفَّار وولايتهم . قال : ففيه وفي عبد الله بن أبيٍّ نزلت القصة من المائدة : ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ الآيات ، حتى قوله : ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ ﴾ يعني عبد الله بن أُبيٍّ ، إلى قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥١ ـ ٥٦] يعني عبادة بن الصَّامت . وقد تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٣] .

سريّـة زيد بن حارثة

[رضي الله عنه]

قال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : وكانت بعد وقعة بدرٍ بستة أشهرٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان من حديثها أنّ قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدرٍ ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجارٌ ، فيهم أبو سفيان ، ومعه فضةٌ كثيرةٌ ، وهي عُظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائلٍ ، يقال له : فُرات بن حيّان ـ يعني العجليّ ، حليف بني سهمٍ ـ ليدلّهم على تلك الطريق .

قال ابن إسحاق[٥] : فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، فلقيهم على ماءٍ يقال له : القَرَدة . من مياه نجدٍ ، فأصاب تلك العِير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك حسان بن ثابتٍ[٦] : [من الطويل]

دعوا[٧] فلجات الشام قد حال دونها جـلادٌ كـأفـواه المخـاض الأواركِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٥) .
(٣) انظر « التفسير » للمؤلف (٣/ ١٢٣ ـ ١٣١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٦) .
(٦) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٨٥) .
(٧) في « ديوان حسَّان بن ثابت » : « ذروا » .

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم وأنصاره حقّاً وأيدي الملائكِ
إذا سلكت للغور من بطن عالجٍ[1] فقولا لها ليس الطريق هنالِكِ

قال ابن هشامٍ[2] : وهذه الأبيات في قصيدةٍ لحسان ، وقد أجابه فيها أبو سفيان بن الحارث .

وقال الواقديّ[3] : كان خروج زيد بن حارثة في هذه السّريّة مستهلّ جمادى الأولى على رأس ثمانيةٍ وعشرين شهراً من الهجرة ، وكان رئيس هذه العِير صفوان بن أميّة ، وكان سبب بعثه زيد بن حارثة ؛ أنّ نعيم بن مسعودٍ قدم المدينة ومعه خبر هذه العِير ، وهو على دين قومه ، واجتمع بكنانة بن أبي الحُقَيق في بني النّضير ، ومعهم سليط بن النّعمان وكان أسلم ، فشربوا وكان ذلك قبل أن تحرّم الخمر ، فتحدّث بقضية العير نعيم بن مسعودٍ ، وخروج صفوان بن أميّة فيها ، وما معه من الأموال ، فخرج سليطٌ من ساعته فأعلم رسول الله ﷺ ، فبعث من وقته زيد بن حارثة فلقوهم ، فأخذوا الأموال ، وأعجزهم الرِّجال ، وإنما أسروا رجلاً أو رجلين وقدموا بالعير ، فخمّسها رسول الله ﷺ ، فبلغ خمسها عشرين ألفاً ، وقسّم أربعة أخماسها على السّريّة ، وكان فيمن أسر الدليل فُرات بن حيّان ، فأسلم ، رضي الله عنه .

قال ابن جرير[4] : وزعم الواقديّ أنّ في ربيعٍ من هذه السنة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثومٍ بنت رسول الله ﷺ ، وأُدخلت عليه في جمادى الآخرة منها .

مقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ

وكان من بني طيّئٍ ، ثم أحد بني نبهان ، ولكنّ أُمّه من بني النّضير . هكذا ذكره ابن إسحاق[5] قبل جلاء بني النّضير ، وذكره البخاريّ[6] والبيهقيّ[7] بعد قصة بني النّضير ، والصحيح ما ذكره ابن إسحاق لما سيأتي ، فإن بني النّضير إنما كان أمرها بعد وقعة أحدٍ ، وفي محاصرتهم حرّمت الخمر ، كما سنبيّنه بطريقه إن شاء الله .

قال البخاريّ في « صحيحه »[8] : قتل كعب بن الأشرف ، حدّثنا عليّ بن عبد الله ، حدّثنا سفيان ، عن عمرو : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ : « مَن لكعب بن الأشرف ؛ فإنّه قد آذى

(١) رواية هذه الشطرة في « ديوان حسّان بن ثابت » : « إذا هبطت حوران من رمل عالجٍ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ١٩٧) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٤٩١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٠٣٧) .
(٧) في « دلائل النبوة » (٣/ ١٨٧) .
(٨) رقم (٤٠٣٧) .

الله ورسوله ؟ » . فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله ، أتحبّ أن أقتله ؟ قال : « نعم » . قال : فأذن لي أن أقول شيئاً . قال : « قل » . فأتاه محمد بن مسلمة فقال : إن هذا الرجل قد سألنا صدقةً ، وإنّه قد عنّانا ، وإني قد أتيتك أستسلفك . قال : وأيضاً والله لتملّنّه . قال : إنّا قد اتبعناه ، فلا نحبّ أن ندعه حتى ننظر إلى أيّ شيءٍ يصير شأنه ، وقد أردنا أن تسلفنا . قال : نعم ، ارهنوني . قلت : أيّ شيءٍ تريد ؟ قال : ارهنوني نساءكم . فقالوا : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت أجمل العرب . قال : فارهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا ؛ فيسبّ أحدهم ، فيقال : رهن بوسقٍ أو وسقين . هذا عارٌ علينا ، ولكن نرهنك اللأمَةَ . قال سفيان : يعني السلاح . فواعده أن يأتيه ليلاً ، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعبٍ من الرضاعة ، فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم ، فقالت له امرأته : أين تخرج هذه الساعة ؟ وقال غير عمروٍ : قالت : أسمع صوتاً كأنّه يقطر منه الدم . قال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ، إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب . قال : ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين ، قيل لسفيان : سمّاهم عمروٌ ؟ قال : سمّى بعضهم . قال عمروٌ : جاء معه برجلين . وقال غير عمروٍ : أبو عبس بن جبرٍ والحارث بن أوسٍ وعبّاد بن بشرٍ ـ قال عمروٌ : جاء معه برجلين فقال : إذا ما جاء ، فإني نائلٌ [١] بشَعره فأشمّه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . وقال مرّةً : ثم أشمّكم . فنزل إليهم متوشّحاً وهو ينفح منه ريح الطّيب ، فقال : ما رأيت كاليوم ريحاً . أي : أطيب . وقال غير عمروٍ : قال : عندي أعطر نساء العرب وأجمل العرب . قال عمروٌ : فقال : أتأذن لي أن أشمّ رأسك ؟ قال : نعم . فشمّه ثم أشمّ أصحابه ، ثم قال : أتأذن لي ؟ قال : نعم . فلما استمكن مِنْهُ ، قال : دونكم . فقتلوه ، ثم أتوا النبيّ ﷺ فأخبروه .

وقال محمد بن إسحاق [٢] : كان من حديث كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيّئٍ ثم أحد بني نبهان ، وأمّه من بني النّضير ، أنه لما بلغه الخبر عن مقتل أهل بدرٍ ، حين قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، قال : والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم ، لَبطن الأرض خيرٌ من ظهرها . فلما تيقّن عدوّ الله الخبر ، خرج إلى مكة ، فنزل على المطّلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السّهميّ ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد منافٍ فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرّض على قتال رسول الله ﷺ وينشد الأشعار ، ويندب من قتل من المشركين يوم بدرٍ . فذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها : [من الكامل]

طحنتْ رحى بدرٍ لمهلك أهله ... ولمثـل بــدرٍ تستهـلّ وتــدمـعُ

وذكر جوابها من حسان بن ثابتٍ [٣] ، رضي الله عنه ، ومن غيره ، ثم عاد إلى المدينة فجعل يشبّب بنساء المسلمين ، ويهجو النبيّ ﷺ وأصحابه .

---

(١) في (ط) : « مائلٌ » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص (٢٩٧) .

(٣) ومما جاء في جواب حسَّان بن ثابت رضي الله عنه عليه كما في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٣) وهي في « ديوانه » (١/٤٢٦ ـ ٤٢٧) مع بعض الخلاف وانظر تعليق محققه عليها : =

وقال موسى بن عقبة : وكان كعب بن الأشرف أحد بني النّضير ، أو فيهم ، قد آذى رسول الله ﷺ بالهجاء ، وركب إلى قريشٍ فاستغواهم ، وقال له أبو سفيان وهو بمكة : أناشدك الله ، أديننا أحبّ إلى الله أم دين محمدٍ وأصحابه ؟ وأيّنا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحقّ ؟ إنّا نطعم الجزور الكوماءَ ، ونسقي اللبن على الماء ، ونطعمهم ما هبّت الشّمال . فقال له كعب بن الأشرف : أنتم أهدى منهم سبيلاً . قال : فأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٢] .

قال موسى ومحمد بن إسحاق[1] : وقدم المدينة فجعل يعلن بالعداوة ويحرّض الناس على الحرب ، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ ، وجعل يشبّب بأمّ الفضل بنت الحارث ، وبغيرها من نساء المسلمين حتى آذاهم .

قال ابن إسحاق[2] : فقال رسول الله ﷺ كما حدّثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة : « من لي بابن الأشرف ؟ » . فقال له محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : « فافعل إن قدرت على ذلك » . قال : فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلّا ما يُعلق نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له : « لم تركت الطعام والشراب ؟ » . فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولًا لا أدري هل أفي لك به أم لا ؟ قال : « إنما عليك الجهد » . قال : يا رسول الله ، إنه لا بدّ لنا من أن نقول . قال : « فقولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حلٍّ من ذلك » . قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسِلكان بن سلامة بن وقشٍ ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرّضاعة ، وعبّاد بن بشر بن وقشٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذٍ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبسٍ بن جبرٍ أخو بني حارثة . قال : فقدّموا بين أيديهم إلى عَدُوِّ الله كعبٍ سلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدّث معه ساعةً ، تناشدا شعراً ـ وكان أبو نائلة يقول الشعر ـ ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ، إني قد جئتك لحاجةٍ أريد ذكرها لك فاكتم عني . قال : أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ؛ عادتْنا العرب ، ورمتنا عن قوسٍ واحدةٍ ، وقطعت عنّا السّبل ، حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا . فقال كعب بن

=
أبكـي لكعـب ثـم عُـلّ بعبـرة ... منـه وعـاش مجـدَّعـاً لا يسمـعُ
ولقـد رأيـت ببطـن بـدرٍ منهـمُ ... قتلـى تسُـحّ لهـا العيـون وتـدمـعُ
فابكي فقد أبكيت عبداً راضعاً ... شبـه الكُليـب إلـى الكليبـة يتبـعُ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٧) .

الأشرف : أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سِلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثّق لك ، وتحسن في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا ، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتَبيعهم ، وتحسن في ذلك ، ونرهنك من الحلْقة ما فيه وفاءٌ . وأراد سِلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا بها ، فقال : إن في الحلْقة لوفاءً . قال : فرجع سلكان إلى أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم ينطلقوا ، فيجتمعو إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[(١)] : فحدّثني ثور بن زيدٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد ثم وجّههم وقال : « انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم » . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلةٍ مقمرةٍ ، فانطلقوا حتى انتَهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهدٍ بعرسٍ ، فوثب في ملحفته ، فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : أنت امرؤٌ محاربٌ ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشرّ . قال : يقول لها كعبٌ : لو دعي الفتى لطعنةٍ أجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعةً وتحدّثوا معه ، ثم قالوا : هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شِعب العجوز ، فنتحدّث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشَون فمشوا ساعةً ، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ، ثم شمّ يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قطّ . ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله . فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغولاً في سيفي فأخذته ، وقد صاح عدوّ الله صيحةً لم يبق حولنا حصنٌ إلّا أُوقدت عليه نارٌ . قال : فوضعته في ثنّته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ، فوقع عدوّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذٍ بجرحٍ في رجله أو في رأسه ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أُمية بن زيدٍ ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاثٍ ، حتى أسندنا في حرّة العُرَيض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوسٍ ، ونزفه الدَّم ، فوقفنا له ساعةً ، ثم أتانا يتبع آثارنا ، فاحتملناه ، فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائمٌ يصلي ، فسلّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا ، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلّا وهو خائفٌ على نفسه .

قال ابن جريرٍ[(٢)] : وزعم الواقديّ أنهم جاؤوا برأس كعب بن الأشرف إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وفي ذلك يقول كعب بن مالكٍ : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٢٩٨) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري (٢/ ٤٩١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧) .

فغــودر منهــم كعــبٌ صــريعــاً فــذلّــت بعــد مصــرعــه النّضيــر
علــى الكفّيــن ثــم وقــد علتْــه بــأيــدينــا مشهّــرةٌ ذكــور
بــأمــر محمــدٍ إذ دسّ ليــلاً إلــى كعــبٍ أخــا كعــبٍ يسيــر
فمــا كــره فــأنــزلــه بمكــرٍ ومحمــودٌ أخــو ثقــةٍ جســور

قال ابن هشام[١] : وهذه الأبيات في قصيدةٍ له في يوم بني النّضير ستأتي .

قلت : كان قتل كعب بن الأشرف على يدي الأوس بعد وقعة بدرٍ ، ثم إن الخزرج قتلوا أبا رافع بن أبي الحُقيق بعد وقعة أحدٍ ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، وبه الثقة .

وقد أورد ابن إسحاق شعر حسان بن ثابت[٢] : [من الكامل]

لله درّ عصــابــةٍ لاقيتَهــم يابن الحُقيق وأنت يابن الأشرف
يسْــرون بــالبيــض الخفَــاف إليكــمُ مــرُحــاً كــأُسدٍ فــي عَــرِيــنٍ مغــرف
حتــى أتــوكــم فــي محــلّ بــلادكــم فسقــوكــمُ حتفــاً ببيــضٍ ذفّــف
مستنصيــريــن لنصــر ديــن نبيّهــم مستصغــريــن لكــلّ أمــرٍ مجحــفِ

قال محمد بن إسحاق[٣] : وقال رسول الله ﷺ : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » . فوثب عند ذلك محيّصة بن مسعودٍ الأوسيّ على ابن سنينة ـ رجلٍ من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم ـ فقتله ، وكان أخوه حويّصة بن مسعودٍ أسنّ منه ، ولم يسلم بعد ، فلمّا قتله جعل حويّصة يضربه ويقول : أي عدوّ الله ، أقتلتَه ؟ أما والله لربّ شحمٍ في بطنك من ماله . قال محيّصة : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأول إسلام حويّصة ، وقال : والله لو أمرك محمدٌ بقتلي لتقتلني ؟! قال : نعم ، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها . قال : فوالله إن دِيناً بلغ بك هذا لعجبٌ ، فأسلم حويّصة .

قال ابن إسحاق[٤] : حدّثني بهذا الحديث مولىً لبني حارثة ، عن ابنة محيّصة ، عن أبيها .

وقال في ذلك محيّصة : [من الطويل]

يلــوم ابــنُ أمّ لــو أمــرت بقتلــه لطبّقــت ذِفــراه بــأبيــضَ قــاضــب
حسامٍ كلون الملح أُخلص صقله متــى مــا أُصــوّبــه فليــس بكــاذب
ومــا سـرّنــي أنّــي قتلتــك طــائعــاً وأنّ لنــا مــا بيــن بصــرى ومــأرب

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٧ ـ ٥٨) و« ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٤١١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٨) .

وحكى ابن هشام[١] : عن أبي عبيدة ، عن أبي عمرٍو المدنيّ أنّ هذه القصة كانت بعد مقتل بني قريظة ، وأن المقتول كان كعب بن يهوذا ، فلمّا قتله محيّصة عن أمر رسول الله ﷺ ، يوم بني قريظة ، قال له أخوه حويّصة ما قال ، فردّ عليه محيّصة بما تقدّم ، فأسلم حويّصة يومئذٍ ، فالله أعلم .

تنبيهٌ : ذكر البيهقيّ والبخاريّ قبله خبر بني النّضير قبل وقعة أحدٍ ، والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أنّ الخمر حرّمت ليالي حصار بني النّضير ، وثبت في « الصحيح »[٢] أنّه اصطبح الخمرَ جماعةٌ ممّن قتل يوم أحدٍ شهيداً ، فدلّ على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً ، وإنما حرّمت بعد ذلك ، فتبيّن ما قلناه من أن قصة بني النّضير بعد وقعة أحدٍ[٣] ، والله أعلم .

تنبيهٌ آخر : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدرٍ كما تقدّم ، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهوديّ على يدي الأوس ، وخبر بني النّضير بعد وقعة أحدٍ كما سيأتي ، وكذلك مقتل أبي رافعٍ اليهوديّ تاجر أهل الحجاز ، على يدي الخزرج على المشهور ، وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق ، كما سيأتي .

غزوة أُحدٍ في شوالٍ سنة ثلاثٍ

فائدةٌ ذكرها المؤلف في تسمية أحدٍ :

قال : سمّي أحدٌ أحداً ؛ لتوحّده من بين تلك الجبال[٤] .

وفي « الصحيح »[٥] : « أحدٌ جبلٌ يحبّنا ونحبّه » .

قيل : معناه أهله . وقيل : لأنّه كان يبشّره بقرب أهله إذا رجع من سفره ، كما يفعل المُحبُّ . وقيل: على ظاهره ، كقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٧٤] .

وفي الحديث عن أبي عبس بن جبرٍ[٦] : « أحدٌ يحبّنا ونحبّه ، وهو على باب الجنة ، وعِيرٌ[٧] يبغضُنا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩) .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٢٨١٥) و(٤٠٤٤) و(٤٦١٨) .

(٣) قلت : وكذا ذكرها المؤلف في كتابه « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص(١٥٧ ـ ١٥٨) فرتّب الكلام عليها فيما جرى بعد غزوة أحد ، وقد سبقه إلى ذلك ابن سيد الناس في « عيون الأثر » (٢/ ٧٣) .

(٤) وقد ذكر الفيروزابادي مثل كلام المؤلف وزاد عليه في كتابه الهام « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(١٠) .

(٥) رواه البخاري رقم (١٤٨١) ومسلم رقم (١٣٦٥) .

(٦) ذكره الهيثمي في « كشف الأستار عن زوائد البزّار » رقم (١١٩٩) وفي « مجمع الزوائد » (٤/ ١٢) وقال : وفيه من لم أعرفه .

(٧) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٢٨٧ ـ ٢٨٨) .

ونبغضه ، وهو على بابٍ من أبواب النار » . قال السّهيليّ مقوّياً لهذا الحديث : وقد ثبت أنّه ، عليه الصلاة والسلام ، قال : « المرء مع من أحبّ » . وهذامن غريب صنع السهيليّ ؛ فإن هذا الحديث إنّما يراد به الناس ، ولا يسمّى الجبل امرأ .

وكانت هذه الغزوة في شوالٍ سنة ثلاثٍ . قاله الزّهريّ ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، ومالكٌ[١] .

قال ابن إسحاق : للنصف من شوالٍ .

وقال قتادة : يوم السبت الحادي عشر منه .

قال مالكٌ : وكانت الوقعة في أول النهار ، وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ الآيات وما بعدها إلى قوله : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران : ١٢١ ـ ١٧٩] .

وقد تكلّمنا على تفاصيل ذلك في كتابنا » بما فيه كفايةٌ . ولله الحمد والمنة .

ولنذكر هاهنا ملخّص الوقعة ممّا ساقه محمد بن إسحاق ، وغيره من علماء هذا الشأن .

قال ابن إسحاق رحمه الله : وكان من حديث أحدٍ ، كما حدّثني محمد بن مسلمٍ الزهريّ ، ومحمد بن يحيى بن حبّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ ، وغيرهم من علمائنا ، كلّهم قد حدّث ببعض هذا الحديث عن يوم أحدٍ ، وقد اجتمع حديثهم كُلُّه فيما سقت ، قالوا ـ أو من قال منهم ـ : لمّا أصيب يوم بدرٍ من كفّار قريشٍ أصحابُ القليب ، ورجع فُلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حربٍ بعِيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهلٍ ، وصفوان بن أُمية ، في رجالٍ من قريشٍ ممّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدرٍ ، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العِير من قريشٍ تجارةٌ ، فقالوا : يا معشر قريشٍ ، إن محمداً قد وتَرَكم وقتل خياركم ؛ فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعلنا ندرك منه ثأرنا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق[٢] : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

---

(١) وأكده ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠١) .

قالوا : فأجمعت قريشٌ لحرب رسول الله ﷺ ، حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العِير ، بأحابيشها[١] ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وكان أبو عزّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ قد منّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ، وكان فقيراً ذا عيالٍ وحاجةٍ ، وكان في الأسارى ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزّة ، إنّك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعنّا بلسانك واخرج معنا . فقال : إن محمداً قد منّ عليّ ، فلا أريد أن أُظاهر عليه . قال : بلى ، فأعنّا بنفسك ، فلك الله إن رجعت أن أُعينك ، وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسرٍ ويسرٍ . فخرج أبو عزّة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويقول : [من الرجز]

أيا بني عبد مناة الرُّزّامْ ... أنتم حماةٌ وأبوكمُ حامْ
لا يعدوني نصركم بعد العامْ ... لا تسلموني لا يحلّ إسلامْ

قال : وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة يحرّضهم ويقول : [من الرجز]

يا مال مال الحسب المقدَّمِ ... أنشد ذا القربى وذا التّذمّمِ
من كان ذا رحمٍ ومن لم يرحمِ ... الحِلْفَ وسْط البلد المحرّمِ
عند حطيم الكعبة المعظّمِ

قال : ودعا جبير بن مطعمٍ غلاماً حبشيّاً ، يقال له : وحشيٌّ . يقذف بحربةٍ له قذف الحبشة ، قلّما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعيمة بن عديٍّ ، فأنت عتيقٌ . فخرجت قريشٌ بحدّها وحديدها وجدّها وأحابيشها ، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظّعن ؛ التماس الحفيظة وأن لا يفرّوا ، وخرج أبو سفيان صخر بن حربٍ ، وهو قائد الناس ، ومعه زوجته هند بنت عتبة بن ربيعة ، وخرج عكرمة بن أبي جهلٍ بزوجته ابنة عمّه أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج عمّه الحارث بن هشامٍ بزوجته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عميرٍ الثّقفيّة ، وخرج عمرو بن العاص بريْطة بنت منبّه بن الحجّاج ، وهي أمّ ابنه عبد الله بن عمرٍو . وذكر غيرهم ممّن خرج بامرأته ، قال : وكان وحشيٌّ كلما مرّ بهند بنت عتبة ، أو مرّت به ، تقول : ويهاً أبا دسمة ، اشف واشتف ـ يعني تُحرّضه على قتل حمزة بن عبد المطلب ـ فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبلٍ ببطن السّبخة من قناةٍ على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال لهم : « إنّي قد رأيت والله خيراً ، رأيت بقراً تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثَلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينةٍ ، فأوّلتها المدينة » . وهذا الحديث رواه البخاريّ ومسلمٌ[٢] جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أُسامة ، عن بريد بن عبد الله بن أبي

---

(١) انظر التعريف بهم في حاشية « زاد المعاد » (٣/ ١٧٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٦٢٢) ومسلم رقم (٢٢٧٢) .

بـردة ، عن أبي بـردة ، عن أبي موسى الأشعريّ ، عن النبيّ ﷺ قال : « رأيت في المنام أنّي أهاجر من مكة إلى أرضٍ بهـا نخلٌ ، فذهب وهَلي إلى أنّها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة يثرب ، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحدٍ ، ثم هززته أخرى ، فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضاً بقراً ، والله خيرٌ ، فإذا هم النّفر من المؤمنين يوم أحدٍ ، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصّدق الذي آتانا الله[١] بعد يوم بدرٍ » .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا الأصمّ ، أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباسٍ ، قال : تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقَار يوم بدرٍ . قال ابن عباسٍ : وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحدٍ ؛ وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا جاءه المشركون يوم أحدٍ ، كان رأيه أن يقيم بالمدينة ، فيقاتلهم فيها ، فقال له ناسٌ لم يكونوا شهدوا بدراً : تخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحدٍ . ورجَوا أن يصيبهم من الفضيلة ما أصاب أهل بدرٍ ، فما زالوا برسول الله ﷺ حتى لبس أداته ، ثم ندموا وقالوا : يا رسول الله ، أقم ، فالرّأي رأيك . فقال لهم : « ما ينبغي لنبيٍّ أن يضع أداته بعدما لبسها ، حتى يحكم الله بينه وبين عدوّه » . قال : وكان قال لهم يومئذٍ قبل أن يلبس الأداة : « إنّي رأيت أنّي في درعٍ حصينةٍ ، فأوّلتها المدينة ، وأنّي مردفٌ كبشاً ، فأوّلته كبش الكتيبة ، ورأيت أنّ سيفي ذا الفقَار فُلّ ، فأوّلته فَلًّا فيكم ، ورأيت بقراً تذبح ، فبقرٌ ، والله خيرٌ » . ورواه التّرمذيّ وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن أبي الزّناد ، عن أبيه به[٣] .

وروى البيهقيّ[٤] من طريق حمّاد بن سلمة ، عن عليٍّ بن زيدٍ ، عن أنسٍ مرفوعاً ، قال : « رأيت فيما يرى النائمُ كأنّي مردفٌ كبشاً ، وكأن ظبة سيفي انكسرت ، فأوّلت أنّي أقتل كبش القوم ، وأوّلت كسر ظبة سيفي قتل رجلٍ من عترتي » . فقتل حمزة ، وقتل رسول الله ﷺ طلحة ، وكان صاحب اللّواء .

وقال موسى بن عقبة : ورجعت قريشٌ فاستجلبوا من أطاعهم من مشركي العرب ، وسار أبو سفيان بن حربٍ في جمع قريشٍ ، وذلك في شوالٍ من السنة المقبلة من وقعة بدرٍ ، حتى نزلوا ببطن

---

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (ط) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠٤) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٦١) وابن ماجه رقم (٢٨٠٨) ، وهو حديث حسن ، في سنده ابن أبي الزناد ، قال الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٢/ ٥٧٦) وقد مشاه جماعة وعدَّلوه ، وهو إن شاء الله حسن الحال في الرواية .

(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، والصحيح أن الذي قتل طلحة ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الوادي الذي قِبَل أُحدٍ ، وكان رجالٌ من المسلمين لم يشهدوا بدراً ، ندموا على ما فاتهم من السابقة ، وتَمَنَّوا لقاء العدوّ ؛ ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدرٍ ، فلمّا نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أُحدٍ ، فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدراً بقدوم العدوّ عليهم ، وقالوا : قد ساق الله علينا أمنيّتنا . ثم إنّ رسول الله ﷺ أُري ليلة الجمعة رؤيا ، فأصبح ، فجاءه نفرٌ من أصحابه فقال لهم : « رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح ، والله خيرٌ ، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبيه ـ أو قال : « به فلولٌ » ـ فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت أنّي في درعٍ حصينةٍ ، وأنّي مردفٌ كبشاً » فلمّا أخبرهم رسول الله ﷺ برؤياه ، قالوا : يا رسول الله ، ماذا أوّلتَ رؤياك ؟ قال : « أَوّلْتُ البقر الذي رأيت نفراً فينا وفي القوم ، وكرهت ما رأيت بسيفي » . ويقول رجالٌ : كان الذي رأى بسيفه ، الذي أصاب وجهه ؛ فإن العدوّ أصاب وجهه يومئذٍ ، وقصموا رباعيته وخرقوا شفته ، يزعمون أنّ الذي رماه عتبة بن أبي وقّاص ، وكان البقر مَن قتل من المسلمين يومئذٍ . وقال : « أوّلت الكبش أنّه كبش كتيبة العدوّ يقتله الله ، وأوّلت الدّرع الحصينة المدينة ، فامكثوا واجعلوا الذّراريّ في الآطام ، فإن دخل علينا القوم في الأزقّة ، قاتلناهم ورُموا من فوق البيوت » . وكانوا قد سكّوا أزقّة المدينة بالبنيان حتى كانت كالحصن . فقال الذين لم يشهدوا بدراً : كنّا نتمنّى هذا اليوم وندعو الله ، فقد ساقه الله إلينا وقرّب المسير . وقال رجالٌ من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شِعبنا ؟ وقال رجالٌ : ماذا نمنع إذا لم نمنع الحرث يزرع ؟ وقال رجالٌ قولاً صدقوا به ومضوا عليه ، منهم حمزة بن عبد المطلب ، قال : والذي أنزل عليك الكتاب لنجالدنّهم . وقال نعمان بن مالك بن ثعلبة ، وهو أحد بني سالمٍ : يا نبيّ الله ، لا تحرمنا الجنّة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنّها . فقال له رسول الله ﷺ : « بم ؟ » . قال : لأنّي أحبّ الله ورسوله ، ولا أفرّ يوم الزّحف . فقال له رسول الله ﷺ : « صدقت » . واستُشهد يومئذٍ . وأبى كثير من الناس إلّا الخروج إلى العدوّ ، ولم يتناهوا إلى قول رسول الله ﷺ ورأيه ، ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ، ولكن غلب القضاء والقدر ، وعامّة من أشار عليه بالخروج رجالٌ لم يشهدوا بدراً ، قد علموا الذي سبق لأصحاب بدرٍ من الفضيلة ، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الجمعة ، وعظ الناس وذكّرهم وأمرهم بالجدّ والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، فدعا بلأمته فلبسها ، ثم أذّن في الناس بالخروج ، فلمّا رأى ذلك رجالٌ من ذوي الرأي ، قالوا : أمرنا رسول الله ﷺ أن نمكث بالمدينة ، وهو أعلم بالله وما يريد ، ويأتيه الوحي من السماء ، فقالوا : يا رسول الله ، امكث كما أمرتنا . فقال : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا أخذ لأمة الحرب وأذّن بالخروج إلى العدوّ ، أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلّا الخروج ، فعليكم بتقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدوّ ، وانظروا ما آمركم به فافعلوه » . قال : فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، فسلكوا على البدائع ، وهم ألف رجلٍ ، والمشركون ثلاثة آلافٍ ، فمضى رسول الله ﷺ حتى نزل بأحدٍ ، ورجع عنه عبد الله بن أُبيّ بن سلول في ثلاثمئةٍ ، فبقي رسول الله ﷺ، في سبعمئةٍ .

قال البيهقيّ[١] : هذا هو المشهور عند أهل المغازي ؛ أنّهم بقوا في سبعمئة مقاتلٍ . قال : والمشهور عن الزّهريّ أنّهم بقوا في أربعمئة مقاتلٍ ، كذلك رواه يعقوب بن سفيان[٢] ، عن أصبغ ، عن ابن وهبٍ ، عن يونس ، عن الزّهريّ . وقيل عنه بهذا الإسناد : سبعمئةٍ ، فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ، وكان معهم مئة فرسٍ ، وكان لواؤه مع طلحة بن عثمان . قال : ولم يكن مع المسلمين فرسٌ واحدةٌ . ثم ذكر الوقعة كما سيأتي تفصيلها ، إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : لمّا قصّ رسول الله ﷺ رؤياه على أصحابه قال لهم : « إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدَعوهـم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقامٍ ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها » . وكان رأي عبد الله بن أُبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ في أن لا يخرج إليهم ، فقال رجالٌ من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحدٍ وغيره ممّن كان فاته بدرٌ : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنّا جبُنّا عنهم وضعفنا . فقال عبد الله بن أُبيٍّ : يا رسول الله ، لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ قطُّ إلّا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلّا أصبنا منه . فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأْمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من بني النجّار يقال له : مالك بن عمروٍ . فصلّى عليه ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلمّا خرج عليهم قالوا : يا رسول الله ، إن شئت فاقعد . فقال : « ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » . فخرج رسول الله ﷺ في ألفٍ من أصحابه .

قال ابن هشامٍ[٤] : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : حتى إذا كان بالشّوط بين المدينة وأُحدٍ ، انخزل عنه عبد الله بن أُبيٍّ بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، وما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيّها الناس ؟! فرجع بمن اتّبعه من قومه من أهل النِّفَاق والرّيب ، واتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرامٍ السّلميّ ، والد جابر بن عبد الله ، فقال : يا قوم ، أذكّركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيّكم عند ما حضر من عدوّهم . قالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنّه يكون قتالٌ . فلمّا استعصوا عليه وأبوا إلّا الانصراف ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيّه .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٢٠) .
(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٨٢) للفسوي .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) والعبارة فيه : « واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) .

قلت : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٧] يعني ، أنّهم كاذبون في قولهم : لو نعلم قتالاً لاتّبعناكم . وذلك لأنّ وقوع القتال أمره ظاهرٌ بيّنٌ واضحٌ ، لا خفاء به ولا شكّ فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ الآية [النساء : ٨٨] . وذلك أن طائفةً قالت : نقاتلهم . وقال آخرون : لا نقاتلهم . كما ثبت وبُيّن في « الصحيح »[(١)] .

وذكر الزّهريّ أن الأنصار استأذنوا حينئذٍ رسول الله ﷺ في الاستعانة بحلفائهم من يهود المدينة ، فقال : « لا حاجة لنا فيهم » .

وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّ بني سلمة وبني حارثة ، لما رجع عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه ، همّتا أن تفشلا ، فثبّتهما الله تعالى . ولهذا قال : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

قال جابر بن عبد الله : ما أُحبّ أنها لم تنزل ، والله يقول : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ . كما هو ثابتٌ في « الصحيحين » عنه[(٢)] .

قال ابن إسحاق[(٣)] : ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرسٌ بذَنبه ، فأصاب كلاّب سيفٍ فاستلّه فقال رسول الله ﷺ لصاحب السيف : « شِم سيفك ـ أي أغمده ـ فإنّي أرى السيوف ستُسلّ اليوم » . ثم قال النبيّ ﷺ لأصحابه : « مَن رجلٌ يخرج بنا على القوم من كثَبٍ ـ أي من قربٍ ـ من طريقٍ لا يمرّ بنا عليهم ؟ » . فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سلك به في مالٍ لمربع بن قيظيٍّ ، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حسّ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله ، فإنّي لا أحلّ لك أن تدخل في حائطي .

قال ابن إسحاق[(٤)] : وقد ذُكر لي أنّه أخذ حفنةً من ترابٍ في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنّي لا أصيب بها غيرك يا محمد ، لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » . وقد بدر إليه سعد بن زيدٍ أخو بني عبد الأشهل ، قبل نهي رسول الله ﷺ ، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشّعب من

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٥٨٩) و« صحيح مسلم » رقم (٢٧٧٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٥١) ومسلم (٢٥٠٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٥) .

أُحدٍ ، في عُدْوة الوادي إلى الجبل ، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحدٍ ، وقال : « لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال » . وقد سرّحت قريشٌ الظّهر والكراع في زروعٍ كانت بالصّمغة من قناة للمسلمين ، فقال رجلٌ من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال ، أتُرعى زروعُ بني قيلة ولما نضارب ؟! وتعبَّأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمئة رجلٍ ، وأمّر على الرّماة يومئذٍ عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو معلَّم يومئذ بثيابٍ بيضٍ ، والرّماة خمسون رجلاً ، فقال : « انضح الخيل عنا بالنّبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتينّ من قِبلك » وسيأتي شاهد هذا في « الصحيحين » إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق[١] : وظاهرَ رسول الله ﷺ بين درعين ـ يعني لبس درعاً فوق درعٍ ـ ودفع اللّواء إلى مصعب بن عميرٍ ، أخي بني عبد الدار .

قلت : وقد ردّ رسول الله ﷺ جماعةً من الغلمان يوم أحدٍ ، فلم يمكّنهم من حضور الحرب لصغرهم ؛ منهم عبد الله بن عمر ، كما ثبت عنه في « الصحيحين » قال : عُرضتُ على النبيّ ﷺ يوم أحدٍ فلم يجزني ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني . وكذلك ردّ يومئذٍ أسامة بن زيدٍ ، وزيد بن ثابتٍ ، والبراء بن عازبٍ ، وأسيد بن ظهيرٍ ، وعَرابة بن أوس بن قيظيٍّ ، ذكره ابن قتيبة في « المعارف »[٢] وأورده السّهيليّ[٣] . قال : وهو الذي يقول فيه الشّمّاخ[٤] : [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ ... تلقّاها عَرابة باليمين

ومنهم سعد ابن حبتة ، ذكره السّهيليّ أيضاً ، وأجازهم كلّهم يوم الخندق ، وكان قد ردّ يومئذٍ سمرة بن جندبٍ ورافع بن خديج ، وهما ابنا خمس عشرة سنةً ، فقيل : يا رسول الله ، إنّ رافعاً رامٍ . فأجازه . فقيل : يا رسول الله ، فإنّ سمرة يصرع رافعاً . فأجازه .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[٥] : وتعبّأتْ قريشٌ ، وهم ثلاثة آلافٍ ، ومعهم مئتا فرسٍ قد جنّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل بن هشامٍ . وقال رسول الله ﷺ : « من يأخذ هذا السيف بحقّه ؟ » . فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة فقال : وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب به في العدوّ حتى ينحني » . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقّه . فأعطاه إياه . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٦٦) .
(٢) انظر « المعارف » ص(٣٣٠) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٥/ ٤٥٣) .
(٤) البيت في « ديوان الشمّاخ » ص(٣٣٦) طبع دار المعارف بمصر .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٦) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدّثنا يزيد وعفان قالا : حدّثنا حمّادٌ ، هو ابن سلمة ، أخبرنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أنّ رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحدٍ فقال : « من يأخذ هذا السيف ؟ » . فأخذه قومٌ فجعلوا ينظرون إليه ، فقال : « من يأخذه بحقّه ؟ » . فأحجم القوم ، فقال أبو دجانة سماكٌ : أنا آخذه بحقّه . فأخذه ففلق به هام المشركين .

ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبي بكرٍ ، عن عفّان به .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان أبو دجانة رجلًا شجاعاً يختال عند الحرب ، وكان له عصابةٌ حمراء يعلم بها عند الحرب ، يعتصب بها فيعلم الناس أنه سيقاتل . قال : فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ، ثم جعل يتبختر بين الصّفين .

قال : فحدّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب ، عن رجلٍ من الأنصار من بني سلمة قال : قال رسول الله ﷺ حين رأى أبا دجانة يتبختر : « إنها لمشيةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدار يحرّضهم على القتال : يا بني عبد الدار ، قد ولّيتم لواءنا يوم بدرٍ ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قِبل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفُونا لواءنا ، وإما أن تخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه . فهمّوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلّم إليك لواءنا ! ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع . وذلك أراد أبو سفيان .

قال : فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعضٍ ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدّفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرّضن على القتال ، فقالت هند فيما تقول : [من الرجز]

ويْهاً بني عبد الدار ويْهاً حماة الأدبار
ضرباً بكلّ بتّار

وتقول أيضاً : [من مجزوء الرجز]

إن تُقبلوا نعانق ونفرش النّمارق
أو تدبروا نفارق فراقَ غيرِ وامق

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامرٍ عبد عمرو بن صيفيّ بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٧٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٧) .

وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر . وكان يعِد قريشاً أن لو قد لقي قومه ، لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامرٍ في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامرٍ . قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . وكان يسمّى في الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق(١) : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام(٢) : وحدّثني غير واحدٍ من أهل العلم ، أنّ الزّبير بن العوّام قال : وجدتُ في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة : وقلت : أنا ابن صفيّة عمّته ومن قريشٍ ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرنّ ما يصنع . فاتّبعته فأخرج عصابةً له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب ، فخرج وهو يقول : [من الرجز]

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسّفح لدى النخيلِ
أن لا أقوم الدهر في الكَيّول ... أَضربْ بسيف الله والرسولِ

وقال الأمويّ : حدّثني أبو عبيدٍ في حديث النبيّ ﷺ(٣) ؛ أن رجلاً أتاه وهو يقاتل ، فسأله سيفاً يقاتل به ، فقال : « لعلك إن أعطيتك ، تقاتل في الكَيّول ؟ » . قال : لا . فأعطاه سيفاً ، فجعل يرتجز ويقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ... أن لا أقوم الدهر في الكَيّول

وهذا حديثٌ يروى عن شعبة ، ورواه إسرائيل ، كلاهما عن أبي إسحاق ، عن هنيدة بن خالدٍ أو غيره يرفعه . الكيّول يعني مؤخّر الصفوف ، سمعته من عدّةٍ من أهل العلم ، ولم أسمع هذا الحرف إلا في هذا الحديث .

قال ابن إسحاق(٤) : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله ، وكان في المشركين رجلٌ لا يدع جريحاً إلا ذفّف عليه ، فجعل كلّ منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتّقاه بدرقته(٥) ، فعضّت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٨) .
(٣) وذكره أبو عبيد في كتابه « غريب الحديث » (٢/ ٢٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .
(٥) أي : بترسه .

على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزّبير : فقلت : الله ورسوله أعلم .

وقد رواه البيهقيّ في « الدلائل »[١] من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزّبير بن العوّام بذلك .

قال ابن إسحاق[٢] : قال أبو دجانة : رأيت إنساناً يُحمش الناس حمشاً شديداً ، فصمدت له ، فلمّا حملت عليه السيف وَلْوَلَ ، فإذا امرأةٌ ، فأكرمتُ سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأةً .

وذكر موسى بن عقبة أنّ رسول الله ﷺ لما عرضه ، طلبه منه عمر ، فأعرض عنه ، ثم طلبه منه الزّبير ، فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما من ذلك ، ثم عرضه الثالثة ، فطلبه أبو دجانة ، فدفعه إليه ، فأعطى السيف حقّه . قال : فزعموا أنّ كعب بن مالكٍ قال : كنت فيمن جرح من المسلمين ، فلمّا رأيت مَثْل المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوزت ، فإذا رجلٌ من المشركين جمع اللأْمة يحوز المسلمين ، وهو يقول : استوسقوا كما استوسقت جزر الغنم . قال : وإذا رجلٌ من المسلمين قائمٌ ينتظره وعليه لأمته ، فمضيت حتى كنت من ورائه ، ثم قمت أقدُر المسلم والكافر ببصرى ، فإذا الكافر أفضلهما عدّةً وهيئةً . قال : فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا ، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربةً بالسيف فبلغت ورِكه ، وتفرّق فرقتين ، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال : كيف ترى يا كعب ؟ أنا أبو دجانة .

مقتل حمزة ، رضي الله عنه

قال ابن إسحاق[٣] : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتَل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف [بن عبد الدار] ، وكان أحد النَّفر الذين يحملون اللواء .

وكذلك قتَل عثمانَ بنَ أبي طلحة ، وهو حامل اللواء ، وهو يقول : [من الرجز]

إن علــى أهــل اللــواء حقــا   أن يخضبوا الصّعدة أو تندقّا

فحمل عليه حمزة فقتله ، ثم مرّ به سباع بن عبد العزّى الغبشانيّ ، وكان يكنى بأبي نيارٍ ، فقال حمزة : هلمّ [إليّ] يابن مقطّعة البُظور . وكانت أمّه أمّ أنمارٍ مولاة شريق بن عمرو بن وهبٍ الثّقفيّ ، وكانت ختّانةً بمكة ، فلمـا التقيـا ضربه حمزة فقتله ، قال وحشيٌّ غلام جبيرٍ بن مطعم : والله إنّي لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يُليق شيئاً ، مثل الجمل الأورق ، إذ قد تقدّمني إليه سباعٌ ، فقال حمزة : هلمّ إليّ يا بن مقطّعة البظور . فضربه ضربةً فكأنما أخطأ رأسه ، وهزت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت في ثنّته[٤] حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب فوقع ، وأمهلته

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٣٢) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٩) .

(٤) أي : ما بين السُّرّة والعانة من أسفل البطن .

حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيره .

(وقال أبو بكر بن أبي عاصمٍ : حدّثني عبد الوهّاب بن نجدة ، حدّثنا بقيّة ، عن بحيرٍ ، عن خالد بن معدان ، عن أبي بلالٍ ، عن عبد الله بن السائب ، أنّ رسول الله ﷺ كان يوم الشّعب آخر أصحابه ، ولم يكن بينه وبين العدوّ غير حمزة يقاتل العدوّ ، فرصده وحشيٌّ فقتله ، وقد قتل الله بيد حمزة من الكُفَّار أحداً وثلاثين ، وكان يدعى أسد الله)[١] .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني عبد الله بن الفضل بن عبّاس بن ربيعة بن الحارث ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن جعفر بن عمرو بن أميّة الضّمريّ قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عديٍّ بن الخيار ، أخو[٣] بني نوفل بن عبد منافٍ ، في زمان معاوية ، فأدربنا[٤] مع الناس ، فلما مررنا بحمص ، وكان وحشيٌّ مولى جبيرٍ قد سكنها وأقام بها ، فلمّا قدمناها قال عبيد الله بن عديٍّ : هل لك في أن نأتي وحشياً ، فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجلٌ ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحياً تجدا رجلاً عربياً ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديثٍ تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه [ودعاه] . قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسةٍ له ، وإذا شيخٌ كبيرٌ مثل البغاث ، وإذا هو صاحٍ لا بأس به ، فلمّا انتهينا إليه سلّمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عديّ فقال : ابنٌ لعديّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم . قال : أما والله ما رأيتُك منذ ناولتُك أمّك السّعديّة التي أرضعتك بذي طوى ، فإنّي ناولتُكها وهي على بعيرها ، فأخذتْك بعُرضيك ، فلمعت لي قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفتَ عليّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه فقلنا : جئناك لتحدّثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنّي سأحدّثكما كما حدّثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك ؛ كنت غلاماً لجبيرٍ بن مطعمٍ ، وكان عمُّه طعيمة بن عديٍّ قد أصيب يوم بدرٍ ، فلمّا سارت قريشٌ إلى أُحدٍ قال لي جبيرٌ : إن قتلت حمزة عمّ محمدٍ بعمّي طُعَيْمَة[٥] ، فأنت عتيقٌ . قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشيّاً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلّما أخطئ بها شيئاً ، فلمّا التقى الناس خرجتُ أنظر حمزة وأتبصّره ، حتى رأيته في عرض الناس كأنّه الجمل الأورق ، يهدّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيءٌ ، فوالله إني لأتهيّأ له ، أريده وأستتر منه بشجرةٍ أو بحجرٍ ليدنو مني ، إذ تقدّمني إليه سباع بن عبد العزّى ،

---

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) وانفردت به (آ) ، والحديث إسناده ضعيف ، وفي متنه شذوذ ففيه أن حمزة قتل الله بيده واحداً وثلاثين ، وعدد من قتل في أحد لا يتجاوز بضعاً وعشرين ، وأن حمزة قتل منهم أربعة .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٠) .

(٣) في (ط) : « أحد » وهو خطأ ، وما جاء في (آ) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام .

(٤) أي : دخلنا الدَّرب .

(٥) لفظ « طُعَيْمَة » لم يرد في (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام ، وهو مما انفردت به (آ) .

فلمّا رآه حمزة قال : هلمّ إليّ يابن مقطّعة البظور . قال : فضربه ضربةً كأنما أخطأ رأسه . قال : وهززت حربتي ، حتى إذا رضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت في ثُنّته حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوءَ نحوي فغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجةٌ ، إنما قتلته لأُعتق ، فلمّا قدمت مكة عتقت ثم أقمت ، حتى [إذا] افتتح رسول الله ﷺ مكة ، هربت إلى الطّائف فكنت بها ، فلما خرج وفدُ الطّائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ، تعيّت عليّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ، فوالله إني لفي ذلك من همّي ، إذ قال لي رجلٌ : ويحك ! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وشهد شهادة الحقّ . قال : فلمّا قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بي قائماً على رأسه أشهد شهادة الحقّ ، فلما رآني قال[1] : « أوحشيٌّ ؟ » . قلت : نعم يارسول الله . قال : « اقعد فحدّثني كيف قتلت حمزة » . قال : فحدّثته كما حدّثتكما ، فلمّا فرغت من حديثي قال : « ويحك ! غيّب عني وجهك فلا أرينّك » . قال : فكنت أتنكّب رسول الله ﷺ حيث كان ؛ لئلّا يراني ، حتى قبضه الله ، عز وجلّ ، فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذّاب صاحب اليمامة ، خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة قائماً في يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيّأت له ، وتهيّأ له رجلٌ من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتي ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصاريّ بالسيف ، فربُّك أعلم أيّنا قتله ، فإن كنت قتلتُه ، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقتلت شرّ الناس .

قلت : الأنصاريّ هو أبو دجانة سماك بن خرشة ، كما سيأتي في مقتل أهل اليمامة مع مسيلمة .

وقال الواقديّ في « الرّدّة » : هو عبد الله بن زيد بن عاصمٍ المازنيّ .

وقال سيف بن عمر[2] : هو عديّ بن سهلٍ ، وهو القائل : [من المتقارب]

ألم تر أني ووحشيّهم قتلتُ مسيلمةَ المفتتَنْ
ويسألني الناس عن قتله فقلت ضربتُ وهذا طعنْ

والمشهور أنّ وحشيّاً هو الذي بدره بالضربة ، وذفّف عليه أبو دجانة ؛ لما روى ابن إسحاق[3] ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن ابن عمر ، قال : سمعت صارخاً يوم اليمامة يقول : قتله العبد الأسود .

---

(١) في (ط) : « قال لي » .
(٢) في (ط) : « سيف بن عمرو » .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .

وقد روى البخاريّ[١] قصة مقتل حمزة ، من طريق عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، عن عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسارٍ ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضّمريّ قال : خرجت مع عبيد الله بن عديٍّ بن الخيار . فذكر القصة كما تقدّم . وذكر أن عبيد الله بن عديٍّ كان معتجراً عمامةً ، لا يَرى منه وحشيٌّ إلا عينيه ورجليه ، فذكر من معرفته له ما تقدّم ، وهذه قيافةٌ عظيمةٌ ـ كما عرف مجزّزٌ المدلجيّ أقدام زيدٍ وابنه أسامة مع اختلاف ألوانهما[٢] ـ وقال في سياقته : فلمّا أن صفّ الناس للقتال ، خرج سباعٌ فقال : هل من مبارزٍ ؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال له : يا سباع ، يا بن أمّ أنمارٍ مقطّعة البظور ، أتحادُّ الله ورسوله ؟ ثم شدّ عليه ، فكان كأمس الذاهب . قال : وكمنتُ لحمزة تحت صخرةٍ ، فلما دنا مني رميته بحربتي ، فأضعها في ثنّته حتى خرجت من بين ورِكيه . قال : فكان ذلك آخر العهد به . إلى أن قال : فلما قبض رسول الله ﷺ وخرج مسيلمة الكذّاب ، قلت : لأخرج إلى مسيلمة لعلّي أقتله فأكافئ به حمزة . قال : فخرجت مع الناس ، فكان من أمره ما كان . قال : فإذا رجلٌ قائمٌ في ثلمة جدارٍ ، كأنّه جملٌ أورق ، ثائر الرأس . قال : فرميته بحربتي ، فأضعها بين ثديَيه حتى خرجت من كتفيه . قال : ووثب إليه رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته . قال عبد الله بن الفضل : فأخبرني سليمان بن يسارٍ ، أنّه سمع عبد الله بن عمر يقول : فقالت جاريةٌ على ظهر البيت : وا أميراه[٣] ، قتله العبد الأسود .

قال ابن هشامٍ[٤] : فبلغني أن وحشيّاً لم يزل يُحَدّ في الخمر حتى خُلع من الدّيوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أنّ الله لم يكن ليدع قاتل حمزة .

قلت : وتوفّي وحشيّ بن حربٍ أبو دَسْمة ـ ويقال : أبو حرب ـ بحمص ، وكان أول من لبس الثياب المدلوكة .

قال ابن إسحاق[٥] : وقاتل مصعب بن عميرٍ دون رسول الله ﷺ حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قمِئة [الليثيّ] ، وهو يظنّ أنّه رسول الله [ﷺ] ، فرجع إلى قريشٍ فقال : قتلت محمداً .

قلت : وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[٦] ، عن سعيد بن المسيّب أنّ الذي قتل مصعباً هو أُبيّ بن خلفٍ ، فالله أعلم .

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٧٢) .
(٢) وذلك فيما رواه البخاري رقم (٣٥٥٥) و(٣٧٣١) و(٦٧٧٠) و(٦٧٧١) ومسلم رقم (١٤٥٩) .
(٣) كذا في (آ) : « وا أميراه » وفي (ط) : « وا أمير المؤمناه » وفي « صحيح البخاري » : « وا أمير المؤمنين » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٦) وذكره البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢١١) .

قال ابن إسحاق[١] : فلمّا قُتل مصعب بن عميرٍ ، أعطى رسول الله ﷺ اللّواء عليّ بن أبي طالبٍ .

وقال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : كان اللواء أولاً مع عليّ بن أبي طالبٍ ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ لواء المشركين مع بني عبد الدار قال : « نحن أحقّ بالوفاء منهم » أخذ اللواء من عليٍّ فدفعه إلى مصعب بن عميرٍ ، فلما قُتل مصعبٌ أعطى اللواء عليَّ بن أبي طالبٍ .

قال ابن إسحاق[٢] : وقاتَل عليّ بن أبي طالبٍ ورجالٌ من المسلمين .

قال ابن هشام[٣] : وحدّثني مسلمة بن علقمة المازنيّ قال : لمّا اشتد القتال يوم أُحدٍ ، جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى عليٍّ أن قدّم الرَّاية ، فتقدّم عليٌّ وهو يقول : أنا أبو القصم . فناداه أبو سعد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين ، أن هل لك يا أبا القُصَم في البِراز من حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبرزا بين الصفّين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه عليٌّ فصرعه ، ثم انصرف ولم يُجْهِز عليه ، فقال له بعض أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتْني عليه الرّحمُ ، وعرفت أنّ الله قد قتله .

[وقد فعل ذلك عليٌّ ، رضي الله عنه ، يوم صفّين مع بُسر بن أبي أرطاة ، لما حمل عليه ليقتله ، أبدى له عن عورته فرجع عنه ، وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه عليٌّ في بعض أيام صفّين ، أبدى عن عورته فرجع عليٌّ أيضاً .

ففي ذلك يقول الحارث بن النّضر : [من الطويل]

أفي كلّ يومٍ فارسٌ غير منتهٍ ... وعورتُه وسْط العجاجة باديه
يكُفّ لها عنه عليٌّ سِنانه ... ويضحك منها في الخَلاء معاويهْ

وذكر يونس ، عن ابن إسحاق[٤] ، أن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ حامل لواء المشركين يومئذٍ دعا إلى البِراز ، فأحجم الناس عنه ، فبرز إليه الزبير بن العوّام ، فوثب حتى صار معه على جمله ، ثم اقتحم به الأرض ، فألقاه عنه وذبحه بسيفه ، فأثنى عليه رسول الله ﷺ قال : « إنّ لكلّ نبيٍّ حوارياً ، وحواريّ الزبير »[٥] . وقال : « لو لم يبرز إليه ؛ لما رأيت من إحجام الناس عنه » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٣) .
(٤) وأورده البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٢٧) عن يونس به ، إلا أنه لم يسم الرجل الذي دعا للبراز .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧١٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو عند الترمذي رقم (٣٧٤٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانظر « جامع الأصول » لابن الأثير (٩/ ٥ ـ ٦) بتحقيق والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى وأدام النفع به .

وقال ابن إسحاق[١] : قتل أبا سعد بن أبي طلحة سعدُ بن أبي وقاصٍ ، وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، فقتَل مسافع بن طلحة بن أبي طلحة وأخاه الجُلاس ، كلاهما يشعره سهماً ، فيأتي أمّه سلافة ، فيضع رأسه في حِجرها ، فتقول : يا بنيّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلاً حين رماني وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأقلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصمٍ ، أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصمٌ قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً ، ولا يمسّه . ولهذا حماه الله منهم يوم الرّجيع ، كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٢] : والتقى حنظلة بن أبي عامر ـ واسمه عمرٌو ، ويقال : عبد عمرو بن صيفيّ . وكان يقال لأبي عامرٍ في الجاهلية : الراهب . لكثرة عبادته ، فسماه رسول الله ﷺ : الفاسق ؛ لمّا خالف الحقّ وأهله ، وخرج من المدينة هرباً من الإسلام ، ومخالفةً للرسول ، عليه السلام ، وحنظلة الذي يُعْرَفُ بحنظلة الغسيل ؛ لأنّه غسّلته الملائكة ، كما سيأتي ـ هو وأبو سفيان صخر بن حربٍ ، فلمّا علاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود ، وهو الذي يقال له : ابن شَعوب . فضربه شدّادٌ فقتله ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ صاحبكم لتغسّله الملائكة ، فاسألوا أهله ما شأنه » . فسُئلت صاحبته ـ قال الواقديّ : هي جميلة بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وكانت عروساً عليه تلك الليلة ـ فقالت : خرج وهو جنبٌ حين سمع الهاتفة . فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسّلته الملائكة » .

وقد ذكر موسى بن عقبة أنّ أباه ضرب برجله في صدره وقال : ذنبان أصبتهما ، ولقد نهيتك عن مصرعك هذا ، ولقد والله كنت وصولاً للرّحم ، برّاً بالوالد .

قال ابن إسحاق[٣] : وقال شدّاد بن الأسود في قتله حنظلة : [من الرجز]

لأحمينّ صاحبي ونفسي … بطعنةٍ مثلِ شُعاع الشمسِ

وقال ابن شَعوب : [من الطويل]

ولولا دفاعي يا بن حربٍ ومشهدي … لأُلفيتُ يوم النّعف غير مجيبِ
ولولا مَكرّي المهرَ بالنّعف قرقرت … عليه ضِباعٌ أو ضِراءُ كَليب

وقال أبو سفيان : [من الطويل]

ولو شئتُ نجّتني كميتٌ طِمرّةٌ … ولم أحملِ النّعماءَ لابن شَعوب
ومازال مُهري مزجر الكلب منهمُ … لدُنْ غدوةٍ حتى دنت لِغُروب
أقاتلهم وأدّعي يا لغالبٍ … وأدفعهم عني بركن صليبِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٥) .

فبكّي ولا ترعي مقالة عاذلٍ ... ولا تسأمي مِن عَبرةٍ ونحيبِ
أباك وإخواناً له قد تتابعوا ... وحقّ لهم من عيرةٍ بنصيب
وسلّى الذي قد كان في النّفس أنّني ... قتلت من النّجّار كلّ نجيب
ومِن هاشمٍ قَرماً كريماً ومُصعباً ... وكان لدى الهيجاء غيرَ هَيوب
فلو أنني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجىً في القلب ذاتَ نُدوب
فآبوا وقد أودى الجلابيبُ منهمُ ... بهم خدَبٌ من مُعبطٍ[1] وكئيب
أصابهمُ مَن لم يكن لدمائهم ... كِفاءً ولا في خَطّةٍ بضريب

فأجابه حسان بن ثابتٍ[2] :

ذكرتَ القُروم الصِّيد من آل هاشمٍ ... ولستَ لزُورٍ قلتَه بمصيبِ
أتعجبُ أن أقصدتَ حمزةَ منهمُ ... نجيباً وقد سمّيتَه بنجيبِ
ألم يقتلوا عَمراً وعتبةَ وابنَه ... وشيبةَ والحجّاجَ وابنَ حبيبِ
غداةَ دعا العاصي عليّا فراعه ... بضربة عضبٍ بلّه بخضيبِ

فصل

قال ابن إسحاق[3] : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده فحسّوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لا شكّ فيها .

وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه [عبّاد] ، عن عبد الله بن الزّبير ، عن الزبير قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها ؛ مشمّراتٍ هوارب ، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثيرٌ ، إذ مالت الرُّمَاة على العسكر حين كشفنا القوم عنه ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخٌ : ألا إنّ محمداً قد قتل . فانكفأنا وانكفأ القوم علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ، حتى ما يدنو منه أحدٌ منهم . قال : فحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثيّة ، فرفعته لقريشٍ ، فلاثوا به ، وكان اللواء مع صؤابٍ ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشيٌّ ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول :

اللهمّ هل أعزرتُ ؟ يعني اللهمّ هل أعذرتُ ؟ .

---

(١) في « السيرة النبوية » : « معطب » .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٤٤٦) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٧) .

فقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[١] :

فخرتم باللّواء وشرُّ فخرٍ لواءٌ حين ردّ إلى صُؤابِ
جعلتم فخركم فيه لعبدٍ وألأمِ مَن يطا عفر التّرابِ
ظننتم والسّفيه له ظنونٌ وما إن ذاك من أمر الصّوابِ
بأنّ جِلادنا يوم التقينا بمكة بيعكم حمر العيابِ
أقرّ العين أن عصبت يداه وما إن تعصبان على خضابِ

وقال حسان بن ثابت [أيضاً] في رفع عمرة بنت علقمة اللواء لهم[٢] :

إذا عضلٌ سيقت إلينا كأنّها جَداية[٣] شِركٍ[٤] معلَمات الحواجبِ
أقمنا لهم طعناً مبيراً منكّلاً وحزناهمُ بالضرب من كلّ جانبِ
فلولا لواء الحارثيّة أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائبِ

قال ابن إسحاق : فانكشف المسلمون ، وأصاب منهم العدوّ ، وكان يوم بلاءٍ وتمحيصٍ ، أكرم الله فيه من أكرم بالشّهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسول الله ﷺ ، فدثّ بالحجارة حتى وقع لشقّه ، فأصيبت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقّاصٍ .

فحدّثني حميدٌ الطّويل[٥] ، عن أنس بن مالكٍ قال : كسرت رباعِية النبيّ ﷺ يوم أحدٍ ، وشجّ في وجهه ، وجعل الدّم يسيل في وجهه ، فجعل يمسح الدّم ويقول : « كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى الله » ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

قال ابن جريرٍ في « تاريخه »[٦] : حدّثنا محمد بن الحسين ، حدّثنا أحمد بن المفضّل[٧] ، حدّثنا أسباطٌ ، عن السُّدّيِّ قال : أتى ابن قمئة الحارثيّ ، فرمى رسول الله ﷺ بحجرٍ ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجّه في وجهه فأثقله ، وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق طائفةٌ فوق الجبل إلى الصّخرة ، وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس : « إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله » . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحدٌ إلّا طلحة وسهل بن حنيفٍ ، فحماه طلحة ، فرمي بسهمٍ في يده فيبست يده ، وأقبل أُبيّ بن خلفٍ الجمحيّ ، وقد حلف ليقتلنّ النبيّ ﷺ فقال : « بل أنا أقتله » .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٦٧) و« السيرة النبوية » (٢/ ٧٨) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٢٧) و« السيرة النبوية » (٢/ ٧٩) .
(٣) الجداية : الغزال الصغير .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٩) .
(٥) سيأتي الحديث بعد صفحات من هذا الجزء ص١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٦) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥١٩) .
(٧) في (ط) : « أحمد بن الفضل » ، محرف .

فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ . فحمل عليه ، فطعنه النبيّ ﷺ في جيب الدّرع ، فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خُوار الثّور ، فاحتَمَلوه وقالوا : ليس بك جراحةٌ ، فما يجزعك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنّك » ؟ لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم . فلم يلبث إلّا يوماً أو بعض يومٍ حتى مات من ذلك الجرح ، وفشا في الناس أنّ رسول الله ﷺ قد قُتل ، فقال : بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبيّ ، فيأخذ لنا أمنةً من أبي سفيان ، يا قوم ، إنّ محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلُوكم . فقال أنس بن النضر : يا قوم ، إن كان محمدٌ قد قتل ، فإن ربّ محمدٍ لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ ﷺ ، اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء . ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل ، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ، فلمّا رأوه وضع رجلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن[1] يَرْميه ، فقال : « أنا رسول الله » . ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله ﷺ ، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى [أنّ] في أصحابه من يمتنع [به] ، فلمّا اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ، ذهب عنهم الحزْن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزّ وجلّ ، في الذين قالوا : إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٤٤][2] فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه ، وهمّهم أبو سفيان ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يعلونا ، اللهمّ إن تقتل هذه العصابة ، لا تعبد في الأرض » . ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذٍ : اعل هبل ، حنظلة بحنظلة ، ويوم أحدٍ بيوم بدر . وذكر تمام القصّة . وهذا غريبٌ جداً ، وفي بعضه نكارةٌ ، والله أعلم[3] .

قال ابن هشامٍ[4] : وزعم ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيدٍ [عن أبيه ، عن أبي سعيدٍ] أنّ عتبة بن أبي وقّاصٍ رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السّفلى ، وجرح شفته السّفلى ، وأنّ عبد الله بن شهابٍ الزّهريّ شجّه في جبهته[5] ، وأنّ [عبد الله] بن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلْقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله ﷺ في حفرةٍ من الحفر التي عمل أبو عامرٍ ؛ ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ عليّ بن أبي طالبٍ بيده ﷺ ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً ، ومصّ مالك بن سنانٍ ، أبو أبي سعيدٍ ، الدّم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده[6] ، فقال : « من مسّ دمه دمي لم تصبه النّار » .

---

(١) قوله : « فأراد أن » لم يرد في (ط) .
(٢) أورد ناسخ (ط) الآية إلى قوله تعالى : ﴿ ... مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ وأتممها ناسخ (آ) .
(٣) في (ط) : « وفيه نكارة » فقط .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٠) .
(٥) في (آ) : « في وجهه » وما جاء في (ط) موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام مصدر المؤلف .
(٦) أي : ابتلعه .

قلت: وذكر قتادة أن رسول الله ﷺ لمّا وقع لشقّه أُغمي عليه، فمرّ به سالمٌ مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح الدم عن وجهه، فأفاق وهو يقول: «كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى الله»؟ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية. رواه ابن جريرٍ، وهو مرسلٌ، وسيأتي بسط هذا في فصل وحده.

قلت: كان أول النهار للمسلمين على الكُفَّار[١]، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٢ـ١٥٣].

قال الإمام أحمد[٢]: ثنا سليمان بن داود، أنا عبد الرحمن بن أبي الزّناد، عن أبيه، عن عبيد الله، عن ابن عباسٍ أنّه قال: ما نصر الله في موطنٍ كما نصر يوم أحدٍ. قال: فأنكرنا ذلك، فقال: بيني وبين من أنكر [ذلك] كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحدٍ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ يقول ابن عباسٍ: والحسّ القتل. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ [وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ] وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإنما عنى بهذا الرّماة، وذلك أنّ النبيّ ﷺ أقامهم في موضعٍ، ثم قال: «احموا ظهورنا[٣]، فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا نغنم فلا تَشركونا». فلمّا غنم النبيّ ﷺ وأباحوا عسكر المشركين، أكبّ الرّماة جميعاً، فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فهم هكذا ـ [وشبّك] بين [أصابع] يديه ـ والتبسوا[٤]، فلمّا أخلّ الرّماة تلك الخَلَّة[٥] التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبيّ ﷺ، فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا، وقتل من المسلمين ناسٌ كثيرٌ[٦]، وقد كان لرسول الله ﷺ

---

(١) انظر «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (٣/ ١٧٦) بتحقيق والدي الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وزميله الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٧).

(٣) في (آ): «احمو ظهرنا» وأثبت لفظ (ط)، وهو الموافق لما في «المسند».

(٤) في (آ): «وانتشبوا» وأثبت لفظ (ط).

(٥) أي: ولما ترك الرُّماة مركزهم. جاء في «مختار الصحاح» (خلل): «أخلَّ الرجل بمركزه تركه».

(٦) وقال الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» (٣/ ١٧٦) بتحقيق الشيخين الفاضلين شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت: «وكان الدولة أول النهار للمسلمين على الكُفَّار، فانهزم عدوّ الله، وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرُّماة هزيمتهم، تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم الغنيمة، فذكّرهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ، فلم يسمعوا، وظنّوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلّوا بالثغر، وكرَّ فرسان المشركين، فوجدوا الثغر خالياً، قد خلا من الرُّماة، فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون».

وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعةٌ أو تسعةٌ ، وجال المسلمون جولةً نحو الجبل ، ولم يبلغوا ـ حيث يقول الناس ـ الغار ، إنما كانوا تحت المهراس[١] ، وصاح الشيطان : قتل محمدٌ . فلم يشكّ فيه أنّه حقٌّ ، فما زلنا كذلك ما نشكّ أنّه حقٌّ ، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السّعدين ، نعرفه بتكفّئه إذا مشى . قال : ففرحنا كأنّه لم يصبنا ما أصابنا . قال : فرقي نحونا وهو يقول : « اشتدّ غضب [الله] على قومٍ دمّوا وجه رسول الله » . ويقول مرّةً أخرى : « اللهمّ [إنّه] ليس لهم أن يعلونا » . حتى انتهى إلينا فمكث ساعةً ، فإذا أبو سفيان يَصيح في أسفل الجبل : [اعْلُ هُبَلْ] مرّتين ، يعني آلهته أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر بن الخطاب : ألا أُجيبه ؟ قال : « بلى » . قال : فلمّا قال : اعل هبل . قال : الله أعلى وأَجَلُّ . [فقال أبو سفيان : يا بن الخطّاب ، قد أنعمت عينُها فعاد عنها . أو : فعال عنها . فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله ﷺ ، وهذا أبو بكرٍ ، وها أنا ذا عمر . قال :] فقال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والأيام دول ، وإنّ الحرب سجال . قال : فقال عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . قال : إنّكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذن وخسرنا .

ثم قال أبو سفيان : [أما] إنكم [سوف] تجدون في قتلاكم مُثْلَةً ، ولم يكن ذلك عن رأي سراتنا . قال : ثم أدركته حميّة الجاهليّة فقال : أما إنّه إن كان ذلك لم نكرهه . وقد رواه ابن أبي حاتمٍ ، والحاكم في « مستدركه » والبيهقيّ في « الدلائل »[٢] من حديث سليمان بن داود الهاشميّ به . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وهو من مرسلات ابن عباسٍ ، وله شواهد من وجوهٍ كثيرةٍ ، سنذكر منها ما تيسّر ، إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التّكلان ، [وهو المستعان] .

قال البخاريّ[٣] : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لقينا المشركين يومئذٍ وأجلس النبيّ ﷺ جيشاً من الرّماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جبيرٍ ، وقال : « لا تبرحوا ؛ إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا [فلا] تعينونا » . فلما لقيناهم[٤] هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهنّ ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة . فقال عبد الله : عهد [إليّ] النبيّ ﷺ : أن لا تبرحوا . فأبوا ، فلمّا أبوا صرفت وجوههم ، فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقال : أفي القوم محمدٌ ؟ فقال : « لا تجيبوه » .

---

(١) المهراس : ماء بجبل أحد . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص(٣٩٦) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « التفسير » (١٦٤٤) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٢٩٦) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٦٩) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٤٣) .

(٤) في (ط) : « فلما لقينا » .

فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال : « لا تجيبوه » . فقال : أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ فقال : إن هؤلاء قد قُتلوا[(١)] ، فلو كانوا أحياءً لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، والله قد أبقى الله لك ما يحزنك[(٢)] . فقال أبو سفيان : اعل هبل . فقال النبيّ ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال النبيّ ﷺ : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدر ، والحرب سجال ، وستجدون في القوم مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ، وهذا من أفراد البخاريّ دون مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[(٣)] : حدثّنا حسن بن موسى[(٤)] ، حدّثنا زهيرٌ ، حدثنا أبو إسحاق ، أن البرَاء بن عازبٍ قال : جعل رسول الله ﷺ على الرّماة يوم أحدٍ ، وكانوا خمسين رجلاً ، عبد الله بن جبيرٍ . قال : ووضعهم موضعاً ، وقال : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا ، حتى أرسل إليكم ، [وإن رأيتمونا ظهرنا على العدوّ وأوطأناهم ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم] » . قال : فهزموهم . قال : فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت أسوقهنّ وخلاخلهنّ رافعاتٍ ثيابهنّ . فقال أصحاب عبد الله [بن جبيرٍ] : الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟ قال عبد الله بن جبيرٍ : أَفَنَسيتم[(٥)] ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : إنّا والله لنأتينّ الناس فلنصيبنّ من الغنيمة . فلمّا أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين ، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين [رجلاً] .

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدرٍ أربعين ومئةً ؛ سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً ، فقال أبو سفيان : أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ أفي القوم محمدٌ ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ أفي القوم ابن الخطَّاب ؟ ثم أقبل على أصحابه ، فقال : أمَّا هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدوّ الله ، إنّ الذين عددت لأحياءٌ كلّهم ، وقد أبقى الله[(٦)] لك ما يسوءك . فقال : يومٌ بيوم بدر ، والحرب

---

(١) في (ط) : « إن هؤلاء قتلوا » .

(٢) لفظ (ط) : « والله قد أبقى الله عليك ما يخزيك » .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٩٣) ، وإسناده صحيح .

(٤) في (ط) : « حدثنا موسى » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٢٨١) .

(٥) في (ط) : « أنسيتم » .

(٦) في (ط) : « وقد بقي لك » .

سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني ، ثم أخذ يرتجز : [مجزوء الرجز]

اعل هبل اعل هبل

فقال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . قال : إنّ العزّى لنا ، ولا عزّى لكم . قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونه ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، وما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم » .

ورواه البخاريّ[١] من حديث زهيرٍ ، وهو ابن معاوية[٢] ، مختصراً ، وقد تقدّم روايته له مطولةً من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا عفان ، ثنا حمّاد بن سلمة ، أنا ثابتٌ وعليّ بن زيدٍ ، عن أنس بن مالكٍ أن المشركين لما رهقوا النبيّ ﷺ وهو في سبعةٍ من الأنصار ورجلين من قريشٍ ، قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . فجاء رجلٌ من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلما رهقوه أيضاً قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » . حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » .

ورواه مسلمٌ[٤] ، عن هدبة بن خالدٍ ، عن حمّاد بن سلمة به .

وقال البيهقيّ في « الدلائل »[٥] بإسناده ، عن عُمَارة بن غزيّة ، عن أبي الزُّبير ، عن جابرٍ قال : انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ، وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيدِ الله ، وهو يصعد في الجبل ، فلحقهم المشركون فقال : « ألا أحدٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « كما أنت يا طلحة » . فقال رجلٌ من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل عنه ، وصعِد رسول الله ﷺ ومن بقي معه ، ثم قتل الأنصاريّ فلحقوه ، فقال : « ألا رجلٌ لهؤلاء ؟ » . فقال طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله ، فقال رجلٌ من الأنصار : فأنا يا رسول الله . فأذن له . فقاتل مثل قتاله وقتال صاحبه ، ورسول الله ﷺ وأصحابه يصعدون ، ثم قُتل فلحقوه ، فلم يزل رسول الله ﷺ يقول مثل قوله الأول ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله . فيحبسه فيستأذنه رجلٌ من الأنصار للقتال ، فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله ، حتى لم يبق معه إلا طلحة بن عُبيد الله ، فغشوهما ، فقال رسول الله ﷺ : « من لهؤلاء يا طلحة ؟ » . فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله ، فقال : حسّ . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتَ : بسم الله ، أو ذكرت اسم الله ؛

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٨٦) و(٤٠٦٧) و(٤٥٦١) .
(٢) هو زهير بن مُعَاوية بن حُدَيج أبو خيثمة الجُعْفي الكُوفي . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٤٢٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٦) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٧٨٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٣٦) .

لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك ، حتى تلج بك في جوّ السماء » . ثم صعِد رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، وهم مجتمعون .

وروى البخاريّ[١] ، عن أبي بكرٍ عبد الله بن أبي شيبة ، عن وكيعٍ ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازمٍ قال : رأيت يد طلحة شلّاء ؛ وقى بها النبيّ ﷺ يوم أحدٍ .

وفي « الصحيحين »[٢] من حديث معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي عثمان النهديِّ قال : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن غير طلحة وسعدٍ ، عن حديثهما .

وقال الحسن بن عرفة[٣] : حدّثنا مروان بن معاوية ، عن هاشم بن هاشمٍ الزهريّ ، سمعت سعيد بن المسيّب يقول : سمعت سعد بن أبي وقّاصٍ يقول : نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحدٍ ، وقال : « ارم ، فداك أبي وأمي » .

وأخرجه البخاريّ[٤] ، عن عبد الله بن محمدٍ ، عن مروان به .

وفي « صحيح البخاريّ »[٥] من حديث عبد الله بن شدّادٍ ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ قال : ما سمعت النبيّ ﷺ جمع أبويه لأحدٍ إلا لسعد بن مالكٍ ، فإني سمعته يقول يوم أحدٍ : « يا سعد ، ارم فِداك أبي وأمي » .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : حدّثني صالح بن كيسان ، عن بعض آل سعدٍ ، عن سعد بن أبي وقّاصٍ ، أنه رمى يوم أحدٍ دون رسول الله ﷺ . قال سعدٌ : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النّبل ويقول : « ارم ، فِداك أبي وأمي » . حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصلٌ فأرمي به .

وثبت في « الصحيحين »[٧] من حديث إبراهيم بن سعد ، عن أبيه [عن جده ، عن سعد بن أبي وقّاص] ، قال : رأيت يوم أحدٍ عن يمين النبيّ ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثيابٌ بيضٌ ، يقاتلان عنه أشدّ القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك ولا بعده . يعني جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وقال أحمد[٨] : ثنا عفّان ، ثنا حمادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٣) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٦٠) و(٤٠٦١) ، ومسلم رقم (٢٤١٤) .
(٣) هو في « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٣٩) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٠٥٥) .
(٥) رقم (٢٩٠٥) و(٤٠٥٨) و(٤٠٥٩) و(٦١٨٤) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٢) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤٠٥٤) ومسلم رقم (٢٣٠٦) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧) ، وإسناده صحيح .

رسول الله ﷺ يوم أحدٍ ، والنبيّ ﷺ خلفه يتترّس به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدره ويقول : هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لا يصيبك سهمٌ ، نحري دون نحرك . وكان أبو طلحة يشور نفسه[1] بين يدي رسول الله ﷺ ويقول : إني جلدٌ يا رسول الله ، فوجّهني في حوائجك ، ومرني بما شئت .

وقال البخاريّ[2] : حدّثنا أبو معمرٍ ، حدّثنا عبد الوارث ، حدّثنا عبد العزيز ، عن أنسٍ قال : لما كان يوم أحدٍ انهزم الناس عن النبيّ ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ مجوّبٌ عليه بحجفةٍ له ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النّزع ، كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمرّ معه بجعبةٍ من النّبل فيقول : انثرها لأبي طلحة . قال : ويشرف النبيّ ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي ، لا تشرفْ يُصِبكَ سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك ، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكرٍ ، وأمّ سليم وإنهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما ، تَنْقُزان القِرب على متونهما ، تفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم ، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً .

قال البخاريّ[3] : وقال لي خليفة : حدّثنا يزيد بن زريعٍ ، حدّثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن أنسٍ ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن تغشّاه النّعاس يوم أحدٍ حتى سقط سيفي من يدي مراراً ، يسقط وآخذه ، ويسقط فآخذه . هكذا ذكره البخاريّ معلّقاً بصيغة الجزم ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٥٤ ـ ١٥٥] .

قال البخاريّ[4] : ثنا عبدان[5] ، ثنا أبو حمزة ، عن عثمان بن موهبٍ قال : جاء رجلٌ حجّ البيت فرأى قوماً جلوساً ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : هؤلاء قريشٌ . قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سائلك عن شيءٍ أتحدّثني ؟ قال : أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أنّ عثمان بن

---

(١) أي : يعرضها على القتل .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٦٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٨) تعليقاً .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٠٦٦) .
(٥) وهو لقبه ، واسمه « عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي روّاد العَتَلي المروزي أبو عبد الرحمن » .

عفّان فرّ يوم أحدٍ ؟ قال : نعم . قال : فتعلمه تغيّب عن بدرٍ فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنّه تخلّف عن بيعة الرّضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فكبّر . قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبيّن لك عما سألتني عنه ؛ أما فراره يوم أحدٍ ، فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيّبه عن بدرٍ ؛ فإنه كان تحته بنت النبيّ ﷺ وكانت مريضةً ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن لك أجر رجلٍ ممّن شهد بدراً وسهمه » وأما تغيّبه عن بيعة الرّضوان ؛ فإنه لو كان أحدٌ أعزّ ببطن مكة من عثمان بن عفّان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرّضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكّة ، فقال النبيّ ﷺ بيده اليمنى : « هذه يد عثمان » . فضرب بها على يده ، فقال : « هذه لعثمان » . اذهب بهذا الآن معك .

وقد رواه البخاريّ أيضاً في موضعٍ آخر ، والترمذيّ من حديث أبي عوانة[١] ، عن عثمان بن عبد الله بن موهبٍ به .

وقال الأمويّ في « مغازيه »[٢] : عن ابن إسحاق ، حدّثني يحيى بن عبّادٍ ، عن أبي ، عن جدّه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أوجب طلحة » . حين صنع ما صنع برسول الله ﷺ ، وقد كان الناس انهزموا عنه حتى بلغ بعضهم إلى المنقّى دون الأعوص ، وفرّ عثمان بن عفّان ، وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان رجلان[٣] من الأنصار ، حتى بلغوا الجلعب ، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص ، فأقاموا ثلاثاً ثم رجعوا ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال لهم : « لقد ذهبتم فيها عريضةً » .

والمقصود أن أُحداً وقع فيها أشياء مما وقع في بدرٍ ، منها ؛ حصول النّعاس حال التحام الحرب ، وهذا دليلٌ على طمأنينة القلوب بنصر الله وتأييده وتمام توكّلها على خالقها وبارئها .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى في غزوة بدرٍ : ﴿ إِذْيغشاكم ٱلنُّعَاسَ[٤] أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ الآية [الأنفال : ١١] وقال هاهنا : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ﴾ يعني المؤمنين الكمّل ، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف : النّعاس في الحرب من الإيمان ، والنّعاس في الصلاة من النفاق . ولهذا قال بعد هذا : ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ الآية [آل عمران : ١٥٤] .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ استنصر يوم أحدٍ كما استنصر يوم بدرٍ بقوله : « إن تشأ لا تعبد في الأرض » . كما قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الصّمد وعفّان ، قالا : ثنا حمّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحدٍ : « اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض » .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٩٦٨) والترمذي رقم (٣٧٠٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٣١١) .
(٣) في (ط) : « رجل » .
(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .
(٥) في « المسند » (٣/ ١٥٢) .

ورواه مسلمٌ[(١)] ، عن حجّاج بن الشاعر ، عن عبد الصّمد ، عن حمّاد بن سلمة به .

وقال البخاريّ[(٢)] : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله قال : قال رجلٌ للنبيّ ﷺ يوم أحدٍ : أرأيت إن قتلت أين أنا ؟[(٣)] قال : « في الجنة » فألقى تمراتٍ في يده ثم قاتل حتى قتل .

ورواه مسلمٌ والنسائيّ[(٤)] من حديث سفيان بن عيينة به ، وهذا شبيهٌ بقصة عمير بن الحمام التي تقدّمت في غزوة بدرٍ ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصلٌ فيما لقي النبيّ ﷺ يومئذٍ من المشركين قبّحهم الله

قال البخاريّ[(٥)] : ما أصاب النبيّ ﷺ من الجراح يوم أُحدٍ : حدّثنا إسحاق بن نصرٍ ، ثنا عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن همّام بن منبّهٍ ، سمع أبا هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتدّ غضب الله على قوم فعلوا بنبيه ـ يشير إلى رباعيته ـ اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » .

ورواه مسلمٌ[(٦)] من طريق عبد الرزاق .

حدّثنا[(٧)] مخلد بن مالكٍ ، حدّثنا يحيى بن سعيدٍ الأمويّ ، حدثنا ابن جريجٍ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال : اشتد غضب الله على من قتله النبيّ ﷺ في سبيل الله ، اشتد غضب الله على قومٍ دمّوا وجه نبيّ الله .

وقال أحمد[(٨)] : ثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رسول الله ﷺ قال يوم أحدٍ ، وهو يسلت الدم عن وجهه ، وهو يقول : « كيف يفلح قومٌ شجّوا نبيّهم وكسروا رباعيته ، وهو يدعوهم إلى الله ؟! » .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٤٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٠٤٦) .
(٣) في (ط) : « فأين أنا » .
(٤) رواه مسلم رقم (١٨٩٩) والنسائي رقم (٣١٥٤) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٠٧٣) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٧٩٣) .
(٧) القول للإمام البخاري ، والحديث في صحيحه رقم (٤٠٧٤) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٥٣) .

فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

ورواه مسلمٌ[١] عن القعنبيّ ، عن حمّاد بن سلمة به .

ورواه الإمام أحمد[٢] ، عن هشيمٍ ويزيد بن هارون ، عن حميدٍ ، عن أنسٍ أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ ، وشجّ في جبهته حتى سال الدَّم على وجهه ، فقال : « كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى ربّهم ؟! » . فأنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ الآية .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب ، عن أبي حازمٍ ، أنه سمع سهل بن سعدٍ وهو يسأل عن جرح رسول الله ﷺ ، [فقال : أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ] ، ومن كان يسكب الماء ، وبما دووي . قال : كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله ، وعليٌّ يسكب عليه الماء بالمجنّ ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدَّم إلا كثرةً أخذت قطعةً من حصيرٍ ، فأحرقتها [وألصقتها] ، فاستمسك الدَّم ، وكُسرت رباعيته يومئذٍ ، وجرح وجهه ، وكسرت البيضة على رأسه .

وقال أبو داود الطيالسيّ في « مسنده »[٤] : ثنا ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، أخبرني عيسى بن طلحة ، عن أمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان أبو بكرٍ إذا ذكر يوم أحدٍ بكى ثم قال : ذاك يومٌ كلّه لطلحة ، ثم أنشأ يحدّث قال : كنت أول من فاء يوم أحدٍ ، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه . وأُراه قال : يحميه . قال : فقلت : كن طلحة . حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجلاً من قومي أحبّ إليَّ ، وبيني وبين المشرق رجلٌ لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ، وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجرّاح ، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وقد دخل في وجنتيه حلقتان من حلق المغفر ، قال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » . يريد طلحة ، وقد نزف فلم نلتفت إلى قوله ، قال : وذهبتُ لأنزع ذاك من وجهه ، فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقّي لما تركتني . فتركته ، فكره أن يتناولهما بيده ، فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليهما بفيه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ، ووقعت ثنيّته مع الحلقة ، وذهبت لأصنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقّي لما تركتني . قال : ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيّته الأخرى مع الحلقة ، فكان أبو عبيدة ، رضي الله عنه ، من أحسن الناس هتماً ، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار ، فإذا به بضعٌ وسبعون من بين طعنةٍ ورميةٍ وضربةٍ ، وإذا قد قطعت أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٩١) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/٩٩ و٢٠١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٠٧٥) .
(٤) رقم (٦) .

وذكر الواقديّ[١] عن ابن أبي سبرة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي الحويرث ، عن نافع بن جبيرٍ قال : سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلى النّبل تأتي من كلّ ناحيةٍ ، ورسول الله ﷺ وسطها ، كلّ ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهابٍ الزُّهريّ يقول يومئذٍ : دلّوني على محمد ، لا نجوت إن نجا . ورسول الله ﷺ إلى جنبه ما معه أحدٌ ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان بن أميّة ، فقال : والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوعٌ ، خرجنا أربعةً ، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إليه .

قال الواقديّ[٢] : والثابت عندنا[٣] أن الذي رمى [في] وجنتي رسول الله ﷺ ابن قمئة ، والذي رمى في شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقّاص ـ وقد تقدّم عن ابن إسحاق نحو هذا ـ وأن الرّباعية التي كسرت له ، عليه الصلاة والسلام ، هي اليمنى السّفلى .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني صالح بن كيسان ، عمّن حدّثه ، عن سعد بن [أبي] وقّاصٍ قال : ما حرصت على قتل أحدٍ قطُّ ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقّاصٍ ، وإن كان ما علمت[٥] لسيّئ الخلق ، مبغّضاً في قومه ، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على من دمّى وجه رسوله » .

وقال عبد الرزاق[٦] : أنا معمرٌ ، عن الزّهريّ ، وعن عثمان الجزريِّ ، عن مقسم أن رسول الله ﷺ دعا على عتبة بن أبي وقّاصٍ يوم أحدٍ حين كسر رباعيته ودمّى وجهه فقال : « اللهم لا تُحل عليه الحول حتى يموت كافراً » . فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار .

وقال أبو سليمان الجُوزجانيّ : ثنا محمد بن الحسن ، حدّثني إبراهيم بن محمدٍ ، حدّثني ابن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن حزمٍ ، عن أبيه ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيفٍ ، أن رسول الله ﷺ داوى وجهه يوم أحدٍ بعظمٍ بالٍ .

هذا حديثٌ غريبٌ رأيته في أثناء كتاب « المغازي » للأمويّ في وقعة أحدٍ .

ولمّا نال عبد الله بن قمئة من رسول الله ﷺ ما نال ، رجع وهو يقول : قتلت محمداً . وصرخ الشيطان أزبّ العقبة يومئذٍ بأبعد صوتٍ : ألا إن محمداً قد قتل . فحصل بهتَةٌ عظيمةٌ في المسلمين ، واعتقد كثيرٌ من الناس ذلك ، وصمّموا على القتال عن حوزة الإسلام حتى يموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ،

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٢٣٧) .
(٢) انظر « المغازي » (١/ ٢٤٤) .
(٣) في (ط) : « ثبت عندي » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) وفيه مجهول .
(٥) في (آ) : « وإن كان ما علمته » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) .
(٦) في « المصنّف » (٥/ ٢٩٠) .

منهم أنس بن النّضر وغيره ممن سيأتي ذكره ، وقد أنزل الله تعالى التّسلية في ذلك على تقدير وقوعه فقال تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤ ـ ١٥١] . وقد تكلمنا على ذلك مستقصى في كتابنا « التفسير »(١) ولله الحمد .

وقد خطب الصدِّيق ، رضي الله عنه ، في أول مقامٍ قامه بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ ﴾ الآية . قال : فكأنّ الناس لم يسمعوها قبل ذلك ، فما من الناس أحدٌ إلا يتلوها .

وروى البيهقيّ في « دلائل النبوة »(٢) من طريق ابن نجيحٍ ، عن أبيه قال : مرّ رجلٌ من المهاجرين يوم أحدٍ على رجلٍ من الأنصار ، وهو يتشحّط في دمه ، فقال له : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ؟ فقال الأنصاريّ : إن كان محمدٌ ﷺ قد قتل فقد بلّغ الرسالة ، فقاتلوا عن دينكم . فنزل [قوله تعالى] : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾ الآية ، ولعل هذا الأنصاريّ هو أنس بن النّضر ، رضي الله عنه ، وهو عمّ أنس بن مالكٍ .

قال الإمام أحمد(٣) : ثنا يزيد ، ثنا حميدٌ ، عن أنسٍ أن عمّه غاب عن قتال بدرٍ فقال : غبت عن أول قتالٍ قاتله النبيّ ﷺ للمشركين ، لئن أشهدني الله قتالاً للمشركين ليرينّ الله(٤) ما أصنع . فلما كان يوم أحدٍ انكشف المسلمون ، فقال : [اللهم] إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم ، فلقيه سعد بن معاذٍ دون أحدٍ ، فقال سعدٌ : أنا معك . قال سعدٌ : فلم أستطع أصنع ما صنع . فوجد فيه بضعٌ وثمانون من بين ضربةٍ بسيف ، وطعنةٍ برمحٍ ، ورميةٍ بسهمٍ . قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ١٠٨) وما بعدها .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٤٨) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٠١) .
(٤) لفظ الجلالة لم يرد في (ط) .

ورواه الترمذيّ عن عبد بن حميدٍ ، والنسائيّ عن إسحاق بن راهويه ، كلاهما عن يزيد بن هارون به[١] ، وقال الترمذيّ : حسنٌ .

قلت : بل على شرط « الشيخين »[٢] من هذا الوجه .

وقال أحمد[٣] : حدثني ، بهزٌ وثنا هاشمٌ [قالا] : ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابتٍ[٤] قال : قال أنسٌ : عَمّي - قال هاشمٌ : أنس بن النّضر - سمّيت به ، ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدرٍ . قال : فشقّ عليه ، وقال : أول مشهدٍ شهده رسول الله ﷺ غبت عنه! لئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينّ الله ما أصنع . قال : فهاب أن يقول غيرها ، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحدٍ . قال : فاستقبل سعد بن معاذٍ ، فقال له أنسٌ : يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة ، أجده دون أحدٍ . قال : فقاتلهم حتى قتل ، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون من ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ . قال : فقالت أخته عمتي الرّبيّع بنت النّضر : فما عرفت أخي إلا ببنانه . ونزلت هذه الآية : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ . قال : فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه .

ورواه مسلمٌ[٥] عن محمد بن حاتمٍ ، عن بهز بن أسدٍ . ورواه الترمذيّ والنسائيّ[٦] من حديث عبد الله بن المبارك ، وزاد النسائيّ : وأبي داود ، حدّثناحمّاد بن سلمة ، أربعتهم عن سليمان بن المغيرة به . وقال الترمذيّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال أبو الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : كان أبيّ بن خلفٍ ، أخو بني جمح ، قد حلف وهو بمكة ليقتلنّ رسول الله ﷺ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلْفتُه قال : « بل أنا أقتله إن شاء الله » . فلما كان يوم أحدٍ أقبل أبيّ في الحديد مقنّعاً ، وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمدٌ ، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عميرٍ، أخو بني عبد الدّار، يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عميرٍ ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أُبيّ بن خلفٍ من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه بحربته ، فوقع إلى الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دمٌ ، فأتاه أصحابه فاحتملوه ، وهو يخور خُوار الثّور ، فقالوا له : ما أجزعك ! إنما هو خدشٌ . فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « أنا أَقتُلُ أبياً » . ثم قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون . فمات إلى النار ، فسحقاً لأصحاب السّعير[٧] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٠١) والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٠٣) .
(٢) في (ط) : « على شرط الصحيحين » وكلاهما بمعنى .
(٣) رواه أحمد في مسنده ٣/ ١٩٤ .
(٤) يعني (ثابت بن أسلم البناني) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ١٩٥) .
(٥) رواه مسلم رقم (١٩٠٣) .
(٦) رواه الترمذي رقم (٣٢٠٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٩١) .
(٧) وانظر « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ١٨٨) و« الفصول في سيرة الرسول ﷺ » لابن كثير ص(١٤٩) .

وقد رواه موسى بن عقبة في « مغازيه » ، عن سعيد بن المسيّب نحوه .

وقال ابن إسحاق[١] : لما أسند رسول الله ﷺ في الشّعب ، أدركه أُبيّ بن خلفٍ وهو يقول : لا نجوتُ إن نجوتَ . فقال القوم : يا رسول الله ، يعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « دعوه » . فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصّمّة ، فقال بعض القوم ، فيما ذكر لي ، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضةً ، تطايرنَ عنه تطاير الشُّعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنةً تدأدأ منها[٢] عن فرسه مراراً .

وذكر الواقديّ[٣] ، عن يونس بن محمدٍ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، عن أبيه نحو ذلك .

قال الواقديّ[٤] : وكان ابن عمر يقول : مات أُبيّ بن خلفٍ ببطن رابغٍ ، فإني لأسير ببطن رابغٍ بعد هويٍّ من الليل ، فإذا أنا بنارٍ تأجّج ، فهبتها ، وإذا رجلٌ يخرج منها في سلسلةٍ يجتذبها يهيّجه العطش ، فإذا رجلٌ يقول : لا تسقه ؛ فإنّه قتيل رسول الله ﷺ ، هذا أُبيّ بن خلفٍ .

وقد ثبت في « الصحيحين »[٥] كما تقدم من طريق عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله » . ورواه البخاريّ من طريق ابن جريجٍ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ : اشتد غضب الله على من قتله رسول الله في سبيل الله .

وقال البخاريّ[٦] : وقال أبو الوليد ، عن شعبة ، عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً قال : لما قتل أَبِي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه ، فجعل أصحاب النبيّ ﷺ ينهونني ، والنبيّ ﷺ لم ينه . وقال النبيّ ﷺ : « لا تبكه ـ أو ما تبكيه ـ مازالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفع » . هكذا ذكر هذا الحديث هاهنا معلّقاً ، وقد أسنده في الجنائز ، عن بندارٍ ، عن غندرٍ ، عن شعبة .

ورواه مسلمٌ والنسائيُّ[٧] من طرقٍ ، عن شعبة به .

وقال البخاريّ[٨] : ثنا عبدان ، أنا عبد الله [بن المبارك] ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٤) .
(٢) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/ ٨٤) : « تدأدأ . . . تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج » .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٢٥١) .
(٤) وذكره ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ١٨٨) بنحوه .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٧٤) ومسلم رقم (١٧٩٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٠٨٠) معلقاً .
(٧) رواه مسلم رقم (٢٤٧١) والنسائي رقم (١٨٤٤) .
(٨) رواه البخاري رقم (٤٠٤٥) .

أبيه إبراهيم ، أن عبد الرحمن بن عوفٍ أتي بطعامٍ ، وكان صائماً ، فقال : قتل مصعب بن عميرٍ وهو خيرٌ مني ، كفّن في بردةٍ إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطّي رجلاه بدا رأسه ـ وأراه قال : وقتل حمزة وهو خيرٌ مني ـ ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا[١] أن تكون حسناتنا عجّلت لنا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطّعام . انفرد به البخاريّ .

وقال البخاريّ[٢] : حدّثنا أحمد بن يونس ، حدّثنا زهيرٌ ، حدّثنا الأعمش ، عن شقيقٍ ، عن خبّاب بن الأرتّ قال : هاجرنا مع النبيّ ﷺ ونحن نبتغي وجه الله ، فوجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى ـ أو : ذهب ـ لم يأكل من أجره شيئاً ؛ كان منهم مصعب بن عميرٍ ، قتل يوم أحدٍ ، فلم يترك إلّا نمرةً ، كنا إذا غطّينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطّي بها رجلاه خرج رأسه ، فقال لنا النبيّ ﷺ : « غطّوا بها رأسه ، واجعلوا على رجليه الإذخر » . ومنا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها .

وأخرجه بقية الجماعة[٣] إلا ابن ماجه ، من طرقٍ عن الأعمش به .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عبيد الله بن سعيدٍ ، ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما كان يوم أحدٍ هزم المشركون ، فصرخ إبليس ، [لعنة الله عليه] : أي عباد الله أخراكم . فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة ، فإذا هو بأبيه اليمان ، فقال : [أي] عباد الله ، أَبي أبي . [قال] : قالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه . فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

قال عروة : فوالله مازالت في حذيفة بقيّة خيرٍ حتى لقي الله ، عزّ وجلّ .

قلت : كان سبب ذلك ؛ أن اليمان وثابت بن وقشٍ كانا في الآطام مع النساء ؛ لكبرهما وضعفهما ، فقالا : إنَّه لم يبق من آجالنا إلا ظِمءُ حمارٍ . فنزلا ليحضرا الحرب ، فجاء طريقهما ناحية المشركين ؛ فأما ثابتٌ فقتله المشركون ، وأما اليمان فقتله المسلمون خطأً ، وتصدَّق حذيفة بدية أبيه على المسلمين ، ولم يعاتب أحداً منهم ؛ لظهور العذر في ذلك .

فصلٌ

قال ابن إسحاق[٥] : وأصيبت يومئذٍ عين قتادة بن النّعمان[٦] حتى سقطت على وجنته ، فردّها رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما .

---

(١) في (آ) : « خشيت » .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٨٢) .
(٣) رواه مسلم رقم (٩٤٠) وأبو داود رقم (١٢٨٧٦) والترمذي رقم (٣٨٥٣) والنسائي رقم (١٩٠٢) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٦٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٨) .
(٦) قال ابن حجر العسقلاني : مات سنة (٢٣) هـ على الصحيح . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ١٧٩) .

وفي الحديث ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحدٍ حتى سالت على خدّه، فردّها رسول الله ﷺ مكانها، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى[١] .

وروى الدارقطنيّ[٢] بإسنادٍ غريب عن مالكٍ ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صَعْصَعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النّعمان قال : أصيبت عيناي يوم أحدٍ فسقطتا على وجنتيّ ، فأتيت بهما رسول الله ﷺ فأعادهما مكانهما ، وبصق فيهما فعادتا تبرقان .

والمشهور الأول : أنه إنما أصيبت عينه الواحدة . ولهذا لمّا وفد بعض ولده على عمر بن عبد العزيز قال له : من أنت ؟ فقال له مرتجلاً[٣] : [من الطويل]

أنا ابن الذي سالت على الخدّ عينُه ... فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرّدِّ

فعـادت كمـا كـانـت لأول أمـرهـا ... فيا حسن ما عينٍ ويا حسن ما خدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز عند ذلك[٤] : [من البسيط]

تلـك المكـارم لا قَعبـانِ مـن لبـنٍ ... شِيبـا بمـاءٍ فعـادا بعـد أبـوالا

ثم وصله فأحسن جائزته ، رضي الله عنه .

فصلٌ

قال ابن هشام[٥] : وقاتلت أمّ عُمَارة نسيبة بنت كعبٍ المازنيّة يوم أحدٍ ، فذكر سعيد بن أبي زيدٍ الأنصاريّ ، أنّ أمّ سعدٍ بنت سعد بن الرّبيع كانت تقول : دخلت على أمّ عُمَارة فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك . فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاءٌ فيه ماءٌ ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدّولة والرّيح للمسلمين ، فلمّا انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقمت أباشر القتال ، وأذبُّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح إليّ . قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غَورٌ ، فقلت لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقمأه الله ، لمّا ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عميرٍ ، وأناسٌ ممّن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه درعان .

---

(١) ذكره بنحوه ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » (٢/ ١٢٧٥) والسهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٣٣) .

(٢) ذكره السهيلي في « الروض الأنف » (٦/ ٣٣) وعزاه للدارقطني .

(٣) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٨٠) بتحقيقي .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١/ ٦٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨١) .

قال ابن إسحاق(١) : وترّس أبو دجانة دون رسول الله ﷺ بنفسه ، يقع النّبل في ظهره ، وهو منحنٍ عليه ، حتى كثر فيه النّبل .

قال ابن إسحاق(١) : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقّت سِيتها(٢) ، فأخذها قتادة بن النّعمان ، فكانت عنده .

قال ابن إسحاق(٣) : وحدّثني القاسم بن عبد الرحمن [بن رافعٍ] أخو بني عديّ بن النجّار قال : انتهى أنس بن النّضر عمّ أنس بن مالكٍ إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله ، في رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : فما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ، وبه سمّي أنس بن مالكٍ .

فحدّثني(٤) حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذٍ سبعين ضربةً ، فما عرفه إلاّ أخته ، عرفته ببنانه(٥) .

قال ابن هشامٍ(٦) : وحدّثني بعض أهل العلم ، أنّ عبد الرحمن بن عوفٍ أصيب فوه يومئذٍ ، فهتم وجرح عشرين جراحةً أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج .

فصلٌ

قال ابن إسحاق(٧) : وكان أول من عرف رسول الله ﷺ ـ بعد الهزيمة وقول الناس : قُتل رسول الله ﷺ. كما ذكر لي الزّهريّ ـ كعب بن مالكٍ، قال: رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ . فأشار إليّ(٨) رسول الله ﷺ أن أنصت.

قال ابن إسحاق(٩) : فلمّا عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشّعب ، معه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٢) .
(٢) أي : طرفها .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣٠٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٥) أي : من أطراف أصابعه . قال الرازي في « مختار الصحاح » . (بنن) : « البنانة : واحدة البنان ، وهي أطراف الأصابع » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .
(٨) لفظ « إليّ » سقط من (ط) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٣) .

أبو بكرٍ الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعليّ بن أبي طالبٍ ، وطلحة بن عبيد الله ، والزّبير بن العوّام ، والحارث بن الصّمّة ، ورهطٌ من المسلمين ، فلمّا أسند رسول الله ﷺ في الشّعب أدركه أبيّ بن خلفٍ ، فذكر قتله عليه الصلاة والسلام أُبياً كما تقدّم .

قال ابن إسحاق(١) : وكان أبيّ بن خلفٍ ـ كما حدّثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ـ يلقى رسول الله ﷺ بمكّة فيقول : يا محمد ، إنّ عندي العودَ ؛ فرساً أعلفه كلّ يومٍ فَرْقاً من ذُرةٍ ، أقتلك عليه . فيقول رسول الله ﷺ : « بل أنا أقتلك ، إن شاء الله » . فلمّا رجع إلى قريشٍ ، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبيرٍ ، فاحتقن الدم ، فقال : قتلني والله محمدٌ . فقالوا له : ذهب والله فؤادك ، والله إنْ بك بأسٌ . قال : إنّه قد كان قال لي بمكّة : « أنا أقتلك » فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدوّ الله بسرفٍ(٢) ، وهم قافلون به إلى مكة .

قال ابن إسحاق(٣) : فقال حسان بن ثابتٍ في ذلك(٤) : [من الوافر]

لقد ورث الضّلالة عن أبيه ... أُبيّ يوم بارزه الرّسولُ
أتيت إليه تحمل رِمّ عظمٍ ... وتوعده وأنت به جهولُ
وقد قتلت بنو النجّار منكم ... أميّة إذ يغوّث يا عقيلُ
وتبّ ابنا ربيعة إذ أطاعا ... أبا جهلٍ لأمّهما الهَبُولُ
وأفلت حارثٌ لمّا شغلنا ... بأسر القوم أُسرته فليلُ

وقال حسان بن ثابتٍ أيضاً(٥) : [من الوافر]

ألا من مبلغٌ عني أُبيّا ... لقد ألقيت في سحق السّعيرِ
تمنّى بالضّلالة من بعيدٍ ... وتقسم إن قدرت مع النّذورِ
تمنّيك الأماني من بعيدٍ ... وقول الكُفر يرجع في غرورِ
فقد لاقتك طعنة ذي حفاظٍ ... كريم البيت ليس بذي فجورِ
له فضلٌ على الأحياء طُرّا ... إذا نابت ملمّات الأمورِ

قال ابن إسحاق(٦) : فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشّعب ، خرج عليّ بن أبي طالبٍ حتى ملأ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٤) .
(٢) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل سبعة ، وقيل تسعة ، وقيل اثني عشرة . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٢٥٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .
(٤) انظر « ديوانه » (١/ ١٥٨) .
(٥) انظر « ديوانه » (١/ ٤٩٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٥) .

درقته ماءً من المهراس ، فجاء بها إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه ، فوجد له ريحاً فعافه ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدّم ، وصبّ على رأسه وهو يقول : « اشتدّ غضب الله على من دمّى وجه نبيّه » . وقد تقدّم شواهد ذلك من الأحاديث الصحيحة بما فيه الكفاية .

قال ابن إسحاق[(١)] : فبينا رسول الله ﷺ في الشّعب ، معه أولئك النّفر من أصحابه ، إذ علت عاليةٌ من قريشٍ الجبل .

قال ابن هشامٍ : فيهم خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : « اللهمّ إنّه لا ينبغي لهم أن يعلونا » . فقاتل عمر بن الخطّاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض النبيّ ﷺ إلى صخرةٍ من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله ﷺ وظاهر بين درعين ، فلمّا ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها ، فحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزُّبير [عن الزبير] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذٍ : « أوجب طلحة » . حين صنع برسول الله ﷺ يومئذٍ ما صنع .

قال ابن هشام[(٢)] : وذكر عمر مولى غُفْرَة[(٣)] أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصبته ، وصلّى المسلمون خلفه قعوداً .

قال ابن إسحاق[(٤)] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أتيٌّ[(٥)] لا يُدرى من هو ، يقال له : قُزمان . فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له : « إنّه لمن أهل النّار » . قال : فلمّا كان يوم أحدٍ قاتل قتالاً شديداً ، فقتل وحده ثمانيةً أو سبعةً من المشركين ، وكان ذا بأسٍ ، فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفرٍ . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر . قال : بماذا أبشّر ؟ فوالله إنْ قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلمّا اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه . وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر ، كما سيأتي ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد[(٦)] : حدّثنا عبد الرّزاق ، حدّثنا معمرٌ ، عن الزّهريّ ، عن ابن المسيّب ، عن أبي

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٦) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٧) .

(٣) واسمه (عمر بن عبد الله المدني) ويعرف بمولى غُفْرة ، وهو ضعيف كثير الإرسال ، وهذا الخبر من مرسلاته . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٧٨) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٨) .

(٥) أي : غريب .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٠٩) .

هريرة قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقال لرجلٍ ممّن يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلمّا حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً ، فأصابته جراحةٌ ، فقيل : يا رسول الله ، الرجل الذي قلت : « إنّه من أهل النار » . فإنّه قاتل اليوم قتالاً شديداً ، وقد مات . فقال النبيّ ﷺ : « إلى النّار » . فكاد بعض القوم أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك ، إذ قيل : فإنّه لم يمت ، ولكن به جراحٌ شديدةٌ . فلمّا كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فقتل نفسه ، فأُخبر النبيّ ﷺ بذلك فقال : « الله أكبر ، أشهد أنّي عبد الله ورسوله » . ثم أمر بلالاً فنادى في الناس : « إنّه لا يدخل الجنَّة إلا نفسٌ مسلمةٌ ، وإنّ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[1] من حديث عبد الرّزاق به .

قال ابن إسحاق[2] : وكان ممّن قتل يوم أحدٍ مخيريق ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفِطْيَون ، فلمَّا كان يوم أحد قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمدٍ عليكم لحقٌّ . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه وعدّته وقال : إن أُصبت فمالي لمحمدٍ يصنع فيه ما شاء . ثم غدا إلى رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « مخيريق خير يهود » .

قال السّهيليُّ[3] : فجعل رسول الله ﷺ أموال مخيريق ـ وكانت سبع حوائط ـ أوقافاً بالمدينة . قال محمد بن كعبٍ القرظيُّ : وكانت أول وقفٍ بالمدينة .

وقال ابن إسحاق[4] : وحدّثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذٍ ، عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، أنّه كان يقول : حدّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يصلّ قطّ ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقشٍ .

قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيدٍ[5] : كيف كان شأن الأُصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلمّا كان يوم أحدٍ بدا له ، فأسلم ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عُرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . قال : فبينما رجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : والله إنّ هذا لَلأصيرمُ ، ما جاء به ؟! لقد تركناه وإنّه لمنكرٌ لهذا الحديث ! فسألوه فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؛ أحدبٌ على قومك ، أم رغبةٌ في الإسلام ؟ فقال : بل رغبةٌ في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٠٦٢) ومسلم رقم (١١١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٨٨) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٠) .
(٥) هو (محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأوسي الأشهلي المدني ، أبو نُعَيم صحابي صغير ، وجلُّ روايته عن الصحابة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٥٣) .

فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : « إنّه لمن أهل الجنَّة » .

قال ابن إسحاق[1] : وحدّثني أبي ، عن أشياخٍ من بني سلمة قالوا : كان عمرو بن الجموح رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعةٌ مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلمّا كان يوم أحدٍ أرادوا حبسه ، وقالوا : إنّ الله قد عذرك . فأتى رسول الله ﷺ وقال : إنّ بنيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنَّة . فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك » . وقال لبنيه : « ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة » . فخرج معه فقتل يوم أحدٍ ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[2] : ووقعت هند بنت عتبة ـ كما حدّثني صالح بن كيسان ـ والنّسوة اللاتي معها ، يمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدّعن الآذان والأنوف ، حتى اتّخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خدماً[3] وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقِرطتها وحشياً ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

وذكر موسى بن عقبة ، أنّ الذي بقر عن كبد حمزة وحشيٌّ ، فحملها إلى هند ، فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[4] : ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت : [من الرجز]

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سُعرِ
ما كان عن عتبة لي من صبر ... ولا أخي وعمّه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري ... شفيتَ وحشيُّ غليل صدري
فشكر وحشيٍّ عليّ عمري ... حتى ترمّ أعظمي في قبري

قال : فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المطلب فقالت :

خزيت في بدرٍ وبعد بدر ... يا بنت[5] وقّاعٍ عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر ... ملهاشميّين[6] الطّوال الزّهر
بكلّ قطّاعٍ حسامٍ يفري ... حمزة ليثي وعليٌّ صقري

---

(1) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٠) وهذه رواية ضعيفة فيها مجاهيل .
(2) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص (٣١٢) .
(3) الخدم ، جمع خَدَمة ، وهي الخلخال .
(4) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٢/ ٩١) .
(5) في (آ) : « يا ابنة » وما جاء في (ط) موافق لما في « السيرة النبوية » .
(6) أي : من الهاشميين .

إذْ رام شيبٌ وأبوك غدري فخضّبا منه ضواحي النّحر

ونذرك السّوء فشرُّ نذر

قال ابن إسحاق[(١)] : وكان الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذٍ سيّد الأحابيش ، مرّ بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزجّ الرّمح ويقول : ذق عُقق . فقال الحليس : يا بني كنانة ، هذا سيد قريشٍ يصنع بابن عمّه ما ترون لحماً[(٢)] . فقال : ويحك ! اكتمها عنّي ؛ فإنّها كانت زلّةً .

قال ابن إسحاق[(٣)] : ثم إنّ أبا سفيان ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعمت فعال ، إن الحرب سجال ، يومٌ بيوم بدر ، اعل هبل . أي أظهر : دينك . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « قم يا عمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجلُّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » . فقال له أبو سفيان : هلمّ إليّ يا عمر . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « ائته فانظر ما شأنه » . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتَلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإنّه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبرّ .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان في قتلاكم مَثْلٌ ، والله ما رضيت وما سخطت وما نهيتُ ولا أمرت . قال : ولمّا انصرف أبو سفيان نادى : إنّ موعدكم بدرٌ العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجلٍ من أصحابه : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعدٌ » .

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ ، فقال : « اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنّهم يريدون مكّة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادوها ، لأسيرنّ إليهم فيها ثم لأُناجزنّهم » . قال عليٌّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجّهوا إلى مكة .

ذكر[(٤)]

دعاء النبيّ ﷺ بعد الوقعة يوم أحدٍ

قال الإمام أحمد[(٥)] : ثنا مروان بن معاوية الفَزَاريُّ ، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكّيّ ، عن ابن رفاعة

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٣) .

(٢) يريد أنه ميت لا يقدر على الانتصار .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٢) .

(٤) لفظ « ذكر » لم يرد في (ط) .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٤) ورجاله ثقات ، وقد صححه العلماء كما في السنة لابن أبي عاصم (٣٨١)=

الزّرقيّ ، عن أبيه قال : لما كان يوم أحدٍ وانكفأ المشركون ، قال رسول الله ﷺ : « استووا حتى أُثني على ربي ، عزّ وجلّ » . فصاروا خلفه صفوفاً ، فقال : « اللهم لك الحمد كُلُّه ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مُضلَّ لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرّب لما باعدت ، ولا مبعّد لما قرّبت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النّعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة[١] ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذٌ بك من شرّ ما أعطيتنا وشرّ ما منعتنا ، اللهم حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكُفْرَ والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفّنا مسلمين، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصّالحين ، غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذّبون رسلك ويصدّون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحقّ » .

ورواه النسائيّ في « اليوم والليلة »[٢] ، عن زياد بن أيوب ، عن مروان بن معاوية ، عن عبد الواحد ابن أيمن ، عن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه به .

فصــلٌ

قال ابن إسحاق[٣] : وفرغ الناس لقتلاهم ، فحدّثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنيّ ، أخو بني النجّار ، أن رسول الله ﷺ قال : « من رجلٌ ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ » فقال رجلٌ من الأنصار : أنا . فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمقٌ ، قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات. فقال : أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمّته . وأبلغ قومك عنّي السّلام ، وقل لهم : إن سعد بن الرّبيع يقول لكم : إنّه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيّكم ، ومنكم عينٌ تطرف . قال: ثم لم أبرح حتى مات. قال: فجئت النبيّ ﷺ فأخبرته خبره.

قلت : كان الرجل الذي التمس سعداً في القتلى محمد بن مسلمة ، فيما ذكره محمد بن عمر الواقديّ[٤] ، وذكر أنه ناداه مرتين فلم يجبه ، فلما قال : إن رسول الله أمرني أن أنظر خبرك . أجابه بصوتٍ ضعيفٍ ، وذكره .

= وفي الأدب المفرد للبخاري (٦٩٩) والحاكم (٣/ ٢٣ و٢٤) وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦/ ١٢٢) رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح ، وأما تضعيفه فهو تهويلات الذهبي ـ رحمه الله ـ .

(١) العيلة : الفقر .

(٢) رواه النسائي في « في اليوم والليلة » (٦٠٩) « السنن الكبرى » رقم (١٠٤٤٥) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق ص(٣١٣) .

(٤) انظر « المغازي » (١/ ٢٩٢) .

وقال الشيخ أبو عمر في « الاستيعاب »(١) : كان الرجل الذي التمس سعداً أُبيّ بن كعبٍ . فالله أعلم .

وكان سعد بن الربيع من النّقباء ليلة العقبة ، رضي الله عنه ، وهو الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوفٍ .

قال ابن إسحاق(٢) : وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي ، قد بقر بطنه عن كبده ، ومثّل به ؛ فجُدع أنفه وأذناه ، فحدّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن صفيّة ، وتكون سنّةً من بعدي ، لتركته حتى يكون في بطون السّباعِ وحواصل الطّير ، ولئن أظهرني الله على قريشٍ في موطنٍ من المواطن لأمثّلنّ بثلاثين رجلاً منهم » . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ ، وغيظه على من فعل بعمّه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدّهر لنمثّلنّ بهم مثلةً لم يمثّلها أحدٌ من العرب .

قال ابن إسحاق(٣) : فحدّثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعبٍ ، وحدّثني من لا أتّهم ، عن ابن عباسٍ أن الله عزّ وجلّ ، أنزل في ذلك : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٦ ـ ١٢٧] الآية ، قال : فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ، ونهى عن المثلة .

قلت : هذه الآيات مكّيّةٌ ، وقصة أحدٍ بعد الهجرة بثلاث سنين ، فكيف يلتئم هذا مع هذا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٤) : وحدّثني حميدٌ الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة قال : ما قام رسول الله ﷺ في مقامٍ قطُّ ففارقه حتى يأمر بالصّدقة ، وينهى عن المثلة .

وقال ابن هشام(٥) : ولما وقف النبيّ ﷺ على حمزة قال : « لن أُصاب بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قطُّ أغيظ إليّ من هذا » . ثم قال : « جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوبٌ في أهل السماوات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » . قال ابن هشام : وكان حمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد أخوي رسول الله ﷺ من الرّضاعة ؛ أرضعتهم ثلاثتهم ثُويبة مولاةٌ أبي لهبٍ .

وقال الإمام أحمد(٦) : حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ ، أنبأنا عبد الرحمن ، يعني ابن أبي الزّناد ،

---

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٢/ ٥٩٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) وفي سند هذه الرواية مجاهيل فهي ضعيفة .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٦) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٦٥) ، والبيهقي في (دلائل النبوة) بمعناه (٣/ ٢٩٠) من طريق آخر مرسلاً ، فهو حديث حسن .

عن هشامٍ ، عن عروة قال : أخبرني أبي الزُّبيرُ أنه لمّا كان يوم أحدٍ أقبلت امرأةٌ تسعى ، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى . قال : فكره النبيّ ﷺ أن تراهم ، فقال : « المرأةَ المرأةَ » . قال الزُّبير : فتوسّمت أنّها أمي صفية ، قال : فخرجت أسعى إليها ، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قال : فلدمت في صدري ، وكانت امرأةً جلدة ، قالت : إليك ، لا أرض لك . قال : فقلت : إن رسول الله ﷺ عزم عليكِ . قال : فوقفت ، وأخرجت ثوبين معها ، فقالت : هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ، فقد بلغني مقتله ، فكفّنوه فيهما . قال : فجئنا بالثوبين لنكفّن فيهما حمزة ، فإذا إلى جنبه رجلٌ من الأنصار قتيلٌ ، قد فُعل به كما فعل بحمزة . قال : فوجدنا غضاضةً وحياءً أن نكفِّن حمزة في ثوبين والأنصاريّ لا كفن له ، فقلنا : لحمزة ثوبٌ وللأنصاريّ ثوبٌ ، فقدّرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، فكفّنّا كلّ واحدٍ منهما في الثوب الذي طار له[١] .

ذكر الصلاة على حمزة وقتلى أُحدٍ

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجّي ببردةٍ ، ثم صلّى عليه فكبّر سبع تكبيراتٍ ، ثم أُتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة ، فصلّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلّى عليه ثنتين وسبعين صلاةً . وهذا غريبٌ وسنده ضعيفٌ .

قال السّهيليّ[٣] : ولم يقل به أحدٌ من علماء الأمصار .

وقد قال الإمام أحمد[٤] : ثنا عفّان ، ثنا حمّادٌ ، ثنا عطاء بن السّائب ، عن الشّعبيّ ، عن ابن مسعودٍ قال : إن النساء كنّ يوم أُحدٍ خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين ، فلو حلفتُ يومئذٍ رجوت أن أبرّ : إنه ليس أحدٌ منا يريد الدنيا ، حتى أنزل الله : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٢] . فلمّا خالف أصحاب رسول الله ﷺ وعصوا ما أُمروا به ، أُفرد رسول الله ﷺ في [تسعة] ؛ سبعةٍ من الأنصار ورجلين[٥] من قريشٍ ، وهو عاشرهم ، فلمّا رهقوه قال : « رحم الله رجلاً ردّهم عنّا » . (قال : فقام رجلٌ من الأنصار فقاتل ساعةً حتى قتل ، فلما رهِقوه أيضاً قال : «رحم الله رجلاً ردّهم عنا»)[٦] . فلم يزل يقول ذا حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ

---

(١) كذا في (آ) و(ط) : « الذي طار له » أي قدر له . وفي « المسند » : « الذي صار له » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٢) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٦٣) ، وإسناده ضعيف .

(٥) في (ط) : « واثنين » .

(٦) ما بين القوسين سقط من (ط) .

لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا »[١] . فجاء أبو سفيان فقال : اعل هبل . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله أعلى وأجل » . فقالوا : الله أعلى وأجلّ . فقال أبو سفيان : لنا العزّى ولا عزّى لكم . فقال رسول الله ﷺ : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » . ثم قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدرٍ ، يومٌ لنا ويومٌ علينا ، ويومٌ نُساء ويومٌ نُسرّ ، حنظلة بحنظلة ، وفلانٌ بفلانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا سواء ، أما قتلانا فأحياءٌ يرزقون ، وقتلاكم في النّار يعذّبون » . قال أبو سفيان : قد كانت في القوم مُثْلةٌ ، وإن كانت لعن غير ملأٍ منّا ، ماأمرت ولا نهيت ، ولا أحببت ولا كرهت ، ولا ساءني ولا سرّني . قال : فنظروا ، فإذا حمزة قد بُقر بطنه ، وأخذت هند كبده فلاكتها ، فلم تستطع أن تأكلها ، فقال رسول الله ﷺ : « أأكلتْ منه شيئاً ؟ » قالوا : لا . قال : « ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النّار » . قال : فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلّى عليه ، وجيء برجلٍ من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلّى عليه ، فرفع الأنصاريّ وترك حمزة ، ثم جيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلّى عليه ، ثم رفع وترك حمزة ، حتى صلّى عليه يومئذٍ سبعين صلاةً . تفرّد به أحمد . وهذا إسنادٌ فيه ضعفٌ أيضاً من جهة عطاء بن السائب ، فالله أعلم .

والذي رواه البخاريّ[٢] أثبت ، حيث قال : حدّثنا قتيبة ، حدّثنا اللّيث ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالكٍ ، أنّ جابر بن عبد الله أخبره أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحدٍ في ثوبٍ واحدٍ ، ثم يقول : « أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ » . فإذا أشير له إلى أحدهما[٣] قدّمه في اللّحد وقال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء يوم القيامة » . وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصلّ عليهم ، ولم يغسّلوا . تفرّد به البخاريّ دون مسلمٍ .

ورواه أهل « السنن »[٤] من حديث اللّيث بن سعدٍ به .

وقال أحمد[٥] : ثنا محمدٌ ، يعني ابن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، سمعت عبد ربّه يحدّث عن الزُّهريّ ، عن ابن جابرٍ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبيّ ﷺ أنه قال في قتلى أُحدٍ : « فإنّ كلّ جرحٍ أو كلّ دمٍ يفوح مسكاً يوم القيامة » ولم يصلّ عليهم .

وثبت أنه صلّى [عليهم] بعد ذلك بسنين عديدةٍ قبل وفاته بيسيرٍ ، كما قال البخاريّ[٦] : ثنا محمد بن عبد الرّحيم ، ثنا زكريا بن عديٍّ ، أنا [ابن] المبارك ، عن حيوة ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ،

---

(١) في (آ) : « ما أنصفتما أصحابنا » وأثبت لفظ (ط) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٧٩) .
(٣) في « صحيح البخاري » : « فإذا أشير إلى أحدٍ » .
(٤) رواه أبو داود رقم (٣١٣٨) و(٣١٣٩) والترمذي رقم (١٠٣٦) والنسائي رقم (١٩٥٤) وابن ماجه رقم (١٥١٤) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤٠٤٢) .

عن أبي الخير ، عن عقبة بن عامرٍ قال : صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحدٍ بعد ثماني سنين ، كالمودّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم فرطٌ ، وأنا عليكم شهيدٌ ، وإنّ موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني[١] أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافسوها » . قال : فكان آخر نظرةٍ نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

ورواه البخاريّ في مواضع أخر ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والنّسائيّ[٢] ، من حديث يزيد بن أبي حبيبٍ به نحوه .

وقال الأمويّ : حدّثني أبي ، ثنا الحسن بن عُمارة ، عن حبيب بن أبي ثابتٍ قال : قالت عائشة : خرجنا من السّحَر مخرج رسول الله ﷺ إلى أحدٍ نستطلع الخبر ، حتى إذا طلع الفجر إذا رجلٌ محتجرٌ ينشد[٣] ويقول :

« لبّث قليلاً يشهد[٤] الهيجا حمل »

قالت : فنظرنا فإذا أسيد بن حضيرٍ ، ثم مكثنا بعد ذلك ، فإذا بعيرٌ قد أقبل ، عليه امرأةٌ بين وَسقين . قالت : فدنونا منها ، فإذا هي امرأة عمرو بن الجموح ، فقلنا لها : ما الخبر ؟ قالت : دفع الله عن رسول الله ﷺ واتّخذ من المؤمنين شهداء ، ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ثم قالت لبعيرها : حل . ثم نزلت ، فقلنا لها : ما هذا ؟ قالت : أخي وزوجي .

وقال ابن إسحاق[٥] : وقد أقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه[٦] ، وكان أخاها لأبيها وأمّها ، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزّبير بن العوّام : « القَها فأرجعها ؛ لا ترى ما بأخيها » . فقال لها : يا أمّه ، إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي . قالت : ولم وقد بلغني أنه مُثّل بأخي ، وذلك في الله ؟! فما أرضانا ما كان من ذلك ، لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك ، قال : « خلّ سبيلها » . فأتته فنظرت إليه ، وصلّت عليه ، واسترجعت واستغفرت .

قال ابن إسحاق[٧] : ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن ، ودفن معه ابن أُخته عبد الله بن جحشٍ ـ وأمّه

---

(١) في (آ) : « ولكن » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٤٤) و(٣٥٩٦) و(٤٠٨٥) و(٦٤٢٦) و(٦٥٩٠) ومسلم رقم (٢٢٩٦) وأبو داود رقم (٣٢٢٣) و(٣٢٢٤) والنسائي رقم (١٩٥٣) .

(٣) في (ط) : « يشتد » والمثل في « معجم الأمثال العربية » لصديقي وزميلي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد (٤/ ٩٦) ومصادره مذكورة فيه .

(٤) في « معجم الأمثال العربية » : « يلحق » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) .

(٦) يعني إلى حمزة رضي الله عنه وأرضاه .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٧) وقد ذكر الخبر باختصار .

أُميمة بنت عبد المطلب ـ وكان قد مُثّل به ، غير أنه لم يبقر عن كبده ، رضي الله عنهما .

قال السّهيليّ[١] : وكان يقال له : المجدّع في الله . قال : وذكر سعدٌ أنه هو وعبد الله بن جحشٍ دعوا بدعوةٍ فاستجيبت لهما ؛ فدعا سعدٌ أن يلقى فارساً من المشركين فيقتله ويستلبه ، فكان ذلك ، ودعا عبد الله بن جحشٍ أن يلقاه فارسٌ فيقتله ويجدع أنفه في الله . فكان ذلك .

وذكر الزُّبير بن بكّارٍ أن سيفه يومئذٍ انقطع ، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجوناً[٢] ، فصار في يد عبد الله بن جحشٍ سيفاً يقاتل به ، ثم بيع في تركة بعض ولده بمئتى دينارٍ . وهذا كما تقدّم لعكّاشة في يوم بدرٍ .

وقد تقدّم في « صحيح البخاريّ » أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين والثلاثة في القبر الواحد ، بل في الكفن الواحد ، وإنما أرخص لهم في ذلك ؛ لما بالمسلمين من الجراح التي يشقّ معها أن يحفروا لكلّ واحدٍ واحداً ، ويقدّم في اللّحد أكثرهما أخذاً للقرآن ، وكان يجمع بين الرجلين المتصاحبين في اللّحد الواحد ، كما جمع بين عبد الله بن عمرو بن حرامٍ ، والد جابرٍ ، وبين عمرو بن الجموح ؛ لأنهما كانا متصاحبين ، ولم يغسّلوا[٣] ، بل تركهم بجراحهم ودمائهم ، كما روى ابن إسحاق[٤] ، عن الزّهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعيرٍ ، أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على القتلى يوم أحدٍ قال : « أنا شهيدٌ على هؤلاء ، إنه ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دمٍ ، والريح ريح مسكٍ » . قال : وحدّثني عمّي موسى بن يسارٍ ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم ﷺ : « ما من جريحٍ يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون الدّم ، والرّيح ريح المسك » . وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين »[٥] من غير هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا عليّ بن عاصمٍ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : أمر رسول الله ﷺ يوم أحدٍ بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود ، وقال : « ادفنوهم بدمائهم وثيابهم » .

ورواه أبو داود وابن ماجه[٧] من حديث عليٍّ بن عاصمٍ به .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٤) .
(٢) جاء في « مختار الصِّحَاح » (عرجن) : « العرجون : أصل العذق الذي يَعْوَجّ ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً » .
(٣) يعني الشهداء جميعاً .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٢٣٧) و (٢٨٠٣) و (٥٥٣٣) ومسلم رقم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٧) ، وإسناده ضعيف .
(٧) رواه أبو داود رقم (٣١٣٤) وابن ماجه رقم (١٥١٥) ، وإسناده ضعيف .

وقال الإمام أبو داود في « سننه »[١] : حدّثنا القعنبيّ ، أنّ سليمان بن المغيرة حدّثهم ، عن حميد بن هلالٍ ، عن هشام بن عامرٍ أنه قال : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ يوم أحدٍ فقالوا : قد أصابنا قرحٌ وجهدٌ ، فكيف تأمرنا ؟ فقال : « احفروا وأوسعوا ، واجعلوا الرجلين والثلاثة في القبر الواحد[٢] » . قيل : يا رسول الله ، فأيّهم يقدّم ؟ قال : « أكثرهم قرآناً » .

ثم رواه[٣] من حديث الثوريّ ، عن أيوب ، عن حميد بن هلالٍ ، عن هشام بن عامرٍ ، فذكره ، وزاد : « وأعمقوا » .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث صُرعوا » .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عليّ بن إسحاق ، ثنا عبد الله وعتّابٌ ، أنا عبد الله ، أنا عمر بن سلمة بن أبي يزيد المدينيّ ، حدثني أبي ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : استشهد أبي بأحدٍ ، فأرسلنني[٦] أخواتي إليه بناضحٍ لهن ، فقلن : اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل ، فادفنه في مقبرة بني سلمة . قال : فجئته وأعوانٌ لي ، فبلغ ذلك نبيّ الله ﷺ وهو جالسٌ بأحدٍ ، فدعاني فقال : « والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته » فدفن مع أصحابه بأحدٍ ، تفرّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا محمد بن جعفرٍ ، ثنا شعبة ، عن الأسود بن قيسٍ ، عن نُبيحٍ ، عن جابر بن عبد الله ، أن قتلى أحدٍ حملوا من مكانهم ، فنادى منادي النبيّ ﷺ أن ردّوا القتلى إلى مضاجعهم .

وقد رواه أبو داود والنسائيّ[٨] من حديث الثّوريّ ، والترمذيّ من حديث شعبة[٩] ، والنسائيّ أيضاً وابن ماجه[١٠] من حديث سفيان بن عيينة ، كلّهم عن الأسود بن قيسٍ به .

وقال أحمد[١١] : ثنا عفّان ثنا أبو عوانة ، ثنا الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزيّ[١٢] ، عن جابر بن

---

(١) رقم (٣٢١٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) لفظ « الواحد » لم يرد في « سنن أبي داود » .
(٣) في « سننه » رقم (٣٢١٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وإسناده ضعيف .
(٦) في (ط) : « فأرسلني » .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(٨) رواه أبو داود رقم (٣١٦٥) والنسائي رقم (٢٠٠٤) ، وهو حديث صحيح .
(٩) رواه الترمذي رقم (١٧١٧) ، وهو حديث صحيح .
(١٠) رواه النسائي رقم (٢٠٠٣) وابن ماجه رقم (١٥١٦) ، وهو حديث صحيح .
(١١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٧) ، وهو حديث صحيح .
(١٢) في (ط) : « . . كلهم عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي . . . » .

عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين ليقاتلهم ، وقال لي أبي عبد الله : يا جابر ، لا عليك أن تكون في نظّاري أهل المدينة ، حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا ، فإني والله لولا أني أترك بناتٍ لي بعدي ، لأحببت أن تقتل بين يديّ . قال : فبينا أنا في النّظّارين ، إذ جاءت عمتي بأبي وخالي ، عادلتهما على ناضح ، فدخلتْ بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجلٌ ينادي : ألا إنّ النبيّ ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت . فرجعنا بهما ، فدفنّاهما حيث قتلا ، فبينا أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، إذ جاءني رجلٌ فقال : يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمّال معاوية ، فبدا فخرج طائفةٌ منه . فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنتُه ، لم يتغيّر إلا ما لم يدع القتل ، أو القتيل . ثم ساق الإمام أحمد قصة وفائه دين أبيه ، كما هو ثابتٌ في « الصحيحين »[١] .

وروى البيهقيّ[٢] ، من طريق حمّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن أبي الزّبير ، عن جابر بن عبد الله قال : لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحدٍ ، بعد أربعين سنةً ، استصرخناهم إليهم ، فأتيناهم فأخرجناهم ، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً .

وفي رواية ابن إسحاق ، عن جابرٍ قال : فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس .

وذكر الواقديّ[٣] ، أن معاوية لمّا أراد أن يجري العين ، نادى مناديه : من كان له قتيلٌ بأُحدٍ فليشهد . قال جابرٌ : فحفرنا عنهم ، فوجدت أبي في قبره كأنما هو نائمٌ على هيئته ، ووجدت جاره في قبره عمرو بن الجموح ، ويده على جرحه فأزيلت عنه ، فانبعث جرحه دماً . ويقال : إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك ، رضي الله عنهم أجمعين ، وذلك بعد ستٍّ وأربعين سنةً من يوم دفنوا .

وقد قال البخاريّ[٤] : ثنا مسدّدٌ ، ثنا بشر بن المفضّل ، ثنا حسينٌ المعلّم ، عن عطاءٍ ، عن جابرٍ قال : لما حضر أحدٌ ، دعاني أبي من الليل فقال لي : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتَل من أصحاب النبيّ ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعزّ علي منك ، غير نفس رسول الله ﷺ ، وإنّ عليّ ديناً فاقض ، واستوص بأخواتك خيراً . فأصبحنا فكان أول قتيلٍ ، فدفنت معه آخَر في قبره ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخَر ، فاستخرجته بعد ستة أشهرٍ ، فإذا هو كيوم وضعته ، هُنَيَّةً غير أُذنه .

وثبت في « الصحيحين »[٥] من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابرٍ أنه لما قتل أبوه ،

---

(١) هو في « صحيح البخاري » رقم (٢١٢٧) و(٢٣٩٥) و(٢٣٩٦) و(٤٠٥٣) ولم نجده في « صحيح مسلم » بهذا اللفظ .

(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩١) وليس عنده جملة « بعد أربعين سنة » .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ٢٦٧) .

(٤) رواه البخاري رقم (١٣٥١) .

(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٨٠) تعليقاً ، وموصولاً رقم (١٢٤٤) ومسلم رقم (٢٤٧١) (١٣٠) .

جعل يكشف عنه الثوب ويبكي ، فنهاه الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « تبكيه أو لا تبكيه ، لم تزل الملائكة تظلّه بأجنحتها حتى رفعتموه »[١] .

وفي روايةٍ ، أن عمّته هي الباكية .

وقال البيهقيّ[٢] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو بكرٍ أحمد بن الحسن القاضي قالا : حدّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدّثنا محمد بن إسحاق ، حدّثنا فيض بن وثيقٍ البصريّ ، حدّثنا أبو عبادة الأنصاريّ ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لجابرٍ : « يا جابر ، ألا أبشّرك ؟ » قال : بلى ، بشّرك الله بالخير . فقال : « أشعرتَ أن الله أحيا أباك فقال : تمنّ عليّ عبدي ما شئت أعطكه . قال : يارب ، ما عبدتك حقّ عبادتك ، أتمنّى عليك أن تردّني إلى الدنيا ، فأُقتل مع نبيّك ، وأقتل فيك مرةً أخرى . قال : إنه قد سلف مني أنّه إليها لا يرجع » .

وقال البيهقيّ[٣] : أنا أبو الحسن محمد بن أبي المعروف الإسفراييني ، ثنا أبو سهلٍ بشر بن أحمد ، أنا أحمد بن الحسين بن نصرٍ ، ثنا عليّ بن المدينيّ ، حدّثنا موسى بن إبراهيم [بن كثيرٍ] بن بشير بن الفاكه الأنصاريّ ، قال : سمعت طلحة بن خراش بن عبد الرحمن بن خراش بن الصّمّة الأنصاريّ ثم السّلميّ قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : نظر إليّ رسول الله ﷺ فقال : « ما لي أراك مهتمّاً ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، قتل أبي ، وترك ديناً وعيالاً . فقال : « ألا أخبرك ؟ ما كلّم الله أحداً إلا من وراء حجابٍ ، وإنه كَلّم أباك كفاحاً ، وقال له يا عبدي ، سلني أعطك . فقال : أسألك أن تردّني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً . فقال : إنه قد سبق مني [القول] إنّهم إليها لا يرجعون . قال : يارب ، فأبلغ من ورائي » . فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية [آل عمران : ١٦٩] .

وقال ابن إسحاق[٤] : وحدّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيلٍ ، سمعت جابراً يقول : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أبشّرك يا جابر ؟ » قال : قلت : بلى . قال : « إنّ أباك حيث أصيب بأحدٍ ، أحياه الله ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي ربِّ ، أحبّ أن تردّني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك ، فأقتل مرّةً أخرى » .

وقد رواه أحمد[٥] ، عن عليّ بن المدينيّ ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن عليّ بن ربيعة السّلميّ ، عن عبد الله بن محمد بن عقيلٍ ، عن جابرٍ ، وزاد : فقال الله : « إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون » .

---

(١) هي عند البخاري رقم (١٢٤٤) وعند مسلم رقم (٢٤٧١) (١٢٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩٨) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٩٨) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦١) ، وإسناده حسن .

وقال أحمد[١] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، إذا ذُكر أصحاب أحدٍ : « أما والله لوددت أني غودرت مع أصحاب نحصِ الجبل » . يعني سفح الجبل ، تفرّد به أحمد .

وقد روى البيهقيّ[٢] ، من حديث عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة ، عن قطن بن وهبٍ ، عن عبيد بن عميرٍ ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مرَّ على مصعب بن عُمير وهو مقتولٌ على طريقه ، فوقف عليه ، فدعا له ثم قرأ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ﴾ الآية [الأحزاب : ٢٣] . قال: «أشهد أنّ هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده ، لا يسلّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة ؛ إلا ردّوا عليه » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وروي عن عبيد بن عميرٍ مرسلاً .

وروى البيهقيّ[٣] من حديث موسى بن يعقوب ، عن عبّاد بن أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كان النبيّ ﷺ يأتي قبور الشهداء ، فإذا أتى فرضة الشّعب[٤] قال : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدّار » . ثم كان أبو بكرٍ بعد النبيّ ﷺ يفعله ، وكان عمر بعد أبي بكرٍ يفعله ، وكان عثمان بعد عمر يفعله .

قال الواقديّ[٥] : كان النبيّ ﷺ يزورهم كلّ حولٍ ، [فإذا تفوّه][٦] الشّعبَ يقول : « السلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدّار » . ثم كان أبو بكرٍ يفعل ذلك كلّ حولٍ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتيهم ، فتبكي عندهم وتدعو لهم ، وكان سعدٌ يسلّم ، ثم يقبل على أصحابه فيقول : ألا تسلّمون على قومٍ يردّون عليكم . ثم حكى زيارتهم ، عن أبي سعيدٍ ، وأبي هريرة ، وعبد الله ابن عمر ، وأمّ سلمة ، رضي الله عنهم .

وقال ابن أبي الدّنيا[٧] : حدّثني إبراهيم ، حدثني الحكم بن نافعٍ ، ثنا العطّاف بن خالدٍ ، حدّثتني خالتي قالت : ركبت يوماً إلى قبور الشهداء ـ وكانت لا تزال تأتيهم ـ فنزلت عند حمزة ، فصلّيت ما شاء الله أن أصلّي ، وما في الوادي داعٍ ولا مجيبٌ ، إلا غلاماً قائماً آخذاً برأس دابّتي ، فلما فرغت من صلاتي قلت هكذا بيدي : السلام عليكم . قالت : فسمعت ردّ السلام عليّ يخرج من تحت الأرض ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧٥) ، وإسناده حسن .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٤) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٠٦) .
(٤) أي : جانبه .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٣١٣) .
(٦) في (ط) فإذا بلغ نقرة .
(٧) في كتابه « من عاش بعد الموت » ص(٤٠) .

أعرفه كما أعرف أن الله عزّ وجلّ خلقني ، وكما أعرف الليل من النهار ، فاقشعرّت كلّ شعرةٍ مني .

وقال محمد بن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أميّة ، عن أبي الزّبير ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : قال النبيّ ﷺ : « لما أصيب إخوانكم يوم أحدٍ ، جعل الله أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ معلّقةٍ في ظلّ العرش ، فلمّا وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم قالوا : من يبلّغ إخواننا عنا أنّا أحياءٌ في الجنة نرزق ؛ لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهدوا في الجهاد ؟ فقال الله عزّ وجلّ : أنا أبلّغهم عنكم » . فأنزل الله في الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

وروى مسلمٌ والبيهقيّ[٢] من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرّة ، عن مسروقٍ قال : سألنا عبد الله بن مسعودٍ عن هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ . قال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أرواحهم كطيرٍ خضرٍ[٣] ، تسرح في أيّها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلّقةٍ بالعرش » . قال : « فبينما هم كذلك ، إذ اطّلع عليهم ربّك اطّلاعةً ، فقال : سلوني ما شئتم . فقالوا : يا ربّنا ، وما نسألك ونحن نسرح في الجنّة في أيّها شئنا ؟! فلمّا رأوا أن لن يُتركوا من أن يسألوا ، قالوا : نسألك أن تردّ أرواحنا إلى أجسادنا في الدّنيا ، نقتل في سبيلك » . قال : « فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تُركوا » .

فصلٌ
في عدد الشّهداء

قال موسى بن عقبة[٤] : جميع من استشهد يوم أحدٍ من المهاجرين والأنصار ، تسعةٌ وأربعون رجلاً .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عند البخاريّ[٥] عن البراء ، أنهم قتلوا من المسلمين سبعين رجلاً ، فالله أعلم .

وقال قتادة ، عن أنسٍ[٦] : قتل من الأنصار يوم أحدٍ سبعون[٧] ، ويوم بئر معونة سبعون ، ويوم اليمامة سبعون .

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١١٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٠٣) واللفظ له .
(٣) في (ط) : « أرواحهم في جوف طير خضر » .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٨٠) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٣٩٨٦) .
(٦) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٠٧٨) .
(٧) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٥٠) .

وقال حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ أنه كان يقول : قارب السبعين يوم أحدٍ ، ويوم بئر معونة ، ويوم مؤتة ، ويوم اليمامة .

وقال مالكٌ[(١)] ، عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ ، عن سعيد بن المسيّب : قتل من الأنصار يوم أحدٍ سبعون ، ويوم اليمامة سبعون ، ويوم جسر أبي عبيدٍ سبعون . وهكذا قال عكرمة ، وعروة ، والزهريّ ، ومحمد بن إسحاق ، في قتلى أحدٍ . ويشهد له قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا ﴾ [آل عمران : ١٦٥] يعني أنهم قتلوا يوم بدرٍ سبعين وأسروا سبعين .

وعن ابن إسحاق[(٢)] : قتل من الأنصار يوم أحدٍ خمسةٌ وستون ، أربعةٌ من المهاجرين ؛ حمزة ، وعبد الله بن جحشٍ ، ومصعب بن عميرٍ ، وشمّاس بن عثمان ، والباقون من الأنصار ، وسرد أسماءَهم على قبائلهم ، وقد استدرك عليه ابن هشامٍ زيادةً على ذلك خمسةً آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشامٍ ، وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً .

وعن عروة : كان الشهداء يوم أحدٍ أربعةً ـ أو قال : سبعةً ـ وأربعين .

وقال موسى بن عقبة : تسعةٌ وأربعون .

قال موسى : وقتل من المشركين يومئذٍ ستة عشر رجلاً . وقال عروة : تسعة عشر . وقال ابن إسحاق : اثنان وعشرون .

وقال الرّبيعُ[(٣)] ، عن الشافعيّ : ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحيِّ ، وقد كان في الأسارى يوم بدرٍ ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ بلا فديةٍ ، واشترط عليه ألاّ يقاتله ، فلمّا أسر يوم أحدٍ قال : يا محمد ، امنن عليّ لبناتي ، وأعاهد أن لا أقاتلك . فقال له رسول الله ﷺ : « لا أدعك تمسح عارضيك بمكّة ، وتقول : خدعت محمداً مرتين » . ثم أمر به فضربت عنقه . وذكر بعضهم أنه يومئذٍ قال رسول الله ﷺ : « لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين » .

فصل

قال ابن إسحاق[(٤)] : ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فلقيتْه حمنةُ بنت جحشٍ ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناسَ ونعي إليها أخوها عبد الله بن جحشٍ ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عميرٍ ، فصاحت

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٦) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٢٨٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٨) .

وولولت ، فقال رسول الله ﷺ : « إن زوج المرأة منها لبمكان » . لما رأى من تثبّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

وقد قال ابن ماجه(١) : ثنا محمد بن يحيى ، ثنا إسحاق بن محمدٍ الفَرْوي ، ثنا عبد الله بن عمر ، عن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جحشٍ ، عن أبيه ، عن حمنة بنت جحشٍ أنه قيل لها : قُتل أخوك . فقالت : رحمه الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . قالوا : قتل زوجك . قالت : واحزناه . فقال رسول الله ﷺ : « إن للزوج من المرأة لشعبةً ، ما هي لشيءٍ » !

قال ابن إسحاق(٢) : وحدّثني عبد الواحد بن أبي عونٍ ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاصٍ قال : مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينارٍ ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحدٍ ، فلما نعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أمّ فلانٍ ، هو بحمد الله كما تحبّين . قالت : أرُونيه حتى أنظر إليه . قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مصيبةٍ بعدك جللٌ .

قال ابن هشامٍ : الجَلل يكون من القليل ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل .

قال امرؤ القيس(٣) : [من المتقارب]

لقتل بني أسدٍ ربّهم ألا كلّ شيءٍ خلاه جلل

أي : صغيرٌ وقليلٌ .

قال ابن إسحاق(٤) : فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنيّة ، فوالله لقد صدقني في هذا اليوم » . وناولها عليّ بن أبي طالبٍ سيفه فقال : وهذا فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدقه معك سهل بن حُنيفٍ وأبو دُجانة » .

وقال موسى بن عقبة في موضعٍ آخر : ولما رأى رسول الله ﷺ سيف عليٍّ مخضّباً بالدّماء قال : « لئن كنتَ أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، والحارث بن الصّمّة ، وسهل بن حنيفٍ » .

وروى البيهقيُّ(٥) ، عن سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : جاء عليّ بن أبي طالبٍ بسيفه يوم أحدٍ وقد انحنى فقال لفاطمة : هاكِ السَّيف حميداً ؛ فإنها قد شفتْني .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩٠) وإسناده ضعيف .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٩) .
(٣) انظر « ديوانه » ص(٢٦١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٠) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٨٣) .

فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت أجدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيفٍ ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابتٍ ، والحارث بن الصّمّة » .

قال ابن هشامٍ[١] : وسيف رسول الله ﷺ هذا هو ذو الفقَار .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم ، عن ابن أبي نجيحٍ قال : نادى منادٍ يوم أحدٍ : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليٌّ[٢] .

قال : وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لعليٍّ : « لا يصيب المشركون منّا مثلها حتى يفتح الله علينا » .

قال ابن إسحاق[٣] : ومرّ رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنّوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله ﷺ ، فبكى ثم قال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . فلما رجع سعد بن معاذٍ ، وأُسيد بن الحضير إلى دار بني عبد الأشهل ، أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيبكين على عمّ رسول الله ﷺ .

فحدّثني[٤] حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حنيفٍ ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل قال : لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهنَّ وهنَّ على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : « ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتنّ بأنفسكن » . قال : ونهى رسول الله يومئذٍ عن النّوح . فيما قال ابن هشامٍ .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق منقطعٌ ، ومنه مرسلٌ .

وقد أسنده الإمام أحمد فقال : ثنا زيد بن الحباب ، حدّثني أسامة بن زيدٍ ، حدّثني نافعٌ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ لما رجع من أحدٍ ، فجعل نساء الأنصار يبكين على من قُتل من أزواجهنّ ، قال : فقال رسول الله ﷺ : « ولكنّ حمزة لا بواكي له » . قال : ثم نام فاستنبه ، وهنّ يبكين ، قال : « فهنَّ اليوم إذا يبكين يندبن حمزة ؟! » . وهذا على شرط مسلمٍ[٥] .

وقد رواه ابن ماجه[٦] ، عن هارون بن سعيدٍ ، عن ابن وهبٍ ، عن أسامة بن زيدٍ اللّيثيّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ مرّ بنساء بني عبد الأشهل يبكين هلكاهنّ يوم أحدٍ ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٠) .
(٢) قوله ﷺ : « ولا فتى إلا عليّ » سقط من (ط) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٩٩) .
(٤) القائل ابن إسحاق .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٠) ، قال ابن القطان الفاسي عن أسامة بن زيد الليثي لم يحتج به مسلم إنما أخرج له استشهاداً ، والحديث حسن .
(٦) رواه ابن ماجه رقم (١٥٩١) ، وهو حديث حسن .

« لكنّ حمزة لا بواكي له » فجاء نساء الأنصار يبكين حمزة ، فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال : « ويحهنّ! ما انقلبن بعدُ ؟! مروهنّ فلينقلبن ، ولا يبكين على هالكٍ بعد اليوم » .

وقال موسى بن عقبة : ولما دخل رسول الله ﷺ أزقَّة المدينة ، إذا النّوح والبكاء في الدّور ، فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذه نساء الأنصار يبكين قتلاهم . فقال : « لكنّ حمزة لا بواكي له » . واستغفر له ، فسمع ذلك سعد بن معاذٍ ، وسعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبلٍ ، وعبد الله بن رواحة ، فمشَوا إلى دورهم ، فجمعوا كلّ نائحةٍ وباكيةٍ كانت بالمدينة فقالوا : والله لا تبكين قتلى الأنصار حتى تبكين عمّ النبيّ ﷺ ، فإنه قد ذكر أنه لا بواكي له بالمدينة . وزعموا أن الذي جاء بالنّوائح عبد الله بن رواحة ، فلما سمع رسول الله ﷺ قال : « ما هذا ؟ » فأُخبر بما فعلت الأنصار بنسائهم ، فاستغفر لهم ، وقال لهم خيراً ، وقال : « ما هذا أردت ، وما أحبّ البكاء » ونهى عنه .

وهكذا ذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواءً .

قال موسى بن عقبة[١] : وأخذ المنافقون ، عند بكاء المسلمين ، في المكر والتّفريق عن رسول الله ﷺ وتحزين المسلمين ، وظهر غشّ اليهود ، وفارت المدينة بالنّفاق فَور المرجل ، وقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، ولكنّه طالب ملكٍ ؛ تكون له الدّولة وعليه . وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذين أصابوا منكم . فأنزل الله القرآن في طاعة من أطاع ونفاق من نافق ، وتعزية المسلمين ؛ يعني فيمن قتل منهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] الآيات كلّها ، كما تكلّمنا على ذلك في « التفسير »[٢] ولله الحمدُ والمنّة .

ذكر
خروج النبيّ ﷺ بأصحابه ، على ما بهم من القرح والجراح ، في أثر أبي سفيان ؛ إرهاباً له ولأصحابه حتى بلغ حمراء الأسد[٣]
وهي على ثمانية أميالٍ من المدينة

قال موسى بن عقبة[٤] بعد اقتصاصه وقعة أحدٍ وذِكره رجوعه ، عليه الصلاة والسلام ، إلى المدينة :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/٢١٦) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٩٠) وما بعدها ، و(٤/ ٦٩) وما بعدها .
(٣) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(١١٩ ـ ١٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٢١٧) .

وقدم رجلٌ من أهل مكة على رسول الله ﷺ ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ، فقال : نازلتُهم فسمعتهم يتلاومون ؛ يقول بعضهم لبعضٍ : لم تصنعوا شيئاً ؛ أصبتم شوكة القوم وحدّهم ، ثم تركتموهم ، ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوسٌ يجمعون لكم ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه ، وبهم أشدُّ القَرح ، بطلب العدوّ ؛ ليسمعوا بذلك ، وقال : « لا ينطلقنّ معي إلّا من شهد القتال » . فقال عبد الله بن أُبيّ : أنا راكبٌ معك . فقال : « لا » . فاستجابوا لله ولرسوله على الذي بهم من البلاء ، فانطلقوا ، فقال الله في كتابه العزيز : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] .

قال : وأذن رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته .

قال : وطلب رسول الله ﷺ العدوّ حتى بلغ حمراء الأسد .

وهكذا روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير سواءً .

وقال محمد بن إسحاق في « مغازيه » : وكان يوم أحدٍ يوم السبت النّصف من شوّالٍ ، فلما كان الغد من يوم الأحد لستّ عشرة ليلةً مضت من شوّالٍ ، أذّن مُؤَذِّنُ رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدوّ ، وأذّن مؤذّنه ألّا يخرجنّ أحدٌ إلّا من حضر يومنا بالأمس ، فكلّمه جابر بن عبد الله ، فأذن له .

قال ابن إسحاق[١] : وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنّوا به قوةً ، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم .

قال ابن إسحاق ، رحمه الله[٢] : فحدّثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابتٍ ، عن أبي السّائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال : شهدت أحداً أنا وأخٌ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ ، قلت لأخي وقال لي : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ؟ والله ما لنا من دابّةٍ نركبها ، وما منّا إلا جريحٌ ثقيلٌ ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غُلب حملته عقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميالٍ ، فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن هشامٍ : وقد كان استعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : حدّثني عبد الله بن أبي بكرٍ ، أن معبد بن أبي معبدٍ الخزاعيّ ، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصحٍ لرسول الله ﷺ بتهامة ، صفقهم معه ، لا يخفون عنه شيئاً كان بها ، ومعبدٌ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢) .

يومئذٍ مشركٌ ، مرّ برسول الله ﷺ وهو مقيمٌ بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم . ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حربٍ ومن معه بالرّوحاء ، وقد أجمعوا الرّجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟! لنكرّنّ على بقيتهم فلنفرغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمدٌ قد خرج في أصحابه ، يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطُّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرّقاً ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنَق عليكم شيءٌ لم أر مثله قطُّ . قال : ويلك ما تقول ؟ قال : واللهِ ما أُراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم ؛ لنستأصل شأفتهم . قال : فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت على أن قلتُ فيه أبياتاً من شعرٍ . قال : وما قلتَ ؟ قال: قلتُ[1] : [من البسيط]

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسدٍ كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل
فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سموا برئيسٍ غير مخذول
فقلت : ويل ابن حربٍ من لقائكمُ ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إني نذيرٌ لأهل البسل ضاحيةً ... لكلّ ذي إربةٍ منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخشٍ قنابلُه[2] ... وليس يُوصف ما أنذرت بالقيل

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؟ قال : فهل أنتم مبلّغون عني محمداً رسالةً أرسلكم بها إليه وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظٍ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه ، فأخبروه أنّا قد أجمعنا السّير إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيتهم . فمرّ الرّكب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وكذا قال الحسن البصريّ .

وقد قال البخاريُّ[3] : ثنا أحمد بن يونس ـ أُراه قال : ـ ثنا أبو بكرٍ ، عن أبي حَصينٍ ، عن أبي الضّحى ، عن ابن عباسٍ : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ . قالها إبراهيم ، عليه السلام ، حين أُلقي في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] تفرّد بروايته البخاريّ .

وقد قال البخاريُّ[4] : حدّثنا محمد بن سَلَامٍ ، حدّثنا أبو معاوية ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ،

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٣) .
(٢) في « السيرة النبوية » : لابن هشام « تنابلة » .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٥٦٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٧٧) .

رضي الله عنها ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] . قالت لعروة : يابن أُختي ، كان أبواك منهم ؛ الزُّبير ، وأبو بكرٍ ، رضي الله عنهما ، لمّا أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ وانصرف عنه المشركون ، خاف أن يرجعوا ، فقال : « من يذهب في إثرهم ؟ » فانتدب منهم سبعون رجلاً ، فيهم أبو بكرٍ والزُّبير . هكذا رواه البخاريّ .

وقد رواه مسلمٌ مختصراً[(١)] من أوجهٍ ، عن هشامٍ .

وهكذا رواه سعيد بن منصورٍ وأبو بكرٍ الحميديّ جميعاً ، عن سفيان بن عيينة[(٢)] .

وأخرجه ابن ماجه[(٣)] من طريقه ، عن هشام بن عروة به .

ورواه الحاكم في « مستدركه »[(٤)] من طريق أبي سعيدٍ المؤدّب ، عن هشام بن عروة به ، ورواه من حديث البهيّ ، عن عروة ، وقال في كلّ منهما : صحيحٌ ، ولم يخرجاه . كذا قال .

وهذا السياق غريبٌ جداً ؛ فإن المشهور عند أصحاب المغازي ، أنّ الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كلّ من شهد أحداً ، وكانوا سبعمئةٍ ، كما تقدّم ، قتل منهم سبعون ، وبقي الباقون .

وقد روى ابن جريرٍ[(٥)] من طريق العوفيّ ، عن ابن عباسٍ قال : إن الله قذف في قلب أبي سفيان الرّعب يوم أحدٍ ، بعد الذي كان منه ، فرجع إلى مكة ، وكانت وقعة أحدٍ في شوّالٍ ، وكان التّجّار يقدَمون في ذي القعدة المدينة ، فينزلون ببدرٍ الصّغرى في كلّ سنةٍ مرةً ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحدٍ ، وكان أصاب المسلمين القَرح ، واشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، واشتدّ عليهم الذي أصابهم ، وإن رسول الله ﷺ ندب الناس لينطلقوا معه ويتّبعوا ما كانوا متّبعين ، وقال : « إنما يرتحلون الآن فيأتون الحجّ ، ولا يقدرون على مثلها حتى عامٍ قابلٍ » . فجاء الشيطان يخوّف أولياءه ، فقال : إنّ الناس قد جمعوا لكم . فأبَى عليه الناس أن يتّبعوه ، فقال : « إني ذاهبٌ ، وإن لم يتّبعني أحدٌ » . فانتدب معه أبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطلحةُ ، والزُّبير ، وسعدٌ ، وعبد الرحمن بن عوفٍ ، وأبو عبيدة ، وابن مسعود ، وحذيفة ، في سبعين رجلاً ، فساروا في طلب أبي سفيان حتى بلغوا الصّفراء ، فأنزل الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ وهذا غريبٌ أيضاً .

وقال ابن هشامٍ[(٦)] : ثنا أبو عبيدة ، أن أبا سفيان بن حربٍ لمّا انصرف يوم أُحد أراد الرّجوع إلى

---

(١) رقم (٢٤١٨) .
(٢) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٣/ ١١٢٥) والحميدي في « مسنده » (٢٦٣) .
(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٢٤) .
(٤) (٢/ ٢٩٨) و(٣/ ٢٩) .
(٥) انظر « تفسير الطبري » (٤/ ١٧٧) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .

المدينة ، فقال لهم صفوان بن أميّة : لا تفعلوا ؛ فإن القوم قد حرِبوا[١] ، وقد خشينا أن يكون لهم قتالٌ غيرُ الذي كان ، فارجعوا . فرجعوا ، فقال النبيّ ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم همّوا بالرّجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوّمت لهم حجارةٌ ، لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب » . قال : وأخذ رسول الله ﷺ في وجهه ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمسٍ ، جدّ عبد الملك بن مروان لأُمّه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزّة الجمحيّ ، وكان رسول الله ﷺ قد أسره ببدرٍ ثم منّ عليه ، فقال : يا رسول الله ، أقلني . فقال : « لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير » . فضرب عنقه .

قال ابن هشامٍ[٢] : وبلغني عن ابن المسيّب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابتٍ » . فضرب عنقه .

وذكر ابن هشامٍ[٣] أن معاوية بن المغيرة بن أبي العاص استأمن له عثمان على أن لا يقيم بعد ثلاثٍ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ بعدها زيد بن حارثة وعمّار بن ياسرٍ ، وقال : « ستجدانه في مكان كذا وكذا فاقتلاه » . ففعلا ، رضي الله عنهما .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان عبد الله بن أُبيٍّ ، كما حدّثني الزهريّ ، له مقامٌ يقومه كلّ جمعةٍ ، لا ينكَر له ، شرفاً في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، وهو يخطب الناس ، قال فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزّكم به فانصروه وعزّروه واسمعوا له وأطيعوا . ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحدٍ ما صنع ، ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس أي عدوّ الله ، والله لست لذلك بأهلٍ ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدّد أمره . فلقيه رجالٌ من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلكَ ، ما لك ؟ قال : قمت أشدّد أمره فوثب إليّ رجالٌ من أصحابه يجذبونني ويعنّفونني ، لكأنما قلت بُجراً أن قمت أشدّد أمره . قالوا : ويلك ، ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ . قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

ثم ذكر ابن إسحاق[٥] ما نزل من القرآن في قصة أحدٍ من سورة « آل عمران » ، من عند قوله : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢١] . قال : إلى تمام ستين آيةً . وتكلّم عليها ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا « التفسير » بما فيه كفايةٌ . ثم شرع ابن إسحاق في

---

(١) أي : اشتد غضبهم . انظر « لسان العرب » (حرب) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٠٦) .

ذكر شهداء أحدٍ، وتعدادهم بأسمائهم وأسماء آبائهم على قبائلهم، كما جرت عادته ، فذكر من المهاجرين أربعةً ؛ حمزة ، ومصعب بن عميرٍ ، وعبد الله بن جحشٍ ، وشمّاس بن عثمان ، رضي الله عنهم ، ومن الأنصار إلى تمام خمسةٍ وستين رجلاً ، واستدرك عليه ابن هشامٍ خمسةً آخرين ، فصاروا سبعين على قول ابن هشامٍ ، ثم سمّى ابن إسحاق من قتل من المشركين ، وهم اثنان وعشرون رجلاً ، على قبائلهم أيضاً .

قلت : ولم يؤسَر من المشركين سوى أبي عزّة الجمحيّ ، كما ذكره الشافعيّ وغيره ، وقتله رسول الله ﷺ صبراً بين يديه ؛ أمر الزُّبيرَ ـ ويقال : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ـ فضرب عنقه .

فصل

فيما تقاول به المؤمنون والكُفَّارُ في وقعة أحدٍ من الأشعار

وإنما نورد شعر الكُفّار لنذكر جوابها من شعر الإسلام[١] ليكون أبلغ في وقعها من الأسماع والأفهام ، وأقطع لشبهة الكفرة[٢] الطّغَام .

قال الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما قيل من الشعر يوم أحدٍ ، قول هُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميّ ـ وهو على دين قومه من قريشٍ ـ : [من البسيط]

ما بال همّ عَميدٍ بات يطرقني ... بالودّ من هندَ إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هندٌ وتعذُلُني ... والحرب قد شغلت عنّي مواليها
مهلاً فلا تعذُليني إنّ من خُلُقي ... ما قد علمتِ وما إن لستُ أخفيها
مساعفٌ لبني كعبٍ بما كلفوا ... حمّال عبءٍ وَأَثْقَالٍ أعانيها
وقد حملت سلاحي فوق مشتَرفٍ ... ساطٍ سبوح إذا يجري يُبَاريها
كأنه إذْ جرى عَيرٌ بفدفدةٍ ... مكدّمٌ لاحقٌ بالعُون يحميها
من آل أعوج يرتاح النّديُّ له ... كجذع شعراء مستعلٍ مراقيها
أعددتُه ورقاق الحدّ منتخلاً ... ومارناً لخطوبٍ قد ألاقيها
هذا وبيضاء مثل النّهي محكمةً ... نِيطَتْ عليّ فما تبدو مساويها
سقنا كنانة من أطراف ذي يمنٍ ... عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة : أنّى تذهبون بنا ... قلنا : النّخيل ، فأمّوها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجرّ[٣] من أُحدٍ ... هابت معدٌّ فقلنا نحن نأتيها
هابوا ضراباً وطعناً صادقاً خذِماً ... مما يرون وقد ضمّت قواصيها

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٢٩) .
(٢) في (آ) : « الكُفّار » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) الجرّ : أصل الجبل .

ثمّتَ رحنا كأنّا عارضٌ بردٌ ... وقام هام بني النجّار يبكيها
كأنّ هامهم عند الوغى فلقٌ ... من قيض رُبدٍ نفته عن أداحيها
أو حنظلٌ ذعذعتْه الرِّيح في غصنٍ ... بالٍ تعاوره منها سوافيها
قد نبذل المال سَحّا لا حساب له ... ونطعنُ الخيل شزراً في مآقيها
وليلةٍ يصطلي بالفرث جازرها ... يختصّ بالنّقرى المثرين داعيها
وليلةٍ من جمادى ذات أنديةٍ ... جربى جُماديّةٍ قد بثّ أسريها
لا ينبَح الكلب فيها غير واحدةٍ ... من القريس ولا تسري أفاعيها
أَوقدتُ فيها لذي الضّرّاء جاحمةً ... كالبرق ذاكية الأركان أحميها
أورثني ذاكمُ عمرٌو ووالده ... من قبله كان بالمثني يغاليها
كانوا يبارون أنواء النجوم فما ... دنّت عن السّورة العليا مساعيها

قال ابن إسحاق[(١)] : فأجابه حسان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه ، فقال ـ قال ابن هشامٍ : وتروى لكعب بن مالكٍ ولغيره . قلت : وقول ابن إسحاق أشهر وأكثر ، والله أعلم ـ : [من البسيط]

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم ... إلى الرّسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحيةً ... فالنّار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموهم أحابيشاً بلا حسبٍ ... أئمة الكُفْر غرّتكم طواغيها
ألّا اعتبرتم بخيل الله إذ قَتلت ... أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمنٍ ... وجزِّ ناصيةٍ كنا مواليها

قال ابن إسحاق[(٢)]: وقال كعب بن مالكٍ، يجيب هُبيرة بن أبي وهبٍ المخزوميّ أيضاً: [من الطويل]

ألا هل أتى غسّان عنا ودونهم ... من الأرض خرقٌ سيره متنعنعُ
صحارٍ وأعلامٌ كأنّ قتامها ... من البعد نقعٌ هامدٌ متقطّع
تظلّ به البُزل العراميس رزّحاً ... ويخلو به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليبها ... كما لاح كتّان التّجار الموضّع
به العين والآرام يمشين خلفةً ... وبيض نعامٍ قيضه يتفلّع
مُجالدنا عن ديننا كلّ فخمةٍ ... مذرّبةٍ فيها القوانس تلمع
وكلّ صموتٍ في الصّوان كأنها ... إذا لبست نِهيٌ من الماء مترع

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣١) والأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ١٦٦) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٢) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(١٨٠ ـ ١٨٥) .

ولكن ببدرٍ سائلوا من لقيتمُ ... من النَّاس والأنباءُ بالغيب تنفع

وإنّا بأرض الخوف لو كان أهلها ... سوانا لقد أجلوا بليلٍ فأقشعوا

إذا جاء منّا راكبٌ كان قوله ... أعدّوا لما يزجي ابن حربٍ ويجمع

فمهما يهمّ الناس مما يكيدنا ... فنحن له من سائر الناس أوسع

فلو غيرنا كانت جميعاً تكيده الـ ... ـبريّة قد أعطوا يداً وتوزّعوا

نجالد لا تبقى علينا قبيلةٌ ... من الناسِ إلا أن يهابوا ويفظعوا

ولمّا ابتنوا بالعرض قالت سراتنا ... علام إذا لم نمنع العرض نزرع

وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلّع

تدلّى عليه الرّوح من عند ربّه ... ينزّل من جوّ السماء ويرفع

نشاوره فيما نريد وقصرنا ... إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع

وقال رسول الله لمّا بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيّات واطمعوا

وكونوا كمن يشري الحياة تقرّباً ... إلى ملكٍ يحيا لديه ويرجع

ولكن خذوا أسيافكم وتوكّلوا ... على الله إنّ الأمر لله أجمع

فسرنا إليهم جهرةً في رحالهم ... ضحيّا علينا البيض لا نتخشّع

بملمومةٍ فيها السَّنَوَّر والقنا ... إذا ضربوا أقدامها لا تورّع

فجئنا إلى موجٍ من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسرٌ ومقنّع

ثلاثة آلافٍ ونحن نصيّةٌ ... ثلاث مِئِينٍ إن كثرنا وأربع

نغاورهم تجري المنيّة بيننا ... نشارعهم حوض المنايا ونشرع

تهادى قسيّ النّبع فينا وفيهم ... وما هو إلّا اليثربيّ المقطّع

ومنجوفةٌ حِرميّةٌ صاعديّةٌ ... يذرُّ عليها السّمّ ساعة تصنع

تصوب بأبدان الرّجال وتارةً ... تمرّ بأعراض البصار تقعقع

وخيلٌ تراها بالفضاء كأنّها ... جراد صباً في قرّة يتريّع

فلمّا تلاقينا ودارت بنا الرّحا ... وليس لأمرٍ حمّه الله مدفع

ضربناهمُ حتى تركنا سَراتهم ... كأنّهمُ بالقاع خُشْبٌ مُصَرَّع

كدُنْ غُدوةً حتى استفقنا عشيّةً ... كأن ذكانا حرّ نارٍ تلفّع

وراحوا سراعاً موجعين كأنهم ... جهامٌ هراقت ماءه الريح مقلع

ورحنا وأخرانا بطاءٌ كأننا ... أسودٌ على لحمٍ ببيشة ظلّع

فنلنا ونال القوم منا وربما ... فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارت رحانا واستدارت رحاهمُ ... وقد جعلوا كُلٌّ من الشرّ يشبع

ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبّةً ... على كلّ من يحمي الذّمار ويمنع

جلادٌ على ريب الحوادث لا نرى ... على هالكٍ عيناً لنا الدّهرَ تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشيءٍ نقوله ... ولا نحن مما جرّت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفُحّشٍ ... ولا نحن من أظفارها نتوجّع
وكنّا شهاباً يتّقي الناس حرّه ... ويفرج عنه من يليه ويسفع
فخرت عليّ ابن الزّبعرى وقد سرى ... لكم طلبٌ من آخر الليل متبع
فسل عنك في عليا معدٍّ وغيرها ... من الناس مَنْ أخزى مقاماً وَأَشْنَعُ
ومن هو لم يترك له الحرب مفخراً ... ومن خدّه يوم الكريهة أضرع
شددنا بحول الله والنصر شدّةً ... عليكم وأطراف الأسنّة شرّع
تكرّ القنا فيكم كأن فروعها ... عزالي مزادٍ ماؤها يتهزّع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللّواء فهو في الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا ... أبى الله إلّا أمره وهو أصنع

[قال ابن إسحاق[١] : وقال عبد الله بن الزّبعري في يوم أحدٍ ، وهو يومئذٍ مشركٌ بعد : [من الرمل]

يا غُرَابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ ... إنّما تنطقُ شيئاً قد فُعِلْ
إنّ للخير وللشرّ مدى ... وكلا ذلك وجهٌ وقَبلْ
والعطيّات خساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبر مثرٍ ومقلْ
كلّ عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبنات الدّهر يلعبن بكلْ
أبلغنْ حسّان عنّي آيةً ... فقريض الشّعر يشفي ذا الغُللْ
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ ... وأكفّ قد أُترّت ورجلْ
وسرابيلَ حسانٍ سريت ... عن كماةٍ أهلكوا في المنتزلْ
كم قتلنا من كريمٍ سيّدٍ ... ماجد الجدّين مِقْدام بطلْ
صادق النّجدة قرمٍ بارعٍ ... غير ملتاثٍ لدى وقع الأسلْ
فسل المهراس ما ساكنه ... بين أقحافٍ وهامٍ كالحجلْ
ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسلْ
حين حكّت بقباءٍ بركها ... واستحرّ القتل في عبد الأشلْ
ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصاً ... رقص الحفّان يعلو في الجبلْ
فقتلنا الضّعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدلْ
لا ألوم النّفس إلّا أنّنا ... لو كررنا لفعلنا المفتعلْ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٣٦) والأبيات في « ديوان عبد الله بن الزبعرى » (٤١) وما بين الحاصرتين سقط من (آ) وأثبته عن (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

بسيوف الهند تعلو هامهم ... عللاً تعلوهمُ بعد نهل

قال ابن إسحاق[١] : فأجابه حسَّان بن ثابتٍ ، رضي الله عنه : [من الرمل]

ذهبت بابن الزّبعرى وقعةٌ ... كان منّا الفضل فيها لو عدلْ
ولقد نلتم ونلنا منكمُ ... وكذاك الحرب أحياناً دولْ
نضعُ الأسياف في أكتافكم ... حيث نهوي عللاً بعد نهلْ
نخرج الأصبح من أستاهكم ... كسُلاح[٢] النّيب يأكلن العصلْ
إذ تولّون على أعقابكم ... هرَّباً في الشّعب أشباه الرّسلْ
إذ شددنا شدّةً صادقةً ... فأجأناكم إلى سفح الجبلْ
بخناطيل كأمذاق الملا ... من يلاقوه من الناس يهلْ
ضاق عنا الشّعب إذ نجزعه ... وملأنا الفرط منه والرّجَلْ[٣]
برجالٍ لستمُ أمثالهم ... أُيّدوا جبريل نصراً فنزلْ
وعلونا يوم بدرٍ بالتّقى ... طاعة الله وتصديق الرّسلْ
وقتلنا كلّ رأسٍ منهمُ ... وقتلنا كلّ جحجاحٍ رفلْ
وتركنا في قريشٍ عورةً ... يوم بدرٍ وأحاديث المثلْ
ورسول الله حقاً شاهدٌ ... يوم بدرٍ والتّنابيل الهبلْ
في قريشٍ من جموعٍ جمّعوا ... مثل ما يجمع في الخصب الهملْ
نحن لا أمثالكم ولد استها ... نحضر البأس إذا البأس نزلْ

قال ابن إسحاق[٤] : وقال كعبٌ يبكي حمزة ومن قتل من المسلمين يوم أحدٍ ، رضي الله عنهم : [من المتقارب]

نشجتَ وهل لك من منشجِ ... وكنت متى تذّكر تلججِ
تذكُّر قومٍ أتاني لهم ... أحاديث في الزمن الأعوجِ
فقلبك من ذكرهم خافقٌ ... من الشّوق والحزن المنضجِ
وقتلاهمُ في جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرجِ
بما صبروا تحت ظلّ اللّواء ... لواء الرسول بذى الأضوجِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٣٧) والأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/٦٧ ـ ٦٨) .
(٢) السُّلاح بالضم : النَّجْوُ .
(٣) جمع رِجلة ، وهي المطمئن من الأرض .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/١٣٨) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(١٥٧ ـ ١٥٨) .

غـداة أجـابـت بـأسيـافهـا ... جميعـاً بنـو الأوس والخـزرجِ
وأشيـاع أحمـد إذ شـايعـوا ... علـى الحـقّ ذي النـور والمنهـجِ
فمـا بـرحـوا يضـربـون الكمـاة ... ويمضـون فـي القسطـل المرهـجِ
كـذلـك حتـى دعـاهـم مليـكٌ ... إلـى جنّـةٍ دوحـة المـولـجِ
كحمـزة لمّـا وفـى صـادقـاً ... بـذي هبّـةٍ صـارمٍ سلجـجِ
فَكُلهـم مـات حُـرَّ البـلاء ... علـى مِلّـة الله لـم يخْـرَجِ
فـلاقـاه عبـد بنـي نـوفـلٍ ... يبـربـر كـالجمـل الأدعـجِ
فـأوجـره حـربـةً كـالشّهـاب ... تلهّـب فـي اللّهـب المـوهَـجِ
ونعمـان أوفـى بميثـاقـه ... وحنظلـة الخيـر لـم يحنـجِ
عـن الحـقّ حتـى غـدت روحـه ... إلـى منـزلٍ فـاخـر الـزّبـرجِ
أولئـك لا مـن ثـوى منكـمُ ... مـن النـار فـي الـدّرك المـرتـجِ

قال ابن إسحاق[١] : وقال حسّان بن ثابتٍ يبكي حمزة ومن أصيب من المسلمين يوم أحدٍ ـ وهي على رويّ قصيدة أُمية بن أبي الصّلت في قتلى المشركين يوم بدرٍ .

قال ابن هشامٍ : ومن [أهل العلم بالشعر من] ينكر هذه لحسان ، والله أعلم ـ : [من مجزوء الرجز]

يـا مـيّ قـومـي فـانـدُبـنْ ... بسُحيـرةٍ شجـو النّـوائـحْ
كـالحـامـلات الـوقـر بـالثّقْـ ... ـل الملحّـات الـدّوالـحْ
المعـولات الخـامشـا ... ت وجـوه حـرّاتٍ صحـائـحْ
وكـأنّ سيـل دمـوعهـا الـ ... أنصـاب تخضـب بـالـذّبـائـحْ
ينقضـن أشعـاراً لهـنْ ... ـن هنـاك بـاديـة المسـائـحْ
وكـأنّهـا أذنـاب خيـ ... ـلٍ بـالضّحى شمسٍ روامـح
مـن بيـن مشـزورٍ ومَجْـ ... ـزورٍ يـذعـذع بـالبـوارح
يبكيـن شجـواً مسلبـا ... تٍ كـدّحتهـنّ الكـوادح
ولقـد أصـاب قلـوبهـا ... مجـلٌ لـه جلـبٌ قـوارح
إذ أقصـد الحـدثـان مَـن ... كنّـا نـرجّـي إذ نشـايـح
أصحـاب أُحْـد غـالهـم ... دهـرٌ ألـمّ لـه جـوارح
مـن كـان فـارسنـا وحـا ... مِينـا إذا بعـث المسـالـح
يـا حمـز لا والله لا ... أنسـاك مـا صـرّ اللّقـائـح

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥١) والأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢) .

لمنـــــاخ أيتـــــام وأضـ ـيــافٍ وأرملــةٍ تــلامــح
ولمـا ينـوب الـدّهـرُ فـي حـربٍ لحـربٍ وهـي لاقـحْ
يـا فـارسـاً يـا مـدرهـاً يـا حمز قد كنت المصامحْ
عنـا شـديـدات الخطـوب إذا ينـوب لهـن فـادحْ
ذكّـرتنـي أسـد الـرسـو ل وذاك مـدرهنـا المنـافـحْ
عنـــا وكـــان يعـــدّ إذ عـدّ الشّـريفـون الجحاجـحْ
يعلــو القمــاقـم جهـرةً سبـط اليـديـن أغـرّ واضـح
لا طـــائـــشٌ رعـــشٌ ولا ذو علّـةٍ بـالحمـل آنـحْ
بحـرٌ فليـس يغـبّ جـا راً منـه سيـبٌ أو منـادحْ
أودى شبـاب أولـي الحفـا ئـظ والثّقيلـون المـراجـح
المطعمـــون إذا المشـــا تـي مـا يصفّفهـنّ نـاضـح
لحـم الجـلاد وفـوقـه مـن شحمـه شطـبٌ شـرائـح
ليـدافعـوا عـن جـارهـم مـا رام ذو الضّغـن المكـاشـح
لهفـــي لشبـــانٍ رُزِئـ ـنـاهـم كـأنهـم المصـابـحْ
شـمّ بطـارقـةٍ غطـا رفـةٍ خضـارمـةٍ مسـامـح
المشتـرون الحمـد بـالأ مـوال إنّ الحمـد رابـحْ
والجـامـزون بلجمهـم يـومـاً إذا مـا صـاح صـائـح
مـن كـان يُـرمـى بـالنّـوا قـر مـن زمـانٍ غيـر صـالـح
مـا إن تـزال ركـابـه يـرسمـن فـي غُبـرٍ صحـاصـح
راحـت تبـارى وهـو فـي ركـبٍ صـدورهـمُ رواشـح
حتـى تَـؤُوبَ لـه المعـا لـي ليـس مـن فـوز السّفـائـح
يـا حمـز قـد أوحـدتنـي كـالعـود شـذّبـه الكـوافـح
أشكـو إليـك وفـوقـك التّـ ـرب المكـوّر والصّفـائـح
مـن جنـدلٍ يلقيـه فوقك إذ أجاد الضّرح ضارح
فـي واسـعٍ يحشـونـه بـالتُّـرب سـوّتـه المماسـح
فعـزاؤنـا أنّـا نقـو ل وقـولنـا بـرحٌ بـوارح
مـن كـان أمسـى وهـو عمْـ ـمـا أوقـع الِحـدثـان جـانـح
فليـأتنـا فلتبـك عيـ ـنـاه لهلكـانـا النّـوافـح
القـائليـن الفـاعليـ ـن ذوي السّماحة والممادح
مـن لا يـزال نـدى يـديـ ـه لـه طـوال الـدّهـر مـائـحْ

قال ابن هشام[١] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال كعب بن مالكٍ يبكي حمزة وأصحابه : [من الكامل]

طـرقـتْ همـومـك فـالـرّقـاد مسهّـدُ ... وجـزعـت أن سلـخ الشبـاب الأغيـدُ

ودعـت فـؤادك للهـوى ضمـريّـةٌ ... فهـواك غـوريٌّ وصحـوك منجـدُ

فـدع التّمـاديَ فـي الغـوايـة سـادراً ... قـد كنـت فـي طلـب الغـوايـة تفنـدُ

ولقـد أنـى لـك أن تنـاهـى طـائعـاً ... أو تستفيـق إذا نهـاك المـرشـد

ولقـد هـددت لفقـد حمـزة هـدّةً ... ظلّـت بنـات الجـوف منهـا تـرعـد

ولـو انّـه فجعـت حـراء بمثلـه ... لـرأيـت راسـيَ صخـرهـا يتبـدّد

قـرمٌ تمكّـن فـي ذؤابـة هـاشـمٍ ... حيـث النّبـوّة والنّـدى والسّـؤدُد

والعـاقـر الكـوم الجـلاد إذا غـدت ... ريـحٌ يكـاد المـاء منهـا يجمـد

والتـارك القـرن الكمـيّ مجـدّلاً ... يـوم الكـريهـة والقنـا يتقصّـد

وتـراه يـرفُـل فـي الحـديـد كـأنـه ... ذو لبـدةٍ ششـن البـراثـن أربـد

عـمّ النبـيّ محمـدٍ وصفيّـه ... ورد الحِمـام فطـاب ذاك المـورد

وأتـى المنيّـة معلمـاً فـي أسـرةٍ ... نصـروا النبـيّ ومنهـمُ المستشهـدُ

ولقـد إخـال بـذاك هنـداً بشّـرت ... لتميـت داخـل غصّـةٍ لا تبـرد

ممـا صبحنـا بـالعقنقـل قـومهـا ... يـومـاً تغيّـب فيـه عنهـا الأسعـد

وببئـر بـدرٍ إذ يـردّ وجـوههـم ... جبـريـل تحـت لـوائنـا ومحمـد

حتـى رأيـت لـدى النبـيّ سـراتهـم ... قسميـن يقتـل مـن يشـاء ويطـرد

فـأقـام بـالعطـن المعطّـن منهـمُ ... سبعـون عتبـة منهـم والأسـودُ

وابـن المغيـرة قـد ضـربنـا ضَـرْبَـةً ... فـوق الـوريـد لهـا رشـاشٌ مـزبـد

وأميّـة الجمحـيّ قـوّم ميلـه ... عضـبٌ بـأيـدي المـؤمنيـن مهنّـد

فـأتـاك فَـلّ المشـركيـن كـأنّهـم ... والخيـل تثفنهـم نعـامٌ شـرّد

شتّـان مـن هـو فـي جهنّـم ثـاويـاً ... أبـداً ومـن هـو فـي الجنـان مخلّـد

قال ابن إسحاق[٣] : وقال عبد الله بن رواحة يبكي حمزة وأصحابه يوم أحدٍ ـ قال ابن هشامٍ : وأنشدنيها أبو زيدٍ لكعب بن مالكٍ ، فالله أعلم ـ : [من الوافر]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٥٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٦٢) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك الأنصاري » ص(٢٠٠ ـ ٢٠١) .

بكت عيني وحُقّ لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويلُ
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسولُ
أبا يعلى لك الأركان هدّت ... وأنت الماجد البرّ الوصول
[عليك سلام ربّك في جنانٍ ... مخالطها نعيمٌ لا يزول]
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسنٌ جميل
رسول الله مصطبرٌ كريمٌ ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغٌ عني لؤيّا ... فبعد اليوم دائلةٌ تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يُشفى الغليل
نسيتم ضربنا بِقَلِيب بدرٍ ... غداة أتاكمُ الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهلٍ صريعاً ... عليه الطير حائمةً تجول
وعتبة وابنه خرَّا جميعاً ... وشيبة عضّه السيف الصّقيل
ومتركنا أميّة مجلعبَّاً ... وفي حيزومه لدْنٌ نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها ... ففي أسيافنا منها فلول[١]
ألا يا هند فابكي لا تملّي ... فأنت الواله العبرى الهبول
ألا يا هند لا تبدي شماتاً ... بحمزة إنّ عزّكمُ ذليلُ

قال ابن إسحاق[٢] : وقالت صفيّة بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب ـ وهي أمّ الزّبير ، عمّة النبيّ ﷺ ، ورضي الله عنهم أجمعين ـ : [من الطويل]

أسائلةٌ أصحاب أُحْدٍ مخافةً ... بنات أبي من أعجمٍ وخبيرِ
فقال الخبير إنّ حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزيرِ
دعاه إله الحقّ ذو العرش دعوةً ... إلى جنةٍ يحيا بها وسرورِ
فذلك ما كنا نرجّي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصيرِ
فوالله لا أنساك ما هبّت الصَّبا ... بكاءً وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مِدرها ... يذود عن الإسلام كلّ كفور
فيا ليت شِلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أصبغٍ تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النّعيّ عشيرتي ... جزى الله خيراً من أخٍ ونصيرِ

---

(١) تأخر هذا البيت في (آ) إلى ما بعد البيت الذي بعده .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وقالت نُعْمُ امرأة شمّاس بن عثمان تبكي زوجها : [من البسيط]

يا عين جودي بفيضٍ غير إبساسِ ... على كريمٍ من الفتيان لبّاس
صعب البديهة ميمونٍ نقيبته ... حمّال ألويةٍ ركّاب أفراس
أقول لمّا أتى الناعي له جزعاً ... أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي
وقلت لمّا خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله منا قرب شمّاس

قال : فأجابها أخوها الحكم بن سعيد بن يربوعٍ يعزّيها فقال : [من البسيط]

إقْنَيْ حياءك في سترٍ وفي كرمٍ ... فإنّما كان شمّاسٌ من الناس
لا تقتلي النّفس إذ حانت منيّته ... في طاعة الله يوم الرَّوع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبري ... فذاق يومئذٍ من كأس شمّاس

وقالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ، حين رجعوا من أحدٍ : [من الطويل]

رجعتُ وفي نفسي بلابل جمّةٌ ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي
من أصْحابِ بدرٍ من قريشٍ وغيرهم ... بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنّني قد نلت شيئاً ولم يكن ... كما كنت أرجو في مسيري ومركبي

وقد أورد ابن إسحاق في هذا أشعاراً كثيرةً ، تركنا كثيراً منها ، خشية الإطالة وخوف الملالة ، وفيما ذكرنا كفايةٌ ، ولله الحمد .

وقد أورد الأمويّ في « مغازيه » من الأشعار أكثر ممّا ذكره ابن إسحاق ، كما جرت عادته ، ولا سيّما هاهنا ، فمن ذلك ما ذكره لحسان بن ثابتٍ أنّه قال في غزوة أحد ـ فالله أعلم ـ : [من الرمل]

طاوَعوا الشيطان إذ أخزاهم ... فاستبان الخزي فيهم والفشل
حين صاحوا صيحةً واحدةً ... معْ أبي سفيان قالوا اعل هبل
فأجبناهم جميعاً كلّنا ... ربّنا الرحمن أعلى وأجلّ
أُثبتوا نسقيكموها مُرّةً ... من حياض الموت والموت نهل
واعلموا أنّا إذا ما نضّجت ... عن حيال الموت قدرٌ تشتعل

وكأنّ هذه الأبيات قطعةٌ من جوابه لعبد الله بن الزّبعرى[٢] ، والله أعلم .

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٧ ـ ١٦٨) .
(٢) وقد تقدمت في ص (٢٣٦) من هذا الجزء .

آخر الكلام على وقعة أحدٍ

فصلٌ

قد تقدّم ما وقع في هذه السنة الثالثة من الحوادث والغزوات والسّرايا ، ومن أشهرها وقعة أحدٍ ، وكانت في النصف من شوالٍ منها ، وقد تقدّم بسطها ، ولله الحمد .

وفيها في أحدٍ توفّي شهيداً أبو يعلى ، ويقال : أبو عمارة . أيضاً ؛ حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، الملقّب بأسد الله وأسد رسوله ، وكان رضيع النبيّ ﷺ[١] ، هو وأبو سلمة بن عبد الأسد ، أرضعتهم كلّهم ثويبة مولاة أبي لهبٍ ، كما ثبت ذلك في الحديث المتفق عليه[٢] ، فعلى هذا يكون قد جاوز الخمسين من السنين يوم قتل ، رضي الله عنه ، فإنّه كان من الشجعان الأبطال ، ومن الصدّيقين الكبار ، وقتل معه يومئذٍ تمام السبعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال مصعبٌ الزّبيريّ : ولد ليعلى بن حمزة خمسة بنين ، كلّهم انقرضوا . وكانت له بنتٌ لها : عُمارة .

قلت : وهي التي تناولها عليٌّ ، وقال لفاطمة : دونك ابنة عمّك ، فاختصم في حضانتها عليٌّ وزيد بن حارثة وجعفرٌ ، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها امرأة جعفرٍ ، وقال : « الخالة بمنزلة الأمّ »[٣] .

وفيها عقد عثمان بن عفّان عقده[٤] على أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، بعد وفاة أختها رُقَيّة ، وكان عقده عليها في ربيع الأول منها ، وبنى بها في جمادى الآخرة منها ، كما تقدّم ، فيما ذكره الواقديّ .

وفيها ، قال ابن جريرٍ[٥] : ولد لفاطمة بنت رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ بن أبي طالبٍ . قال : وفيها علقت بالحسين ، رضي الله عنهم أجمعين .

***

---

(١) أي شاركه الرَّضاع .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٦٤٥) و(٥١٠٠) ومسلم رقم (١٤٤٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رضاع النبي ﷺ وحمزة رضي الله عنه ، والبخاري رقم (٥١٠١) و(٥١٠٦) و(٥١٠٧) و(٥١٢٣) و(٥٣٧٢) ومسلم رقم (١٤٤٩) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها ، في رضاعه ﷺ وأبي سلمة بن عبد الأسد .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ورواه أحمد في « المسند » (١/ ١١٥) وأبو داود رقم (٢٢٨٠) من حديث علي رضي الله عنه .

(٤) لفظ « عقده » لم ترد في (ط) .

(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٣٧) .

سنة أربع من الهجرة النبويّة

في المحرّم منها كانت سريّة أبي سلمة بن عبد الأسد إلى طليحة الأسديّ ، فانتهى إلى ماءٍ يقال له : قطنٌ .

قال الواقديّ[١] : ثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيدٍ اليربوعيّ ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره ، قالوا : شهد أبو سلمة أحداً ، فجرح جرحاً على عضده ، فأقام شهراً يداوى ، فلمّا كان هلال[٢] المحرّم على رأس خمسةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، دعاه رسول الله ﷺ فقال : « اخرج في هذه السّريّة ، فقد استعملتك عليها » . وعقد له لواءً وقال : « سر حتى أرض بنى أسدٍ ، فأغرعليهم » . وأوصاه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وخرج معه في تلك السّرية خمسون ومئةٌ ، فانتهى إلى أدنى قطنٍ ، وهو ماءٌ لبني أسدٍ ، وكان هناك طليحة الأسديّ وأخوه سلمة ابنا خويلدٍ ، وقد جمعا خلقاً من بني أسدٍ ليقصدوا حرب النبيّ ﷺ ، فجاء رجلٌ منهم إلى النبيّ ﷺ فأخبره بما تمالؤوا عليه ، فبعث معه أبا سلمة في سريّته هذه ، فلما انتهوا إلى أرضهم ، تفرّقوا وتركوا نعَماً كثيراً لهم من الإبل والغنم ، فأخذ ذلك كلّه أبو سلمة ، وأسر منهم معه ثلاثة مماليك ، وأقبل راجعاً إلى المدينة ، فأعطى ذلك الرجل الأسديّ الذي دلّهم نصيباً وافراً من المغنم ، وأخرج صفيّ النبيّ ﷺ ؛ عبداً ، وخمّس الغنيمة ، وقسمها بين أصحابه ، ثم قدم المدينة .

قال عمر بن عثمان : فحدّثني عبد الملك بن عميرٍ ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوعٍ ، عن عمر بن أبي سلمة قال : كان الذي جرح أبي أبو أسامة الجشميّ ، فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فيما نرى ، وبعثه رسول الله ﷺ في المحرّم - يعني من سنة أربع - إلى قطنٍ ، فغاب بضع عشرة ليلةً ، فلمّا دخل المدينة انتقض به جرحه ، فمات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى .

قال عمر : واعتدّت أمي حتى خلت أربعة أشهرٍ وعشر ، ثم تزوّجها رسول الله ﷺ ودخل بها في ليالٍ بقِين من شوّالٍ ، وكانت أمي تقول : ما بأسٌ بالنكاح في شوال والدخول فيه ، وقد تزوّجني رسول الله ﷺ في شوّالٍ وأعرس بي فيه[٣] .

---

(١) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٣٤٠) .

(٢) لفظ « هلال » لم يرد في (ط) .

(٣) في (ط) : « قد تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وبنى فيه » .

قال : وماتت أمّ سلمة في ذي القعدة سنة تسعٍ وخمسين . رواه البيهقيّ[١] .

قلت : سنذكر في أواخر هذه السنة في شوّالها تزويج النبيّ ﷺ بأمّ سلمة ، وما يتعلّق بذلك من ولاية الابن أمّه في النّكاح ، ومذاهب العلماء في ذلك ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

غزوة الرّجيع[٢]

قال الواقديّ : وكانت في صفرٍ ـ يعني سنة أربعٍ ـ بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ليخبروه . قال : والرّجيع على سبعة أميالٍ من عُسفان .

قال البخاريّ[٣] : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا هشام بن يوسف ، عن معمرٍ ، عن الزّهريّ ، عن عمرو بن أبي سفيان الثّقفيّ ، عن أبي هريرة قال : بعث النبيّ ﷺ سريّةً عيناً ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابتٍ ، وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكّة ، ذكروا لحيٍّ من هذيلٍ يقال لهم : بنو لحيان ، فتبعوهم بقريبٍ من مئة رامٍ ، فاقتصّوا آثارهم ، حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمرٍ تزوّدوه من المدينة ، فقالوا : هذا تمر يثرب . فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجؤوا إلى فدفدٍ ، وجاء القوم فأحاطوا بهم ، فقالوا : لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ؛ ألاّ نقتل منكم رجلاً . فقال عاصمٌ : أمّا أنا فلا أنزل في ذمة كافرٍ ، اللهم أخبر عنا رسولك . فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفرٍ با لنّبل ، وبقي خبيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخر ، فأعطوهم العهد والميثاق ، فلمّا أعطوهم العهد والميثاق ، نزلوا إليهم ، فلمّا استمكنوا منهم ، حلّوا أوتار قسيّهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذي معهما : هذا أول الغدر . فأبى أن يصحبهم ، فجرّوه ، عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل ، فقتلوه ، وانطلقوا بخبيبٍ وزيدٍ حتى باعوهما بمكة ، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان خبيبٌ هو قتل الحارث يوم بدرٍ ، فمكث عندهم أسيراً ، حتى إذا أجمعوا قتله ، استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها فأعارته . قالت : فغفلت عن صبيٍّ لي ، فدرج إليه حتى أتاه ، فوضعه على فخذه ، فلمّا رأيته فزعت فزعةً عرف ذلك مني ، وفي يده الموسى ، فقال : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله . وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته يأكل من قطف عنبٍ وما بمكة يومئذٍ ثمرةٌ ، وإنه لموثَقٌ في الحديد ، وما كان إلا رزقاً رزقه الله . فخرجوا به من الحرم ليقتلوه ، فقال : دعوني أصلّي ركعتين . ثم انصرف إليهم فقال : لولا أن تروا أنّ ما بي جزعٌ من الموت لزدت . فكان

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣١٩) .

(٢) انظر « الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٥٣ ـ ١٥٤) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٨٦) .

أوّل من سنّ الركعتين عند القتل هو ، ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً . ثم قال : [من الطويل]

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلماً ... على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّع

قال : ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله ، وبعثت قريشٌ إلى عاصمٍ ؛ ليؤتَوا بشيءٍ من جسده يعرفونه ، وكان عاصمٌ قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدرٍ ، فبعث الله عليه مثل الظُّلّة من الدَّبْر ، فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا منه على شيءٍ .

وقال البخاريّ[١] : ثنا عبد الله بن محمدٍ ، ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله يقول : الذي قتل خبيباً هو أبو سِروعة .

قلت : واسمه عقبة بن الحارث ، وقد أسلم بعد ذلك ، وله حديثٌ في الرّضاع ، وقد قيل : إن أبا سِروعة وعقبة أخوان ، فالله أعلم .

هكذا ساق البخاريّ في كتاب المغازي من « صحيحه » قصة أصحاب الرّجيع .

ورواه أيضاً في التوحيد وفي الجهاد[٢] ، من طرقٍ ، عن الزهريّ ، عن عَمْرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثّقفي حليف بني زهرة ، ومنهم من يقول : عُمَر بن أبي سفيان . والمشهور عَمْرٌو .

وفي لفظٍ للبخاريّ[٣] : بعث رسول الله ﷺ عشرة رهطٍ سريّةً عيناً ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح . وساق نحوه .

وقد خالفه محمد بن إسحاق ، وموسى بن عقبة وعروة بن الزّبير في بعض ذلك ، ولنذكر كلام ابن إسحاق ؛ ليعرف ما بينهما من التفاوت والاختلاف ، على أنّ ابن إسحاق إمامٌ في هذا الشأن ، وغير مدافعٍ ، كما قال الشافعيّ ، رحمه الله : من أراد المغازي فهو عِيالٌ على محمدٍ بن إسحاق .

قال محمد بن إسحاق[٤] ، رحمه الله : ثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال : قدم على رسول الله ﷺ بعد أحدٍ رهطٌ من عضلٍ والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقّهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستةً من أصحابه وهم ؛ مَرثد بن أبي مرثدٍ الغنويّ ، حليف حمزة بن عبد المطلب ـ قال ابن إسحاق : وهو أمير القوم ـ وخالد بن البكير اللّيثيّ ، حليف بني عديٍّ ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بني عمرو بن عوفٍ ، وخبيب بن عديٍّ ، أخو بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوفٍ ، وزيد بن الدّثنة ، أخو بني

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٨٧) .
(٢) من « صحيحه » رقم (٧٤٠٢) و(٣٠٤٥) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣٠٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٩) .

بياضة بن عامرٍ ، وعبد الله بن طارقٍ ، حليف بني ظَفرٍ . رضي الله عنهم . هكذا قال ابن إسحاق أنّهم كانوا ستةً ، وكذا ذكر موسى بن عقبة[١] ، وسمّاهم كما قال ابن إسحاق .

وعند البخاريّ أنهم كانوا عشرةً ، وعنده أنّ أميرهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرّجيع ـ ماءٍ لهذيلٍ بناحية الحجاز ، من صدور الهدأة ـ غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلم يرع القوم ـ وهم في رحالهم ـ إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكن عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم . فأما مرثدٌ وخالد بن البكير وعاصم بن ثابتٍ فقالوا : والله لا نقبل من مشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً . وقال عاصم بن ثابتٍ : [من الرجز]

ما عِلّتي وأنا جلدٌ نابل ... والقوس فيها وَتَرٌ عنابل

تزلّ عن صفحتها المعابل ... الموت حقّ والحياة باطل

وكلّ ما حمّ الإله نازل ... بالمرء والمرء إليه آيل

إن لم أقاتلكم فأمّي هابل

وقال عاصمٌ أيضاً : [من الرجز]

أبو سليمان وريش المقعد ... وضالةٌ مثل الجحيم الموقد

إذا النّواجي افترشت لم أرعد ... ومجنأٌ من جلد ثورٍ أجرد

ومؤمنٌ بما على محمد

وقال أيضاً : [من الرجز]

أبو سليمان ومثلي رامى ... وكان قومي معشراً كراما

قال : ثم قاتل حتى قتل ، وقتل صاحباه ، فلمّا قتل عاصمٌ ، أرادت هذيلٌ أخذ رأسه ؛ ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شُهَيدٍ[٣] ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحدٍ ؛ لئن قدرت على رأس عاصمٍ ، لتشربنّ في قِحفه الخمر ، فمنعته الدّبْر ـ هكذا ذكره البخاريّ بعد وصول خبيبٍ وزيد بن الدّثنة إلى مكة . وهذا الذي ذكره ابن إسحاق أنسب ـ قال : فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصماً فذهب به ، وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً ؛ تنجّساً ، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدّبْر منعته :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٦٩) .
(٣) في (آ) و(ط) : « سهيل » .

يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصمٌ نذر أن لا يمسه مشركٌ ، ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته .

قال ابن إسحاق[١] : وأما خبيبٌ وزيد بن الدّثنة وعبد الله بن طارقٍ فلانوا ورقّوا ورغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم فأشروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظّهران ، انتزع عبد الله ابن طارقٍ يده من القِران ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره بالظّهران ، وأما خبيب بن عديٍّ ، وزيد بن الدّثنة ، فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشامٍ : فباعوهما من قريشٍ بأسيرين من هذيلٍ كانا بمكّة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيباً حجير بن أبي إهابٍ التّميميّ ، حليف بني نوفلٍ لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفلٍ ، وكان أبو إهابٍ أخا الحارث بن عامرٍ لأمّه ؛ ليقتله بأبيه . قال : وأما زيد بن الدّثنة فابتاعه صفوان بن أمية ؛ ليقتله بأبيه ، فبعثه مع مولى له يقال له : نسطاسٌ . إلى التّنعيم ، وأخرجه من الحرم ليقتله ، واجتمع رهطٌ من قريشٍ ، فيهم أبو سفيان بن حربٍ ، فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحبّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحبّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكةٌ تؤذيه وأني جالسٌ في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً . قال : ثم قتله نسطاسٌ . قال : وأما خبيب بن عديّ ، فحدّثني عبد الله بن أبي نجيحٍ ، أنه حدّث عن ماويّة مولاة حجير بن أبي إهابٍ ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيبٌ عندي ، حبس في بيتي ، فلقد أطّلعت عليه يوماً ، وإنّ في يده لقِطفاً من عنبٍ مثل رأس الرّجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي نجيح أنهما قالا : قالت : قال لي حين حضره القتل : ابعثي إليّ بحديدةٍ أتطهّر بها للقتل . قالت : فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل البيت . قالت : فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجلٍ . فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ، ثم قال : لعمرك ما خافت أمّك غدري [حين] بعثتك بهذه الحديدة إليّ ، ثمّ خلّى سبيله .

قال ابن هشامٍ : ويقال : إنّ الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصمٌ : ثم خرجوا بخبيبٍ ، حتى جاءوا به إلى التّنعيم ليصلُبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدَعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمّهما وأحسنهما ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧١) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٢) .

ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أني إنما طوّلت جزعاً من القتل ، لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيبٌ أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

قال : ثم رفعوه على خشبةٍ ، فلمّا أوثقوه قال : اللهمّ إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك ، فبلّغه الغداة ما يصنع بنا . ثم قال : اللهمّ أحصهم عدداً ، واقتلهم بَدَداً ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه . وكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذٍ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيبٍ ، وكانوا يقولون : إنّ الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه ، زلّت عنه .

فائدةٌ : قال السّهيليّ(١) : وإنّما صارت الركعتان سنّةً ـ يعني عند القتل ـ لأنها فعلت في زمان النبيّ ﷺ ، فأقرّ عليها ، واستحسنت من صنيعه . قال : وقد صلاّها زيد بن حارثة في حياة النبيّ ﷺ . ثم ساق(٢) بإسناده من طريق أبي بكر بن أبي خيثمة ، عن يحيى بن معينٍ ، عن يحيى بن عبد الله بن بكيرٍ ، عن اللّيث بن سعدٍ قال : بلغني أنّ زيد بن حارثة استأجر من رجلٍ بغلاً من الطائف ، واشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء ، فمال به إلى خربةٍ ، فإذا بها قتلى كثيرةٌ ، فلمّا همّ بقتله قال له زيدٌ : دعني حتى أصلّي ركعتين . فقال : صلّ ركعتين ، لطالما صلّى هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً . قال : فصلّيت ثم جاء ليقتلني ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا صارخٌ يقول : لا تقتله . فهاب وذهب ينظر ، فلم ير شيئاً ، ثم جاء ليقتلني فقلت : يا أرحم الراحمين . فسمع أيضاً الصوت يقول : لا تقتله . فذهب لينظر ثم جاء ، فقلت : يا أرحم الراحمين . فإذا أنا بفارسٍ على فرسٍ ، في يده حربةٌ في رأسها شُعْلةٌ من نارٍ ، فطعنه بها حتى أنفذه فوقع ميتاً . ثم قال : لمّا دعوتَ الله في المّرة الأولى كنت في السماء السابعة ، ولمّا دعوته في المّرة الثانية كنت في السماء الدّنيا ، ولمّا دعوته في الثالثة أتيتك . قال السّهيليّ : وقد صلاّها حجر بن عديٍّ بن الأدبر حين حمل إلى معاوية من العراق ، ومعه كتاب زياد بن أبيه ، وفيه أنّه خرج عليه وأراد خلعه ، وفي الكتاب شهادة جماعةٍ من التابعين ، منهم الحسن وابن سيرين ، فلمّا دخل على معاوية قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . قال : أوَ أنا أمير المؤمنين ؟ وأمر بقتله ، فصلّى ركعتين قبل قتله ، رحمه الله . قال : وقد عاتبت معاوية عائشة في قتله ، فقال : إنّما قتله من شهد عليه . ثم قال : دعيني وحجراً ، فإنّي سألقاه على الجادّة يوم القيامة . قالت : فأين ذهب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : حين غاب عنّي مثلك من قومي .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »(٣) : أنّ خبيباً وزيد بن الدّثنة قتلا في يومٍ واحدٍ ، وأنّ رسول الله ﷺ سمع يوم قتلا وهو يقول : « وعليكما ـ أو عليك ـ السلام ، خبيبٌ قتلته قريشٌ » .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ١٩٢) .

(٢) يعني السهيلي .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٢٦) .

وذكر أنّهم لمّا صلبوا زيد بن الدّثنة ، رموه بالنّبل ليفتنوه عن دينه ، فما زاده إلاّ إيماناً وتسليماً . وذكر عروة وموسى بن عقبة أنّهم لمّا رفعوا خبيباً على الخشبة ، نادَوه يناشدونه : أتحبّ أنّ محمداً مكانك ؟ قال : لا والله العظيم ، ما أحبّ أن يفديني بشوكةٍ يشاكها في قدمه . فضحكوا منه . وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدّثنة . فالله أعلم .

قال موسى بن عقبة : زعموا أنّ عمرو بن أمية دفن خبيباً .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبادٍ ، عن عقبة بن الحارث قال : سمعته يقول : والله ما أنا قتلت خبيباً ؛ لأنّي كنت أصغر من ذلك ، ولكنّ أبا ميسرة أخا بني عبد الدار أخذ الحربة ، فجعلها في يدي ، ثم أخذ بيدي وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بعض أصحابنا قال : كان عمر بن الخطّاب استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيم الجمحيّ على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشيةٌ وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر وقيل : إن الرجلَ مصابٌ . فسأله عمر في قَدمةٍ قدمها عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأسٍ ، ولكنّي كنت فيمن حضر خبيب بن عديّ حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلسٍ قطّ إلاّ غشي عليّ . فزادته عند عمر خيراً .

وقد قال الأمويّ : حدّثني أبي قال : قال ابن إسحاق : وبلغنا أنّ عمر قال : من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ نسيج وحده فلينظر إلى سعيد بن عامرٍ .

قال ابن هشامٍ[٣] : أقام خبيبٌ في أيديهم حتى انسلخت الأشهر الحرم ثم قتلوه .

وقد روى البيهقيّ ، من طريق إبراهيم بن إسماعيل ، حدّثني جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه ، عن جدّه عمرو بن أمية ، أنّ رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده ، قال : جئت إلى خشبة خبيبٍ فرقيت فيها وأنا أتخوّف العيون ، فأطلقتُه فوقع إلى الأرض ، ثم اقتحمت فانتبذت قليلاً ، ثم التفتّ فلم أر شيئاً ، فكأنّما ابتلعته الأرض ، فلم تذكر لخبيبٍ رمّةٌ حتى الساعة .

ثم روى ابن إسحاق[٤] ، عن محمد بن أبي محمدٍ ، عن سعيدٍ أو عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : لمّا قتل أصحاب الرّجيع قال ناسٌ من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لا هم أقاموا في أهليهم ، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم . فأنزل الله فيهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] . وما بعدها . وأنزل الله في أصحاب السّريّة :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٣ ـ ١٧٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٤) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٤) .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

قال ابن إسحاق : وكان ممّا قيل من الشعر في هذه الغزوة قول خبيبٍ حين أجمعوا على قتله ـ قال ابن هشامٍ : ومن الناس من ينكرها له ـ : [من الطويل]

لقد جمّع الأحزاب حولي وألّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كلّ مجمعِ
وكلّهم مبدي العداوة جاهدٌ ... عليّ لأنّي في وثاقٍ مضيّعِ
وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقرّبتُ من جذعٍ طويلٍ ممنّعِ
إلى الله أشكو غربتي ثم كُربتي ... وما أرصد الأعداءُ لي عند مَصْرَعي
فذا العرش صبّرني على ما يُراد بي ... فقد بضّعوا لحمي وقد ياس مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأْ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّعِ
وقد خيّروني الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حِذار الموت إنّي لميّتٌ ... ولكن حذاري جحم نارٍ ملفّعِ
فوالله ما أرجو إذا متّ مسلماً ... على أيّ جنبٍ كان في الله مضجعي[1]
فلست بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً ... ولا جزعاً إنّي إلى الله مرجعي

وقد تقدّم في « صحيح البخاريّ » بيتان من هذه القصيدة ، وهما قوله : [من الطويل]

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أيّ شقٍّ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزّعِ

وقال حسان بن ثابتٍ[2] يبكي خبيباً ، فيما ذكره ابن إسحاق : [من البسيط]

ما بال عينك لا ترقا مدامعها ... سحّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيبٍ فتى الفتيان قد علموا ... لا فشلٍ حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيّبةً ... وجنّة الخُلد عند الحور في الرُّفُق
ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم ... حين الملائكة الأبرار في الأفق
فيم قتلتم شهيد الله في رجلٍ ... طاغٍ قد اوعث في البلدان والرُّفَق

قال ابن هشامٍ : تركنا بعضها ؛ لأنه أقذع فيها .

وقال حسان[3] يهجو الذين غدروا بأصحاب الرّجيع من بني لحيان ، فيما ذكره ابن إسحاق : [من البسيط]

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « مصرعي » كما سيأتي في رواية البخاري .
(٢) انظر « ديوانه » (١/ ٢١٣) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ١٧١) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٩) .

إن سرك الغدر صِرفاً لا مزاج له ... فأت الرّجيع فسل عن دار لحيان
قومٌ تواصوا بأكل الجار بينهم ... فالكلب والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التّيس يوماً قام يخطبهم ... وكان ذا شرفٍ فيهم وذا شان

وقال حسان بن ثابتٍ[١] أيضاً يهجو هذيلاً وبني لحيان على غدرهم بأصحاب الرّجيع ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [من الطويل]

لعمري لقد شانت هذيل بن مدركٍ ... أحاديث كانت في خُبيبٍ وعاصمِ
أحاديث لحيانٍ صَلَوْا بقبيحها ... ولحيان جرّامون شرّ الجرائم
أناسٌ همُ من قومهم في صميمهم ... بمنزلة الزّمعان دُبْر القوادم
همُ غدروا يوم الرّجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفّةٍ ومكارم
رسول رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيلٌ توقّى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوماً عليهمُ ... بقتل الذي تحميه دون الحرائم
أبابيل دبرٍ شُمّسٍ دون لحمه ... حمت لحم شهّادٍ عظام الملاحم
لعلّ هذيلاً أن يروا بمصابه ... مصارع قتلى أو مقاماً لماتم
ونوقع فيها وقعةً ذات صولةٍ ... يوافي بها الرّكبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إنّ رسوله ... رأى رأي ذي حزمٍ بلحيان عالم
قُبيّلةٌ ليس الوفاء يُهمّهم ... وإن ظلموا لم يدفعوا كفّ ظالم
إذا الناس حلّوا بالفضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم
محلّهمُ دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمرٌ كرأي البهائم

وقال حسان ، رضي الله عنه ، أيضاً[٢] يمدح أصحاب الرّجيع ، ويسمّيهم في شعره كما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله تعالى : [من الكامل]

صَلَّى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرّجيع فأُكرموا وأُثيبوا
رأس السّريّة مرثدٌ وأميرهم ... وابن البكير أمامهم وخُبيبُ
وابنٌ لطارق وابن دثنة منهمُ ... وافاه ثمّ حِمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥١٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٧٩) وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٣) .

قال ابن هشامٍ[(١)] : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان .

سريّة عمرو بن أُميّة الضّمريّ ، على إثر مقتل خُبيبٍ[(٢)]

قال الواقديّ[(٣)] : حدّثني إبراهيم بن جعفرٍ عن أبيه ، وعبد الله بن أبي عبيدة ، عن جعفر بن عمر بن أُمية الضمري ، وعبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عونٍ ، وزاد بعضهم على بعضٍ ، قالوا : كان أبو سفيان بن حربٍ قد قال لنفرٍ من قريشٍ بمكة : ما أحدٌ يغتال محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا ؟ فأتاه رجلٌ من العرب فدخل عليه منزله ، وقال له : إن أنت قوّيتني خرجت إليه حتى أغتاله ، فإني هادٍ بالطريق خرّيتٌ ، معي خنجرٌ مثل خافية النّسر . قال : أنت صاحبنا . وأعطاه بعيراً ونفقةً ، وقال : اطو أمرك ؛ فإني لا آمن أن يسمع هذا أحدٌ فينميه إلى محمدٍ . قال : قال : العربيّ : لا يعلمه أحدٌ . فخرج ليلاً على راحلته فسار خمساً ، وصبّح ظهر الحرّة صبح سادسةٍ ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ ، حتى أتى المصلّى ، فقال له قائلٌ : قد توجّه إلى بني عبد الأشهل . فخرج الأعرابيّ يقود راحلته حتى انتهى إلى بني عبد الأشهل ، فعقل راحلته ، ثم أقبل يؤمّ رسول الله ﷺ فوجده في جماعةٍ من أصحابه ، يحدّث في مسجده ، فدخل ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

« إنّ هذا الرجل يريد غدراً ، والله حائلٌ بينه وبين ما يريده » . فوقف وقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » . فذهب يُجنئُ على رسول الله ﷺ كأنه يسارّه ، فجبذه أسيد بن حضيرٍ وقال : تنحّ عن رسول الله ﷺ . وجذب بداخلة إزاره ، فإذا الخنجر ، فقال : يا رسول الله ، هذا غادرٌ . فأسقط في يد الأعرابيّ ، وقال : دمي دمي يا محمد . وأخذه أسيد بن حضيرٍ يلبّبه ، فقال له النبيّ ﷺ : « اصدقني ، ما أنت وما أقدمك ؟ فإن صدقتني نفعك الصِّدق ، وإن كذبتني فقد أطلعت على ما هممت به » . قال العربيّ : فأنا آمنٌ ؟ قال : « فأنت آمنٌ » . فأخبره بخبر أبي سفيان وما جعل له ، فأمر به فحبس عند أسيد بن حضيرٍ ، ثم دعا به من الغد فقال : « قد آمنتك ، فاذهب حيث شئت ، أوَ خيرٌ لك من ذلك ؟ » . قال : وما هو ؟ فقال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله » . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك أنت رسول الله ، والله يا محمد ، ما كنت أفرَق [من] الرجال ، فما هو إلا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ، ثم اطّلعتَ على ما هممت به مما سبقت به الرّكبان ، ولم يطّلع عليه أحدٌ ، فعرفت أنك ممنوعٌ وأنك على حقٍّ ، وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان . فجعل النبيّ ﷺ يتبسّم ، وأقام أياماً ، ثم استأذن النبيّ ﷺ فخرج من عنده ولم يسمع له بذكرٍ .

وقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضّمريّ ولسلمة بن أسلم بن حريشٍ : « اخرجا حتى تأتيا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٣) .

(٢) قوله : « على إثر مقتل خبيب » لم يرد في (ط) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٤٢) .

أبا سفيان بن حربٍ ، فإن أصبتما منه غرّةً فاقتلاه » . قال عمرٌو : فخرجت أنا وصاحبي حتى أتينا بطن يأجج ، فقيّدنا بعيرنا ، وقال لي صاحبي : يا عمرو ، هل لك في أن نأتي مكّة ، فنطوف بالبيت أسبوعاً ونصلي ركعتين ؟ فقلت : إني أعرَف بمكة من الفرس الأبلق ، وإنهم إن رأوني عرفوني ، وأنا أعرف أهل مكة ؛ إنهم إذا أمسوا انفجعوا بأفنيتهم ، فأبى عليّ فانطلقنا ، فأتينا مكّة فطفنا أسبوعاً[(١)] وصلّينا ركعتين ، فلمّا خرجت لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرّفني وقال : عمرو بن أمية! وأخبر أباه ، فنذر بنا أهل مكّة فقالوا : ما جاء عمرٌو في خيرٍ . وكان عمرٌو فاتكاً في الجاهلية ، فحشد أهل مكة وتجمّعوا ، وهرب عمرٌو وسلمة ، وخرجوا في طلبهما ، واشتدّوا في الجبل . قال عمرٌو : فدخلت غاراً فتغيّبت عنهم حتى أصبحت ، وباتوا يطلبوننا في الجبل ، وعمّى الله عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا ، فلما كان الغد ضحوةً ، أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التّيميّ يختلي لفرسه حشيشاً ، فقلت لسلمة بن أسلم : إذا أبصرنا أشعر بنا أهل مكّة ، وقد أقصروا عنا . فلم يزل يدنو من باب الغار حتى أشرف علينا . قال : فخرجت إليه فطعنته طعنةً تحت الثّدي بخنجري ، فسقط وصاح ، فأسمع أهل مكّة ، فأقبلوا بعد تفرّقهم ، ودخلت الغار ، وقلت لصاحبي : لا تتحرّك . فأقبلوا حتى أتوه ، وقالوا : من قتلك ؟ قال : عمرو بن أُمية الضّمريّ . فقال أبو سفيان : قد علمنا أنه لم يأت لخيرٍ . ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا ، فإنه كان بآخر رمقٍ فمات ، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم ، فحملوه ، فمكثنا ليلتين في مكاننا حتى خرجنا ، فقال صاحبي : يا عمرو بن أُمية ، هل لك في خبيب بن عديٍّ ننزله ؟ فقلت له : أين هو ؟ قال : هو ذاك مصلوبٌ ، حوله الحرس . فقلت : أمهلني وتنحّ عني ، فإن خشيت شيئاً فانح إلى بعيرك فاقعد عليه ، فأت رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ودعني ، فإني عالمٌ بالمدينة . ثم اشتددت عليه حتى وجدته فحملته على ظهري ، فما مشيت به إلاّ عشرين ذراعاً حتى استيقظوا ، فخرجوا في أثري فطرحت الخشبة ، فما أنسى وقعها دب[(٢)] ـ يعني صوتها ـ ثم أهلت عليه التُّراب برجلي ، فأخذت طريق الصّفراء ، فأعيوا ورجعوا ، وكنتُ لا أُدرك مع بقاء نَفَسي، فانطلق صاحبي إلى البعير فركبه وأتى النبيّ ﷺ فأخبره، وأقبلت حتى أشرفت على الغميم ، غميم ضجَنان ، فدخلت في غارٍ معي قوسي وأسهمي وخنجري ، فبينما أنا فيه إذ أقبل رجلٌ من بني بكرٍ من بني الدّيل ، أعور طويلٌ ، يسوق غنماً ومعزى، فدخل الغار وقال : من الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من بني بكرٍ . فقال : وأنا من بني بكرٍ . ثم اتّكأ ورفع عقيرته يتغنّى ويقول : [من الوافر]

فلست بمسلمٍ ما دمت حياً ولسـت أديـن ديـن المسلمينا

فقلت في نفسي : والله إني لأرجو أن أقتلك . فلمّا نام قمت إليه ، فقتلته شرّ قِتلةٍ قتلتها أحداً قطُّ ، ثم خرجت حتى هبطت ، فلما أسهلت في الطريق إذا رجلان بعثتهما قريشٌ يتجسّسان الأخبار ، فقلت : استأسرا . فأبى أحدهما ، فرميته فقتلته ، فلما رأى ذلك الآخر استأسر ، فشددته وثاقاً ، ثم أقبلت به إلى

---

(١) في (ط) : « سبعاً » .

(٢) في (ط) : « فما أنسى وجيبها » .

النبيّ ﷺ ، فلما قدمت المدينة رآني صبيانٌ وهم يلعبون ، وسمعوا أشياخهم يقولون : هذا عمرٌو . فاشتدّ الصِّبيان إلى النبيّ ﷺ فأخبروه ، وأتيته بالرجل قد ربطت إبهاميه بوَتر قوسي ، فلقد رأيت النبيّ ﷺ وهو يضحك ، ثم دعا لي بخيرٍ . وكان قدوم سلمة قبل قدوم عمرو بثلاثة أيامٍ . رواه البيهقيّ[١] .

وقد تقدّم أن عَمْراً لما أهبط خبيباً لم ير له رِمّةً ولا جسداً ، فلعله دفن مكان سقوطه . والله أعلم ، وهذه السّريّة إنما استدركها ابن هشامٍ على ابن إسحاق ، وساقها بنحوٍ من سياق الواقديّ لها ، لكن عنده أن رفيق عمرو بن أمية في هذه السّرية جبّار بن صخرٍ ، فالله أعلم ، ولله الحمد .

سرية بئر مَعُونَة

وقد كانت في صفرٍ منها ، وأغرب مكحولٌ[٢] ، رحمه الله ، حيث قال[٣] : إنها كانت بعد الخندق[٤] .

قال البخاريّ[٥] : ثنا أبو معمرٍ ، ثنا عبد الوارث[٦] حدثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالكٍ قال : بعث النبيُّ ﷺ[٧] سبعين رجلاً لحاجةٍ يقال لهم : القرّاء . فعرض لهم حيّان من بني سليمٍ ـ رِعلٌ وذكوان ـ عند بئرٍ يقال لها : بئر معونة . فقال القوم : والله ما إيّاكم أردنا ، وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبيّ ﷺ . فقتلوهم ، فدعا النبيّ ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة ، وذاك بدء القنوت ، وما كنا نقنت .

ورواه مسلمٌ[٨] ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، بنحوه .

ثم قال البخاريّ[٩] : ثنا عبد الأعلى بن حمّادٍ ، ثنا يزيد بن زريعٍ ، ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، عن أنس بن مالكٍ أن رِعلاً وذكوان وعصيّة وبني لحيان استمدّوا رسول الله ﷺ على عدوٍّ ، فأمدَّهم بسبعين من الأنصار ، كنا نسمّيهم القرّاء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنّهار ، ويصلّون بالليل ، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ النبيّ ﷺ ، فقنت شهراً يدعوفي الصّبح على أحياءٍ من أحياء العرب ؛

---

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣٣) .
(٢) هو مكحول الشامي أبو عبد الله ، فقيه ثقة كثير الإرسال ، من كبار رواة الحديث ، مات سنة بضع عشرة ومئة . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٤١٥) و« شذرات الذهب » (٢/ ٦٦) .
(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٣٠٠) .
(٤) قلت : رتّبها قبل الخندق أيضاً ، ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٢٢١) حيث قال : ومن قال : « وفي هذا الشهر بعينه ، وهو صفر من السنة الرابعة ، كانت وقعة بئر معونة . . . » .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٠٨٨) .
(٦) في (آ) : « عبد الرازق » وهو خطأ ، وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٧) في (ط) : « بعث رسول الله ﷺ » .
(٨) في « صحيحه » رقم (٦٧٧) (١٤٧) .
(٩) رواه البخاري رقم (٤٠٩٠) .

على رِعلٍ وذكوان وعصيّة وبني لحيان . قال أنسٌ : فقرّأنا فيهم قرآناً ، ثم إنّ ذلك رفع : « بلّغوا عنا قومنا أنّا لقينا ربّنا فرضي عنّا وأرضانا » .

ثم قال البخاريّ[1] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا همّامٌ ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، حدّثني أنس بن مالكٍ أن النبيّ ﷺ بعث خاله حراماً ـ أخاً لأمّ سليم ـ في سبعين راكباً ، وكان رئيس المشركين عامر بن الطّفيل خيَّر رسول الله ﷺ بين ثلاث خصال ، فقال : يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألفٍ وألفٍ . فطعن[2] عامرٌ في بيت أمّ فلانٍ ، فقال : غدّةٌ كغدّة البكر في بيت امرأةٍ من آل فلانٍ ، ائتوني بفرسي ، فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرامٌ ، أخو أمّ سليمٍ ، وهو رجلٌ أعرج ، ورجلٌ من بني فلانٍ ، فقال : كونا قريباً حتى آتيهم ، فإن آمنوني كنتم قريباً ، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم . فقال : أتؤمنوني حتى أُبلِّغ رسالة رسول الله ﷺ ؟ فجعل يحدّثهم ، وأومؤوا إلى رجلٍ فأتاه من خلفه فطعنه . قال همّام : أحسبه قال : حتى أنفذه بالرّمح . فقال : الله أكبر ، فزت وربّ الكعبة . فلحق الرجل ، فقتلوا كلُّهم غير الأعرج ، وكان في رأس جبلٍ ، فأنزل الله علينا ، ثم كان من المنسوخ : « إنا قد لقينا ربّنا فرضي عنا وأرضانا » . فدعا النبيّ ﷺ عليهم ثلاثين صباحاً ؛ على رِعلٍ وذَكوان وبني لحيان وعصيّة الذين عصوا الله ورسوله .

وقال البخاريّ[3] : ثنا حِبّان ، ثنا عبد الله ، أخبرني معمرٌ ، حدّثني ثمامة بن عبد الله بن أنسٍ ، أنه سمع أنس بن مالكٍ يقول : لما طعن حرام بن ملحان ـ وكان خاله ـ يوم [بئر] معونة قال بالدّم هكذا ؛ فنضحه على وجهه ورأسه ، ثم قال : فزت وربّ الكعبة .

وروى البخاريّ[4] ، عن عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن هشام بن عروة ، أخبرني أبي قال : لما قتل الذين ببئر معونة ، وأُسر عمرو بن أُمية الضّمريّ ، قال له عامر بن الطّفيل : من هذا ؟ فأشار إلى قتيلٍ ، فقال له عمرو بن أُمية : هذا عامر بن فُهيرة . قال : لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء ، حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع . فأتى النبيّ ﷺ خبرهم ، فنعاهم فقال : « إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربّهم ، فقالوا : ربّنا أخبر عنّا إخواننا بما رضينا عنك ، ورضيت عنا ، فأخبرهم عنهم » .

وأصيب يومئذٍ فيهم عروة بن أسماء بن الصّلت ، فسمّي عروة به ، ومنذر بن عمرو ، وسمّي به منذراً .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٩١) .
(٢) أي : أصيب بمرض الطاعون ، وأم فلان هي سلول بنت شيبان امرأة أخيه .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٩٢) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٠٩٣) .

هكذا وقع في رواية البخاريّ مرسلاً عن عروة .

وقد رواه البيهقيّ[١] من حديث يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي أسامة ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشة ، فساق من حديث الهجرة ، وأدرج في آخره ما ذكره البخاريّ هاهنا ، فالله أعلم .

وروى الواقديّ[٢] ، عن مصعب بن ثابتٍ ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، فذكر القصة ، وشأن عامر بن فهيرة ، وإخبار عامر بن الطّفيل أنه رفع إلى السّماء ، وذكر أنّ الذي قتله جبّار بن سُلمى الكلابيّ ، قال : ولما طعنه بالرّمح قال : فزت وربّ الكعبة . ثم سأل جبّارٌ بعد ذلك : ما معنى قوله : فزت ؟! قالوا : يعني بالجنّة ، فقال : صدق والله ، ثم أسلم جبّارٌ بعد ذلك لذلك .

وفي « مغازي موسى بن عقبة »[٣] ، عن عروة أنه قال : لم يوجد جسد عامر بن فُهيرة ، يرون أن الملائكة وارته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق[٤] : فأقام رسول الله ﷺ ، يعني بعد أحدٍ ، بقية شوّالٍ وذا القعدة وذا الحجّة والمحرّم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفرٍ على رأس أربعة أشهرٍ من أُحدٍ ، فحدثني أبي إسحاق بن يسارٍ ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشامٍ ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ ، وغيرهما من أهل العلم قالوا : قدم أبو براءٍ عامر بن مالك بن جعفرٍ ملاعب الأسنّة على رسول الله ﷺ بالمدينة ، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجدٍ يدعونهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يستجيبوا لك . فقال ﷺ : « إني أخشى عليهم أهل نجدٍ » . فقال أبو براءٍ : أنا لهم جارٌ . فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ، المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ فيهم الحارث بن الصّمّة ، وحرام بن ملحان ، أخو بني عديّ بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصّلت السّلميّ ، ونافع بن بُديل بن ورقاء الخزاعيّ ، وعامر بن فُهيرة ، مولى أبي بكرٍ ، في رجالٍ من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحرّة بني سليمٍ ، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدوّ الله عامر بن الطّفيل ، فلمّا أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامرٍ ، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم ، وقالوا : لن نخفر أبا براءٍ ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليمٍ ، عصيّة ورعلاً وذكوان والقارة ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلمّا رأوهم أخذوا أسيافهم ، ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن

(١) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٥٢) .
(٢) انظر « الواقدي » (١/ ٣٤٧) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٤٢) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣٨) .

آخرهم ، إلّا كعب بن زيدٍ أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمقٌ ، فارتثّ من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق ، وكان في سرح القوم عمرو بن أُمية الضّمريّ ، ورجلٌ من الأنصار من بني عمرو بن عوفٍ ، فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً . فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفةٌ ، فقال الأنصاريّ لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر . فقال الأنصاريّ : لكني لم أكن لأرغب بنفسي عن موطنٍ قتل فيه المنذر بن عمروٍ ، وما كنت لأخبر عنه الرجال . فقاتل القوم حتى قتل ، وأخذ عمرٌو أسيراً ، فلمّا أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامرُ بن الطّفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبةٍ كانت على أمّه ، فيما زعم . قال : وخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامرٍ حتى نزلا في ظِلٍّ هو فيه ، وكان مع العامريّين عهدٌ من رسول الله ﷺ وجوارٌ لم يعلمه عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتما ؟ قالا : من بني عامرٍ ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما وقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثأراً من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلمّا قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، أخبره بالخبر ، فقال رسول الله : « لقد قتلت قتيلين ، لأدينّهما » . ثم قال رسول الله ﷺ : « هذا عمل أبي براءٍ ، قد كنت لهذا كارهاً متخوّفاً » . فبلغ ذلك أبا براءٍ فشقّ عليه إخفار عامرٍ إيّاه ، وما أصاب من [أصحاب رسول الله ﷺ] بسببه وجواره .

فقال حسّان بن ثابتٍ[1] في إخفار عامرٍ أبا براءٍ ، ويحرّض بني أبي براءٍ على عامرٍ : [من الوافر]

بني أمّ البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجدِ
تهكّم عامرٍ بأبي براءٍ ليخفره وما خطأٌ كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي فما أحدثت في الحَدَثان بعدي
أبوك أبو الحروب أبو براءٍ وخالك ماجدٌ حَكَمُ بن سعدِ

قال ابن هشامٍ[2] : أمّ البنين ، أمّ أبي براءٍ ، وهي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

قال : فحمل ربيعة بن عامر بن مالكٍ على عامر بن الطّفيل ، فطعنه في فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، وقال : هذا عمل أبي براءٍ ، إن أمت فدمي لعمّي فلا يتبعنّ به ، وإن أعش فسأرى رأيي . وذكر موسى بن عقبة ، عن الزّهريّ نحو سياق محمد بن إسحاق ، قال موسى : وكان أمير القوم المنذر بن عمرٍو ، وقيل : مرثد بن أبي مرثدٍ .

---

(١) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٣٢) مع تقديم وتأخير وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٨) .

وقال حسان بن ثابت[١] يبكي قتلى بئر معونة ـ فيما ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله ، والله أعلم ـ : [من الوافر]

على قتلى معونة فاستهلّي ... بدمع العين سَحّا غير نزرِ
على خيل الرّسول غداة لاقَوا ... ولاقتهم منــاياهــم بقــدر
أصابهم الفناء بعقد قومٍ ... تُخوّن عقد حبلهمُ بغدر
فيا لهفي لمنذر إذ تولّى ... وأعنق في منيّته بصبر
وكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من أبيض ماجدٍ من سرّ عمرو

غزوة بني النَّضير[٢]

وهي التي أنزل الله فيها سورة « الحشر »

في « صحيح البخاريّ »[٣] عن ابن عباسٍ ، أنه كان يسمّيها سورة بني النّضير .

وحكى البخاريّ[٤] عن الزّهريّ ، عن عروة أنه قال : كانت بنو النّضير بعد بدرٍ بستة أشهرٍ قبل أحدٍ .

وقد أسنده ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره »[٥] عن أبيه ، عن عبد الله بن صالحٍ ، عن اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن الزّهريّ به .

وهكذا روى حنبل بن إسحاق ، عن هلال بن العلاء ، عن عبد الله بن جعفرٍ الرّقّيّ ، عن مطرّف بن مازنٍ اليمانيّ ، عن معمرٍ ، عن الزّهريّ ، فذكر غزوة بدرٍ في سابع عشر رمضان سنة اثنتين ، قال : ثم غزا بني النّضير ، ثم غزا أحداً في شوالٍ سنة ثلاثٍ ، ثم قاتل يوم الخندق في شوالٍ سنة أربعٍ .

وقال البيهقيّ[٦] : وقد كان الزّهريّ يقول : هي قبل أحدٍ . قال : وذهب آخرون إلى أنّها بعدها ، وبعد بئر معونة أيضاً .

قلت : هكذا ذكره ابن إسحاق كما تقدّم ؛ فإنّه بعد ذكره بئر معونة ، ورجوع عمرو بن أميّة ، وقتله ذينك الرجلين من بني عامرٍ ، ولم يشعر بعهدهما الذي معهما من رسول الله ﷺ ، ولهذا قال له رسول الله ﷺ : « لقد قتلت رجلين ، لأدينّهما » .

---

(١) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٠٧) . و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٨٩) .
(٢) انظر « عيون الأثر » (٢/ ٧٣) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٥٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٢٩) و(٤٨٨٣) .
(٤) رواه البخاري تعليقاً في المغازي : باب حديث بني النضير ، قبل الحديث (٤٠٢٨) .
(٥) وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦/ ١٨٧) لابن أبي حاتم وغيره .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٥٤) .

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النّضير يستعينهم في دية ذَيْنِكَ القتيلين من بني عامر ، اللذين قتلهما عمرو بن أُمية ، للعهد الذي كان رسول الله ﷺ قد أعطاهما ، وكان بين بني النّضير وبين بني عامرٍ عقدٌ وحلفٌ ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعضٍ فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعدٌ ـ فمن رجلٌ يعلو على هذا البيت ، فيلقي عليه صخرةً ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعبٍ ، فقال : أنا لذلك . فصعِد ليلقي عليه صخرةً كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه ، فيهم أبو بكرٍ وعمر وعليّ ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث[٢] النبيّ ﷺ أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً مقبلاً [من المدينة] ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلاً المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به .

قال الواقدي[٣] : فبعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده ، فبعث إليهم أهل النّفاق يثبّتونهم ويحرّضونهم على المقام ، ويعِدونهم النَّصر ، فقويت عند ذلك نفوسهم ، وحمي حييّ بن أخطب ، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ، ونابذوه بنقض العهود ، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .

قال الواقديُّ[٤] : فحاصرهم[٥] خمس عشرة ليلةً .

وقال ابن إسحاق[٦] : وأمر النبيّ ﷺ بالتهيّؤ لحربهم والمسير إليهم . قال ابن هشامٍ : واستعمل على المدينة ابن أمّ مكتومٍ ، وذلك في شهر ربيعٍ الأول .

قال ابن إسحاق[٧] : فسار حتى نزل بهم ، فحاصرهم ستّ ليالٍ ، ونزل تحريم الخمر حينئذٍ[٨] ، وتحصّنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادَوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟ قال : وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أُبيّ ، ووديعة ومالكٌ وسويدٌ وداعسٌ ، قد بعثوا إلى بني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٠) .
(٢) أي استبطأ .
(٣) انظر « المغازي » للواقدي (١/ ٣٦٦) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ٣٧٤) .
(٥) في (ط) : « فحاصروهم » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٠) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩١) .
(٨) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١١٩) وتعليقي عليه .

النَّضير ؛ أن اثبتوا وتمنّعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم . فتربّصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليَهم ويكفّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة[١] ، ففعل .

وقال العوفيّ عن ابن عباسٍ : أعطى كلّ ثلاثةٍ منهم بعيراً يعتقبونه ، وسقاءً . رواه البيهقيّ[٢] .

وروى[٣] من طريق يعقوب بن محمدٍ الزُّهريّ ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن محمدٍ بن مسلمة ، أنّ رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النّضير ، وأمره أن يؤجّلهم في الجلاء ثلاث ليالٍ .

وروى البيهقيّ[٤] وغيره أنه كانت لهم ديونٌ مؤجّلةٌ ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ضعوا وتعجّلوا » وفي صحته نظرٌ ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٥] : فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، فكان من أشراف من ذهب منهم إلى خيبر ؛ سلاّم بن أبي الحُقيق ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحقيق ، وحييّ بن أخطب . فلمّا نزلوها دان لهم أهلها .

فحدّثني[٦] عبد الله بن أبي بكرٍ أنه حدّث أنهم استقبلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدّفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، بزهاءٍ وفخرٍ ما رئي مثله لحيٍّ من الناس في زمانهم . قال : وخلّوا الأموال لرسول الله ﷺ ـ يعني النخيل والمزارع ـ فكانت له خاصةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيفٍ وأبا دجانة ذكَرا فقراً فأعطاهما . وأضاف بعضهم إليهما الحارث بن الصِّمّة . حكاه السّهيليّ[٧] .

قال ابن إسحاق[٨] : ولم يسلم من بني النّضير إلا رجلان ؛ وهما يامين بن عمير بن كعبٍ ، ابن عمّ عمرو بن جحّاشٍ ، وأبو سعد بن وهبٍ ، فأحرزا أموالهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين : « ألم تر ما لقينا من ابن

---

(١) أي : السلاح .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٥٩) .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٠) .
(٤) في « السنن الكبرى » (٦/ ٢٨) والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٥٢) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩١) .
(٦) القائل ابن إسحاق رحمه الله .
(٧) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٢٣٣) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٢) .

عمّك ، وما همّ به من شأني ؟ » فجعل يامين لرجلٍ جُعلاً على أن يقتل عمرو بن جحّاشٍ فقتله ، لعنه الله .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله فيهم سورة « الحشر » بكمالها ، يذكر فيها ما أصابهم به من نقمته وما سَلَّطَ عليهم به رسوله ﷺ ، وما عمل به فيهم .

ثم شرع ابن إسحاق يفسّرها ، وقد تكلّمنا عليها بطولها مبسوطةً في كتابنا « التفسير »[1] ولله الحمد .

قال الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الحشر : ١ ـ ٥] .

سبّح سبحانه وتعالى نفسه الكريمة ، وأخبر أنه يسبّح له جميع مخلوقاته العلويّة والسّفليّة ، وأنه العزيز وهو منيع الجناب ، فلا ترام عظمته وكبرياؤه ، وأنه الحكيم في جميع ما خلق وجميع ما قدّر وشرع ، فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم من اليهود ، الذين شاقّوا الله ورسوله ، وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المقتضي لقتالهم ، كما تقدّم ، حتى حاصرهم المؤيّد بالرعب والرّهب مسيرة شهرٍ ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ستّ ليالٍ ، فذهب بهم الرعب كلّ مذهبٍ ، حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم ، وأن يأخذوا من أموالهم ما استقلّت به ركابهم ، على أنهم لا يستصحبون شيئاً من السلاح ؛ إهانةً لهم واحتقاراً ، فجعلوا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ . ثم ذكر تعالى أنه لو لم يصبهم هذا الجلاء ، وهو التّسيير والنّفي من جوار الرسول ﷺ من المدينة ، لأصابهم ما هو أشدّ منه من العذاب الدنيويّ ، وهو القتل ، مع ما ادّخر لهم في الآخرة من العذاب الأليم المقدّر لهم . ثم ذكر تعالى حكمة ما وقع من تحريق نخلهم ، وترك ما بقي منه لهم ، وأن ذلك كلّه سائغٌ ، فقال : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ وهو جيّد التمر ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ إن الجميع قد أُذن فيه شرعاً وقدراً ، فلا حرج عليكم فيه ، ولنعم ما رأيتم من ذلك ، وليس هو بفسادٍ ، كما قاله شرار العباد ، إنما هو إظهارٌ للقوة ، وإخزاءٌ للكفرة الفجرة .

وقد روى البخاريّ ومسلم[2] ، جميعاً عن قتيبة ، عن اللّيث ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أنّ رسول الله ﷺ حرّق نَخل بني النّضير ، وقطع ، وهي البويرة[3] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ٨١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٨٤) ومسلم رقم (١٧٤٦) .

(٣) وهي تصغير البئر التي يُستقى منها الماء . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٦٦) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .

وعند البخاريّ[١] ، من طريق جويرية بن أسماء ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النّضير وقطع ، وهي البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابتٍ[٢] : [من الوافر]

وهان على سراة بني لؤيٍّ ... حريقٌ بالبُويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول[٣] : [من الوافر]

أدام الله ذلك من صنيعٍ ... وحرّق في نواحيها السعير
ستعلم أيّنا منها بنزهٍ ... وتعلم أيّ أرضينا تضير

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالكٍ[٤] يذكر إجلاء بني النّضير وقتل كعب بن الأشرف ، فالله أعلم : [من الوافر]

لقد خزيت بغدرتها الحبور ... كذاك الدّهر ذو صرفٍ يدورُ
وذلك أنهم كفروا بربٍّ ... عظيمٍ أمره أمرٌ كبيرُ
وقد أوتوا معاً فهماً وعلماً ... وجاءهمُ من الله النذيرُ
نذيرٌ صادقٌ أدّى كتاباً ... وآياتٍ مبيّنةً تنيرُ
فقالوا ما أتيت بأمر صدقٍ ... وأنت بمنكرٍ منا جديرُ
فقال بلى لقد أدّيت حقاً ... يصدّقني به الفهِم الخبيرُ
فمن يتبعه يهد لكلّ رشدٍ ... ومن يكفر به يُجْزَ الكفورُ
فلمّا أُشربوا غدراً وكفراً ... وجدّ بهم عن الحقّ النّفورُ
أرى الله النبيّ برأي صدقٍ ... وكان الله يحكم لا يجورُ
فأيّده وسلّطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصيرُ
فغودر منهم كعبٌ صريعاً ... فذلّت بعد مصرعه النّضيرُ
على الكفّين ثَمّ وقد علته ... بأيدينا مشهّرةٌ ذُكورُ
بأمر محمدٍ إذ دسّ ليلاً ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فما كَره فأنزله بمَكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسورُ
فتلك بنو النّضير بدار سوءٍ ... أبارهمُ بما اجترموا المبيرُ
غداة أتاهمُ في الزّحف رهواً ... رسول الله وهو بهم بصيرُ

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٣٢٦) و(٤٠٣٢) .
(٢) انظر « ديوانه » (١/ ٢١٠) ولفظ صدر البيت فيه : « لهان ... » .
(٣) البيتان في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٢) مع بعض الخلاف في ألفاظهما .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٦٨ ـ ١٦٩) . وانظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٩٩) .

وغسّان الحماة مؤازروه ... على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السّلم ويحكم فصدّوا ... وخالف أمرهم كذبٌ وزور
فذاقوا غبّ أمرهم وبالاً ... لكلّ ثلاثةٍ منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاعٍ ... وغودر منهمُ نخلٌ ودور

وقد ذكر ابن إسحاق جوابها لسِمَاكٍ اليهوديّ ، فتركناها قصداً .

قال ابن إسحاق[١] : وكان ممّا قيل في بني النّضير ، قول ابنِ لُقَيمٍ العبسيّ ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريفٍ الأشجعيّ : [من الطويل]

أهلي فداءٌ لامرئٍ غير هالكٍ ... أحلّ اليهود بالحسيّ المزنّم
يقيلون في جمر الغضاة وبدّلوا ... أهيضب عودى بالوديّ المكمّم
فإن يك ظنّي صادقاً بمحمدٍ ... تروا خيله بين الصّلا ويرمرم
يؤمّ بها عمرو بن بهثة إنّهم ... عدوّ وما حيّ صديقٌ كمجرم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ في الوغى ... يهزّون أطراف الوشيج المقوّم
وكلّ رقيق الشّفرتين مهنّدٍ ... تورثن من أزمان عادٍ وجرهم
فمن مبلغٌ عني قريشاً رسالةً ... فهل بعدهم في المجد من متكرّم
بأنّ أخاهم فاعلمُنّ محمداً ... تليد النّدى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحقّ تجسم أموركم ... وتسمو من الدّنيا إلى كلّ معظم
نبيٌّ تلاقته من الله رحمةٌ ... ولا تسألوه أمر غيبٍ مرجّم
فقد كان في بدرٍ لعمريَ عبرةٌ ... لكم يا قريشاً والقليب الملمّم
غداة أتى في الخزرجيّة عامداً ... إليكم مطيعاً للعظيم المكرّم
معاناً بروح القدس ينكي عدوّه ... رسولاً من الرحمن حقّاً بمعلم
رسولاً من الرحمن يتلو كتابه ... فلمّا أنار الحقّ لم يتلعثم
أرى أمره يزداد في كلّ موطنٍ ... علوّاً لأمرٍ حمّه الله محكم

قال ابن إسحاق[٢] : وقال عليّ بن أبي طالبٍ ـ وقال ابن هشامٍ : قالها رجلٌ من المسلمين ، ولم أر أحداً يعرفها لعليٍّ ـ : [من المتقارب]

عرفت ومن يعتدل يعرفِ ... وأيقنت حقاً ولم أصدفِ
عن الكلم المحكم الآي[٣] من ... لدى الله ذي الرّأفة الأرأف

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (١٩٦/٢) .
(٣) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « اللاء » .

رسائل تدرس في المؤمنين ... بهنّ اصطفى أحمد المصطفي
فأصبح أحمد فينا عزيزاً ... عزيز المقامة والموقف
فيا أيّها الموعدوه سفاهاً ... ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب ... وما آمِنُ الله كالأخوف
وأن تُصرعوا تحت أسيافه ... كمصرع كعبٍ أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانه ... وأعرض كالجمل الأجنف
فأنزل جبريل في قتله ... بوحيٍ إلى عبده ملطف
فدسّ الرسول رسولاً له ... بأبيض ذي هبّةٍ مرهف
فباتت عيونٌ له معولاتٌ ... متى ينع كعبٌ لها تذرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلاً ... فإنّا من النّوح لم نشتف
فخلّاهُمُ ثم قال اظعنوا ... دحوراً على رغم الآنف
وأجلى النّضير إلى غربةٍ ... وكانوا بدارٍ ذوي زخرف
إلى أذرعاتٍ ردافاً وهم ... على كلّ ذي دبَر أعجف

وتركنا جوابها أيضاً من سَمَّاكٍ اليهوديّ قصداً .

ثم ذكر تعالى حكم الفيء ، وأنه حكم بأموال بني النّضير لرسول الله ﷺ ، وملّكها له ، فوضعها رسول الله ﷺ حيث أراه الله تعالى ، كما ثبت في « الصحيحين » عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنّه قال : كانت أموال بني النّضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ، ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيلٍ ولا ركابٍ ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً ، فكان يعزل نفقة أهله سنةً ، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عدّةً في سبيل الله ، عزّ وجلّ .

ثم بينّ تعالى حكم الفيء ، وأنّه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسانٍ على منوالهم وطريقتهم : ﴿ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر : ٧] .

قال الإمام أحمد : حدّثنا عارمٌ وعفّان ، قالا : حدّثنا معتمرٌ ، سمعت أبي يقول : حدّثنا أنس بن مالكٍ ، عن نبيّ الله ﷺ ، أن الرجل كان يجعل له من ماله النّخلات ، أو كما شاء الله ، حتى فتحت عليه قريظة والنّضير . قال : فجعل يردّ بعد ذلك . قال : وإنّ أهلي أمروني أن آتي النبيّ ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبيّ الله ﷺ أعطاه أمّ أيمن ، أو كما شاء الله . قال : فسألت النبيّ ﷺ فأعطانيهنّ ، فجاءت أمّ أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول : كلا والله الذي لا إله إلاّ هو ، لا يعطيكهنّ وقد أعطانيهنّ. أو كما قالت . فقال النبيّ ﷺ : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلا والله . قال: ويقول : « لك كذا وكذا » . وتقول : كلاّ والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . حتى أعطاها ـ حسبته

قال ـ عشرة أمثاله . أو قال : قريباً من عشرة أمثاله . أو كما قال . أخرجاه بنحوه من طرقٍ ، عن معتمرٍ به .

ثم قال تعالى ذاماً للمنافقين الذين مالوا لبني النّضير في الباطن ، كما تقدّم ، ووعدهم النصر ، فلم يكن من ذلك شيءٌ ، بل خذلوهم أحوج ما كانوا إليهم ، وغرّوهم من أنفسهم ، فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [الحشر : ١١ ـ ١٢] . ثم ذمّهم تعالى على جُبنهم ، وقلّة علمهم ، وخفّة عقلهم النافع ، ثم ضرب لهم مثلاً قبيحاً شنيعاً بالشيطان حين قال للإنسان : ﴿ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر : ١٦ـ١٧] .

قصّة عمرو بن سعدى القرظيّ
حين مرّ على ديار بني النّضير وقد صارت يباباً(١) ، ليس بها داعٍ ولا مجيب

وقد كانت بنو النّضير أشرف من بني قريظة ، حتى حداه ذلك على الإسلام ، وأظهر صفة رسول الله ﷺ من التوراة .

قال الواقديّ : ثنا إبراهيم بن جعفرٍ ، عن أبيه قال : لمّا خرجت بنو النّضير من المدينة ، أقبل عمرو بن سعدى ، فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها ، وفكّر ثم رجع إلى بني قريظة ، فوجدهم في الكنيسة ، فنفخ في بوقهم ، فاجتمعوا ، فقال الزَّبير بن باطا : يا أبا سعيدٍ ، أين كنت منذ اليوم لم نرك ؟ وكان لا يفارق الكنيسة ، وكان يتألّه في اليهوديّة ، قال : رأيت اليوم عبراً قد عبّرنا بها ؛ رأيت منازل إخواننا خاليةً بعد ذلك العزّ والجلد ، والشّرف الفاضل والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم ، وملكها غيرهم ، وخرجوا خروج ذُلٍّ ، ولا والتوراة ما سلّط هذا على قومٍ قطُّ لله بهم حاجةٌ ، وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزّهم ، ثم بيّته في بيته آمناً ، وأوقع بابن سُنينة سيّدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم ، وهم أهل جدِّ يهود ، وكانوا أهل عدّةٍ وسلاحٍ ونجدةٍ ، فحصرهم ، فلم يخرج إنسانٌ منهم رأسه حتى سباهم ، وكلّم فيهم ، فتركهم على أن أجلاهم من يثرب ، يا قوم ، قد رأيتم ما رأيتم ، فأطيعوني وتعالوا نتّبع محمداً ، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، قد بشّرنا به وبأمره ابن الهيّبان أبو عميرٍ وابن حراشٍ ، وهما أعلم يهود ، جاءانا يتوكّفان قدومه ، وأمرانا باتباعه ، جاءانا من بيت المقدس ، وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ، ثم ماتا على دينهما ، ودفنّاهما بحرّتنا هذه . فأسكت القوم ، فلم يتكلّم منهم متكلّمٌ ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوفهم بالحرب والسّباء والجلاء . فقال الزَّبير بن باطا : قد والتوراة قرأت صفته في التي نزلت على

(١) أي : خراباً .

موسى ، ليس في المثاني الذي أحدثنا . قال : فقال له كعب بن أسدٍ : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتّباعه ؟ قال : أنت . قال كعبٌ : فلم ، والتوراة ما حلت بينك وبينه قطّ ؟! قال الزَّبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا ، فإن اتّبعته اتّبعناه ، وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعدى على كعبٍ . فذكر ما تقاولا في ذلك ، إلى أن قال كعبٌ : ما عندي في أمره إلّا ما قلت ، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً . رواه البيهقيّ[١] .

غزوة بني لحيان
التي صلّى فيها صلاة الخوف بعسفان

هاهنا ذكرها البيهقيّ في « الدلائل »[٢] ، وإنّما ذكرها ابن إسحاق ، فيما رأيت ، من طريق ابن هشامٍ[٣] ، عن زيادٍ عنه ، في جمادى الأولى من سنة ستٍّ من الهجرة بعد الخندق وبني قريظة ، وهو أشبه ممّا ذكره البيهقيّ ، والله أعلم ، فلنؤخِّرها إلى هناك .

وقال الحافظ البيهقيّ[٤] : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدّثنا أبو العباس الأصمّ ، حدّثنا أحمد بن عبد الجبار قال : حدّثنا يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق قال : حدّثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ وغيره ، قالوا : لمّا أصيب خبيبٌ وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ؛ ليصيب من بني لحيان غرّةً ، فسلك طريق الشام ؛ ليري أنّه لا يريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم ، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا في رؤوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ : « لو أنّا هبطنا عسفان ؛ لرأت قريشٌ أنا قد جئنا مكة » . فخرج في مئتي راكبٍ حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ، ثم انصرفا ، فذكر أبو عياشٍ الزّرقيّ أنّ رسول الله ﷺ صلّى بعسفان صلاة الخوف .

وقد قال الإمام أحمد[٥] : ثنا عبد الرّزاق ، ثنا الثّوريّ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، عن أبي عيّاشٍ قال : كنّا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون ، عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلّى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، فقالوا : قد كانوا على حالٍ لو أصبنا غرّتهم . ثم قالوا : تأتي عليهم الآن صلاةٌ هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم . قال : فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] . قال : فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح ، فصففنا خلفه صفّين ، ثم ركع ، فركعنا جميعاً ، ثم رفع فرفعنا جميعاً ، ثم سجد بالصفّ الذي

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٧٩) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٦٤) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٥٩) ، وإسناده صحيح .

يليه، والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلمّا سجدوا وقاموا جلس الآخَرون فسجدوا في مكانهم، ثم تقدّم هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصافّ هؤلاء. قال: ثم ركع فركعوا جميعاً، ثم رفع فرفعوا جميعاً، ثم سجد النبيّ والصفّ الذي يليه والآخرون قيامٌ يحرسونهم، فلمّا جلسوا جلس الآخرون، فسجدوا؛ ثم سلّم عليهم، ثم انصرف. قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين؛ مرةً بعسفان ومرةً بأرض بني سليم. ثم رواه أحمد[1]، عن غندرٍ، عن شعبة، عن منصورٍ به نحوه. وقد رواه أبو داود[2] عن سعيد بن منصورٍ، عن جرير بن عبد الحميد، والنسائيّ[3] عن الفلاّس، عن عبد العزيز بن عبد الصمد، [و] عن محمد بن المثنى وبندارٍ، عن غندرٍ، عن شعبة، ثلاثتهم عن منصورٍ به. وهذا إسنادٌ على شرط «الصحيحين» ولم يخرجه واحدٌ منهما، لكن روى مسلمٌ[4] من طريق أبي خيثمة زهير بن معاوية، عن أبي الزّبير، عن جابرٍ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فلمّا أن صلّي الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلةً لاقتطعناهم. فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك، وذكر لنا رسول الله ﷺ قال: «وقالوا: إنّه ستأتيهم صلاةٌ هي أحبّ إليهم من الأولاد». فذكر الحديث كنحو ما تقدّم.

وقال أبو داود الطّيالسيّ[5]: حدّثنا هشامٌ، عن أبي الزّبير، عن جابر بن عبد الله قال: صلّى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخلٍ، فهمّ به المشركون، ثُمَّ قالوا: دعوهم؛ فإنّ لهم صلاةً بعد هذه الصلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم. قال: فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره، فصلّى بأصحابه العصر، فصفّهم صفّين؛ رسول الله ﷺ بين أيديهم، والعدوّ بين يدى رسول الله ﷺ، فكبّر وكبّروا جميعاً، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونه، والآخَرون قيامٌ، فلمّا رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون، ثم تقدّم هؤلاء وتأخر هؤلاء، فكبّروا جميعاً، وركعوا جميعاً، ثم سجد الذين يلونهم، والآخرون قيامٌ، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون.

وقد استشهد البخاريّ في «صحيحه»[6] برواية هشامٍ هذه، عن أبي الزُّبير، عن جابرٍ.

وقال الإمام أحمد[7]: ثنا عبد الصمد، ثنا سعيد بن عُبيدٍ الهُنائيّ، ثنا عبد الله بن شقيقٍ، حدّثنا أبو هريرة أنّ رسول الله ﷺ نزل بين ضجنـان وعُسفان، فقـال المشركون: إنّ لهؤلاء صلاةً هي أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ـ وهي العصر ـ فأجمعوا أمركم، فميلوا عليهم ميلةً واحدةً. وإنّ جبريل أتى

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٠).
(٢) رواه أبو داود في «السنن» رقم (١٢٣٦).
(٣) رواه النسائي في «المجتبى» (٣/ ١٧٧).
(٤) في «صحيحه» رقم (٨٤٠).
(٥) في «مسنده» رقم (١٧٣٨).
(٦) رقم (٤١٣٠) تعليقاً.
(٧) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٢)، وإسناده حسن.

رسول الله ﷺ ، فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلّي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ؛ ثم تأتي الأُخرى فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حِذرهم وأسلحتهم ليكون لهم ركعةٌ ركعةٌ مع رسول الله [ﷺ] ، ولرسول الله [ﷺ] ركعتان .

ورواه التّرمذيّ والنسائيّ(١) من حديث عبد الصمد به ، وقال الترمذيّ : حسنٌ صحيحٌ .

قلت : إن كان أبو هريرة شهد هذا ، فهو بعد خيبر ، وإلّا فهو من مرسلات الصحابيّ ، ولا يضرّ ذلك عند الجمهور ، والله أعلم .

ولم يذكر في سياق حديث جابرٍ عند مسلمٍ ، ولا عند أبي داود الطيالسيّ ، أمر عُسفان ولا خالد بن الوليد ، لكنّ الظاهر أنّها واحدةٌ . بقي الشأن في أنّ غزوة عسفان قبل الخندق أو بعدها ، فإنّ من العلماء ، منهم الشافعيّ ، من يزعم أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد يوم الخندق ؛ فإنّهم أخّروا الصلاة يومئذ عن ميقاتها لعذر القتال ، ولو كانت صلاة الخوف مشروعةً إذ ذاك ، لفعلوها ولم يؤخّروها ، ولهذا قال بعض أهل المغازي : إنّ غزوة بني لحيان التي صلّى فيها صلاة الخوف بعُسفان ، كانت بعد بني قريظة .

وقد ذكر الواقديّ(٢) بإسناده ، عن خالد بن الوليد قال : لمّا خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان ، فوقفت بإزائه وتعرّضت له ، فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليه ، ثم لم يعزم لنا ، فأطلعه الله على ما في أنفسنا من الهمّ به ، فصلّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف .

قلت : وعمرة الحديبية كانت في ذي القعدة سنة ستٍّ(٣) بعد الخندق وبني قريظة كما سيأتي .

وفي سياق حديث أبي عيّاشٍ الزّرقيّ ، ما يقتضي أنّ آية صلاة الخوف نزلت في هذه الغزوة يوم عُسفان ، فاقتضى ذلك أنّها أول صلاة خوفٍ صلّاها ، والله أعلم(٤) .

وسنذكر ، إن شاء الله تعالى ، كيفية صلاة الخوف واختلاف الروايات فيها في كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله ، وبه الثقة ، وعليه التّكلان .

غزوة ذات الرِّقَاع(٥)

قال ابن إسحاق(٦) : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النّضير شهري ربيعٍ وبعض

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٩٢٣) .

(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .

(٣) وقال ابن قيم الجوزية : قال نافع : كانت سنة ست في ذي القعدة ، وهذا هو الصحيح ، وهو قول الزّهري ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم . انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٥٥) .

(٤) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٢٥) .

(٥) وتسمى غزوة نجد أيضاً . انظر « عيون الأثر » (٢/ ٧٩) و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٤) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٥٨) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٣) .

جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محاربٍ وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذرٍّ .

قال ابن هشامٍ : ويقال : عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق : فسار حتى نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرّقاع .

قال ابن هشامٍ : لأنهم رقّعوا فيها راياتهم ، ويقال : لشجرةٍ هناك اسمها ذات الرّقاع . وقال الواقديّ : بجبلٍ فيه بقعٌ حمرٌ وسودٌ وبيضٌ . وفي حديث أبي موسى : إنما سمّيت بذلك لما كانوا يربطون على أرجلهم [من] الخِرَق من شدّة الحرّ . قال ابن إسحاق : فلقي بها جمعاً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حربٌ ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف .

وقد أسند ابن هشامٍ[١] حديث صلاة الخوف هاهنا عن عبد الوارث بن سعيدٍ التّنّوريّ ، عن يونس بن عبيدٍ ، عن الحسن عن جابر بن عبد الله ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن أبي الزّبير ، عن جابرٍ ، وعن عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر . ولكن لم يذكر في هذه الطرق غزوة نجدٍ ولا ذات الرّقاع ، ولم يتعرّض لزمانٍ ولا مكانٍ . وفي كون غزوة ذات الرّقاع ـ التي كانت بنجدٍ ، لقتال بني محاربٍ وبني ثعلبة بن غطفان ـ قبل الخندق نظرٌ . وقد ذهب البخاريّ إلى أنّ ذلك كان بعد خيبر ، واستدلَّ على ذلك ، بأنّ أبا موسى الأشعريّ شهدها ، كما سيأتي ، وقدومه إنّما كان ليالي خيبر صحبة جعفرٍ وأصحابه ، وكذلك أبو هريرة ، وقد قال : صلّيت مع رسول الله ﷺ في غزوة نجدٍ صلاة الخوف . ومما يدل على أنّها بعد الخندق أنّ ابن عمر إنّما أجازه رسول الله ﷺ في القتال أول ما أجازه يوم الخندق .

وقد ثبت [عنه] في « الصحيح »[٢] أنّه قال : غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجدٍ ، فذكر صلاة الخوف .

وقول الواقديّ[٣] : إنّه عليه السلام خرج إلى ذات الرّقاع في أربعمئةٍ ، ويقال : سبعمئةٍ ، من أصحابه ليلة السبت ، لعشرٍ خلون من المحرم سنة خمسٍ . فيه نظرٌ ، ثم لا يحصل به نجاةٌ من أنّ صلاة الخوف إنّما شرعت بعد الخندق ؛ لأنّ الخندق كان في شوالٍ سنة خمسٍ على المشهور ، وقيل : في شوالٍ سنة أربعٍ . فتحصَّل على هذا القول مخلصٌ من حديث ابن عمر ، فأما حديث أبي موسى وأبي هريرة فلا .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٩٤٢) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٩٦) .

قصة
غورث بن الحارث

قال ابن إسحاق[١] في هذه الغزوة : حدّثني عمرو بن عبيدٍ ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ، أن رجلاً من بني محاربٍ يقال له : غورثٌ ، قال لقومه من غطفان ومحاربٍ : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتِك به . قال : فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ ، وسيف رسول الله ﷺ في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : « نعم » . فأخذه فاستلّه ثم جعل يهزّه ويهمّ ، فكبته الله . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : « لا ، وما أخاف منك ؟ » قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : « لا ، يمنعني الله منك » . ثم عمد إلى سيف النبيّ ﷺ ، فردّه عليه ، فانزل الله ، عزّ وجلّ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني يزيد بن رُومان ، أنها [إنما] أنزلت في عمرو بن جحَاشٍ أخي بني النّضير ، وما همّ به .

هكذا ذكر ابن إسحاق قصة غورثٍ هذا ، عن عمرو بن عبيدٍ القدَريّ ، رأس الفرقة الضَّالة ، وهو وإن كان لا يتّهم بتعمّد الكذب في الحديث ، إلا أنه ممن لا ينبغي أن يروى عنه ؛ لبدعته ودعائه إليها .

وهذا الحديث ثابتٌ في « الصحيحين » من غير هذا الوجه ، ولله الحمد .

وقد أورد الحافظ البيهقي[٣] هاهنا طُرقاً لهذا الحديث من عدة أماكن ، وهي ثابتة في « الصحيحين »[٤] من حديث الزهريّ ، عن سنان بن أبي سنانٍ وأبي سلمة ، عن جابرٍ أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجدٍ ، فلما قفل رسول الله ﷺ ، أدركته القائلة في وادٍ كثير العضاه ، فتفرّق الناس يستظلّون بالشجر ، وكان رسول الله ﷺ تحت ظلّ شجرةٍ ، فعلّق بها سيفه ، قال جابرٌ : فنمنا نومةً ، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فأجبناه ، وإذا عنده أعرابيٌّ جالسٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائمٌ ، فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فقال : من يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشام السيف وجلس » . ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك .

وقد رواه مسلم[٥] أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عفّان ، عن أبانٍ ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٦) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٧٣) .
(٤) رواها البخاري رقم (٤١٣٥) ومسلم رقم (٨٤٣) (١٣) و(١٤) .
(٥) رواه مسلم رقم (٨٤٣) .

عن أبي سلمة ، عن جابرٍ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بذات الرّقاع ، وكنا إذا أتينا على شجرةٍ ظليلةٍ تركناها لرسول الله ﷺ ، فجاءه رجل من المشركين وسيف رسول الله ﷺ معلّقٌ بشجرةٍ ، فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاخترطه ، وقال لرسول الله ﷺ : تخافني ؟ قال : « لا » قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : « الله يمنعني منك » . قال : فتهدّده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف وعلّقه . قال : ونودي بالصلاة ، فصلّى بطائفةٍ ركعتين ، ثم تأخّروا وصلّى بالطائفة الأخرى ركعتين . قال : فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعاتٍ وللقوم ركعتان .

وقد علّقه البخاريّ[1] بصيغة الجزم ، عن أبانٍ به .

قال البخاريّ : وقال مسدّدٌ ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشرٍ : إنّ اسم الرجل غورث بن الحارث .

وأسند البيهقيّ[2] ، من طريق أبي عوانة ، عن أبي بشرٍ ، عن سليمان بن قيسٍ ، عن جابرٍ قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة بنخلٍ ، فرأوا من المسلمين غِرّةً ، فجاء رجلٌ منهم يقال له : غورث بن الحارث .

حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال : من يمنعك مني ؟ قال : « الله » . فسقط السيف من يده ، فأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال : « من يمنعك مني ؟ » . فقال : كن خير آخذٍ . قال : « تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » .

قال : لا ، ولكن أعاهدك على أن لا أُقاتلك ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك . فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس . ثم ذكر صلاة الخوف ، وأنه صلّى أربع ركعاتٍ ، بكلّ طائفةٍ ركعتين . وقد أورد البيهقيّ هنا طرق صلاة الخوف بذات الرّقاع ، عن صالح بن خوّات بن جبيرٍ ، عن سهل بن أبي حثمة ، وحديث الزهريّ ، عن سالمٍ ، عن أبيه في صلاة الخوف بنجدٍ ، وموضع ذلك كتاب « الأحكام » والله تعالى أعلم .

قصة
الذي أُصيبت امرأته في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق[3] : حدّثني عمّي صدقة بن يسارٍ[4] ، عن عقيل بن جابرٍ ، عن جابر بن

---

(١) رقم (٤١٣٦) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٠٨) .
(٤) قال أبو ذر الخشني : ذِكر « عمي » في هذا الحديث خطأ ، وصدقة هذا جزري سكن بمكة . وليس بعم محمد بن إسحاق . انظر « شرح غريب السيرة » (٢/ ١٩١) .

عبد الله الأنصاريّ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ ، فأصاب [رجلٌ] امرأة رجلٍ من المشركين ، فلمّا انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمدٍ دماً . فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : « من رجلٌ يكلؤنا ليلتنا ؟ » فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار . فقالا : نحن يا رسول الله . قال : « فكُونا بفم الشّعب من الوادي » . وهما عمار بن ياسرٍ ، وعبّاد بن بشرٍ ، فلمّا خرجا إلى فم الشّعب قال الأنصاريّ للمهاجريّ : أيّ الليل تحبّ أن أكفيكه ؛ أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله . فاضطجع المهاجريّ فنام ، وقام الأنصاريّ يصلّي . قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل ، عرف أنه ربيئة القوم ، فرمى بسهمٍ فوضعه فيه ، فانتزعه ووضعه ، وثبت قائماً . قال : ثم رمى بسهمٍ آخر فوضعه فيه . قال : فانتزعه ، فوضعه وثبت قائماً . قال : ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ صاحبه ، فقال : اجلس فقد أُثبتّ . قال : فوثب الرجل ، فلمّا رآهما الرجل ، عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجريّ ما بالأنصاريّ من الدماء ، قال : سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك ؟! قال : كنت في سورةٍ أقرؤها ، فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها ، فلما تابع عليّ الرّمي ركعت فآذنتك ، وايم الله لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها .

هكذا ذكره ابن إسحاق في « المغازي » .

وقد رواه أبو داود[١] ، عن أبي توبة ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن إسحاق به .

وقد ذكر الواقديّ[٢] ، عن عبد الله العمريّ ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمدٍ ، عن صالح بن خوّاتٍ ، عن أبيه حديث صلاة الخوف بطوله قال : وكان رسول الله ﷺ قد أصاب في محالّهم نسوةً ، وكان في السبي جاريةٌ وضيئةٌ ، وكان زوجها يحبّها ، فحلف ليطلبنّ محمداً ، ولا يرجع حتى يصيب دماً أو يخلّص صاحبته . ثم ذكر من السياق نحو ما أورده محمد بن إسحاق .

قال الواقديّ[٣] : وكان جابر بن عبد الله يقول : [بينا] أنا مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء رجلٌ من أصحابه بفرخ طائرٍ ، ورسول الله ﷺ ينظر إليه ، فأقبل إليه أبواه أو أحدهما ، حتى طرح نفسه في يدي الذي أخذ فرخه ، فرأيت أنَّ الناس عجبوا من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا الطائر ؟! أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمةً لفرخه ، فوالله لربّكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه » .

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٩٨) ، وهو حديث حسن .
(٢) انظر « المغازي » (١/٣٩٦) .
(٣) انظر « المغازي » (١/٣٩٨) .

قصة

جمل جابرٍ في هذه الغزوة

قال محمد بن إسحاق[١] : حدّثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرّقاع من نخلٍ ، على جملٍ لي ضعيفٍ ، فلمّا قفل رسول الله ﷺ جعلت الرّفاق تمضي ، وجعلت أتخلّف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال : « ما لك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جملي هذا . قال : « أنخه » . قال : فأنخته وأناخ رسول الله ﷺ ثم قال : « أعطني هذه العصا من يدك » . أو : « اقطع عصاً من شجرةٍ » . ففعلت فأخذها رسول الله ﷺ فَنَخَسَهُ بها نَخَسَاتٍ ، ثم قال : اركب ، فركبتُ ، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقةً فقال لي : « أتبيعني جملك هذا يا جابر ؟ » قال : قلت : بل أهبه لك . قال : « لا ، ولكن بعنيه » .

قال : قلت : فسُمنيه . قال : « قد أخذتُه بدرهمٍ » . قال : قلت : لا ، إذاً تغبنني يا رسول الله . قال : « فبدرهمين » . قال: قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ ، حتى بلغ الأوقيّة . قال : فقلت : أفَقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . قلت : فهو لك . قال : « قد أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوّجت بعد ؟ » قال : قلت : نعم يا رسول الله . قال : « أثيّبا أم بكراً ؟ » قال : قلت : بل ثيّبا . قال : « أفلا جاريةً تلاعبها وتلاعبك ؟ » . قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي أُصيب يوم أحدٍ ، وترك بناتٍ له سبعاً ، فنكحت امرأةً جامعةً ، تجمع رؤوسهن ، فتقوم عليهن . قال: « أصبت إن شاء الله ، أما إنا لو قد جئنا صراراً ، أمرنا بجزورٍ فنحرت فأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعتْ بنا فنفضت نمارقها » .

قال : فقلت : والله يا رسول الله ، ما لنا من نمارق . قال : « إنّها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيِّساً » . قال : فلمّا جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزورٍ فنحرت ، فأقمنا عليها ذلك اليوم ، فلمّا أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا . قال : فحدّثتُ المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله ﷺ . قالت : فدونك ، فسمعٌ وطاعةٌ . فلمّا أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ ، ثم جلست في المسجد قريباً منه . قال : وخرج رسول الله ﷺ ، فرأى الجمل فقال : « ما هذا ؟ » . قالوا : يا رسول الله ، هذا جملٌ جاء به جابرٌ . قال : « فأين جابرٌ ؟ » . فدعيت له . قال : فقال : « يابن أخي ، خذ برأس جملك ، فهو لك » . قال : ودعا بلالاً فقال : « اذهب بجابرٍ فأعطه أُوقيّة » . قال : فذهبت معه ، فأعطاني أوقيّةً ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال ينمي عندي ويُرى مكانه من بيتنا ، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا . يعني يوم الحرّة . وقد أخرجه صاحبا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٠٦) .

« الصحيح » من حديث عبيد الله بن عمر العمريّ ، عن وهب بن كيسان ، عن جابرٍ بنحوه .

(قال السّهيليّ[١] : في هذا الحديث إشارةٌ إلى ما كان أخبر به رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله ؛ أنّ الله أحيا [والده] وكلّمه ، فقال له : « تمنّ عليّ » . وذلك أنّه شهيدٌ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] وزادهم على ذلك في قوله : ﴿ ۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ [يونس : ٢٦] . ثم جمع لهم بين العوض والمعوّض ، فردّ عليهم أرواحهم التي اشتراها منهم ، فقال : ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . والرّوح للإنسان بمنزلة المطيّة ، كما قال ذلك عمر بن عبد العزيز . قال : ولذلك اشترى رسول الله [ﷺ] من جابرٍ جمله وهو مطيّته فأعطاه ثمنه ، ثم ردّه عليه وزاده مع ذلك . قال : ففيه تحقيقٌ لما كان أخبره [به] ، عن أبيه . وهذا الذي سلكه السهيليّ ههنا إشارةٌ غريبةٌ وتخيّلٌ بديعٌ . والله سبحانه وتعالى أعلم)[٢] .

وقد ترجم الحافظ البيهقيّ في كتابه « دلائل النبوة »[٣] على هذا الحديث في هذه الغزوة فقال : باب ما ظهر في غزاته هذه من بركاته وآياته في جمل جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه . وهذا الحديث له طرقٌ عن جابرٍ وألفاظٌ كثيرةٌ ، وفيه اختلافٌ كثيرٌ في كمية ثمن الجمل وكيفية ما اشترط في البيع . وتحرير ذلك واستقصاؤه لائقٌ بكتاب البيع من « الأحكام » والله أعلم .

وقد جاء تقييده بهذه الغزوة ، وجاء تقييده بغيرها ، كما سيأتي ، ومُسْتَبْعَد تعداد ذلك ، والله أعلم .

غزوة بدرٍ الآخرة

وهي بدرٌ الموعد[٤] ، التي تواعدوا إليها من أحدٍ ، كما تقدم .

قال ابن إسحاق[٥] : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرّقاع ، أقام بها بقية جمادى [الأولى] وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدراً ، وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة ، حتى نزل مجنّة من ناحية الظّهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسفان . ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريشٍ ، إنه لا يصلحكم إلاّ عامٌ خصيبٌ ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، فإن عامكم هذا عامُ جدبٍ ، وإني راجعٌ فارجعوا . فرجع الناس ، فسمّاهم أهل مكة جيش السَّوَيق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السّويق .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/٢٤٨) .

(٢) ما بين القوسين ورد في حاشية الأصل (آ) وما بين الحاصرتين سقط منه وأثبته من (ط) .

(٣) (٣/٣٨١) .

(٤) وقال المؤلف في « الفصول في سيرة الرسول » ص(١٦٣) : « وهذه الغزوة تسمى بدراً الثالثة ، وبدر الموعد » .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٠٩) .

قال : وأتى مخشيّ بن عمرو الضّمريّ ، وقد كان وادع النبيّ ﷺ في غزوة وَدّان على بني ضمرة ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء قريشٍ على هذا الماء ؟ قال : « نعم يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ما كان بيننا وبينك وجالدناك ، حتى يحكم الله بيننا وبينك » . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك من حاجةٍ . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولم يلق كيداً .

قال ابن إسحاق[١] : وقد قال عبد الله بن رواحة ـ يعني في انتظارهم أبا سفيان ، ورجوعه بقريشٍ عامه ذلك ـ قال ابن هشام : وقد أنشدنيها [أبو] زيدٍ لكعب بن مالكٍ[٢] : [من الطويل]

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافيا
فأُقسم لو لاقيتنا فلقيتنا ... لأُبْتَ ذَميماً وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعَمْراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أُفٍّ لدينكم ... وأمركم السَّيْءِ الذي كان غاويا
فإني وإن عنّفتموني لقائلٌ ... فِدىً لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهاباً لنا في ظلمة الليل هادياً

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابتٍ في ذلك[٣] : [من الطويل]

دعوا فلجات الشام قد حال دونها ... جلادٌ كأفواه المخاض الأواركِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربّهم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائكِ
إذا سلكت للغَور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالكِ
أقمنا على الرّسّ النّزوع ثمانياً ... بأرعن جرّارٍ عريض المباركِ
بكلّ كميتٍ جَوزه نصف خلقه ... وقُبٍّ طوالٍ مشرفات الحواركِ
ترى العرفج العاميّ تذري أصوله ... مناسم أخفاف المطيّ الرّواتكِ
فإن نلق في تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيّانٍ يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده ... يزد في سواد لونُه لونُ حالكِ
فأبلغ أبا سفيان عني رسالةً ... فإنك من غرّ الرجال الصّعالك

قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ـ وقد أسلم فيما بعد ذلك ـ : [من الطويل]

أحسان إنّا يا بن آكلة الغفا ... وجدّك نغتال الخروق[٤] كذلكِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٠) .
(٢) انظر « ديوانه » ص (٢٢٢) .
(٣) انظر « ديوانه » (١/ ٨٥) وفيها بعض الخلاف عما في كتابنا بألفاظها وترتيبها .
(٤) في هامش « السيرة النبوية » : « الغفا : التمر . يري أنهم أهل نخيل وتمر . ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق وهو الفلاة الواسعة » .

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا ولو وألت منا بشدٍّ مدارك
إذا ما انبعثنا من مناخٍ حسبتَه مُدَمَّنَ أهل الموسم المتعارك
أقمتَ على الرّسّ النّزوع تريدنا وتتركنا في النخل عند المدارِكِ
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فما وطئت ألصقنه بالدَّكادك
أقمنا ثلاثاً بين سلعٍ وفارعٍ بجرد الجياد والمطيّ الرّواتك
حسبتم جلاد القوم عند فنائكم كمأخذكم بالعين أرطال آنُك
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها على نحو قول المعصم المتماسك
سعدتم بها وغيركم كان أهلها فوارس من أبناء فهر بن مالكِ
فإنك لا في هجرة إن ذكرتَها ولا حرمات دينها أنت ناسكُ

قال ابن هشامٍ[(١)] : تركنا منها أبياتاً ؛ لاختلاف قوافيها .

وقد ذكر موسى بن عقبة[(٢)] ، عن الزهريّ ، وابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزّبير ، أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يثبّطونهم ، فسلّم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدرٍ ، وأخذوا معهم بضائع ، وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان ، وإلاّ اشترينا من بضائع موسم بدرٍ . ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنّةَ ورجوعه ، وفي مقاولة الضّمريّ ، وعرض النبيّ ﷺ المنابذة فأبى ذلك .

قال الواقديُّ[(٣)] : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألفٍ وخمسمئةٍ من أصحابه ، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وكان خروجه إليها في مستهلّ ذي القعدة . يعني سنة أربعٍ . والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة ، ووافق قول موسى بن عقبة أنها في شعبان ، لكن قال : في سنة ثلاثٍ . وهذا وهمٌ ؛ فإنّ هذه تواعدوا إليها من أحدٍ ، وقد كانت أحدٌ في شوالٍ سنة ثلاثٍ كما تقدّم ، والله أعلم .

قال الواقديّ[(٤)] : فأقاموا ببدرٍ مدة الموسم الذي كان يعقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا ، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : ١٧٤] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢١٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٣٨٤) .
(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٨٧) .
(٤) انظر « المغازي » (١/ ٣٨٨) .

فصلٌ
في جملٍ من الحوادث الواقعة سنة أربعٍ من الهجرة

قال ابن جريرٍ[١] : وفي جمادى الأولى من هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه ـ قلت : من رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ ـ وهو ابن ست سنين ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ ، ونزل في حفرته والده عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه .

قلت : وفيه توفّي أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزومٍ القرشيّ المخزوميّ[٢] ، وأمّه برّة بنت عبد المطلب ، عمّة رسول الله ﷺ ، وكان رضيع رسول الله ﷺ ؛ ارتضعا من ثويبة مولاة أبي لهبٍ ، وكان إسلام أبي سلمة وأبي عبيدة وعثمان بن عفان[٣] والأرقم بن أبي الأرقم قديماً في يوم واحدٍ ، وقد هاجر هو وزوجته أمّ سلمة إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة ، وقد ولد لهما بالحبشة أولادٌ ، ثم هاجر من مكَّة إلى المدينة ، وتبعته أمّ سلمة إلى المدينة كما تقدّم ، وشهد بدراً وأحداً ، ومات من آثار جرحٍ جرحه بأُحدٍ ، رضي الله عنه وأرضاه ، له حديثٌ واحدٌ في الاسترجاع عند المصيبة ، سيأتي في سياق تزويج رسول الله ﷺ بأمّ سلمة قريباً .

قال ابن جريرٍ[٤] : وفي ليالٍ خلون من شعبان ولد الحسين بن عليّ من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ورضي الله عنهم .

قال[٥] : وفي شهر رمضان من هذه السنة ، تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلاليّة .

وقد حكى أبو عمر بن عبد البرّ[٦] ، عن عليٍّ بن عبد العزيز الجرجانيّ أنه قال : كانت أخت ميمونة بنت الحارث ، ثم استغربه وقال : لم أره لغيره ، وهي التي يقال لها : أمّ المساكين . لكثرة صدقاتها عليهم وبرّها لهم وإحسانها إليهم ، وأصدقها ثنتي عشرة أوقيّةً ونشّاً ، ودخل بها في رمضان ، وكانت قبله عند الطّفيل بن الحارث فطلّقها .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) .
(٢) ترجمته في « أسد الغابة » (٦/ ١٥٢) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) ، والصحيح هنا والله أعلم ، ذكر عثمان بن مظعون ، لا عثمان بن عفَّان ، لأن عثمان بن مظعون ، هو الذي هاجر إلى الحبشة ، انظر « الإصابة » (٢/ ٤٦٤) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) .
(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٥٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١١٩) .
(٦) في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٤/ ١٨٥٤) .

قال أبو عمر بن عبد البرّ[١] ، عن عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ : ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد منافٍ .

قال ابن الأثير في « الغابة »[٢] : وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحشٍ ، فقتل عنها يوم أحدٍ .

قال أبو عمر : ولا خلاف أنها ماتت في حياة رسول الله ﷺ ، وقيل : لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثةً حتى توفّيت ، رضي الله عنها .

وقال الواقديّ[٣] : في شوالٍ من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أمّ سلمة بنت أبي أميّة .

قلت : وكانت قبله عند زوجها ، أبي أولادها ، أبي سلمة بن عبد الأسد ، وقد كان شهد بدراً وأحداً كما تقدّم ، وجرح يوم أحدٍ ، فداوى جرحه شهراً حتى برأ ، ثم خرج في سريةٍ ، فغنم منها نَعَماً ومغنماً جيداً ، ثم أقام بعد ذلك سبعة عشر يوماً ، ثم انتقض عليه جرحه ، فمات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، فلما حلّت في شوالٍ خطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها بنفسه الكريمة ، وبعث إليها عمر بن الخطاب في ذلك مراراً ، فتذكر أنها امرأةٌ غيرى ؛ أي شديدة الغيرة ، وأنها مُصبيةٌ ؛ أي لها صبيانٌ يشغلونها عنه ، ويحتاجون إلى مؤنةٍ ، تحتاج معها أن تعمل لهم في قوتهم ، فقال : « أما الصّبية فإلى الله وإلى رسوله ـ أي نفقتهم ـ ليس إليك ، وأما الغيرة فأدعو الله فيذهبها » . فأذنت في ذلك ، وقالت لعمر آخر ما قالت له : قم ، فزوّج النبيّ ﷺ . تعني : قد رضيت وأذنت . فتوهّم بعض العلماء أنها تقول لابنها عمر بن أبي سلمة ، وقد كان إذ ذاك صغيراً لا يلي مثله العقد ، وقد جمعت في ذلك جزءاً مفرداً بيّنت فيه الصواب في ذلك ، ولله الحمد والمنة ، وأن الذي ولي عقدها عليه ابنها سلمة بن أبي سلمة ، وهو أكبر ولدها ، وساغ هذا ؛ لأن أباه ابن عمّها ، فللابن ولاية أمّه إذا كان سبباً لها من غير جهة البنوّة بالإجماع . وكذا إذا كان معتقاً أو حاكماً ، فأما محض البنوة فلا يلي بها عقد النكاح عند الشافعيّ وحده ، وخالفه الثلاثة ؛ أبو حنيفة ومالكٌ وأحمد بن حنبلٍ ، رحمهم الله ، ولبسط هذا موضعٌ آخر يذكر فيه ، وهو كتاب النّكاح من « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا يونس ، ثنا ليث ، يعني ابن سعدٍ ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن عمرو بن أبي عمرٍو ، عن المطلب ، عن أمّ سلمة قال : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً فسررت به ؛ قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبةٌ ، فيسترجع عند مصيبته ، ثم يقول : اللهم أجُرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها . إلا فعل به » . قالت

---

(١) انظر « الاستيعاب » (٤/ ١٨٥٤) .

(٢) يعني في « أسد الغابة » والنقل فيه (٧/ ١٢٩) .

(٣) انظر « المغازي » (١/ ٣٤٤) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٧) ، والمطلب روايته عن الصحابة مرسلة ، إلا أمثال أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وسلمة بن الأكوع ومن كان قريباً من طبقتهم ، ولكن يشهد للحديث ما بعده .

أمّ سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفّي أبو سلمة استرجعت ، وقلت : اللهم أجُرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها . ثم رجعت إلى نفسي ، قلت : من أين لي خيرٌ من أبي سلمة ؟ فلما انقضت عدّتي استأذن عليّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي ، فغسلت يديّ من القرظ ، وأذنت له ، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليفٌ ، فقعد عليها ، فخطبني إلى نفسي ، فلمّا فرغ من مقالته قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرّغبة ، ولكني امرأةٌ فيّ غيرةٌ شديدةٌ ؛ فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذّبني الله به ، وأنا امرأةٌ قد دخلت في السنّ ، وأنا ذات عيالٍ . فقال : « أمّا ما ذكرتِ من الغيرة فسيذهبها الله عنك ، وأما ما ذكرت من السنّ ؛ فقد أصابني مثل الذي أصابك ، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي » . قالت : فقد سلّمت لرسول الله ﷺ . فقالت أم سلمة : فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه ؛ رسول الله ﷺ .

وقد رواه الترمذيّ والنسائيّ[١] ، من حديث حمّاد بن سلمة ، عن ثابتٍ ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أمّه أمّ سلمة ، عن أبي سلمة به ، وقال الترمذي : حسن غريب ، وفي رواية للنسائي[٢] عن ثابت عن ابن عمر بن أبي سلمة . ورواه ابن ماجه[٣] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن عبد الملك بن قدامة الجمحيّ ، عن أبيه ، عن عمر بن أبي سلمة به .

وقال ابن إسحاق[٤] : ثم انصرف رسول الله ﷺ ـ يعني من بدرٍ الموعد ـ راجعاً إلى المدينة ، فأقام بها حتى مضى ذو الحجّة ، وولي تلك الحجّة المشركون ، وهي سنة أربعٍ .

وقال الواقديّ[٥] : وفي هذه السنة ـ يعني سنة أربع ـ أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابتٍ أن يتعلّم كتاب يهود .

قلت : فثبت عنه في « الصحيح »[٦] أنه قال : تعلّمته في خمسة عشر يوماً ، والله أعلم .

* * *

(١) رواه الترمذي رقم (٣٥١١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٩٠٩) و(١٠٩١٠) ، وهو حديث صحيح بطرقه وانظر مسند أحمد (٤٤/ ٢٧١) .
(٢) في الكبرى (١٠٩١١) .
(٣) في « السنن » رقم (١٥٩٨) ، وهو حديث صحيح بطرقه .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .
(٥) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦١) .
(٦) روى البخاري أصله برقم (٧١٩٥) تعليقاً ولم يذكر عدد الأيام فيه ، وقد وصله في « تاريخه الكبير » ، ورواه أبو داود رقم (٣٦٤٥) والترمذي رقم (٢٧١٥) وقال : حسن صحيح وهو كما قال .

سنة خمس من الهجرة النبوية

غزوة دومة الجَنْدَل[١]

في ربيع الأول [منها]

قال ابن إسحاق[٢] : ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل[٣] .

قال ابن هشام[٤] : في ربيع الأول ـ [يعني] من سنة خمس ـ واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري .

قال ابن إسحاق[٥] : ثم رجع إلى المدينة قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته . هكذا قال ابن إسحاق .

وقد قال محمد بن عمر الواقدي[٦] بإسناده ، عن شيوخه ، عن جماعة من السَّلَف قالوا : أراد رسول الله ﷺ أن يدنو إلى أداني الشام ، وقيل له : إن ذلك مما يفزع قيصر وذكر له [أن] بدومة الجندل جمعاً كثيراً[٧] ، وأنهم يظلمون من مر بهم ، وكان بها[٨] سوق عظيم ، وهم يريدون أن يدنوا من المدينة ، فندب رسول الله ﷺ الناس ، فخرج في ألف من المسلمين ، فكان يسير الليل ، ويكمُن النهار ، ومعه دليل له من بني عذرة يقال له : مذكور . هادٍ خِرِّيت[٩] ، فلما دنا من دومة الجَنْدَل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم ، فأصاب من أصاب ، وهرب من هرب في كل [وجه] ، وجاء الخبرُ أهلَ دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم ، فلم يجد بها[١٠] أحداً ، فأقام بها

---

(١) انظر « عيون الأثر » (٢/ ٨٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٨) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٦٣) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٣) دومة الجندل : على سبع مراحل من دمشق ، بينها وبين مدينة الرسول ﷺ . انظر « معجم البلدان » (٢/ ٤٨٧) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٣) .

(٦) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٢) .

(٧) في (آ) : « كبيراً » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .

(٨) في (ط) : « لها » .

(٩) الخِرِّيت : الماهر . انظر « النهاية » (٢/ ١٩) .

(١٠) في (ط) : « فيها » .

أياماً ، وبثَّ السرايا ، ثم رجعوا ، وأخذ محمد بن مسلمة رجلاً منهم ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه ، فقال : هربوا أمس . فعرض عليه رسول الله ﷺ [الإسلام] ، فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة .

قال الواقدي[١] : وكان خروجه ، عليه السلام ، إلى دومة الجندل في ربيع الأول[٢] سنة خمس .

قال : وفيه[٣] توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله ﷺ[٤] في هذه الغزوة .

وقد قال أبو عيسى الترمذي في « جامعه »[٥] : ثنا محمد بن بشار ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب : أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ، فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر .

وهذا مرسل جيد[٦] ، وهو يقتضي أنه ، عليه السلام ، غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه ، على ما ذكره الواقدي ، رحمه الله .

غزوة الخندق

وهي غزوة الأحزاب

وقد أنزل الله تعالى فيها صدر سورة « الأحزاب » ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٢) .
(٢) في (ط) : « في ربيع الآخر » .
(٣) يعني في شهر ربيع الأول من سنة خمس من الهجرة النبوية .
(٤) يعني : وابنها غائب مع رسول الله ﷺ .
(٥) رقم (١٠٣٨) .
(٦) فهو ضعيف .

كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْءَاخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ اللَّهُ الصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٧] ، وقد تكلمنا على كل من هذه الآيات الكريمات في « التفسير »[١] ، ولله الحمد والمنَّة .

ولنذكر هاهنا ما يتعلق بالقصة إن شاء الله ، وبه الثقة وعليه التّكلان .

وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة . نصَّ على ذلك ابن إسحاق ، وعروة بن الزُّبير ، وقتادة ، والبيهقي ، وغير واحد من العلماء ، سلفاً وخلفاً[٢] .

وقد روى موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، أنه قال : ثم كانت وقعة الأحزاب في شوال سنة أربع ، وكذلك قال الإمام مالك بن أنس ، فيما رواه أحمد بن حنبل ، عن موسى بن داود ، عنه[٣] .

قال البيهقي[٤] : ولا اختلاف بينهم في الحقيقة ؛ لأن مرادهم أن ذلك بعد مضي أربع سنين وقبل استكمال خمس .

ولا شك أن المشركين لما انصرفوا عن أُحد واعدوا المسلمين إلى بدر العام القابل ، فذهب النبي ﷺ وأصحابه كما تقدم في شعبان سنة أربع[٥] ، ورجع أبو سفيان بقريش لجدب ذلك العام ، فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد شهرين ، فتعيَّن أن الخندق في شوال من سنة خمس[٦] ، والله أعلم .

وقد صرَّح الزُّهري[٧] بأن الخندق كانت بعد أُحد بسنتين ، ولا خلاف أن أُحداً في شوال سنة ثلاث ،

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلِّف (٦/ ٣٨٤) .
(٢) قلت : ومنهم ابن قيم الجوزية في « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٠) والذهبي في « الإعلام بوفيات الأعلام » ص (٢٢) وابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٣) قلت : وهو ما رجّحه الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩٥) .
(٥) انظر ص(٢٧٤) من هذا الجزء .
(٦) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٠) .
(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/ ٢٨٥) .

إلا على قول من ذهب إلى أن أول التاريخ من محرم السنة التالية لسنة الهجرة ، ولم يعدوا الشهور الباقية من سنة الهجرة من ربيع الأول إلى آخرها ، كما حكاه البيهقي ، وبه قال يعقوب بن سفيان الفَسَوي ، وقد صرّح بأن بدراً في الأولى ، وأحداً في سنة ثنتين ، وبدراً الموعد في شعبان سنة ثلاث ، والخندق في شوال سنة أربع . وهذا مخالف لقول الجمهور ؛ فإن المشهور أن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب جعل أول التاريخ من محرم سنة الهجرة . وعن مالك : من ربيع الأول سنة الهجرة ، فصارت الأقوال ثلاثة ، والله أعلم .

والصحيح قول الجمهور أن أُحداً في شوال سنة ثلاث ، وأن الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة ، والله أعلم .

فأما الحديث المتفق عليه في « الصحيحين »[(١)] من طريق عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه قال : « عُرضتُ على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني ، وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني » .

فقد أجاب عنه جماعة من العلماء ، منهم البيهقي[(٢)] بأنه عُرض يوم أحد في أول الرابعة عشرة ، ويوم الأحزاب في أواخر الخامسة عشرة[(٣)] .

قلت : ويحتمل أنه أراد أنّه لما عرض عليه [في] يوم الأحزاب ، كان قد استكمل خمس عشرة سنة ، التي يجاز لمثلها الغِلمان ، فلا يبقى على هذا زيادة عليها . ولهذا لما بلّغ نافعٌ عمرَ بن عبد العزيز هذا الحديث قال : إن هذا لفرق بين الصغير والكبير ، ثم كتب به إلى الآفاق ، واعتمد على ذلك جمهور العلماء ، والله أعلم .

وهذا سياق القصة ، مما ذكره ابن إسحاق وغيره :

قال ابن إسحاق[(٤)] : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، فحدثني يزيد بن رُومان ، عن عُروة ، ومن لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرظي ، والزُّهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، وبعضهم يُحَدِّث ما لا يحدِّث بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ـ منهم : سلاّم بن أبي الحُقيق النّضري ، وحُييّ بن أخطب النّضري ، وكِنَانَة بن الرَّبيع بن أبي الحُقيق ، وهَوْذَة بن قيس الوائلي ، وأبو عَمَّار الوائلي ، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٦٤) و(٤٠٩٧) ومسلم رقم (١٨٦٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٣٩٦) .
(٣) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٤) .

خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفَدِيننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقِّ منه . فهم الذين أنزل الله عليهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥١ ـ ٥٢] فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب النَّبي ﷺ وأخبروهم أنهم يكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك واجتمعوا معهم فيه ، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، في بني فزارة ، والحارث بن عوف [بن] أبي حارثة المُرِّي ، في بني مُرَّة ، ومِسْعَر بن رُخيلة بن نُويرة بن طريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خُلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة .

قال ابن هشام[١] : يقال : إن الذي أشار به سلمان .

قال الطَّبري والسُّهيلي[٢] : أوّل من حفر الخنادق منوشهر بن إيرج بن أفريدون ، وكان في زمن موسى ، عليه السلام .

قال ابن إسحاق[٣] : فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون ، وتخلَّف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف ، ومنهم من يَنْسَلُّ خفية بغير إذنه ولا علمه ، عليه الصلاة والسلام .

وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ [بَيْنَكُمْ] كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور : ٦٢ ـ ٦٤] .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٤) وانظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٢) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (١/ ٣٧٩) و« الروض الأنف » (٦/ ٣٠٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٦) .

قال ابن إسحاق[١] : فعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له : جُعيل . سمَّاه رسول الله ﷺ عَمراً ، فقالوا فيما يقولون : [من الرجز]

سمَّاه من بعد جُعَيْلٍ عَمْرا ... وكان للبائس يوماً ظهرا[٢]

وكانوا إذا قالوا : عَمرا . قال معهم رسول الله ﷺ : « عَمراً » . وإذ قالوا : ظهراً . قال لهم : « ظهراً » .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن حميد ، سمعت أنساً ، قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق ، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال : « اللهم إن العيش عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة » . فقالوا مجيبين له : [من الرجز]

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث شعبة ، عن معاوية بن قُرّة ، عن أنس ، نحوه .

وقد رواه مسلم[٥] من حديث حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن ثابت ، وحُميد ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري[٦] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة ، وينقلون التراب على متونهم ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

قال : يقول النبي ﷺ يجيبهم : « اللهم [إنه] لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة » . قال : ويؤتون بملء كفي من الشعير ، فيصنع [لهم] بإهالة سنِخة توضع بين يدي القوم والقوم جياع ، وهي بشعة في الحلق ، ولها ريح منتن .

وقال البخاري[٧] : ثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وهم يحفرون ، ونحن ننقل التراب على أكتادنا ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للمهاجرين والأنصار » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٧) .
(٢) ظهراً : أي قوة .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٨٣٤) و(٤٠٩٩) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٧٩٥) و(٦٤١٣) ومسلم رقم (١٢٧) و(١٨٠٥) .
(٥) في « صحيحه » رقم (١٨٠٥) (١٣٠) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٨٣٥) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤٠٩٨) .

ورواه مسلم[١] ، عن القَعْنَبيّ ، عن عبد العزيز ، به .

وقال البخاري[٢] : ثنا مسلم بن إبراهيم ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : كان النبيُّ ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنُه ـ أو اغبرّ بطنه ـ يقول : [من الرجز]

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغَوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته : « أبينا ، أبينا » .

ورواه مسلم[٣] ، من حديث شعبة به .

ثم قال البخاري[٤] : ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا شريح بن مَسْلَمة ، حدثني إبراهيم بن يوسف ، حدثني أبي ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يحدث قال : لما كان يوم الأحزاب وخَنْدَق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر ، فسمعته يرتجز بكلمات عبد الله بن رواحة[٥] ، وهو ينقل من التراب يقول : [من الرجز]

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغَوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ثم يمدُّ صوته بآخرها .

وقال البيهقي في « الدلائل »[٦] : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفّار ، ثنا إسماعيل بن الفضل البلخي[٧] ثنا إبراهيم بن يوسف البلخي ، ثنا المسيّب بن شريك ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، [أن] رسول الله ﷺ ضرب في الخندق وقال : [من الرجز]

بسم الله وبه هُدِينا ولو عَبَدْنَا غيرَه شَقِيْنَا
يا حبذا ربّاً وحبَّ دِيْنَاً

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٠٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤١٠٤) .
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٠٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٠٦) .
(٥) انظر « ديوانه » ص(١٣٩) بتحقيق د . وليد قصّاب .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٤) .
(٧) في (ط) : « البجلي » وهو تحريف .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا سليمان ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال ، وهم يحفرون الخندق : « اللهم لا خير إلا خير الآخرة ، فأصلح الأنصار والمهاجرة » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٢] من حديث غُنْدَر[٣] ، عن شُعبة .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان في حفر الخندق أحاديث بلغتني ، فيها [من الله] تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون ، فمن ذلك أن جابر بن عبد الله كان يُحدّث أنه اشتدت عليهم في حفر الخندق كُدْيَة[٥] ، فشكَوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناءٍ من ماءٍ ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح الماء على تلك الكُدْيَة ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحقّ لانهالت حتى عادت كالكثيب ما ترد فأساً ولا مسحاة . هكذا ذكره ابن إسحاق منقطعاً ، عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاري[٦] ، رحمه الله : [حدثنا خلاَّد بن يحيى] ، ثنا عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه قال : أتيت جابراً فقال : إنَّا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كَيْدة[٧] شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كُدية عرضت في الخندق . فقال : « أنا نازل » . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقاً ، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب ، فعاد كثيباً أهيل أو أهيم ، فقلت : يا رسول الله ، ائذن لي إلى البيت . فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر ، فَعِنْدي شيء ؟ قالت : عندي شعير وعَنَاق[٨] . فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البُرمة ، ثم جئت النبي ﷺ ، والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضج ، فقلت : طُعيم[٩] لي ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان . قال : « كم هو ؟ » . فذكرت له ، قال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة و[لا] الخبز من التنُّور حتى آتي » . فقال : « قوموا » . فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحكِ ، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم . قالت : هل سألك ؟ قلت :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٠) .
(٢) رواه البخاري رقم (٦٤١٣) ومسلم رقم (١٨٠٥) .
(٣) وهو لقبه ، واسمه (محمد بن جعفر الهذلي البصري) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٢٢٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٧) .
(٥) الكدية : القطعة الصلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٠١) .
(٧) وهي القطعة الشديدة الصلبة من الأرض وانظر « فتح الباري » (٧/ ٣٩٦) .
(٨) العناق : الأنثى من ولد الماعز .
(٩) الطُعَيم : تصغير طعام .

نعم . فقال : « ادخلوا ولا تضاغطوا »[(١)] . فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمِّر البُرمة والتَّنُّور إذا أخذ منه ، ويقرِّب إلى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر [الخبز] ويغرف حتى شبعوا ، وبقي بقية ، قال : « كلي هذا وأهدِي ، فإنَّ الناس أصابتهم مجاعة » . تفرَّد به البخاري .

وقد رواه الإمام أحمد[(٢)] ، عن وكيع ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه أيمن الحبشي مولى بني مخزوم ، عن جابر بقصة الكُدية وربط الحجر على بطنه الكريم .

ورواه البيهقي في « الدلائل »[(٣)] عن الحاكم[(٤)] ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بكير ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، بقصة الكُدية والطعام ، وطوله أتم من رواية البخاري ؛ قال فيه : لما علم النبي ﷺ بمقدار الطّعام قال للمسلمين جميعاً : « قوموا إلى جابر » . فقاموا ، قال : فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله ، وقلت : جاء بالخَلق على صاع من شعير وعناق ! ودخلت على امرأتي أقول : افتضحتِ ؛ جاءكِ رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين . فقالت : هل كان سألك كم طعامك ؟ قلت : نعم . فقالت : الله ورسوله أعلم . قال : فكشفت عني غمّاً شديداً . قال : فدخل رسول الله ﷺ فقال : « خذي ودعيني من اللحم » . وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ، ثم يخمِّر هذا ويخمِّر هذا ، فما زال يقرِّب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ، ويعود التنّور والقِدْرُ أملأ ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « كلي وأهدي » . فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع .

وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة[(٥)] ، عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن عبد الواحد بن أيمن ، عن أبيه ، عن جابر ، به ، وأَبْسَطُ أيضاً ، وقال في آخره : وأخبرني أنهم كانوا ثمانمئة أو قال : ثلاثمئة . وقال يونس بن بكير ، عن هشام بن سعد ، عن أبي الزّبير ، عن جابر ، فذكر القصة بطولها في الطعام فقط ، وقال : وكانوا ثلاثمئة .

ثم قال البخاري[(٦)] : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان ، أخبرنا سعيد بن ميناء ، سمعت جابر بن عبد الله قال : لما حُفر الخندق رأيت من النبي ﷺ خَمَصَاً [شديداً] ، فانكفأت إلى امرأتي ، فقلت : هل عندك شيء ؟ [فإني] رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً . فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ، ولنا بُهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت [الشعير] ، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه . فجئته

---

(١) أي : لا تزاحموا .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٠٠) .
(٣) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٥) .
(٤) يعني صاحب « المستدرك على الصحيحين » وهو شيخ البيهقي .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٢٢) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٠٢) وما بين الحاصرتين تكملة منه .

فساررته فقلت : يا رسول الله ، [ذبحنا] بهيمة لنا ، وطحنَّا صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت ونفر معك . فصاح رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل الخندق ، إن جابراً قد صنع سُؤْراً[١] ، فحي هلاً بكم » . فقال رسول الله ﷺ : « لا تُنزلنَّ برمتكم ، ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أجيء » . فجئت ، وجاء رسول الله ﷺ يقدُمُ الناس ، حتى جئت امرأتي فقالت : بك وبك ، فقلت : قد فعلتُ الذي قلتِ . فأخرجت لنا عجيناً ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادع خَبَّازة فلتخبز معك ، واقدحي من بُرمتكم ولا تنزلوها » . وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن بُرمتنا لتغطّ كما هي ، وإنّ عجيننا كما هو .

[ورواه مسلم[٢] ، عن حجَّاج بن الشاعر ، عن أبي عاصم ، به نحوه] .

وقد روى محمد بن إسحاق[٣] هذا الحديث ، وفي سياقه غرابة من بعض الوجوه ، فقال : حدثني سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، وكانت عندي شُويهة غير جدٍّ سمينة . قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ . قال : وأمرتُ امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحتُ تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ ، فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق . قال : وكنا نعمل فيه نهاراً ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا . قال : فقلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شُويهة[٤] كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فأنا أحب أن تنصرف معي إلى منزلي . قال : وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده . قال : فلما أن قلت ذلك قال : « نعم » . ثم أمر صارخاً ، فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل معه الناس[٥] ، فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرّك وسمى الله تعالى ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

والعجب أن الإمام أحمد إنما رواه[٦] من طريق سعيد بن ميناء ؛ عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، عنه ، عن جابر مثله سواء .

---

(١) أي : طعاماً . وهي من الألفاظ الفارسية المعرَّبة .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٠٣٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٨) .
(٤) الشويهة : تصغير شاة . انظر « مختار الصحاح » (شوه) .
(٥) في (ط) : « وأقبل الناس معه » .
(٦) في « مسنده » (٣/ ٣٧٧) ، وإسناده حسن .

قال محمد بن إسحاق[١] : وحدثني سعيد بن ميناء أنه قد حُدِّث أن ابنةً لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعتني أمي عَمْرَة بنت رواحة ، فأعطتني حَفنة من تمرٍ في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما . قالت : فأخذتها وانطلقت بها ، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : « تعالي يا بُنية ، ما هذا معك ؟ » . قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال : « هاتيه » . قالت : « فصببته في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا[٢] بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ في أهل الخندق أن هَلُمَّ إلى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

هكذا رواه ابن إسحاق ، وفيه انقطاع ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي[٣] من طريقه ، ولم يزد .

قال ابن إسحاق[٤] : وحُدِّثت عن سلمان الفارسي أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت عليّ [صخرة] ، ورسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدِي ، فضرب [به] ضربة لمعت تحت المعول بُرْقَةٌ ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته بُرْقَةٌ أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت بُرْقَةٌ أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول [وأنت تضرب ؟] قال : « أوَ قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : قلت : نعم . قال : « أما الأولى ، فإن الله فتح عليّ بها اليمن ، وأما الثانية ، فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة ، فإن الله فتح عليّ بها المشرق » .

قال البيهقي[٥] : وهذا الذي ذكره ابن إسحاق قد ذكره موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وذكره أبو الأسود ، [عن] عروة .

ثم روى البيهقي[٦] من طريق محمد بن يونس الكديمي ، وفي حديثه نظر .

لكن رواه ابن جرير في « تاريخه »[٧] عن محمد بن بشار بُنْدَار ، كلاهما عن محمد بن خالد بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٨) .
(٢) في (آ) : « دعا » وأثبت لفظ (ط) ودحا : بسط ووسع . انظر « النهاية » (٢/ ١٠٦) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) .
(٧) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٦٧) .

عثمة ، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَني ، عن أبيه ، عن جدِّه ، فذكر حديثاً فيه أن رسول الله ﷺ خطَّ الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعاً .

قال : واحتق[١] المهاجرون والأنصار في سلمان ، فقال رسول الله ﷺ : « سلمان منَّا أهل البيت » . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا ، وسلمان ، وحذيفة ، والنعمان بن مُقَرِّن ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا حتى إذا بلغنا الندى ، ظهرت لنا صخرة بيضاء مَرْوَة ، فكسرت حديدنا وشقت علينا ، فذهب سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو في قبة تركية ، فأخبره عنها ، فجاء فأخذ المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها ـ يعني المدينة ـ حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم ، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح ، وكبَّر المسلمون ، ثم ضربها الثانية فكذلك ، ثم الثالثة فكذلك . وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ ، وسألوه عن ذلك النور ، فقال : « لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثانية أضاءت قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا » . واستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله ، موعود صادق . قال : ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ . [الأحزاب : ٢٢] وقال المنافقون : يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرَّزوا ؟! فنزل فيهم : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب : ١٢] . وهذا حديث غريب .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني[٢] : ثنا هارون بن ملول ، ثنا أبو عبد الرحمن ، ثنا عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : لما أمر النبيُّ ﷺ بالخندق فَخُنْدق على المدينة ، قالوا : يا رسول الله ، إنا وجدنا صفاة[٣] لا نستطيع حفرها ، فقام النبي ﷺ ، وقمنا معه ، فلما أتاها أخذ المعول ، فضرب به ضربة وكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : [« فتحت فارس » . ثم ضرب أخرى فكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال :] « فتحت الروم » . ثم ضرب أخرى فكبَّر ، فسمعت هدَّة لم أسمع مثلها قط ، فقال : « جاء الله بحِمْيَر أعواناً وأنصاراً » .

وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي فيه ضعف ، فالله أعلم .

---

(١) أي : تخاصم .

(٢) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦ / ١٣١) وعزاه للطبراني بإسنادين في أحدهما حُيي بن عبد الله وثقه ابن معين وضعّفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٣) أي : صخرة .

وقال الطبراني[1] أيضاً : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني سعيد بن محمد الجرمي ، ثنا أبو تُميلة ، ثنا نُعَيم بن سعيد العبدي أن عكرمة حدث عن ابن عباس ، قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شَدُّوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال : « هل دللتم على رجل يطعمنا أَكلة ؟ » قال رجل : نعم . قال : « إما لا فتقدَّم فدلنا عليه » . فانطلقوا إلى [بيت] الرجل ، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه ، فأرسلت امرأته أن جئ ؛ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا . فجاء الرجل يسعى وقال : بأبي وأمي . وله معزة ومعها جديها ، فوثب إليها ، فقال النبي ﷺ : « الجدي من ورائها » . فذبح الجدي ، وعمدت المرأة إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت ، فأدركت القِدر ، فثردت قصعتها ، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها ، وقال : « بسم الله ، اللهم بارك فيها ، اطعموا » . فأكلوا منها حتى صدروا ، ولم يأكلوا منها إلا ثلثها ، وبقي ثلثاها ، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه ، أن اذهبوا وسرِّحوا إلينا بعدَّتكم . فذهبوا ، فجاء أولئك العشرة ، فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربَّة البيت ، وسمت عليها وعلى أهل بيتها ، ثم مشوا إلى الخندق فقال : « اذهبوا بنا إلى سلمان » . وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوني فأكون أول من ضربها » . فقال : « بسم الله » . فضربها فوقعت فلقة ثلثها ، فقال : « الله أكبر ، قصور الروم[2] ورّب الكعبة » . ثم ضرب أخرى فوقعت فِلقة ، فقال : « الله أكبر ، قصور فارس ورب الكعبة » . فقال عندها المنافقون : نحن نخندق على أنفسنا ، وهو يعدنا قصور فارس والرُّوم .

ثم قال الحافظ البيهقي[3] : أنا علي بن أحمد بن عبدان ، أنا أحمد بن عبيد الصفَّار ، ثنا محمد بن غالب بن حرب ، ثنا هوذة ، ثنا عوف ، عن ميمون بن أستاذ الزهري[4] ، حدثني البراء بن عازب الأنصاري ، قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرض لنا في بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها أخذ المعول وقال : « بسم الله » . وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال : « الله أكبر ، أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر إن شاء الله » . ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض » . ثم ضرب الثالثة ، فقال : « بسم الله » . فقطع [بقية] الحجر ، فقال : « الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة » .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١/٣٧٦) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/١٣٢) وعزاه للطبراني ، وقال : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ونعيم العبدي وهما ثقتان .

(٢) في (ط) : « أكبر قصور الشام » .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/٤٢١) .

(٤) في « دلائل النبوة » : « الزهراني » .

وهذا حديث غريب أيضاً ، تفرَّد به ميمون بن أستاذ هذا ، وهو بصري روى عن البراء ، وعبد الله بن عمرو ، وعنه حُميد الطويل ، والجريري ، وعوف الأعرابي .

قال أبو حاتم[١] ، عن إسحاق بن منصور ، عن ابن معين : كان ثقة . وقال علي بن المديني : كان يحيى بن سعيد القطّان لا يحدِّث عنه .

وقال النسائي[٢] : ثنا عيسى بن يونس ، ثنا ضمرة ، عن أبي زرعة السَّيباني ، عن أبي سكينة - رجلٍ من المحرَّرين - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، قال لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق ، عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر ، فقام النبي ﷺ وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق ، وقال : « ﴿ وَتَمَّتْ كلمات[٣] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام : ١١٥] » . فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ، ثم ضرب الثانية ، وقال : « ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ » . فندر الثلث الآخر وبرقت برقة ، فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة ، وقال : « ﴿ وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ » . فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس ، فقال سلمان : يا رسول الله ، رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة . قال رسول الله ﷺ : « يا سلمان ، رأيتَ ذلك ؟ » . قال : إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله . قال : « فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني » . فقال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنِّمنا ذراريهم ، ونخرِّب بأيدينا بلادهم . فدعا بذلك ، قال : « ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها ، حتى رأيتها بعيني » . قالوا : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ، ونخرب بأيدينا بلادهم . فدعا ، ثم قال : « ثم ضربت الضربة الثالثة ، فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى ، حتى رأيتها بعيني » . ثم قال رسول الله ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . هكذا رواه النسائي مطولاً . وإنما روى منه أبو داود[٤] : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم » . عن عيسى بن محمد الرملي ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيباني ، به .

ثم قال ابن إسحاق[٥] : وحدثني من لا أتَّهم ، عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار

---

(١) انظر « الجرح والتعديل » لابنه ٨/ الترجمة ١٠٥١ .

(٢) رواه النسائي رقم (٣١٧٦) ، وهو حديث حسن .

(٣) قرأها بالجمع كلمات : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر وقرأ الباقون ، ومنهم عاصم : كلمة بالإفراد .

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٣٠٢) ، وهو حديث حسن .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .

في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتِحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة ، إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

وهذا من هذا الوجه منقطع أيضاً ، وقد وصل من غير وجه ، ولله الحمد .

فقال الإمام أحمد[١] : ثنا حجّاج ، حدثنا ليث ، حدثني عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بعثت بجوامع الكلم ، ونصرتُ بالرُّعب ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت في يدي » .

وقد رواه البخاري[٢] منفرداً به ، عن يحيى بن بكير ، وسعيد بن عفير ، كلاهما عن الليث ، به ، وعنده ، قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نُصرت بالرُّعب ، وأوتيت جوامع الكَلِم ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وبينا أنا نائم أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فتُلَّت[٤] في يدي » .

وهذا إسناد جيد قوي على شرط مسلم ولم يخرجوه .

وفي « الصحيحين »[٥] : « إذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هَلَكَ كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتُنفِقُنَّ كنوزهما في سبيل الله » .

وفي الحديث الصحيح[٦] : « إن الله زوى لي الأرض ؛ مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أُمتي ما زُوي لي منها » .

فصـــل

قال ابن إسحاق[٧] : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥٥) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٩٧٧) و(٧٠١٣) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠١) .
(٤) أي : ألقيت .
(٥) رواه البخاري رقم (٣١٢٠) و(٣٦١٨) ومسلم رقم (٢٩١٨) .
(٦) رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢١٩) .

من رومة[١] ، بين الجُرف[٢] وزَغَابَةَ[٣] ، في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تِهَامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أُحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٤] في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فجعلوا فوق الآطام .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قلت : وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [الأحزاب : ١٠] .

قال البخاري[٥] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا عبدة ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ قالت : ذلك يوم الخندق .

قال موسى بن عقبة : ولما نزل الأحزابُ حول المدينة أغلق بنو قريظة حصنهم دونهم .

قال ابن إسحاق[٦] : وخرج حُيي بن أخطب النَّضري حتى أتى كعب بن أسد القُرظي صاحب عقدهم وعهدهم ، فلما سمع به كعب أغلق باب حصنه دون حُيي ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك يا حُيي! إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً . قال : ويحك ! افتح لي أُكلّمك . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت دوني إلا خوفاً على جشيشتك[٧] أن آكل معك منها . فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتك بعزّ الدّهر وبحر طامٍ . قال : وما ذاك ؟ قال : جئتك بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتُهم بذَنب نَقَمى إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . فقال كعب : جئتني والله بذلّ الدهر ، وبجهام[٨] قد هراق ماؤه ، يَرْعَد ويُبْرق ، وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ! فدعني وما أنا عليه ؛ فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقاً .

---

(١) وهي بئرٌ في عقيق المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٤٠) بتحقيق شيخنا العلاّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٢) الجُرْف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(٨٨) .
(٣) زغابة : موضع قريب من المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(١٧١) .
(٤) سلع : موضع بقرب المدينة . انظر « المغانم المطابة » للفيروزابادي ص(١٨٣) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٠٣) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٠) .
(٧) الجشيشة : نوع من أنواع الطعام . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ٢٧٣) .
(٨) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

وقد تكلم عمرو بن سعد القُرظي فأحسنَ ، فيما ذكره موسى بن عقبة[١] ، ذكرهم ميثاق رسول الله ﷺ وعهده ، ومعاقدتهم إياه على نصره ، وقال : إذا لم تنصروه فاتركوه وعدوَّه .

قال ابن إسحاق[٢] : فلم يزل حُيي بكعب يفتل في الذروة والغارب حتى سمح له ـ يعني في نقض عهد رسول الله ﷺ ، وفي محاربته مع الأحزاب ـ على أن أعطاه حيي عهد الله وميثاقه : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً ؛ أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

قال موسى بن عقبة : وأمر كعب بن أسد وبنو قريظة حُيي بن أخطب أن يأخذ لهم من قريش وغطفان رهائن تكون عندهم . يعني لئلا ينالهم ضيم إن هم رجعوا ولم يناجزوا محمداً . قالوا : وتكون الرهائن تسعين رجلاً من أشرافهم . فنازلهم حُيي على ذلك ، فعند ذلك نقضوا العهد ، ومزّقوا الصحيفة التي كان فيها العهد ، إلا بني سَعْيَة أَسد ، وأَسِيد ، وثعلبة ، فإنهم خرجوا إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين ، بعث سعد بن معاذ ، وهو يومئذ سَيِّد الأوس ، وسعد بن عُبَادة ، وهو يومئذ سَيِّد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة وخوَّات بن جبير ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم فتنظروا أحق ما بلغنا عنهم ، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ، ولا تفتُّوا في أعضاد المسلمين ، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس » . قال : فخرجوا حتى أتوهم .

قال موسى بن عقبة[٤] : فدخلوا معهم حصنهم ، فدعوهم إلى الموادعة وتجديد الحلف ، فقالوا : الآن وقد كسر جناحنا وأخرجهم ؟! يريدون بني النَّضير ، ونالوا من رسول الله ﷺ ، فجعل سعد بن عبادة يشاتمهم ، فأغضبوه ، فقال له سعد بن معاذ : إنا والله ما جئنا لهذا ، ولمَا بيننا أكبر من المشاتمة . ثم ناداهم سعد بن معاذ فقال : إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة ، وأنا خائف عليكم مثل يوم بني النَّضير أو أَمَرَّ منه . فقالوا : أكلت أير أبيك . فقال : غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن .

وقال ابن إسحاق[٥] : نالوا من رسول الله ﷺ ، [وقالوا] : مَنْ رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدّة ، فقال له سعد بن عُبَادة : دع عنك مشاتمتهم ، لِما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة . ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلّموا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢١) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٣) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢) .

عليه ، وقالوا : عضل والقارة . أي : كغدرهم بأصحاب الرَّجيع ، خُبَيب وأصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين » .

قال موسى بن عقبة(١) : ثم تقنَّع رسول الله ﷺ بثوبه حين جاءه الخبر عن بني قريظة ، فاضطجع ومكث طويلاً ، فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه اضطجع ، وعرفوا أنه لم يأته عن بني قريظة خير ، ثم إنه رفع رأسه فقال : « أبشروا بفتح الله ونصره » . فلما أن أصبحوا ، دنا القوم بعضهم من بعض ، وكان بينهم رمي بالنبل والحجارة . وقال سعيد بن المسيِّب : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد » .

قال ابن إسحاق(٢) : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، [ونجم النفاق] ، حتى قال معتِّب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وحتى قال أوس بن قيظي : يا رسول الله ، [إن] بيوتنا عورة من العدوِّ ـ وذلك عن ملأ من رجال قومه ـ فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارج من المدينة .

قلت : وهؤلاء وأمثالهم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٢ ـ ١٣] .

قال ابن إسحاق(٣) : فأقام رسول الله ﷺ ـ يعني مرابطاً ـ وأقام المشركون يحاصرونه بضعاً وعشرين ليلة ، قريباً من شهر ، ولم يكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا بالنبل ، فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ـ كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، ومن لا أتَّهم ، عن الزُّهري ـ إلى عُيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المُرِّي ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ، على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح إلا المراوضة ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك ، بعث إلى السَّعدين ، فذكر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ فقال : « بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما » . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) .

نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلا قِرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال النبي ﷺ : « أنت وذاك » . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق[1] : فقام النبي ﷺ وأصحابه محاصرين ، ولم يكن بينهم وبين عدوهم قتال ، إلا أنَّ فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ودّ بن أبي قيس ، أحد بني عامر بن لؤي ، وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، وضرار بن الخطَّاب بن مرداس ، أحد بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا : تهيئوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون مَن الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثم تيمَّموا مكاناً من الخندق ضيقاً ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم ، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ودٍّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق ، خرج معلماً ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال له : يا عمرو ، إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلّتين إلا أخذتها منه . قال : أجل. قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال : فإني أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا بن أخي ، فوالله ما أحب أن أقتلك . قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك . فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليٍّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي ، رضي الله عنه ، وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق[2] : وقال علي بن أبي طالب في ذلك :

نَصَرَ الحجارَة من سَفَاهَة رأيه ... ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ
فصددتُ حين تركته متجدِّلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي
وعَفَفْتُ عن أثوابه ولو انني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي
لا تحسبُنَّ الله خاذلَ دينه ... ونبيّه يا معشر الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعليٍّ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٥) .

قال ابن هشام : وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ، فقال في ذلك حسان بن ثابت[١] :
[من المتقارب]

فَـرَّ وألقـى لنـا رُمْحَـهُ لعلـك عكـرم لـم تفعـلِ
ووليت تعدو كعدو الظليـ ـم ما أن تحور عن المعدلِ
ولم تلق ظهرك مستأنساً كـأن قفـاك قفـا فُـرعـلِ

قال ابن هشام : الفراعل : صغار الضباع .

وذكر الحافظ البيهقي في « دلائل النبوة »[٢]، عن ابن إسحاق في موضع آخر غير « السيرة » قال : خرج عمرو بن عبد ودٍّ وهو مقنع بالحديد ، فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال : « إنه عمرو ، اجلس » . ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنِّبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ، أفلا تُبرزون إلي رجلاً ؟ فقام علي فقال : أنا يا رسول الله . فقال : « اجلس » . ثم نادى الثالثة فقال : [من مجزوء الكامل]

ولقـد بحـحـت مـن النـدا ء بجمعكم هل من مبارزْ
ووقفـت إذ جَبُـنَ المشجـ ـع موقف القرن المناجزْ
ولـذاك إنـي لـم أزل متسـرعـاً قِبـل الهـزاهـزْ
إن الشَّجَـاعَـة فـي الفتـى والجُود مـن خيـر الغـرائـزْ

قال : فقام علي ، رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ، أنا . فقال : « إنه عمرو » . فقال : وإن كان عَمراً . فأذن له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه ، حتى أتى وهو يقول : [من مجزوء الكامل]

لا تعجلـنَّ فقـد أتـا ك مجيب صوتك غير عاجزْ
فـي نيَّـةٍ وبصيـرةٍ والصِّدق مَنْجى كـل فَـائـزْ
إنـي لأرجـو أن أُقيـ ـم عَليك نائحةَ الجنَائزْ
مـن ضـربـة نجـلاء يبـ ـقى ذِكْرُهَا عند الهَزَاهِزْ

فقال له عمرو: من أنت ؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال: غيرك يابن أخي ، ومن أعمامك من هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أُهريق دمك . فقال له عليٌّ : لكني والله لا أكره أن أهريق دمك فغضب ، فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ، ثم أقبل نحو عليٍّ مغضباً ، واستقبله عليٌّ بدرقته ، فضربه عمرو في الدَّرقة فقدها وأثبت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه ، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط ، وثار العجاج ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله . فثمّ علي يقول : [من الكامل]

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٩) و« السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٦) .
(٢) (٣/ ٤٣٨) .

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخّروا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ومصمّم في الرأس ليس بنابي

إلى أن قال :

عبَد الحجارة من سَفَاهَة رأيه وعبدت ربّ محمد بصوابِ

إلى آخرها .

قال : ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل ، فقال له عمر بن الخطّاب : هلا استلبته درعه ، فإنه ليس للعرب درع خير منها ؟ فقال : ضربته فاتقاني بسوأته ، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه . قال : وخرجتْ خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق .

وذكر ابن إسحاق فيما حكاه عنه البيهقي[١] ، أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقِّه ، فمات في الخندق ، وبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ يشترون جيفته بعشرة آلاف ، فقال : « هو لكم ، لا نأكل ثمن الموتى » .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا نصر بن باب ، ثنا حجَّاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أنه قال : قتل المسلمون يوم الخندق رجلاً من المشركين ، فأُعطوا بجيفته مالاً ، فقال رسول الله ﷺ : « ادفعوا إليهم جيفته ، فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية » . فلم يقبل منهم شيئاً .

وقد رواه البيهقي[٣] من حديث حمَّاد بن سلمة، عن حجاج، هو ابن أرطاة، عن الحكم، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب ، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده ونعطيك اثني عشر ألفاً . فقال رسول الله ﷺ : « لا خير في جسده ولا في ثمنه » . وقد رواه الترمذي[٤] ، من حديث سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، وقال : غريب.

وقد ذكر موسى بن عقبة ، أن المشركين إنما بعثوا يطلبون جسد نوفل بن عبد الله المخزومي حين قتل ، وعرضوا عليه الدية ، فقال : « إنه خبيث خبيث الدية ، فلعنه الله ولعن ديته ، فلا أرب لنا في ديته ، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه » .

وذكر يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : وخرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي يسأل المبارزة ، فخرج إليه الزبير بن العوام ، فضربه ، فشقه باثنتين ، حتى فلَّ في سيفه فَلاًّ ، وانصرف وهو يقول : [من السريع]

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٣٨) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٤٨) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٤٠) .

(٤) رواه الترمذي في « جامعه » رقم (١٧١٥) .

إني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي

وقد ذكر ابن جرير[(١)] أن نوفلاً لما تورط في الخندق ، رماه الناس بالحجارة ، فجعل يقول : قِتلة أحسن من هذه يا معشر العرب . فنزل إليه علي فقتله ، وطلب المشركون رمته من رسول الله ﷺ بالثمن ، فأبى عليهم أن يأخذ منهم شيئاً ، ومكّنهم من أخذه إليهم . وهذا غريب من وجهين .

وقد روى البيهقي[(٢)] ، من طريق حمَّاد بن زيد ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم ، ومعي عُمر بن أبي سلمة ، فجعل يطأطئ لي فأصعد على ظهره ، فأنظر . قال : فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فما يرتفع له شيء إلا أتاه ، فلما أمسى جاءنا إلى الأطم ، قلت : يا أبت ، رأيتك اليوم وما تصنع . قال : ورأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : فدىً لك أبي وأمي .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ، قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فمرَّ سعد وعليه درع مقلَّصة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يرقد بها ويقول : [من الرجز]

لبِّث قليلاً يشهد الهيجا حمَلْ لا بأس بالموت إذا حان الأجلْ

فقالت له أمه : الحق بنيَّ ، فقد والله أخرت . قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل .

قال ابن إسحاق[(٤)] : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : رماه حبان بن قيس بن العرِقة ، أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العرِقة . فقال له سعد : عرَّق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنتَ وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ، ولاتمتني حتى تقر عيني من بني قريظة .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٥٧٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٠٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٧) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدثني من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي ، حليف بني مخزوم . وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً ، قاله لِعِكْرِمَة بن أبي جهل :

أعكرم هلا لمتني إذ تقول لي ... فداك بآطام المدينة خالدُ
ألست الذي ألزمت سعداً مرشة ... لها بين أثناء المرافق عاند
قضى نحبه منها سعيد فأعولت ... عليه مع الشمط العذارى النواهِدُ
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا ... عُبيدة جمعاً منهم إذ يكابد
على حين ما هم جائر عن طريقه ... وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن إسحاق[٢] : والله أعلم أي ذلك كان . قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

قلت : وقد استجاب الله دعوة وليه سعد بن معاذ في بني قريظة ، أقر الله عينه ؛ فحكم فيهم بقدرته وتيسيره ، وجعلهم هم الذين يطلبون ذلك ، كما سيأتي بيانه ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ، حتى قال له رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة »[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عَبَّاد ، قال : كانت صفية بنت عبد الله في فارعٍ حصن حسَّان بن ثابت ، قال : وكان حسَّان معنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ ، فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شغل رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً ، احتجزت ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال : ما لي بسلبه حاجة يا بنة عبد المطلب .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٧) .
(٣) رواه البخاري (٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري ورواه النسائي في الكبرى رقم (٨٢٢٣) بزيادة « من فوق سبع سموات » وهي زيادة صحيحة بلفظ « لقد حكمت فيهم بحكم الملك » ورواية كتابنا : رواها ابن إسحاق مرسلة وابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلة ، فهي ضعيفة بهذا اللفظ .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٢٢٨) .

حكى السهيلي[١] عن بعضهم أنه قال : كان حسان جباناً شديد الجبن . قال : وأنكر آخرون ذلك ، وطعنوا في الخبر ، فقالوا : هو منقطع . قالوا : وقد كان يهاجي المشركين من الشعراء ؛ كابن الزِّبعرى ، وضرار بن الخطاب ، وغيرهما ، فلم يعيِّره واحد منهم بالجبن . قال : وممن أنكر ذلك الشيخ أبو عمر النمري . قالوا : وبتقدير صحة هذا الخبر ، لعله كان منقطعاً في الآطام لعلة عارضة . ومال إلى هذا السهيلي . والله أعلم .

قال موسى بن عقبة[٢] : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن بين كتائبهم ، فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية ، حتى لا يدري الرجل أتم صلاته أم لا . قال : ووجَّهوا نحو منزل رسول الله ﷺ كتيبة غليظة ، فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر ، دنت الكتيبة ، فلم يقدر النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا ، فانكفأت الكتيبة مع الليل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « شغلونا عن صلاة العصر ، ملأ الله بطونهم وقلوبهم ـ وفي رواية : وقبورهم ـ ناراً » . فلما اشتد البلاء ، نافق ناس كثير ، وتكلموا بكلام قبيح ، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بالناس من البلاء والكرب ، جعل يبشرهم ويقول : « والذي نفسي بيده ليفرَّجن عنكم ما ترون من الشدة ، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً ، أن يدفع الله إليَّ مفاتيح الكعبة ، وليهلكنَّ الله كسرى وقيصر ، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله » .

وقد قال البخاري[٣] : ثنا إسحاق ، ثنا روح ، ثنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة ، عن علي ، عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق : « ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً ؛ كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس » . وهكذا رواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي ، به .

ورواه مسلم والترمذي[٤] من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن عبيدة ، عن علي ، به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ثم قال البخاري[٥] : حدثنا المكي بن إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب . قال النبي ﷺ : « والله ما صليتها » . فنزلنا مع رسول الله ﷺ بطحان ، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، فصلى العصر بعدما غربت

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٣٢٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١١١) .
(٤) رواه مسلم رقم (٦٢٧) والترمذي رقم (٢٩٨٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١١٢) .

الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب . وقد رواه البخاري أيضاً ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، به[١] .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا ثابت ، حدثنا هلال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قاتل النبي ﷺ عدواً ، فلم يفرغ منهم حتى أخر العصر عن وقتها ، فلما رأى ذلك ، قال : « اللهم مَن حبسنا عن الصلاة الوسطى ، فاملأ بيوتهم ناراً واملأ قبورهم ناراً » . ونحو ذلك . تفرد به أحمد ، وهو من رواية هلال بن خباب العبدي الكوفي ، وهو ثقة ، يصحح له الترمذي وغيره .

وقد استدل طائفة من العلماء بهذه الأحاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث . وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا ؛ لصحة الحديث ، وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالاً عند قوله تعالى : ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . وقد استدل طائفة بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما هو مذهب مكحول والأوزاعي ، وقد بوب البخاري على ذلك[٣] ، واستدل بهذا الحديث ، وبقوله ﷺ يوم أمرهم بالذهاب إلى بني قريظة ، كما سيأتي : « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » . وكان من الناس من صلى العصر في الطريق ، ومنهم من لم يصل إلا في بني قريظة بعد الغروب ، ولم يعنِّف واحداً من الفريقين ، واستدل بما ذكره عن الصحابة ومن معهم في حصار تستَر سنة عشرين في زمن عمر ، حيث صلوا الصبح بعد طلوع الشمس ؛ لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

وقال آخرون من العلماء ، وهم الجمهور ، منهم الشافعي : هذا الصنيع يوم الخندق منسوخ بشرعية صلاة الخوف بعد ذلك ، فإنها لم تكن مشروعة إذ ذاك ، فلهذا أخروها يومئذ . وهو مشكل ، فإن ابن إسحاق وجماعة ذهبوا إلى أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بعسفان ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، وهو إمام في المغازي ، قبل الخندق ، وكذلك ذات الرقاع ذكرها قبل الخندق ، فالله أعلم .

وأما الذين قالوا : إن تأخير الصلاة يوم الخندق وقع نسياناً . كما حكاه شراح مسلم عن بعض الناس ، فهو مشكل ، إذ يبعد أن يقع هذا من جمع كبير ، مع شدة حرصهم على المحافظة على الصلاة ، كيف وقد روى أنهم تركوا يومئذ الظهر والعصر والمغرب حتى صلوا الجميع في وقت العشاء .

قال الإمام أحمد[٤] : حدثنا يزيد وحجاج قالا : حدثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هَوِيٌّ من الليل ، حتى

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦) ومسلم (٦٣١) والترمذي (١٨٠) والنسائي (١٣٦٥) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١ / ٣٠١) ، وإسناده صحيح .
(٣) انظر « صحيح البخاري » قبل رقم (٩٤٥) .
(٤) رواه أحمد في المسند (٣ / ٦٧) وإسناده صحيح .

كفينا ، وذلك قوله : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . قال : فدعا رسول الله ﷺ بلالاً ، فأمره فأقام ، فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك ، وذلك قبل أن يُنزَّل ـ قال حجاج : في صلاة الخوف ـ : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٩] .

وقد رواه النسائي(١) ، عن الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن ابن أبي ذئب ، به : قال : شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس . فذكره .

وقال أحمد(٢) : ثنا هشيم ، ثنا أبو الزبير ، عن نافع بن جبير ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله . قال : فأمر بلالاً فأذن ثم أقام فصلَّى الظهر ، ثم أقام فصلَّى العصر ، ثم أقام فصلَّى المغرب ، ثم أقام فصلَّى العشاء .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار(٣) : ثنا محمد بن معمر ، ثنا مؤمَّل ، يعني ابن إسماعيل ، حدثنا حمَّاد ، يعني ابن سلمة ، عن عبد الكريم ، يعني ابن أبي المخارق ، عن مجاهد ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ شُغل يوم الخندق عن صلاة الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام ، فصلَّى الظهر ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى العصر ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى المغرب ، ثم أمره فأذَّن وأقام ، فصلى العشاء ، ثم قال : « ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله في هذه الساعة غيركم » . تفرَّد به البزَّار ، وقال : لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد رواه بعضهم عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله .

فصل
في دعائه [عليه] السلام على الأحزاب

وكيف صرفهم الله تعالى ، بحوله وقوته ؛ استجابة لرسوله ﷺ(٤) ، وصيانة لحوزته الشريفة ، فزلزل قلوبهم ، ثم أرسل عليهم الرِّيح الشديدة ؛ فزلزل أبدانهم .

---

(١) في « السنن الكبرى » رقم (٦٦٠) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٧٥) وهو حديث حسن .
(٣) في « كشف الأستار » (٣٦٥) وإسناده ضعيف .
(٤) في (آ) : « عليه السلام » وأثبت لفظ (ط) .

قال الإمام أحمد[١] : ثنا أبو عامر ، ثنا الزُّبير - يعني ابن عبد الله - ثنا رُبيح بن أبي سعيد [الخدري] ، عن أبيه قال : قلنا [يوم الخندق] : يا رسول الله ، هل من شيء نقوله ؟ [فقد] بلغت القلوب الحناجر . قال : « نعم ، اللهم استر عوراتِنا وآمن روعاتِنا » . قال : فصرف[٢] الله وجوه أعدائه بالرِّيح ، فهزمهم الله بالرّيح .

وقد رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره »[٣] عن أبيه ، عن أبي عامر ، وهو العَقَديُّ[٤] ، عن الزّبير بن عبد الله مولى عثمان بن عَفَّان ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد . فذكره ، وهذا هو الصواب .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا حسين ، [عن] ابن أبي ذئب ، عن رجل من بني سلمة ، عن جابر بن عبد الله ، أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب فوضع رداءه ، وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ، ولم يصل . قال : ثم جاء ودعا عليهم وصلّى .

وثبت في « الصحيحين »[٦] من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .

وفي رواية[٧] : « اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى البخاري[٨] ، عن قُتيبة ، عن اللَّيث ، عن سعيد المَقْبُري ، عن أبيه ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول : « لا إله إلا الله وحده ، أعزّ جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » .

وقال ابن إسحاق[٩] : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه في ما وصف الله من الخوف والشدة ؛ لتظاهر

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣) وإسناده ضعيف وفيه سقط ، فَرُبيح هو ابن عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري ، يروي عن أبيه عن جده ، كما سيأتي في الحديث الذي بعده .
(٢) في (ط) : « فضرب » .
(٣) وذكره السيوطي في « الدّر المنثور » (٥/ ١٨٥) وعزاه لابن أبي حاتم .
(٤) هو أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي . مات سنة أربع - أو خمس - ومئتين . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٣٨٦) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٣) وإسناده ضعيف .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٣٣) و(٤١١٥) و(٦٣٩٢) و(٧٤٨٩) ومسلم رقم (١٧٤٢) .
(٧) وهي عند البخاري رقم (٢٩٦٦) و(٣٠٢٥) وعند مسلم رقم (١٧٤٢) (٢٠) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٤١١٤) .
(٩) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٩) .

عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم . قال : ثم إن نُعَيْم بن مسعود بن عامر بن أُنيف [بن ثعلبة] بن قنفذ بن هلال بن خُلاَوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فَخَذِّلْ عَنَّا إن استطعت ، فإن الحرب خُدْعَة » . فخرج نُعَيم بن مسعود حتى أتى بني قُريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم وُدِّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدِّي لكم وفراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه ؛ نصحاً لكم ، فاكتموه عني . قالوا : نفعل . قال : تعلَّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنَّا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنُعطيَكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليَّ ، ولا أراكم تتَّهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم . قال : فاكتموا عنِّي . قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذّرهم ما حذّرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقال لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر ، فأعدُّوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدَثاً فأصابهم ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا ؛ ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى إن ضرَّسَتكم[١] الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلادنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدَّثكم نُعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا . فقالت بنو قريظة حين

---

(١) أي : إن نالت منكم . انظر « شرح غريب ألفاظ السيرة » للخشني (٣/ ٨) .

انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نُعيم بن مسعود لَحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلَّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله ما نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً . فأبوا عليهم ، وخذَّل الله بينهم ، وبعث الله الرِّيح في ليلة(١) شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق(٢) من قصة نُعيم بن مسعود أحسن مما ذكره موسى بن عقبة . وقد أورده عنه البيهقي في « الدلائل »(٣) ، فإنه ذكر ما حاصله أن نُعيم بن مسعود كان يُذيع ما يسمعه من الحديث ، فاتفق أنه مر برسول الله ﷺ ذات يومٍ عشاءً ، فأشار إليه أن تعال ، فجاء فقال : « ما وراءك ؟ » . فقال : إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك ، فقالت بنو قريظة : نعم . فأرسلوا إلينا بالرُّهُن . وقد ذكر ، كما تقدم ، أنهم إنما نقضوا العهد على يدي حُيي بن أخطب ، بشرط أن يأتيهم برهائن تكون عندهم توثقة ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « إني مُسِرٌّ إليك شيئاً فلا تذكره » . قال : « إنهم قد أرسلوا إليَّ يدعونني إلى الصُّلح وأَرُدُّ بني النضير إلى دورهم وأموالهم » . فخرج نُعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان ، وقال رسول الله ﷺ : « الحرب خُدْعَة ، وعسى أن يصنع الله لنا » . فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم ، فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه ، واتفق ذلك ليلة السبت ، يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم ، فاعتلت اليهود بالسبت ، ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة ، فأوقع الله بينهم واختلفوا .

قلت : وقد يحتمل أن [تكون] قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الصلح على أن يردَّ بني النضير إلى المدينة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق(٤) : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق(٥) : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم يا بن أخي قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجتهد . قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : « مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل

---

(١) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « في ليالٍ » .

(٢) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٢٩) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٣/ ٤٠٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣١) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣١) .

القوم ثم يرجع » فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة « أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة » . فما قام رجل من القوم ؛ من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد ، فلما لم يقم أحد دعاني ، فلم يكن لي بُدٌّ من القيام حين دعاني ، فقال : « يا حُذيفة ، اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يفعلون ، ولا تحدثنَّ شيئاً حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والرّيح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ مَن جليسه . قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخفّ ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ؛ ما تطمئن لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا ، فإني مرتحل . ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ : « لا تُحدثْ شيئاً حتى تأتيني » . ثم شئت ؛ لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مِرط لبعض نسائه مراجل ، فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح عليَّ طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم . وهذا منقطع من هذا الوجه .

وقد روى هذا الحديث مسلم بن الحجَّاج في « صحيحه »[(١)] من حديث الأعمش ، عن إبراهيم بن يزيد التّيمي ، عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال له رجل : لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت . فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقُرّ ، فقال رسول الله ﷺ : « ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟ » فلم يجبه منا أحد ، ثم الثانية ثم الثالثة مثله ، ثم قال : « يا حُذيفة ، قم فأتنا بخبر القوم » فلم أجد بُدّاً إذ دعاني باسمي أن أقوم ، فقال : « ائتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليَّ » . قال : فمضيت كأنما أمشي في حَمَّام حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يَصْلِي ظهره بالنار ، فوضعت سهماً في كبد قوسي وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تذعرهم عليَّ » . ولو رميته لأصبته ، فرجعت كأنما أمشي في حَمَّام ، فأتيت رسول الله ﷺ ، فأصابني البَرْد حين رجعت وقُررت ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، وألبسني من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ : « قم يا نومان » .

وقد روى الحاكم ، والحافظ البيهقي في « الدلائل »[(٢)] هذا الحديث مبسوطاً من حديث عكرمة بن عَمَّار ، عن محمد بن عبد الله الدُّؤَليّ ، عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ ، فقال جلساؤه : أمَا والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا . فقال حذيفة : لا تمنَّوا

---

(١) رقم (١٧٨٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥١) .

ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود ، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا ، نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ، ويقولون : إن بيوتنا عورة . وما هي بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمئة ونحو ذلك إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً ، حتى أتى عليَّ ، وما عليَّ جُنَّةٌ من العدو ولا من البرد إلا مِرط لامرأتي ما يجاوز ركبتي . قال : فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي فقال : « من هذا ؟ » فقلت : حذيفة . فقال : « حذيفة! » . فتقاصرتُ بالأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله . كراهية أن أقوم . قال : « قم » . فقمت ، فقال : « إنه كائن في القوم خبر ، فأتني بخبر القوم » . قال : وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قُرّاً . قال : فخرجت ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » . قال : فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قُرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي ، فما أجد منه شيئاً . قال : فلما ولَّيت قال : « يا حذيفة ، لا تُحْدِثَنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني » . قال : فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقَّد ، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ، ويمسح خاصرته ويقول : الرحيل الرحيل . ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش ، فأضعه على كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تُحدثنَّ فيهم شيئاً حتى تأتيني » . فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي ، ثم إني شجَّعت نفسي حتى دخلت العسكر ، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر ، يقولون : يا آل عامر ، الرحيل الرحيل ، لا مقام لكم . وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم ، الريح تضربهم بها ، ثم خرجت نحو رسول الله ﷺ ، فلما انتصفت بي الطريق أو نحو من ذلك ، إذ أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك مُعْتَمِّين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه . قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلِّي ، فوالله ما عدا أن رجعت ؛ راجعني القُرُّ وجعلت أُقَرْقِفُ ، فأومأ إليَّ رسول الله ﷺ بيده ، وهو يصلي ، فدنوت منه فأسبل عليَّ شملته ، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ؛ أخبرته أني تركتهم يرحلون . قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يعني الآيات كلها إلى قوله : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٩ ـ ٢٥] .

أي صرف الله عنهم عدوهم بالرِّيح التي أرسلها عليهم والجنود من الملائكة وغيرهم التي بعثها الله إليهم . ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ أي ؛ لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم ، بل صرفهم القوي العزيز بحوله وقوته .

لهذا ثبت في « الصحيحين »[١] عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده » ، وفي قوله : ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ . إشارة إلى وضع الحرب بينهم وبينهم . وهكذا وقع ، ولم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين ، كما قال محمد بن إسحاق[٢] ، رحمه الله : فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق ؛ قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم » . قال : فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان يغزوهم بعد ذلك ، حتى فتح الله عليه مكة .

وهذا بلاغ من [ابن] إسحاق .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : ثنا يحيى ، عن سفيان ، حدثني أبو إسحاق ، سمعت سليمان بن صُرَدٍ ، رضي الله عنه ، يقول : قال رسول الله ﷺ : « الآن نغزوهم ولا يغزونا » . وهكذا رواه البخاري ، من حديث إسرائيل وسفيان الثوري ، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي ، عن سليمان بن صُرَد ، به[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ستة ؛ ثلاثة من بني عبد الأشهل ، وهم : سعد بن معاذ ـ وستأتي وفاته مبسوطة ـ وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل ، والطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غَنَمة الجشميان السلميان ، وكعب بن زيد النجاري ، أصابه سهم غرب فقتله . قال : وقتل من المشركين ثلاثة ، وهم : مُنَبِّه بن عثمان بن عبيد بن السبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم فمات منه بمكة ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، اقتحم الخندق بفرسه فتورَّط فيه فقتل هناك ، وطلبوا جسده بثمن كبير كما تقدم ، وعمرو بن عبد ودٍّ العامري ، قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن هشام[٦] : وحدثني الثقة أنه حُدِّث عن الزُّهري ، أنه قال : قتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبد ودٍّ وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : يقال : عمرو بن عبد ودٍّ . ويقال : عمرو بن عبدٍ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١١٤) ومسلم رقم (٢٧٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٦٢) ، وإسناده صحيح .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٠٩) و(٤١١٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٣) .

فصل
في غزوة بني قُريظة(١)

وما أحلَّ الله تعالى بهم من البأس الشديد ، مع ما ادخر(٢) الله لهم في الآخرة من العذاب الأليم ، وذلك لكفرهم ونقضهم العهود والمواثيق(٣) التي كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وممالأتهم الأحزاب عليه ، فما أجدى ذلك عنهم شيئاً ، وباؤوا بغضب من الله ورسوله ، والصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥ ـ ٢٧] .

قال البخاري(٤) : ثنا محمد بن مقاتل ، ثنا عبد الله ، ثنا موسى بن عقبة ، عن سالم ونافع ، عن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من الغزو والحج والعمرة ، يبدأ فيكبّر ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون ، لربّنا حامدون ؛ صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

وقال محمد بن إسحاق(٥) ، رحمه الله : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريلُ رسول الله ﷺ ، كما حدثني الزهري ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رِحَالةٌ ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : ما وضعتِ الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذِّناً فأذن [في] الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلِّين العصر إلا في بني قُريظة .

قال ابن هشام(٦) : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » (٢/ ١٠٣) ، و « زاد المعاد » (٣/ ١١٧) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص(١٧١) ، و « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي .

(٢) في (ط) : « مع ما أعدّ » .

(٣) لفظ « والمواثيق » انفردت به (آ) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤١١٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٣) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

وقال البخاري[١] : ثنا [عبد الله] بن أبي شيبة ، ثنا ابن نُمَير[٢] ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل فقال : قد وضعتَ السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم . قال : « فإلى أين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قُريظة . فخرج النبي ﷺ إليهم .

وقال أحمد[٣] : وثنا حسن ، ثنا حمّاد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل ، وجاء جبريل ، فرأيته من خلل البيت قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد ، أوَضعتم أسلحتكم ؟ فقال[٤] : « وضعنا أسلحتنا » فقال[٥] : إنّا لم نضع أسلحتنا بعدُ ، انهد إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري[٦] : ثنا موسى ، ثنا جرير بن حازم ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة .

ثم قال البخاري[٧] : ثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، ثنا جويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « لا يُصَلّينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة » . فأدرك بعضَهم العصرُ في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي العصر حتى نأتيَها . وقال بعضهم : بل نصلي ؛ لم يرد منا ذلك . فذكر ذلك للنبيّ ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم .

وهكذا رواه مسلم[٨] ، عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، به .

وقال الحافظ البيهقي[٩] : ثنا أبو عبد الله الحافظ[١٠] ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا محمد بن خالد بن خَلِيٍّ ، ثنا بشر بن شعيب ، عن أبيه ، ثنا الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عمه عبيد الله أخبره أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب ، وضع عنه اللأْمة واغتسل واستجمر ، فتبدى له جبريل ، عليه السلام ،

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١١٧) .
(٢) في (آ) : « ابن أبي نمير » وهو خطأ ، واسمه (عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي أبو هشام) . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٢٧٣) و (٤/ ٣٣١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٨٠) ، وهو حديث صحيح .
(٤) القائل رسول الله ﷺ جواباً على سؤال جبريل عليه السلام .
(٥) القائل جبريل عليه السلام تعقيباً على جواب رسول الله ﷺ .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١١٨) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤١١٩) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٧٧٠) .
(٩) في « دلائل النبوة » (٤/ ٧ ـ ٨) .
(١٠) يعني الحاكم صاحب « المستدرك على الصحيحين » .

فقال : عَذِيرك من محارب ، ألا أراك قد وضعتَ اللأمة وما وضعناها بعدُ . قال : فوثب النبي ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا بني قريظة . قال : فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، فاختصم الناس عند غروب الشمس ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلّي حتى نأتيَ بني قريظة ، فإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ ، فليس علينا إثم . وصلى طائفة من الناس احتساباً ، وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلّوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين .

ثم روى البيهقي[١] من طريق عبد الله العمري ، عن أخيه عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان عندها ، فسلّم علينا رجل ونحن في البيت ، فقام رسول الله ﷺ فزعاً ، وقمت في أثره ، فإذا بدِحية الكلبي ، فقال : « هذا جبريل ، أمرني أن أذهب إلى بني قريظة ، وقال : قد وضعتم السلاح ، لكنا لم نضع ، طلبنا المشركين حتى بلغنا حمراء الأسد » . وذلك حين رجع رسول الله ﷺ من الخندق . فقال رسول الله ﷺ فزعاً ، وقال لأصحابه : « عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة » . فغربت الشمس قبل أن يأتوهم ، فقالت طائفة من المسلمين : إن رسول الله ﷺ لم يرد أن تدَعوا الصلاة . فصلّوا . وقالت طائفة : والله إنّا لفي عزيمة رسول الله ﷺ ، وما علينا من إثم . فصلت طائفة إيماناً واحتساباً ، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً ، ولم يعنِّف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين ، وخرج رسول الله ﷺ فمر بمجالس بينه وبين بني قريظة ، فقال : « هل مرَّ بكم أحد ؟ » فقالوا : مرَّ علينا دِحْيَة الكلبي[٢] على بغلة شهباء ، تحته قطيفة ديباج . فقال : « ذلك جبريل ، أُرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب » . فحاصرهم النبيّ ﷺ ، وأمر أصحابه أن يستروه بالحجف[٣] حتى يسمعهم كلامه ، فناداهم : « يا إخوة القردة والخنازير » . فقالوا : يا أبا القاسم ، لم تكن فحاشاً . فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، وكانوا حلفاءه ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم . ولهذا الحديث طرق جديدة ، عن عائشة وغيرها .

وقد اختلف العلماء في المصيب من الصحابة يومئذ ، من هو ؟ بل الإجماع على أن كلاً من الفريقين مأجور ومعذور ، غير معنّف ؛ فقالت طائفة من العلماء : الذين أخّروا الصلاة عن وقتها المقدّر لها ، حتى صلّوها في بني قُريظة ، هم المصيبون ؛ لأن أمرهم يومئذ بتأخير الصلاة خاصٌّ ، فيقدم على عموم الأمر بها في وقتها المقدر لها شرعاً .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/٨) .

(٢) وذلك لأن جبريل عليه السلام غالباً ما كان ينزل بصورته رضي الله عنه . فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « يأتيني جبريل في صورة دحية » وانظر « المسند » للإمام أحمد (٢/١٠٧) و « مجمع الزوائد » (٩/٣٧٨) ، و « الإصابة » (٣/١٩١) .

(٣) الحَجَفُ : جمع حجفة : الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . انظر « مختار الصحاح » (حجف) .

قال أبو محمد بن حزم الظّاهري في كتابه[١] « السيرة »[٢] : وعلم الله أنا لو كنّا هناك ، لم نصلِّ العصر إلا في بني قُريظة ، ولو بعد أيام . وهذا القول منه ماشٍ على قاعدته الأصلية الموصلة[٣] إلى الأخذ بالظّاهر .

وقالت طائفة أخرى من العلماء : بل الذين صلّوا الصلاة في وقتها لما أدركتهم وهم في مسيرهم ، هم المصيبون ؛ لأنهم فهموا أن المراد إنما هو تعجيل السير إلى بني قريظة ، لا تأخير الصلاة ، فعملوا بمقتضى الأدلّة الدالة على أفضلية[٤] الصلاة في أول وقتها ، مع فهمهم عن الشارع ما أراد ، ولهذا لم يعنّفهم ، ولم يأمرهم بإعادة الصلاة في وقتها الذي حوِّلت إليه يومئذ ، كما يدَّعيه أولئك ، وأما أولئك الذين أخّروا ، فعذروا بحسب ما فهموا ، وأكثر ما كانوا يؤمرون[٥] بالقضاء ، وقد فعلوه . وأما على قول من يجوِّز تأخير الصلاة لعذر القتال ، كما فهمه البخاري ، حيث احتجّ على ذلك بحديث ابن عمر المتقدم في هذا ، فلا إشكال على من أخّر ، ولا على من قدّم أيضاً ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق[٦] : وقَدَّم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ومعه رايته[٧] ، [إلى بني قُريظة] وابتدرها الناس .

وقال موسى بن عقبة في « مغازيه »[٨] ، عن الزهري : فبينما رسول الله ﷺ في مغتسله ، كما يزعمون ، قد رَجَّلَ أحد شقيه ، أتاه جبريل على فرس عليه لأْمَتُهُ ، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال له جبريل : غفر الله لك ، أوَقد وضعتَ السلاح ؟ قال : « نعم » . فقال جبريل : لكنا لم نضعه منذ نزل بك العدو ، وما زِلْتُ في طلبهم حتى هزمهم الله . ويقولون : إن على وجه جبريل لأثر الغبار . فقال له جبريل : إن الله قد أمرك بقتال بني قُريظة ، فأَنَا عامد إليهم بمن معي من الملائكة ؛ لأُزلزل بهم الحصون ، فاخْرُجْ بالناسِ . فخرج رسول الله ﷺ في أثر جبريل ، فمرّ على مجلس بني غَنْمٍ وهم ينتظرون رسول الله ﷺ ، فسألهم فقال : « مرَّ عليكم فارس آنفاً ؟ » قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكلبي على فرس أبيض ، تحته نمط أو قطيفة من ديباج ، عليه اللأْمَةُ .

---

(١) في (ط) : « في كتاب » .
(٢) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص(١٩٢) بتحقيق العالمين الفاضلين د . إحسان عباس ، ود . ناصر الدين الأسد ، ومراجعة العلاّمة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله .
(٣) لفظ « الموصلة » لم يرد في (ط) .
(٤) في (آ) : « وعلى فضيلة » وأثبت لفظ (ط) .
(٥) في (آ) : « وأكثر ما كانوا يؤمروا » وأثبت لفظ (ط) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .
(٧) في « السيرة النبوية » لابن هشام : « برايته » وما بين الحاصرتين تكملة منها .
(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١١) .

فذكروا أن رسول الله ﷺ ، قال : « ذاك جبريل » . وكان رسول الله ﷺ يُشَبِّهُ دِحْيَةَ الكلبي بجبريل ، فقال : « الحقوني ببني قريظة ، فصلّوا فيهم العصر » . فقاموا ومن شاء الله من المسلمين ، فانطلقوا إلى بني قريظة ، فحانت صلاة العصر وهم بالطريق ، فذكروا الصلاة ، فقال بعضهم لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ أمركم أن تصلوا العصر في بني قريظة ؟! وقال آخرون : هي الصلاة . فصلى منهم قوم ، وأخَّرت طائفة الصلاة حتى صلَّوها في بني قُريظة بعد أن غابت الشمس ، فذكروا لرسول الله ﷺ من عجَّل منهم الصلاة ومن أخّرها ، فذكروا أن رسول الله ﷺ لم يعنّف واحداً من الفريقين . قال : فلما رأى علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ مقبلاً تلقاه وقال : ارجع يا رسول الله ، فإن الله كافيك اليهود . وكان عليٌّ قد سمع منهم قولاً سيئاً لرسول الله ﷺ وأزواجه ، رضي الله عنهن ، فكره عليٌّ أن يسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « لم تأمرني بالرجوع ؟ » فكتمه ما سمع منهم ، فقال : « أظنُّك سمعت لي منهم أذى ، فامض فإن أعداء الله لو قد رأوني ، لم يقولوا شيئاً مما سمعت » . فلما نزل رسول الله ﷺ بحصنهم ، وكانوا في أعلاه ، نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم ، حتى أسمعهم ، فقال : « أجيبوا يا معشر يهود ، يا إخوة القردة ، قد نزل بكم خزي الله ، عز وجل » . فحاصرهم رسول الله ﷺ بكتائب المسلمين بضع عشرة ليلة ، وردَّ الله حُيَي بن أخطب ، حتى دخل حصن بني قُريظة ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، واشتد عليهم الحصار ، فصرخوا بأبي لبابة بن عبد المنذر ، وكانوا حلفاء الأنصار ، فقال أبو لبابة : لا آتيهم حتى يأذن لي رسول الله ﷺ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أذنتُ لك » . فأتاهم أبو لبابة فبكوا إليه وقالوا : يا أبا لبابة ، ماذا ترى وماذا تأمرنا ؟ فإنه لا طاقة لنا بالقتال . فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ، وأمرَّ عليه أصابعه ، يريهم أنما يراد بكم القتل . فلما انصرف أبو لبابة سُقط في يده ، ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة ، فقال : والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً ، يعلمها الله من نفسي . فرجع إلى المدينة ، فربط يديه إلى جِذع من جذوع المسجد . وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة ، فقال رسول الله ﷺ ، كما ذكر[١] ، حين راث[٢] عليه أبو لبابة : « أما فرغ أبو لبابة من حلفائه ؟ » قالوا : يا رسول الله ، قد والله انصرف من عند الحصن ، وما ندري أين سلك . فقال رسول الله ﷺ : « قد حدث لأبي لبابة أمر ، ما كان عليه » . فأقبل رجل من عند المسجد فقال : يا رسول الله ، قد رأيت أبا لبابة ارتبط بحبل إلى جذع من جذوع المسجد . فقال رسول الله ﷺ : « لقد أصابته بعدي فتنة ، ولو جاءني لاستغفرت له ، وإذ قد فعل هذا فلن أُحَرِّكه من مكانه حتى يقضيَ الله فيه ما يشاء » .

وهكذا رواه ابن لهيعة[٣] ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة .

---

(١) قوله : « كما ذكر » لم يرد في (ط) .
(٢) أي : أبطأ . وفي (ط) : « حين غاب » .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٤) .

وكذا ذكره محمد بن إسحاق في « مغازيه »[(١)] في مثل سياق موسى بن عقبة ، عن الزُّهري ، ومثل رواية أبي الأسود ، عن عُرْوَة .

قال ابن إسحاق[(٢)] : ونزل رسول الله ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم ، يقال لها : بئر أُنا[(٣)] ، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وقد كان حُيَي بن أخطب دخل معهم حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ؛ وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً ، فخذوا بما شئتم منها . قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونُصَدِّقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لَنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم عليَّ هذه ، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلاً ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإنْ نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإنْ نظهر فلعمري لنَجِدَنَّ النساء والأبناء . قالوا : أنقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإن أبيتم عليَّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أَمَّنُونا فيه ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّة . قالوا : أنفسد سبتنا ونُحدِث فيه ما لم يُحدِث فيه مَن كان قبلنا ، إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخفَ عنك من المسخ . فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً . ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ـ وكانوا حلفاء الأوس ـ نستشيره في أمرنا . فأرسله رسول الله ﷺ ، فلما رأوه ، قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فَرَقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : « نعم » . وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما ، حتى عرفت أني قد خُنْتُ الله ورسوله ﷺ . ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله ﷺ حتَّى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليَّ مما صنعت . وعَاهَدَ الله ؛ أن لا أطأ بني قُريظة أبداً ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٤) .

(٣) قال الفيروزابادي في « المغانم المطابة في معالم طابة » ص(٣٠) : بئر أُنا : بضم الهمزة ، وتخفيف النون ، كهنا ، وقيل بالفتح ، والتشديد ، كحتَّى ، وقيل : أنِّي ، بالفتح ، وكسر النون المشدَّدة بعده ياء .
وقال السمهودي في « وفاء الوفا » (٢/ ١٢٥) : وهي غير معروفة اليوم .

قال ابن هشام[(١)] : وأنزل الله ، فيما قال سفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

قال ابن هشام[(٢)] : أقام مرتبطاً ست ليال ، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة ، فتحله حتى يتوضأ ويصلي ثم يرتبط ، حتى نزلت توبته في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وقول موسى بن عقبة : إنه مكث عشرين ليلة مرتبطاً به ، أشبه ، والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق[(٣)] أن الله أنزل توبته على رسوله ﷺ من آخر الليل ، وهو في بيت أُمّ سلمة ، فجعل يتبسّم[(٤)] ، فسألته أُمُّ سلمة ، فأخبرها بتوبة الله على أبي لبابة ، فاستأذنته أن تبشّره ، فأذن لها فخرجت فبشّرته ، فثار الناس إليه يبشّرونه ، وأرادوا أن يحلّوه من رباطه فقال : والله لا يحلني منه إلا رسول الله ﷺ . فلما خرج رسول الله ﷺ إلى صلاة الفجر حلَّه من رباطه ، رضي الله عنه وأرضاه .

قال ابن إسحاق[(٥)] : ثم إنَّ ثعلبة بن سَعْية ، وأُسَيد بن سَعْيَةَ ، وأسد بن عُبيد ، وهم نفر من بني [هَدْلٍ] ، ليسوا من بني قُريظة ولا النّضير ، نسبُهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ . وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي ، فمر بحرس رسول الله ﷺ ، وعليهم محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : [أنا] عمرو بن سُعْدى . [وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً] . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني [إقالة] عثرات الكرام . ثم خلّى سبيله ، فخرج على وجهه ، حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا . فذكر شأنه لرسول الله ﷺ فقال : « ذاك رجل نجّاه الله بوفائه » . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برُمَّة فيمن أُوثق [من بني قريظة] ، فأصبحت رُمَّته ملقاة ، ولم يُدر أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أيُّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق[(٦)] : فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله ، إنهم [كانوا] موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمتَ . يعنون عفوه عن بني قينقاع حين سأله فيهم عبد الله بن أُبي ، كما تقدم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٧) .
(٤) في (ط) : « يبتسم » .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٨) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٣٩) .

قال ابن إسحاق[١] : فلما كلّمته الأوس قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الأوس ، ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « فذلك إلى سعد بن معاذ » وكان رسول الله ﷺ [قد جعل سعد بن معاذ] في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رُفيدة . في مسجده ، وكانت تداوي الجرحى ، فلما حكَّمه في بني قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّؤوا له بوسادة من أَدَم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإنَّ رسول الله ﷺ إنما ولاَّك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا [عليه] قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجالَ بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد ؛ عن كلمته التي سمع منه ، فلمَّا انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم » . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : قد عمَّ رسول الله ﷺ المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله ﷺ قد ولاَّك أمر مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم [فيهم] لما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ ؛ إجلالاً له ، فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى الذَّراري والنساء .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو[٣] بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقّاص اللَّيثي قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعةٍ »[٤] .

وقال ابن هشام[٥] : حدثني من أثق به من أهل العلم ، أنَّ علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان . وتقدم هو والزبير بن العوَّام ، وقال : والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزةُ أو أقتحم حصنهم . فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

وقد قال الإمام أحمد[٦] : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، سمعت أبا أُمامة بن سهل ، سمعت أبا سعيد الخدري ، قال : نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ . قال : فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد ، فأتاه على حمار ، فلمَّا دنا قريباً من المسجد ، قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٣) في (ط) : « عن عبد الرحمن بن عمر . . . » .
(٤) وهو مرسل ، وكذلك رواه ابن قدامة المقدسي في « العلو » مرسلاً .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٢) .

سَيِّدكم[١] ، أو : خيركم » . ثم قال : « إن هؤلاء نزلوا على حُكمك » . قال : تُقْتَلُ مقاتلتهم وتسبى ذُرِّيتهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « قضيت بحكم الله » . وربما قال : « قضيت بحكم الملِك » . وفي رواية[٢] : « المَلَكِ » أخرجاه في « الصحيحين »[٣] من طرق عن شعبة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا حُجَينٌ ويونس ، قالا : ثنا اللَّيث بن سعد ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه[٥] رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى[٦] ، فانتفخت يده فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال : اللهم لا تخرج نفسي حتى تقرَّ عيني من بني قريظة . فاستمسك عرقه ، فما قطر قطرةً حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، وتسبى نساؤهم ، وذراريهم ، يستعين بهم المسلمون ، فقال رسول الله ﷺ : « أصبت حكم الله فيهم » وكانوا أربعمئة ، فلمَّا فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات .

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعاً[٧] ، عن قتيبة ، عن اللَّيث به ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٨] : ثنا ابن نُمير ، عن هشام ، أخبرني أبي ، عن عائشة ، قالت : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وعلى رأسه الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح فوالله ما وضعتها ، اخرج إليهم . قال رسول الله ﷺ : « فأين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قريظة ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم . قال هشام : فأخبرني أبي أنهم نزلوا على حكم النبي ﷺ ، فردَّ الحكم فيهم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم أن تقتل المقاتلة ، وتسبى النساء والذُّرِّيَّة ، وتقسم أموالهم . قال هشام : قال أبي : فأُخبرت أن رسول الله ﷺ قال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .

وقال البخاري[٩] : ثنا زكريا بن يحيى ، ثنا عبد الله بن نمير ، ثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : أُصيب سعد يوم الخندق ، رماه رجل من قريش يقال له : حِبَّان بن العَرِقة ، رماه في الأكحل ، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ، وضع السلاح واغتسل ، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعته ، اخرج

---

(١) في (ط) : « قوما لسيدكم » .
(٢) هي في « المسند » أيضاً (٣/ ٢٢) ، لكن عن عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة .
(٣) رواه البخاري رقم (٦٢٦٢) ومسلم رقم (١٧٦٨) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٥٠) .
(٥) أي : كواه .
(٦) في (آ) و (ط) : « . . فانتفخت يده فنزفه ، فحسمه أخرى . . . » وأثبت لفظ « مسند الإمام أحمد » .
(٧) رواه الترمذي (١٥٨٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٧٩) ، وهو حديث صحيح .
(٨) في « المسند » (٦/ ٥٦) وهو حديث صحيح .
(٩) رواه البخاري رقم (٤١٢٢) .

إليهم . قال النبي ﷺ : « فأين ؟ » فأشار إلى بني قُريظة ، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه ، فردَّ الحكم إلى سعد ، قال : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة ، وأن تسبى النساء والذُّرِّيَّة ، وأن تقسم أموالهم . قال هشام : فأخبرني أبي ، عن عائشة ، أن سعداً قال : اللهم إنَّك تعلم أنه ليس أحد أحبَّ إليَّ أن أجاهدهم فيك ، من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم فإني أظنّ أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء ، فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب ، فافجرها واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبَّته[١] فلم يرُعهم ، وفي المسجد خيمة من بني غِفَار ، إلاّ الدَّمُ يسيل إليهم ، فقالوا : يا أهل الخيمة ، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو[٢] جرحه دماً ، فمات منها .

وهكذ رواه مسلم[٣] من حديث عبد الله بن نُمير ، به .

قلت : كان دعا أولاً بهذا الدعاء قبل أن يحكم في بني قريظة ، ولهذا قال فيه : ولا تمتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة ، فاستجاب الله له ، فلما حكم فيهم ، وأقرَّ الله عينه أتمَّ قرارٍ ، دعا ثانياً بهذا الدعاء ، فجعلها الله له شهادة ، رضي الله عنه وأرضاه . وسيأتي ذكر وفاته قريباً ، إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد[٤] من وجه آخر ، عن عائشة مطولاً جداً ، وفيه فوائد ، فقال : ثنا يزيد ، أنبأ محمد بن عمرو ، عن أبيه ، عن جدِّه علقمة بن وقّاص قال : أخبرتني عائشة ، قالت : خرجت يوم الخندق أقفو الناس ، فسمعت وئيد الأرض ورائي ، فإذا أنا بسعد بن معاذ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنَّة . قالت : فجلست إلى الأرض ، فمرَّ سعد وعليه درع من حديد ، قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوَّف على أطراف سعد . قالت : وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، فمرَّ وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

لَبِّـثْ قليـلاً يُـدرك الهيجـا حَمَـلْ ... مَا أَحْسَنَ الموتَ إذا حَانَ الأَجَلْ

قالت : فقمت فاقتحمت حديقة ، فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب ، وفيهم رجل عليه تسبغة[٥] له ؛ تعني المغفر ، فقال عمر : ما جاء بك ، والله إنكِ لجريئة ، وما يؤمنكِ أن يكون بلاءٌ أو يكون تحوُّز . فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها ، فرفع الرجل التسبغة[٦] عن وجهه ، فإذا هو طلحة بن عبيد الله ، فقال : يا عمر ، ويحك ، إنك قد أكثرت منذ اليوم ،

---

(١) اللَّبَّة : موضع القلادة من الصدر انظر « فتح الباري » (٧/ ٤١٥) .
(٢) أي : يسيل .
(٣) رواه مسلم رقم (١٧٦٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ١٤١) .
(٥) في (ط) : « سبغة » وما جاء في (آ) هو الصواب . وانظر « لسان العرب » (سبغ) .
(٦) في (ط) : « السبغة » .

وأين التحوُّز أو الفرار إلَّا إلى الله عزَّ وجلَّ ؟ قالت : ويرمي سعداً رجل من قريش ، يقال له : ابن العَرِقة . وقال : خذها وأنا ابن العَرِقَة . فأصاب أكحله فقطعه ، فدعا الله سعد ، فقال : اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة . قالت : وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية . قالت : فرقأ كَلْمُهُ ، وبعث الله الرِّيح على المشركين ، ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . فلحق أبو سفيان ومن معه بتِهَامة ، ولحق عُيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصّنوا في صياصيهم[١] ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأمر بقبَّة من أَدَمٍ فضربت على سعد في المسجد . قالت : فجاءه جبريل ، وإنَّ على ثناياه لنقعَ الغبار ، فقال : أقد وَضَعْتَ السلاح ؟ لا والله ما وضعتِ الملائكة السلاح بعدُ ، اخرج إلى بني قُريظة فقاتلهم . قالت : فلبس رسول الله ﷺ لأْمَتَهُ ، وأذَّن في الناس بالرَّحيل أن يخرُجوا ، فمرَّ على بني غَنْم ، وهم جيران المسجد حوله ، فقال : « من مرَّ بكم ؟ » قالوا : مرَّ بنا دِحْيَةُ الكلبيُّ . وكان دِحْيَةُ الكلبيُّ تشبه لحيته وسنُّه ووجهه جبريل ، عليه السلام ، فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلمَّا اشتد حصرهم واشتدَّ البلاء ، قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر ، فأشار إليهم أنَّه الذَّبح ، قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ . فقال رسول الله ﷺ : « انزلوا على حكم سعد بن معاذ » . فأُتي به على حمار عليه إكاف من ليف ، قد حمل عليه وحفَّ به قومه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، حلفاؤك ومواليك وأهل النِّكاية ومن قد علمت . قالت : ولا يرجع إليهم شيئاً ، ولا يلتفت إليهم ، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه ، فقال : قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم . ـ قال : قال أبو سعيد : فلما طلع قال رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيِّدكم فأنزلوه » . قال عمر : سيدنا الله . ـ قال : « أنزلوه » . فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ : « احكم فيهم » . فقال سعد : فإنِّي أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتُسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم . فقال رسول الله ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله » . ثم دعا سعد ، فقال : اللهمَّ إن كنتَ أبقيت على نبيِّك ﷺ من حرب قريش شيئاً ، فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم ، فاقبضني إليك . قالت : فانفجر كلْمُه ، وكان قد برئَ حتى لا يرى منه إلَّا مثل الخرص ، ورجع إلى قبَّته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ . قالت عائشة : فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر . قالت : فوالذي نفس محمد بيده ، إنِّي لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله تعالى : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] . قال علقمة : فقلت : يا أُمَّه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت : كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنَّه إذا وجد ، فإنَّما هو آخذ بلحيته .

وهذا الحديث إسناده جيد[٢] ، وله شواهد من وجوه كثيرة . وفيه التَّصريح بدعاء سعد مرتين ؛ مرَّة

---

(١) أي : في حصونهم .

(٢) عمرو بن علقمة مجهول ، لكن الحديث له شواهد كما قال المصنف رحمه الله ، دون قوله : كانت عينه لا تدمع على أحد ، فهي مخالفة لما رواه البخاري (١٣٥٣) عن رسول الله ﷺ أن عينيه دمعتا عند وفاة ابنه إبراهيم .

قبل حكمه في بني قريظة ، ومرة بعد ذلك كما قلناه أولاً ، ولله الحمد والمنَّة ، وسنذكر كيفية وفاته[١] ودفنه وفضله في ذلك ، رضي الله عنه وأرضاه ، بعد فراغنا من القصة .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث ، امرأة من بني النَّجَّار . ـ قلت : هي نسيبة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذَّاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز . ثم خرج إلى سوق المدينة ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخُرج بهم إليه أرسالاً ، وفيهم عدوُّ الله حييُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستُّمئة أو سبعمئة ، والمكثِّر لهم يقول : كانوا ما بين الثمانمئة والتِّسعمئة .

قلت : وقد تقدَّم فيما رواه اللَّيث ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أنَّهم كانوا أربعمئة ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[٣] : وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً : يا كعب ، ما تُراه يُصنع بنا ؟ قال : أفي كلِّ موطن لا تعقلون ! ألا ترون الداعي لا ينزع ! وأنَّه من ذهب به منكم لا يرجع ، هو والله القتل . فلم يزل ذلك الدَّأب حتى فرغ منهم ، وأُتي بحييِّ بن أخطب وعليه حلَّة له فُقَّاحيَّة ، قد شقَّها عليه من كلِّ ناحية قدر أُنملةٍ ؛ لئلاّ يُسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلمَّا نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنَّه من يخذل الله يخذل . ثم أقبل على الناس فقال : أيُّها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوَّال الثَّعلبيُّ : [من الطويل]

لعمرك ما لام ابنُ أخطب نفسه ... ولكنَّه من يخذُل الله يُخذَلِ
لجاهد حتى أبلغ النَّفس عُذرها ... وقَلْقَل يبغي العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

وقد ذكر ابن إسحاق[٤] قصة الزَّبير بن باطا ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان قد منَّ يوم بعاث على ثابت بن قيس بن شمَّاس ، وجزَّ ناصيته ، فلمَّا كان هذا اليوم أراد أن يكافئه فجاءه فقال : هل تعرفني يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؟ فقال له ثابت : أُريد أن أُكافئك . فقال : إنَّ الكريم يجزي [الكريم] . فذهب ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلقه ؛ فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال : شيخ كبير لا أهل [له] ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستطلق له امرأته وولده ، فأطلقهم له ، ثم جاءه ، فأخبره فقال : أهل [بيت] بالحجاز لا مال [لهم] ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ فاستطلق مال الزَّبير بن باطا ، فأطلقه له ، ثم جاءه فأخبره ، فقال له : يا ثابت ، ما فعل

---

(١) أي وفاة سعد بن معاذ رضي الله عنه .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) .

الذي كان وجهه مرآة صينيَّة تتراءى فيها عذارى الحيّ ؟ يعني كعب بن أسد . قال : قتل . قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادي حُيَيُّ بن أخطب ؟ قال: قتل. قال : فما فعل مقدِّمتنا إذا شددنا[١] وحاميتنا إذا فررنا ؛ عزَّال بن شموأل ؟ قال : قتل . قال : فما فعل المجلسان ؟ يعني بني كعب بن قُريظة وبني عمرو بن قُريظة . قال : ذهبوا قتلوا . قال : فإنِّي أسألك يا ثابت ، بيدي عندك ، إلاَّ ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فيلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبَّة . فقدَّمه ثابت فضربت عنقه ، فلمَّا بلغ [أبا بكر] الصدِّيق قوله : ألقى الأحبَّة . قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلَّداً .

قال ابن إسحاق : « فيلة » . بالفاء [والياء المثنَّاة من أسفل] .

وقال ابن هشام[٢] : بالقاف والباء الموحَّدة .

وقال ابن هشام : الناضح : البعير الذي يستقي الماء لسقي النَّخل .

وقال أبو عُبيدة : معناه إفراغة دلو .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل [كلِّ] من أنبت منهم ، فحدَّثني شعبة بن الحجَّاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطيَّة القرظيِّ قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كلُّ من أنبت [منهم] ، وكنت غلاماً ، فوجدوني لم أُنبت فخلَّوا سبيلي .

ورواه أهل « السنن الأربعة[٤] » ، من حديث عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظيِّ نحوه .

وقد استدلَّ به من ذهب من العلماء إلى أنَّ إنبات الشَّعر الخشن حول الفرج دليل على البلوغ ، بل هو بلوغ في أصحِّ قولي الشافعيِّ .

ومن العلماء من يفرِّق بين صبيان أهل الذِّمَّة ، فيكون بلوغاً في حقِّهم دون غيرهم ؛ لأن المسلم قد يتأذَّى بذلك المقصد .

وقد روى ابن إسحاق[٥] ، عن أيوب بن عبد الرحمن ، أنَّ سلمى بنتَ قيس أُمَّ المنذر استطلقت من رسول الله ﷺ رفاعة بن سِمْوالَ ، وكان قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فأطلقه لها ، وكانت قالت : يا رسول الله ، إن رفاعة يزعم أنَّه سيصلِّي ويأكل لحم الجمل . فأجابها إلى ذلك فأطلقه .

---

(١) في (آ) : « شردنا » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٣) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .

(٤) هو عند أبي داود رقم (٤٤٠٤) و(٤٤٠٥) وعند الترمذي رقم (١٥٨٤) وعند النسائي في « المجتبى » رقم (٤٩٩٦) وعند ابن ماجه رقم (٢٥٤١) و(٢٥٤٢) ، وهو حديث صحيح .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .

قال ابن إسحاق[(١)] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : لم يقتل من نسائهم إلَّا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدَّث معي تضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ما لك ؟ قالت : أُقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثتُه . قالت : فانطلق بها فضربت عنقها . وكانت عائشة ، تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ؛ طِيب نفسها وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنَّها تُقتل .

وهكذا رواه الإمام أحمد[(٢)] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، به .

قال ابن إسحاق[(٣)] : هي التي طرحت الرَّحا على خلَّاد بن سويد فقتلته . يعني فقتلها رسول الله ﷺ به[(٤)] . قاله ابن إسحاق في موضع آخر ، وسمَّاها نُباتة[(٥)] امرأة الحكم القرظيِّ .

قال ابن إسحاق[(٦)] : ثم إنَّ رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعدما أخرج الخمس ، وقسم للفارس ثلاثة أسهم ؛ سهمين للفرس ، وسهماً لراكبه ، وسهماً للراجل ، وكانت الخيل يومئذ ستاً وثلاثين .

قال : وكان أول فيء وقعت فيه السُّهمان وخُمِّس .

قال ابن إسحاق[(٧)] : وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع بها خيلاً وسلاحاً ، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بني عمرو ابن قريظة ، وكان عليها حتى توفِّي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها الإسلام فامتنعت ، ثم أسلمت بعد ذلك ، فسرَّ رسول الله ﷺ بإسلامها ، وقد عرض عليها أن يعتقها ويتزوَّجها ، فاختارت أن تستمرَّ على الرِّقِّ ليكون أسهل عليها ، فلم تزل عنده حتى توفي ، عليه الصلاة والسلام .

ثم تكلم ابن إسحاق[(٨)] على ما نزل من الآيات في قصة الخندق من أول سورة الأحزاب . وقد ذكرنا ذلك مستقصىً في تفسيرها[(٩)] ، ولله الحمد والمنَّة .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) .
(٢) في « المسند » (٦/ ٢٧٧) ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٢٦٧١) وهو حديث حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٢) والكلام له لا لابن إسحاق ، ولعله له في موطن آخر ، والله أعلم .
(٤) قال الإمام الشافعي ـ فيما نقله البيهقي : « قد جاء الخبر أن رسول الله ﷺ قتل القرظية » ولم يصح خبر على أي معنى قتلها ، وقد يحتمل أن تكون أسلمت ثم ارتدت ولحقت بقومها فقتلها لذلك ، ويحتمل غيره » (السنن الكبرى ٩/ ٨٢ ، ومعرفة السنن (١٨٠١٨) .
(٥) كذا في (آ) و(ط) : « نباتة » وفي « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » ص (١٧٥) : « وبَنَانَة » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٤) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٥) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٤٥) .
(٩) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ٣٨٤) .

وقد قال ابن إسحاق[١] : واستُشهد من المسلمين يوم بني قريظة خلاَّد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الخزرجيُّ ، طرحت عليه رحاً فشدخته شدخاً شديداً ، فزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ له لأجر شهيدين » .

قلت : كان الذي ألقى عليه الرَّحا ، تلك المرأة التي لم يُقتل من بني قُريظة امرأة غيرها ، كما تقدَّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٢] : ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان من بني أسد بن خزيمة ، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرتهم اليوم .

***

وفاة سعد بن معاذ[٣] رضي الله عنه

قد تقدَّم أن حبَّان بن العَرِقة ، لعنه الله ، رماه بسهم فأصاب أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ كيّاً بالنار ، فاستمسك الجرح ، وكان سعد قد دعا الله أن لا يميته حتى يقرَّ عينه من بني قريظة ، وذلك حين نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهود والمواثيق والذِّمام ، ومالوا عليه مع الأحزاب ، فلمَّا ذهب الأحزاب وانقشعوا عن المدينة ، وباءت[٤] بنو قريظة بسواد الوجه والصَّفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، وسار إليهم رسول الله ﷺ ليحاصرهم كما تقدَّم ، فلمَّا ضيَّق عليهم وأخذهم من كل جانب ، أنابوا إلى أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ فيحكم فيهم بما أراه الله ، فردَّ الحكم فيهم إلى رئيس الأوس ، وكانوا حلفاءهم في [الجاهليَّة] ، وهو سعد بن معاذ ، فرضوا بذلك ، ويقال : بل نزلوا ابتداءً[٥] على حكم سعد ؛ لما يرجون من حنوِّه عليهم وإحسانه وميله إليهم ، ولم يعلموا بأنَّهم أبغض إليه من أعدادهم من القردة والخنازير ؛ لشدَّة إيمانه وصدِّيقيَّته ، رضي الله عنه وأرضاه ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، وكان في خيمة في المسجد النبويِّ ، فجيء به على حمار تحته إكافٌ قد وطِّئ تحته لمرضه ، ولمَّا قارب خيمة الرسول ﷺ أمر عليه السلام من هناك بالقيام له ، قيل : لينزَّل من شدَّة مرضه . وقيل : توقيراً له بحضرة المحكوم عليهم ؛ ليكون أبلغ في نفوذ حكمه ، والله أعلم ، فلمَّا حكم فيهم بالقتل والسَّبي ، وأقرَّ الله عينه وشفى صدره منهم ، وعاد إلى خيمته من المسجد النبويِّ صحبة رسول الله ﷺ ، دعا الله عزَّ وجلَّ ، أن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .

(٣) ترجمته ومصادرها في « سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٧٩) ، و « الإعلام بوفيات الأعلام » ص(٢٢) ، و « شذرات الذهب » (١/ ١٢٢) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .

(٤) في (آ) : « وفازت » وأثبت لفظ (ط) .

(٥) في (آ) : « ابتداءة » وأثبت لفظ (ط) .

تكون له شهادة ، واختار الله له ما عنده ، فانفجر جرحه من الليل ، فلم يزل يخرج منه الدم حتى مات ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق(١) : فلمَّا انقضى شأن بني قُريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

حدَّثني معاذ بن رفاعة الزُّرقيُّ ، قال : حدَّثني من شئت من رجال قومي ، أنَّ جبريل أتى رسول الله ﷺ ، حين قبض سعد بن معاذ ، من جوف الليل ، معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميِّت الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتزَّ له العرش(٢) ؟ قال : فقام رسول الله ﷺ سريعاً يجرُّ ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات ، رضي الله عنه . هكذا ذكره ابن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الحافظ البيهقيُّ في « الدلائل »(٣) : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدَّثنا أبي وشعيب بن اللَّيث ، قالا : حدَّثنا اللَّيث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن معاذ بن رِفَاعة ، عن جابر بن عبد الله قال : جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات ففتحت له أبواب السماء ، وتحرَّك له العرش ؟ قال : فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ . قال : فجلس رسول الله ﷺ على قبره وهو يدفن ، فبينما هو جالس إذ قال : « سبحان الله » مرَّتين ، فسبَّح القوم . ثم قال : « الله أكبر ، الله أكبر » . فكبَّر القوم . فقال رسول الله ﷺ : « عجبت لهذا العبد الصالح ، شُدِّد عليه في قبره ، حتى كان هذا حين فُرِّج له » .

وروى الإمام أحمد والنَّسائي من طريق يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، ويحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح الذي تحرَّك له عرش الرحمن ، وفتحت له أبواب السماء ، شدِّد عليه ، ثم فرَّج الله عنه »(٤) .

وقال محمد بن إسحاق(٥) : حدَّثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله قال : لمَّا دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ ، سبَّح رسول الله ﷺ ، فسبَّح الناس معه ، ثم كبَّر فكبَّر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممَّ سبَّحت ؟ قال : « لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه » .

وهكذا رواه الإمام أحمد(٦) ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، به .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٠) .

(٢) روى البخاري رقم (٣٨٠٣) ، ومسلم رقم (٢٤٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩) .

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٧) واللفظ له، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٢٤)، وهو حديث حسن.

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥١) .

(٦) في « المسند » (٣/ ٣٦٠) ، وإسناده حسن .

قال ابن هشام[١] : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للقبر ضمَّة ، لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن معاذ » .

قلت : وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا يحيى ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن نافع ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن للقبر ضغطة ، ولو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ » . وهذا الحديث سنده على شرط « الصحيحين » إلاَّ أن الإمام أحمد رواه عن غندر ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إنسان ، عن عائشة ، به[٣] .

وقد رواه الحافظ البزَّار[٤] ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : [حدَّثنا عبد الأعلى بن حمَّاد ، حدَّثنا داود بن عبد الرحمن ، حدَّثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :] قال رسول الله ﷺ : « لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف مَلك إلى الأرض ، لم يهبطوا قبل ذلك ، ولقد ضمَّه القبر ضمَّة » . قال : ثم بكى نافع .

وهذا إسناد جيد ، لكن قال البزَّار : رواه غيره ، عن عبيد الله ، عن نافع مرسلاً .

ثم رواه البزَّار[٥] ، عن سليمان بن سيف ، عن أبي عتَّاب ، عن مسكين بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ، ما وطئوا الأرض قبلها » . وقال حين دفن : « سبحان الله لو انفلت أحد من ضغطة القبر لانفلت منها سعد » .

قال البزَّار[٦] : [حدَّثنا] إسماعيل بن حفص ، حدَّثنا محمد بن فضيل ، حدَّثنا عطاء بن السَّائب ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : اهتزَّ العرش لحبِّ لقاء الله سعد بن معاذ . قال : فقال : إنَّما يعني السَّرير . ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف : ١٠٠] . قال : تفسَّخت أعواده . قال : ودخل رسول الله ﷺ قبره فاحتبس ، فلمَّا خرج قيل له : يا رسول الله ، ما حبسك ؟ قال : « ضمَّ سعد في القبر ضمَّة ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .

(٢) في « المسند » (٦/ ٥٥) ، وهو حديث حسن .

(٣) يشير المؤلف إلى وجود اختلاف في إسناد الحديث على شعبة ، فإن غندراً ، وهو محمد بن جعفر من أوثق الناس في شعبة ، قد أبهم الراوي عن شعبة . وأما يحيى بن سعيد القطان فرواه عن شعبة ولم يذكر الواسطة بين نافع وشعبة . ورواه سبعة من أصحاب شعبة عنه عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن امرأة ابن عمر صفية عن عائشة فسموا هذا المبهم ، ورواية السبعة هذه هي التي صوَّبها الإمام الدارقطني في كتاب « العلل » (٥/ الورقة ١٠٨) (بشار) .

(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٩) وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٣٠٨) وعزاه للبزار بإسنادين ، وقال : « ورجال أحدهما رجال الصحيح » .

(٥) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٨) .

(٦) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٦٩٧) .

فدعوت الله فكشف عنه » . قال البزَّار : تفرَّد به عطاء بن السائب . قلت : وهو متكلَّم فيه [١] .

وقد ذكر البيهقي [٢] ، رحمه الله ، بعد روايته ضمَّة سعد ، رضي الله عنه ، في القبر ، أثراً غريباً فقال : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس ، حدَّثنا أحمد بن عبد الجبَّار ، حدَّثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني أُميَّة بن عبد الله أنَّه سأل بعض أهل سعد : ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : « كان يقصِّر في بعض الطُّهور من البول » .

وقال البخاريُّ [٣] : حدَّثنا محمد بن المثنَّى ، حدَّثنا الفضل بن مساور ، حدَّثنا أبو عوانة عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ » .

وعن الأعمش [٤] ، حدَّثنا أبو صالح ، عن جابر ، عن النبيِّ ﷺ مثله ، فقال رجل لجابر : فإن البراء بن عازب يقول : اهتزَّ السَّرير . فقال : إنَّه كان بين هذين الحيَّين ضغائن ، سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ » .

ورواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن عبد الله بن إدريس ، وابن ماجه ، عن عليِّ بن محمد ، عن أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به . وليس عندهما زيادة قول الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر [٥] .

وقال أحمد [٦] : ثنا عبد الرزاق ، [عن] ابن جريج ، أخبرني أبو الزُّبير ، أنَّه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ [يقول] وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم : « اهتزَّ لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم [٧] ، عن عبد بن حميد ، والتِّرمذيُّ ، عن محمود بن غيلان ، كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وقال الإمام أحمد [٨] : ثنا يحيى بن سعيد ، ثنا عوف ، ثنا أبو نضرة ، سمعت أبا سعيد ، عن النبيِّ ﷺ : « اهتزَّ العرش لموت سعد بن معاذ » .

ورواه النسائيُّ [٩] ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى ، به .

---

(١) هكذا قال ، وعطاء بن السائب ثقة ، لكنه اختلط ، ورواية محمد بن فضيل عنه بعد الاختلاط ، فانظر تحرير تقريب التهذيب (٣/ ١٤) (بشار) .

(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠) .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٨٠٣) .

(٤) القائل البخاري عطفاً على الرواية السابقة لها .

(٥) رواه مسلم رقم (٢٤٦٦) ، وابن ماجه رقم (١٥٨) .

(٦) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٥) .

(٧) رواه مسلم رقم (٢٤٦٦) ، والترمذي رقم (٣٨٤٨) .

(٨) في « المسند » (٣/ ٢٣) ، وهو حديث صحيح .

(٩) في « السنن الكبرى » رقم (٨٢٢٥) ، وهو حديث صحيح .

وقال أحمد[١] : ثنا عبد الوهَّاب ، عن سعيد ، قال قتادة : ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال وجنازته موضوعة : « اهتزَّ لها عرش الرحمن » .

ورواه مسلم[٢] عن محمد بن عبد الله الرُّزِّيِّ ، عن عبد الوهَّاب ، به .

وقد روى البيهقيُّ[٣] من حديث المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن البصريِّ قال : اهتزَّ عرش الرحمن فرحاً بروحه .

وقال الحافظ البزَّار[٤] : ثنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرَّزاق[٥] ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : [لما] حملت جنازة سعد قال المنافقون : ما أخفَّ جنازته . وذلك لحكمه في بني قريظة ، فسئل رسول الله ﷺ فقال : « لا ، ولكنَّ الملائكة كانت تحمله » . إسناد جيد .

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا محمد بن بشّار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء بن عازب يقول : أُهديت للنبيِّ ﷺ حلَّة حرير ، فجعل أصحابه يمسُّونها ، ويعجبون من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ، لمناديل سعد بن معاذ خير منها أو ألين » .

ثم قال : رواه قتادة والزهريُّ ، سمعنا أنساً ، عن النبيِّ ﷺ .

وقال أحمد[٧] : ثنا عبد الوهَّاب ، عن سعيد ، هو ابن أبي عَرُوبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنَّ أُكَيْدِر دُومة أهدى إلى رسول الله ﷺ جُبَّة ، وذلك قبل أن ينهى عن الحرير ، فلبسها ، فعجب الناس منها ، فقال : « والذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذه » . وهذا إسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرجوه ، وإنَّما ذكره البخاريُّ تعليقاً[٨] .

وقال أحمد[٩] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن عمرو ، حدَّثني واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ ـ قال محمد : وكان واقد من أحسن الناس وأعظمهم وأطولهم ـ قال : دخلت على أنس بن مالك فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ . فقال : إنَّك بسعد لشبيه . ثم بكى وأكثر البكاء ،

---

(١) في « المسند » (٣/ ٢٣٤) .
(٢) رقم (٢٤٦٧) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٨) .
(٤) ورواه الترمذي أيضاً رقم (٣٨٤٩) وقال : حسن صحيح غريب ، وعبد بن حميد (١١٩٥) ، وابن حبان (٧٠٣٢) ، والطبراني في الكبير (٥٣٤٢) .
(٥) هو في مصنفه (٢٠٤١٤) .
(٦) رواه البخاري رقم (٣٨٠٢) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٣٤) .
(٨) في « صحيحه » رقم (٢٦١٦) .
(٩) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢١) .

وقال : رحمة الله على سعد ، كان من أعظم الناس وأطولهم . ثم قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى أُكَيْدِر دُومة ، فأرسل إلى رسول الله ﷺ بجُبَّة من ديباج ، منسوج فيها الذهب ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فقام على المنبر ، أو جلس ، فلم يتكلَّم ، ثم نزل فجعل الناس يلمسون الجُبَّة ، وينظرون إليها ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون منها ؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنّة أحسن ممَّا ترون » .

وهكذا [رواه] الترمذيُّ والنَّسائيُّ[1] ، من حديث [محمد بن] عمرو به ، وقال الترمذيُّ : حسن صحيح .

قال ابن إسحاق[2] ، بعد ذكر اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ : وفي ذلك يقول رجل من الأنصار : [من الطويل]

وما اهتزَّ عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلاَّ لسعدٍ أبي عمرو

قال : وقالت أمُّه ـ يعني كُبيشةَ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة الخدريَّة الخزرجيَّة ـ حين احتمل سعد على نعشه تندبه : [من مجزوء الرجز]

ويل امِّ سعد سعدا ... صرامة وحدّا
وسُؤدداً ومجدا ... وفارساً معدا
سدَّ به مسدا ... [يقدُّ هاماً قدّا]

قال : يقول رسول الله ﷺ : « كلُّ نائحة تكذب إلاَّ نائحة سعد بن معاذ » .

قلت : كانت وفاته بعد انصراف الأحزاب بنحو من خمس وعشرين ليلة ، وكان قدوم الأحزاب[3] في شوَّال سنة خمس كما تقدَّم ، فأقاموا قريباً من شهر ، ثم خرج رسول الله ﷺ لحصار بني قُريظة فأقام عليهم خمساً وعشرين ليلة ، ثم نزلوا على حكم سعد ، فمات بعد حكمه عليهم بقليل ، فيكون ذلك في أواخر ذي القعدة أو أوائل ذي الحجَّة من سنة خمس ، والله أعلم .

وهكذا قال محمد بن إسحاق[4] : إنَّ فتح بني قريظة كان في ذي القعدة وصدر ذي الحجَّة . قال : وولي تلك الحجَّة المشركون .

قال ابن إسحاق[5] : وقال حسَّان بن ثابت[6] يرثي سعد بن معاذ ، رضي الله عنه : [من الطويل]

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٧٢٣) ، و« النسائي » رقم (٥٣١٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٢) .
(٣) في (ط) : « إذا كان قدوم الأحزاب » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٩) .
(٦) انظر « ديوانه » (١/ ٤١٥) .

لقد سَجَمَتْ[١] من دمع عينيَ عبرةٌ … وحُقَّ لعيني أن تفيضَ على سعدِ
قتيلٌ ثوى في معرك فجعتْ بِهِ … عيون ذواري الدمع دائمة الوَجدِ
على مِلَّةِ الرحمن وارث جَنَّةٍ … مع الشُّهداء وَفْدُهَا أَكْرَمُ الوفدِ
فإن تك قد ودَّعتَنا وتركتنا[٢] … وأمسيتَ في غبراءَ مظلمةِ اللَّحدِ
فأنت الذي يا سعد أُبت بمشهد … كريم وأثواب المكارم والحمدِ
بحكمك في حيَّي قُريظة بالذي … قضى الله فيهم ماقضيتَ على عمدِ
فوافق حكمَ الله حكمُكَ فيهمُ … ولم تعفُ إذ ذكِّرت ما كان من عهدِ
فإن كان ريب الدَّهر أمضاك في الألى[٣] … شَروا هذه الدنيا بجنَّاتها[٤] الخُلْدِ
فنعمَ مَصِيرُ الصَّادقين إذا دُعُوا … إلى الله يوماً للوجاهةِ والقَصْدِ

* * *

فصل
فيما قيل من الأشعار في الخندق وبني قُرَيْظَةَ

قال البخاريُّ[٥] : ثنا حجَّاج بن منهال ، ثنا شعبة ، ثنا عديُّ بن ثابت ، أنه سمع البَرَاء بن عازب قال : قال النبيُّ ﷺ لحسَّان : « اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك » .

قال البخاريُّ[٦] : وزاد إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الشَّيبانيِّ ، عن عديِّ بن ثابت ، عن البَرَاء بن عازب قال : قال النبيُّ ﷺ يوم قُريظة لحسَّان بن ثابت : « اهج المشركين ، فإنَّ جبريل معك » .

وقد رواه البخاريُّ أيضاً ، ومسلم والنَّسائيُّ[٧] ، من طرق ، عن شعبة ، بدون الزيادة التي ذكرها البخاريُّ يوم بني قُريظة .

قال ابن إسحاق[٨] ، رحمه الله : وقال ضرار بن الخَطَّاب بن مرداس ، أخو بني مُحَارب بن فهر في يوم الخندق ـ قلت : وذلك قبل إسلامه ـ : [من الوافر]

---

(١) « الديوان » : « سفحت » .
(٢) « الديوان » : « عن مودة » .
(٣) « الديوان » : « في الأولى » .
(٤) في « الديوان » : « بجناته » .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٢٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٢٤) .
(٧) رواه البخاري رقم (٦١٥٣) ، ومسلم رقم (٢٤٨٦) ، و« النسائي » رقم (٦٠٢٤) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٤) .

ومشفقــةٍ تظــنُّ بنــا الظُّنــونــا　　وقــد قُــدنــا عَــرنــدسـةً طَحُــونَــا
كــأنَّ زُهــاءهــا أُحُــدٌ إذا مــا　　بــدت أركــانُــه للنــاظــرينَــا
تــرى الأبــدان فيهــا مُسبغــات　　علــى الأبطــال واليَلَــبَ الحصينَــا
وجُــرداً[١] كــالقــداح مســوَّمــات　　نــؤمُّ بهــا الغُــواة الخــاطئينَــا
كــأنَّهــمُ إذا صــالــوا وصلنــا　　ببــاب الخنــدقيــن مصــافحــونَــا
أُنــاس لا نــرى فيهــم رشيــداً　　وقــد قــالــوا ألسنــا راشــدينَــا
فــأحجــرنــاهــمُ شهــراً كــريتــاً[٢]　　وكنَّــا فــوقهــم كــالقــاهــرينَــا
نــراوحهــم ونغــدو كــلَّ يــوم　　عليهــم فــي السِّــلاح مــدجَّجينَــا
بــأيــدينــا صــوارم مُــرهفــات　　نقــدُّ بهــا المفــارق والشُّــؤونَــا
كــأنَّ وميضهــنَّ معــرَّيــاتٍ　　إذا لاحــت بــأيــدي مصلِتينَــا
وميــض عقيقــة لَمعــت بليــلٍ　　تــرى فيهــا العقــائــق مستبينَــا
فلــولا خنــدقٌ كــانــوا لــديــه　　لــدمَّــرنــا عليهــم أجمعينَــا
ولكــن حــال دونهــمُ وكــانــوا　　بــه مــن خــوفنــا متعــوِّذينــا
فــإن نــرحــل فــإنَّــا قــد تــركنــا　　لــدى أبيــاتكــم سعــداً رهينــا
إذا جــنَّ الظّــلام سمعــت نَــوْحَــى　　علــى سعــد يــرجِّعــن الحنينــا
وســوف نــزوركــم عمَّــا قــريــبٍ　　كمــا زرنــاكــم متــوازرينَــا
بجمــع مــن كنــانــة غيــر عُــزْلٍ　　كــأُســد الغــاب إذ حَمَــتِ العــرينَــا

قال : فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلمة ، رضي الله عنه[٣] ، فقال : [من الوافر]

وســائلــةٍ تُســائــل مــا لقينــا　　ولــو شهــدت رأتنــا صــابــرينَــا
صبــرنــا لا نــرى لله عِــدلاً　　علــى مــا نــابنــا متــوكِّلينَــا
وكــان لنــا النَّبــيُّ وزيــرَ صــدقٍ　　بــه نعلــو البــريَّــة أجمعينَــا
نقــاتــل معشــراً ظلمــوا وعقُّــوا　　وكــانــوا بــالعــداوة مُــرصــدينَــا
نعــاجلهــم إذا نهضــوا إلينــا　　بضــرب يُعْجِــلُ المُتَســرِّعينَــا
تــرانــا فــي فضــافــضَ ســابغــات　　كغــدران المَــلاَ متســربلينَــا
وفــي أيمــاننــا بيــض خِفَــافٌ　　بهــا نشفــي مــراح الشــاغبينَــا
ببــاب الخنــدقيــن كــأنَّ أُســداً　　شــوابكهــنَّ يحميــن العــرينَــا

---

(١) في (آ) : « وخوداً » وأثبت لفظ (ط) ، و« السيرة النبوية » لابن هشام ، والجرد : الخيل العتاق .
(٢) الكريت : التام الكامل .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (٢١٥) .

فـوارسنـا إذا بكـروا وراحـوا ... علـى الأعـداء شـوسـاً معلِمينَـا
لننصـر أحمـداً والله حتـى ... نكـون عبـاد صـدق مخلصينَـا
ويعلـم أهـل مكّـة حيـن ساروا ... وأحـزابٌ أتـوا متحـزِّبينَـا
بـأنَّ الله ليـس لـه شـريـك ... وأنَّ الله مـولـى المـؤمنينَـا
فـإمـا تقتلـوا سعـداً سَفـاهـاً ... فـإنّ الله خيـر القـادرينَـا
سيـدخلـه جنـانـاً طيِّبـات ... تكـون مُقـامـة للصَّـالحينَـا
كمـا قـد ردَّكـم فـلاًّ شـريـداً ... بغيظكـمُ خـزايـا خـائبينَـا
خـزايـا لـم تنـالـوا ثَـمَّ خيـراً ... وكـدتـم أن تكـونـوا دامـرينَـا
بـريـح عـاصـف هبَّـت عليكـم ... فكنتـم تحتهـا متكمِّهينَـا

قال ابن إسحاق[١] : وقال عبد الله بن الزِّبعرى السَّهميُّ[٢] في يوم الخندق ـ قلت : وذلك قبل أن يُسْلِم ـ : [من الكامل]

حيِّ الـدِّيـار محَـا معـارف رسمهـا ... طـولُ البلـى وتـراوح الأحقـابِ
فكـأنمـا كتـب اليهـودُ رسـومهـا ... إلا الكنيـف ومعقـد الأطنـابِ
قفـراً كـأنَّـك لـم تكـن تلهـو بهـا ... فـي نعمـة بـأوانـس أتـرابِ
فـاترك تـذكُّـر مـا مضـى مـن عيشة ... ومحلَّـة خلَـق المقـام يبـابِ
واذكـر بـلاء معـاشـر واشكـرهـمُ ... سـاروا بـأجمعـه مـن الأنصـابِ
أنصـابِ مَكَّـة عـامـديـن ليثـربٍ ... في ذي غياطل جحفل جبجابِ[٣]
يـدَع الحُـزون[٤] منـاهجـاً معلـومـة ... فـي كـلِّ نشـز ظـاهـر وشعـابِ
فيهـا الجيـاد شـوازب مجنـوبـة[٥] ... قـبُّ البطـون لـواحـق الأقـرابِ
مـن كـلِّ سَلهبـة[٦] وأجـرد سلهـب ... كـالسِّيـد بـادر غفلـة الـرُّقَّـابِ
جيـشٌ عيينـةُ قـاصـد بِلـوائـه ... فيـه وصخـر قـائـد الأحـزابِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٥٧) .
(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزِّبعرى » ص(٢٩) جمع وتقديم الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، مع بعض الخلاف اليسير .
(٣) « الجبجاب » : الكثير .
(٤) « الحزون » : جمع حزن ، وهو ما ارتفع من الأرض ، « والمناهج » :جمع منهج ، وهو الطريق الواضح « والنشز » : المرتفع من الأرض .
(٥) أي مقودة ، والشوازب والقب واللواحق كلها بمعنى ضامرات ، والأقراب جمع قرب ، وهو الحاصرة .
(٦) « السلهبة » : الطويل ، « والسِّيد » : الذئب .

قرمان[١] كالبدرين أصبح فيهما ... غيث الفقير ومعقل الهرَّابِ
حتَّى إذا وردوا المدينة وارتدوا ... للموت كلَّ مجرَّب قضَّابِ
شهراً وعشراً قاهرين محمداً ... وصحابه في الحرب خير صحابِ
نادوا برحلتهم صبيحة قلتمُ ... كدنا نكون بها مع الخيَّابِ
لولا الخنادق غادروا من جمعهم ... قتلى لطيرٍ سُغَّبٍ وذئابِ

قال : فأجابه حسان بن ثابت[٢] ، رضي الله عنه ، فقال : [من الكامل]

هل رسمُ دارسةِ المقام يباب ... متكلِّم لمحاور بجوابِ
قفرٌ عفا رِهَم السَّحاب رُسومه ... وهبوب كلِّ مُطلَّة مربابِ[٣]
ولقد رأيت بها الحلول يزينُهُمْ ... بيض الوجوه ثواقب الأحسابِ
فدع الدِّيار وذكر كلِّ خريدة ... بيضاء آنسة الحديث كَعابِ
واشك الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظلموا الرسول غضابِ
ساروا بجمعهمُ إليه وألَّبوا ... أهل القرى وبوادي الأعرابِ
جيشٌ عيينة وابن حرب فيهمُ ... متخمِّطون[٤] بحلبة الأحزابِ
حتى إذا وردوا المدينة وارتجَوا ... قتل الرسول ومغنم الأسلابِ
وغدوا علينا قادرين بأيدهم[٥] ... رُدُّوا بغيظهمُ على الأعقابِ
بهبوب معصفة تفرِّق جمعهم ... وجنود ربِّك سيد الأربابِ
فكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم في الأجر خير ثوابِ
من بعد ما قنطوا ففرَّق جمعهم ... تنزيل نصر مليكنا الوهَّابِ
وأقرَّ عين محمد وصحابه ... وأذلَّ كلَّ مكذِّب مرتابِ
عاتي الفؤاد موقَّع[٦] ذي ريبة ... في الكفر ليس بطاهر الأثوابِ
علِق الشقاءُ بقلبه ففؤاده ... في الكفر آخر هذه الأحقابِ

قال : وأجابه كعب بن مالك[٧] ، رضي الله عنه ، أيضاً فقال : [من الكامل]

أبقى لنا حدَث الحروب بقيَّة ... من خير نِحلة ربِّنا الوهَّابِ

---

(١) القرم : السيد .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٨٠) .
(٣) الدائمة الثابتة ، والرِّهم : جمع رِهمة ، وهو المطر .
(٤) أي مختلطون .
(٥) الأيد : القوة .
(٦) أي : ذو عيب .
(٧) الأبيات في « ديوانه » ص (١٥١) .

بيضاء مشرفة الذُّرى ومعاطناً حمَّ الجذوع غزيرة الأحلابِ
كاللُّوب يُبْذَلُ جمُّها وحفيلها للجار وابن العمِّ والمنتابِ
ونزائعاً[1] مثل السِّراح نمى بها علف الشَّعير وجزَّة المقضابِ
عري الشَّوى منها وأردف نحضها جرد المتون وسائر الآرابِ
قوداً تراحُ إلى الصِّياح إذا غدت فعل الضِّراء تراح للكَلَّابِ[2]
وتحوط سائمة الديار وتارة تُردي العدا وتؤوب بالأسلابِ
حوشَ الوحوش مُطارة عند الوغى عبس اللِّقاء مبينة الإنجابِ
علفت على دعة فصارت بُدَّناً دُخس[3] البضيع خفيفة الأقصابِ
يغدون بالزَّغف المضاعف شكُّه وبمترصاتٍ في الثِّقاف صيابِ
وصوارمٍ نزع الصَّياقل علْبها[4] وبكلِّ أروع ماجد الأنسابِ
يصل اليمين بمارن متقارب وُكلت وقيعته إلى خبَّابِ
وأغرَّ أزرق في القناة كأنَّه في طُخية[5] الظَّلماء ضوءُ شهابِ
وكتيبة ينفي القِرانَ قتيرُها وتردُّ حدَّ قواحز[6] النُّشَّابِ
جأوى[7] ململمة كأنَّ رماحها في كلِّ مجمعة ضريمة غابِ
تأوى إلى ظلِّ اللِّواء كأنَّه في صعدة الخطِّيِّ فيء عقابِ
أعيت أبا كرِب وأعيت تبَّعاً وأبت بسالتها على الأعرابِ
ومواعظ من ربِّنا نُهدى بها بلسان أزهر طيِّب الأثوابِ
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها من بعد ما عرضت على الأحزابِ
حِكماً يراها المجرمون بزعمهم حرجاً ويفهمها ذوو الألبابِ
جاءت سخينة كي تغالب ربَّها فليغلبنَّ مغالب الغلَّابِ

قال ابن هشام[8] : حدَّثني من أثق به ، حدَّثني عبد الملك بن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، أن رسول الله ﷺ قال له لمَّا سمع منه هذا البيت : « لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا » .

---

(١) النزائع : الخيل العربية التي نزعت من الأعداء . والسِّراح ، جمع سرحان ، وهو الذئب .
(٢) الكلاب : الصائد صاحب الكلاب .
(٣) كثيرة اللحم .
(٤) أي : صلابتها .
(٥) الطخية : شدة السواد .
(٦) قواحز النشاب : أي السهام المرتفعة .
(٧) الجأواء : التي يخالط سوادها حمرة .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦١) والأبيات في « ديوان كعب بن مالك » ص(١٩٤ ـ ١٩٧) .

قلت : ومراده بسخينة : قريش ، وإنما كانت العرب تسمِّيهم بذلك لكثرة أكلهم الطعام السُّخن ، الذي لا يتهيَّأ لغيرهم غالباً من أهل البوادي ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[(١)] : وقال كعب بن مالك أيضاً : [من الكامل]

من سرَّه ضرب يمعمع[(٢)] بعضه ... بعضاً كمعمعة الأَباء[(٣)] المحرَقِ
فليأت مأسدة تسنُّ سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندقِ
دربوا بضرب المعلِمين وأسلموا ... مهجات أنفسهم لربِّ المشرقِ
في عصبة نصر الإله نبيَّه ... بهمُ وكان بعبده ذا مرفقِ
في كلِّ سابغة يحطُّ فضولها ... كالنِّهي[(٤)] هبَّت ريحه المترقرقِ
بيضاءَ محكمة كأنَّ قتيرها ... حدق الجنادب[(٥)] ذات شكٍّ موثقِ
جدلاء يحفزها نجاد مهنَّد ... صافي الحديدة صارم ذي رونقِ
تلكم مع التَّقوى تكون لباسنا ... يوم الهياج وكلَّ ساعة مصدقِ
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدماً ونُلحقها إذا لم تلحقِ
فترى الجماجم ضاحياً هاماتها ... بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلقِ
نلقى العدوَّ بفخمة ململمة ... تنفي الجموع كقصد رأس المُشرقِ
ونعدُّ للأعداء كلَّ مقلَّص ... وَرْدٍ ومحجول القوائم أبلقِ
تردي بفرسان كأنَّ كماتهم ... عند الهياج أسود طلٍّ مُلْثِقِ
صدق يعاطون الكماة حتوفهم ... تحت العماية بالوشيج المزهقِ
أمر الإله بربطها لعدوِّه ... في الحرب إن الله خير موفِّقِ
لتكون غيظاً للعدوِّ وحُيَّطاً ... للدار إن دلفت خيول النزَّقِ
ويعيننا الله العزيز بقوة ... منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نبيِّنا ونجيبه ... وإذا دعا لكريهة لم نُسبقِ
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها ... ومتى نر الحومات فيها نعنقِ
من يتَّبع قول النبيِّ فإنه ... فينا مطاع الأمر حقُّ مصدَّقِ
فبذاك ينصرنا ويظهر عزَّنا ... ويصيبنا من نيل ذاك بمرفقِ
إن الذين يكذِّبون محمداً ... كفروا وضلُّوا عن سبيل المتَّقي

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦١) .
(٢) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها .
(٣) الأباء واحدتها أباءة وهي القصبة .
(٤) النهي : الغدير من الماء .
(٥) الجنادب : الجراد .

قال ابن إسحاق[١] : وقال كعب بن مالك[٢] أيضاً : [من الطويل]

لقد علم الأحزاب حين تألَّبوا ... علينا وراموا ديننا ما نُوادعُ
أضاميم من قيس بن عيلان أَصْفَقَتْ ... وخندف لم يدروا بما هو واقعُ
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راءٍ وسامعُ
إذا غايظونا في مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسعُ
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ الله ضائعُ
هدانا لدين الحقِّ واختاره لنا ... ولله فوق الصانعين صنائعُ

قال ابن هشام[٣] : وهذه الأبيات في قصيدة له . يعني طويلة .

قال ابن إسحاق[٤] : وقال حَسَّان بن ثابت[٥] في مقتل بني قُريظة : [من الوافر]

لقد لقيت قريظة ما سآها ... وما وجدت لذلٍّ من نصيرِ
أصابهمُ بلاء كان فيه ... سوى ما قد أصاب بني النَّضيرِ
غداة أتاهمُ يهوي إليهم ... رسول الله كالقمر المنيرِ
له خيل مجنَّبة تعادى ... بفرسان عليها كالصقورِ
تركناهم وما ظفروا بشيء ... دماؤهمُ عليها كالعبيرِ
فهم صرعى تحوم الطير فيهم ... كذاك يُدان ذو العند الفجورِ
فأنذر مثلها نصحاً قريشاً ... من الرحمن إن قبلت نذيري

قال : وقال حسَّان بن ثابت[٦] أيضاً في بني قريظة : [من الوافر]

تفاقد معشر نصروا قريشاً ... وليس لهم ببلدتهم نصيرُ
همُ أوتوا الكتاب فضيَّعوه ... وهم عمي من التوراة بورُ
كفرتم بالقُرانِ وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذيرُ
فهان على سراة بني لؤيّ ... حريق بالبويرة مستطيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال : [من الوافر]

أدام الله ذلك من صنيعٍ ... وحرَّق في طوائفها السعيرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص (١٨٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٦٣) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧١) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٨) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢١٠) .

ستعلـــم أيُّنـــا منهـــا بنُـــزه ... وتعلـــم أيَّ أَرْضَينـــا تضيـــرُ
فلـو كـان النَّخيـل بهـا ركـابـاً ... لقـالـوا لا مقـام لكـم فسيـروا

قلت : وهذا قاله أبو سفيان بن الحارث قبل أن يسلم ، وقد تقدَّم في « صحيح البخاريِّ » بعض هذه الأبيات .

وذكر ابن إسحاق[١] جواب حسَّان في ذلك لجبل بن جوَّال الثعلبيِّ ، تركناه قصداً .

قال ابن إسحاق[٢] : وقال حَسَّان بن ثابت[٣] أيضاً يبكي سعداً وجماعة ممن استشهد يوم بني قُريظة :

[من الطويل]

ألا يا لقومي هل لما حمَّ دافع ... وهل ما مضى من صالح العيش راجعُ
تذكَّرت عصراً قد مضى فتهافتت ... بنات الحشا وانهلَّ مني المدامعُ
صبابة وجد ذكَّرتنيَ إخوةً ... وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت ... منازلهم فالأرض منهم بلاقعُ
وفَوا يوم بدر للرسول وفوقهم ... ظلال المنايا والسيوف اللَّوامعُ
دعا فأجابوهُ بحقٍّ وكلُّهم ... مطيع له في كلِّ أمر وسامعُ
فما نكلوا حتى توالَوا جماعة ... ولا يقطع الآجال إلاّ المصارعُ
لأنهمُ يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافعُ
فذلك يا خير العباد بلاؤنا ... إجابتنا لله والموتُ ناقعُ
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ... لأولنا في ملة الله تابعُ
ونعلم أن الملك لله وحده ... وأن قضاء الله لا بد واقعُ

* * *

مقتل أبي رَافِعٍ سَلاّم بن أبي الحُقَيق اليهودي
لعنه الله

وكان في قصر له في أرض خيبر ، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز[٤]

قال ابن إسحاق[٥] : ولما انقضى شأن الخندق وأمرُ بني قريظة ، وكان سلاَّم بن أبي الحُقَيق ـ وهو

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٠) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٦٧) مع بعض الخلاف .
(٤) مكان هذه الفقرة كاملة في (ط) : « مقتل أبي رافع اليهودي » فقط .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٣) .

أبو رافع ـ فيمن حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ، فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلاَّم بن أبي الحُقيق وهو بخيبر ، فأذن لهم .

قال ابن إسحاق[(١)] : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله [بن كعب] بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار ؛ [الأوس] والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول [الفحلين] ، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غناء عن رسول الله ﷺ إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام . فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك . قال : ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ ، قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا مَن رجل لرسول الله ﷺ في العداوة [كابن الأشرف] ، فذكروا ابن أبي الحُقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعيّ ، وخزاعيُّ بن أسود ، حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمَّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا ، حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحُقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلاَّ أغلقوه على أهله . قال : وكان في علِّيَّة ، له إليها عجلة . قال : فأسندوا إليها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ قالوا : أُناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه . قال : فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة ؛ تخوُّفاً أن يكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، فنوَّهت بنا ، فابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله ما يدلُّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبطيَّة ملقاة . قال : فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفُّ يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطني قطني . أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيِّئ البصر . قال : فوقع من الدَّرجة ، فوثئت يده وثئاً شديداً ، وحملناه حتى نأتيَ به منهراً من عيونهم فندخل فيه ، فأوقدوا النيران ، واشتدُّوا في كلِّ وجه يطلبوننا ، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدوَّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدِّثهم وتقول : أما سمعت صوت ابن عتيك ثم أَكْذَبْتُ [نفسي] وقلت : أَنَّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أكبَّت عليه تنظر في وجهه ، فقالت : فاظ وإله يهود . فما سمعت كلمة كانت ألذَّ على نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرنا الخبر ، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ ، فأخبرناه بقتل عدوِّ الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلُّنا يدَّعيه . قال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٣) .

فقال : « هاتوا أسيافكم » . فجئنا بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : « هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام » . قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت[1] في ذلك : [من الكامل]

لله درُّ عِصابةٍ لاقيتُهُمْ يابن الحُقَيق وأنت يا بن الأشرف
يَسْرُون بالبيض الخِفاف إليكمُ مُرحاً كأُسْد في عرين مُغرف
حتى أتَوكم في محلِّ بلادكم فسقَوكُم حتفاً ببيضٍ ذُفَّف
مستبصرين لنصر دين [نبيِّهم] مستصغرين لكلِّ أمر مُجحف

هكذا أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله .

وقد قال الإمام أبو عبد الله البخاريُّ[2] : ثنا إسحاق بن نصر ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن أبي زائدة ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : بعث النبيُّ ﷺ رهطاً إلى أبي رافع ، فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهوديِّ رجالاً من الأنصار ، وأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلمَّا دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس بسرحهم ، قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطِّف للبوَّاب ؛ لعلِّي أن أدخل . فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تقنَّع بثوبه كأنه يقضي حاجته ، وقد دخل الناس ، فهتف به البوَّاب : يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب . فدخلت فكمنت ، فلمَّا دخل الناس أغلق الباب ، ثم علَّق الأغاليق على وَدٍّ . قال : فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسمَر عنده ، وكان في علاليَّ له ، فلمَّا ذهب عنه أهل سمره ، صَعِدت إليه ، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ من داخل ، فقلت : إنِ القوم نذِروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله . فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، قلت : أبا رافع . قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئاً ، وصاح فخرجت من البيت ، فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال : لأمِّك الويل ، إنَّ رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف . قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه ، حتى أخذ في ظهره ، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢/ ٢١١) ، وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » لابن عساكر (٢/ ١٨٠) بتحقيقي بالاشتراك مع الأساتذة : د . حسام الدين فرفور ، رياض عبد الحميد مراد ، د . نزار أباظة ، بإشراف أستاذنا العلاَّمة الدكتور شاكر الفحَّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٠٣٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٠٣٩) .

الأبواب باباً باباً ، حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي ، وأنا أُرى أني قد انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته . فلمَّا صاح الديك ، قام الناعي على السُّور فقال : أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز . فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النَّجاء ، فقد قتل الله أبا رافع . فانتهيت إلى النبيِّ ﷺ فحدَّثته ، فقال لي : « ابسط رِجلك » . فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنما لم أشتكها قطُّ .

ثم قال البخاريُّ[1] : ثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأوديُّ ، ثنا شريح ، ثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراء قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة في ناس معهم ، فانطلقوا حتى دنَوا من الحصن ، فقال لهم عبد الله بن عتيك : امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر. قال: فتلطَّفت حتى أدخل الحصن، ففقدوا حماراً لهم، فخرجوا بقبس يطلبونه . قال : فخشيت أن أُعرف . قال : فغطَّيت رأسي ، وجلست كأني أقضي حاجة ، فقال البواب : من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أُغلقه . فدخلت ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن ، فتعشَّوا عند أبي رافع ، وتحدَّثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ، ثم رجعوا إلى بيوتهم ، فلمَّا هدأت الأصوات ولا أسمع حركة ، خرجت . قال : ورأيت صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوَّة ، فأخذتُه ففتحت به باب الحصن . قال : قلت : إن نذِر بي القوم انطلقت على مَهَل ، ثم عمدت إلى أبواب بيوتهم فغلَّقتها عليهم من ظاهر ، ثم صعِدت إلى أبي رافع في سلَّم ، فإذا البيت مظلم ، قد طفئ سراجه ، فلم أدر أين الرجل ؟ فقلت : أبا رافع . قال : من هذا؟ قال: فعمدت نحو الصوت فأضربه وصاح ، فلم تغن شيئاً . قال : ثم جئت كأني أُغيثه ، فقلت: ما لك أبا رافع ؟ وغيَّرت صوتي . قال : ألا أُعجبك ، لأُمِّك الويل ، دخل عليَّ رجل فضربني بالسيف . قال : فعمدت إليه أيضاً فأضربه أخرى فلم تغن شيئاً ، فصاح وقام أهله ، ثم جئت وغيَّرت صوتي كهيئة المغيث ، فإذا هو مستلق على ظهره ، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفئ عليه ، حتى سمعت صوت العظم ، ثم خرجت دهشاً ، حتى أتيت السُّلَّم أريد أن أنزل ، فأسقط منه فانخلعت رِجلي ، فعصبتها ثم أتيت أصحابي أحجل ، فقلت : انطلقوا فبشِّروا رسول الله ﷺ ، فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية ، فلمَّا كان في وجه الصبح صعِد الناعية فقال : أنعى أبا رافع . قال : فقمت أمشي ما بي قلَبة ، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا رسول الله ﷺ فبشَّرته . تفرد به البخاريّ بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة .

قلت : يحتمل أن عبد الله بن عتيك لما سقط من تلك الدرجة ، انفكَّت قدمه ، وانكسرت ساقه ، ووثئت رِجله ويده ، فلمَّا عصبها استكنَّ ما به ؛ لما هو فيه من الأمر الباهر ، ولما أراد المشي أعين على ذلك ؛ لما هو فيه من الجهاد النافع ، ثم لما وصل إلى رسول الله ﷺ واستقرَّت نفسه ، ثاوره الوجع في

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٠٤٠) .

رجله ، فلما بسط رجله ومسح رسول الله ﷺ ، ذهب ما كان بها من بأس في الماضي ، ولم يبق بها وجع يتوقَّع حصوله في المستقبل ، جمعاً بين هذه الرواية والتي تقدَّمت ، والله أعلم .

هذا وقد ذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[١] مثل سياق محمد بن إسحاق ، وسمَّى الجماعة الذين ذهبوا إليه كما ذكره ابن إسحاق ، وإبراهيم ، وأبو عُبيد .

ثم قال : قال الزُّهريُّ : قال ابن كعب[٢] : فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر ، فقال : « أفلحت الوجوه » قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله ، قال : « أفتكتموه ؟ » قالوا : نعم ، قال : « ناولني السّيف » فسلَّه فقال : « أجل هذا طعامه في ذُباب السيف » .

* * *

مقتل خالد بن سُفْيَان بن نُبَيح الهُذَلي[٣]

ذكره الحافظ البيهقيُّ في « الدلائل »[٤] تِلو مقتل أبي رافع .

قال الإمام أحمد[٥] : ثنا يعقوب ، ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن ابن عبد الله بن أُنيس ، عن أبيه قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبيح الهُذَليَّ يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بعُرَنَةَ[٦] ، فأْته فاقتله » . قال : قلت : يا رسول الله ، انعته لي حتى أعرفه . قال : « إذا رأيته وجدت له قُشعريرة » . قال : فخرجت متوشِّحاً سيفي حتى وقعت عليه ، وهو بعُرَنَةَ مع ظُعُنٍ يرتاد لهنّ منزلاً ، حين[٧] كان وقت العصر ، فلمَّا رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشي نحوه ؛ أومئ برأسي للركوع والسجود ، فلمَّا انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إنّا في ذلك . قال : فمشَيت معه شيئاً ، حتى إذ أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُكبَّات عليه ، فلمَّا قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال : « أفلح الوجه » . قال : قلت : قتلته يا رسول الله .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨) .
(٢) في (آ) و(ط) : « أُبي بن كعب » .
(٣) انظر « زاد المعاد » لابن القيم (٣/ ٢١٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩٦) ، وفي إسناده ضعف .
(٦) قال ياقوت : عُرَنَةُ : بوزن هُمزة وضُحكة وهو الذي يضحك من الناس فيكون في القياس الكثير . . . واد بحذاء عرفات ، . . . وقيل مسجد عرفة والمسيل كله . عن « معجم البلدان » (٤/ ١١١) .
(٧) في (آ) و(ط) : « وحين » والتصحيح من « دلائل النبوة » للبيهقي مصدر المؤلف .

قال : « صدقت » . قال : ثم قام معي رسول الله ﷺ ، فدخل في بيته فأعطاني عصاً فقال : « أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس » . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ماهذه العصا ؟ قال : قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن أمسكها . قالوا : أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، لم أُعطيتني هذه العصا ؟ قال : « آية بيني وبينك يوم القيامة ، إنَّ أقلَّ الناس المتخصِّرون يومئذ » . قال : فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه ، حتى إذا مات أُمر بها فضمَّت في كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

ثم رواه الإمام أحمد[١] ، عن يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر [بن الزُّبير] ، عن بعض ولد عبد الله بن أُنيس ـ أو قال : عن عبد الله بن عبد الله بن أُنيس ـ عن عبد الله بن أُنيس ، فذكر نحوه .

وهكذا رواه أبو داود[٢] ، عن أبي معمر ، عن عبد الوارث ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن ابن عبد الله بن أُنيس ، عن أبيه ، فذكر نحوه .

ورواه الحافظ البيهقيُّ[٣] ، من طريق محمد بن سلمة[٤] ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه فذكره .

وقد ذكر نحوه عُروة بن الزبير ، وموسى بن عقبة في « مغازيهما » مرسلة ، فالله أعلم .

قال ابن هشام[٥] : وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سُفيان : [من الطويل]

تَرَكْتُ ابن ثَورٍ كالحُوار وحولَهُ ... نوائحُ تَفْري كلَّ جَيب مقدَّدِ
تناولتُه والظُّعن خلفي وخلفَه ... بأبيض من ماء الحديد مُهَنَّدِ
عَجُوم لهام الدَّارعين كأنه ... شهاب غضىً من مُلهب متوقِّدِ
أقولُ له والسَّيفُ يَعْجُمُ رَأْسَهُ ... أنا ابنُ أُنيسٍ فارساً غير قُعدُدِ
أنا ابنُ الذي لم يُنْزِلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ ... رحيبُ فناءِ الدَّارِ غيرُ مزنَّد
وقلت له خُذْهَا بضربة ماجدٍ ... حنيفٍ على دين النبيِّ محمدِ
وكنتُ إذا هَمَّ النَّبيُّ بكافرٍ ... سَبَقْتُ إليه باللِّسان وباليدِ

قلت : عبد الله بن أُنيس بن أسعد بن حرام ، أبو يحيى الجُهَنيُّ ، صحابيٌّ مشهور كبير القدر ، كان

---

(١) في « المسند » (٣/ ٤٩٦) ، وفي إسناده ضعف .
(٢) في « سننه » رقم (١٢٤٩) ، وفي إسناده ضعف .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤٢) .
(٤) في (آ) : « من طريق محمد بن مسلمة » وأثبت لفظ (ط) وهو الصواب .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٠) .

فيمن شهد العقبة ، وشهد أُحداً والخندق وما بعد ذلك ، وتأخَّر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور ، وقيل : توفِّي سنة أربع وخمسين[١] ، والله أعلم .

وقد فرَّق عليُّ بن المدينيِّ ، وخليفة بن خيَّاط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الأنصاريِّ[٢] ، الذي روى عن النبيِّ ﷺ أنه دعا يوم أحد بإداوة فيها ماء ، فخنث فمها وشرب منها ، كما رواه أبو داود والترمذيُّ[٣] ، من طريق عبد الله العمريِّ ، عن عيسى بن عبد الله بن أنيس ، عن أبيه . ثم قال الترمذيُّ : وليس إسناده يصحُّ ، وعبد الله العمريُّ ضعيف من قبل حفظه .

* * *

قصة عمرو بن العاص مع النجاشي وإسلامه[٤]

قال محمد بن إسحاق[٥] ، بعد مقتل أبي رافع : وحدَّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد[٦] مولى حبيب بن أبي أوس الثَّقفيِّ ، عن حبيب بن أبي أوس ، حدَّثني عمرو بن العاص ، مِن فيه ، قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشيِّ فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشيِّ ، فإنّا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن مَن قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إنّ هذا لرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما نُهدي له . وكان أحبَّ ما يهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ[٧] ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده ، إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمريُّ ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُمية ، لو قد دخلتُ على النجاشيِّ فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي ، هل أهديت لي من بلادك

---

(١) وقال ابن حجر العسقلاني : « ومات بالشام في خلافة معاوية ، سنة أربع وخمسين ، ووهم من قال سنة ثمانين » . انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ١٩٢) .

(٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ١٩٢) .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٧٢١) ، والترمذي رقم (١٨٩١) .

(٤) لفظ « وإسلامه » لم يرد في (ط) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .

(٦) في (آ) : « وحدثني يريد بن أبي حبيب ، عن أبي حبيب ، عن راشد . . . » وهو وهم من ناسخها ، والله أعلم ، وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام التي بين يدي ، طبع دار ابن كثير .

(٧) الأدم : الجلد .

شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيُّها الملك ، قد أهديت لك أَدَماً كثيراً . قال : ثم قرَّبتُه إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيُّها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ؛ فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مدَّ يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقَّت الأرض لدخلت فيها فرَقاً منه . ثم قلت له : أيُّها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ؟! قال : قلت : أيُّها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو! أطعني واتَّبعه ، فإنَّه والله لعلى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى بن عِمْرَان على فرعون وجنوده . قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين أبا سليمان ؟ فقال : والله لقد استقام المِيسم ، وإنَّ الرجل لنبيٌّ ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على النبيِّ ﷺ ، فتقدَّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخَّر . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عمرو ، بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها » . قال : فبايعته ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق[١] : وقد حدَّثني من لا أتَّهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما ، أسلم حين أسلما ، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهميُّ[٢] : [من الطويل]

أَنْشُدُ عُثمانَ بنَ طلحةَ حِلْفَنَا ... ومُلقى نِعَالِ القومِ عندَ المُقبَّلِ
وما عَقَدَ الآباءُ من كلِّ حِلفةٍ ... وما خالدٌ من مثلِها بمحلَّلِ
أمفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِكَ تبتغي ... وما يبتغى من مَجْدِ بيتٍ مؤثَّلِ
فلا تأمننَّ خالداً بعدَ هذهِ ... وعثمانَ جاءا بالدُّهيمِ المعضَّلِ

قلت : كان إسلامهم بعد الحُديبية ، وذلك أن خالد بن الوليد كان يومئذ في خيل المشركين ، كما سيأتي بيانه ، فكان ذكر هذا الفصل في إسلامهم بعد ذلك أنسب ، ولكن ذكرنا ذلك تبعاً للإمام محمد بن إسحاق ، رحمه الله تعالى ؛ لأن أول ذهاب عمرو بن العاص إلى النجاشيِّ كان بعد وقعة الخندق ، والظاهر أنه ذهب في بقيَّة سنة خمس ، والله أعلم .

* * *

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٨) .
(٢) الأبيات في « شعر عبد الله بن الزبعرى » ص (٤٤) .

فصل
في تزويج النَّبيِّ ﷺ بأُم حَبيبة بنت أبي سُفْيَان[١]

ذكر البيهقيُّ[٢] بعد وقعة الخندق من طريق الكلبيِّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة : ٧] . قال : هو تزويج النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أمَّ المؤمنين ، وصار معاوية خال المؤمنين .

ثم قال البيهقيُّ[٣] : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، ثنا علي بن عيسى[٤] ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا يحيى بن عبد الحميد ، أنبأ ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزُّهريِّ ، عن عُرْوَة ، عن أُمِّ حبيبة ، أنها كانت عند عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشيِّ فمات ، وأن رسول الله ﷺ تزوَّج بأُمِّ حبيبة وهي بأرض الحبشة ، وزوَّجها إيّاه النجاشيُّ ، ومَهَرَهَا أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهَّزها من عنده ، وما بعث إليها رسول الله ﷺ بشيء . قال : وكان مهور أزواج النبيِّ ﷺ أربعمئة .

قلت : الصحيح أن مهور أزواج النبيِّ ﷺ كانت ثنتي عشرة أوقيَّة ونشّاً ، والأوقيَّة أربعون درهماً ، والنَّشُّ : النصف ، وذلك يعدل خمسمئة درهم .

ثم روى البيهقيُّ[٥] ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، أن عبيد الله بن جحش مات بالحبشة نصرانياً ، فَخَلَفَ على زوجته أُمِّ حبيبة رسول الله ﷺ ، زوَّجها منه عثمان بن عفَّان ، رضي الله عنه .

قلت : أمّا تنصُّر عبيد الله بن جَحْش فقد تقدَّم بيانه ، وذلك على أثر ما هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة ؛ استزلَّه الشيطان فزيَّن له دين النَّصارى ، فصار إليه حتى مات ، عليه لعنة الله ، وكان يلقى المسلمين فيقول لهم : أبصرنا وصأصأتم[٦] . وقد تقدَّم شرح ذلك في هجرة الحبشة . وأما قول عُروة : إنَّ عثمان زوَّجها منه فغريب ؛ لأن عثمان كان قد رجع إلى مَكَّة قبل ذلك ، ثم هاجر إلى المدينة وصحبته زوجته رُقيَّة كما تقدَّم ، والله أعلم .

---

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٥) بتحقيقي ، وقوله : « بنت أبي سفيان » لم يرد في (ط) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٥٩) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٠) .
(٤) سقط من (ط) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٠) وهي رواية ضعيفة لضعف ابن لهيعة .
(٦) أي : أبصرنا أمرنا ولم تبصروا أمركم . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٣/ ٣٠) .

والصحيح ما ذكره يونس ، عن محمد بن إسحاق قال : بلغني أن الذي ولي نكاحها ابن عَمِّها خالد بن سعيد بن العاص .

قلت : وكان وكيل رسول الله ﷺ في قبول العقد أَصْحَمَة النجاشيُّ ملك الحبشة ، كما قال يونس ، عن محمد بن إسحاق : حدَّثني أبو جعفر محمد بن عليِّ بن الحسين قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أُميَّة الضَّمريَّ إلى النجاشيِّ ، فزوَّجه أمَّ حَبيبة بنت أبي سفيان ، وساق عنه أربعمئة دينار .

وقال الزُّبير بن بكَّار[١] : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن إسماعيل بن عمرو ، أن أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشيِّ جارية يقال لها : أَبرهة . كانت تقوم على ثيابه ودهنه ، فاستأذنت عليَّ فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أُزوِّجكِه . فقلت : بشَّرك الله بالخير . وقالت : يقول لك الملك : وكِّلي من يزوِّجك . قالت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص ، فوكَّلته ، وأَعطيت أَبرهة سوارين من فضَّة ، وخدمتين[٢] من فضة كانتا عليَّ ، وخواتيم من فضة كانت في كلِّ أصابع رجليَّ ؛ سروراً بما بشَّرتني به ، فلما أن كان من العشيِّ أمر النجاشيُّ جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا ، وخطب النجاشيُّ وقال : الحمد لله ، الملك القدُّوس السلام ، المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن مريم ، أمَّا بعد ، فإن رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار . ثم سكب الدنانير بين يدي القوم ، فتكلَّم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله ، أحمده وأستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون ، أمّا بعد ، فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوَّجته أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله لرسول الله ﷺ . ودفع النجاشيُّ الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال : اجلسوا ، فإن من سنة الأنبياء إذا تزوَّجوا أن يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرَّقوا .

قلت : فلعل عمرو بن العاص لما رأى عمرو بن أُمية خارجاً من عند النجاشيِّ بعد الخندق إنما كان في قضية أُمِّ حبيبة ، فالله أعلم .

لكن قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : ذكر أبو عبد الله بن منده أن تزويجه ، عليه السلام ، بأُمِّ حبيبة كان في سنة ستّ ، وأن تزويجه بأُمِّ سلمة كان في سنة أربع .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦١) .
(٢) أي : خلخالين .
(٣) في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٢) .

قلت : وكذا قال خليفة ، وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، وابن البرقيِّ : إن تزويج أُمِّ حبيبة كان في سنة ستّ . وقال بعض الناس : سنة سبع .

قال البيهقي : وذهب ابن إسحاق إلى أنه ﷺ تزوج بأُم حبيبة قبل أُمِّ سلمة .

قال البيهقيُّ : وهو أشبه .

قلت : قد تقدَّم تزويجه ، عليه السلام ، بأُمِّ سلمة في أواخر سنة أربع ، وأمَّا أُمُّ حبيبة فيحتمل أن يكون قبل ذلك ، ويحتمل أن يكون بعده ، وكونه بعد الخندق أشبه ؛ لما تقدَّم من ذكر عمرو بن العاص أنه رأى عمرو بن أُمية عند النجاشيِّ ، فهو في قضيتها ، والله أعلم .

وقد حكى الحافظ ابن الأثير في « الغابة »[١] عن قتادة ، أن أمَّ حبيبة لما هاجرت من الحبشة إلى المدينة خطبها رسول الله ﷺ وتزوَّجها . وحَكَى عن بعضهم أنه تزوَّجها بعد إسلام أبيها بعد الفتح ، واحتجَّ هذا القائل بما رواه مسلم[٢] من طريق عكرمة بن عمَّار اليماميِّ[٣] ، عن أبي زميل سماك بن الوليد ، عن ابن عباس أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطنيهن . قال : « نعم » . قال : تؤمِّرني على أن أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : « نعم » . قال : وعندي أحسن العرب وأجملهم أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوِّجكها . . . الحديث بتمامه .

قال ابن الأثير : وهذا الحديث مما أُنكر على مسلم ؛ لأن أبا سُفيان لما جاء يجدِّد العقد قبل الفتح ، دخل على ابنته أمِّ حبيبة فثنت عنه فراش النبيِّ ﷺ ، فقال : والله ما أدري أرغبتِ بي عنه ، أو به عني ؟ قالت : بل هذا فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك . فقال : والله لقد أصابك بعدي يا بنيَّة شرّ .

وقال ابن حزم : هذا الحديث وضعه عكرمة بن عمَّار . وهذا القول منه لا يتابع عليه .

وقال آخرون : أراد أن يجدِّد العقد لما فيه بغير إذنه من الغضاضة عليه .

وقال بعضهم : لأنه اعتقد انفساخ نكاح ابنته بإسلامه . وهذه كلُّها ضعيفة ، والأحسن في هذا أنه أراد أن يزوِّجه ابنته الأخرى عزَّة ، لما رأى في ذلك من الشرف له ، واستعان بأختها أُمِّ حبيبة كما في « الصحيحين »[٤] ، وإنما وهم الراوي هذا بتسميته أُمَّ حبيبة ، وقد أفردنا لذلك جزءاً مفرداً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلاَّم : توفِّيت أُمُّ حبيبة سنة أربع وأربعين[٥] .

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٧/ ١١٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٥٠١) .
(٣) في (ط) : « اليماني » وهو خطأ ، وانظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣١) .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١٠١) و(٥١٠٦) و(٥٣٧٢) ومسلم رقم (١٤٤٩) .
(٥) وهو ما جزم به ابن العماد الحنبلي في « شذرات الذهب » (١/ ٢٣٦) بتحقيقي .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : توفِّيت قبل معاوية بسنة ، وكانت وفاة معاوية في رجب سنة ستين .

* * *

تزويجه ، عليه السلام ، بزينب بنت جَحش (١)

وهي بنت أُميمة بنت عبد المطلب ، عمَّة رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه .

قال قتادة ، والواقدي ، وبعض أهل المدينة : تزوَّجها ، عليه السلام ، سنة خمس . زاد بعضهم : في ذي القعدة .

قال الحافظ البيهقيُّ : تزوَّجها بعد بني قُريظة .

وقال خليفة بن خيَّاط ، وأبو عبيدة معمر بن المثنَّى ، وابن منده : تزوَّجها سنة ثلاث . والأول أشهر ، وهو الَّذي سلكه ابن جرير وغير واحد من أهل التاريخ .

وقد ذكر غير واحد من المفسِّرين ، والفقهاء ، وأهل التاريخ في سبب تزويجه إيَّاها ، عليه السلام ، حديثاً ذكره أحمد بن حنبل في « مسنده »(٢) تركنا إيراده قصداً ؛ لئلاَّ يضعه بعض من لا يفهم على غير موضعه ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧ ـ ٣٨] .

وقد تكلَّمنا على ذلك في « التفسير »(٣) بما فيه كفاية .

فالمراد بالَّذي أنعم الله عليه ـ هاهنا ـ زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ، أنعم الله [عليه] بالإسلام ، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بالعتق ، وزوَّجه بابنة عمَّته زينب بنت جحش .

قال مُقاتل بن حيَّان : وكان صداقه لها عشرة دنانير وستين درهماً وخِمَاراً ، وملحفةً ودرعاً ، وخمسين مُدّاً من طعام ، وعشرة أمداد من تمر ، فمكثت عنده قريباً من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زوجها يشكوها إلى رسول الله ﷺ ، فجعل صلى الله عليه وسلم يقول له : « اتق الله وأمسك عليك زوجك » . قال الله : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ .

---

(١) ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٣) بتحقيقي .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٤٩) .
(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ٤١٩) .

قال علي بن الحسين زين العابدين ، والسُّدِّيُّ : كان الله قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه ، فهو الذي كان في نفسه ، عليه السلام . وقد تكلم كثير من السَّلف بآثار غريبة ، وبعضها فيه نظر ، تركناها قصداً .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ وذلك أنَّ زيداً طلَّقها ، فلما انقضت عدتها ، بعث إليها رسول الله ﷺ ، يخطبها إلى نفسها ، ثم تزوجها ، وكان الذي زوَّجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى[1] ، كما ثبت في « صحيح البخاري »[2] عن أنس بن مالك ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول : زوجكنَّ أهاليكنَّ ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات .

وفي رواية[3] من طريق عيسى بن طَهْمَان ، عن أنس قال : كانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : أنكحني الله من السماء .

وفيها أنزلت آية الحجاب : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

وروى البيهقي[4] من حديث حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : جاء زيد يشكو زينب ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « اتق الله ، وأمسك عليك زوجك » . قال أنس : فلو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، فكانت تفخر على أزواج النَّبيِّ ﷺ تقول : زوَّجكن أهاليكنَّ ، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات . ثم قال : رواه البخاري ، عن أحمد ، عن محمد بن أبي بكر المقدَّمي ، عن حمَّاد بن زيد .

ثم روى البيهقيُّ[5] من طريق عَفَّان ، عن حَمَّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : جاء زيد يشكو إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش ، فقال النبي ﷺ : « أمسك عليك أهلك » . فنزلت : ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ . ثم قال : [رواه] البخاري[6] ، عن محمد بن عبد الرحيم ، عن معلَّى بن منصور ، عن حَمَّاد مختصراً .

وقال ابن جرير : ثنا ابن حميد ، ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي ﷺ : إنِّي لأدِلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدِلُّ بهنَّ ؛ أنَّ جدِّي وجدَّك واحد ـ تعني عبد المطَّلب ، فإنه أبو أبي النبي ﷺ وأبو أُمِّها أُميمة بنت عبد المطلب ـ وأني أنكحنيك الله ، عزَّ وجلَّ ، من السماء ، وأن السفير جبريل ، عليه السلام .

---

(١) قلت : واعتبر الإمام ابن القيم ذلك من خواصّها . انظر « زاد المعاد » (١/ ١٠٥) .
(٢) رواه البخاري رقم (٧٤٢٠) .
(٣) وهي عند البخاري رقم (٧٤٢١) وعند النسائي في « السنن الكبرى » (١١٤١١) باللفظ الذي ساقه المؤلف رحمه الله .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٣/ ٤٦٦) .
(٦) وهو في « صحيحه » رقم (٤٧٨٧) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا هاشم ـ يعني ابن القاسم أبا النَّضر ـ ثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : لما انقضت عدَّة زينب ، قال النبيُّ ﷺ لزيد : « اذهب فاذكرها عليَّ » . فانطلق حتى أتاها وهي تخمِّر عجينها . قال : فلمَّا رأيتها ، عَظمت في صدري ، حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أنَّ رسول الله ﷺ ذكرها ، فولَّيتها ظهري ، ونكصت على عقبيَّ وقلت : يا زينب ، أبشري ، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربِّي ، عزَّ وجلَّ . فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن . قال أنس : ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ ، أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطَّعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتَّبعتُه ، فجعل يتَّبع حُجَر نسائه يسلِّم عليهنَّ ، ويقلن : يا رسول الله ﷺ ، كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أنَّ القوم[٢] قد خرجوا ، أو أُخبر . قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى السِّتر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعِظ القوم بما وعِظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية .

وكذا رواه مسلم والنسائي[٣] من طرق ، عن سليمان بن المغيرة .

***

ذكر
نزول الحِجَاب صَبيحة عُرْسِهَا[٤] الذي ولي الله عقد نكاحه

فناسب نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأَخواتها من أُمَّهَات المؤمنين ، وذلك وفق الرأي العُمَريِّ .

قال البخاريُّ[٥] : ثنا محمد بن عبد الله الرَّقاشيُّ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي ، ثنا أبو مجلز ، عن أنس بن مالك قال : لما تزوَّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطَعِمُوا ثم جلسوا يتحدَّثون ، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا ، فلمَّا رأى ذلك قام ، فلمّا قام ، قام من قام ، وقعد ثلاثة نفرٍ ، وجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٩٥) .
(٢) في (ط) : « والقوم » .
(٣) رواه مسلم رقم (١٤٢٨) والنسائي رقم (٣٢٥١) .
(٤) يعني زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها ، وقوله : « الذي ولي الله عقد نكاحه » لم يرد في (ط) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٧٩١) .

انطلقوا ، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

وقد رواه البخاري في مواضع أُخر ومسلم والنسائي[١] ، من طرق عن معتمر .

ثم رواه البخاريُّ[٢] منفرداً به من حديث أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس ، بنحوه .

وقال البخاري[٣] : ثنا أبو معمر ، ثنا عبد الوارث ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : بُنِيَ على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فَأُرْسِلْتُ على الطعام داعياً ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه ، فقلت : يا نبيَّ الله ، ما أجد أحداً أدعوه . قال : « فارفعوا طعامكم » . وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ ، فانطلق إلى حجرة عائشة فقال : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته » . قالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ؟ فتقرّى[٤] حُجَر نسائه كلِّهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقُلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة ، فما أدري آخْبَرْتُهُ ، أم أُخبر أن القوم خرجوا ؟ فخرج حتى إذا وضع رجله في أُسكفَّة الباب[٥] داخلة[٦] وأخرى خارجة ، أرخى السِّتر بيني وبينه ، وأُنزلت آية الحجاب . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

ثم رواه[٧] منفرداً به أيضاً ، عن إسحاق ـ هو ابن منصور ـ عن عبد الله بن بكر السَّهميِّ ، عن حميد ، عن أنس ، بنحو ذلك ، وقال : رجلان ، بدل : ثلاثة ، فالله أعلم .

قال البخاريُّ[٨] : وقال إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الجَعْد أبي عثمان ، عن أنسٍ ، فذكر نحوه .

وقد قال ابن أبي حاتم[٩] : ثنا أبي ، ثنا أبو المظفَّر ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان اليشكريِّ ، عن أنس بن مالك ، قال : أَعْرَس رسول الله ﷺ ببعض نسائه ، فصنعت أُمُّ سُلَيم حَيْساً ثم

---

(١) هو عند البخاري رقم (٦٢٣٩) و(٦٢٧١) وعند مسلم رقم (١٤٢٨) (٩٢) وعند النسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٢٠) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٤٧٩٢) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٩٣) .

(٤) أي : تتبع .

(٥) أي : عتبته . انظر « مختار الصحاح » (سكف) .

(٦) لفظ « داخلة » سقط من (ط) .

(٧) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٤٧٩٤) .

(٨) في « صحيحه » رقم (٥١٦٣) تعليقاً .

(٩) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٤٤٢) .

وضعته في تَوْر[١] ، فقالت : اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، وأخبره أنَّ هذا مِنَّا له قليل . قال أنس : والناس يومئذ في جهد ، فجئت به فقلت : يا رسول الله بعثتْ بهذا أمُّ سُلَيم إليك ، وهي تقرئك السلام وتقول : أخبره أن هذا منّا له قليل . فنظر إليه ثم قال : « ضعه » . فوضعتُه في ناحية البيت ، ثم قال : « اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً » فسمَّى رجالاً كثيراً . قال : « ومن لقيتَ من المسلمين » . فدعوت من قال لي ، ومن لقيت من المسلمين ، فجئت والبيت والصُّفة والحُجْرَة ملأى من الناس ، فقلت : يا أبا عثمان ، كم كانوا ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمئة . قال أنس : فقال لي رسول الله ﷺ : « جئ به » . فجئت به إليه ، فوضع يده عليه ودعا ، وقال : « ما شاء الله » . ثم قال : « ليتحلَّق عشرة عشرة ، ويُسَمُّوا ، وليأكل كلُّ إنسان مما يليه » . فجعلوا يسمُّون ويأكلون حتى أكلوا كلُّهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ارفعه » . قال : فجئت فأخذت التَّوْر فنظرت ، فما أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته . قال : وتخلَّف رجال يتحدَّثون في بيت رسول الله ﷺ ، وزوج رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولِّية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا الحديث ، فشقُّوا على رسول الله ﷺ ، وكان أشدَّ الناس حياءً ، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً ، فقام رسول الله ﷺ ، فخرج فسلَّم على حجره وعلى نسائه ، فلمَّا رأوه قد جاء ظنُّوا أنهم قد ثقَّلوا عليه ، ابتدروا الباب فخرجوا ، وجاء رسول الله ﷺ ، حتى أرخى السِّتر ، ودخل البيت وأنا في الحجرة ، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً ، وأنزل الله عليه القرآن ، فخرج وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا [فَسْـَٔلُوهُنَّ] مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣ ـ ٥٤] . قال أنس : فقرأهن عليَّ قبل الناس ، وأنا أَحْدَثُ الناس بهن عهداً .

وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي[٢] جميعاً ، عن قتيبة ، عن جعفر بن سليمان ، عن الجعد أبي عثمان به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم أيضاً[٣] ، عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن الجعد أبي عثمان ، به .

وقد روى هذا الحديث البخاريُّ والترمذيُّ والنسائيُّ[٤] ، من طرق ، عن بيان أبي بشر الأحمسيِّ الكوفيِّ ، عن أنس ، بنحوه .

---

(١) أي : في إناء . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١/ ١٩٩) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٤٢٨) (٩٤) والترمذي رقم (٣٢١٨) والنسائي رقم (٣٣٨٧) .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٤٢٨) (٩٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١٧٠) والترمذي رقم (٣٢١٩) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٤١٧) .

ورواه ابن أبي حاتم[١] من حديث أبي نَضْرَةَ العَبْدي ، عن أنس ، بنحوه ، ولم يخرجوه .

ورواه ابن جرير[٢] ، من حديث عمرو بن سعيد ، ومن حديث الزهري ، عن أنس ، بنحو ذلك .

قلت : كانت زينب بنت جحش ، رضي الله عنها ، من المهاجرات الأُوَل ، وكانت كثيرة الخير والصَّدقة ، وكان اسمها أولاً بَـرَّة فسمَّاها النبيُّ ﷺ زينب ، وكانت تُكنَّى بأُمِّ الحكم ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : ما رأيت امرأة قطُّ خيراً في الدِّين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرَّحم ، وأعظم أمانة وصدقة .

وثبت في « الصحيحين »[٣] كما سيأتي في حديث الإفك ، عن عائشة أنها قالت : وسأل رسول الله ﷺ عنِّي زينب بنت جحش ، وهي التي كانت تُسَاميني من نساء النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، ما علمت إلاَّ خيراً .

وقال مسلم بن الحجاج في « صحيحه »[٤] : ثنا محمود بن غيلان ، ثنا الفضل بن موسى السِّينانيُّ ، ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، [عن عائشة بنت طلحة] ، عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت : قال رسول الله ﷺ : « أسرعكنَّ لُحوقاً بي أطولكن يداً » . قال : فكنّا نتطاول أيَّنا أطول يداً . قالت : فكانت زينب أطولنا يداً ؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدَّق . انفرد به مسلم .

قال الواقديُّ وغيره من أهل السِّير والمغازي والتَّواريخ[٥] : توفِّيت سنة عشرين من الهجرة ، وصلَّى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، ودفنت بالبقيع ، وهي أول امرأة صُنِعَ لها النَّعش .

* * *

---

(١) وذكره المؤلف في « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٤٤٣) .
(٢) انظر « تفسير الطبري » (٢٢/ ٣٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٧٥٠) ومسلم رقم (٢٧٧٠) .
(٤) رقم (٢٤٥٢) .
(٥) انظر « الطبقات الكبرى » لابن سعد (٨/ ١١٥) ، و« تاريخ الطبري » (٤/ ١١٣) ، و« شذرات الذهب » (١/ ١٧١) بتحقيقي .

سنة ست من الهجرة النبوية

قال البيهقي[١] : يقال : في المحرم منها كانت سرية محمد بن مسلمة قِبَلَ نجد ، وأسروا فيها ثُمامة بن أُثال اليمامي .

قلت : لكن في سياق ابن إسحاق ، عن سعيد المقبريِّ ، عن أبي هريرة ، أنه شهد ذلك ، وهو إنما هاجر بعد خيبر ، فتؤخَّر إلى ما بعدها ، والله أعلم .

وهي السنة التي كان في أوائلها غزوة بني لِحْيَان ، على الصحيح .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان فتح بني قُريظة في ذي القعدة وصدر من ذي الحجَّة ، وولي تلك الحجَّة المشركون . يعني في سنة خمس كما تقدَّم . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجَّة والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع ، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرَّجيع ، خُبيب وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غِرَّةً .

قال ابن هشام[٣] : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم ، والمقصود أنه ، عليه السلام ، لما انتهى إلى منازلهم هربوا من بين يديه ، فتحصَّنوا في رؤوس الجبال فمال إلى عُسْفَان فلقي بها جمعاً من المشركين ، وصلَّى بها صلاة الخوف .

وقد تقدَّم ذِكر هذه الغزوة في سنة أربع ، وهنالك ذكرها البيهقيُّ ، والأشبه ما ذكره ابن إسحاق أنها كانت بعد الخندق ، فإنّ صلاة الخوف على المشهور إنما فُعلت بعد يوم الخندق .

وقد ثبت أنه صلَّى بعُسْفَان يوم بني لحيان ، فلتكتب هاهنا ، وتحوَّل من هناك اتِّباعاً لإمام أصحاب المغازي في زمانه وبعده ، كما قال الشافعيُّ رحمه الله : من أراد المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق .

وقد قال كعب بن مالك[٤] في غزوة بني لحيان : [من الطويل]

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٧٨) .
(٢) انظر (٢/ ٢٧٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(١٩٤) .

لَوَ أنَّ بني لحيان كانوا تناظروا ... لقُوا عُصَباً في دارهم ذات مَصْدَقِ
لقُوا سَرَعاناً يملأ السَّرب رَوعه ... أمام طَحونٍ كالمجرَّة فيلقِ
ولكنَّهم كانوا وِباراً تتبَّعت ... شِعابَ حجارٍ غير ذي متنفَّقِ

* * *

غَزْوَة ذي قرد

قال ابن إسحاق[١] : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلّا ليالي قلائل ، حتى أغار عُيينة بن حصن [بن حذيفة] بن بدر الفَزَاريُّ ، في خيل من غطفان على لقاح النبيِّ ﷺ بالغابة ، وفيها رجلٌ من بني غِفَار ومعه امرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللِّقاح .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومن لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ـ كلٌّ قد حدَّث في غزوة ذي قَرَدٍ بعض الحديث ـ أنه كان أول من نذِر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلميُّ ، غدا يريد الغابة متوشِّحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عُبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّةَ الوَدَاع[٣] نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سَلْع[٤] ، ثم صرخ : واصباحاه . ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السَّبُع ، حتى لحق بالقوم ، فجعل يردّهم بالنَّبل ويقول إذا رمى : [من مجزوء الرجز]

خُذْهَا [و] أنا ابنُ الأَكوعْ ... اليومُ يوم الرُّضَّعْ

فإذا وجِّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمي رمى ، ثم قال :

خُذْهَا [و] أنا ابن الأَكوعْ ... اليومُ يوم الرُّضَّعْ

قال : فيقول قائلهم أُوَيْكِعُنا[٥] هو أول النهار . قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : « الفَزَعَ الفَزَعَ » . فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ ، فكان أول من انتهى إليه من الفُرسان المقداد بن الأسود ، ثم عبَّاد بن بشر ، وسعد بن زيد ، وأُسيد بن ظهير ـ يشكُّ فيه ـ وعُكَّاشة بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) .
(٣) قال الفيروزابادي : وهي ثنية مشرفة على المدينة ، يطأها من يريد مكة ، وقيل : من يريد الشام . « المغانم المطابة » ص(٨٠) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله تعالى وأحسن إليه .
(٤) قال الفيروزابادي : سلع : جُبيل بسوق المدينة . وقال الأزهري : موضع بقرب المدينة . « المغانم المطابة » ص(١٨٣) .
(٥) أي : يخوفنا ، أو يصرفنا عن غايتنا .

محصن ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أَسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعيٍّ ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش عُبيد بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق . قال : فلمَّا اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ ، أَمَّر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس » . وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي عيَّاش فيما بلغني عن رجال من بني زريق : « يا أبا عيَّاش ، لو أَعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم . قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس . ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فعجبت من ذلك ، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عيَّاش معاذ بن ماعص ، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدَة ، وكان ثامناً . قال : وبعض الناس يعدُّ سَلَمَةَ بن الأكوع ثامناً ، ويطرح أُسيد بن ظهير ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان . قال : ولم يكن سلمة بن الأكوع يومئذ فارساً ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . قال : فخرج الفرسان حتى تلاحقوا ، فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، وكان يقال له : الأخرم . ويقال له : قُمير . وكانت [الفرس] التي تحته لمحمود بن مسلمة ـ وكان يقال للفرس : ذو اللِّمَّة . فلما انتهى إلى العدوِّ قال لهم : قفوا معشر بني اللَّكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : فحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يُقدر عليه حتى وقف على أَرِيَّة من بني عبد الأشهل ، أي : رجع إلى مربطه الذي كان فيه بالمدينة .

قال ابن إسحاق[1] : ولم يقتل يومئذ من المسلمين غيره .

قال ابن هشام[2] : وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه قد قتل معه أيضاً وقَّاص بن مجزِّز المدلجيُّ .

قال ابن إسحاق[3] : وحدَّثني بعض من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن محرزاً كان على فرس لعُكَّاشة بن محصن يقال لها : الجَنَاح ، فقتل محرز واستلبت الجَنَاح ، فالله أعلم .

قال[4] : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حَبيب بن عُيينة وغشَّاه برده ، ثم لحق بالناس ، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين ـ قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم ـ فإذا حبيبٌ مسجّى ببُرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قتل أبو قتادة . فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة ، ووضع عليه برده لتعرفوا أنه صاحبه » . قال : وأدرك عُكَّاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرُّمح فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللِّقاح . قال : وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرَّحتني في مئة رجل لاستنقذت بقية السَّرح وأخذت بأعناق

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٣) وقد نقل المؤلف عنها بتصرف .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٤) .
(٤) القائل (ابن إسحاق) . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) .

القوم . فقال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ : « إنهم الآن ليُغبَقون في غطفان » . فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع قافلاً حتى قدم المدينة .

قال : وأقبلت امرأة الغفاريِّ على ناقة من إبل النبيِّ ﷺ ، حتى قدمت عليه المدينة فأخبرته الخبر ، فلمَّا فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجَّاني الله عليها . قال : فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال : « بئس ما جزيتِها أن حملك الله عليها ونجَّاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله » .

قال ابن إسحاق[١] : والحديث في ذلك عن أبي الزُّبير المكِّيِّ ، عن الحسن البصريِّ . هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة بما ذكره من الإسناد والسِّياق .

وقد قال البخاريُّ[٢] : رحمه الله ، بعد قصة الحُديبية وقبل خيبر : غزوة ذي قَرَد ، وهي الغزوة التي أغاروا على لِقَاح النبيِّ ﷺ قبل خيبر بثلاث ، ثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذَّن بالأولى ، وكانت لقاح النبيِّ ﷺ ترعى بذي قرد ، قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف ، فقال : أُخذت لقاح النبيِّ ﷺ . فقلت : من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه . قال : فأسمعت ما بين لابتي المدينة ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً ، وأقول : أنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع . وأرتجز حتى استنقذت اللِّقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة . قال : وجاء النبيُّ ﷺ والناس فقلت : يا رسول الله ، قد حميت القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال : « يابن الأكوع ملكت فَأَسْجِحْ[٣] » . ثم رجعنا ، ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم[٤] ، عن قتيبة ، به ، ورواه البخاريُّ[٥] ، عن أبي عاصم النَّبيل ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن مولاه سلمة ، بنحوه .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا هاشم بن القاسم ، ثنا عكرمة بن عمَّار ، حدَّثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : قدمنا المدينة زمن الحُديبية مع رسول الله ﷺ ، فخرجت أنا ورباح غلام النبيِّ ﷺ بظهر رسول الله ﷺ ، وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله ، كنت أريد أن أندِّيَه مع الإبل ، فلمَّا كان بغَلَسٍ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤١٩٤) .
(٣) أي : اعف .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٨٠٦) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٣٠٤١) من طريق مكي بن إبراهيم بن بشير التميمي البلخي أبو السكن .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٥٢) وهو حديث صحيح . وانظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

أغار عبد الرحمن بن عُيينة على إبل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيها وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل ، فقلت : يا رباح ، اقعد على هذا الفرس فألحقه بطلحة ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير على سرحه . قال : وقمت على تلّ فجعلت وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صباحاه . قال : ثم اتَّبعت القوم ، معي سيفي ونبلي ، فجعلت أرميهم وأعقر بهم ، وذلك حين يكثر الشَّجر . فإذا رجع إليَّ فارس جلست له في أصل شجرة ، ثم رميت ، فلا يُقبل عليَّ فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم ، وأنا أقول : أنا ابن الأكوع ، واليوم يوم الرُّضَّع . قال : فألحق برجل منهم فأرميه ، وهو على راحلته فيقع سهمي في الرَّجل حتى انتظم كتفه ، فقلت :

خُـذْهَـا وأنـا ابـن الأكـوعِ اليـوم يـوم الـرُّضَّـعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنَّبل ، فإذا تضايقت الثَّنايا علوت الجبل فردَيتهم بالحجارة ، فما زال ذاك شأني وشأنهم أتبعهم وأرتجز ، حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر رسول الله ﷺ إلاَّ خلَّفته وراء ظهري ، فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة يستخفُّون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعت على طريق رسول الله ﷺ ، حتى إذا امتدَّ الضُّحى أتاهم عيينة بن بدر الفزاريُّ مدداً لهم ، وهم [في] ثنيَّة ضيِّقة ، ثم علوت الجبل ، فأنا فوقهم ، فقال عيينة : ما هذا الذي أرى ؟ قالوا : لقِينا [من هذا] البرح ، ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كلَّ شيء في أيدينا وجعله وراء ظهره . فقال عُيينة : لولا أنَّ هذا يرى أنَّ وراءه طلباً لقد ترككم ، ليقم إليه نفر منكم . فقام إليه نفر منهم أربعة ، فصعِدوا في الجبل ، فلمَّا أسمعتُهم الصوت قلت : أتعرفونني ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذي كرَّم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني . فقال رجل منهم : إنْ أَظُن . قال : فما برحتُ مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ ، يتخَلَّلون الشجر ، وإذا أولهم الأخرم الأسديُّ ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول [الله ﷺ] وعلى أثر أبي قتادة المقداد بن الأسود الكنديُّ ، فولَّى المشركون مدبرين ، وأنزل من الجبل فآخذ عنان فرسه ، فقلت : يا أخرم ، انذر القوم ـ يعني احذرهم ـ فإني لا آمن أن يقتطعوك ، فاتَّئد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم أنَّ الجنة حقّ والنار حقّ ، فلا تحل بيني وبين الشهادة .

قال : فخلَّيت عَنَانَ فرسه ، فيلحق بعبد الرحمن بن عُيينة ، ويعطف عليه عبد الرحمن ، فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرم بعبد الرحمن ، وطعنه عبد الرحمن فقتله ، فتحوَّل عبد الرحمن على فرس الأخرم ، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة ، وقتله أبو قتادة ، وتحوَّل أبو قتادة على فرس الأخرم ، ثم إني خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبيِّ ﷺ شيئاً ، ويعرضون قبل غيبوبة الشَّمس إلى شِعْبٍ فيه ماءٌ يقال له : ذو قرد . فأرادوا أن يشربوا منه ، فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه ، واشتدوا في الثنيَّة ثنيَّةِ ذي بئر ، وغربت الشمس ، وألحق رجلاً فأرميه فقلت :

خـذهـا وأنـا ابـن الأكـوع　　اليــوم يــوم الــرُّضَّــعِ

قال : فقال : يا ثُكل أمِّ أكوع بُكرةَ . فقلت : نعم ، أي عدوَّ نفسه . وكان الذي رميته بكرة ، وأتبعته سهماً آخر فعلق به سهمان ، ويخلفون فرسين فجئت [بهما] أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ، ذو قرد ، وإذا بنبيِّ الله ﷺ في خمسمئة ، وإذا بلال قد نحر جزوراً مما خَلَفْتُ ، فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، خلِّني فأنتخب من أصحابك مائة ، فآخذ على الكُفَّار بالعشوة ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته . فقال : « أكنتَ فاعلاً ذلك يا سلمة ؟ » قال : قلت : نعم والذي أكرمك . فضحك رسول الله ﷺ ، حتى رأيت نواجذه في ضوء النار ، ثم قال : « إنهم يُقْرَون الآن بأرض غطفان » . فجاء رجل من غطفان فقال : مَرُّوا على فلان الغطفانيِّ ، فنحر لهم جزوراً ، فلمَّا أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة ، فتركوها وخرجوا هراباً ، فلمَّا أصبحنا قال رسول الله ﷺ : « خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجَّالتنا سلمة » . فأعطاني رسول الله ﷺ سهم الفارس والراجل جميعاً ، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة ، فلمَّا كان بيننا وبينها قريب من ضحوة ، وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق ، جعل ينادي : هل من مسابق ؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مراراً ، وأنا وراء رسول الله ﷺ مردفي ، فقلت له : أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال : لا ، إلا رسول الله ﷺ . قال : قلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، خلِّني فلأسابق الرجل . قال : « إن شئت » . قلت : اذهب إليك . فطفر عن راحلته وثنيت رجليَّ فطفرت عن الناقة ، ثم إني ربطت عليه شرفاً أو شرفين ، يعني استبقيت من نفسي ، ثم إني عدوت حتى ألحقه ، فأَصُكُّ بين كتفيه بيدي ، قلت : سبقتك والله . أو كلمة نحوها . قال : فضحك وقال : إن أظنُّ . حتى قدمنا المدينة .

وهكذا رواه مسلم[١] ، من طرق ، عن عكرمة بن عمَّار ، بنحوه ، وعنده : سبقتُه إلى المدينة ، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر . ولأحمد هذا السياق .

ذكر البخاريُّ والبيهقيُّ هذه الغزوة بعد الحديبية وقبل خيبر ، وهو أشبه مما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم ، فينبغي تأخيرها إلى أوائل سنة سبع من الهجرة ، فإنَّ خيبر كانت في صفر منها .

وأما قصة المرأة التي نجت على ناقة النبيِّ ﷺ ونذرت نحرها لنجاتها عليها ، فقد أوردها ابن إسحاق[٢] بروايته ، عن أبي الزبير ، عن الحسن البصريِّ مرسلاً ، وقد جاء متَّصلاً من وجوه أخر .

قال الإمام أحمد[٣] : ثنا عفَّان ، ثنا حمَّاد بن زيد ، ثنا أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أبي المُهَلَّب ،

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٨٠٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٣٠) .

عن عِمْرَان بن حُصين قال : كانت العضباء لرجل من بني عقيل ، وكانت من سوابق الحاجِّ ، [فأسر الرجل][(١)] ، فأخذت العضباء معه . قال : فمرَّ به رسول الله ﷺ وهو في وثاق ، ورسول الله ﷺ على حمار عليه قطيفة فقال : يا محمد ، علام تأخذوني وتأخذون سابقة الحاجّ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نأخذك بجريرة حلفائك ثقيف » . قال : وكانت ثقيف قد أسروا رجلين من أصحاب النبيِّ ﷺ . وقال فيما قال : وإني مسلم . فقال رسول الله ﷺ : « لو قلتها وأنت تملك أمرك ، أفلحت كلَّ الفلاح » . قال : ومضى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إني جائع فأطعمني ، وإني ظمآن فاسقني . فقال رسول الله ﷺ : « هذه حاجتك » . ثم فدي بالرجلين ، وحبس رسول الله ﷺ العضباء لرحله . قال : ثم إن المشركين أغاروا على سرح المدينة ، فذهبوا [به] ، وكانت العضباء فيه ، قال : وأسروا امرأة من المسلمين . قال : وكانوا إذا نزلوا أراحوا إبلهم بأفنيتهم . قال : فقامت المرأة ذات ليلة بعد ما نوَّموا ، فجعلت كلما أتت على بعير رغا حتى أتت على العضباء ، فأتت على ناقة ذلول مجرَّسة[(٢)] فركبتها ، ثم وجَّهتها قبل المدينة . قال : ونذرت إنِ اللهُ أنجاها عليها لتنحرنَّها ، فلمَّا قدمت المدينة عرفت الناقة ، فقيل : ناقة رسول الله ﷺ . قال : وأُخبر رسول الله ﷺ بنذرها ، أو أتته فأخبرته ، فقال : « بئس ما جزيتها » أو : « بئس ما جزتها أن أنجاها الله عليها لتنحرنَّها » . قال : ثم قال رسول الله ﷺ : « لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » .

ورواه مسلم[(٣)] ، عن أبي الرَّبيع الزَّهرانيِّ ، عن حمَّاد بن زيد ، به .

قال ابن إسحاق[(٤)] : وكان مما قيل من الأشعار في غزوة ذي قَرَد قول حسان بن ثابت ، رضي الله عنه[(٥)] : [من الكامل]

لولا الذي لاقت ومسَّ نُسورها ... بجنوب سايةَ أمس في التَّقوادِ
للقينكم يحملن كلَّ مدجَّج ... حامي الحقيقة ماجدِ الأجدادِ
ولسرَّ أولاد اللَّقيطة أننا ... سِلْم غداة فوارس المقدادِ
كنّا ثمانية وكانوا جحفلاً ... لجِباً فشُكُّوا بالرِّماح بدادِ
كنا من القوم الذين يلونهم ... ويقدِّمون عنان كلِّ جوادِ
كلاَّ وربِّ الراقصات إلى منى ... يقطعن عرض مخارم الأطوادِ
حتى نبيل الخيل في عرصاتكم ... ونؤوب بالملَكات والأولادِ
رهواً بكلِّ مقلَّص وطِمرَّة ... في كلِّ معترك عطفن وواد

---

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) و(ط) واستدركته من « مسند الإمام أحمد » .
(٢) أي : مدربة في الركوب .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٦٤١) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٥) .
(٥) الأبيات في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ٢٧٦) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

أفنى دوابرها ولاح متونها ... يومٌ تقاد به ويوم طرادِ
فكذاك إنَّ جيادنا ملبونةٌ ... والحرب مشعلة بريح غوادِ
وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي ... جنن الحديد وهامة المرتادِ
أخذ الإله عليهم لحرامه ... ولعزَّة الرحمن بالأسدادِ
كانوا بدار ناعمين فبدِّلوا ... أيام ذي قَرَد وجوه عنادِ

قال ابن إسحاق[١] : فغضب سعد بن زيد أمير سرية الفوارس المتقدمين أمام رسول الله ﷺ على حسان ، وحلف لا يكلِّمه أبداً ، وقال : انْطَلَقَ إلى خيلي وفوارسي فجعَلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان بأنه وافق الرَّويّ اسم المقداد ، ثم قال أبياتاً يمدح بها سعد بن زيد[٢] : [من الرجز]

إذا أردتم الأشدَّ الجلدا ... أو ذا غناءٍ فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهدُّ هدّاً

قال : فلم تقع منه بموقع .

وقال حسان بن ثابت[٣] في يوم ذي قرد : [من المتقارب]

أظنَّ عُيينةُ إذ زارها ... بأن سوف يهدم فيها قُصُورا
فأُكذبتَ ما كنت صدَّقته ... وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعفت المدينة إذ زرتها ... وآنست للأُسد فيها زئيرا
وولَّوا سراعاً كشدِّ النَّعام ... ولم يكشفوا عن ملطٍّ حصيرا
أمير علينا رسول المليـ ... ـك أحبب بذاك إلينا أميرا
رسول نصدِّق ما جاءه ... ويتلو كتاباً مضيئاً منيرا

وقال كعب بن مالك[٤] في يوم ذي قرد ، يمدح الفرسان يومئذ من المسلمين : [من الطويل]

أيحسب أولاد اللَّقيطة أننا ... على الخيل لسنا مثلهم في الفوارسِ
وإنا أُناس لا نرى القتل سُبَّة ... ولا ننثني عند الرِّماح المداعسِ
وإنا لنقري الضَّيف من قمع الذُّرى ... ونضرب رأس الأبلخ[٥] المتشاوسِ
نردُّ كُماة المعلَمين إنا انتخوا ... بضرب يسلِّي نخوة المتقاعسِ
بكلِّ فتى حامي الحقيقة ماجد ... كريم كسِرحان العِضَاهِ مخالسِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٧) .
(٢) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٦٩) مع بعض الخلاف .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(١٧٦ ـ ١٧٧) مع بعض الخلاف اليسير .
(٥) أي : المتكبر .

يـذودون عـن أحسـابهـم وتِـلادهـم ببيـض تقـدُّ الهـام تحـت القـوانـسِ
فسـائـل بنـي بـدر إذا مـا لقيتهـم بمـا فعـل الإخـوان يـوم التَّمـارسِ
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتمُ ولا تكتموا أخباركم في المجالسِ
وقـولـوا زللنـا عـن مخـالـب خـادر به وحَر في الصدر ما لم يمارسِ

* * *

غَزْوَةُ بني المُصْطَلِقْ من خُزَاعَة

قال البخاريُّ : وهي غزوة المُرَيْسِيع[١] .

قال محمد بن إسحاق[٢] : وذلك في سنة ستّ . وقال موسى بن عقبة : سنة أربع . وقال النُّعمان بن راشد ، عن الزُّهريِّ : كان حديث الإفك في غزوة المريسيع . هكذا حكاه البخاريُّ ، عن مغازي موسى بن عقبة ؛ أنَّها كانت في سنة أربع[٣] .

والذي حكاه البيهقيُّ[٤] عنه وعن عروة ؛ أنَّها كانت في شعبان ، سنة خمس .

وقال الواقديُّ[٥] : كانت لليلتين من شعبان ، سنة خمس ، في سبعمئة من أصحابه .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار[٦] ، بعدما أورد قصة ذي قَرَد : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ، ورجباً ، ثم غزا بني المُصْطَلِقْ من خُزَاعَة في شعبان ، سنة ستّ .

قال ابن هشام[٧] : واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفاريَّ ، ويقال : نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيُّ .

قال ابن إسحاق[٨] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قَتَادَة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبَّان ، كُلّ قد حدَّثني بعض حديث بني المُصْطَلِقْ ، قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أنَّ بني المُصْطَلِقْ يجمعون

---

(١) المُرَيْسِيع : اسم ماءٍ من ناحية قُديد إلى الساحل . قاله الفيروزابادي في « المغانم المطابة » ص(٣٨٠) . وانظر خبر هذه الغزوة في « الروض الأنف » (٦/ ٣٩٩) ، و« زاد المعاد » (٣/ ٢٢٩) ، و« عيون الأثر » (٢/ ١٣٤) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٧٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .
(٣) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٧/ ٤٣٠) : « كذا ذكره البخاري ، وكأنه سبق قلم ، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٥) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٤٠٤) ولم يرد فيه ذكر لقوله : « في سبعمئة » .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٨٩) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٠) .

له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرَار ، أبو جُويرية بنت الحارث التي تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد هذا ، فلمَّا سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماءٍ من مياههم يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُديد إلى الساحل ، فتزاحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفَّل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقال الواقديُّ(١) : خرج رسول الله ﷺ لليلتين خلتا من شعبان ، سنة خمس من الهجرة ، في سبعمئة من أصحابه إلى بني المصطلق ، وكانوا حلفاء بني مدلج ، فلمَّا انتهى إليهم ، دفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصِّدِّيق ، ويقال : إلى عمّار بن ياسر . وراية الأنصار إلى سعد بن عُبَادة ، ثم أمر عمر بن الخطَّاب ، فنادى في الناس ، أن قولوا : لا إله إلا الله ، تمنعوا بها أنفسكم ، وأموالكم . فأبوا ، فتراموا بالنَّبل ، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين ، فحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت منهم رجل واحد ، وقتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، ولم يقتل من المسلمين إلاَّ رجل واحد .

وثبت في « الصحيحين »(٢) من حديث عبد الله بن عون ، قال : كتبت إلى نافع أسأله عن الدُّعاء قبل القتال ، فقال : قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارُّون ، وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سبيهم ، فأصاب يومئذ ـ أحسبه قال : ـ جُويرية بنت الحارث(٣) . وأخبرني عبد الله بن عمر بذلك ، وكان في ذلك الجيش .

قال ابن إسحاق : وقد أُصيب رجل من المسلمين ، يقال له : هشام بن صُبابة . أصابه رجل من الأنصار ، وهو يرى أنه من العدوِّ ، فقتله خطأً .

وذكر ابن إسحاق(٤) أنَّ أخاه مِقْيَس بن صُبابة قدم من مكة مظهراً للإسلام ، فطلب دية أخيه هشام من رسول الله ﷺ ؛ لأنَّه قتل خطأً ، فأعطاه ديته ، ثم مكث يسيراً ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع مرتدّاً إلى مكة ، وقال في ذلك : [من الطويل]

شَفَى النفس أن قد بات بالقاع مُسْنَداً ... يُضـرِّج(٥) ثَـوبيـه دمـاءُ الأخـادعِ

---

(١) انظر « المغازي » (١/ ٤٤٠) .

(٢) رواه البخاري رقم (٢٥٤١) ومسلم رقم (١٧٣٠) .

(٣) هي أم المؤمنين جُويرية بنت الحارث المصطلقية ، سباها النبي ﷺ في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق ، في سنة خمس ، وقيل سنة ست ، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي ، وقيل : صفوان بن مالك ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس ، فكاتبها ، فقضى عنها النبي ﷺ كتابها ثم أعتقها وتزوجها ، وكان اسمها برَّة ، فغيَّره النبي ﷺ وسماها جويريَة ، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين ، ولها خمس وستون سنة ، رضي الله عنها وأرضاها . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٥٦) بتحقيقي .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٣) .

(٥) أي : يلطِّخ . انظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٣/ ٤١) .

وكانت همومُ النفس من قبل قتله تُلِـمُّ فتحميني وطـاء المضـاجـعِ
حللت بـه وِتْـرِي وأدركـت ثُـؤرتـي وكنـت إلـى الأوثـان أوّل راجـع
ثـأرت بـه فِهـراً وحمّلـت عقلـه سَـراة بنـي النّجّـار أربـابَ فَـارِعِ[1]

قلت : ولهذا كان مِقْيَسُ هذا من الأربعة الذين أهدر رسول الله ﷺ يوم الفتح دماءهم ، وإن وجدوا مُعلّقين بأستار الكعبة .

قال ابن إسحاق[2] : فبينا الناس[3] على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطّاب أجير له من بني غِفَار ، يقال له : جهجاه بن مسعود ، يقود فرسه ، فازدحم جهجاه ، وسنان بن وبر الجهنيُّ ، حليف بني عوف بن الخزرج ، على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنيُّ : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبيٍّ بن سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ؛ غلامٌ حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟ قد نَافرونا ، وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعُدُّنا وجلابيب قريش[4] هذه ، إلاّ كما قال الأول : سَمِّنْ كلبك يأكلك[5] ، أما والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ؛ أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله ، لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم ؛ لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب فقال : مر به عبّاد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : « فكيف يا عمر ، إذا تحدَّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ، ولكن أذِّن بالرحيل » . وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلّمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل . حَدَباً[6] على ابن أُبيٍّ ودفعاً عنه . فلمّا استقلَّ رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن حضير ، فحيّاه بتحية النبوة وسلَّم عليه ، وقال : يا رسول الله ، والله

---

(١) وقال السهيلي في « الروض الأنف » نقلاً عن ابن إسحاق : « وقال مِقَيس بن صُبابة أيضاً : [من البسيط]
جلّلتـه ضـربـة بـاءت لهـا وشـلٌ من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلـت والمـوت تغشـاه أسِـرّتـه لا تـأمنـن بنـي بكـر إذا ظُلمـوا »
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٠) .
(٣) كذا في (آ) و(ط) : « فبينا الناس . . . » وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « فبينا رسول الله ﷺ » .
(٤) وهو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين ، لقّبهم بذلك المشركون . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٠) .
(٥) وعند بعضهم : « أسمن كلبك يأكلك » وهو مثل مشهور من أمثال العرب . انظر مصادره في « معجم الأمثال العربية » لصديقي الفاضل الأستاذ رياض عبد الحميد مراد (٤/ ٥٣) .
(٦) أي : تحنناً . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٠) .

لقد رحتَ في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : « أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ » قال : أيُّ صاحب يا رسول الله ؟ قال : « عبد الله بن أُبيٍّ » . قال : وما قال ؟ قال : « زعم أنَّه إن رجع إلى المدينة ؛ أخرج الأعزُّ منها الأذلَّ » . قال : فأنت والله يا رسول الله ، تخرجه إن شئت ، هو والله الذَّليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنَّ قومه لينظمون له الخرز ليتوِّجُوه ، فإنَّه ليرى أنَّك قد استلبته مُلكاً . ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض ، فوقعوا نياماً ، وإنَّما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ؛ من حديث عبد الله بن أُبيٍّ ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس ، وسلك الحجاز ، حتى نزل على ماءٍ بالحجاز فُوَيق النَّقيع ، يقال له : بقعاء . فلمَّا راح رسول الله ﷺ ، هبَّت على الناس ريح شديدة ، فآذتهم وتخوَّفوها ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تخوَّفوها ؛ فإنَّما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار » . فلمَّا قدموا المدينة وجدوا رِفَاعة بن زيد بن التَّابوت ، أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات ذلك اليوم[1] . وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، والواقديُّ .

وروى مسلم[2] ، من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر نحو هذه القصة ، إلاَّ أنه لم يسمِّ الذي مات من المنافقين ، قال : هبَّت ريح شديدة والنبيُّ ﷺ في بعض أسفاره ، فقال : « هذه لموت منافق » . فلمَّا قدمنا المدينة ، إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين .

قال ابن إسحاق[3] : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ؛ في ابن أبيٍّ ، ومن كان على مثل أمره ، فأخذ رسول الله ﷺ[4] بأذن زيد بن أرقم ، وقال : « هذا الذي أوفى الله بأذنه » .

قلت : وقد تكلَّمنا على تفسيرها بتمامها ؛ في كتابنا « التفسير »[5] بما فيه كفاية عن إعادته هاهنا ، وسردنا طرق هذا الحديث عن زيد بن أرقم ، ولله الحمد والمنَّة ، فمن أراد الوقوف عليه ، أو أحبَّ أن يكتبه هاهنا ، فليطلبه من هناك ، وبالله التوفيق .

قال ابن إسحاق[6] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنَّه بلغني أنَّك تريد قتل عبد الله بن أُبيٍّ ، فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرَّ بوالده منِّي ،

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٨٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٢) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٠٣) .
(٤) في « الروض الأنف » : « فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ » .
(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ١٥١) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٢) .

وإنّي أخشى أن تأمر [به غيري] فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيٍّ يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : « بل نترفَّق به ، ونحسن صحبته ما بقي معنا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ؛ كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه ويعنِّفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : « كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلتُه يوم قلت لي : اقتُله . لأرعدت له آنُف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » . فقال عمر : قد والله علمت ؛ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

وقد ذكر عكرمة ، وابن زيد ، وغيرهما ، أنَّ ابنه عبد الله ، رضي الله عنه ، وقف لأبيه عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول عند مضيق المدينة فقال : قف ، فوالله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله ﷺ في ذلك ، فلمَّا جاء رسول الله ﷺ استأذنه في ذلك ، فأذن له ، فأرسله حتى دخل المدينة .

قال ابن إسحاق[١] : وأُصيب يومئذ من بني المُصْطَلق ناس ، وقتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلين ؛ مالكاً وابنه .

قال ابن هشام[٢] : وكان شعار المسلمين : يا منصور ، أَمِتْ أَمِتْ .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً ، فقسمهم في المسلمين .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا قتيبة بن سعيد ، أخبرني إسماعيل بن جعفر ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن محمد بن يحيى بن حبَّان ، عن ابن محيريز ، أنَّه قال : دخلت المسجد فرأيت أبا سعيد الخُدري فجلست إليه ، فسألته عن العزل ، فقال أبو سعيد : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق ، فأصبنا سَبْياً من سبي العرب ، فاشتهينا النساء ، واشتدَّت علينا العُزُوبة ، وأحببنا العزل ، وقلنا : نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، قبل أن نسأله . فسألناه عن ذلك فقال : « ما عليكم أن لا تفعلوا ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلَّا وهي كائنة » وهكذا رواه[٥] .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة ، عن عائشة قالت : لمَّا قسم رسول الله ﷺ سبايا بني

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٣٨) .
(٥) يعني البخاري في كتاب المغازي من « صحيحه » ورواه بمواضع أخرى من « صحيحه » بألفاظ أخرى مختلفة عن ألفاظ روايته هذه .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٤) .

المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبتْه على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاَّحة ، لا يراها أحد إلاَّ أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتابتها . قالت : فوالله ، ما هو إلاَّ أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها[١] ، وعرفت أنَّه سيرى منها ما رأيت . فَدَخَلَتْ عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيِّد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن شمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي . قال : « فهل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أقضي عنك كتابتك ، وأتزوَّجك ؟ » . قالت : نعم ، يا رسول الله . قال : « قد فعلت » . قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوَّج جُويرية بنت الحارث ، فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ . فأرسلوا ما بأيديهم . قالت : فلقد أعتق بتزويجه إيَّاها مئة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

ثم ذكر ابن إسحاق[٢] قصة الإفك بتمامها في هذه الغزوة ، وكذلك البخاريُّ[٣] ، وغير واحد من أهل العلم، وقد حرَّرتُ طرق ذلك كلِّه في تفسير سورة النُّور[٤] ، فليلحق بكماله إلى هاهنا . وبالله المستعان .

وقال الواقديُّ[٥] : ثنا حرام ، عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : قالت جُويرية بنت الحارث : رأيت قبل قدوم النبيِّ ﷺ بثلاث ليال ، كأنَّ القمر يسير من يثرب ، حتى وقع في حَجْري ، فكرهت أن أخبر به أحداً من الناس ، حتى قدم رسول الله ﷺ ، فلمَّا سُبينا رجوت الرُّؤيا . قالت : فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوَّجني ، والله ما كلَّمته في قومي ، حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم ، وما شعرت إلاَّ بجارية من بنات عمِّي تخبرني الخبر ، فحمدت الله تعالى .

قال الواقديُّ[٦] : ويقال : إنَّ رسول الله ﷺ جعل صداقها عتق أربعين من بني المصطلق .

وذكر موسى بن عقبة[٧] ، عن بني المصطلق أنَّ أباها طلبها وافتداها ، ثم خطبها منه رسول الله ﷺ فزوَّجه إيَّاها .

* * *

---

(١) قلت : والكره هنا من باب غيرة المرأة من المرأة وخوفها منها على زوجها .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤١٤١) و(٤٧٥٠) .
(٤) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/ ١٧) .
(٥) انظر « المغازي » (١/ ٤١١) .
(٦) انظر « المغازي » (١/ ٤١٢) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي » (٤/ ٥١) .

قصة الإفْكِ[١]

وهذا سياق محمد بن إسحاق لحديث الإفك .

قال ابن إسحاق[٢] : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن علقمة بن وقّاص ، وسعيد بن المسيِّب ، وعُرْوَة بن الزُّبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة . قال الزُّهريُّ : كلّ[٣] قد حدَّثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدَّثني القوم .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، [عن عمرة بنت عبد الرحمن] ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكلّ قد دخل في حديثها ، عن هؤلاء جميعاً ، يحدِّث بعضهم ما لم يحدِّث صاحبه ، وكلّ كان عنها ثقة ، فكلُّهم حدَّث عنها بما سمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتُهن خرج سهمها ، خرج بها معه ، فلمَّا كان غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ . قالت : وكان النساء إذ ذاك يأكلن العُلَق[٥] ، لم يهبّجهنَّ[٦] اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين كانوا يرحِّلون لي ، ويحملونني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به . قالت : فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجَّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذَّن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزع ظفارِ ، فلمَّا فرغت انسلَّ من عنقي ، ولا أدري ، فلمَّا رجعت إلى الرَّحل ذهبت ألتمسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرَّحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كانوا يرحِّلون لي البعير ، وقد كانوا فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج وهم يظنُّون أنّي فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدُّوه على البعير ، ولم يشكُّوا أنّي فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر ، وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفَّفت بجلبابي ، ثم اضطجعت في

---

(١) الإفك : الكذب . انظر « مختار الصحاح » (أفك) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٣) في (ط) : « وكل » .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٧) .
(٥) العلق : جمع علقة ، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء . قاله الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤١) .
(٦) في (آ) و(ط) : « لم يهجهن » وأثبت لفظ « الروض الأنف » (٦/ ٤٣٦) وانظر التعليق عليه في هذا الموضع ففي ذلك فائدة إن شاء الله .

مكاني ، وعرفت أن لو افتُقدت لرُجع إليَّ . قالت : فوالله إنِّي لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المعطَّل السُّلميُّ ، وقد كان تخلَّف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليَّ ، وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب ، فلمَّا رآني قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله ﷺ وأنا متلفّفة في ثيابي . قال : ما خلَّفكِ ، يرحمكِ الله ؟ قالت : فما كلَّمته . ثم قرَّب إليَّ البعير ، فقال : اركبي . واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلمَّا اطمأنّوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، وارتجَّ العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، لا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلاَّ أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي ؛ كنت إذا اشتكيت رحمني ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليَّ وعندي أُمِّي تمرِّضني قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت في نفسي فقلت : يا رسول الله ـ حين رأيت ما رأيت من جفائه لي ـ لو أذنت لي فانتقلت إلى أمّي فمرَّضتني ؟ قال : « لا عليك » . قالت : فانتقلت إلى أُمِّي ، ولا علم لي بشيء ممَّا كان ، حتى نقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنّا قوماً عرباً ، لا نتَّخذ في بيوتنا هذه الكُنف التي تتَّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنَّما كنا نخرج في فسح المدينة ، وإنَّما كانت النساء يخرجن في كلّ ليلة في حوائجهنَّ ، فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي ومعي أُمُّ مسطح ، ابنة أبي رُهم بن المطَّلب . قالت : فوالله ، إنَّها لتمشي معي ، إذ عثرت في مِرطها فقالت : تعس مسطح . ومسطح لقب ، واسمه عوف . قالت : فقلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين ، وقد شهد بدراً . قالت : أوَما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني [بالذي] كان من قول أهل الإفك . قلت : أوَقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي . قالت : وقلت لأُمِّي : يغفر الله لك ، تحدَّث الناس بما تحدَّثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ؟ قالت : أي بُنيَّة ، خَفِّضي[1] عليك الشأن ، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها ، لها ضرائر ، إلاَّ كثَّرن ، وكثَّر الناس عليها . قالت : وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحقّ ، والله ما علمت عليهم إلاَّ خيراً ، ويقولون ذلك لرجل ؛ والله ما علمت منه إلاَّ خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلاَّ وهو معي » . قالت : وكان كِبْر ذلك عند عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع الذي قال مسطح ، وحمنة بنت جحش ؛ وذلك أنَّ أُختها زينب بنت جحش [كانت] عند

---

(١) في (آ) : « خففي » وأثبت لفظ (ط) و« السيرة النبوية » لابن هشام .

رسول الله ﷺ ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني[(١)] في المنزلة عنده غيرها ، فأمَّا زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلاَّ خيراً ، وأمَّا حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارُّني لأختها ، فشقيت بذلك ، فلمَّا قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أُسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس ، نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا أمرك ، فوالله إنَّهم لأهلٌ أن تضرب أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك [يُرى] رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت ، لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلاَّ أنَّك قد عرفت أنَّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أُسيد [بن حضير] : كذبت لعمر الله ، ولكنَّك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شرّ ، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليَّ . قالت : فدعا عليّ بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأمَّا أسامة فأثنى خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلاَّ خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأمَّا عليّ فإنَّه قال : يا رسول الله ، إنَّ النساء لكثير ، وإنَّك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية فإنَّها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرة ليسألها . قالت : فقام إليها عليّ فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقي رسول الله ﷺ . قالت : فتقول : والله ما أعلم إلاَّ خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلاَّ أنّي كنت أعجن عجيني ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتي الشاة فتأكله . قالت : ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي وهي تبكي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنَّه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتَّقي الله ، وإن كنتِ قد قارفت سوءاً مما يقول الناس ، فتوبي إلى الله ؛ فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده . قالت : فوالله إن هو إلاَّ أن قال لي ذلك ، فقلص[(٢)] دمعي ، حتى ما أحسّ منه شيئاً ، وانتظرت [أبويَّ] أن يجيبا عنِّي رسول الله ﷺ ، فلم يتكلَّما . قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر [شأناً] من أن يُنَزِّل الله فيّ قرآناً يُقرأ به ويصلَّى به ، ولكنّي كنت أرجو أن يُرى النبيّ ﷺ في نومه شيئاً يكذّب به الله عني ؛ لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ، وأمَّا قرآناً ينزل فيّ ، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك . قالت : فلمَّا لم أر أبويَّ يتكلَّمان ، قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه . قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت : فلمَّا استعجما عليّ ، استعبرت فبكَيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله ممَّا ذكرت أبداً ، والله إنّي لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنّي منه بريئة ، لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون ، لا تصدِّقونني . قالت : ثم التمست اسم يعقوب ، فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] . قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ [مجلسه] حتى تغشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ،

---

(١) أي : تنازعني .
(٢) أي : ارتفع .

فسجِّي بثوبه، ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه ، فأمَّا أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت وما باليت ، قد عرفت أنّي بريئة ، وأنَّ الله غير ظالمي ، وأمَّا أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ ، حتى ظننت لتخرجنَّ أنفسهما ؛ فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس : قالت : ثم سُرِّي عن رسول الله ﷺ، فجلس وإنَّه ليتحدَّر من وجهه مثل الجمان[١] في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشري يا عائشة، قد أنزل الله، [عزَّ وجلَّ] ، براءتك . قالت : قلت : الحمد لله[٢] . ثم خرج إلى الناس فخطبهم [وتلا عليهم] ما أنزل الله، عزَّ وجلَّ، من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أُثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممَّن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدَّهم .

وهذا الحديث مخرَّج في « الصحيحين »[٣] عن الزُّهريِّ .

وهذا السياق فيه فوائد جمَّة ، وذكر حدّ القذف لحسان ومن معه رواه أبو داود في « سننه »[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه : [من الطويل]

لقد ذاق حسّان الذي كان أهله ... وحَمْنَةُ إذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطَوا برجم الغيب زوج نبيِّهم ... وسَخطةَ ذي العرش الكريم فأُتْرِحوا
وآذَوا رسول الله فيها فجُلِّلوا ... مخازي تبقى عمّموها وفُضِّحوا
وصبّت عليهم محصدات كأنَّها ... شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

وقد ذكر ابن إسحاق[٦] أن حسان بن ثابت قال شعراً[٧] ، يهجو فيه صفوان بن المعطَّل وجماعة من قريش ممَّن تخاصم على الماء من أصحاب جهجهاه كما تقدَّم ، أوَّله : [من البسيط]

أمسى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا ... وابنُ الفُريعة أمسى بيضةَ البلد
قد ثكلت أمُّه من كنت صاحبه ... أو كان منتشباً في بُرثن الأسد
ما لقتيلي الذي أغدو فآخذه ... من دية فيه يعطاها ولا قوَد
ما البحر حين تهبُّ الرِّيح شامِيَة ... فيغطئلّ ويرمي العبر بالزَّبد
يوماً بأغلب منِّي حين تبصرني ... ملغيظ أفري كفري العارض البرد

---

(١) قال الخشني : الجمان : حب من فضة يصنع على مثال الدُّرِّ . انظر « شرح غريب السيرة » (٣/ ٤٢) .
(٢) في (آ) : « لحمد الله » وأثبت لفظ (ط) .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٦٦١) و(٤١٤١) و(٤٧٥٠) ومسلم رقم (٢٢٧٠) (٥٦) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٤٤٧٥)وهو حديث حسن يشهد له حديث عمرة عن عائشة الذي قبله رقم (٤٤٧٤) فإنه يقوى بها ، فهو حسن .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٧) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٤) .
(٧) الأبيات في « ديوان حسّان بن ثابت » (١/ ٢٨٤) مع بعض الفارق الطفيف في ألفاظها .

أمَّـا قـريـش فـإنـي لا أسـالمهـا حتـى ينيبـوا مـن الغيَّـات للـرَّشـد
ويتـركـوا الـلاّت والعـزَّى بمعـزلـة ويسجـدوا كلُّهـم للـواحـد الصمـد
ويشهدوا أنَّ ما قال الرسول لهم حـقّ فَيُـوفـوا بحـقّ الله والـوُكـد

قال : فاعترضه صفوان بن المعطّل ، فضربه بالسيف وهو يقول : [من الطويل]

تلـقَّ ذُبـاب السيـف عنّـي فـإنَّنـي غـلامٌ إذا هُـوجيـت لسـتُ بشـاعـرِ

وذكر[١] أن ثابت بن قيس بن شمّاس أخذ صفوان حين ضرب حسَّان ، فشدَّه وَثاقاً ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرب حسَّان بالسيف . فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟ قال : لا . فأطلقه ، ثم أتوا كلّهم رسول الله ﷺ ، فقال ابن المعطَّل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب فضربته . فقال رسول الله ﷺ : « يا حسّان ، أتشوَّهت على قومي إذ هداهم الله » . ثم قال : « أحسن يا حسان فيما أصابك » . فقال : هي لك يا رسول الله . فعوَّضه منها بيرحاء التي تصدَّق بها أبو طلحة ، وجارية قبطيَّة ، يقال لها : سيرين . جاءه منها ابنه عبد الرحمن[٢] .

قال : وكانت عائشة تقول : سُئل [عن] ابن المعطَّل ، فوجد رجلاً حصوراً[٣] ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم قال حسان بن ثابت[٥] ، يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة : [من الطويل]

حَصَـانٌ رزانٌ مـا تُـزَنّ بـريبـةٍ وتصبح غَرْثَى من لحوم الغَوافلِ
عقيلـة حيّ مـن لـؤيّ بـن غـالـب كرام المساعي مجدهم غير زائلِ
مهـذَّبـة قـد طيّـب الله خِيمهـا وطهَّـرهـا مـن كـلّ سـوءٍ وبـاطـلِ
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتمُ فـلا رفعـتْ سـوطـي إلـيّ أنـاملـي
وكيـف وودّي مـا حييت ونصـرتـي لآل رسـول الله زيـن المحـافـلِ
لـه رَتَـب عـالٍ علـى الناس كلِّهـم تقـاصـر عنـه سَـورة المتطـاولِ
فـإنَّ الـذي قـد قيـل ليـس بـلائـط ولكنَّـه قـول امـرئٍ بـي مـاحـلِ

وقد زاد يونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق قبل البيت الأوَّل :

---

(١) يعني ابن إسحاق . انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٥) .
(٢) انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٢/ ٣١٤) ، و« شذرات الذهب » (٢/ ٣١٤) بتحقيقي .
(٣) الحصور : وأما في حق يحيى عليه السلام أنه كان حصوراً ، يعني لا يأتي النساء ، فغلط بل هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، كأنه حصر عنها .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٠٦) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥١٠) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » (٢/ ١٤٦) بتحقيقي بالاشتراك مع عدد من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلاَّمة الدكتور شاكر الفحّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

رأيتـــكِ وليغفـــر لـــك الله حُـــرَّة ... مـن المحصنات غير ذات غـوائـلِ
حصـــان رزان مـــا تُـــزنّ بـــريبـــة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافـلِ
وإنَّ الـذي قـد قيـل ليـس بـلائـط ... بك الدَّهر بل قيل امرئ متماحلِ
فـإن كنـت أهجوكم كما بلَّغوكـمُ ... فـلا رجعت سوطي إليَّ أناملـي
فكيـف وودّي مـا حييت ونصرتـي ... لآل رســـول الله زيـــن المحـــافـــلِ
وإنَّ لهـمَ عـزّاً يـرى النـاس دونـه ... قصـاراً وطـال العـزّ كـلّ التّطـاولِ

ولِيُكتب هاهنا الآيات من سورة النُّور ، وهي من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : ١١ ـ ٢٦] . وما أوردناه هنالك من الأحاديث ، والطُّرق ، والآثار عن السَّلف والخلف[١] ، وبالله التوفيق .

* * *

غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَةِ[٢]

وقد كانت في ذي القعدة سنة ستّ بلا خلاف . وممَّن نصَّ على ذلك الزُّهريُّ ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وغيرهم ، وهو الذي رواه ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة أنها كانت في ذي القعدة سنة ستّ .

وقال يعقوب بن سفيان[٣] : ثنا إسماعيل بن الخليل ، عن عليّ بن مسهر ، أخبرني هشام بن عُروة ، عن أبيه قال : خرج رسول الله ﷺ إلى الحُديبية في رمضان ، وكانت الحُديبية في شوَّال ، وهذا غريب جدّاً عن عُروة .

وقد روى البخاريُّ ومسلم[٤] جميعاً ، عن هُدْبَة ، عن هَمَّام ، عن قتادة ، أن أنس بن مالك أخبره أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمَرٍ ، كلُّهنَّ في ذي القعدة [إلَّا العُمْرَة التي مع حجَّته ؛ عمرة من الحُديبية في ذي القعدة] وعُمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعُمْرَة من الجِعْرَانَة[٥] في ذي القعدة ، حيث قسم غنائم حنين ، وعمرة مع حجَّته . وهذا لفظ البخاريّ .

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٦/١٧ ـ ٣٥) .
(٢) انظر خبرها في « المغازي » لابن أبي شيبة ص(٢٧٠) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٢) ، و« زاد المعاد » (٣/ ٢٥٥) ، و« الفصول في سيرة الرسول » ص(١٨٤) .
(٣) انظر « المعرفة والتاريخ » (٣/ ٢٨٧) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٤٨) ، ومسلم رقم (١٢٥٣) .
(٥) الجِعْرَانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٣٦) .

وقال ابن إسحاق[١] : ثم قام رسول الله ﷺ بالمدينة رمضان وشوَّالاً ، وخرج في ذي القعدة معتمراً لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيّ .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب ، أو يصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهَدْيَ ، وأحرم بالعُمْرَة ؛ ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ، ومعظّماً له .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني محمد بن مُسلم بن شِهَاب الزُّهريّ ، عن عُروة بن الزُّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ، ومَرْوان بن الحَكَم ، أنَّهما حدَّثاه قَالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحُديبية ، يريد زِيارة البيت لايريد قتالاً ، وساق معه الهَدْيَ سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمئة رجل ، وكانت كلّ بدنة عن عشرة نفرٍ ، وكان جابر بن عبد الله فيما بلغني يقول : كُنَّا أصحاب الحُديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهريُّ[٣] : وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفَان لقيه بِشْرُ[٤] بن سُفيان الكَعبيّ فقال : يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذُ المَطَافِيل ، قد لبسوا جلود النّمور ، وقد نزلوا بذي طُوىً[٥]، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، قد قدَّموها إلى كُرَاع الغَمِيم[٦] . قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلَّوا بيني وبين سائر العرب؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظنّ قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السَّالفة». ثم قال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله . قال : فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل[٧] بين شعاب ، فلمَّا خرجوا منه ، وقد شقَّ ذلك على المسلمين ، فأفضَوا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٠٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩) .
(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/٤٥٣) .
(٤) وقال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢/٣٠٩) : « ويقال : بُسْر » . وهو الصواب ، فقد أورده ابن عبد البرّ في « الاستيعاب » ، وابن الأثير في « أُسد الغابة » ، وابن حجر العسقلاني في « الإصابة » في رسم (بُسْر) ولم يذكروا فيه خلافاً .
(٥) ذو طُوىً : موضع قرب مكة .
(٦) كراع الغميم : موضع في الحجاز بين مكة والمدينة . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/١١٥٣) .
(٧) الأجرل : الكثير الحجارة .

إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، قال رسول الله ﷺ : « قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه » . فقالوا ذلك ، فقال : « والله إنها للحطّة [١] التي عرضت على بني إسرائيل ، فلم يقولوها » .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله ﷺ الناس فقال : « اسلكوا ذات اليمين » بين ظهري الحَمْضِ في طريق تخرجه على ثنيّة المرار ، مهبط الحُديبية من أسفل مكّة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلمّا رأت خيل قريش قَتَرَةَ الجيش [٢] قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا سلك في ثنيّة المُرَار [٣] بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت . فقال : « ما خلأت ، وما هو لها بخُلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطّة [٤] يسألونني فيها صلة الرَّحم ، إلا أعطيتهم إيَّاها » . ثم قال للناس : « انزلوا » . قيل له : يا رسول الله ، ما بالوادي ماء ننزل عليه . فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قليب من تلك القُلُب ، فغرزه في جوفه ، فجاش بالرَّواء ، حتى ضرب الناس عنه بعطن [٤] .

قال ابن إسحاق [٥] : فحدَّثني بعض أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب ، سائق بدن رسول الله ﷺ . قال ابن إسحاق : وقد زعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله ﷺ . فالله أعلم أيّ ذلك كان . ثم استدلّ ابن إسحاق للأول بأن جارية من الأنصار جاءت البئر ، وناجية في أسفله يميح ، فقالت : [من الرجز]

يا أيُّها المائح دَلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا

يُثنون خيراً ويُمجّدونكا

فأجابها فقال :

قـد علمـت جـاريـةٌ يمـانيـهْ   أنّي أنا المائح واسمي ناجيه

وطعنــة ذات رشــاش واهيــه   طعنتهـا عنـد صـدور العـاديـه

قال الزهريّ في حديثه : فلمّا أطمأنّ رسول الله ﷺ ، أتاه بُديل بن ورقاء ، في رجال من خزاعة ، فكلّموه وسألوه ما الذي جاء به ، فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحرمته .

---

(١) قال الله تعالى لهم ﴿ وقولو حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ أي احطط عنا ذنوبنا وخطايانا ، فاستهزؤوا وقالوا حبة في شعرة .

(٢) أي : غباره .

(٣) ثنية المُرَار : موضع عند الحُديبية من نواحي مكة . عن تعليق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » ص(٨٥) بتصرف .

(٤) أي : خصلة . والعطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٠) .

ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت .

فاتّهموهم وجبّهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ؛ فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدّث بذلك عنا العرب . قال الزّهريّ : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ ؛ مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة . قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤيّ ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « هذا رجل غادر » . فلمّا انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلّمه ، قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة ، أو ابن زبّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال : « إنَّ هذا من قوم يتألّهون ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه » . فلمّا رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك . قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن الحُليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أَيُصَدُّ عن بيت الله من جاءه معظّماً له ؟ والذي نفس الحُليس بيده لتخلُنّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد . قالوا : مه ، كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزّهريّ في حديثه[١] : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثّقفيّ ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم ؛ من التّعنيف ، وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ـ وكان عُرْوَة لسُبَيْعَة بنت عبد شمس ـ وقد سمعتُ بالذي نابكم ، فجمعت من أطاعني من قومي ، [ثم] جئتكم ، حتى آسيتكم بنفسي . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم . فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضّها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النّمور ، يعاهدون الله ، لا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، وايم الله لكأنّي بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، خلف رسول الله ﷺ ، فقال : امصص بظر اللاّت ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : « هذا ابن أبي قُحَافَة » . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلّمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد . قال : فجعل يقرع يده ، إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ ، قبل ألاّ تصل إليك . قال : فيقول عروة : ويحك ، ما أفظّك

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١١) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٧) .

وأغلظك . قال : فتبسّم رسول الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمّد ؟ قال : « هذا ابن أخيك ، المغيرة بن شعبة » . قال : أي غدر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إلاَّ بالأمس ؟!

قال الزّهريّ : فكلّمه رسول الله ﷺ ، بنحو ممّا كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلاّ ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلاّ أخذوه ، فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنّجاشيّ في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قطّ مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، فَرَوا رأيكم .

قال ابن إسحاق(١) : وحدّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعيّ ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له ، يقال له : الثّعلب . ليبلّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق(٢) : وحدّثني بعض من لا أتّهم ، عن عكرمة ، [عن ابن عباس] أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله [ﷺ] ؛ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخذوا [أخذاً] ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنّبل ، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها وغلظتي عليها ، ولكني أدلّك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظّماً لحرمته ، فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلَّغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعُظماء قريش ، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين بلّغ رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف . قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل .

قال ابن إسحاق(٣) : فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا نبرح حتى نناجز القوم » . ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرّضوان تحت الشجرة ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥) ، و« الروض الأنف » (٦/ ٤٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦) .

فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت . وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على ألاّ نفرَّ . فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلاّ الجدّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، وكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنّي أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته ، [قد] ضبأ إليها ، يستتر من الناس ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من [أمر] عثمان باطل .

قال ابن هشام[١] : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشّعبيّ أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرّضوان أبو سنان الأسديّ .

قال ابن هشام[٢] : وحدّثني من أثق به ، عمّن حدّثه بإسناد له ، عن ابن أبي مُلَيكَة ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

وهذا الحديث الذي ذكره ابن هشام بهذا الإسناد الضعيف ثابت في « الصحيحين »[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : قال الزّهريّ : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤيّ إلى رسول الله ﷺ وقالوا : ائت محمداً وصالحه ، ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عن عامه هذا ، فوالله لا يتحدّث العرب أنه دخلها عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » . فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ ، تكلّم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلمّا التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟! قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟! قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟! قال : بلى . قال : فعلام نعطي الدَّنيَّة في ديننا ؟! قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ألست برسول الله ؟! قال : « بلى » . قال : أوَلسنا بالمسلمين ؟! قال : « بلى » . قال : أو ليسوا بالمشركين ؟! قال : « بلى » . قال : فعلام نعطي الدّنيّة في ديننا ؟! قال : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيّعني » . فكان عمر ، رضي الله عنه يقول : ما زلت أصوم ، وأتصدّق ، وأصلّي ، وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ؛ مخافة كلامي الذي تكلّمت يومئذ ، حتى رجوت أن يكون خيراً . قال : ثم دعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » . قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهمّ . قال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) ، و« الروض الأنف » (٦/٤٦١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٩٩) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٦٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣١٦) .

فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : باسمك اللهمّ » . فكتبها ، ثم قال : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . [قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال : فقال رسول الله ﷺ : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو »] اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس ، ويكفّ بعضهم عن بعض ، [على] أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمد لم يردّوه عليه ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحبّ أن يدخل في عقد محمد [وعهده] دخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ـ فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ـ وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ؛ السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .

قال : فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح ؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلمّا رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه ، دخل [على] الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، وقال : يا محمد ، قد لجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيَك هذا . قال : « صدقت » . فجعل ينتره بتلبيبه ويجرّه ، يعني ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله ، وإنّا لا نغدر بهم » . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : [اصبر] يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه . قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية . فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب ، أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ، ورجالاً من المشركين ؛ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ـ وهو [يومئذ] مشرك ـ وعليّ بن أبي طالب ، وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة . وكان رسول الله ﷺ مضطرباً في الحلّ ، وكان يصلّي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعيّ ، فلمّا رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق ، تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : حلق رجال يوم الحديبية وقصّر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « يرحم الله المحلّقين » . قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : « والمقصّرين » . قالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت التّرحيم للمحلّقين دون المقصّرين ؟ قال : « لم يشكّوا » .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدّثني مجاهد ، عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية ـ في هداياه ـ جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة من فضّة ؛ ليغيظ بذلك المشركين . هذا سياق محمد بن إسحاق ، رحمه الله ، لهذه القصة ، وفي سياق البخاريّ ـ كما سيأتي ـ مخالفة في بعض الأماكن لهذا السياق ، كما ستراها إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . ولنوردها بتمامها ، ونذكر ما في الأحاديث الصّحاح والحسان ما فيه شاهد ، في كلّ موطن بحسبه ، إن شاء الله تعالى ، وعليه التّكلان ، وهو المستعان .

قال البخاريّ[٢] : ثنا خالد بن مخلد ، ثنا سليمان بن بلال ، ثنا صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن زيد بن خالد قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلّى لنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل [بوجهه] علينا فقال : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم . [فقال] : « قال الله تعالى : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ؛ فأمّا من قال : مطرنا برحمة الله ، وبرزق الله ، وبفضل الله . فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأمّا من قال : مطرنا بنجم كذا . فهو مؤمن بالكوكب كافر بي » . وهكذا رواه في غير موضع من « صحيحه » . ومسلم من طرق[٣] . وقد روى عن الزّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبي هريرة .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عُبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : تعدّون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرّضوان يوم الحُديبية ، كنا مع النبيّ ﷺ أربع عشرة مئة ، والحُديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ ، فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماءٍ ، فتوضّأ ثم مضمض ودعا ، ثم صبّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا . انفرد به البخاريّ .

وقال ابن إسحاق[٥] في قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] : صلح الحُديبية .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣١٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤١٤٧) .
(٣) رواه مسلم (٧١) (١٢٥) و(٧٢) (١٢٦) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٢٢) .

قال الزهريّ : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلمّا كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلّهم بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلَّم أحد في الإسلام ـ يعقل شيئاً ـ إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . قال ابن هشام : والدليل على ما قاله الزّهريّ أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر ، ثم خرج [عام فتح مكة] بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

وقال البخاريّ[١] : ثنا يوسف بن عيسى ، ثنا ابن فضيل ، ثنا حصين ، عن سالم ، عن جابر ، قال : عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضَّأ منها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ليس عندنا ماء نتوضّأ به ولا [ما] نشرب إلاّ ما في ركوتك . قال : فوضع النبيّ ﷺ يده في الرّكوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون . قال : فشربنا وتوضّأنا . فقلنا لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : [لو] كنا مئة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مئة .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٢] من طُرق ، عن حُصَين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر ، به .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا الصّلت بن محمد ، ثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قلت لسعيد بن المسيّب : بلغني أن جابر بن عبد الله كان يقول : كانوا أربع عشرة مئة . فقال لي سعيد : حدّثني جابر : كانوا خمس عشرة مئة ، الذين بايعوا النبيّ ﷺ يوم الحُديبية . تابعه أبو داود[٤] : حدّثنا قُرّة ، عن قتادة . تفرّد به البخاريّ .

ثم قال البخاريّ[٥] : ثنا عليّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية : « أنتم خير أهل الأرض » . وكنا ألفاً وأربعمئة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٦] من طُرق ، عن سُفيان بن عُيينة به .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٥٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣٥٧٦) ، ومسلم رقم (١٨٥٦) (٧٣) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٥٣) .
(٤) يعني (الطَّيَالسي) صاحب « المسند » واسمه (سُلَيمان بن داود البصري الطَّيَالسي) المتوفى سنة (٢٠٤)هـ ، وكان يسرد من حفظه ثلاثين ألف حديث ، رحمه الله . انظر « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلي (٣/ ٢٥) بتحقيقي .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٥٤) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٨٤٠) ، و« مسلم » رقم (١٨٥٦) (٧١) .

وهكذا رواه اللَّيث بن سعد ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن عبداً لحاطب جاء يشكوه فقال : يا رسول الله ، ليدخلنّ حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : « كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدراً والحديبية » . رواه مسلم[١] .

وعند مسلم[٢] أيضاً من طرق [عن] ابن جُريج ، أخبرني أبو الزّبير ، أنه سمع جابراً يقول : أخبرتني أمّ مبشّر[٣] أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة : « لا يدخل أحدٌ النَّار ، إن شاء الله ، من أصحاب الشجرة ، الذين بايعوا تحتها » . فقالت حَفْصَةُ : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حَفْصَةُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] فقال رسول الله ﷺ : « قد قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] » .

قال البخاريّ[٤] : وقال عبيد الله بن معاذ : ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مُرَّة ، حدّثني عبد الله بن أبي أوفى قال : كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمئة ، وكانت أَسْلَم ثُمُن المهاجرين . تابعه محمد بن بشّار ، حدّثنا أبو داود ، حدّثنا شعبة . هكذا رواه البخاريّ معلّقاً ، عن عبيد الله .

وقد رواه مسلم[٥] ، عن عُبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شُعبة ، وعن محمد بن المثنّى ، عن أبي داود ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن النّضر بن شُمَيل ، كلاهما عن شُعبة ، به .

ثم قال البخاريّ[٦] : ثنا عليّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن الزّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر بن مخرمة قالا : خرج النّبيّ ﷺ عام الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ، فلمّا كان بذي الحُليفة قلّد الهديَ ، وأشعر ، وأحرم منها . تفرّد به البخاريّ ، وسيأتي هذا السياق بتمامه .

والمقصود أن هذه الروايات كلّها مخالفة لما ذهب إليه ابن إسحاق ؛ من أن أصحاب الحديبية كانوا سبعمئة ، وهو ـ والله أعلم ـ إنما قال ذلك تفقّهاً من تلقاء نفسه ؛ من حيث إنّ البدن كنّ سبعين بدنةً ، وكلّ منها عن عشرة ، على اختياره ، فيكون المهلّون سبعمئة ، ولا يلزم أن يهدي كلّهم ، ولا أن يحرم كلّهم أيضاً ؛ فقد ثبت أن رسول الله ﷺ بعث طائفة منهم ، فيهم أبو قتادة ، ولم يُحْرِم أبو قتادة حتى قتل ذلك الحِمَار الوحشيّ ، فَأَكل منه هو وأصحابه ، وحملوا منه إلى رسول الله ﷺ في أثناء الطريق ، فقال : « أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها ، أو أشار إليها ؟ » قالوا : لا . قال : « فكلوا ما بقي من لَحْمِهَا » .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) (١٦٣) .
(٣) هي أم مُبَشّر بنت البراء بن معرور الأنصارية ، وهي امرأة زيد بن حارثة ، وكانت من كبيرات الصحابيات . انظر « جامع الأصول » (١٥/ ٣٧٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٥٥) تعليقاً .
(٥) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) (٧٥) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤١٥٧) و(٤١٥٨) .

وقد قال البخاري[١] : ثنا سعيد بن الربيع ، ثنا عليُّ بن المبارك ، عن يحيى ، عن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أباه حدَّثه قال : انطلقنا مع النبي ﷺ عام الحُديبية ، فأحرم أصحابه ولم أُحرم .

وقال البخاريُّ : ثنا محمد بن رافع ، ثنا شَبَابَة [بن سَوَّار الفَزَارِيُّ] ، ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه قال : لقد رأيت الشجرة ، ثم أتيتها بعد فلم أعرفها .

ثنا[٢] موسى ، ثنا أبو عوانة ، ثنا طارق ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبيه ، أنه كان ممن بايع تحت الشجرة ، فرجعنا إليها العام المقبل ، فَعُمِّيَتْ علينا .

وقال البخاريُّ[٣] أيضاً : ثنا محمود ، ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، قال : انطلقت حاجّاً فمررت بقوم يصلُّون ، فقلت : ما هذا المسجد ؟ قالوا : هذه الشجرة ، حيث بَايَعَ النبيُّ ﷺ بيعة الرِّضوان ، فأتيت سعيد بن المسيِّب فأخبرته ، فقال سعيد : حدَّثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة . قال : فلمَّا كان من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . ثم قال سعيد : إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم ؟ فأنتم أعلم .

ورواه البخاريُّ ومسلم[٤] من حديث الثوري وأبي عَوَانة وشَبَابَةَ عن طارق .

وقال البخاري[٥] : ثنا إسماعيل ، حدّثني أخي ، عن سليمان ، عن عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم قال : لما كان يوم الحرّة والناس يبايعون لعبد الله بن حنظلة ، فقال ابن زيد : عَلَامَ يبايع ابن حنظلة الناس ؟ قيل له : على الموت . فقال : لا أبايع على ذلك أحداً بعد رسول الله ﷺ . وكان شهد معه الحُديبية .

وقد رواه البخاريّ أيضاً ، ومسلم[٦] من طرق ، عن عمرو بن يحيى ، به .

وقال البخاريّ[٧] : ثنا قتيبة [بن سعيد] ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد قال : قلت لسلمة بن الأَكْوَع : على أيّ شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحُديبية ؟ قال : على الموت .

ورواه مسلم[٨] من حديث يزيد بن أبي عُبيد .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٨٢٢) .
(٢) القائل الإمام البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٦٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٦٣) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤١٦٤) و(٤١٦٥) ، ومسلم رقم (١٨٥٩) (٧٧) و(٧٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤١٦٧) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٥٩) ، ومسلم رقم (١٨٦١) .
(٧) رواه البخاري رقم (٤١٦٩) .
(٨) رواه مسلم رقم (١٨٦٠) .

وفي « صحيح مسلم »[١] عن سلمة أنه بايع ثلاث مرّات ؛ في أوائل الناس ووسطهم وأواخرهم .

وفي « صحيح مسلم »[٢] عن معقل بن يسار ، أنه كان آخذاً بأغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يبايع الناس . وكان أول من بايع رسول الله ﷺ يومئذ أبو سِنَان ، وهو وهب بن محصن ، أخو عُكَّاشة بن مِحْصَن ، وقيل : سِنَان بن أبي سِنَان .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا شجاع بن الوليد ، سمع النّضر بن محمد ، ثنا صَخْرُ بن الربيع ، عن نافع قال : إن الناس يتحدّثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحُديبية أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار ، أن يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة ، وعمر لا يَدْري بذلك ، فبايعه عبد الله ، [ثم ذهب إلى الفَرَس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يَستلئمُ للقتال ، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة][٤] . قال : فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، وهي التي يتحدّث[٥] الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر .

وقال هشام بن عمّار : ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا عمر بن محمد العُمَريّ ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر أن الناس كانوا مع النبيّ ﷺ يوم الحُديبية تفرّقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس مُحْدقُون بالنّبيّ ﷺ ، فقال : يا عبد الله ، انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ؟ فوجدهم يبايعون ، فبايع ثم رجع إلى عمر ، فخرج فبايع . تفرّد به البخاريّ[٦] من هذين الوجهين .

***

ذكر[٧]

سياق البخاريّ لعُمْرَة الحُديبية

قال في كتاب المغازي[٨] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا سفيان ، سمعت الزّهريّ حين حدّث هذا الحديث ، حفظت بعضه ، وثبّتني مَعْمَر ، عن عُرْوَة بن الزّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَرْوَان بن الحَكم ، يزيد أحدهما على صاحبه ، قالا : خرج النبيّ ﷺ عام الحُديبية في بضع عشرة مئة من أصحابه ،

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٨٥٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤١٨٦) .
(٤) ما بين القوسين سقط من (ط) .
(٥) في (ط) : « تحدث » .
(٦) في « صحيحه » رقم (٤١٨٧) تعليقاً .
(٧) لفظ « ذكر » لم يرد في (ط) .
(٨) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤١٧٨) و(٤١٧٩) .

فلمّا أتى ذا الحُليفة قلّد الهدي وأشهره ، وأحرم منها بعمرة ، وبعث عيناً له من خُزَاعَة ، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بغُدَير الأَشْطَاط[1] أتاه عينه ، قال : إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً ، وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك . فقال : « أشيروا أيها الناس عليّ ، أترون أن أميل إلى عيالهم ، وذراريّ هؤلاء الذين يريدون أن يصدّونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب [أحد] فتوجّه له ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله » . هكذا رواه هاهنا ، ووقف ، ولم يزد شيئاً على هذا .

وقال في كتاب الشّهادات[2] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا عبد الرزّاق ، أنبأ مَعْمَر ، أخبرني الزّهريّ ، أخبرني عُرَوة بن الزّبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمة ومَروان بن الحكم ، يصدّق كلّ واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحُديبية ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال النبيّ ﷺ : « إن خالد بن الوليد بالغميم ، في خيل لقريش طليعة ، فخذوا ذات اليمين » . فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبيّ ﷺ حتى إذا كان بالثّنيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ . فألحّت ، فقالو : خَلأَتِ القَصْواء ، خلأت القصواء . فقال رسول الله ﷺ : « ما خَلأت القصواء ، وما ذاك لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حرمات الله [إلا أعطيتهم إيّاها] » . ثم زجرها فوثبت ، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحُديبية ، على ثَمَد قليل الماء يَتَبَرَّضُه الناس تبرّضاً ، فلم يلبّثه الناس حتى نزحوه ، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالرّيّ حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن وَرْقَاء الخُزَاعيّ ، في نفر من قومه من خُزَاعة ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تِهَامة ـ فقال : إني تركت كعب بن لؤيّ ، وعامر بن لؤيّ ، نزلوا أعداد مياه الحُديبية ، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت . فقال النبيّ ﷺ : « إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاؤوا مادَدْتُهم مدة ، ويخلّوا بيني وبين الناس ، [فإن أظهر ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس] فعلوا ، وإلاّ فقد جمّوا ، وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذنّ أمر الله » . قال بديل : سأبلّغهم ما تقول . فانطلق حتى أتى قريشاً ، فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدّثهم بما قال رسول الله ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، ألستم

---

(١) غدير الأشطاط : موضع قرب عُسفان . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٨١) .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٢٧٣١) و(٢٧٣٢) في الشروط ، لا في الشهادات .

بالوالد؟ قالوا : بلى . قال : أولست بالولد؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتّهموني؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلمّا بلّحوا عليّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا : بلى . قال : فإنّ هذا قد عرض لكم خطّة رشد اقبلوها ودعوني آته . فقالوا : ائته . فأتاه ، فجعل يكلّم النبيّ ﷺ ، فقال النبيّ ﷺ نحواً من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت [بأحد] من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى ، فإني والله لا أرى وجوهاً ، [وإني لأرى] أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر : امصص بظر اللاّت ، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ قال : من ذا؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . قال : وجعل يكلّم النبيّ ﷺ ، فكلما تكلّم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ، ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف ، وقال [له] : أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة . فقال : أي غدر ، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبيّ ﷺ : « أمّا الإسلام فأقبل ، وأمّا المال فلست منه في شيء » . ثم إن عروة [جعل] يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ؛ وفدت على قيصر وكسرى والنّجاشيّ ، والله إن رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد محمداً ، والله إن تنخّم نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بني كنانة : دعوني آته . فقالوا : ائته . فلمّا أشرف على النبيّ ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان ، وهو من قوم يعظّمون البدن فابعثوها له » . فبعثت له ، واستقبله الناس يلبّون ، فلمّا رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت . [فلمّا رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلّدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدّوا عن البيت] . فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص . فقال : دعوني آته . قالوا : ائته . فلمّا أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ : « هذا مكرز ، وهو رجل فاجر » . فجعل يكلّم النبي ﷺ ، [فبينما هو يكلّمه] إذ جاء سهيل بن عمرو .

قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ : « [لقد] سُهِّلَ لَكُمْ [من] أَمْرِكُمْ » . قال معمر : قال الزهريّ في حديثه : فجاء سهيل فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً . فدعا النبيّ ﷺ الكاتب ، فقال النبيّ ﷺ : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » . فقال سهيل : أمّا الرحمن ، فوالله ما أدري ما هو ، ولكن اكتب باسمك اللهمّ ، كما كنت تكتب . فقال

المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبيّ ﷺ : « اكتب باسمك اللهمّ » . ثم قال : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » . فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك [عن] البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ : « والله إني لرسول الله وإن كذّبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله » .

[قال الزهريّ] : وذلك لقوله : « لا يسألوني خطّة يعظّمون فيها حُرُمَات الله ، إلاّ أعطيتهم إيّاها » . فقال له النبيّ ﷺ : « على أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . قال سهيل : والله لا تتحدّث العرب أنا أُخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل . فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل ، وإن كان على دينك ، إلاّ رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً . فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف في قيوده ، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد ، أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ . فقال النبي ﷺ : « إنا لم نقض الكتاب بعد » . قال : فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً . فقال النبيّ ﷺ : « فأجزه لي » . قال : ما أنا بمجيزه لك . قال : « بلى ، فافعل » . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ ـ وكان قد عذّب عذاباً شديداً في الله ـ قال : فقال عمر ، رضي الله عنه : فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ألست نبيّ الله حقّاً؟ قال : « بلى » . قلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل؟ قال : « بلى » . قلت : [فلم] نعطي الدّنيّة في ديننا إذاً؟ . قال : « إني رسول الله ، ولست أعصيه وهو ناصري » . قلت : أولست كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال : « بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ » [قال] : قلت : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوّف به » . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبيّ الله حقّاً؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحقّ ، وعدوّنا على الباطل؟ . قال : بلى . [قال] : قلت : فلم نعطي الدّنيّة في ديننا إذاً؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربّه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه ، فوالله إنه على الحقّ . قلت : أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال : بلى ، أفاخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت : لا . قال : فإنك آتيه ومطوّف به .

قال الزهريّ : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً . قال : فلمّا فرغ من قضيّة الكتاب ، قال رسول الله ﷺ [لأصحابه] : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » . قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلمّا لم يقم منهم أحد دخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أمّ سلمة : يا نبيّ الله ، أتحبّ ذلك؟ اخرج ثم لا تكلّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلمّا رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله

[تعالى] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ [فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ] ﴾ حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] فطلّق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشِّرك ، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبيّ ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير ـ رجل من قريش ـ وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً . فاستلّه الآخر فقال : أجل والله إنه لجيد ، لقد جرّبت به ، [ثم جرّبت به] ، ثم جرّبت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه . فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ [حين رآه] : « لقد رأى هذا ذُعراً » . فلمّا انتهى إلى النبيّ ﷺ قال : قتل والله صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبيّ الله ، قد والله أوفى الله ذمتّك ، قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم . فقال النبيّ ﷺ : « ويلُ امِّه ، مسعرَ حرب ، لو كان له أحد » . فلما سمع ذلك عرف أنه سيردّه إليهم ، فخرج حتى أتى سِيف البحر . قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعِير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبيّ ﷺ تناشده الله والرّحم لما أرسل [إليهم] ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبيّ ﷺ [إليهم] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ [مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ] ﴾ حتى بلغ ﴿ [ٱلۡحَمِيَّةَ] حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٤ ـ ٢٦] . وكانت حميّتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبيّ الله ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت . فهذا السياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهريّ ، فقد رواه عن الزهريّ جماعة ؛ منهم سفيان بن عيينة ، ومعمر ، ومحمد بن إسحاق ، كلّهم عن الزهريّ ، عن عروة ، عن مروان ، ومسور ، فذكر القصة .

وقد رواه البخاريّ[1] في أول كتاب الشّروط ، عن يحيى بن بكير ، عن اللَّيث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر القصة . وهذا هو الأشبه ؛ فإن مروان ، ومسوراً كانا صغيرين يوم الحديبية ، والظاهر أنهما أخذاه عن الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال البخاريّ : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا مالك بن مِغْوَل ، سمعت أبا حصين قال : قال أبو وائل : لمّا قدم سهل بن حنيف من صفّين أتيناه نستخبره ، فقال : اتّهموا الرأي ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددت ، والله ورسوله أعلم ، وما وضعنا

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٧١١) و(٢٧١٢) .

أسيافنا على عواتقنا لأمر يفظعنا إلا أسهلنَ بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ، ما نسدّ منها خُصماً[١] إلا انفجر علينا خصم ، ما ندري كيف نأتي له .

وقال البخاريّ : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره ، و [كان] عمر بن الخطّاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر بن الخطاب : ثكلتك أمّك [يا] عمر ، نزّرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كلّ ذلك لا يجيبك . قال عمر : فحرّكت بعيري ثم تقدّمت [أمام] المسلمين ، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي ، قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآن . فجئت رسول الله ﷺ فسلّمت عليه فقال : « لقد أُنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

قلت : وقد تكلّمنا على سورة « الفتح » بكمالها في كتابنا « التفسير »[٢] بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة ، ومن أحبّ أن يكتب ذلك هاهنا[٣] فليفعل .

* * *

فصل
في ذكر السّرايا والبعوث التي كانت في سنة ستّ من الهجرة

وتلخيص ذلك ما أورده الحافظ البيهقي ، عن الواقديّ قال : في ربيع الأول منها أو الآخر ، بعث رسول الله ﷺ عكّاشة بن محصن ، في أربعين رجلاً إلى [الغَمْر][٤] فهربوا منه ، ونزل على مياههم ، وبعث في آثارهم ، وأخذ منهم مائتي بعير ، فاستاقها إلى المدينة .

وفيها كان بعث [أبي] عُبيدة بن الجرّاح إلى ذي القصّة ، في أربعين رجلاً أيضاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، حتى أتوها في عماية الصّبح ، فهربوا منه في رؤوس الجبال ، فأسر منهم رجلاً ، فقدم به على رسول الله ﷺ فأسلم .

وبعث محمد بن مسلمة في عشرة نفر ، فكمن القوم لهم حتى ناموا ، [فقتل] أصحاب محمد بن مسلمة كلّهم ، وأفلت هو جريحاً .

---

(١) الخُصم : الجانب .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٧/ ٤٥٣) .
(٣) في (ط) : « هنا » .
(٤) ما بين الحاصرتين سقط من (آ) و(ط) واستدركته من « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٨٣) .

• وفيها كان بعث زيد بن حارثة بالحموم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنَة ، يقال لها : حَليمة ، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سُليم ، فأصابوا منها نعماً ، وشاءً وأسراء[١] ، وكان فيهم زوج حليمة هذه ، فوهبها[٢] رسول الله ﷺ لزوجها ، وأطلقهما .

• وفيها كان بَعْثُ زيد بن حارثة أيضاً ، في جمادى الأولى إلى بني ثَعْلَبة ، في خمسة عشر رجلاً ، فهربت منه الأعراب ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً ، ثم رجع بعد أربع ليالٍ .

• وفيها خرج زَيْدُ بن حارثة في جمادى الأولى إلى العِيص .

قال : وفيها أُخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الرَّبيع ، فاستجار بزَينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، وقد ذكر ابن إسحاق قصّته حين أُخذت العِير التي كانت معه ، وقتل أصحابه ، وفرّ هو من بينهم حتى قدم المدينة ، وكانت امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ قد هاجرت بعد بدر ، فلمّا جاء المدينة استجار بها ، فأجارته بعد صلاة الصّبح ، فأجاره لها رسول الله ﷺ ، وأمر الناس بردّ ما أخذوا من عِيره ، فردّوا كلّ شيء كانوا أخذوه منه ، حتى لم يفقد منه شيئاً ، فلمّا رجع بها إلى مكة ، وأدّى إلى أهلها ما كان لهم معه من الودائع ، أسلم وخرج من مكة راجعاً إلى المدينة ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زوجته[٣] بالنّكاح الأول ، ولم يُحْدِث نكاحاً ولا عقداً ، كما تقدّم بيان ذلك . وكان بين إسلامه وهجرتها ستّ سنين ، ويروى سنتان . وقد بيّنّا أنه لا منافاة بين الروايتين ؛ وأنّ إسلامه تأخّر عن وقت تحريم المؤمنات على الكفّار بسنتين ، وكان إسلامه في سنة ثمان في سنة الفتح ، لا كما تقدم من كلام الواقديّ ، من أنّه سنة ستّ ، والله أعلم .

وذكر الواقدي في هذه السنة ، أنّ دِحْيَة بن خليفة الكلبيّ أقبل من عند قيصر ، وقد أجازه بأموال وخِلَعٍ ، فلمّا كان بحِسْمَى[٤] لقيه ناس من جذام ، فقطعوا عليه الطريق ، فلم يتركوا معه شيئاً ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ زيد بن حارثة أيضاً ، رضي الله عنه .

قال الواقديّ[٥] : حدّثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة قال : خرج عليّ ، رضي الله عنه ، في مائة رجل إلى أن نزل إلى حيّ من بني سعد بن بكر ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أنّ لهم جَمْعاً يريدون أن يمدّوا يهود خيبر ، فسار إليهم باللّيل ، وكمن بالنهار ، وأصاب عيناً لهم ، فأقرّ له أنه بعث إلى خيبر ، يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر .

---

(١) في (آ) و(ط) : « وأسروا » .
(٢) في (ط) : « فوهبه » وهو خطأ .
(٣) يعني « زينب » .
(٤) حِسْمى : أرض ببادية الشام ، بينها وبين وادي القرى ليلتان ، وأهل تبوك يرون جبل حِسْمَى في غربتهم ، وفي شرقهم شرورى . انظر « مراصد الاطلاع » (١/٤٠٣) .
(٥) انظر « المغازي » (٢/٥٦٢) .

قال الواقديّ ، رحمه الله تعالى : وفي سنة ستّ ، في شعبان منها ، كانت سريّة عبد الرحمن [بن] عوف ، إلى دومة الجندل ، وقال له رسول الله ﷺ : « إن هم أطاعوا فتزوّج بنت ملكهم » . فأسلم القوم ، وتزوّج عبد الرحمن بنت ملكهم ؛ تُماضِر بنت الأصبغ الكلبية ، وهي أمّ أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

قال الواقديّ : في شوال سنة ستّ كانت سريّة كرز بن جابر الفهريّ إلى العرنيّين الذين قتلوا راعيَ رسول الله ﷺ ، واستاقوا النّعم ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر ، في عشرين فارساً ، فردّوهم .

فكان من أمرهم ما أخرجه البخاريّ ، ومسلم[١] ، من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أنّ رهطاً من عكل وعرينة ـ وفي رواية : من عكل أو عرينة ـ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول [الله] ، إنّا أناس أهل ضَرْعٍ ، ولم نكن أهل ريف ، فاستوخمنا المدينة . فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيها ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرّة قتلوا راعيَ رسول الله ﷺ ، واستاقوا الذّود ، وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث النبيّ ﷺ في طلبهم ، فأمر بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ، وتركهم في ناحية الحرّة حتى ماتوا وهم كذلك . قال قتادة : فبلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب بعد ذلك حضّ على الصّدقة ، ونهى عن المثلة .

وهذا الحديث قد رواه جماعة عن قتادة، ورواه جماعة عن أنس بن مالك .

وفي رواية مسلم[٢] ، عن معاوية بن قرّة ، عن أنس ، أنّ نفراً من عرينة أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوه ، وقد وقع في المدينة المُومُ ـ وهو البِرْسَام[٣] ـ فقالوا : هذا الوجع قد وقع يا رسول الله، فلو أذنت لنا فرجعنا إلى الإبل . قال : « نعم ، فاخرجوا فكونوا فيها » . فخرجوا فقتلوا الرّاعيين ، وذهبوا بالإبل ، وعنده شباب من الأنصار قريب من عشرين ، فأرسلهم إليهم ، وبعث معهم قائفاً يقتصّ أثرهم ، فأُتي بهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] من طريق أيوب ، عن أبي قِلابة ، عن أنس ، أنه قال : قدم رَهْطٌ من عُكل فأسلموا ، واجتَوَوُا المدينة ، فأَتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال : « الحقوا بالإبل ، واشربوا من أبوالها وألبانها » . فذهبوا فكانوا فيها ما شاء الله ، فقتلوا الراعي ، واستاقوا الإبل ، فجاء الصّريخ إلى رسول الله ﷺ ، [فأرسل في طلبهم] فلم ترتفع الشمس حتى أُتي بهم ، فأمر بمسامير فأحميت فكواهم

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤١٩٢) و(٥٧٢٧) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٦٧١) .
(٣) ويعرف في أيامنا بداء ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٣٣) (٣٠١٨) و(٦٨٠٤) و(٦٨٠٥) .

بها ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وألقاهم في الحرّة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا ولم يحسمهم .

وفي رواية عن أنس ، قال[١] : فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه من العطش .

قال أبو قِلابة[٢] : فهؤلاء قتلوا ، وسرقوا ، وكفروا بعد إيمانهم ، وحاربوا الله ورسوله .

وقد روى البيهقيّ[٣] من طريق عُثمان بن أبي شَيبة ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الله ، عن أبي الزّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ لما بعث في آثارهم قال : « اللهمّ عمّ عليهم الطّريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَسك حمل » . قال : فعمّى الله عليهم السبيل فأُدرِكوا ، فأُتي بهم رسول الله ﷺ ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسَمَل أعينهم .

وفي « صحيح مسلم »[٤] : إنما سملهم ؛ لأنهم سَمَلوا أَعْيُنَ الرّعاء .

❊ ❊ ❊

فصل

فيما وقع من الحوادث في هذه السنة
أعني سنة ستّ من الهجرة

• فيها نزل فرض الحجّ[٥] ، كما قرّره الشافعيّ ، رحمه الله ، زمن الحُديبية ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [البقرة : ١٩٦] . ولهذا ذهب إلى أن الحجّ على التّراخي لا على الفور ؛ لأنه صلّى الله عليه وسلّم لم يحجّ إلاّ في سنة عشر . وخالفه الثلاثة ؛ مالك وأبو حنيفة وأحمد ، فعندهم أن الحجّ يجب على كلّ من استطاعه على الفور ، ومنعوا أن يكون الوجوب مستفاداً من قوله [تعالى] : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ . وإنما في هذه الآية الأمر بالإتمام بعد الشروع فقط ، واستدلوا بأدلة قد أوردنا كثيراً منها عند تفسير هذه الآية من كتابنا « التفسير » ، ولله الحمد والمنة ، بما فيه كفاية .

• وفي هذه السنة حرّمت المسلمات على المشركين ؛ تخصيصاً لعموم ما وقع به الصلح عام الحُديبية

---

(١) يعني البخاري رقم (٥٦٨٥) .
(٢) وذلك عقب نص الحديث رقم (٢٣٣) المتعلق بقصتهم من « صحيح البخاري » .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٨٨) .
(٤) رقم (١٦٧١) (١٤) .
(٥) والصحيح في السنة التاسعة أو العاشرة ، وأما الآية الكريمة : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ فإنها وإن كانت قد نزلت سنة ست عام الحُديبية ، فليس فيها فرضية الحج ، وإنما فيها الأمر بإتمامه ، وإتمام العُمرة بعد الشروع فيها ، وذلك لا يقتضي وجوب الابتداء . وانظر « زاد المعاد » لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠١) بتحقيق والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وزميله وأستاذي المحدِّث الشيخ شعيب الأرناؤوط ـ نفع الله بهما ـ طبع مؤسسة الرسالة .

على أنه : لا يأتيك منا أحد ، وإن كان على دينك ، إلا رددته علينا . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية [الممتحنة : ١٠] .

• وفي هذه السنة كانت غزوة المُرَيْسِيع[١] ، التي كانت فيها قضيّة الإفك ، ونزول براءة أمّ المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، كما تقدّم .

• وفيها كانت عُمْرَة الحُديبية ، وما كان من صدّ المشركين لرسول الله ﷺ ، وكيف وقع الصلح بينهم على وضع الحرب عشر سنين ، فأمن الناس فيهن بعضهم بعضاً ، وعلى أنه لا إغلال ولا إسلال ، وقد تقدّم كلّ ذلك مبسوطاً في أماكنه ، ولله الحمد والمنّة ، وولي الحجّ في هذه السنة المشركون .

• قال الواقديّ[٢] : وفيها في ذي الحجّة منها بعث رسول الله ﷺ ستة نفرٍ مصطحبين حاطب بن أبي بَلْتَعَة ، إلى المُقوقس صاحب الإسكندريّة ، وشُجاع بن وهب ، من بني أَسد بن خُزيمة ، شهد بدراً ، إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ ، يعني ملك عرب النّصارى [بالشام] ، ودِحْيَةَ بن خليفة الكلبيّ ، إلى قَيْصَر ، وهو هِرَقْل ملك الرُّوم ، وعبد الله بن حُذَافَة السّهميّ إلى كِسْرى ملك الفرس ، وسَلِيط بن عمرو العَامريّ إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ ، وعمرو بن أُمية الضّمريّ ، إلى النجاشيّ ملك النّصارى بالحبشة ، وهو أصمحة بن أبجر[٣] .

* * *

(١) وتسمى أيضاً (غزوة بني المصطلق) . انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٢٣) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٤) نقلاً عن الواقدي .
(٣) انظر تفاصيل ذلك والتعليق عليه في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .

سنة سبع من الهجرة النبوية

غزوة خَيبر في أوّلها

قال شعبة ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله : ﴿ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ١٨] . قال : خيبر .

وقال موسى بن عقبة[١] : لمّا رجع رسول الله ﷺ من الحُديبية مَكَثَ بالمدينة عشرين يوماً[٢] ، أو قريباً من ذلك ، ثم خرج إلى خيبر ، وهي التي وعده الله إيّاها .

وحكى موسى ، عن الزهريّ ، أنّ افتتاح خيبر في سنة ستّ . والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع كما قدّمنا .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، حين رجع من الحُديبية ، ذا الحجّة وبعض المحرّم ، ثم خرج في بقيّة المحرّم إلى خيبر .

وقال يونس بن بُكَير[٤] ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عُرْوَة ، عن مروان والمِسْوَر ، قالا : انصرف رسول الله ﷺ عام الحُديبية ، فنزلت عليه سورة الفتح بين مكة والمدينة ، فقدم المدينة في ذي الحجّة ، فأقام بها حتى سار إلى خيبر [في المحرَّم] ، فنزل بالرّجيع ؛ وادٍ بين خيبر وغطفان ، فتخوّف أن تُمدّهم غطفان ، فبات حتى أصبح ، فغدا إليهم .

قال البيهقيّ : وبمعناه رواه الواقديّ عن شيوخه ، في خروجه في أوّل سنة سبع من الهجرة .

وقال عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق ، حدّثني عبد الله بن أبي بكر قال : كان افتتاح خيبر في عقب المحرّم ، وقدم النبيّ ﷺ في آخر صفر .

قال ابن هشام[٥] : واستعمل على المدينة نُمَيْلَة بن عبد الله اللَّيثيّ .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥) .

(٢) في « دلائل النبوة » : « ليلة » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ١٩٧) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا عفّان ، ثنا وهيب ، ثنا خُثَيم - يعني ابن عِرَاك - عن أبيه أنّ أبا هُريرة قدم المدينة في رهط من قومه والنبيّ ﷺ بخيبر ، وقد استخلف سِبَاع بن عُرْفُطَةَ - يعني الغِفَاريّ - على المدينة . قال : فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصّبح في الركعة الأولى بـ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] وفي الثانية : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] فقلت في نفسي : ويل لفلان ، إذا اكتال اكتال بالوافي ، وإذا كال كال بالنّاقص . قال : فلمّا صلّى زوّدنا شيئاً حتى أتينا خيبر ، وقد افتتح النّبيّ ﷺ خيبر . قال : فكلّم المسلمين ، فأشركونا في سهامهم .

وقد رواه البيهقيّ[٢] ، من حديث سليمان بن حرب ، عن وهيب ، عن خُثَيم بن عِرَاك ، عن أبيه ، عن نفر من بني غِفَار قالوا : إنّ أبا هُريرة قدم المدينة . . . فذكره .

قال ابن إسحاق[٣] : وكان رسول الله ﷺ ، حين خرج من المدينة إلى خيبر ، سلك على عِصر ، فبُني له فيها مسجد ، ثم على الصّهباء ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل به بوادٍ يقال له : الرّجيع . فنزل بينهم وبين غطفان ؛ [ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ ، فبلغني أنّ غطفان] لمّا سمعوا بذلك جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً ، سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً ، ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أموالهم وأهليهم ، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير أنّ سويد بن النّعمان أخبره أنّه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر ، حتى إذا كانوا بالصّهباء ، وهي من أدنى خيبر ، صلّى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤت إلا بالسّويق ، فأمر به فثُرِّي ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ، ثم صلى ولم يتوضّأ .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سَلَمَة بن الأَكْوَع قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجل من القوم لعامر : يا عامر ، ألا تُسمعنا من هُنَيْهَاتِكَ ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فنزل يحدو بالقوم ، يقول : [من الرجز]

لاهُمّ[٦] لولا [أنتَ] ما اهْتَدَينَا ... ولا تَصَدّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
فاغفر فِدَاءً لَكَ ما اتّقينا ... وثَبّتِ الأَقْدَامَ إن لاقينا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٥) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ١٩٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤١٩٥) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٦) .
(٦) عند البخاري : « اللهم » وهو المشهور ، وهو كذلك في « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٢) .

وألقيَنْ[1] سكينـة علينـا إنّـا إذا صيـح بنـا أَبَيْنَـا

وبالصّياح عوّلوا علينا

فقال رسولُ الله ﷺ : « من هذا السَّائق ؟ » قالوا : عامر بن الأكوع . قال : « يرحمه الله » . فقال رجل من القوم : وجبت يا نبيّ الله ، لولا أمتعتنا به . فأتينا خيبر فحاصرناهم حتى أصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدة ، ثم إنّ الله فتحها عليهم ، فلمّا أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم ، أوقدوا نيراناً كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما هذه النّيران ؟ على أيّ شيء تُوقدون ؟ » قالوا : على لحم . قال : « على أيّ لحم ؟ » قالوا : لحم الحمر الإنسيّة . قال النبيّ ﷺ : « أهريقُوها واكسروها » . فقال رجل : يا رسول الله ، أو نهريقها ونغسلها ؟ فقال : « أو ذاك » . فلمّا تصافّ الناس كان سيف عامر قصيراً ، فتناول به ساق يهوديّ ليضربه ، فيرجع ذباب سيفه ، فأصاب عين ركبة عامرٍ فمات منه ، فلمّا قفلوا قال سلمة : رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي ، قال : « ما لك ؟ » قلت : فداك أبي وأمّي ، زعموا أنّ عامراً حبط عمله . قال النبيّ ﷺ : « كذب من قاله ، إنّ له لأجرين » ـ وجمع بين إصبعيه ـ « إنّه لجاهِد مُجَاهِدٌ ، قلّ عربيّ مشى بها مثله » .

ورواه مسلم[2] من حديث حاتم بن إسماعيل ، وغيره ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة ، به نحوه . ويروى : « نشأ بها مثله » .

قال السّهيليّ[3] : ويروى : « قلّ عربيّ مشابهاً مثله » . ويكون منصوباً على الحاليّة من نكرة ، وهو سائغ ؛ إذا دلّت على تصحيح معنى ، كما جاء في الحديث : فصلّى وراءه رجال قياماً .

وقد روى ابن إسحاق[4] قصة عامر بن الأكوع من وجه آخر فقال : حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التّيميّ ، عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلميّ أنّ أباه حدّثه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع : « انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هَناتك » . قال : فنزل يرتجز لرسول الله ﷺ فقال : [من الرجز]

والله لَـولا الله مَـا اهْتَـدَيْنَا ولا تَصَـدَّقْنَـا وَلاَ صَلَّيْنَـا

إنّـا إذا قَـومٌ بَغـوا علينـا وإن أرادوا فتنـةً أبَيْنَـا

فَـأَنْـزِلَـنْ سَكِيْنَـةً علينـا وثبّـت الأَقْـدَامَ إنْ لاقَيْنَـا

(١) في « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٢) : « وأنزلن » .

(٢) في « صحيحه » رقم (١٨٠٢) (١٢٣) و(١٨٠٢) الذي بعد (١٩٣٩) .

(٣) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٥٧٤) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٨ـ٣٢٩) .

فقال رسول الله ﷺ : « يَرْحَمُكَ ربُّك » . فقال عمر بن الخطّاب : وجبت يا رسول الله ، لو أمتعتنا به . فقُتل يوم خيبر شهيداً . ثم ذكر صفة قتله كنحو ما ذكره البخاريّ .

قال ابن إسحاق[١] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلميّ ، عن أبيه ، عن أبي معتّب بن عمرو أنّ رسول الله ﷺ لمّا أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : « قفوا » . ثم قال : « اللهمّ ربّ السموات وما أظللن ، وربّ الأرضين وما أقللن ، وربّ الشّياطين وما أضللن ، وربّ الرّياح وما أذرَين ، فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها ، وشرّ أهلها ، وشرّ ما فيها ، أقدموا بسم الله » . وهذا حديث غريب جدّاً من هذا الوجه .

وقد رواه الحافظ البيهقيّ[٢] ، عن الحاكم ، عن الأصمّ ، عن العطارديّ ، عن يونس بن بكير ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمّع ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان الأسلميّ ، عن أبيه ، عن جدّه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، حتى إذا كنّا قريباً وأشرفنا عليها ، قال رسول الله ﷺ للناس : « قفوا » . فوقف الناس ، فقال : « اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن ، وربّ الأرضين السبع وما أقللن ، وربّ الشياطين وما أضللن ، فإنّا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّ هذه القرية ، وشرّ أهلها ، وشرّ ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم » .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدّثني من لا أتّهم ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله ﷺ حتى [إذا] أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، وركبت خلف أبي طلحة ، وإنّ قدمي لتمسّ قدم رسول الله ﷺ ، واستقبلنا عُمّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوا رسول الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه . فأدبروا هرّاباً ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » .

قال ابن إسحاق[٤] : ثنا هارون ، عن حميد ، عن أنس ، بمثله .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا مالك ، عن حميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، أنّ رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً ، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يَقْرَبْهُم حتى يصبح ، فلمّا أصبح خرجت اليهود

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٩) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٢٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣٠) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤١٩٧) .

بمساحيهم ومكاتلهم ، فلمّا رأوه قالوا : محمد واللهِ ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحةِ قوم فساء صباح المنذَرين » . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاريّ[١] : حدّثنا صدقة بن الفضل ، حدّثنا ابن عيينة ، حدّثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك قال : صبّحْنا خيبر بكرة ، فخرج أهلها بالمساحي ، فلمّا بَصُروا بالنبيّ ﷺ قالوا : محمد والله ، محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . قال : فأصبنا من لحوم الحمر ، فنادى منادي النبيّ ﷺ : إنّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . تفرّد به البخاريّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَر ، عن قتادة ، عن أنس قال : لمّا أتى النبيُّ ﷺ خَيْبَرَ ، فوجدهم حين خرجوا إلى زرعهم و[معهم] مساحيهم ، فلمّا رأوه ومعه الجيش ، نَكَصُوا فرجعوا إلى حِصْنِهِمْ ، فقال النَّبيّ ﷺ : « الله أكبر ، خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . تفرّد به أحمد ، وهو على شرط « الصحيحين » .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : [صلّى النَّبيّ] ﷺ الصّبح قريباً من خيبر بغَلس ، ثم قال : « الله أكبر خَرِبَتْ خيبر ، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين » . فخرجوا يسعَون في السّكك ، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة ، وسبى الذّرّيّة ، وكان في السّبي صفية ، فصارت إلى دحية الكلبيّ ، ثم صارت إلى النبيّ ﷺ ، فجعل عتقها صداقها . قال عبد العزيز بن صهيب لثابت : يا أبا محمد ، أأنت قلت لأنس : ما أصدقها ؟ فحرّك ثابت رأسه تصديقاً له . تفرّد به دون مسلم .

وقد أورد البخاريّ ومسلم[٤] النّهي عن لحوم الحمر الأهليّة من طرق تُذكر في كتاب « الأحكام » .

وقد قال الحافظ البيهقيّ[٥] : أنبأ أبو طَاهِر الفقيه ، أنبأ حاجب بن أحمد الطّوسيّ ، ثنا محمد بن حماد الأبيورديّ ، ثنا محمد بن الفضيل ، عن مسلم الأعور الملائيّ ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويتّبع الجنائز ، ويجيب دعوة المملوك ، ويركب الحمار ، وكان يوم قريظة والنّضير على حمار ، ويوم خيبر على حمار مخطوم برسن ليف ، وتحته إكاف من ليف .

وقد روى هذا الحديث بتمامه الترمذيّ ، عن عليّ بن حُجر ، عن عليّ بن مسهر ، وابن ماجه ، عن

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤١٩٨) .
(٢) في « المسند » (٣/ ١٦٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٠) .
(٤) انظر « صحيح البخاري » رقم (٣١٥٥) و(٤٢١٥) و(٤٢١٦) ومسلم رقم (١٩٣٧) و(١٤٠٧) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٤) .

محمد بن الصّبّاح ، عن سفيان ، وعن عمرو بن رافع ، عن جرير ، كلّهم عن مسلم ، وهو ابن كيسان الملائيّ الأعور الكوفيّ ، عن أنس ، به[١] . وقال الترمذيّ : لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو يضعّف .

قلت : والذي ثبت في « الصحيح » عند البخاريّ[٢] عن أنس ، أنّ رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر ، حتى انحسر الإزار عن فخذه . فالظاهر أنّه كان يومئذ على فرس ، لا على حمار . ولعلّ هذا الحديث ـ إن كان صحيحاً ـ محمول على أنه ركبه في بعض الأيّام وهو محاصرها ، والله أعلم .

وقال البخاريّ[٣] : ثنا محمد بن سعيد الخزاعيّ ، ثنا زياد بن الرّبيع ، عن أبي عمران الجونيّ قال : نظر أنس إلى الناس يوم الجمعة ، فرأى طيالسة[٤] ، فقال : كأنّهم الساعة يهود خيبر .

وقال البخاريّ[٥] : ثنا عبد الله بن مسلمة ، ثنا حاتم ، عن يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : كان عليّ بن أبي طالب تخلّف عن رسول الله ﷺ في خيبر ، وكان رِمداً فقال : أنا أتخلّف عن النبيّ ﷺ ؟ فلحق به ، فلمّا بتنا الليلة التي فتحت خيبر قال : « لأعطينّ الراية غداً ـ أو : ليأخذنّ الراية غداً ـ رجل يحبّه الله ورسوله ، يُفتح عليه » . فنحن نرجوها . فقيل : هذا عليّ . فأعطاه ، ففُتح عليه .

ورواه البخاريّ أيضاً ومسلم[٦] ، عن قتيبة ، عن حاتم ، به .

ثم قال البخاريّ[٧] : ثنا قتيبة ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم قال : أخبرني سهل بن سعد ، أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله » . قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم ؛ أيّهم يُعطاها ؟ فلمّا أصبح الناس غدَوا على النبيّ ﷺ ، كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أين عليّ بن أبي طالب ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله ، يشتكي عينيه . قال : فأرسلوا إليه ، فأُتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له ، فبَرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال عليّ : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من أن يكون لك حُمُر النّعم » .

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٠١٧) ، وابن ماجه رقم (٢٢٩٦) و(٤١٧٨) ، كما بيّنه الترمذي .
(٢) رقم (٣٧١) وانظر « صحيح مسلم » رقم (١٣٦٥) (٨٤) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٨) .
(٤) الطيالسة : جمع طيلسان ، من لباس العجم ، وهو فارسي معرّب . انظر « المصباح المنير » (طلس) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٩) .
(٦) رواه البخاري رقم (٢٩٧٥) و(٣٧٠٢) ومسلم رقم (٢٤٠٧) .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢١٠) .

وقد رواه مسلم والنّسائيّ جميعاً ، عن قُتيبة ، به[١] .

وفي « صحيح مسلم » والبيهقيّ[٢] من حديث سُهَيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله يفتح الله عليه» . قال عمر : فما أحببت الإمارة قطّ إلا يومئذ . فدعا عليّاً فبعثه ، ثم قال : « اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ، ولا تلتفت » . قال عليّ : على ما أقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم ، إلا بحقّها ، وحسابهم على الله » لفظ البيهقيّ .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا مصعب بن المقدام ، وحجين بن المثنّى قالا : ثنا إسرائيل ، ثنا عبد الله بن عصمة العجليّ ، سمعت أبا سعيد الخدريّ ، رضي الله عنه ، يقول : إنّ رسول الله ﷺ أخذ الراية فهزّها ، ثم قال : « من يأخذها بحقّها ؟ » فجاء فلان فقال : أنا . قال : « أمط » . ثم جاء رجل ، فقال : « أمط » . ثم قال النبيّ ﷺ : « والذي كرّم وجه محمد ، لأعطينّها رجلاً لا يفرّ ، هاك يا عليّ » . فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك ، وجاء بعجوتهما ، وقديدهما . تفرّد به أحمد ، وإسناده لا بأس به ، وفيه غرابة . وعبد الله بن عصمة ـ ويقال : ابن عُصَمَ ـ هذا يكنّى بأبي علوان العجليّ ، وأصله من اليمامة ، سكن الكوفة ، وقد وثّقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم : شيخ .

وذكره ابن حبّان في « الثّقات »[٤] وقال : يخطئ كثيراً .

وذكره في « الضّعفاء » وقال[٥] : يُحَدِّث عن الأثبات ممّا لا يشبه حديث الثّقات ، حتى يسبق إلى القلب أنّها موهومة أو موضوعة .

وقال يونس بن بكير[٦] ، عن محمد بن إسحاق : حدّثني بُريدة بن سُفْيَان بن فَرْوَة الأسلميّ ، عن أبيه ، عن سلمة بن عمرو بن الأَكْوَع [رضي الله عنه] قال : بعث النبيّ ﷺ أبا بكر ، رضي الله عنه ، إلى بعض حُصُون خيبر ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، وقد جَهد ، ثم بعث عمر ، رضي الله عنه ، فقاتل ثم رجع ، ولم يكن فتح ، فقال رسول الله ﷺ : « لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّه اللهُ ورسوله ، ويحبّ اللهَ ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار » . قال سلمة : فدعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو يومئذ أرمد ، فتفل في عينيه ، ثم قال : « خذ الراية وامض بها ، حتى يفتح الله

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٠٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٤٩) و(٨٥٨٧) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٤٠٥) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٠٦) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٦) ، وإسناده ضعيف بسبب عبد الله بن عصمة العجلي . وانظر كلام المصنف عليه .
(٤) انظر « كتاب الثقات » (٥/ ٥٧) .
(٥) في « كتاب المجروحين » (٢/ ٥) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) .

عليك » . فخرج بها والله يأنح[١] ، يهرول هرولة ، وإنّا لخلفه نتّبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطّلع يهوديّ من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا عليّ بن أبي طالب . فقال اليهوديّ : علَيتم وما أُنزل على موسى . فما رجع حتى فتح الله على يديه .

وقال البيهقيّ[٢] : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمّ ، أنبأ العُطَارديّ ، عن يونس بن بُكير ، عن الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بُرَيدة ، أخبرني أبي قال : لمّا كان يوم خيبر ، أخذ اللواء أبو بكر ، فرجع ولم يُفتح له ، وقتِل محمود بن مسلمة ، فرجع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « لأدفعنّ لوائي غداً إلى رجل يحبّ اللهَ ورسوله ، ويحبّه اللهُ ورسوله ، لن يرجع حتى يفتح له » فبتنا طيّبة نفوسنا أنّ الفتح غداً ، فصلّى رسول الله ﷺ صلاة الغداة ، ثم دعا باللّواء وقام قائماً ، فما منّا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلّا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل ، حتى تطاولتُ أنا لها ، ورفعت رأسي ؛ لمنزلة كانت لي منه ، فدعا عليّ بن أبي طالب ، وهو يشتكي عينيه . قال : فمسحها ، ثم دفع إليه اللّواء ففُتح له . فسمعت عبد الله بن بريدة يقول : حدّثني أبي أنّه كان صاحب مرحب . قال يونس : قال ابن إسحاق : كان أولُ حصون خيبر فتحاً حصنَ ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، أُلقيت عليه رحى منه فقتلته .

ثم روى البيهقيّ[٣] عن يونس بن بُكَير ، عن المسيّب بن مَسْلَمة الأزديّ ، ثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشّقيقة ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلمّا نزل خيبر أخذته الشّقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإنّ أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ، ثم رجع ، فأُخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله ويحبّه اللهُ ورسوله ، يأخذها عنوة » . وليس ثمّ عليّ ، فتطاولتْ لها قريش ، ورجا كلّ رجل منهم أن يكون صاحب ذلك ، فأصبح ، وجاء عليّ [بن أبي طالب] على بعير له حتى أناخ قريباً ، وهو أرمد قد عصب عينه بشقّة برد قِطْريّ ، فقال رسول الله ﷺ: « ما لك ؟ » قال : رمدت بعدك . قال : « ادن مني » . فتفل في عينه ، فما وجِعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها ، وعليه جبّة أُرجوان حمراء ، قد أخرج خملها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانيّ ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خيبرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكٍ سِلاحي بطلٌ مُجَرّبُ
إذا اللّيوث أَقْبَلَتْ تَلَهّبُ ... وأَحْجَمَتْ عن صَوْلَةِ المُغَلّبِ[٤]

---

(١) أي : حملها مثقلاً بها .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٠) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٠) .
(٤) في البيت إقواء .

فقال عليّ ، رضي الله عنه : [من الرجز]

أَنَا الذي سَمَّتني أُمّي حَيْدَرَه كَلَيْث غَابَاتٍ شَديد القَسْوَره
أكيلكم بالصّاع كيل السَّنْدَرَهْ

قال : فاختلفا ضربتين ، فبدره عليّ بضربة ، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه ، ووقع في الأضراس ، وأخذ المدينة[١] .

وقد روى الحافظ البزّار[٢] ، عن عبّاد بن يعقوب ، عن عبد الله بن بكير ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قصة بعثِ أبي بكر ، ثم عمر يوم خيبر ، ثم بعثِ عليّ ، فكان الفتح على يديه . وفي سياقه غرابة ونكارة ، وفي إسناده من هو متّهم بالتّشيّع . والله أعلم .

وقد روى مسلم والبيهقيّ[٣] واللفظ له ، من طريق عِكْرِمَة بن عَمَّار ، عن إياس بن سَلَمة بن الأَكْوَع ، عن أبيه ، فذكر حديثاً طويلاً ، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فزارة . قال : فلم نمكث إلا ثلاثاً ، حتى خرجنا إلى خيبر . قال : وخرج عامر ، فجعل يقول : [من الرجز]

والله لَولا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ مِنْ فَضْلِكَ مَا استَغْنَيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا
وَثبّت الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

قال : فقال رسول الله ﷺ : « من هذا القائل ؟ » فقالوا : عامر . فقال : « غفر لك ربّك » . قال : وما خصّ رسول الله ﷺ قطّ أحداً [به] إلا استُشهد . فقال عمر وهو على جمل : لولا متّعتنا بعامر . قال : فقدمنا خيبر ، فخرج مرحب وهو يخطِر بسيفه ويقول[٤] : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أَنّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مجربُ
إِذَا الحُروبُ أَقْبَلَتْ تَلهّبُ

قال : فبرز له عامر ، رضي الله عنه ، وهو يقول : [من الرجز]

قد عَلِمَتْ خيبرُ أَنّي عَامِرُ شَاكي السِّلاح بَطَلٌ مُغَامِرُ

قال : فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، فذهب يسفّل له ، فرجع على نفسه ،

---

(١) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٥) .
(٢) انظر « كشف الأستار » (٢٥٤٥) وفيه حكيم بن جبير ، وهو ضعيف
(٣) رواه مسلم رقم (١٨٠٧) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٠٧) .
(٤) انظر « زاد المعاد » (٣/ ٢٨٣) .

فقطع أكحله وكانت فيها نفسه . قال سلمة : فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : بطلَ عمل عامر ؛ قتل نفسه . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال : « ما لك ؟ » فقلت : قالوا : إنّ عامراً بطل عمله . فقال : « من قال ذلك ؟ » فقلت : نفر من أصحابك . فقال : « كذب أولئك ، بل له الأجر مرتين » . قال : وأرسل رسول الله ﷺ إلى عليّ [رضي الله عنه] يدعوه وهو أرمد ، وقال : « لأعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ اللهَ ورسوله » . قال : فجئت به أقوده . قال : فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ ، فأعطاه الرّاية ، فبرز مرحب وهو يقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أنّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مُجَرّبُ
إذا الحُروب أَقْبَلَتْ تلهّبُ

قال : فبرز له عليّ وهو يقول : [من الرجز]

أنا الذي سمّتني أمّي حَيْدَرَه كليث غاباتٍ كريهِ المنظره
أوفيهم بالصّاع كيل السّندرة[1]

قال : فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله ، وكان الفتح .

هكذا وقع في هذا السياق أنّ علياً هو الذي قتل مرحباً اليهوديّ ، لعنه الله .

وقال أحمد[2] : ثنا حسين بن حسن الأشقر ، حدّثني ابن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن جدّه ، [عن] عليّ قال : لما قتلتُ مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى موسى بن عقبة[3] ، عن الزهريّ أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة .

وكذلك قال محمد بن إسحاق[4] : حدّثني عبد الله بن سهل ، أحد بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله قال : خرج مرحب اليهوديّ من حصن خيبر وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ خَيبرُ أنّي مَرْحَب شَاكي السِّلاح بَطَلٌ مُجَرّبُ
أطعُن أحياناً وحيناً أضربُ إذا اللّيوث أقبلت تحرّب
إنّ حِمَايَ لَلْحِمَى لا يُقْرَبُ

قال : فأجابه كَعْبُ بن مَالك[5] : [من الرجز]

---

(١) السَّنْدَرَة : ضرب من الكيل .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١ / ١١١) وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢١٤) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢١٥) .
(٥) الأبيات في « ديوانه » ص(١٥٤) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

قَــدْ عَلِمَــتْ خيبــرُ أَنّــي كَعْــبُ ... مُفَــرِّجُ الغمّــا جــريء صُلــبُ
إذ شُبّـت الحَـرْبُ تلتهـا الحـرب ... مَعْــيَ حُسَـامٌ كـالعقيـقِ عَضـبُ
يطــأْكُمــو حتــى يَــذلّ الصّعــب ... نعطي الجزاء أو يفـيء النّهـبُ[1]
بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتبُ

قال : وجعل مرحب يرتجز ، ويقول : هل من مبارز ؟ [فقال رسول الله ﷺ] : « من لهذا ؟ » فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول [الله] ، أنا والله الموتور الثائر ، قتلوا أخي بالأمس . فقال : « قم إليه ، اللهم أعنه عليه » . قال : فلمّا دنا أحدهما من صاحبه دخلتْ بينهما شجرة عُمْرِيّة[2] ، من شجر العُشَر[3] ، فجعل كلّ واحد منهما يلوذ من صاحبه بها ، كلما لاذ بها أحدهما اقتطع [صاحبه] بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، ما فيها فَنَن ، ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتّقاه بالدّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله . وقد رواه الإمام أحمد[4]، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

قال ابن إسحاق[5] : وزعم بعض الناس أن محمداً ارتجز حين ضربه وقال : [من الرجز]

قَـدْ عَلِمَـتْ خَيْبَـرُ أَنّـي مـاضِ ... حُلْـوٌ إِذَا شئـتُ وَسُـمّ قـاضِ

وهكذا رواه الواقديّ[6] ، عن جابر وغيره من السَّلَف ، أن [محمد بن مسلمة] هو الذي قتل مرحباً ، وذكر الواقديّ أن محمداً قطع رجلي مرحب ، فقال له : أجهز عليّ . فقال : لا ، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة . فمر به عليّ وقطع رأسه ، فاختصما في سلبه إلى رسول الله ﷺ ، فأعطى رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته . قال : وكان مكتوباً على سيفه : [من مجزوء الرجز]

هَـذَا سيـف مَـرْحَـبْ ... مَــن يــذقــه يَعْطَــبْ

ثم ذكر ابن إسحاق[7] أن أخا مَرْحَب ، وهو ياسر ، خرج بعده وهو يقول : هل من مبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير خرج له ، فقالت أمّه صفية بنت عبد المطلب : يُقتلُ ابني يا رسول الله . فقال :

---

(١) هذه الشطرة لم ترد في (ط) .
(٢) في (آ) : « عمورية » والعمرية : القديمة .
(٣) شجر العُشَر : شجر له صمغ .
(٤) في مسنده (٣/ ٣٨٥) ، وإسناده حسن .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٥) .
(٦) انظر « المغازي » (٢/ ٦٥٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٤) .

« بل ابنك يقتله إن شاء الله » . فالتقيا فقتله الزبير . [قال] : فكان الزّبير ـ إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً ـ يقول : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

وقال يونس ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال : خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ [برايته] ، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلهم ، فضربه رجل منهم من يهود ، فطرح تُرسه من يده ، فتناول عليّ باب الحصن ، فترّس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما استطعنا أن نقلبه . وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر .

ولكن روى الحافظ البيهقي(١) ، والحاكم من طريق مُطَّلب بن زياد ، عن ليث بن أبي سُليم ، عن أبي جعفر الباقر ، عن جابر ، أن علياً حمل الباب يوم خيبر حتى صعِد المسلمون عليه فافتتحوها ، وأنه جرّب بعد ذلك ، فلم يحمله أربعون رجلاً . وفيه ضعف أيضاً . وفي رواية ضعيفة ، عن جابر : ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً ، وكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وقال البخاريّ(٢) : ثنا مكّيّ بن إبراهيم ، ثنا يزيد بن أبي عبيد قال : رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ، فقلت : يا أبا مسلم ، ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربة أصابتْها يوم خيبر ، فقال الناس : أصيب سلمة . فأتيت النبيّ ﷺ فنفث فيه ثلاث نفَثات ، فما اشتكيت حتى الساعة .

ثم قال البخاريّ(٣) : حدّثنا عبد الله بن مسلمة ، حدّثنا ابن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل قال : التقى النبيّ ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا ، فمال كلّ قوم إلى عسكرهم ، وفي المسلمين رجل لا يدَع من المشركين شاذّة ولا فاذّة إلّا اتّبعها فضربها [بسيفه] ، فقيل : يا رسول الله ، ما أجزأ أحدٌ ما أجزأ فلان . قال : « إنه من أهل النار » . فقالوا : أيّنا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟ فقال رجل من القوم : لأتّبعنّه ، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه . حتى جرح فاستعجل الموت ، فوضع نصاب سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فجاء الرجل إلى النبيّ ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : « وما ذاك ؟ » فأخبره ، فقال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل النار ، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس ، وإنه من أهل الجنة » .

رواه أيضاً(٤) عن قتيبة ، عن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن سهل ، فذكر مثله أو نحوه .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٢) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٠٣) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٧) .
(٤) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٢٨٩٨) و(٤٢٠٢) .

وقال [البخاريّ][١] : ثنا أبو اليَمَان ، ثنا شعيب ، عن الزهريّ ، أخبرني سعيد بن المسيّب أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر ، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممّن معه يدّعي الإسلام : « هذا من أهل النار » . فلمّا حضر القتال قاتل الرجل أشدّ القتال ، حتى كثرت به الجراحة ، حتى كاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهماً فنحر بها نفسه ، فاشتدّ رجال من المسلمين فقالوا : يا رسول الله ، صدّق الله حديثَك ، انتحر فلان فقتل نفسه . فقال : « قم يا فلان ، فأذِّن أنه لا يدخل الجنة إلّا مؤمن ، وأنّ الله يؤيّد الدين بالرجل الفاجر » .

وقد روى موسى بن عقبة[٢] قصة العبد الأسود ؛ الذي رزقه الله الإيمان والشّهادة في ساعةٍ واحدةٍ ، وكذلك رواها ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، قالا : وجاء عبد حبشيّ أسود ، من أهل خيبر ، كان في غنم لسيده ، فلمّا رأى أهل خيبر قد أخذوا السلاح سألهم قال : ما تريدون ؟ قالوا : نقاتل هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ . فوقع في نفسه ذكر النبي ﷺ ، فأقبل بغنمه حتى عمَد لرسول الله ﷺ ، فقال : إلى ما تدعو ؟ قال : « أدعوك إلى الإسلام ؛ أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأن لا تعبد إلا الله » . قال : فقال العبد : فماذا يكون لي إن شهدتُ بذلك وآمنت بالله ؟ قال رسول الله ﷺ : « الجنة إن متّ على ذلك » . فأسلم العبد فقال : يا نبيّ الله ، إن هذه الغنم عندي أمانة . فقال رسول الله ﷺ : « أخرجها من عسكرنا وارمها بالحصباء ، فإن الله سيؤدّي عنك أمانتك » . ففعل فرجعت الغنم إلى سيدها ، فعرف اليهوديّ أن غلامه قد أسلم . فقام رسول الله ﷺ فوعظ الناس ، فذكر الحديث في إعطائه الراية عليّاً ، ودنوّه من حصن اليهود وقتلِه مرحباً ، وقتل مع عليّ ذلك العبد الأسود ، فاحتمله المسلمون إلى عسكرهم ، فأُدخل في الفُسطاط ، فزعموا أن رسول الله ﷺ اطّلع في الفسطاط ، ثم اطّلع على أصحابه فقال : « لقد أكرم الله هذا العبد وساقه إلى خير ، قد كان الإسلام من نفسه حقّاً ، وقد رأيت عند رأسه اثنتين من الحور العين » .

وقد روى الحافظ البيهقيّ[٣] من طريق ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن ابن الهاد ، عن شرحبيل ابن سعد ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فخرجت سريّة ، فأخذوا إنساناً معه غنم يرعاها ، فذكر نحو قصة هذا العبد الأسود ، وقال فيه : قتل شهيداً وما سجد لله سجدة .

ثم قال البيهقيّ[٤] : أنبأ محمد بن محمد بن مَحْمِش الفقيه[٥] ، أنبأ أبو بكر القطّان ، أنبأ أبو الأزهر ،

---

(١) رقم (٤٢٠٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢١٩) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢١) .
(٥) انظر « شذرات الذهب » (٥/ ٦٠) .

أنبأ مؤمّل بن إسماعيل ، أنبأ حمّاد ، أنبأ ثابت ، عن أنس ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني رجل أسود اللون ، قبيح الوجه ، منتن الريح ، لا مال لي ، فإن قاتلتُ هؤلاء حتى أقتل ، أدخلِ الجنة ؟ قال : « نعم » . فتقدّم فقاتل حتى قتل ، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول ، فقال : « لقد حسّن الله وجهك ، وطيّب ريحك ، وكثّر مالك » . و[قال] : « لقد رأيت زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبّته عنه ؛ يدخلان فيما بين جلده وجبّته » .

ثم روى البيهقيّ(١) ، من طريق ابن جُريج ، أخبرني عِكْرِمَة بن خالد ، عن [ابن] أبي عمّار ، عن شدّاد بن الهاد ، أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتّبعه ، فقال : أهاجر معك . فأوصى به النبيّ ﷺ بعض أصحابه ، فلمّا كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ ، فقسمه وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلمّا جاء دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله ﷺ . فقال : ما على هذا اتّبعتك ، ولكني اتّبعتك على أن أُرمى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : « إن تصدق الله يصدقك » . ثم نهضوا إلى قتال العدّو ، فأُتي به رسول الله ﷺ يحمل ، وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبيّ ﷺ : « هو هو ؟ » قالوا : نعم . قال : « صدق الله فصدقه » . وكفّنه النبيّ [في جبّة النبيّ] ﷺ ، ثم قدّمه فصلّى عليه ، فكان ممّا ظهر من صلاته : « اللهم هذا عَبْدُكَ خرج مهاجراً في سبيلك ، قتل شهيداً ، أنا عليه شهيد » .

وقد رواه النسائيّ(٢) ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، به نحوه .

***

فصل

قال ابن إسحاق(٣) : وتدنّى رسول الله ﷺ الأموال ، يأخُذُها مالاً مالاً ، ويفتتحها حِصناً حصناً ، وكان أول حصونهم فُتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ؛ أُلقيت عليه رحى منه فقتلته ، ثم القموص حصن أبي الحُقيق ، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا ؛ منهن صَفِيّة بنت حُييّ بن أخطب ، وكانت عند كِنَانَة بن الرّبيع بن أبي الحُقَيق ، وبنتا عمّ لها ، فاصطفى رسول الله ﷺ صفيّة لنفسه ، وكان دِحْيَة بن خَليفة قد سأل رسول الله ﷺ صفيّة ، فلمّا اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمّها . قال : وفشت السَّبَايا من خيبر في المسلمين ، وأكل الناس لحوم الحمر . فذكر نهي رسول الله ﷺ إياهم عن أكلها .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢٢) .
(٢) رواه النسائي (٤/ ٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣٠) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٠٠) .

وقد اعتنى البخاريّ بهذا الفصل ؛ فأورد النهي عنها من طرق جيدة ، وتحريمُها مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ، وهو مذهب الأئمة الأربعة . وقد ذهب بعض السَّلف ـ منهم ابن عَبَّاس ـ إلى إباحتها ، وتنوّعت أجوبتهم عن الأحاديث الواردة في النهي عنها ، فقيل : [لأنها كانت ظَهراً يستعينون بها في الحمولة . وقيل : لأنها لم تكن خُمّست بعد . وقيل] : لأنها كانت تأكل العَذِرة ، يعني جلاّلة .

والصحيح أنه نُهي عنها لذاتها ؛ فإن في [الأثر] الصحيح[١] أنه نادى [منادي] رسول الله ﷺ : إنَّ الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر ؛ فإنها رجس . فأكفؤُوها والقدور تفور بها[٢] ، وموضع تقرير ذلك في كتاب « الأحكام » .

قال ابن إسحاق[٣] : حدّثني سلاَّم بن كِرْكِرَة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ـ ولم يشهد جابر خيبر ـ أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر أذن لهم في لحوم الخيل . وهذا الحديث أصله ثابت في « الصحيحين »[٤] من حديث حمّاد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عليّ ، عن جابر ، رضي الله عنه ، قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخّص في الخيل . لفظ البخاريّ .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدّثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مكحول أن النبيّ ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع ؛ عن إتيان الحَبالى من النساء ، وعن أكل الحمار الأهليّ ، وعن أكل كلّ ذي ناب من السّباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم . وهذا مرسل .

وقال ابن إسحاق : وحدّثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى تُجيب ، عن حنش الصّنعانيّ قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاريّ المغرب ، فافتتح قريةً من قرى المغرب يقال لها : جَرْبَة . فقام فينا خطيباً فقال : أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول فينا يوم خيبر ؛ قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر [أن يسقي ماءَه زرع غيره » يعني إتيان

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » (٣/ ١١) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٩٤٠) من حديث أنس .

(٢) قال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٣٠٣) : « وهذا مقدم على قول من قال من الصحابة : إنما حرَّمها ، لأنها كانت ظهرَ القوم وحمولتهم ، فلما قيل له : فنيَ الظهرُ وأُكلت الحُمر ، حَرَّمها ، وعلى قول من قال : إنما حرَّمها ، لأنها لم تخمس ، وعلى قول من قال : إنما حرمها لأنها كانت حول القرية ، وكانت تأكل العَذرة ، وكل هذا في « الصحيح » لكن قول رسول الله : « إنها رجسٌ » مقدم على هذا كله ، لأنه من ظنِّ الراوي ، وقوله بخلاف التعليل بكونها رجساً » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣١) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢١٩) و(٥٥٢٤) ومسلم رقم (١٩٤١) (٣٦) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٣٣١) .

الحَبَالى من السّبي « ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر] أن يصيب امرأة من السّبي حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه » .

وهكذا روى هذا الحديث أبو داود من طريق محمد بن إسحاق ، به[١] .

ورواه الترمذيّ[٢] ، عن عمر بن حفص الشّيبانيّ[٣] ، عن ابن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن ربيعة بن سُليم ، عن بشر بن عبيد الله ، عن رُويفع بن ثابت ، مختصراً ، وقال : حسن .

وفي « صحيح البخاريّ »[٤] عن نافع ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهليّة وعن أكل الثّوم . وقد حكى ابن حزم ، عن عليّ وشريك بن الحنبل ، أنهما ذهبا إلى تحريم البصل والثّوم النِّيْءِ .

والذي نقله الترمذيّ[٥] عنهما الكراهة . فالله أعلم .

وقد تكلّم الناس في الحديث الوارد في « الصحيحين »[٦] من طريق الزهريّ ، عن عبد الله والحسن ابني محمد ابن الحنفيّة ، عن أبيهما ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الأهليّة . هذا لفظ « الصحيحين » من طريق مالك وغيره ، عن الزهريّ ، وهو يقتضي تقييد تحريم نكاح المتعة بيوم خيبر ، وهو مشكل من وجهين :

أحدهما، أن يوم خيبر لم يكن ثَمّ نساء يتمتّعون بهنّ ؛ إذ قد حصل لهم الاستغناء بالسِّباء عن نكاح المتعة .

الثاني ، أنه قد ثبت في « صحيح مسلم »[٧] عن الربيع بن سَبْرة بن مَعْبَد ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ أذن لهم في المتعة زمن الفتح ، ثم لم يخرج من مكة حتى نهى عنها ، وقال : « إن الله قد حرّمها إلى يوم القيامة » . فعلى هذا يكون قد نهى عنها ، ثم أذن فيها ، ثم حرّمت ؛ فيلزم النّسخ مرتين ، وهو بعيد . ومع هذا فقد نصَّ الشافعيّ على أنه لا يعلم شيئاً أُبيح ثم حرّم ، ثم أبيح ثم حرّم ، غير نكاح المتعة ،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/١٠٨ ـ ١٠٩) وأبو داود رقم (٢١٥٨) و(٢١٥٩) من طريق ابن إسحاق وإسناده حسن.
(٢) رقم (١١٣١) ، وهو حديث حسن كما ذكر الترمذي ونقله المصنف .
(٣) في الأصول : حفص بن عمر ، والمثبت من الترمذي .
(٤) رقم (٤٢١٥) .
(٥) رقم (١٨٠٨) و(١٨٠٩) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٢١٦) و(٥١١٥) و(٦٩٦١) ومسلم رقم (١٤٠٧) .
(٧) رقم (١٤٠٦) .

وما حداه على هذا ، رحمه الله ، إلا اعتماده على هذين الحديثين ، كما قدّمناه .

وقد حكى السهيليّ[١] وغيره ، عن بعضهم أنه ادّعى أنها أبيحت ثلاث مرات ، وحرّمت ثلاث مرات . وقال آخرون : أربع مرات . وهذا بعيد جدّاً . والله أعلم . واختلفوا ؛ أيّ وقت أول ما حرّمت ؟ فقيل : في خيبر . وقيل : في عمرة القضاء . وقيل : في عام الفتح . وهو الذي يظهر ، وقيل : في أوطاس . وهو قريب من الذي قبله . وقيل : في تبوك . وقيل : في حجّة الوداع ، رواه أبو داود[٢] .

وقد حاول بعض العلماء أن يجيب عن حديث عليّ ، رضي الله عنه ، بأنه وقع فيه تقديم وتأخير .

وإنما المحفوظ فيه ما رواه الإمام الأحمد[٣] : حدّثنا سفيان ، عن الزهريّ ، عن الحسن وعبد الله ابني محمد ، عن أبيهما ـ وكان حسن أرضاهما في أنفسهما ـ أن عليّاً قال لابن عباس : إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر . قالوا : فاعتقد الراوي أن قوله : « خيبر » . ظرف للمنهيّ عنهما ، وليس كذلك ، إنما هو ظرف للنّهي عن لحوم الحمر ، فأمّا نكاح المتعة فلم يذكر له ظرفاً ، وإنما جمعه معه ؛ لأن عليّاً ، رضي الله عنه ، بلغه أن ابن عباس أباح نكاح المتعة ، ولحوم الحمر الأهلية ، كما هو المشهور عنه ، فقال له أمير المؤمنين عليّ : إنك امرؤ تائهٌ ، إن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية يوم خيبر ، فجمع له النهي ليرجع عما كان يعتقده في ذلك من الإباحة ، وإلى هذا التقرير كان ميل شيخنا الحافظ أبي الحجّاج المزّيّ ، تغمّده الله برحمته ، آمين . ومع هذا ما رجع ابن عباس عما كان يذهب إليه من إباحة الحمر والمتعة ، أما النهي عن الحمر ، فتأوّله بأنها كانت حَمولتهم ، وأما المتعة ، فإنما كان يبيحها عند الضّرورة في الأسفار ، وحمل النهي على ذلك في حال الرّفاهية والوجدان ، وقد تبعه على ذلك طائفة من أصحابه وأتباعهم ، ولم يزل ذلك مشهوراً عن علماء الحجاز ، إلى زمن ابن جريج ، وبعده . وقد حكي عن الإمام أحمد بن حنبل رواية كمذهب ابن عباس ، وهي ضعيفة ، وحاول بعض من صنّف في الخلاف نقل رواية عن الإمام أحمد بمثل ذلك ، ولا يصحّ أيضاً ، والله أعلم . وموضع تحرير ذلك في كتاب « الأحكام » ، وبالله المستعان .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنّى الحصون والأموال، فحدّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدّثه بعضُ أَسْلَم أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : والله يا رسول الله، لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء . فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إيّاه ، فقال : « اللهم إنك قد عرفتَ حالهم ، وأن

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٦/ ٥٥٧) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٧٢) ، وهو شاذ ، والصحيح أن تحريم المتعة كان يوم الفتح كما أشار إليه المصنف .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٧٩) ، وأخرجه البخاري رقم (٥١١٥) ومسلم (١٤٠٧) من طريق سفيان وهو ابن عيينة به .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٢) .

ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إيّاه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عندهم ، وأكثرها طعاماً وودكاً » . فغدا الناس ففتح عليهم حصن الصّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

قال ابن إسحاق[١] : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهَوا إلى حصنهم الوطيح ، والسّلالم ، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعارهم يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدّثني بريدة بن سفيان الأسلميّ ، عن بعض رجال بني سلمة ، عن أبي اليَسَر كعب بن عمرو قال : إنّا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود ، تريد حصنهم ونحن محاصروهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ » قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله . قال : « فافعل » . قال : فخرجت أشتدّ مثل الظّليم ، فلمّا نظر إليّ رسول الله ﷺ مولّياً قال : « اللهم أمتعنا به » . قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أُولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أُخراها فاحتضنتهما تحت يديّ ، ثم جئت بما أشتدّ ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتاً ، وكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمتعوا بي لعمري ، حتى كنت من آخرهم [موتاً] .

وقال الحافظ البيهقيّ في « الدلائل »[٣] : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهانيّ ، ثنا أبو سعيد بن الأعرابيّ ، ثنا سعدان بن نصر ، ثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النّهديّ ، أو عن أبي قلابة قال : لما قدم النبيّ ﷺ خيبر قدم والثمرة خضِرة ، قال : فأسرع الناس فيها ، فَحُمُّوا ، فشكوا ذلك إليه ، فأمرهم أن يقرّسوا[٤] الماء في الشّنان ، ثم يحدروا عليهم بين أذاني الفجر ، ويذكروا اسم الله عليه ، ففعلوا ذلك فكأنما نشطوا من عُقُل . قال البيهقيّ : ورويناه عن عبد الرحمن بن رافع موصولاً ، وعنه : بين صلاتي المغرب والعشاء .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا يحيى وبهز ، قالا : ثنا سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد بن هلال ، ثنا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٥) .
(٣) (٤/ ٢٤٢) .
(٤) أي : أن يبرِّدوه .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٨٦) ، وهو حديث صحيح .

عبد الله بن مغفّل ، قال : دُلِّيَ جراب من شحم يوم خيبر . قال : فالتزمته ، فقلت : لا أعطي أحداً منه شيئاً . قال : فالتفتّ فإذا رسول الله ﷺ يتبسّم .

وقال أحمد(١) : ثنا عفان ، ثنا شعبة ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن مغفّل ، قال : كنا محاصرين قصر خيبر ، فأُلقي إلينا جراب فيه شحم ، فذهبت آخذه ، فرأيت النبيّ ﷺ فاستحييت . وقد أخرجه صاحبا « الصحيح » من حديث شعبة .

ورواه مسلم(٢) أيضاً عن شيبان بن فرّوخ ، عن سليمان بن المغيرة ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق(٣) : وحدّثني من لا أتّهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المزنيّ ، قال : أصبت من فيء خيبر جراب شحم . قال : فاحتملته على عنقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته ، وقال : هلمّ هذا ؛ حتى نقسمه بين المسلمين . قال : وقلت : لا والله لا أعطيكه . قال : وجعل يجاذبني الجراب . قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك فتبسّم ضاحكاً ، ثم قال لصاحب المغانم : [« لا أبا لك] ، خلّ بينه وبينه » . قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه . وقد استدلّ الجمهور بهذا الحديث على الإمام مالك ؛ في تحريمه شحوم ذبائح اليهود ـ ما كان حراماً عليهم ـ على غيرهم من المسلمين ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] . قال : لكم . قال : وليس هذا من طعامهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديث ، وفيه نظر ، وقد يكون هذا الشّحم ممّا كان حلالاً لهم . والله أعلم .

وقد استدلوا بهذا الحديث على أن الطعام لا يُخمّس .

ويَعْضُدُ ذلك ما رواه الإمام أبو داود(٤) : ثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو معاوية ، ثنا [أبو] إسحاق الشّيبانيّ ، عن محمد بن أبي مجالد ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قلتُ : هل كنتم تخمّسون الطعام في عهد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر ، فكان الرجل يجيء ، فيأخذ منه قدر ما يكفيه ، ثم ينصرف ، تفرّد به أبو داود ، وهو حسن(٥) .

* * *

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٥٥) .
(٢) رقم (١٧٧٢) (٧٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٩) .
(٤) رقم (٢٧٠٤) .
(٥) هكذا قال ، ولو قال « صحيح » لكان أحسن ، فقد رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) عن هشيم عن أبي إسحاق الشيباني ، به ، ورجال إسناده رجال الصحيح .

ذكر
قصّة صَفِيَّة بنت حُيَي بن أخطب النّضرية[١]
رضي الله عنها

وكان من شأنها أنه لما أَجلى رسول الله ﷺ يهود بني النّضير من المدينة ، كما تقدّم ، فذهب عامّتهم إلى خيبر ، وفيهم حُيَيّ بن أخطب ، وبنو أبي الحُقَيق ، وكانوا ذوي أموال وشرف في قومهم ، وكانت صَفِيّة إذ ذاك طفلة دون البُلوغ ، ثم لمّا تأهّلت للتّزويج ، تزوّجها بعض بني عمّها ، فلما زُفّت إليه وأُدخلت عليه بنى بها ، ومضى على ذلك ليالٍ ، رأت في منامها كأنّ قمر السماء قد سقط في حَجْرِهَا ، فقصّت رؤياها على ابن عَمِّهَا ، فلطم وجهها ، وقال : أتتمنّين مَلِكَ يَثْرِبَ أن يَصير بَعْلَكِ . فما كان إلا مجيء رسول الله ﷺ وحصاره إيّاهم ، وكانت صَفِيَّة في جملة السّبي ، وكان زوجها في جملة القَتْلَى . ولمّا اصطفاها رسول الله ﷺ ، وصارت في حوزه وملكه ، كما سيأتي ، وبنى بها ، بعد استبرائها [وحِلّها] ، وجد أثر [تلك] اللَّطمة في خدّها ، فسألها : « ما شأنها ؟ » فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصَّالحة ، رضي الله عنها وأرضاها .

قال البخاريّ[٢] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : صلى النبيّ ﷺ الصُّبْحَ قريباً من خيبر بغلس ثم قال : « الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا [بساحة] قومٍ فساء صباح المنذَرين » فخرجوا يسعون في السّكك ، فقتل النبيّ ﷺ المقاتلة وسبى الذُّرِّية ، وكان من السّبي صَفيَّةُ ، فصارت إلى دِحْيَةَ الكلبيّ ، ثم صارت إلى النَّبيِّ ﷺ ، فجعل عِتْقَهَا صَدَاقَها .

ورواه مسلم[٣] أيضاً من حديث حماد بن زيد ـ وله طرق ـ عن أنس .

وقال البخاريّ[٤] : ثنا آدم ، ثنا شُعبة ، عن عبد العزيز بن صهيب [قال] : سمعت أنس بن مالك يقول : سبى النبيّ ﷺ صَفِيَّة ، فأعتقها وتزوّجها . قال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها فأعتقها . تفرّد به البخاريّ من هذا الوجه .

---

(١) ترجمتها في « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٤/١٨٧١) ، و« الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين » ص(٤٥) ، و« جامع الأصول » (١٢/٢٥٩) ، و« أسد الغابة » (٧/١٦٩) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢/٢٣١) ، و« الإصابة في تمييز الصحابة » (٤/٣٤٦) ، و« شذرات الذهب » (١/٢٤٥) ، و« أعلام النساء » (٢/٣٣٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٠٠) .

(٣) رواه مسلم رقم (١٣٦٥) (٨٤ ـ ٨٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٠١) .

وقال البخاريّ[١] : ثنا عبد الغفّار بن داود ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن . [ح] وثنا أحمد [بن عيسى] ثنا ابن وهب ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهريّ ، عن عمرو مولى المطّلب ، عن أنس بن مالك قال : قدمنا خيبر ، فلمّا فتح الله [عليه] الحصن ، ذُكر له جمال صَفِيَّة بنت حُييّ بن أَخْطَب ، وقد قتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاها النبيّ ﷺ لنفسه ، فخرج بها حتى بلغ بها سدّ الصّهباء حلّت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حَيْساً في نطع صغير ، ثم قال لي : « آذن من حولك » . فكانت تلك وليمته على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبيّ ﷺ يحوّي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب . تفرّد به دون مسلم .

وقال البخاريّ[٢] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حميد أنه سمع أنساً يقول : أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال ، يُبنى عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز و[لا] لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقِط والسّمن ، فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ فقالوا : إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه . فلمّا ارتحل وطّأ لها خلفه ، ومدّ الحِجَاب . انفرد به البُخاريّ .

وقال أبو داود[٣] : ثنا مسدّد ، ثنا حمّاد بن زيد ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : صارت صفية لدِحية الكلبيّ ، ثم صارت لرسول الله ﷺ .

وقال أبو داود[٤] : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، [قال] : ثنا ابن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس قال : جمع السّبي ـ يعني بخيبر ـ فجاء دحية فقال : يا رسول الله ، أعطني جارية من السّبي . قال : « اذهب فخذ جارية » . فأخذ صفيّة بنت حييّ ، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله ، أَعطيت [دِحْيَةَ] ـ قال يعقوب : صفيّة بنت حييّ سيدة قريظة والنّضير ؟ ـ ما تصلح إلا لك . قال : « ادع بها » . فلمّا نظر إليها النبيّ ﷺ قال : « خذ جارية من السّبي غيرها » . وإن رسول الله ﷺ أعتقها وتزوّجها .

وأخرجاه[٥] من حديث ابن عُليّة .

وقال أبو داود[٦] : ثنا محمد بن خلاد الباهليّ ، ثنا بهز بن أسد ، ثنا حمّاد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٢١١) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢١٣) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٦) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٨) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧١) ، ومسلم رقم (١٣٦٥) في النكاح .
(٦) رواه أبو داود رقم (٢٩٩٧) ، وهو حديث صحيح .

أنس قال : وقع في سهم دِحْيَة جَارِيَةٌ جميلة ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها إلى أمّ سُليم تصنعها وتهيّئها . قال حمّاد : وأحسبه قال : وتعتدّ في بيتها ـ صفية بنت حُييّ . تفرّد به أبو داود .

قال ابن إسحاق(١) : فلما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بني أبي الحُقيق ، أُتي بصَفية بنت حييّ بن أخطب وبأُخرى(٢) معها ، فمرّ بهما بلال ـ وهو الذي جاء بهما ـ على قتلى من قتلى يهود ، فلمّا رأتهم التي مع صفية ، صاحت ، وصكّت وجهها ، وحثَت التراب على رأسها ، فلمّا رآها رسول الله ﷺ قال : « أعزبوا(٣) عني هذه الشيطانة » . وأمر بصَفيَّة فحِيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه . وقال رسول الله ﷺ لبلال ـ فيما بلغني ـ [حين رأى بتلك اليهودية ما رأى] : « أنُزعتْ منكَ الرحمة يا بلال حتى تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! » . وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ، أن قمراً وقع في حَجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلّا أنك تمنّين مَلِكَ الحجاز محمداً . فلطم وجهها لطمةً خَضَّر عينها منها . فأُتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها : « ما هذا ؟ » فأخبرته الخبر .

قال ابن إسحاق(٤) : وأُتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْزُ بني النّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من اليهود ، فقال لرسول الله ﷺ : إني رأيت كنانة يَطيف بهذه الخرِبة كلّ غداة . فقال رسول الله ﷺ لكنانة : « أرأيت إن وجدناه عندك أقتلُكَ ؟ » قال : نعم . فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقي ، فأبى أن يؤدّيه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزّبير بن العَوَّام فقال : « عذّبه حتى تستأصل ما عنده » . وكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

***

فصل

قال ابن إسحاق(٥) : وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنَيهم الوطيح والسُّلالم ، حتى [إذا]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٦) .
(٢) في (ط) : « وأخرى » .
(٣) أي : أبعدوا .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٦) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيّرهم[١] و[أن] يحقن دماءهم ، ففعل ، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلّها ؛ الشّقّ ، والنّطاة ، والكتيبة ، وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنَين ، فلمّا سمع [بهم] أهل فدك [قد صنعوا ما صنعوا] بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل .

[وكان ممّن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيّصة بن مسعود ، أخو بني حارثة] فلمّا نزل أهل خيبر [على ذلك] سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم [في الأموال] على النصف [وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها] فصالحهم [رسول الله ﷺ على النصف] على أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ، وعامل أهل فَدَك بمثل ذلك .

***

فصل

في فتح حصونها[٢] وقسم أرضها

قال الواقديّ[٣] : لما تحوّلت اليهود من حصن ناعم وحصن الصّعب بن معاذ إلى قلعة الزّبير ، حاصره رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له : غزّال . فقال : يا أبا القاسم ، تؤمّنني على أن أدلّك على ما تستريح به من أهل النّطاة ، وتخرج إلى أهل الشّقّ ، فإن أهل الشّقّ قد هلكوا رُعباً منك ؟ قال : فأمّنه رسول الله ﷺ على أهله وماله ، فقال له اليهوديّ : إنك لو أقمت شهراً تحاصرهم ما بالوا بك ، إنّ لهم تحت الأرض دُبُولاً يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون إلى قلعتهم . فأمر رسول الله ﷺ بقطع دُبولهم ، فخرجوا فقاتلوا أشدّ القتال ، وقتل من المسلمين يومئذ [نفر] وأصيب من اليهود عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، وكان آخر حصون النّطاة ، وتحوّل إلى الشّقّ ، وكان به حصون ذوات عُدَد ، فكان أول حصن بدأ به منها حصن أُبيّ ، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها : سُمْوَان[٤] ، فقاتل عليها أهل الحصن أشدّ القتال ، فخرج منهم رجل يقال له : عزول . فدعا إلى البِراز ، فبرز إليه الحباب بن المنذر ، فقطع يده اليمنى من نصف ذراعه ، ووقع السيف من يده ، وفرّ اليهوديّ راجعاً ، فاتّبعه الحباب فقطع عُرقوبه ، وبرز منهم آخر ، فقام إليه رجل من المسلمين ، فقتله اليهوديّ ، فنهض إليه

---

(١) في (آ) : « يسترهم » وأثبت لفظ (ط) وهو موافق لما في « السيرة النبوية » لابن هشام ، ويسيرهم : يجليهم .
(٢) أي : خيبر .
(٣) انظر « المغازي » (٢/٦٦٦) .
(٤) في « المغازي » : « سمران » .

أبو دُجانة فقتله وأخذ سلبه ، وأحجموا عن البِراز ، فكبّر المسلمون ، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه ، وأمامهم أبو دجانة ، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتقحّموا الجُدُر كأنهم الظباء ، حتى صاروا إلى حصن النّزار بالشّقّ ، وتمنّعوا أشدّ الامتناع ، فزحف إليهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فتراموا ، ورمى معهم رسول الله ﷺ بيده الكريمة ، حتى أصاب نبلُهم ثيابَه ، عليه الصلاة والسلام . فأخذ عليه السلام كفّاً من الحصا فرمى حصنهم بها ، فرجف بهم حتى ساخ في الأرض ، وأخذهم المسلمون أخذاً باليد .

وقال الواقديّ[1] : ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكَتيبة والوَطِيح والسُّلَالم ؛ حِصنَي بني أبي الحُقيق ، وتحصَّنوا أشدَّ التَّحصُّن ، وجاء إليهم كلُّ فَلٍّ كان قد انهزم من النَّطاة والشِّقّ ، فتحصَّنوا معهم في القموص ـ وهو في الكتيبة ، وكان حصناً منيعاً ـ وفي الوطيح والسُّلالم ، وجعلوا لا يطلعون من حصونهم ، حتى همَّ رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق عليهم ، فلمَّا أيقنوا بالهلكة ـ وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً ـ نزل إليه ابن أبي الحُقيق ، فصالحه على حقن دمائهم ويُسيِّرهم ، ويخلُّون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض ، والأموال ، والصَّفْرَاء ، والبيضاء ، والكراع والحَلْقة ، وعلى البزّ ، إلا ما كان على ظهر الإنسان ، يعني لباسهم ، فقال رسول الله ﷺ : « وبرئت منكم ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله إن كتمتم شيئاً » فصالحوه على ذلك .

قلت : ولهذا لما كتموا وكذبوا وأخفَوا ذلك المسك الذي كان فيه أموال جزيلة ، تبيَّن أنه لا عهد لهم ، فقتل ابن أبي الحقيق وطائفة من أهله ، بسبب نقض العهود منهم والمواثيق .

وقال الحافظ البيهقيُّ[2] : أنبأ أبو الحسن عليُّ بن محمد المقرىء الإسفراييني بها[3] ، ثنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، ثنا يوسف [بن] يعقوب ، ثنا عبد الواحد بن غياث ، ثنا حمَّاد بن سلمة ، ثنا عبيد الله بن عمر ـ فيما يحسب أبو سلمة ـ عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم ، فغلب على الأرض والزَّرع والنَّخل ، فصالحوه على أن يُجلَوا منها ، ولهم ما حملت ركابهم ، ولرسول الله ﷺ الصّفراء والبيضاء ، ويخرجون منها ، واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيِّبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمَّة لهم ولا عهد ، فغيَّبوا مَسْكاً[4] فيه مال وحليٌّ لحييٍّ بن أخطب ، وكان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النَّضير ، فقال رسول الله ﷺ لعمِّ حييٍّ : « ما فعل مَسك حييٍّ الذي جاء به من النضير ؟ » فقال : أذهبته النَّفقات والحروب . فقال : « العهد قريب والمال أكثر من ذلك » .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٦٧٠) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٢٩) .
(٣) لفظ « بها » لم يرد في (ط) .
(٤) المسك : الجلد .

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزُّبير ، فمسَّه بعذاب ، وقد كان حُييٌّ قبل ذلك دخل خَرِبةً ، فقال : قد رأيت حييّاً يطوف في خَرِبةٍ هاهنا . فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحُقيق ، وأحدهما زوج صَفية بنت حييِّ بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريَّهم ، وقسم أموالهم بالنَّكث الذي نكثوا ، وأراد إجلاءهم منا ، فقالوا : يا محمد ، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها . ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرُغون أن يقوموا عليها ، فأعطاهم خيبر على أنَّ لهم الشَّطر من كلِّ زرع ونخيل وشيءٍ ما بدا لرسول الله ﷺ ، وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كلَّ عام فيخرصها عليهم ، ثم يضمِّنهم الشَّطر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خَرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله ، تطعموني السُّحت ، والله لقد جئتكم من عند أحبِّ الناس إليَّ ، ولأنتم أبغض إليَّ من عدَّتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحبِّي إياه على أن لا أعدل عليكم . فقالوا : بهذه قامت السموات والأرض . قال : فرأى رسول الله ﷺ بعين صفية خُضرة ، فقال : « ياصفية ، ما هذه الخضرة ؟ » فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت كأنَّ قمراً وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فَلَطَمَني ، وقال : تتمنَّين مَلِكَ يثرب ؟! قالت : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليَّ ؛ قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إليَّ ويقول : « إن أباكِ ألَّب عليَّ العرب » . وفعل وفعل ، حتى ذهب ذلك من نفسي . وكان رسول الله ﷺ يعطي كلَّ امرأة من نسائه ثمانين وَسقاً من تمر كلَّ عام ، وعشرين وسقاً من شعير ، فلمَّا كان في زمان عمر غشُّوا المسلمين ، وألقَوا ابن عمر من فوق بيت ففدعوا يديه[(١)] ، فقال عمر : من كان له سهم بخيبر فليحضر حتى نقسمها . فقسمها بينهم . فقال رئيسهم : لا تخرجنا ، دعنا نكون فيها كما أقرَّنا رسول الله ﷺ وأبو بكر . فقال عمر لرئيسهم : أتُراني سقط عني قول رسول الله ﷺ : « كيف بك إذا رقصت بك راحلتك نحو الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً ؟ » وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحُديبية .

وقد رواه أبو داود[(٢)] مختصراً من حديث حمَّاد بن سلمة .

قال البيهقيُّ[(٣)] : علَّقه البخاريُّ في « كتابه » فقال : ورواه حمَّاد بن سلمة . قلت : ولم أره في « الأطراف »[(٤)] فالله أعلم .

وقال أبو داود[(٥)] : وحدَّثني سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني أُسَامة بن زيد اللَّيثيُّ ،

---

(١) يعني أن تزول المفاصل عن أماكنها .
(٢) في « سننه » رقم (٣٠٠٦) ، وإسناده حسن .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٣١) .
(٤) إنما علَّقه البخاري بعد الحديث (٢٧٣٠) من حديث ابن عمر عن أبيه ، وذكره المزي في « أطرافه » كذلك .
(٥) في « سننه » رقم (٣٠٠٨) ، وإسناده حسن .

عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : لما فتحت خيبر سألتْ يهودُ رسول الله ﷺ أن يقرَّهم ، على أن يعملوا على النصف مما خرج منها ، فقال رسول الله ﷺ : « أقرُّكم فيها على ذلك ما شئنا » . فكانوا على ذلك ، وكان التمر يقسم على السُّهمان من نصف خيبر ، ويأخذ رسول الله ﷺ الخمس ، وكان أطعم كلَّ امرأة من أزواجه من الخمس مئة وَسق [من] تمر ، وعشرين وسقاً [من] شعير ، فلما أراد عمر إخراج اليهود ، أرسل إلى أزواج النبيِّ ﷺ فقال لهن : من أحبَّ منكن أن أقسم لها نخلاً بخَرصها مئة وسق ، فيكون لها أصلها وأرضها وماؤها ، ومن الزرع مزرعةً عشرين وسقاً من شعير فعلنا ، ومن أحبَّ أن نعزل الذي لها في الخمس كما هو فعلنا .

وقد روى أبو داود[١] من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أن عمر قال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شاء ، فمن كان له مال فليلحق به ، فإني مخرج يهود . فأخرجهم .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا يحيى بن بكير ، ثنا اللَّيث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشَيت أنا وعثمان بن عفان إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أعطيتَ بني المطَّلب من خمس خيبر وتركتنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك . فقال : « إنما بنو هاشم وبنو المطَّلب شيء واحد » . قال جُبير بن مُطْعم : ولم يقسم النبيُّ ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً .

وفي لفظ[٣] : أن رسول الله ﷺ قال : « إن بني هاشم وبني المطَّلب شيء واحد ، إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » .

قال الشافعيُّ : دخلوا معهم في الشِّعب ، وناصروهم في إسلامهم وجاهليتهم .

قلت : وقد ذمَّ أبو طالب بني عبد شمس وبني نوفل حيث يقول :

جَزَى الله عَنَّا عبد شمس ونَوفلاً ... عقوبة شرٍّ عاجلاً غير آجلِ

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا الحسن بن إسحاق ، ثنا محمد بن سابق ، ثنا زائدة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً . قال : فسَّره نافع فقال : إذا كان مع الرجل فرس ، فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن معه فرس ، فله سهم .

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠٠٧) ، وهو حديث صحيح .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٢٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٢٩٨٠) والنسائي رقم (٤١٤٨) ، وهو حديث صحيح .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٢٨) .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا سعيد بن أبي مريم ، ثنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد ، عن أبيه ، أنه سمع عمر بن الخطّاب يقول : أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس بَبَّاناً[٢] ليس لهم شيء ، ما فتحت عليَّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبيُّ ﷺ خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها . وقد رواه البخاريُّ أيضاً[٣] من حديث مالك ، وأبو داود ، عن أحمد بن حنبل ، عن ابن مهديٍّ ، عن مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، به . وهذا السياق يقتضي أنَّ خيبر بكمالها قسمت بين الغانمين .

وقد قال أبو داود[٤] : ثنا ابن السَّرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال . وبهذا قال الزهريُّ[٥] : خمَّس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرها على من شهدها .

وفيما قاله الزُّهريُّ نظر ؛ فإن الصحيح أن خيبر جميعها لم تقسم ، وإنما قسم نصفها بين الغانمين كما سيأتي بيانه ، وقد احتجَّ بهذا مالك ومن تابعه على أن الإمام مخيَّر في الأراضي المغنومة ؛ إن شاء قسمها ، وإن شاء أرصدها لمصالح المسلمين ، وإن شاء قسم بعضها وأرصد بعضها لما ينوبه في الحاجات والمصالح .

قال أبو داود : حدَّثنا الربيع بن سليمان المؤذِّن ، ثنا أسد بن موسى ، حدَّثنا يحيى بن زكريا ، حدَّثني سفيان، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ، عن سهل بن أبي حثمة ، قال : قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين ؛ نصفاً لنوائبه [وحاجته] ، ونصفاً بين المسلمين ، قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . تفرَّد به أبو داود . ثم رواه أبو داود من حديث بُشير بن يسار مرسلاً[٦] ، فعيَّن نصف النَّوائب ؛ الوطيح والكتيبة والسُّلالم وما حِيز معها ، ونصف المسلمين ؛ الشِّقَّ والنَّطاة وما حيز معهما ، وسهم رسول الله ﷺ فيما حيز معهما .

وقال أيضاً[٧] : ثنا حسين بن عليٍّ ، ثنا محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن بُشَير بن يسار ، مولى الأنصار ، عن رجال من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر فقسمها على

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٥) .
(٢) أي شيئاً واحداً .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٢٥) وأبو داود (٣٠٢٠) .
(٤) في « سننه » رقم (٣٠١٨) ، وبلاغ ابن شهاب هذا إسناده صحيح .
(٥) رواه أبو داود رقم (٣٠١٩) ورواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٩٧٣٨) عن معمر عن الزهري .
(٦) في « سننه » رقم (٣٠١٠) و(٣٠١٣) ، هكذا رواه أبو داود موصولاً مرسلاً وإسناد الموصول صحيح . ورواه الطبراني في الكبير رقم (٥٦٣٤) والبيهقي في السنن (٦/ ٣١٧) .
(٧) يعني أبو داود في « سننه » رقم (٣٠١٢) ، ورواه أيضاً أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٦ـ ٣٧) وإسناده صحيح .

ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلُّ سهم مئة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الثاني لمن نزل به من الوفود والأمور ونوائب الناس . تفرَّد به أبو داود .

قال أبو داود[١] : ثنا محمد بن عيسى ، ثنا مجمِّع بن يعقوب بن مجمِّع بن يزيد الأنصاريُّ ، سمعت أبي يعقوب بن مجمِّع يقول ، عن عمِّه عبد الرحمن بن يزيد الأنصاريِّ ، عن عمِّه مجمِّع بن جارية الأنصاريِّ ـ وكان أحد القرَّاء الذين قرؤوا القرآن ـ قال : قسمت خيبر على أهل الحديبية ، فقسمها رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً ، وكان الجيش ألفاً وخمسمئة ، فيهم ثلاثمئة فارس ، فأعطى الفارس سهمين ، وأعطى الراجل سهماً . تفرَّد به أبو داود .

وقال مالك : عن الزهريِّ ، أن سعيد بن المسيَّب أخبره أن النبيَّ ﷺ افتتح بعض خيبر عنوة . رواه أبو داود[٢] . ثم قال أبو داود[٣] : قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، حدَّثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب : أن خيبر بعضها كان عنوة ، وبعضها صلحاً ، والكَتيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح . قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عَذق .

قال أبو داود : والعَذق : النَّخلة . والعِذق : العُرجون[٤] .

ولهذا قال البخاريُّ[٥] : ثنا محمد بن بشَّار ، ثنا حرميٌّ ، ثنا شعبة ، ثنا عُمارة ، عن عكرمة ، عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

ثنا الحسن ، ثنا قرَّة بن حبيب ، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : ما شبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : كانت الشِّقُّ والنَّطاة في سهمان المسلمين ؛ الشِّقُّ ثلاثة عشر سهماً ، ونطاة خمسة أسهم ، قسم الجميع على ألف وثمانمائة سهم ، ودفع ذلك إلى من شهد الحديبية ؛ من

---

(١) في « سننه » رقم (٣٠١٥) ، ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٠) وإسناده ضعيف ، فإن يعقوب بن مجمع بن جارية وإن كان حسن الحديث لكنه تفرد به وخولف فيه ، كما بينه الإمام ابن القيّم في زاد المعاد (٣/ ٢٩٤) (بشار) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠١٧) ، وهو حديث مرسل ، لكنه ثابت من طرق عديدة صحيحة ، لذلك قال ابن عبد البر في كتابه « التمهيد ٦/ ٤٤٥ » : أجمع العلماء على أن خيبر كان بعضها عنوة وبعضها صلحاً ، وأن رسول الله ﷺ قسمها فما كان منها صلحاً أو أخذ بغير قتال كالذي جلا عنه أهله عمل ذلك بسنة الفيء ، وما كان منها عنوة عمل فيه بسنة الغنائم ، إلا أن ما فتحه الله عليه منها عنوة قسمه بين أهل الحديبية وبين من شهد الوقعة » (بشار) .

(٣) بعد الرقم (٣٠١٧) ، وإسناده ضعيف .

(٤) هذا التفسير من كلام الخطابي ، ولم نره عند أبي داود .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٢) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

حضر خيبر ومن غاب عنها ، ولم يغِب عن خيبر ممَّن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله ، فضرب له بسهمه . قال : وكان أهل الحديبية ألفاً وأربعمئة ، وكان معهم مئتا فرس ، لكل فرس سهمان ، فصُرف إلى كلِّ مئة رجل سهمٌ من ثمانية عشر سهماً ، وزيد المئتا فارس أربعمئة سهمٍ لخيولهم .

وهكذا رواه البيهقيُّ[1] من طريق سفيان بن عيينة ، عن يحيى بن سعيد ، عن صالح بن كيسان أنهم كانوا ألفاً وأربعمئة ، ومئتا فرس .

قلت : وضرب رسول الله ﷺ معهم بسهم ، وكان أول سهم من سهمان الشِّقِّ مع عاصم بن عديٍّ .

قال ابن إسحاق[2] : وكانت الكتيبة خُمُساً لله تعالى ، وسهم النبيِّ ﷺ ، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعمة أزواج النَّبيِّ ﷺ ، وطعمة أقوام مشوا في صلح أهل فدك ، منهم محيِّصة بن مسعود ، أقطعه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من تمر ، وثلاثين وَسقاً من شعير . قال : وكان واديا اللَّذان قسِّمت عليه يقال لهما : وادي السُّرير ووادي خاص . ثم ذكر ابن إسحاق تفاصيل الإقطاعات منها فأجاد وأفاد ، رحمه الله .

قال : وكان الذي ولي قسمتها وحسابها جبَّار بن صخر بن أُمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، وزيد بن ثابت ، رضي الله عنهما . قلت : وكان الأميرَ على خرص نخيل خيبر عبدُ الله بن رواحة ، فخرصها سنتين ، ثم لما قُتل ، رضي الله عنه ـ كما سيأتي في يوم مؤتة ـ ولي بعده جبَّار بن صخر ، رضي الله عنه .

وقد قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا إسماعيل ، حدَّثني مالك ، عن عبد المجيد بن سُهيل ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي سعيد الخدريِّ وأبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر ، فجاءه بتمرٍ جَنيبٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « كلُّ تمر خيبر هكذا ؟ » قال : لا والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة . فقال : « لا تفعل ، بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جَنيباً » .

قال البخاريُّ : وقال الدَّراورديُّ ، عن عبد المجيد ، عن سعيد بن المسيِّب أن أبا سعيد وأبا هريرة حدَّثاه أن رسول الله ﷺ بعث أخا بني عديٍّ من الأنصار إلى خيبر وأمَّره عليها . وعن عبد المجيد ، عن أبي صالح السَّمَّان ، عن أبي سعيد وأبي هريرة ، مثله .

قلت : كان سهم النبيِّ ﷺ الذي أصاب مع المسلمين مما قسم بخيبر وفدك بكمالها ـ وهي طائفة كبيرة من أرض خيبر ، نزلوا من شدة رعبهم منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فصالحوه ـ وأموال بني النَّضير ، المتقدِّم ذكرها ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت هذه الأموال لرسول الله ﷺ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/٢٣٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » (٢/٣٤٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٤) و(٤٢٤٥) .

خاصة ، وكان يعزل منها نفقة أهله لسنة ، ثم يجعل ما بقي مَجعل مال الله ؛ يصرفه في الكراع والسلاح ومصالح المسلمين ، فلمَّا مات ، صلوات الله وسلامه عليه ، اعتقدت فاطمة وأزواج النبيِّ ﷺ ـ أو أكثرهن ـ أن هذه الأراضيَ تكون موروثة عنه ، ولم يبلغهن ما ثبت عنه من قوله ﷺ : « نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة »[(١)] . ولمَّا طلبت فاطمة وأزواج النبيِّ ﷺ والعباس نصيبهم من ذلك ، وسألوا الصِّدِّيق أن يسلمه إليهم ، ذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة » . وقال : أنا أعول من كان يعول رسول الله ﷺ ، والله لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي . وصدق ، رضي الله عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشد في ذلك ، التابع للحقِّ ، وطلب العباس وعليٌّ ـ على لسان فاطمة ، إذ قد فاتهم الميراث ـ أن ينظرا في هذه الصدقة ، وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبيُّ ﷺ يصرفها فيها ، فأبى عليهم الصِّدِّيق ذلك ، ورأى أنَّ حقّاً عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله ﷺ ، وأن لا يخرج من مسلكه ولا عن سننه . فتغضَّبت فاطمة ، رضي الله عنها ، عليه في ذلك ، ووجدت في نفسها بعض الموجدة ، ولم يكن لها ذلك ، والصديق من قد عرفت هي والمسلمون محلَّه ومنزلته من رسول الله ﷺ ، وقيامه في نصرة النبيِّ ﷺ في حياته وبعد وفاته ، فجزاه الله عن نبيِّه وعن الإسلام وأهله خيراً ، وتوفِّيت فاطمة ، رضي الله عنها ، بعد ستة أشهر ، ثم جدَّد عليٌّ البيعة بعد ذلك ، فلما كان أيام عمر بن الخطاب ، سألوه أن يفوِّض أمر هذه الصدقة إلى عليٍّ ، والعباس ، وثقَّلوا عليه بجماعة من سادات الصحابة ، ففعل عمر ، رضي الله عنه ، ذلك ، وذلك لكثرة أشغاله واتساع مملكته وامتداد رعيَّته ، فتغلَّب على عليٍّ عمُّه العباس فيها ، ثم تساوقا يختصمان إلى عمر ، وقدَّما بين أيديهما جماعة من الصحابة ، وسألا منه أن يقسمها بينهما ، فينظر كلٌّ منهما فيما لا ينظر فيه الآخر . فامتنع عمر من ذلك أشدَّ الامتناع ، وخشي أن تكون هذه القسمة تشبه قسمة المواريث ، وقال : انظرا فيها وأنتما جميع ، فإن عجزتما عنها فادفعاها إليَّ ، والذي تقوم السماء والأرض بأمره لا أقضي فيها قضاء غير هذا . فاستمرَّا فيها ، ومن بعدهما من ولدهما إلى أيام بني العباس ، تصرف في المصارف التي كان رسول الله ﷺ يصرفها فيها ، أموال بني النَّضير وفدك ، وسهم رسول الله ﷺ من خيبر .

* * *

---

(١) قال الحافظ في « الفتح » عند الحديث رقم (٦٧٣٠) : الحديث بهذا اللفظ مما اشتهر في كتب الأصول وغيرهم ، وقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ « نحن » لكن أخرجه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٦٣٠٩) بلفظ « إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة » . من حديث عمر رضي الله عنه ، بإسناد صحيح ، وهو بلفظ « لا نورث ما تركنا صدقة » في « البخاري » رقم (٦٧٢٨) ومسلم رقم (١٧٥٧) من حديث عمر رضي الله عنه ، ومن حديث غيره من الصحابة .

فصل

وأما من شهد خيبر من العبيد والنساء، فرضخ[١] لهم رسول الله ﷺ شيئاً من الغنيمة، ولم يسهم لهم .

قال أبو داود[٢] : ثنا أحمد بن حنبل ، ثنا بشر بن المفضَّل ، عن محمد بن زيد ، حدَّثني عمير مولى آبي اللَّحم قال : شهدت خيبر مع سادتي ، فكلَّموا فيَّ رسول الله ﷺ ، فأمر بي فقلِّدت سيفاً ، فإذا أنا أجرُّه ، فأخبر أني مملوك ، فأمر لي بشيء من خرثيِّ المتاع .

ورواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[٣] جميعاً، عن قتيبة عن بشر بن المفضَّل [به . وقال الترمذيُّ: حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه[٤] ، عن عليِّ بن محمد ، عن وكيع ، عن هشام بن سعد] عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ ، عن عمير ، به .

وقال محمد بن إسحاق[٥] : وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء ، فرضخ لهنَّ [من الفيء][٦] ولم يضرب لهنَّ بسهم، حدَّثني سليمان بن سحيم، عن أمية بنت أبي الصَّلت، عن امرأة من بني غفار قد سمَّاها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ فنداوي الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا . فقال : «على بركة الله». قالت: فخرجنا معه . قالت : وكنت جارية حدثة [السنِّ] ، فأردفني رسول الله ﷺ على حقيبة رحله . [قالت] : فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح [وأناخ][٧] ونزلت عن حقيبة رحله . [قالت:] وإذا بها دم مني، وكانت أول حيضة حضتها. قالت : فتقبَّضت إلى الناقة واستحييت . فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ما بي ، ورأى الدم ، قال : « ما لك ؟ لعلك نفست ؟ » قالت : نعم . قال : « فأصلحي من نفسك ، ثم خذي إناء من ماء ، فاطرحي فيه ملحاً ، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودي لمركبك » . قالت: فلمَّا فتح الله خيبر ، رضخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي ، فأعطانيها وعلَّقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني [أبداً] . وكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها. قالت: وكانت لا تطَّهَّر من حيضها إلَّا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

---

(١) الرَّضخ : عطاء من الغنيمة غير محدد .
(٢) في « سننه » رقم (٢٧٣٠) .
(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٥٧) والنسائي رقم (٧٥٣٥) .
(٤) رواه ابن ماجه رقم (٢٨٥٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .
(٦) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .
(٧) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٢) .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود[(١)] ، من حديث محمد بن إسحاق ، به .

قال شيخنا أبو الحجَّاج المزِّيُّ في « أطرافه »[(٢)] : ورواه الواقديُّ ، عن أبي بكر بن أبي سبرة ، عن سليمان بن سحيم ، عن أمِّ عليٍّ بنت أبي الحكم ، عن أميَّة بنت أبي الصَّلت ، عن النبيِّ ﷺ به .

وقال الإمام أحمد[(٣)] : ثنا حسن بن موسى ، ثنا رافع بن سلمة الأشجعيُّ ، حدَّثني حشرج بن زياد ، عن جدَّته أمِّ أبيه ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة خيبر ، وأنا سادسة ستِّ نسوة . قالت : فبلغ النبيَّ ﷺ أنَّ معه نساء . قالت : فأرسل إلينا فدعانا . قالت : فرأينا في وجهه الغضب ، فقال : « ما أخرجكن ، وبأمر من خرجتن ؟ » قلنا : خرجنا نناول السهام ، ونسقي السَّويق ، ومعنا دواء للجرحى ، ونغزل الشَّعر فنعين به في سبيل الله . قال : « قمن فانصرفن » . قالت : فلمَّا فتح الله عليه خيبر أخرج لنا سهاماً كسهام الرجال . فقلت لها : يا جدَّة ، وما الذي أخرج لكنَّ ؟ قالت : تمراً .

قلت : إنما أعطاهن من الحاصل ، فأمَّا أنه أسهم لهن في الأرض كسهام الرجال فلا . والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[(٤)] : وفي كتابي ، عن أبي عبد الله الحافظ ، أن عبد الله الأصبهانيَّ أخبره ، حدَّثنا الحسين بن الجهم ، ثنا الحسين بن الفرج ، ثنا الواقديُّ ، حدَّثني عبد السلام بن موسى بن جبير ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، ومعي زوجي وهي حبلى ، فنفست في الطريق ، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال لي : « انقع [لها] تمراً ، فإذا انغمر بلُّه ، فامرثه لتشربه » . ففعلت ، فما رأت شيئاً تكرهه ، فلما فتحنا خيبر أَجْدَى[(٥)] النساء ، [و] لم يسهم لهن ، فَأَجْدَى زوجتي وولدي الذي ولد . قال عبد السلام : لست أدري غلام أو جارية .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ومن كان بقي بالحبشة ممن هاجر إليها من المسلمين ،
ومن انضمَّ إليهم من أهل اليمن ، على رسول الله ﷺ وهو مخيِّم بخيبرَ[(٦)]

قال البخاريُّ[(٧)] : ثنا [محمد] بن العلاء ، ثنا أبو أُسامة ، ثنا بُرَيد بن عبد الله بن أبي بُرْدَة ، عن أبي

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٣٨٠) وأبو داود رقم (٣١٣) وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » (١٣/ ١٢٣) بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدِّين رحمه الله ، وانظر « المغازي » (٢/ ٦٨٥) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٣٧١) وإسناده ضعيف .

(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .

(٥) أي : أعطى .

(٦) نصّ العنوان في (ط) : « ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب ومسلمو الحبشة المهاجرون » وعبارة « رضي الله عنه » زيادة مني .

(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٠) و(٤٢٣٢) .

بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : بلغنا مخرج النبيِّ ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي ، أنا أصغرهم ؛ [أحدهما] أبو بُردة ، والآخر أبو رُهم ـ إمَّا قال : في بضع . وإما قال : في ثلاثة وخمسين ، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ـ فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشيِّ بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب ، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً ، فوافقنا النبيَّ ﷺ حين افتتح خيبر ، فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ سبقناكم بالهجرة . ودخلت أسماء بنت عميس ، وهي ممن قدم معنا ، على حفصة زوج النبيِّ ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشيِّ فيمن هاجر ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس . قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ قالت أسماء : نعم . قال : سبقناكم [بالهجرة] فنحن أحقُّ برسول الله [ﷺ] منكم . فغضبت وقالت : كلَّا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار ـ أو [في] أرض ـ البُعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ ، وايم الله لا أطعم ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت للنبيِّ ﷺ وأسأله ، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه . فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ قالت : يا نبيَّ الله ، إن عمر قال كذا وكذا . قال : « فما قلت له ؟ » قالت : قلت كذا وكذا . قال : « ليس بأحقَّ بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » . قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبيُّ . قال أبو بردة : قالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى ، وإنه ليستعيد هذا الحديث مني .

وقال أبو بُرْدَة ، عن أبي موسى ، قال النبيُّ ﷺ : « إني لأعرف أصوات رُفْقَة الأَشعريِّين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم [بن حِزَام] ، إذا لقي العدوَّ ـ أو قال : الخيل ـ قال لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم » .

وهكذا رواه مسلم[١] ، عن أبي كريب وعبد الله بن برَّاد ، عن أبي أسامة ، به .

ثم قال البخاريُّ[٢] : حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم ، ثنا حفص بن غياث ، ثنا بريد بن عبد الله بن أبي بُردة ، عن أبي بُردة ، عن أبي موسى قال : قدمنا على النبيِّ ﷺ بعد أن افتتح خيبر ، فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا . تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم[٣] .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٥٠٢) و(٢٥٠٣) .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٣٣) .

(٣) هكذا قال ، وهو وهم منه رحمه الله ، فإن مسلماً رواه في صحيحه رقم (٢٥٠٢) ضمن الحديث الذي تقدم ذكره عند المصنف ونسبه هو إلى مسلم ، فهما واحد ، وقد نص المزي على ذلك في تحفة الأشراف (رقم ٩٠٤٩) ، لكن=

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ وصحَّحه من حديث بُريد ، به[١] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق[٢] أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْريَّ إلى النجاشيِّ ، يطلب منه من بقي من أصحابه بالحبشة ، فقدموا صحبة جعفر وقد فتح النبيُّ ﷺ خيبر .

قال [ابن هشام][٣] : وذكر سفيان بن عُيينة ، عن الأجلح ، عن الشعبيِّ ، أن جعفر بن أبي طالب قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر ، فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه ، وقال : « ما أدري بأيِّهما أنا أسرُّ ؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » وهكذا رواه سفيان الثَّوريُّ ، عن الأجلح ، عن الشعبيِّ مرسلاً .

وأسند البيهقيُّ[٤] ، من طريق حسن بن حسين العُرَنيِّ عن الأجلح ، عن الشعبيِّ ، عن جابر قال : لما قدم رسول الله ﷺ من خَيبر قدم جعفر من الحبشة ، فتلقَّاه وقبَّل جبهته وقال : « والله ما أدري بأيِّهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جَعْفَرَ » .

ثم قال البيهقيُّ[٥] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو الحسين بن أبي إسماعيل العلويُّ ، ثنا أحمد بن محمد البَيْرُوتيُّ ، ثنا محمد بن أحمد بن أبي طيبة ، حدثني مكِّيُّ بن إبراهيم الرُّعينيُّ ، ثنا سُفيان الثَّوريُّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة ، تلقَّاه رسول الله ﷺ ، فلمَّا نظر جعفر إليه حَجَلَ - قال مكيٌّ : يعني مشى على رجل واحدةٍ ؛ إعظاماً لرسول الله ﷺ - فقبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه . ثم قال البيهقيُّ : في إسناده من لا يعرف إلى الثَّوريِّ .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان الذين تأخَّروا مع جعفر من أهل مَكَّة إلى أن قدموا معه خيبر ستة عشر رجلاً . وسرد أسماءهم وأسماء نسائهم وهم ؛ جعفر بن أبي طالب الهاشميُّ ، وامرأته أسماء بنت عُمَيس ، وابنه عبد الله ، ولد بالحبشة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس ، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد ، وولداه سعيد وأَمَةُ بنت خالدٍ ، ولدا بأرض الحبشة ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، ومُعَيقيب بن أبي فاطمة ، وكان إلى آل سعيد بن العاص .

قال : وأبو موسى الأشعريُّ عبد الله بن قيس ، [حليف] آل عُتبة بن ربيعة ، وأسود بن نوفل بن

= البخاري يقطِّع الحديث كما هو معروف من منهجه. وانظر كتابنا المسند الجامع ١١/ ٤٢٥ - ٤٢٧ حديث رقم (٨٩٠٧) (بشار) .

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٢٥) والترمذي رقم (١٥٥٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) وما بين الحاصرتين مستدرك منه .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٦) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٦) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٩) .

خُويلد بن أسد الأسديُّ ، وجهم بن قيس [بن عبد شرحبيل] العبدريُّ ، وقد ماتت امرأته أمُّ حَرْمَلَة [بنت] عبد الأسود بأرض الحبشة ، وابنه عمرو وابنته خُزَيمة ماتا بها ، رحمهم الله ، وعامر بن أبي وقّاص الزُّهريُّ ، وعُتبة بن مسعود ، حليف لهم من هُذَيل ، والحارث بن خالد بن صخر التَّيميُّ ، وقد هلكت بها امرأته ريطة بنت الحارث ، رحمها الله ، وعُثمان بن ربيعة بن أُهبان الجمحيُّ ، ومحمية بن جزء الزُّبيديُّ حليف بني سهم ، ومعمر بن عبد الله بن نضلة العدويُّ ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس العامريان ، ومع مالك هذا امرأته عَمْرَة بنت السَّعديِّ ، والحارث بن عبد قيس بن لقيط الفِهْريُّ .

قلت : ولم يذكر ابن إسحاق الأشعريِّين الذين كانوا مع أبي موسى [الأشعريِّ] وأخويه أبا بُرْدَة وأبا رهم ، وعمَّه أبا عامر ، بل لم يذكر من الأشعريِّين غير أبي موسى ، ولم يتعرَّض لذكر أخويه وهما أسنّ منه ، كما تقدَّم في « صحيح البخاريِّ » . وكأنَّ ابن إسحاق ، رحمه الله ، لم يطَّلع على حديث أبي موسى في ذلك ، والله أعلم .

قال : وقد كان معهم في السفينتين نساء ، من نساء من هلك من المسلمين هناك . وقد حرَّر هاهنا شيئاً كثيراً حسناً .

قال البخاريُّ[1] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سُفيان ، سمعت الزُّهْريَّ وسأله إسماعيل بن أُمَيّة ، قال : أخبرني عنبسة بن سعيد ، أن أبا هُريرة أتى رسول الله ﷺ فسأله ـ يعني أن يقسم له ـ فقال بعض بني سعيد بن العاص : لا تعطه . فقال أبو هُريرة : هذا قاتل ابن قَوقَل . فقال : واعجباً لوبرٍ تدلَّى من قَدُوم الضأن ، تفرَّد به دون مسلم .

قال البخاريُّ[2] : ويذكر عن الزّبيديِّ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني عَنْبَسَة بن سعيد ، أنه سمع أبا هُريرة يخبر سعيد بن العَاص قال : بعث رسول الله ﷺ [أباناً] على سرية من المدينة قبل نجد .

قال أبو هريرة : فقدم أبان وأصحابه على النبيِّ ﷺ بخيبر بعد ما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف . قال أبو هريرة : فقلت : يا رسول الله ، لا تقسم لهم . فقال أبان : وأنت بهذا يا وبر تحدَّر من رأس ضال ؟ فقال النبيُّ [ﷺ] : « يا أبان ، اجلس » . ولم يقسم لهم .

وقد أسند أبو داود[3] هذا الحديث ، عن سعيد بن منصور ، عن إسماعيل بن عيَّاش ، عن محمد بن الوليد الزُّبيديِّ ، به نحوه .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٧) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٨) .
(٣) في « سننه » رقم (٢٧٢٣) .

ثم قال البخاريُّ[١] : ثنا موسى بن إسماعيل ، وثنا عمرو بن يحيى بن سعيد ، أخبرني جدِّي ـ وهو سعيد بن عمرو بن سعيد بن العَاص ـ أن أبان بن سعيد أقبل إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم عليه ، فقال أبو هُريرة : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوقَل . فقال أَبَانُ لأبي هُريرة : واعجباً لك ، وَبرٌ تردَّى من قدوم ضالٍ[٢] تنعى عليَّ امْرَأً أكرمه الله بيدي ، ومنعه أن يهينني بيده . هكذا رواه منفرداً به هاهنا .

وقال في الجهاد[٣] : حدَّثنا الحُميديُّ ، عن سُفْيَان ، عن الزُّهريِّ ، عن عَنْبَسَة بن سعيد ، عن أبي هُريرة قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعد ما افتتحها ، فقلت : يا رسول الله ، أسهم لي . فقال بعض آل سعيد بن العاص : لا تقسم له . فقلت : يا رسول الله ، هذا قاتل ابن قَوقَل . الحديث .

قال سفيان : حدَّثنيه السَّعيديُّ ـ يعني عمرو بن يحيى بن سعيد ـ عن جدِّه ، عن أبي هريرة بهذا . ففي هذا الحديث التصريح من أبي هُريرة بأنه لم يشهد خيبر ، وتقدَّم في أول هذه الغزوة ، رواه الإمام أحمد[٤] من طريق عراك بن مالك ، عن أبي هُريرة ، وأنه قدم على رسول الله ﷺ بعد ما افتتح خيبر ، فكلَّم المسلمين ، فأشركونا في أسهامهم .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا روح ، ثنا حمَّاد بن سَلَمة ، عن عليِّ بن زيد ، عن عمَّار بن أبي عمَّار قال : قال أبو هُريرة : ما شهدت مع رسول الله ﷺ مغنماً قطُّ إلا قسم لي ، إلّا خيبر ، فإنها كانت لأهل الحُديبية خاصة .

قلت : وكان أبو هريرة وأبو موسى ، جاءا[٦] بين الحُديبية وخَيبر .

وقد قال البخاريُّ[٧] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا معاوية بن عمرو ، ثنا أبو إسحاق ، عن مالك بن أنس ، حدَّثني سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : افتتحنا خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة ، إنما غنمنا الإبل ، والبقر ، والمتاع ، والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، ومعه عبد له يقال له : مِدْعَمٌ . أهداه له بعض بني الضُّبيب ، فبينما هو يحطُّ رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر ، حتى أصاب ذلك العبد ، فقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلا ، والذي نفسي بيده إنَّ الشَّملة التي أصابها يوم خيبر : لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٩) .
(٢) كذا في (آ) و(ط) : « ضالٍ » وفي : « صحيح البخاري » : « ضأن » .
(٣) يعني البخاري في « صحيحه » رقم (٢٨٢٧) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٥) . وإسناده صحيح .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٣٥) . وإسناده ضعيف ، ومتنه منكر .
(٦) يعني أسلما .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٢٣٤) .

فجاء رجل حين سمع ذلك من رسول الله ﷺ بشراك أو شراكين فقال : هذا شيء كنت أصبته . فقال رسول الله ﷺ : « شراك أو شراكان من نار » .

ذكر
قصَّة الشَّاة المَسْمُومَة
وما كان من أمر البرهان الذي ظهر عندها

قال البخاريُّ[١] : رواه عُرْوَة ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ . ثم قال : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا اللَّيث ، حدَّثني سعيد ، عن أبي هريرة قال : لما فُتحت خيبر أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سَمٌّ . هكذا أورده هاهنا مختصراً .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا حَجَّاج ، ثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هُريرة قال : لما فتحت خيبر أُهديت للنبيِّ ﷺ شاة فيها سمٌّ ، فقال رسول الله ﷺ : « اجْمَعوا لي من كان هاهنا من اليهود » . فجمعوا له ، فقال رسول الله ﷺ : « إنِّي سائلكم عن شيء ، فهل أنتُم صَادِقِيَّ عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال لهم رسول الله ﷺ : « من أَبُوكم ؟ » قالوا : أَبُونا فلان . فقال رسول الله ﷺ : « كذبتم ، بل أبوكم فُلان » . قالوا : صدقت وبررت . فقال : « هل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كذبنا ، كما عرفته في أبينا . فقال رسول الله ﷺ : « من أهل النار ؟ » . فقالوا : نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها . فقال لهم رسول الله ﷺ : « والله لا نخلفكم فيها أبداً » . ثم قال لهم : « هل أنتم صادقيَّ عن شيء سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسم . فقال : « هل جعلتم في هذه الشاة سمّاً ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حملكم على ذلك ؟ » . قالوا : أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبيّاً لم يضرَّك .

وقد رواه البخاريُّ[٣] في الجزية ، عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضاً ، عن قُتيبة كلاهما عن اللَّيث ، به .

وقال البيهقيُّ[٤] : أنبأ أبو عبد الله الحافظ ، أنبأ أبو العَبَّاس الأصمُّ ، ثنا سعيد بن سليمان ، ثنا عبَّاد ابن العوَّام ، عن سُفْيَان بن حسين ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب ، وأبي سَلَمَة بن عبد الرحمن ، عن أبي هُريرة أن امرأة من اليهود أَهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فقال لأصحابه : « أمسكوا ؛ فإنها

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٤٩) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٥١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٦٩) و(٥٧٧٧) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٥٩) .

مَسْمُومَةٌ » . وقال لها : « ما حَمَلَكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أردت أن أعلم ؛ إن كنت نبيّاً فسيطلعك الله عليه وإن كنت كاذباً أُريح الناس منك . قال : فما عرض لها رسول الله ﷺ . رواه أبو داود[١] ، عن هارون بن عبد الله ، عن سعيد بن سليمان ، به .

ثم روى البيهقيُّ[٢] ، عن طريق عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سُرَيج ، ثنا عَبّاد ، عن هلال ـ هو ابن خبّاب ـ عن عكرمة ، عن ابن عباس أن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة ، فأرسل إليها ، فقال : « ما حملكِ على ما صنعت ؟ » قالت : أحببت ـ أو : أردت ـ إن كنت نبيّاً فإن الله سيطلعك عليه ، وإن لم تكن نبيّاً أُريح الناس منك . قال : فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم . قال : فسافر مرة ، فلمّا أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم . تفرّد به أحمد ، وإسناده حسن .

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث شُعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك أن امرأة يهوديّة أتت رسول الله ﷺ بشاة مَسْمُومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك . قالت : أردت لأقتُلك . فقال : « ما كان الله ليسلِّطك عليَّ » . أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : « لا » . قال أنس : فما زلت أعرفها في لَهوات[٥] رسول الله ﷺ .

وقال أبو داود[٦] : ثنا سليمان بن داود المهريُّ ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله يحدِّث أن يهوديّة من أهل خيبر سمَّت شاة مَصْلِيَّةً ، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذِّراع ، فأكل منها ، وأكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم » . وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة ، فدعاها فقال لها : « أسممت هذه الشاة ؟ » قالت اليهوديّة : من أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه التي في يدي » . وهي الذِّراع . قالت : نعم . قال : « فما أردتِ بذلك ؟ » قالت : قلت : إن كنت نبيّاً فلن تضرَّك ، وإن لم تكن نبيّاً استرحنا منك . فعفا عنها رسول الله ﷺ ، ولم يعاقبها ، وتوفِّي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، واحتجم النبيُّ ﷺ على كاهله ، من أجل الذي أكل من الشاة ، حجمه أبو هند بالقَرن والشَّفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٥٠٩) ، وإسناده ضعيف .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٥) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) .
(٥) جاء في « فتح الباري » (٥/ ٢٣٢) و(١٠/ ٢٤٧) ما نصّه : اللَّهوات : جمع لهاة وهو سقف الفم ، أو اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل : هي أقصى الحلق ، وقيل : ما يبدو من الفم عند التبسم .
(٦) في « سننه » رقم (٤٥١٠) وإسناده ضعيف .

ثم قال أبو داود[١] : ثنا وهب بن بقيَّة ، ثنا خالد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهوديَّة بخيبر شاة مَصْلِيَّةً ، نحو حديث جابر ، قال : فمات بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، فأرسل إلى اليهوديَّة ، فقال : « ما حملكِ على الذي صنعت ؟ » فذكر نحو حديث جابر ، فأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت . ولم يذكر أمر الحِجَامة .

قال البيهقيُّ[٢] : ورويناه من حديث حَمَّاد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هُريرة . قال : ويحتمل أنه لم يقتلها في الابتداء ، ثم لما مات بشر بن البَرَاء أمر بقتلها .

وروى البيهقيُّ[٣] من حديث عبد الرزَّاق ، عن مَعْمَر ، عن الزهريِّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن امرأة يهوديَّة أَهْدَت إلى رسول الله ﷺ شاة مَصْلِيَّةً بخيبر ، فقال : « ما هذه ؟ » قالت : هديَّة . وحذرت أن تقول : صدقة . فلا يأكل . قال : فأكل وأصحابه ، ثم [قال :] « أمسكوا » . ثم قال للمرأة : « هل سممت هذه الشَّاة ؟ » قالت : من أخبرك هذا ؟ قال : « هذا العظم » لساقها ، وهو في يده . قالت : نعم . قال : « لم ؟ » قالت : أردت إن كنت كاذباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبيّاً لم يضرَّك . قال : فاحتجم رسول الله ﷺ على الكاهل ، وأمر أصحابه فاحتجموا ، ومات بعضهم . قال الزهريُّ : فأسلمت ، فتركها النبيُّ ﷺ . قال البيهقيُّ ، هذا مرسل ، ولعله قد يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

وذكر ابنُ لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، وكذلك موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر ، وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهوديَّة ـ وهي ابنة أخي مرحب ـ لصفيَّة شاة مَصْلِيَّةً وسمَّتها ، وأكثرت في الكتف والذِّراع ؛ لأنه بلغها أنه أحبُّ أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ ، فدخل رسول الله ﷺ على صفيَّة ، ومعه بشر بن البَرَاء بن مَعْرُور ، وهو أحد بني سلِمة ، فقدَّمت إليهم الشاة المصليَّة ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف ، وانتهش منها ، وتناول بِشر عظماً فانتهش منه ، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته ، اسْتَرَط[٤] بِشر بن البراء ما في فيه ، فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم ؛ فإنَّ كتف هذه الشاة يخبرني أني نعيت فيها » . فقال بشر بن البراء : والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أُكلتي التي أكلتُ فما منعني أن ألفظها إلا أنِّي أعظمتك أن أنغِّصك طعامك ، فلمَّا [أَسَغْتَ] ما في فيك ، لم أرغب بنفسي عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي . فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لوْنُهُ كالطَّيلسان ، وماطله وجعه ، حتى كان لا يتحوَّل حتى يحوّل . قال الزهريُّ : قال جابر : واحتجم

(١) في « سننه » رقم (٤٥١١) وهو مرسل من هذا الوجه ، فأبو سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف لم يدرك النبي ﷺ (بشار).
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٢) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٠) .
(٤) أي : ابتلع .

رسول الله ﷺ يومئذ ، حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشَّفرة ، وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين ، حتى كان وجعه الذي توفِّي فيه ، فقال : « ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداداً ، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري » . فتوفِّي رسول الله ﷺ شهيداً[١] .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : فلمَّا اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلَّام بن مِشكم شاة مصليَّة ، وقد سألت : أيُّ عضو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذِّراع . فأكثرت فيها من السُّمِّ ، ثم سمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلمَّا وضعتها بين يديه ، تناول الذِّراع ، فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ؛ فأمَّا بشر فأساغها ، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال : « [إنَّ] هذا العظم يخبرني أنه مسموم » . ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك . فقلت : إن كان كذَّاباً استرحت منه ، وإن كان نبيّاً فسيخبَر . قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، ومات بشر من أكلته التي أكل .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلَّى قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفِّي فيه ـ ودخلت عليه أمُّ بشر بنت البراء بن معرور ـ : « يا أمَّ بشر ، إنَّ هذا الأوان وجدت [فيه] انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر » .

قال ابن هشام : الأَبْهَرُ : العرق المعلَّق بالقلب . قال : فإن كان المسلمون لَيرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

وقال الحافظ أبو بكر البزَّار[٤] : حدَّثنا هلال بن بشر وسليمان بن سيف الحرَّانيُّ قالا : ثنا أبو عتَّاب سهل بن حماد ، ثنا عبد الملك بن أبي نضرة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدريِّ ، أن يهوديَّة أهدت إلى رسول الله ﷺ شاة سميطاً ، فلما بسط القوم أيديهم ، قال رسول الله ﷺ : « أمسكوا ، فإنَّ عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة » . فأرسل إلى صاحبتها : « أسممت طعامك ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حملك على ذلك ؟ » قالت : أحببت إن كنت كاذباً أن أُريح الناس منك ، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه . فبسط يده وقال : « كلوا بسم الله » . قال : فأكلنا وذكرنا اسم الله ، فلم يضرَّ أحداً منا . ثم قال : لا يروى عن عبد الملك بن أبي نضرة إلَّا من هذا الوجه . قلت : وفيه نكارة وغرابة شديدة ، والله أعلم .

---

(١) حديث : « ما زلت أجد . . . أبهري » علقه البخاري برقم (٤٤٢٨) ووصله الحاكم (٣/ ٥٨) من حديث عائشة ورواه أبو داود من حديث أم مبشر رقم (٤٥١٣) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٧) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٨) ولفظ « فيه » مستدرك منها .

(٤) انظر « كشف الأستار عن زوائد البزار » رقم (٢٤٢٤) .

وذكر الواقديُّ[١] أن عُيَينة بن حِصْن قبل أن يُسْلِمَ رأى في منامه رؤيا ورسول الله ﷺ محاصر خيبر ، فطمع من رؤياه أنه يقاتل رسول الله ﷺ فيظفر به ، فلمَّا قدم على رسول الله ﷺ خيبر وجده قد افتتحها ، فقال : يا محمد ، أعطني ما غنمت من حلفائي ـ يعني أهل خيبر ـ فقال له رسول الله ﷺ : « كذبت رؤياك » . وأخبره بما رأى ، فرجع عيينة ، فلقيه الحارث بن عوف فقال : ألم أقل إنك توضع في غير شيء ؟! والله ليظهرنَّ محمد على ما بين المشرق والمغرب ، وإنَّ يهود كانوا يخبروننا بهذا ، أشهد لسمعت أبا رافع سلَّام بن أبي الحقيق يقول : إنا لنحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون ، إنه لمرسل ، ويهود لا تطاوعني على هذا ، ولنا منه ذبحان ؛ واحد بيثرب ، وآخر بخيبر . قال الحارث : قلت لسلَّام : يملك الأرض ؟! قال : نعم والتوراة التي أُنزلت على موسى ، وما أحبُّ أن تعلم يهود بقولي فيه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق[٢] : فلمَّا فرغ رسول الله ﷺ من خيبر ، انصرف إلى وادي القُرى ، فحاصر أهلها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . ثم ذكر من قصة مِدعم ، وكيف جاءه سهم غارب فقتله ، وقال الناس : هنيئاً له الشهادة . فقال رسول الله ﷺ : « كلَّا والذي نفسي بيده ، إن الشَّملة التي أخذها يوم خيبر ، لم تصبها المقاسم ، لتشتعل عليه ناراً » .

وقد تقدَّم في « صحيح البخاريِّ »[٣] نحو ما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم ، وسيأتي ذكر قتاله ، عليه السلام ، بوادي القُرَى .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا يحيى بن سعيد[٥] ، [عن يحيى بن سعيد][٦] ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن أبي عمرة ، عن زيد بن خالد الجهنيِّ ، أن رجلاً من أشجع من أصحاب رسول الله ﷺ توفِّي [يوم خيبر] ، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ ، فقال : « صلُّوا على صاحبكم » . فتغيَّر وجوه الناس من ذلك ، فقال : « إن صاحبكم غلَّ في سبيل الله » . ففتَّشنا متاعه ، فوجدنا خرزاً من خرز يهود ما يساوي درهمين .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٦٧٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٨) .
(٣) رقم (٤٢٣٤) .
(٤) في « المسند » (٥/ ١٩٢) ، وإسناده ضعيف .
(٥) هو القطان .
(٦) هو الأنصاري .

وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ من حديث يحيى بن سعيد القطَّان ـ زاد أبو داود : وبشر بن المفضَّل ـ وابن ماجه[١] من حديث اللَّيث بن سعد ، ثلاثتهم عن يحيى بن سعيد الأنصاريِّ ، به .

وقد ذكر البيهقيُّ[٢] أن بني فَزَارة أرادوا أن يقاتلوا رسول الله ﷺ مرجعه من خيبر ، وتجمَّعوا لذلك ، فبعث إليهم يواعدهم موضعاً معيَّناً ، فلمَّا تحقَّقوا ذلك ، هربوا كلَّ مهرب ، وذهبوا من طريقه كلَّ مذهب . وتقدَّم أن رسول الله ﷺ لما حلَّت صفية من استبرائها ، دخل بها بمكان يقال له : سدُّ الصَّهباء ، في أثناء طريقه إلى المدينة ، وأولم عليها بحَيس ، وأقام ثلاثة أيام يُبنى عليه بها ، وأسلمت ، فأعتقها وتزوَّجها ، وجعل عتاقها صداقها ، وكانت إحدى أمهات المؤمنين ، كما فهمه الصحابة لما مدَّ عليها الحجاب وهو مردفها وراءه ، رضي الله عنها .

وذكر محمد بن إسحاق في « السيرة »[٣] قال : لمَّا أَعْرَسَ رسول الله ﷺ بصَفِيَّة بخيبر ، أو ببعض الطَّريق ، وكانت التي جمَّلتها إلى رسول الله ﷺ ، ومشَّطتها ، وأصلحت من أمرها أمُّ سليم بنت ملحان ، أمُّ أنس بن مالك ، وبات بها رسول الله ﷺ في قبَّة له ، وبات أبو أيوب متوشِّحاً سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويطيف بالقُبَّة حتى أصبح ، فلمَّا رأى رسول الله ﷺ مكانه قال : « ما لك يا أبا أيوب ؟ » قال : خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم احفظ أبا أيُّوب كما بات يحفظني » .

ثم قال : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن سعيد بن المسيَّب . فذكر نومهم عن صلاة الصُّبح مرجعهم من خيبر ، وأن رسول الله ﷺ كان أولهم استيقاظاً ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . قال : « صدقت » . ثم اقتاد ناقته غير كثير ، ثم نزل فتوضَّأ ، وصلَّى كما كان يصليها قبل ذلك .

وهكذا رواه مالك ، عن الزهريِّ ، عن سعيد مرسلاً[٤] . وهذا مرسل من هذا الوجه .

وقد قال أبو داود[٥] : ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، فسار ليلة ، حتى إذا أدركنا الكرى عرَّس ، وقال لبلال : « اكلأ لنا الليل » . قال : فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته ، فلم

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧١٠) والنسائي رقم (١٩٥٨) وابن ماجه رقم (٢٨٤٨) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٤٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٣٩) .
(٤) رواه مالك في « الموطأ » رقم (٢٥) مرسلاً .
(٥) رواه أبو داود رقم (٤٣٥) ، وهو حديث صحيح .

يستيقظ النبيُّ ﷺ ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه ، حتى ضربتهم الشمس ، وكان رسول الله ﷺ أوّلهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ﷺ وقال : « يا بلال ! » قال : أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال : فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضَّأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام لهم[١] الصلاة ، وصلَّى بهم الصبح ، فلمَّا أن قضى الصلاة قال : « من نسي صلاة فَلْيُصَلِّها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ وأقم الصلاة للذِّكرى ﴾[٢] [طه : ١٤] » . قال يونس : وكان ابن شهاب يقرؤها كذلك .

وهكذا رواه مسلم[٣] ، عن حرملة بن يحيى ، عن عبد الله بن وهب ، به . وفيه : أن ذلك كان مرجعهم من خيبر .

وفي حديث شعبة، عن جامع بن شدَّاد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من الحديبية ، ففي رواية عنه أن بلالاً هو الذي كان يكلؤهم . وفي رواية أنه هو الذي كان يكلؤهم .

قال الحافظ البيهقيُّ[٤] : فيحتمل أن ذلك كان مرتين . قال : وفي حديث عمران بن حصين وأبي قتادة نومهم عن الصلاة، وفيه حديث الميضأة، فيحتمل أن ذلك إحدى هاتين المرتين، أو مرة ثالثة. قال: وذكر الواقديُّ في حديث أبي قتادة أن ذلك كان مرجعهم من غزوة تبوك . قال : وروى زافر بن سليمان ، عن شعبة ، عن جامع بن شدَّاد ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود أن ذلك كان مرجعهم من تبوك . فالله أعلم .

ثم أورد البيهقيُّ[٥] ما رواه صاحب « الصَّحيح »[٦] من قصة عوف الأعرابيِّ ، عن أبي رجاء ، عن عِمْرَان بن حُصَين في قصة نومهم عن الصلاة ، وقصة المرأة صاحبة السَّطيحتين ، وكيف أخذوا منهما ماءً روَّى الجيش بكماله ، ولم ينقص ذلك منهما شيئاً .

ثم ذكر ما رواه مسلم[٧] من حديث ثابت البناني ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي قتادة ، وهو حديث طويل ، وفيه نومهم عن الصلاة ، وتكثير الماء من تلك الميضأة .

---

(١) لفظ « لهم » لم يرد في (ط) .
(٢) وقرأها أيضاً كذلك : ابن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وابن السميفع . وقراءة العشرة : لِذِكري .
(٣) في « صحيحه » رقم (٦٨٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٧٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٧٧) .
(٦) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٤٤) .
(٧) في « صحيحه » رقم (٦٨١) .

وقد رواه عبد الرزاق[١] ، عن مَعْمَر ، عن قتادة .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا عبد الواحد ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال : لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ـ أو قال : لما توَّجه رسول الله ﷺ [إلى خيبر] ـ أشرف الناس على وادٍ ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلَّا الله . فقال رسول الله ﷺ : « اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلَّا بالله . فقال : « يا عبد الله بن قيس » . قلت : لبَّيك يا رسول الله . قال : « ألا أدلُّك على كلمة من كنز الجنة ؟ » قلت : بلى يا رسول الله ، فداك أبي وأمي . قال : « لا حول ولا قوة إلَّا بالله » .

وقد رواه بقية الجماعة[٣] من طرق ، عن عبد الرحمن بن ملٍّ ، أبي عثمان النَّهديِّ ، عن أبي موسى الأشعريِّ . والصواب أنه كان مرجعهم من خيبر ؛ فإنَّ أبا موسى إنَّما قدم بعد فتح خيبر ، كما تقدَّم .

قال ابن إسحاق[٤] : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لَقِيم العَبْسيَّ حين افتتح خَيبر ما بها من دَجَاجَة أو دَاجِنٍ ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لَقِيم في فتح خيبر : [من الكامل]

رُمِيَتْ نَطَاة من الرسول بفَيلقٍ ... شهباءَ ذاتِ مناكبٍ وفَقارِ
واستَيْقَنَتْ بالذُّلِّ لمَّا شُيِّعَتْ ... ورجالُ أَسْلَمَ وسطَها وغِفَارِ
صبحت بني عمرو بن زرعة غُدوةً ... والشَّقُّ أظلم أهله بنهارِ
جرَّت بأَبْطَحِهَا الذُّيول فلم تَدَعْ ... إلا الدَّجاج تصيحُ بالأسحارِ
ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ من خيلهم ... من عبد الاشْهلِ أو بني النَّجَّارِ
ومهاجرينَ قَدَ اعلموا سيماهُمُ ... فوق المَغَافِرِ لم يَنُوا لفرارِ
ولقد علمتُ ليغلبنَّ محمد ... وليثوينَّ بها إلى أصفارِ
فَرَّت يهودٌ عند ذلك في الوغى ... تحت العَجَاج غمائمَ الأبصارِ

* * *

(١) في « المصنف » رقم (٢٠٥٣٨) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٠٥) .
(٣) رواه مسلم رقم (٢٧٠٤) وأبو داود رقم (١٥٢٦) إلى (١٥٢٨) والترمذي رقم (٣٤٦١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٧٦٧٩) إلى (٧٦٨١) و(٨٨٢٣) و(١٠٣٧١) و(١١٤٢٧) وابن ماجه رقم (٣٠٨٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٠) .

فصل

من استشهد بخيبر من الصَّحَابة ، على ما ذكره ابن إسحاق بن يسار[١] رحمه الله وغيره من أصحاب المغازي

فمن خير المهاجرين : ربيعة بن أَكْثَم بن سَخْبَرَة الأَسديُّ ، مولى بني أُمَيَّة ، وثقيفُ بن عمرو ، ورفاعة بن مَسْرُوح ، حلفاء بني أمية ، وعبد الله بن الهُبَيب بن أُهيب بن سُحَيم بن غِيَرَةَ ، من بني سعد بن ليث ، حليف بني أسد وابن أُختهم .

ومن الأنصار : بِشر بن البَرَاء بن مَعْرُور ـ من أَكَلَةِ الشَّاة المَسْمُومة مع رسول الله ﷺ كما تقدَّم ـ وفُضَيل بن النُّعمان السَّلميَّان ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خلَدة بن عامر بن زُريق الزُّرقيُّ ، ومحمود بن مسلمة الأشهليُّ ، وأبو ضيَّاح بن ثابت بن النُّعمان العَمْريُّ ، والحارث بن حاطب ، وعُرْوَة بن مُرَّة بن سُرَاقة ، وأوس الفائد ، وأُنيف بن حبيب ، وثابت بن أَثْلَةَ ، وطلحة ، وعُمَارة بن عُقبة ، رمي بسهم فقتله ، وعامر بن الأَكْوَع ، أصابه طرف سيفه في ركبته فقتله ، رحمه الله ، كما تقدَّم ، والأسود الرَّاعي . وقد أفرد ابن إسحاق هاهنا قصته ، وقد أسلفناها في أوائل الغزوة ، ولله الحمد والمِنَّة .

قال ابن إسحاق[٢] : وممَّن استُشهد بخيبر ـ فيما ذكره ابن شهاب [الزُّهري] ـ من بني زهرة ، مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة ، ومن الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، أوس بن قتادة ، رضي الله عنهم أجمعين .

***

[خبر الحَجَّاج بن عِلَاط البَهْزِيّ رضي الله عنه][٣]

قال ابن إسحاق[٤]: ولما افتتحت[٥] خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ الحَجَّاج بن عِلَاط السُّلميُّ ثم البَهْزِيُّ ، فقال : يا رسول الله ، إن لي بمكَّة مالاً عند صاحبتي أمِّ شيبة بنت أبي طلحة ـ وكانت عنده ، له منها معرِّض بن الحجَّاج ـ ومالاً متفرقاً في تجَّار أهل مكة ، فأْذن لي يا رسول الله . فأذن له ، فقال : إنه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٤) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .
(٣) هذا العنوان لم يرد في (آ) وأثبته عن (ط) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٤) .
(٥) في (ط) : « فتحت » .

لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : « قل » . قال الحَجَّاج : فخرجت حتى [إذا] قدمت مكّة ، وجدت بثنيَّة البيضاء رجالاً من قريش يستمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومَنَعةً ورجالاً ، وهم يتجسَّسون الأخبار من الرُّكبان ، [فلمَّا رَأَوني] قالوا : الحَجَّاج بن عِلَاط ـ قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ـ عنده والله الخبر ، أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندي من الخبر ما يسرُّكم . قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج . قال : قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطُّ، وقد قتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله [قطُّ] وأسر محمد أسراً، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكّة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد ، إنما تنتظرون[١] أن يقدم [به] عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكّة [و] على غُرمائي ، فإني أُريد أن أقدَم خيبر ، فأُصيب من فَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التُّجار إلى ما هنالك . قال : فقاموا فجمعوا لي ما كان لي كأحثِّ جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتي فقلت : مالي ـ وكان عندها مال موضوع ـ فلعلي ألحق بخيبر فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التُّجار. قال: فلما سمع العباس بن عبد المطَّلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التُّجار ، فقال : ياحَجَّاج ، ما هذا الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عنّي حتى ألقاك على خَلاء ؛ فإني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عنّي حتى أفرُغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كلِّ شيء كان لي بمكة ، [و] أجمعت الخروج ، لقيت العباس فقلت : احفظ عليَّ حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطَّلب ، ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عَروساً على بنت ملكهم ـ يعني صَفِيّة بنت حُييٍّ ـ وقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ، وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إي والله ، فاكتم عني ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلَّا لآخذ مالي ؛ فرقاً من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله [على ما تحبُّ . قال :] حتى إذا كان اليوم الثالث ، لبس العباس حلَّة له وتخلَّق[٢] وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها ، فلمَّا رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التَّجلُّد لحرِّ المصيبة . قال : كلَّا والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر ، وتُرك عَروسَاً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، وأصبحت له ولأصحابه . قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً وأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . فقالوا : يا لَعباد الله ،

---

(١) في (آ) : « تنظرون » .
(٢) أي : تطيب بالخلوق .

انفلت عدوُّ الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن . قال : ولم يَنْشَبُوا[١] أن جاءهم الخبر بذلك . هكذا ذكر ابن إسحاق هذه القصة منقطعةً .

وقد أسند ذلك الإمام أحمد بن حنبل[٢] فقال : ثنا عبد الرزاق ، ثنا مَعْمَر ، سمعت ثابتاً يُحَدِّث عن أنس قال : لما افتتح رسول الله ﷺ خَيْبَرَ ، قال الحَجَّاج بن عِلَاط : يا رسول الله ، إن لي بمكّة مالاً ، وإن لي بها أهلاً ، وإني أُريد أن آتيهم ، أفأنا في حلٍّ إن أنا نِلْتُ مِنْكَ أو قلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم فقال : اجمعي لي ما كان عندكِ ؛ فإني أُريد أن أشتري من غنائم محمدٍ وأصحابه ، فإنهم قد استُبيحوا وأُصيبت أموالهم . قال : وفشى ذلك بمكَّة ، فانقمع[٣] المسلمون وأظهر المشركون فرحاً وسروراً . قال : وبلغ الخبر العباس فعقر ، وجعل لا يستطيع أن يقوم . قال مَعْمَر : فأخبرني عُثمان الجَزَريُّ ، عن مِقْسَم قال : فأخذ ابناً له يقال له : قُثَم . واستلقى ووضعه على صدره وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

حَـيَّ قُثَـم [حـيَّ قثـم][٤]
شَبيــه ذي الأَنْـفِ الأَشَــمّ
نَبــــيِّ ذي النِّعَـــــمْ
بِــــرَغْــم مَــــنْ رَغِــمْ

قال ثابت : عن أنس : ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج بن علاط : ويلك ما جئت به وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، فقال الحجاج بن علاط لغلامه : أقرئ على أبي الفضل السلام ، وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه ، فإنّ الخبر على ما يسرُّه . فجاء غلامه ، فلمَّا بلغ باب الدار قال : أبشر يا أبا الفضل . قال : فوثب العباس فرحاً حتى قبَّل بين عينيه ، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه . قال : ثم جاءه الحَجَّاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حُيَيٍّ واتخذها لنفسه ، وخيَّرها أن يعتقها وتكون زوجة ، أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته . قال : ولكني جئت لمال كان لي هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ ، فأذن لي أن أقول ماشئت ، فأخف عليَّ ثلاثاً ، ثم اذكر ما بدا لك . قال : فجمعت امرأته ما كان عندها من حليٍّ ومتاع ، فجمعته ودفعته إليه ، ثم استمرَّ به ، فلمَّا كان

---

(١) في (آ) : « ولم يلبثوا » وأثبت لفظ (ط) .

(٢) في « المسند » (٣/١٣٨ و١٣٩) ، وإسناده صحيح .

(٣) أي : كأنهم ضربوا بالمقمعة ـ وهي آلة من حديد كالمحجن يضرب بها على رأس الفيل ـ كناية عن القهر والذّلّ . انظر « مختار الصحاح » (قمع) .

(٤) ما بين الحاصرتين استدركته من « المسند » للإمام أحمد بن حنبل .

بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال : ما فعل زوجكِ ؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت : لا يحزنك الله يا أبا الفضل ، لقد شقَّ علينا الذي بلغك . قال : أجل ، لا يُحزنني الله ، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفيةَ لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به . قالت : أظنُّك والله صادقاً . قال : فإني صادق ، والأمر على ما أخبرتك . ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مرَّ بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . قال : لم يصبني إلا خير بحمد الله ، أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ، ثم يذهب . قال : فردَّ الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس ، فأخبرهم الخبر ، فسُرَّ المسلمون وردَّ الله ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين .

وهذا الإسناد على شرط الشيخين ، ولم يخرّجه أحد من أصحاب الكتب الستة سوى النَّسائيِّ[١] ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، به نحوه .

ورواه الحافظ البيهقيُّ[٢] ، من طريق محمود بن غيلان ، عن عبد الرزاق .

ورواه أيضاً[٣] من طريق يعقوب بن سفيان ، عن زيد بن المبارك ، عن محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، به نحوه .

وكذلك ذكر موسى بن عقبة في «مغازيه»[٤] أن قريشاً كان بينهم تراهن عظيم وتبايع ، منهم من يقول : يظهر محمد وأصحابه . ومنهم من يقول : يظهر الحليفان ويهود خيبر . وكان الحجَّاج بن علاط السُّلميُّ ثم البهزيُّ قد أسلم وشهد مع رسول الله ﷺ فتح خيبر ، وكانت تحته أمُّ شيبة أخت [بني] عبد الدار بن قصيٍّ ، وكان الحجَّاج مكثراً من المال ، وكانت له معادن أرض بني سليم ، فلما ظهر رسول الله ﷺ على خيبر ، استأذن الحَجَّاج رسول الله ﷺ في الذَّهاب إلى مكّة يجمع أمواله ، فأذن له ، فذكر نحو ما تقدَّم ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[٥] : ومما قيل من الشعر في غزوة خيبر قول حَسَّان[٦] : [من الخفيف]

---

(١) في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٤٦) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٨) .
(٣) يعني الحافظ البيهقي ، وهو عنده في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٢٦٥) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٤٧) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٦٩) مع بعض الخلاف .

بئسَ مَا قَاتَلَتْ خيابرُ عمَّا ... جمَّعوا من مَزَارِعٍ ونخيلِ
كَرِهُوا الموتَ فَاستُبيح حِمَاهُمْ ... وأقرُّوا فِعْلَ اللَّئيم الذَّليلِ
أَمِن الموت يهرُبون فإنَّ الـ ... ـموت موت الهزال غير جميلِ

وقال كعب بن مالك[1] فيما ذكره ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاريِّ : [من الطويل]

ونحن وردنا خيبراً وفُروضَه ... بكلِّ فتى عاري الأَشَاجِعِ مِذودِ[2]
جوادٍ لدى الغايات لا واهنِ القُوى ... جريء على الأعداءِ في كلِّ مَشْهَدِ
عظيمِ رماد القِدر في كلِّ شتوة ... ضروبٍ بنصل المشرفيِّ المُهَنَّدِ
يرى القَتْل مَدْحَاً إنْ أَصاب شهادةً ... مِن الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ
يذود ويَحْمِي عن ذِمَارِ محمدٍ ... ويَدْفَعُ عنه باللِّسانِ وباليدِ
ويَنْصُرُهُ مِنْ كلِ أمرٍ يَريبُهُ ... يجُودُ بنفسٍ دونَ نفسِ محمدِ
يُصَدِّقُ بالإنباءِ بالغَيب مخلصاً ... يُريدُ بذاكَ العزَّ والفَوزَ في غدِ

***

فصل

في مروره ـ ﷺ ـ بوادي [القُرى] ومحاصرته قوماً من اليهود ، [ومصالحته يهود] تيماء على ما ذكره الواقديُّ

قال الواقديُّ[3] : حدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز ، عن الزهريِّ ، عن أبي سَلَمَة ، عن أبي هُريرة [قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ من خيبر إلى وادي القرى ، وكان رفاعة] بن زيد بن وهب الجذاميُّ قد وهب لرسول الله ﷺ عبداً أسود يقال له : مِدعم . وكان يرحِّل لرسول الله ﷺ ، فلمَّا نزلنا بوادي القرى انتهينا إلى يهود ، وقدم إليها ناس من العرب ، فبينا مِدعم يحطُّ رحل رسول الله ﷺ ، وقد استقبلتنا يهود بالرَّمي حين نزلنا ، ولم نكن على تعبئة ، وهم يصيحون في آطامهم ، فيقبل سهم عائر ، فأصاب مدعماً فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له بالجنة . فقال النبيُّ ﷺ: «كلاَّ والذي نفسي بيده، إن الشَّملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً». فلمَّا سمع بذلك الناس ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بشِراك أو شراكين، فقال النبيُّ ﷺ: « شراك من نار أو شراكان من نار ». وهذا الحديث

(١) « ديوانه » ص(١٦٤) .
(٢) أي : مانع .
(٣) انظر « المغازي » (٢/٧٠٩) .

في «الصحيحين» من حديث مالك ، عن ثور بن زيد ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه[١] .

قال الواقديُّ[٢] : فعبّى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفَّهم ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عبَّاد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم ، وحسابهم على الله . قال : فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزُّبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر ، فبرز إليه عليٌّ فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة فقتله، حتى قتل منهم أحد عشر رجلاً ، كلَّما قتل منهم رجل ، دعا من بقي منهم إلى الإسلام ، ولقد كانت الصلاة تحضر ذلك اليوم ، فيصلِّي رسول الله ﷺ بأصحابه ، ثم يعود فيدعوهم إلى الإسلام وإلى الله عزَّ وجلَّ ورسوله ، وقاتلهم حتى أمسَوا ، وغدا عليهم ، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، فتحها عنوة ، وغنَّمهم الله أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام ، فقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنَّخيل في أيدي اليهود وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى ، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم ، فلمَّا كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى ؛ لأنهما داخلتان في أرض الشام، ويرى أن ما دون وادي القرى إلى المدينة حجاز، وما وراء ذلك من الشام. قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن فرغ من خيبر ووادي القرى ، وغنَّمه الله عزَّ وجلَّ .

قال الواقديُّ[٣] : حدَّثني يعقوب بن محمد ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَة ، عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أُمِّ عُمَارة ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ بالجرف وهو يقول : « لا تطرقوا النساء بعد صلاة العشاء »[٤] . قالت : فذهب رجل من الحيِّ ، فطرق أهله فوجد ما يكره ، فخلَّى سبيله ولم يهِجْه ، وضنَّ بزوجته أن يفارقها ، وكان له منها أولاد ، وكان يحبُّها ، فعصى رسول الله ﷺ ، فرأى ما يكره .

***

---

(١) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧١٠) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧١٢) .
(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » برقم (٨٦٥ ـ بغية الباحث) وفي سنده الواقدي ، وهو متروك ، والقول النبوي في الصحيحين بنحوه من حديث جابر ، في البخاري برقم (٥٢٤٤) و(١٨٠١) ومسلم رقم (٧١٥) الذي بعد (١٩٢٨) .

فصــل

ثبت في « الصحيحين »[١] أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر ، عامل يهودها على شطر ما يخرج منها من تمر أو زرع .

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث : على أن يعملوها من أموالهم . وفي بعضها[٢] : وقال لهم النبيُّ ﷺ : « نقرُّكم [فيها] ما شئنا » .

وفي « السِّير » أنه كان يبعث عليهم عبد الله بن رواحة ، يَخْرُصُهَا عليهم عند استواء ثمارها ، ثم يضمِّنهم إياه ، فلما قتل عبد الله بن رواحة بمؤتة ، بعث جبَّار بن صخر ، كما تقدَّم . وموضع تحرير ألفاظه وبيان طرقه كتاب المزارعة من كتاب « الأحكام الكبير » إن شاء الله وبه الثقة .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : سألت ابن شهاب : كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ؟ فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عليه ، خمَّسها وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال : « إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال ؛ على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا [وبينكم] فأقرُّكم ما أقرَّكم الله » . فقبلوا ، وكانوا على ذلك يعملونها ، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفَّى الله نبيَّه ﷺ ، أقرَّها أبو بكر بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفِّي ، ثم أقرَّهم عمر بن الخطاب صدراً من إمارته ، ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : « لا يجتمعنَّ بجزيرة العرب دينان »[٤] . ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبت ، فأرسل إلى يهود فقال : إن الله قد أذن لي [في] إجلائكم ، وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « لا يجتمعنَّ في جزيرة العرب دينان » . فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهَّز للجلاء . فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٨٥) و(٢٣٢٨) و(٢٣٣١) ومسلم رقم (١٥٥١) (١) و(٢) و(٣) .

(٢) كما عند البخاري رقم (٢٣٣٨) و(٣١٥٢) ومسلم رقم (١٥٥١) (٤) و(٦) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٦) .

(٤) هو عند أحمد في « المسند » (٦/ ٢٧٤) من حديث عائشة قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يُترك بجزيرة العرب دينان » وإسناده حسن وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب عند مسلم برقم (١٧٦٧) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً » .
وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » رواه البخاري رقم (٣٠٥٣) ومسلم رقم (١٦٣٧) .

قلت : قد ادَّعى يهود خيبر في أزمان متأخرة بعد الثلاثمئة ، أن بأيديهم كتاباً من رسول الله ﷺ ؛ فيه أنه وضع الجزية عنهم ، وقد اغترَّ بهذا الكتاب بعض العلماء ، حتى قال بإسقاط الجزية عنهم ؛ من الشافعية الشيخ أبو عليٍّ بن خيرون ، وهو كتاب مزوَّر مكذوب مفتعل لا أصل له ، وقد بيَّنت بطلانه من وجوه عديدة في كتاب مفرد ، وقد تعرَّض لذكره وإبطاله جماعة من الأصحاب في كتبهم ، كابن الصَّبَّاغ في « شامله » ، والشيخ أبي حامد في « تعليقه » ، وصنَّف فيه ابن المُسلمة جزءاً منفرداً للردِّ عليه . وقد تحرَّكوا به بعد السبعمائة، وأظهروا كتاباً فيه نسخة ما ذكره الأصحاب في كتبهم ، وقد وقفت عليه ، فإذا هو مكذوب ؛ فإن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد كان مات قبل زمن خيبر ، وفيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ، ولم يكن أسلم يومئذ ، وفي آخره : وكتبه عليُّ بن أبو طالب . وهذا لحن وخطأ ، وفيه وضع الجزية ، ولم تكن شرعت بعدُ ، فإنها إنما شرعت أول ما شرعت وأخذت من أهل نجران . وذكروا أنهم وفدوا في حدود سنة تسع ، والله أعلم .

ثم قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : خرجت أنا والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلمَّا قدمنا تفرَّقنا في أموالنا . قال : فعُدِي عليَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي ، ففدعت يداي من مرفقيَّ ، فلما استصرخت عليَّ صاحبيَّ ؛ فأتياني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري . فأصلحا من يديَّ ، ثم قدما بي إلى عمر ، فقال : هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنَّا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه كما بلغكم ، مع عَدْوتهم على الأنصاريِّ قبله ، لا نشكُّ أنهم كانوا أصحابه ، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم ، فمن كان له مال من خيبر فليلحق به ، فإنِّي مخرج يهود . فأخرجهم .

قلت : كان لعمر بن الخطاب سهمه الذي بخيبر ، وقد كان وقفه في سبيل الله ، وشرط في الوقف ما أشار به رسول الله ﷺ ، كما هو ثابت في « الصحيحين »[٢] وشرط أن يكون النظر فيه للأرشد فالأرشد من بناته وبنيه .

***

قال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ في « الدلائل »[٣] : جماع أبواب السَّرايا التي تذكر بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضيَّة ، وإن كان تاريخ بعضها ليس بالواضح عند أهل المغازي .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٥٧) .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٧٣٧) و(٢٧٦٤) و(٢٧٧٢) ومسلم رقم (١٦٣٢) و(١٦٣٣) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٠) .

سريَّة أبي بكر الصِّدِّيق إلى بني فَزَارَة

قال الإمام أحمد[١] : ثنا بهز ، ثنا عكرمة بن عمَّار ، ثنا إياس بن سلمة ، حدَّثني أبي قال : خرجنا مع أبي بكر بن أبي قحافة ، وأمَّره رسول الله ﷺ علينا ، فغزونا بني فزارة ، فلما دنونا من الماء ، أمرنا أبو بكر فعرَّسنا ، فلمَّا صلَّينا الصبح أمرنا أبو بكر فشننَّا الغارة ، فقتلنا على الماء من [مرَّ] قِبلنا[٢] . قال سلمة : ثم نظرت إلى عنق من الناس فيه من الذُّرية والنساء ، نحو الجبل وأنا أعدو في آثارهم ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم فوقع بينهم وبين الجبل . قال : فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر حتى أتيته على الماء ، وفيهم امرأة من فزارة عليها قشع من أدم ، ومعها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنفَّلني أبو بكر بنتها . قال : فما كشفت لها ثوباً حتى قدمت المدينة ، ثم بتُّ فلم أكشف لها ثوباً . قال : فلقيني رسول الله ﷺ في السوق ، فقال لي : « يا سلمة ، هب لي المرأة » . قال : فقلت : والله يا رسول الله لقد أعجبتني ، وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال : « يا سلمة ، هب لي المرأة ، لله أبوك » . قال : فقلت : يا رسول الله ، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . وهي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ، وفي أيديهم أسارى من المسلمين ، ففداهم رسول الله ﷺ بتلك المرأة .

وقد رواه مسلم والبيهقيُّ[٣] من حديث عكرمة بن عَمَّار ، به .

***

سريَّة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه
إلى تُربةَ من أرض هَوَازِن وراء مَكَّة بأربعة أميال

ثم أورد البيهقيُّ[٤] من طريق الواقديّ بأسانيده أن رسول الله ﷺ بعث عمر بن الخطَّاب ، رضي الله عنه ، في ثلاثين راكباً ، ومعه دليل من بني هلال ، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النَّهار ، فلمّا انتهوا إلى بلادهم هربوا منهم ، وكرَّ عمر راجعاً إلى المدينة ، فقيل له : هل لك في قتال خثعم ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يأمرني إلا بقتال هوازن في أرضهم .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٦) .

(٢) كذا في (ط) وما بين الحاصرتين لم يرد في (آ) .

(٣) هو عند مسلم في « صحيحه » رقم (١٧٥٥) وعند البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٠) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٢٩٢) .

سريَّة عبد الله بن رَوَاحَة
إلى يُسير بن رِزام اليهوديّ

ثم أورد[١] من طريق ابن لهيعة[٢] ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، ومن طريق موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً ، فيهم عبد الله بن أنيس ، إلى يُسير بن رِزام اليهوديِّ ، حتى أتوه بخيبر ، وبلغ رسولَ الله ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم ، فأتوه فقالوا : أرسلنا إليك رسول الله ﷺ ليستعملك على خيبر . فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً ، مع كلِّ رجل منهم رديف من المسلمين ، فلمَّا بلغوا قرقرة ثبار ، وهي من خيبر على ستة أميال ، ندم يسير بن رزام ، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أُنيس ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، فزجر بعيره ، ثم اقتحم يسوق بالقوم ، حتى إذا استمكن من يُسير ، ضرب رجله فقطعها ، واقتحم يُسير وفي يده مخرش من شوحط ، فضرب به وجه عبد الله بن أُنيس فشجَّه شجَّة مأمومة ، وانكفأ كلُّ رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شدّاً ، ولم يصب من المسلمين أحد ، وبصق رسول الله ﷺ في شجَّة عبد الله بن أُنيس ، فلم تقِح ولم تؤذه حتى مات .

* * *

سريَّة أخرى مع بَشير بن سعدٍ

روى[٣] من طريق الواقديِّ بإسناده ، أن رسول الله ﷺ بعث بَشير بن سعد في ثلاثين راكباً إلى بني مرَّة في أرض فَدَك ، فاستاق نعمهم ، فقاتلوه وقتلوا عامة من معه ، وصبر هو يومئذ صبراً عظيماً ، وقاتل قتالاً شديداً ، ثم لجأ إلى فَدَك ، فبات بها عند رجل من اليهود ، ثم كرَّ راجعاً إلى المدينة .

قال الواقديُّ[٤] : [ثم] بعث إليهم رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله ومعه جماعة من كبار الصحابة . فذكر منهم أسامة بن زيد ، وأبا مسعود البدريَّ ، وكعب بن عجرة ، ثم ذكر مقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نَهِيك حليف بني مرَّة ، وقوله حين علاه بالسيف : لا إله إلا الله . وأن الصحابة لاموه على ذلك ، حتى سُقط في يده وندم على ما فعل .

---

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده (٤/ ٢٩٣) .
(٢) قال الحافظ في « تقريب التهذيب » وهو صدوق ، خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك وابن وهب أعدل من غيرهما ، وله في مسلم بعض شيء مقرون .
(٣) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » وهو عنده (٤/ ٢٩٥) .
(٤) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٣) .

وقد ذكر هذه القصة يونس بن بُكير ، [عن] ابن إسحاق ، عن شيخ من بني سلِمة ، عن رجال من قومه ، أن رسول الله ﷺ بعث غالب بن عبد الله الكلبيَّ إلى أرض بني مُرَّة ، فأصاب مرداس بن نَهيك حليفاً لهم من الحُرقة . قال : فقتله أُسامة .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني محمد بن أُسامة بن محمد بن أُسامة ، عن أبيه ، عن جدِّه أُسامة بن زيد قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ـ يعني مرداسَ بن نَهيك ـ فلما شهرنا عليه السِّلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه ، فقال : « يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ » فقلت : يا رسول الله ، إنما قالها تعوُّذاً من القتل . قال : « فمن لك يا أُسامة بلا إله إلا الله ؟ » فوالذي بعثه بالحقِّ ما زال يردِّدها عليَّ حتى تمنَّيت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وأني أسلمت يومئذٍ ولم أقتله . فقلت : إني أُعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول : لا إله إلا الله ، أبداً . فقال : « بعدي يا أسامة » . فقلت : بعدك .

قال الإمام أحمد[٢] : حدثنا هُشَيم بن بَشير ، أنبأ حُصين ، عن أبي ظَبيان قال : سمعت أُسامة بن زيد يُحَدِّث قال : بَعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة . قال : فصبَّحناهم ، وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدِّهم علينا ، وإذا أدبروا كان حاميتَهم . قال : فغشيته أنا ورجل من الأنصار ، فلمَّا تغشَّيناه قال : لا إله إلا الله . فكفَّ عنه الأنصاريُّ وقتلتُه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : « يا أُسامة ، أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ » قال : قلت : يا رسول الله ، إنما كان متعوِّذاً [من القتل] . قال : فكرَّرها عليَّ حتى تمنَّيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ .

وأخرجه البخاريُّ ومسلم[٣] من حديث هشيم به نحوه .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجُهَنيِّ ، عن جُنْدب بن مَكيثٍ الجُهنيِّ قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبيَّ ، كلب ليث ، إلى بني الملوَّح بالكَدِيد[٥] ، وأمره أن يغير عليهم ، وكنت في سريَّته ، فمضينا حتى إذا كنا بالقُدَيد[٦] ، لقينا الحارث بن مالك بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٣) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٠٠) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٩) و(٦٨٧٢) ومسلم رقم (١٥٩) (٩٦) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٠٩) .
(٥) الكَديد : واد قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة . عن حاشية شيخنا العلاّمة حَمَد الجاسر رحمه الله على « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ص (٣٦٠) .
(٦) قديد : موضع بين الحرمين . انظر « المغانم المطابة » للفيروز ابادي ، ص(٣٣٤) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .

البرصاء اللَّيثيُّ ، فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم . فقال له غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت لِتُسلم ، فلا يضرُّك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا [منك] . قال : فأوثقه رباطاً وخلَّف عليه رويجلاً أسود كان معنا ، وقال : امكث معه حتى نمرَّ عليك ، فإن نازعك فاحتزَّ رأسه . ومضينا حتى أتينا بطن الكَديد ، فنزلنا عشيَّة بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه ، فعمدت إلى تلٍّ يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه ، وذلك قبل غروب الشمس ، فخرج رجل منهم ، فنظر فرآني منبطحاً على التَّلِّ ، فقال لامرأته : إني لأرى سواداً على هذا التَّلِّ ما رأيته في أول النَّهار ، فانظري لا تكون الكلاب اجترَّت بعض أوعيتك ؟ فنظرت فقالت : والله ما أفقد منها شيئاً . قال : فناوليني قوسي وسهمين من نبلي . فناولته ، فرماني بسهم في جبيني ـ أو قال : في جنبي ـ فنزعته فوضعته ولم أتحرَّك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته فوضعته ولم أتحرَّك . فقال لامرأته : أما والله لقد خالطه سَهْمَايَ ، ولو كان ربيئةً[1] لتحرَّك ، فإذا أصبحتِ فابتغي سهميَّ فخذيهما ، لا تمضغهما عليَّ الكلاب .

قال : فأمهلنا ، حتى إذا راحت روايحهم ، وحتى احتلبوا وعطَّنوا وسكنوا ، وذهبت عتَمة من الليل ، شننَّا عليهم الغارة فقتلنا واستقنا النَّعم ، ووجَّهنا قافلين به ، وخرج صريخ القوم إلى قومهم بقربنا . قال : وخرجنا سراعاً حتى نمرَّ بالحارث بن مالك بن البَرْصَاء وصاحبه ، فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس ، فجاءنا ما لا قِبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قُدَيْدٍ ، بعث الله من حيث شاء ماءً ، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، وجاء بما لا يقدر أحد أن يُقدِم عليه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا ، ما يقدر أحد منهم أن يقدم عليه ، ونحن نجدُّ بها أو نحدوها ـ شكَّ النُّفيليُّ ـ فذهبنا سراعاً حتى أسندنا بها في المسلك ، ثم حدرنا عنه حتى أعجزنا القوم بما في أيدينا .

وقد رواه أبو داود[2] من حديث محمد بن إسحاق ، فقال في روايته : عبد الله بن غالب . والصواب غالب بن عبد الله كما تقدَّم .

وذكر الواقديُّ[3] هذه القصة بإسناد آخر ، وقال فيه : وكان معه من الصحابة مئة وثلاثون رجلاً .

ثم ذكر البيهقيُّ[4] من طريق الواقديِّ سرية بَشير بن سعد أيضاً إلى ناحية خيبر ، فلقوا جمعاً من العرب ، وغنموا نعماً كثيراً ، وكان بعثه في هذه السَّرِيَّة بإشارة أبي بكر وعُمَرَ ، رضي الله عنهما ، وكان

---

(١) الرَّبيئة : طليعة القوم الذي ينظر لئلا يدهم العدو . « لسان العرب » (ربأ) .
(٢) في « سننه » رقم (٢٦٧٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٦) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠١) .

معه من المسلمين ثلاثمئة رجل ، ودليله حُسَيل بن نُويرة ، وهو الذي كان دليلَ النبيِّ ﷺ [إلى خَيبر] . قاله الواقديُّ[١] .

***

سَرِيَّة أبي حَدْرَدٍ إلى الغَابَةِ

قال يونس ، عن محمد بن إسحاق[٢] : كان من حديث قصة أبي حدرد وغزوته إلى الغابة ما حدَّثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، عن أبي حدرد قال : تزوَّجت امرأة من قومي فأصدقتها مئتي درهم . قال : فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي ، فقال : « كم أصدقت ؟ » فقلت : مئتي درهم . فقال : « سُبْحَان الله ! والله لو كنتم تأخذونها من وادٍ ما زاد ، والله ما عندي ما أُعينك به » . فلبثت أياماً ، ثم أقبل رجل من جشم بن معاوية يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة . في بطن عظيم من جُشَم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم وشرف في جشم . قال : فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال : « اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم » . وقدَّم لنا شارِفاً عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ، وقال : « تبلَّغوا على هذه » . فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس ، فكمنت في ناحية ، وأمرت صاحبيَّ فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبَّرت وشددت في العسكر فكبِّرا وشدَّا معي . فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غرَّة أو نرى شيئاً ، وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرَّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم وتخوَّفوا عليه ، فقام صاحبهم رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه فجعله في عنقه فقال : والله لأتيقَّننَّ أمر راعينا ، ولقد أصابه شرٌّ . فقال نفر ممَّن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك . فقال : لا يذهب إلا أنا . قالوا : فنحن معك . فقال : والله لا يتبعني منكم أحد . وخرج حتى يمرُّ بي ، فلمَّا أمكنني نفحته بسهم ، فوضعته في فؤاده ، فوالله ما تكلَّم ، فوثبت إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددت ناحية العسكر وكبَّرت ، وشدَّ صاحباي وكبَّرا ، فوالله ما كان إلا النَّجاءُ ممَّن كان [فيه] عندك [عندك][٣] ، بكلِّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خفَّ معهم من أموالهم ، واستَقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئت برأسه أحمله معي ، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صداقي ، فجمعت إليَّ أهلي .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٢٧) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٩) .

(٣) قال أبو ذرّ الخشني في « شرح غريب السيرة النبوية » (٣/ ١٧٤) : « عندك عندك ، كلمتان بمعنى الإغراء » .

السَّريَّة التي قتل فيها محلّمُ بن جثَّامة عامرَ بن الأَضْبَط

قال ابن إسحاق[١] : حدَّثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين ، منهم ؛ أبو قتادة الحارث بن ربعيٍّ ، ومحلِّم بن جثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعيُّ على قعود له ، معه مُتيِّع له ، ووطب من لبن ، فسلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثَّامة فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتيِّعه ، فلمَّا قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٩٤] .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعقوب ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه فذكره[٢] .

قال ابن إسحاق[٣] : حدَّثني محمد بن جعفر ، سمعت زياد بن ضميرة بن سعد الضَّمريَّ يحدِّث عُرْوَة بن الزّبير ، عن أبيه وجدِّه ـ قال : وكانا شهدا حنيناً ـ قال : فصلَّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر ، فقام إلى ظلِّ شجرة ، فقعد فيه ، فقام إلى عيينة بن بدر يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعيِّ ، وهو سيد قيس ، وجاء الأقرع بن حابس يردُّ عن محلِّم بن جثَّامة وهو سيد خندفَ ، فقال رسول الله ﷺ لقوم عامر : « هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فقال عيينة بن بدر : والله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي . فقام رجل من بني ليث يقال له : ابن مُكَيتل . وهو قصد من الرجال ، فقال : يا رسول الله ، ما أجد لهذا القتيل مثلاً في غرَّة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أُولاها فنفرت أُخراها ، اسنن اليوم وغيِّر غداً . فقال رسول الله ﷺ : « هل لكم أن تأخذوا خمسين بعيراً الآن وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة ؟ » فلم يزل بهم حتى رضوا بالدِّية ، فقال قوم محلِّم بن جثَّامة : ائتوا به حتى يستغفر له رسول الله ﷺ . قال : فجاء رجل طُوال ضرب اللحم ، في حلَّة قد تهيَّأ فيها للقتل ، فقام بين يدي النبيِّ ﷺ ، فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم لا تغفر لمحلِّم » . [قالها ثلاثاً] فقام وإنه ليتلقَّى دموعه بطرف ثوبه . قال محمد بن إسحاق : زعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٦) .
(٢) انظر « المسند » (٦/ ١١) ، إسناده محتمل للتحسين .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٧) .

وهكذا رواه أبو داود[١] من طريق حَمّاد بن سلمة ، عن ابن إسحاق .

ورواه ابن ماجه[٢] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي خالد الأحمر ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر ، عن زيد بن ضميرة ، عن أبيه وعمِّه ، فذكر بعضه .

والصواب كما رواه ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدِّه .

وهكذا رواه أبو داود[٣] من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن محمد بن جعفر ، عن زياد بن سعد بن ضميرة ، عن أبيه وجدِّه ، بنحوه كما تقدَّم .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني سالم أبو النَّضر أنه قال : لم يقبلوا الدية حتى قام الأقرع بن حابس فخلا بهم وقال: يا معشر قيس ، سألكم رسول الله ﷺ قتيلاً تتركونه ليصلح به بين الناس فمنعتموه إيَّاه ، أفأمنتم أن يغضب عليكم رسول الله ﷺ فيغضب الله لغضبه ، أو يلعنكم رسول الله ﷺ فيلعنكم الله بلعنته لكم ، والله لتُسلمنَّه إلى رسول الله ﷺ أو لآتينَّ بخمسين من بني تميم [كلُّهم] يشهدون أن القتيل كافر ما صلَّى قط ، فلأُطُلَّنَّ دمه . فلمَّا قال ذلك لهم ، أخذوا الدِّية . وهذا منقطع معضلٌ .

وقد روى ابن إسحاق[٥] ، عمَّن لا يتَّهم ، عن الحسن البصريِّ ، أن محلِّماً لما جلس بين يديه ، عليه الصلاة والسلام ، قال له : « أمَّنته بالله ثم قتلته ؟! » ثم دعا عليه . قال الحسن : فوالله ما مكث محلِّم إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، ثم دفنوه ، فلفظته الأرض ، فرضموا عليه من الحجارة حتى واروه ، فبلغ رسول الله ﷺ فقال : « إن الأرض لتطَّابق على من هو شرٌّ منه ، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم في حُرْم ما بينكم بما أراكم منه » .

وقال ابن جرير[٦] : ثنا وكيع ، ثنا جرير ، عن ابن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ محلِّم بن جَثَّامة مبعثاً ، فلقيهم عامر بن الأضبط فحيَّاهم بتحية الإسلام ـ وكانت بينهم حِنَةٌ في الجاهلية ـ فرماه محلِّم بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ ، فتكلَّم فيه عُيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله ، سُنَّ اليوم وغيِّر غداً . فقال عيينة : لا والله حتى تذوق نساؤه من الثُّكل ما ذاق نسائي . فجاء محلِّم في بُردين ، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) في « سننه » رقم (٤٥٠٣) ، وإسناده ضعيف .
(٢) في « سننه » رقم (٢٦٢٥) ، وإسناده ضعيف .
(٣) في « سننه » رقم (٤٥٠٣) ، وإسناده ضعيف .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٠٨) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٨) .
(٦) في « تفسيره » (٥/ ٢٢٢) ، وهذه القصة رواها ابن إسحاق بالعنعنة ، فهي ضعيفة .

« لا غفر الله لك » . فقام وهو يتلَّقى دموعه ببرديه ، فما مضت له سابعة حتى مات ، فدفنوه فلفظته الأرض ، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فذكروا ذلك له ، فقال : « إنَّ الأرض تقبل من هو شرٌّ من صاحبكم ، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم من حرمتكم » . ثم طرحوه بين صدفي جبل ، فألقوا عليه من الحجارة ، ونزلت : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية [النساء : ٩٤] . وقد ذكره موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ ، ورواه شعيب ، عن الزهريِّ ، عن عبد الله بن موهب ، عن قبيصة بن ذؤيب نحو هذه القصة ، إلا أنه لم يسمِّ محلِّم بن جثَّامة ، ولا عامر بن الأضبط . وكذلك رواه البيهقيُّ[(١)] ، عن الحسن البصريِّ بنحو هذه القصة ، وقال : وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية .

قلت : وقد تكلَّمنا في سبب نزول هذه الآية ومعناها في « التفسير »[(٢)] بما فيه الكفاية ، ولله الحمد والمنة .

***

سَرِيَّـة عبد الله بن حُذَافَة السَّهْمِيِّ

ثبت في « الصحيحين »[(٣)] من طريق الأعمش ، عن سعد بن عُبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السُّلميِّ ، عن عليِّ بن أبي طالب قال : استعمل النبيُّ ﷺ رجلاً من الأنصار على سريَّة ، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا . قال : فأغضبوه في شيء فقال : اجمعوا لي حطباً . فجمعوا ، فقال : أوقدوا ناراً . فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخلوها . قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار . قال : فسكن غضبه وطفئت النار ، فلما قدموا على النبيِّ ﷺ ، ذكروا ذلك له ، فقال : « لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » .

وهذه القصة ثابتة أيضاً في « الصحيحين »[(٤)] من طريق يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقد تكلَّمنا عن هذه الآية بما فيه كفاية في « التفسير »[(٥)] ولله الحمد والمنة .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣١٠) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٣٣٦) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٤٠) و(٧١٤٥) ومسلم رقم (١٨٤٠) (٤٠) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٥٨٤) ومسلم رقم (١٨٣٤) .
(٥) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٢/ ٣٠٤) .

عمْرَةُ القَضَاءِ

ويقال : القِصاص ، ورجَّحه السهيليُّ . ويقال : عمرة القضيَّة . فالأول قضاء عما كان أحصر عام الحُديبية ، والثاني من قوله تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . والثالث من المقاضاة التي كان قاضاهم عليها ، على أن يرجع عنهم عامه هذا ، ثم يأتي في العام القابل ، ولا يدخل مكة إلا في جُلبان السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام ، وهذه العمرة هي المذكورة في قوله تعالى في سورة « الفتح » المباركة : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ الآية [الفتح : ٢٧] . وقد تكلَّمنا عليها مستقصى في كتابنا « التفسير » بما فيه كفاية . وهي الموعود بها في قوله ، عليه الصلاة والسلام ، لعمر بن الخطاب حين قال له : ألم تكن تحدِّثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوِّف به » . وهي المشار إليها في قول عبد الله بن رَوَاحة حين دخل بين يدي رسول الله ﷺ إلى مكة ، يوم عمرة القضاء وهو يقول[1] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله

أي : هذا تأويل الرُّؤيا التي كان رآها رسول الله ﷺ ، جاءت مثل فلق الصبح .

قال ابن إسحاق[2] : فلما رجع رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة ، أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجباً وشعبان وشهر رمضان وشوَّالاً ، يبعث فيما بين ذلك سراياه ، ثم خرج في ذي القعدة ، في الشهر الذي صدَّه فيه المشركون ، معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدُّوه عنها ـ قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدُّئليَّ ـ ويقال لها : عمرة القصاص ؛ لأنهم صدُّوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ستٍّ ، فاقتصَّ رسول الله ﷺ منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة ، في الشهر الحرام الذي صدُّوه فيه من سنة سبع . بلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ .

وقال معتمر بن سليمان[3] ، عن أبيه في « مغازيه » : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من خيبر ، أقام بالمدينة وبعث سراياه ، حتى استهلَّ ذو القعدة ، فنادى في الناس أن يتجهَّزوا للعمرة . فتجهَّزوا وخرجوا إلى مكة .

---

(١) الأبيات في « ديوانه » (١٤٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣١٤) .

وقال ابن إسحاق[١] : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدَّثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدَّة .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدَّثني من لا أتَّهم ، عن عبد الله بن عباس قال : صفُّوا له عند دار الندوة ؛ لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد ، اضطبع بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ، ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم واستلم الركن اليمانيَّ ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنُّون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحيِّ من قريش ؛ للذي بلغه عنهم ، حتى حجَّ حَجَّة الوداع ، فلزمها ، فمضت السُّنَّة بها .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمَّاد ، هو ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدَم عليكم وفد وهَنهم حمَّى يثرب . فأمرهم النبيُّ ﷺ أن يرمُلوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلَّها إلا الإبقاء عليهم . قال أبو عبد الله : وزاد ابن سلمة - يعني حمَّاد بن سلمة - عن أيوب ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : لمَّا قدم النبيُّ ﷺ لعامه الذي استأمن قال : « ارملوا ليرى المشركون قوَّتكم » ، والمشركون من قبل قعيقعان .

ورواه مسلم[٤]، عن أبي الرَّبيع الزَّهرانيِّ، عن حماد بن زيد. وأسند البيهقيُّ[٥]طريق حَمَّاد بن سَلَمَة.

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمع ابن أبي أوفى يقول : لما اعتمر رسول الله ﷺ ، سترناه من غِلْمَان المشركين ومنهم ؛ أن يؤذوا رسول الله ﷺ . وسيأتي بقية الكلام على هذا المقام .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول[٨] : [من الرجز]

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥٦) .
(٤) رواه مسلم رقم (١٢٦٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٦) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٢٥٥) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٨) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٤) .

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله   خلُّوا فكلُّ الخير في رسولهِ
يـا ربِّ إنـي مـؤمـنٌ بقِيلِـهِ   أعـرفُ حـقَّ الله فـي قبـولـهِ
نحـن قَتَلْنـاكُـمْ علـى تـأويلـه   كمـا قتلنـاكـم علـى تَنْـزِيْلِـهِ
ضَرْباً يُزِيل الهَامَ عن مَقِيْلِهِ   ويُـذْهِـلُ الخَلِيـلَ عَـنْ خليلـهِ

قال ابن هشام[١] : نحن قتلناكم على تأويله . إلى آخر الأبيات لعمَّار بن ياسر في غير هذا اليوم . يعني يوم صفِّين . قاله السهيليُّ[٢] .

قال ابن هشام : والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقرُّوا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقرَّ بالتنزيل .

وفيما قاله ابن هشام نظرٌ ؛ فإنَّ الحافظ البيهقيَّ روى من غير وجه[٣] ، عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن الزّهريِّ ، عن أنس قال : لمَّا دخل النبيُّ ﷺ مَكَّةَ في عُمْرَةِ القَضَاءِ ، مشى عبد الله بن رواحة بين يديه ـ وفي رواية : وهو آخذ بغَرْزِه[٤] ـ وهو يقول : [من الرجز]

خلُّـوا بنـي الكُفَّـار عـن سبيلـهِ   قـد نـزَّل الـرحمـن فـي تـنـزيلـهِ
بـأنَّ خيـر القتـل فـي سبيلـهِ   [نحـن قَتَلْنـاكُـم علـى تـأويلـهِ]

وفي رواية بهذا الإسناد بعينه : [من الرجز]

خلُّـوا بنـي الكُفَّـار عـن سبيلـهِ   اليـوم نضـربكـم علـى تنـزيلـه
ضـربـاً يُـزيـل الهَـامَ عَـنْ مَقِيلِـهِ   ويُـذْهِـلُ الخَلِيْـلَ عَـنْ خليلـهِ
يَا ربِّ إنِّي مؤمنٌ بقِيله

وقال يونس بن بكير[٥] ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل عام القضيَّة مكة ، فطاف بالبيت على ناقته ، واستلم الرُّكن بمحجنه ـ قال هشام : من غير علَّة ـ والمسلمون يشتدُّون حوله ، وعبد الله بن رواحة يقول[٦] : [من الرجز]

بســمِ الّــذي لا دِيْــنَ إلا دينُــهُ   بســمِ الــذي محمــدٌ رســولُــهُ
خلُّوا بني الكفَّار عن سبيلِهِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٢٨) .
(٣) في دلائل النبوة (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) .
(٤) الغرز : رِكابُ الرَّحْلِ .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٢٥) .
(٦) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٦) .

قال موسى بن عقبة[١] ، عن الزهريِّ : ثم خرج رسول الله ﷺ من العام القابل من عام الحُديبية معتمراً ، في ذي القعدة سنة سبع ، وهو الشهر الذي صدَّه المشركون عن المسجد الحرام ، حتى إذا بلغ يأجَج وضع الأداة كلَّها ؛ الحجف والمجانَّ والرِّماح والنَّبل ، ودخلوا بسلاح الراكب ؛ السيوف ، وبعث رسول الله ﷺ بين يديه جعفر بن أبي طالب إلى ميمونة بنت الحارث العَامِريَّة ، فخطبها عليه ، فجعلت أمرها إلى العباس ، وكان تحته أختها أمُّ الفضل بنت الحارث ، فزوَّجها العباس رسول الله ﷺ ، فلمَّا قدم رسول الله ﷺ ، أمر أصحابه فقال : « اكشفوا عن المناكب ، واسعوا في الطواف » . ليرى المشركون جلدهم وقوَّتهم ، وكان يكايدهم بكلِّ ما استطاع ، فاستكفَّ أهل مكة ؛ الرجال والنساء والصِّبيان ، ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه ، وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشِّحاً بالسيف ، وهو يقول[٢] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله ... خلّوا فَكُلُّ الخيرِ في رَسُولِهِ[٣]
قد أنزل الرحمن في تنزيله ... في صحُف تتلى على رسوله
فاليوم نضربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقِيله ... ويذهل الخليل عن خليله

قال : وتغيَّب رجال من أشراف المشركين أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ ؛ غيظاً وحنقاً ، ونفاسة ، وحسداً ، وخرجوا إلى الخندمة ، فقام رسول الله ﷺ بمكة ، وأقام ثلاث ليال ، وكان ذلك آخر القضية يوم الحديبية ، فلمَّا أن أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزَّى ، ورسول الله ﷺ في مجلس الأنصار يتحدَّث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب بن عبد العزَّى : نناشدك الله والعقد لمَا خرجت من أرضنا ، فقد مضت الثلاث . فقال سعد بن عبادة : كذبت ، لا أمَّ لك ، ليس بأرضك ولا بأرض آبائك ، والله لا يخرج . ثم نادى رسول الله ﷺ سهيلاً وحويطباً فقال : « إني قد نكحت فيكم امرأة ، فما يضرُّكم أن أمكث حتى أدخل بها ، ونصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا ؟ » . فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا . فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذَّن بالرحيل ، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل بطن سرِف ، وأقام المسلمون ، وخلَّف رسول الله ﷺ أبا رافع ليحمل ميمونة ، وأقام بسرف حتى قدمت عليه ميمونة ، [وقد لقيت ميمونة] ومن معها عناءً وأذى من سفهاء المشركين ومن

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٥) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٢٧) .
(٢) انظر « ديوان عبد الله بن رواحة » ص(١٤٤) وهي في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧١) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٢٨) و« الروض الأنف » (٧/ ٨) مع تقديم وتأخير ونقصٍ وزيادة .
(٣) تنبيه : لفظ الشطرة الثانية في (آ) و(ط) : « أنا الشهيد أنه رسوله » وأثبت لفظ « السيرة النبوية » لابن هشام و« ديوانه » ص(١٤٤) .

صبيانهم ، فقدمت على رسول الله ﷺ بسرف ، فبنى بها ، ثم أدلج ، فسار حتى قدم[1] المدينة .

وقدَّر الله أن يكون موت ميمونة بسرف بعد ذلك بحين ، فماتت حيث بنى بها رسول الله ﷺ .

ثم ذكر قصة ابنة حمزة ، إلى أن قال : وأنزل الله ، عزَّ وجلَّ ، في تلك العمرة : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . فاعتمر رسول الله ﷺ في الشهر الحرام الذي صُدَّ فيه .

وقد [روى] ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة بن الزبير نحواً من هذا السِّياق .

[ولهذا السياق] شواهد كثيرة من أحاديث متعددة ، ففي « صحيح البخاريِّ »[2] من طريق فليح بن سليمان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ خرج معتمراً ، فحال كفار قريش بينه وبين البيت ، فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية ، وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ، ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ، ولا يقيم بها إلا ما أحبُّوا . فاعتمر من العام المقبل ، فدخلها كما كان صالحهم ، فلمَّا أن أقام بها ثلاثاً أمروه أن يخرج فخرج .

وقال الواقديُّ[3] : حدَّثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : لم تكن هذه عمرة قضاء ، وإنما كانت شرطاً على المسلمين أن يعتمروا من قابل ، في الشهر الذي صدَّهم فيه المشركون .

وقال أبو داود[4] : ثنا النُّفيليُّ ، ثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، سمعت أبا حاضر الحميريَّ يحدِّث [أبي] مَيمونَ بن مِهْرَان قال : خرجت معتمراً عام حاصر أهل الشام ابن الزّبير بمكّة ، وبعث معي رجال من قومي بهدي . قال : فلما انتهينا إلى أهل الشام ، منعونا أن ندخل الحرم . قال : فنحرت الهدي مكاني ، ثم أحللت ، ثم رجعت ، فلمَّا كان من العام المقبل خرجت لأقضي عمرتي ، فأتيت ابن عباس فسألته ، فقال : أبدل الهدي ؛ فإن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يبدلوا الهدي الذي نحروا عام الحُديبية ، في عمرة القضاء . تفرَّد به أبو داود من حديث أبي حاضر عثمان بن حاضر الحميريِّ ، عن ابن عباس ، فذكره .

وقال الحافظ البيهقيُّ[5] : أنبأ الحاكم ، أنبأ الأصمُّ ، ثنا أحمد بن عبد الجبار ، ثنا يُونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني عمرو بن ميمون قال : كان أبي يُسأل كثيراً : هل كان رسول الله ﷺ أبدل هديه الذي نحر ، حين صدَّه المشركون عن البيت ؟ ولا يجد في ذلك شيئاً ، حتى سمعته يسأل أبا حاضر

---

(١) في (ط) : « فأتى » .

(٢) انظر « صحيح البخاري » رقم (٤٢٥٢) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٣١٨) .

(٤) في « سننه » رقم (١٨٦٤) ، وإسناده ضعيف .

(٥) انظر « دلائل النبوة » (٤/٣١٩) .

الحميريَّ عن ذلك ، فقال له : على الخبير سقطتَ ، حججت عام ابن الزُّبير في الحصر الأول ، فأهديت هدياً ، فحالوا بيننا وبين البيت ، فنحرت في الحرم ، ورجعت إلى اليمن ، وقلت : لي برسول الله ﷺ أسوة . فلمّا كان العام المقبل حججت ، فلقيت ابن عباس ، فسألته عما نحرت : عليَّ بدله أم لا ؟ قال : نعم فأبدل ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه قد أبدلوا الهدي الذي نحروا عام صدَّهم المشركون ، فأبدلوا ذلك في عمرة القضاء ، فعزَّت الإبل عليهم ، فرخَّص لهم رسول الله ﷺ في البقر .

وقال الواقديُّ(١) : حدَّثني غانم بن أبي غانم ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : جعل رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الأسلميَّ على هديه ، يسير بالهدي أمامه ، يطلب الرِّعي في الشجر ، معه أربعة فتيان من أسلم ، وقد ساق رسول الله ﷺ في عمرة القضيَّة ستين بَدَنةً .

فحدَّثني(٢) محمد بن نُعَيم المُجْمِر ، عن أبيه ، عن أبي هُريـرة قال : كنت مع صاحب البدن أسوقها .

قال الواقديُّ(٣) : وسار رسول الله ﷺ يلبِّي والمسلمون معه يلبُّون ، ومضى محمد بن مسلمة بالخيل إلى مرِّ الظَّهران ، فيجد بها نفراً من قريش ، فسألوا محمد بن مسلمة ، فقال : هذا رسول الله ﷺ يصبِّح هذا المنزل غداً إن شاء الله . ورأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد ، فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً ، فأخبروهم بالذي رأوا من السلاح والخيل ، ففزعت قريش وقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً ، وإنا على كتابنا وهدنتنا ، ففيم يغزونا محمد في أصحابه ؟ ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقدَّم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يأجَج ، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش مِكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش ، حتى لقوه ببطن يأجج ، ورسول الله ﷺ في أصحابه والهدي والسلاح ، قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد ، ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر ، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك ، وقد شرطت لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القرب ؟ فقال النبيُّ ﷺ : « إني لا أُدخل عليهم السلاح » . فقال مِكرز بن حفص : هذا الذي تعرف به ؛ البرُّ والوفاء . ثم رجع سريعاً بأصحابه إلى مكة [فقال : إن محمداً لا يدخل بسلاح ، وهو على الشرط الذي شرط لكم] فلما أن جاء مكرز بن حفص بخبر النبيِّ ﷺ ، خرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال ، وخلَّوا مكة ، وقالوا : لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه . فأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حبس بذي طوى ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهو على ناقته القصواء ، وهم محدقون به يلبُّون ، وهم متوشِّحون السيوف ، فلما انتهى إلى ذي طُوى ، وقف على ناقته

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٢) .
(٢) القائل الواقدي في « المغازي » (٢/ ٧٣٢) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٤) .

القصواء ، [والمسلمون حوله ، ثم دخل من الثَّنيَّة التي تطلعه على الحَجون على راحلته القصواء] وابن رواحة آخذ بزمامها ، وهو يرتجز بشعره ويقول[١] : [من الرجز]

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

إلى آخره .

وفي « الصحيحين »[٢] من حديث ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ـ يعني من ذي القعدة سنة سبع ـ فقال المشركون : إنه يقدَم عليكم وفد قد وهَنتهم حمَّى يثرب . فأمر رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الرُّكنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا محمد بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل ، يعني ابن زكريا ، عن عبد الله بن عثمان ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما نزل مرَّ الظَّهران في عمرته ، بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشاً تقول : ما يتباعثون من العجف . فقال أصحابه : لو انتحرنا من ظهرنا ، فأكلنا من لحمه ، وحسونا من مرقه ، أصبحنا غداً حين ندخل على القوم وبنا جَمامة . فقال : « لا تفعلوا ، ولكن اجمعوا لي من أزوادكم » . فجمعوا له ، وبسطوا الأنطاع ، فأكلوا حتى تركوا ، وحثا كلُّ واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد ، وقعدت قريش نحو الحِجر ، فاضطبع بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غَميزة » . فاستلم الرُّكن ثم رمل ، حتى إذا تغيَّب بالركن اليمانيِّ مشى إلى الركن الأسود ، فقالت قريش : ما يرضَون بالمشي ، أما إنهم لينقزون نقز الظِّباء . ففعل ذلك ثلاثة أطواف ، فكانت سُنَّة . قال أبو الطُّفيل : وأخبرني ابن عباس أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجَّة الوداع . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه .

قال أبو داود[٤] : ثنا أبو سلمة موسى ، ثنا حمَّاد ـ يعني ابن سلمة ـ أنبأنا أبو عاصم الغنويُّ ، عن أبي الطُّفيل قال : قلت لابن عباس : يزعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت ، وأن ذلك سُنَّة . فقال : صدقوا وكذبوا . قلت : ما صدقوا وما كذبوا ؟ قال : صدقوا ؛ رمل رسول الله ﷺ ، وكذبوا ؛ ليس بسُنة ، إنَّ قريشاً قالت زمن الحديبية : دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النَّغف . فلمَّا صالحوه على أن يجيئوا من العام المقبل فيقيموا بمكة ثلاثة أيام ، فقدم رسول الله ﷺ والمشركون من قِبل

---

(١) انظر « ديوانه » ص(١٤٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٥٦) ومسلم رقم (١٢٦٦) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٥) ، وإسناده حسن .
(٤) في « سننه » رقم (١٨٨٥) ، وهو حديث صحيح .

قعيقعان ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « ارملوا بالبيت ثلاثاً » . قال : وليس بسُنة .

وقد رواه مسلم[١] من حديث سعيد الجُريريِّ ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر ، ثلاثتهم عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، عن ابن عباس ، به نحوه .

وكونُ الرَّمَل في الطَّواف سُنة مذهب الجمهور ، فإن رسول الله ﷺ رمل في عمرة القضاء ، وفي عمرة الجعرانة أيضاً ، كما رواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباس ، فذكره[٢] . وثبت في حديث جابر عند مسلم وغيره ، أنه صلَّى الله عليه وسلم رمل في حجة الوداع في الطواف[٣] . ولهذا قال عمر بن الخطاب : فيم الرَّملان وقد أطَّأ[٤] الله الإسلام ؟ ومع هذا لا نترك شيئاً فعله رسول الله ﷺ[٥] وموضع تقرير هذا كتاب « الأحكام » .

وكان ابن عباس في المشهور عنه لا يرى ذلك سُنة ، كما ثبت في « الصحيحين »[٦] من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إنما سعى النبيُّ ﷺ بالبيت وبين الصّفا والمروة ؛ ليُريَ المشركين قوَّته ، لفظ البخاريِّ .

وقال الواقديُّ[٧] : لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في القضاء ، دخل البيت ، فلم يزل فيه حتى أذَّن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة ، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك ، فقال عكرمة بن أبي جهل : لقد أكرم الله أبا الحكم حيث لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول . وقال صفوان بن أمية : الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا . وقال خالد بن أسيد : الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم ، حين يقوم بلال بن أمِّ بلال ينهق فوق الكعبة . وأما سهيل بن عمرو ورجال معه ، لمَّا سمعوا بذلك غَطَّوا وجوههم .

قال الحافظ البيهقيُّ[٨] : قد أكرم الله أكثرهم بالإسلام .

قلت : كذا ذكره البيهقيُّ[٩] من طريق الواقديِّ ؛ أن هذا كان في عُمْرَة القَضَاء . والمشهور أن ذلك كان في عام الفتح ، والله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٢٦٤) و(١٢٦٥) .
(٢) رواه أبو داود رقم (١٨٩٠) وابن ماجه (٢٩٥٣) وهو حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم رقم (١٢١٨) .
(٤) أي : ثبَّت .
(٥) رواه أحمد في « المسند » وأبو داود (١٨٨٧) وابن ماجه (١٩٥٢) وهو حديث صحيح .
(٦) رواه البخاري رقم (١٦٤٩) و(٤٢٥٧) ومسلم رقم (١٢٦٦) (٢٤١) .
(٧) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٧) .
(٨) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٩) .
(٩) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٢٩) .

وأما قصة تزويجه ، عليه الصلاة والسلام ، بِمَيمُونَةَ

فقال ابن إسحاق[١] : حدَّثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوَّجه إيَّاها العباس بن عبد المطَّلب . قال ابن هشام : كانت جعلت أمرها إلى أختها أمِّ الفضل ، فجعلت أمُّ الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوَّجها رسول الله ﷺ ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم .

وذكر السُّهيليُّ[٢] أنَّه لمَّا انتهت إليها خِطبة رسول الله ﷺ لها وهي راكبة بعيراً قالت : الجمل وما عليه لرسول الله ﷺ . قال : وفيها نزلت الآية : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وقد روى البخاريُّ[٣] من طريق أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج مَيْمُونَة وهو محرمٌ ، وبنى بها وهو حلالٌ ، وماتت بِسَرِف .

قال السُّهيليُّ[٤] : وروى الدارقطنيُّ من طريق أبي الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الورَّاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة وهو حلال . قال : وتأوَّلوا رواية ابن عباس الأولى أنَّه كان محرماً ؛ أي في شهر حرام ، كما قال الشاعر[٥] : [من الكامل]

قَتَلوا ابنَ عَفَّان الخليفةَ مُحْرِمَاً ... فـدَعـا[٦] فلـم أر مثلـه مخـذولاَ

أي : في شهر حرام .

قلت : وفي هذا التأويل نظر ؛ لأنَّ الروايات متظافرة عن ابن عباس بخلاف ذلك ، ولا سيَّما قوله : تزوَّجها وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال ، وقد كان في شهر ذي القعدة أيضاً ، وهو شهر حرام .

وقال محمد بن يحيى الذُّهْليُّ : ثنا عبد الرزاق قال : قال لي الثَّوريُّ : لا تلتفت إلى قول أهل المدينة ؛ أخبرني عمرو ، عن أبي الشَّعثاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج وهو محرم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .
(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٢٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٥٨) .
(٤) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٠) .
(٥) وهو الراعي النميري ، والبيت في « ديوانه » ص (٢٠٧) .
(٦) كذا في كتابنا هنا ، وفي « الروض الأنف » (٧/ ٣٠) : « فدعا » وفي « زاد المعاد » (٣/ ٣٣٠) : « ورعاً » .

قال أبو عبد الله[(١)] : قلت لعبد الرزاق : روى سفيان الحديثين جميعاً ؛ عن عمرو عن أبي الشَّعثاء عن ابن عباس[(٢)] ، وابن خُثَيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[(٣)] ؟ قال : نعم ، أمَّا حديث ابن خثيم فحدَّثنا هاهنا ـ يعني باليمن ـ وأمَّا حديث عمرو فحدَّثنا ثَمَّ ـ يعني بمكة ـ وأخرجاه في « الصحيحين »[(٤)] من حديث عمرو بن دينار به .

وفي « صحيح البخاريِّ »[(٥)] من طريق الأوزاعيِّ ، أنبأنا عطاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج مَيمونة وهو محرمٌ .

فقال سعيد بن المسيَّب : وَهَمَ[(٦)] ابن عباس ، وإن كانت خالته ؛ ما تزوَّجها إلا بعد ما أَحَلَّ .

وقال يونس[(٧)] ، عن ابن إسحاق : حدَّثني ثقة ، عن سعيد بن المسيَّب أنَّه قال : هذا عبد الله بن عباس ، يزعم أنَّ رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو محرم . فذكر كلمته : إنَّما قدم رسول الله ﷺ مكة ، فكان الحلُّ والنِّكاح جميعاً ، فشُبِّه ذلك على الناس .

وروى مسلم وأهل السُّنن[(٨)] من طرق ، عن يزيد بن الأصمِّ العامريِّ ، عن خالته ميمونة بنت الحارث قال : تزوَّجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف . ولكن قال الترمذيُّ : روى غير واحد هذا الحديث ، عن يزيد بن الأصمِّ مرسلاً ، أنَّ رسول الله ﷺ تزوَّج ميمونة [وهو حلال] .

وقال الحافظ البيهقيُّ[(٩)] : أنبأنا أبو عبد الله [الحافظ ، أنبأنا أبو عبد الله] محمد بن عبد الله الأصفهانيُّ الزاهد ، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حماد بن زيد ، ثنا مطر الورَّاق ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن سليمان بن يسار ، عن أبي رافع قال : تزوَّج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت الرسولَ بينهما .

---

(١) يعني (الذُّهْلِيّ) وهو محمد بن يحيى بن عبد الله الذُّهْلِيّ النَّيْسَابُوريّ ، أبو عبد الله ، المتوفى سنة (٢٥٨) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٢٥٩) بتحقيقي ، طبع دار ابن كثير .
(٢) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣٦٢) ، وإسناده صحيح .
(٣) انظر « المسند » للإمام أحمد بن حنبل (١/ ٢٨٣ و٣٦٢) ، وإسناده حسن .
(٤) رواه البخاري رقم (٥١١٤) ومسلم رقم (١٤١٠) .
(٥) رقم (١٨٣٧) .
(٦) أي : ذهب وهمه إليه . قاله ابن الأثير في « جامع الأصول » (٣/ ٥٢) وقد ذكر أبو داود أثر ابن المسيب هذا في « سننه » رقم (١٨٤٥) وهو صحيح مقطوع .
(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٣٦) .
(٨) هو عند مسلم رقم (١٤١١) وأبي داود رقم (١٨٤٣) والترمذي رقم (٨٤٥) والنسائي رقم (٥٤٠٤) وابن ماجه رقم (١٩٦٤) .
(٩) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٣٦) .

وهكذا رواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ[١] جميعاً ، عن قتيبة ، عن حَمَّاد بن زيد ، به ، ثم قال الترمذيُّ : حسن ، ولا نعلم أحداً أسنده غير حَمَّاد عن مطر . ورواه مالك ، عن ربيعة ، عن سليمانَ مرسلاً . ورواه سليمان بن بلال ، عن ربيعةَ مرسلاً .

قلت : وكانت وفاتها بسرف سنة ثلاث وستين ، [ويقال : سنة ستين] ، رضي الله عنها .

* * *

ذكر خروجه ﷺ من مَكَّة بعد قضاء عُمْرَتِهِ

قد تقدَّم ما ذكره موسى بن عقبة ؛ أنَّ قريشاً بعثوا إليه حُويطب بن عبد العُزَّى بعد مضيِّ أربعة أيام ليرحل عنهم ، كما وقع به الشّرط ، فعرض عليهم أن يعمل وليمة عُرْسه بمَيْمُونَةَ عندهم ، وإنَّما أراد تأليفهم بذلك ، فأبوا عليه وقالوا : بل اخرُج عنا ، فخرج وكذلك ذكره ابن إسحاق[٢] .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : اعتمر النبيُّ ﷺ في ذي القعدة ، فأبى أهل مكة [أن يدعوه يدخل مَكَّة] حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام ، فلمَّا كتبوا الكتاب ، كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله . قالوا : لا نقرُّ بهذا ، لو نعلم أنَّك رسول الله ما منعناك شيئاً ، ولكن أنت محمد بن عبد الله .

قال : « أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله » . ثم قال لعليِّ بن أبي طالب : « امْحُ رسول الله » . قال : لا والله لا أمحوك أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ، وليس يُحسن يكتب ، فكتب[٤] : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ؛ لا يُدخل مَكَّةَ إلَّا السيفَ في القِراب ، وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أراد أن يقيم بها . فلمَّا دخلها ومضى الأجل ، أتَوا عليّاً فقالوا : قل لصاحبك : اخرج عنا ، فقد مضى الأجل . فخرج النبيُّ ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي : يا عمّ ، ياعمّ . فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها ، وقال لفاطمة : دونكِ ابنةَ عمِّكِ . فحملتها ، فاختصم فيها عليٌّ وزيد

---

(١) رواه الترمذي رقم (٨٤١) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٥٤٠٢) ، وهو ضعيف بطوله ، وصح عنه « تزوج ميمونة وهو حلال » .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٥١) .

(٤) أي : أمر بالكتابة ﷺ ، وإلا فَأُمِّيَّتُه مسلَّم بها ، نصّ عليها القرآن الكريم ، وهي من الإعجاز العظيم الذي كان في شخصيته ودعوته ﷺ كما هو معلوم لدى أهل العلم من المسلمين سلفاً وخلفاً . وانظر لتمام الفائدة الفصل الخاص بِأُمِّيَّتِهِ ﷺ من مقدمتي لكتاب « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي .

وجعفر ، فقال عليٌّ : أنا أخذتها وهي ابنة عَمِّي . وقال جعفر : ابنة عَمِّي ، وخالتها تحتي . وقال زيد : ابنةُ أخي ، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها[1] وقال : « الخَالَةُ بمنزلةِ الأُمِّ » . وقال لعليٍّ : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » . وقال لجعفر : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » . وقال لزيد : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلانَا » . قال عليٌّ : ألا تتزوَّج ابنةَ حمزة ؟ قال : « إنها ابنةُ أخي من الرَّضَاعَةِ » . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

وقد روى الواقديُّ[2] قصة ابنة حمزة ، فقال : حدَّثني ابن أبي حَبيبة ، عن داود بن الحُصَين ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس ، أن عُمَارة ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وأمُّها سَلمى بنت عُميس ، كانت بمكة ، فلمَّا قدم رسول الله ﷺ كلَّم عليُّ بن أبي طالب رسول الله ﷺ فقال : علام نترك ابنة عمِّنا يتيمة بين ظهراني المشركين ؟ فلم ينه النبيُّ ﷺ عن إخراجها ، فخرج بها ، فتكلَّم زيد بن حارثة وكان وصيَّ حمزة ، وكان النبيُّ ﷺ قد آخى بينهما حين آخى بين المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنة أخي . فلمَّا سمع بذلك جعفر قال : الخالة والدة ، وأنا أحقُّ بها لمكان خالتها عندي أسماء بنت عميس . وقال عليٌّ : ألا أراكم تختصمون ، هي ابنة عمِّي ، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين ، وليس لكم إليها سبب دُوني ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبيُّ ﷺ : « أنا أَحْكُمُ بينكم ، أمّا أنت يا زيد فمولى الله ومولى رسول الله ، [وأمّا أنت يا عليُّ فأخي وصَاحبي] ، وأما أنت يا جَعْفَرُ فتشبه خَلْقي وخُلُقي ، وأنت يا جعفر أولى بها ؛ تحتك خالتُها ، ولا تنكح المرأة على خالتها ولا على عمَّتها » فقضى بها لجعفر .

قال الواقديُّ : فلما قضى بها لجعفر ، قام جعفر فحَجَل حول رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، كان النَّجاشيُّ إذا أرضى أحداً ، قام فَحَجَل حوله . فقال للنبيِّ ﷺ : تزوَّجها . فقال : « ابنة أخي من الرَّضاعة » . فزوَّجها رسول الله ﷺ سَلَمَةَ بن أبي سَلَمَة ، فكان النبيُّ ﷺ يقول : « هَلْ جَزَيْتُ سَلَمَةَ ؟ » .

قلت : لأنَّه ذَكَرَ الواقديُّ وغيره ، أنَّه هو الذي زوَّج رسول الله ﷺ بأُمِّه أُمِّ سَلَمَةَ ؛ لأنَّه كان أكبر من أخيه عُمر بن أبي سلمة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[3] : ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجَّة ، وتولَّى المشركون تلك الحجَّة .

قال ابن هشام[4] : وأنزل الله في هذه العُمرة ، فيما حدَّثني أبو عبيدة ، قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ

---

(١) أي : لزوجة جعفر رضي الله عنه .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٣٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٢) .

ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] يعني خيبر .

* * *

فصــل

ذكر البيهقيُّ[١] هاهنا سريَّة ابن أبي العَوجَاء السُّلميِّ إلى بني سُليم ، ثم ساق بسنده عن الواقديِّ[٢] : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مسلم ، عن الزُّهريِّ قال : لمَّا رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيَّة ، رجع في ذي الحجَّة من سنة سبع ، فبعث ابن أبي العوجاء السُّلميَّ في خمسين رجلاً ، فخرج [إلى بني سُليم ، وكان عين بني سليم معه ، فلما فصل من المدينة ، خرج] العين إلى قومه ، فحذَّرهم وأخبرهم ، فجمعوا جمعاً كثيراً ، وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدُّون ، فلمَّا أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم ، دعوهم إلى الإسلام ، فرشقوهم بالنَّبل ولم يسمعوا قولهم ، وقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه ، فرموهم ساعة ، وجعلت الأمداد تأتي ، حتى أحدقوا بهم من كلِّ جانب ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، حتى قتل عامَّتهم ، وأُصيب ابن أبي العوجاء بجراحات كثيرة ، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من صفر سنة ثمان .

* * *

فصــل

قال الواقديُّ[٣] : في المحرَّم من هذه السنة ـ يعني سنة سبع ـ ردَّ رسول الله ﷺ ابنته زينب على زوجها أبي العاص بن الربيع ، وقد قدَّمنا الكلام على ذلك .

وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس ومعه مارية وسيرين ، وقد أسلمتا في الطريق ، وغلام خصيٌّ .

قال الواقديُّ[٤] : وفيها اتَّخذ رسول الله ﷺ منبره درجتين ومقعده . قال : والثَّبَتُ عندنا أنَّه عُمل في سنة ثمان .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤١) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤١) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢١) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٢٢) .

ربِّ يسّر وأَعِنْ بحولِكَ وقوتك

سنة ثمان من الهجرة النبوية

فصل

في إسلام عمرو بن العَاص ، وخالد بن الوليد ، وعثمان بن طلحة ، رضي الله عنهم ، وكان قدومهم أوائل سنة ثمانٍ ، على ما سيأتي

قد تقدَّم طرف من ذلك ، فيما ذكره ابن إسحاق بعد مقتل أبي رافعٍ اليهوديِّ ، وذلك في سنة خمس من الهجرة ، وإنَّما ذكره الحافظ البيهقيُّ[١] هاهنا بعد عُمْرَة القَضَاء ، فروى من طريق الواقديِّ[٢] : أنبأ عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه قال : قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مجانباً معانداً ، حضرت بدراً مع المشركين فنجوت ، ثم حضرت أُحداً فنجوتُ ، ثم حضرت الخَنْدَقَ فنجوتُ . قال : فقلت في نفسي : كم أُوضِعُ[٣] ؟ والله ليظهرنَّ محمدٌ على قريش ، فلحقتُ بمالي بالوَهْطِ[٤] ، وأقللت من الناس ـ أي : من لقائهم ـ فلمَّا حضر الحُديبية ، وانصرف رسول الله ﷺ في الصُّلح ، ورَجَعَتْ قريش إلى مَكّة ، جعلت أقول : يَدْخُل محمدٌ قابلاً مَكَّة بأصحابه ، ما مَكَّةُ بمنزل ولا الطائف ولا شيء خير من الخروج . وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلام ، وأرى لو أَسْلَمَتْ قريشٌ كلُّها لم أُسْلِمْ ، فقدمتُ مَكَّة وجمعت رجالاً من قومي ، وكانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، ويقدِّمونني فيما نابهم ، فقلت لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رأينا ومِدْرَهُنَا[٥] في يُمن نقيبة وبركةِ أمرٍ ، قال : قلت : تعلمون أنِّي والله لأرى أَمْرَ محمدٍ أَمْراً يعلو الأمور علوّاً منكراً ، وإنِّي قد رأيت رأياً . قالوا : وما هو ؟ قلت : نَلْحَقُ بالنجاشيِّ فنكون معه ، فإن يظهر محمدٌ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٤٣) .

(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤١) .

(٣) أي : أُدبر وأحاربُ .

(٤) في (آ) و(ط) : « بالرّهط » وهو خطأ ، والتصحيح من « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٤٤٧) وقد جاء فيه مايلي : « وهط . . . كرم كان لعمرو بن العاص بالطائف ، قيل : يعرش على ألف ألف خشبة . وقيل : قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وجّ ، كانت لعمرو بن العاص » .

(٥) أي : سيدنا ومقدَّمنا .

كنا عند النجاشيِّ ، فنكون تحت يد النَّجاشيِّ أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يد محمدٍ ، وإن تظهر قريش فنحن مَن قد عرفوا . قالوا : هذا الرأي . قال : قلت : فاجمعوا ما نهديه له . وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأَدَمُ ، فجمعنا أَدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا على النجاشيِّ ، فوالله إنَّا لعنده إذ جاء عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِيّ ، وكان رسولُ الله ﷺ قد بعثه بكتابٍ كَتَبَهُ ، يُزَوِّجُه أُمَّ حَبيبة بنت أبي سُفيان ، فدخل عليه ثم خرج من عنده ، فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُمَيَّة ، ولو قد دخلت على النجاشيِّ فسألته إيَّاه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك سَرَرْتُ قريشاً ، وكنت قد أجزأْتُ عنها حين قتلت رسول محمد . فدخلت على النجاشيِّ فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . ثُمَّ قدَّمته فأعجبه ، وفرَّق منه شيئاً بين بطارقته ، وأمر بسائره فأدخل في موضع ، وأمر أن يكتب ويحتفظ به ، فلما رأيت طيب نفسه قلت : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول عدوٍّ لنا قد وترنا ، وقتل أشرافنا وخيارنا ، فأعطنيه فأقتله . فغضب من ذلك ، ورفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنَّه كسره ، فابتدر منخِراي ، فجعلت أتلقَّى الدَّم بثيابي ، فأصابني من الذُّلِّ ما لو انشقَّت بي الأرض دخلت فيها ؛ فرَقاً منه . ثم قلت : أيها الملك ، لو ظننت أنَّك تكره ما قلت ما سألتك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرو ، تسألني أن أعطيك رسول من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، والذي كان يأتي عيسى لتقتله ؟ قال عمرو : فغيَّر الله قلبي عمَّا كنت عليه ، وقلت في نفسي : عرف هذا الحقَّ العرب والعجم وتخالف أنت ؟ ثم قلت : أتشهد أيُّها الملك بهذا ؟ قال : نعم ، أشهد به عند الله يا عمرو ، فأطعني واتَّبعه ، فوالله إنَّه لعلى الحقِّ ، وليظهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قلت : أتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسط يده فبايعني على الإسلام ، ثم دعا بطَست ، فغسل عني الدم وكساني ثياباً ، وكانت ثيابي قد امتلأت بالدَّم فألقيتها ، ثم خرجت على أصحابي ، فلمَّا رأوا كسوة النجاشيِّ سُرُّوا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت ؟ فقلت لهم : كرهت أن أكلِّمه في أول مرة ، وقلت : أعود إليه . فقالوا : الرأي ما رأيت . قال : ففارقتهم وكأنِّي أعمد لحاجة ، فعمدت إلى موضع السُّفن ، فأجد سفينة قد شحنت تدفع . قال : فركبت معهم ودفعوها ، حتى انتهوا إلى الشُّعيبة ، وخرجت من السفينة ومعي نفقة ، فابتعت بعيراً ، وخرجت أريد المدينة ، حتى مررت على مرِّ الظَّهران ، ثم مضيت ، حتى إذا كنت بالهدَة ، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة ، والآخر يمسك الرَّاحلتين . قال : فنظرت فإذا خالد بن الوليد . قال : قلت : أين تريد ؟ قال : محمداً ؛ دخل الناس في الإسلام ، فلم يبق أحد به طعم ، والله لو أقمت لأُخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبع في مغارتها . قلت : وأنا والله قد أردت محمداً ، وأردت الإسلام . فخرج عثمان بن طلحة فرحَّب بي ، فنزلنا جميعاً في المنزل ، ثم ترافقنا حتى أتينا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبي عنبة يصيح : يا رباح ،

يا رباح ، يا رباح . فتفاءلنا بقوله وسررنا ، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول : قد أعطت مكة المقادة بعد هذين . فظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد ، وولّى مدبراً إلى المسجد سريعاً ، فظننت أنّه بشّر رسول الله ﷺ بقدومنا ، فكان كما ظننت ، وأنخنا بالحرَّة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودي بالعصر ، فانطلقنا حتى اطَّلعنا عليه وإنَّ لوجهه تهلُّلاً ، والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا ، فتقدَّم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدَّم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدَّمتُ ، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي [إليه] حياءً منه . قال : فبايعته على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ، ولم يحضرني ما تأخَّر ، فقال : « إنَّ الإسلام يجبُّ ما كان قبله ، والهجرة تجبُّ ما كان قبلها » . قال : فوالله ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حزَبه منذ أسلمنا ، ولقد كنَّا عند أبي بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنت عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب .

قال عبد الحميد بن جعفر شيخ الواقديِّ[١] : فذكرت هذا الحديث ليزيد بن أبي حبيب ، فقال : أخبرني راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفيِّ ، عن مولاه حبيب ، عن عمرو بن العاص نحو ذلك .

قلت : كذلك رواه محمد بن إسحاق[٢] ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد ، عن مولاه حبيب قال : حدَّثني عمرو بن العاص مِن فيه . فذكر ما تقدَّم في سنة خمس بعد مقتل أبي رافع . وسياق الواقديِّ أبسط وأحسن . قال الواقديُّ ، عن شيخه عبد الحميد : فقلت ليزيد بن أبي حبيب : وقَّت لك متى قدم عمرو وخالد ؟ قال : لا ، إلا أنَّه قال : قبل الفتح . قلت : فإنَّ أبي أخبرني أنَّ عَمْراً وخالداً وعثمان بن طلحة قدموا لهلال صفر سنة ثمان .

وسيأتي عند وفاة عمرو من « صحيح مسلم »[٣] ما يشهد لسياق إسلامه ، وكيفية حُسن صحبته لرسول الله ﷺ مدة حياته ، وكيف مات وهو يتأسَّف على ما كان منه في مدة مباشرته الإمارة بعده ، عليه الصلاة والسلام ، وصفة موته ، رضي الله عنه .

* * *

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٧٦) .
(٣) رقم (١٢١) .

طريقُ إسلام خالد بن الوليد

قال الواقديُّ(١) : حدَّثني يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت أبي يحدِّث عن خالد بن الوليد قال : لمَّا أراد الله بي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرني رُشدي ، فقلت : قد شهدت هذه المواطن كلَّها على محمد ﷺ ، فليس [في] موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في نفسي أنِّي مُوضع في غير شيء ، وأنَّ محمداً سيظهر ، فلمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى الحُديبية خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعسفان ، فقمت بإزائه وتعرَّضت [له] فصلَّى بأصحابه الظُّهر أمامنا ، فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خِيَرة ـ فاطَّلع على ما في أنفسنا من الهمِّ به ، فصلَّى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف ، فوقع ذلك منَّا موقعاً ، وقلت : الرجل ممنوع . فاعتزلَنا وعدل عن سير خيلنا ، وأخذ ذات اليمين ، فلمَّا صالح قريشاً بالحديبية ، ودافعته قريش بالراح ، قلت في نفسي : أيُّ شيء بقي ؟ أين المذهب ؟ إلى النجاشيِّ ؟ فقد اتَّبع محمداً ، وأصحابه عنده آمنون ، فأخرج إلى هرقل ؟ فأخرج من ديني إلى نصرانيَّة أو يهودية ، فأقيم مع عجم تابعاً ، فأقيم في داري [فيمن بقي ؟] فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضيَّة ، فتغيَّبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبيِّ ﷺ في عمرة القضية ، فطلبني فلم يجدني ، فكتب إليَّ كتاباً ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمَّا بعد ، فإنِّي لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك ! ومثل الإسلام جهله أحد ؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك ، وقال : « أين خالد ؟ » فقلت : يأتي الله به . فقال : « [ما] مثله جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحدَّه مع المسلمين كان خيراً [له] ولقدَّمناه على غيره » . فاستدرك يا أخي ما قد فاتك ، فقد فاتك مواطن صالحة .

قال : فلمَّا جاءني كتابه نشطت للخروج ، وزادني رغبة في الإسلام ، وسرَّني سؤال رسول الله ﷺ عني ، وأرى في النوم كأنِّي في بلاد ضيِّقة مجدبة ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة ، فقلت : إنَّ هذه لرؤيا ، فلمَّا أن قدمت المدينة قلت : لأذكرنَّها لأبي بكر . فقال : مخرجك الذي هداك الله [للإسلام] والضِّيق الذي كنت فيه [من] الشرك .

[قال :] فلمَّا أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ ، قلت : من أُصاحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فلقيت صفوان بن أُميَّة ، فقلت : يا أبا وهب ، أما ترى ما نحن فيه ، إنَّما نحن كأضراس ، وقد ظهر محمد على العرب والعجم ، فلو قدمنا على محمد واتَّبعناه ؛ فإنَّ شرف محمد لنا شرف . فأبى أشدَّ الإباء ، فقال : لو لم يبق غيري ما اتَّبعته [أبداً] .

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٤٥) .

فافترقنا، وقلت: هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر . فلقيت عكرمة بن أبي جهل ، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت : فاكتم عليَّ . قال : لا أذكره . فخرجت إلى منزلي ، فأمرت براحلتي ، فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة ، فقلت : إنَّ هذا لي صديق ، فلو ذكرت له ما أرجو . ثم ذكرت من قتل من آبائه ، فكرهت أن أذكِّره ، ثم قلت : وما عليَّ وأنا راحل من ساعتي. فذكرت له ما صار الأمر إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جُحر ، لو صبَّ فيه ذنوب من ماءٍ لخرج. وقلت له نحواً ممَّا قلت لصاحبيَّ، فأسرع الإجابة، وقال: إنِّي غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدوَ ، وهذه راحلتي بفخٍّ مناخةً . قال : فاتَّعدت أنا وهو يأجَج ؛ إن سبقني أقام ، وإن سبقته أقمت [عليه] .

قال : فأدلجنا سَحَراً ، فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج ، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدَة ، فنجد عمرو بن العاص بها فقال : مرحباً بالقوم . فقلنا : وبك . فقال : إلى أين مسيركم ؟ فقلنا : وما أخرجك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلنا : الدخول في الإسلام واتِّباع محمد ﷺ . قال : وذاك الذي أقدمني . فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ، فأنخنا بظهر الحرَّة ركابنا ، فأُخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرَّ بنا ، فلبست من صالح ثيابي ، ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي ، فقال : أسرع ، فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبر بك ، فسرَّ بقدومك ، وهو ينتظركم .

فأسرعنا المشي ، فاطَّلعت عليه ، فما زال يتبسَّم إليَّ حتى وقفت عليه ، فسلَّمت عليه بالنبوة ، فردَّ عليَّ السلام بوجه طلق ، فقلت : إنِّي أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك رسول الله . فقال : « تعال » . ثم قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله الذي هداك ، وقد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » . قلت : يا رسول الله ، قد رأيتَ ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحقِّ ، فادع الله [أن] يغفرها لي . فقال رسول الله ﷺ : « الإسلام يجبُّ ما كان قبله » . قلت : يا رسول الله ، على ذلك ؟ قال : « اللهمَّ اغفر لخالد بن الوليد كلَّ ما أَوْضَعَ فيه من صدٍّ عن سبيلك » . قال خالد : وتقدَّم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ .

قال : وكان قدومنا في صفر سنة ثمان . قال : فوالله ما كان رسول الله ﷺ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه .

***

سريَّـة شُجَاع بن وَهْب الأسديِّ إلى نفرٍ من هَوازِن

قال الواقديُّ[1] : [حدثني] ابن أبي سَبْرَة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوَة ، عن عمر بن

---

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٣) .

الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ شُجَاع بن وَهْبٍ في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هَوازِن ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج وكان يسير الليل ويكمن النهار ، حتى صبَّحهم غارِّين ، وقد أوعز إلى أصحابه أن لا يُمعِنوا في الطَّلب ، فأصابوا نَعَمَاً كثيراً وشاءً ، فاستاقُوا ذلك حتى قدموا المدينة ، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ، كلَّ رجلٍ .

وزعم غيره أنَّهم أصابوا سبياً أيضاً ، وأنَّ الأمير اصطفى منه جارية وضيئة ، ثم قدم أهلوهم مسلمين ، فشاور النبيُّ ﷺ أميرهم في ردِّهن إليهم ، فقال : نعم . فردُّوهن ، وخيَّر [الجارية][١] التي عنده فاختارت المقام عنده .

وقد تكون هذه السريَّة هي المذكورة فيما رواه الشافعيُّ[٢] ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ بعث سريَّة قِبل نجد ، فكان فيهم عبد الله بن عمر . قال : فأصبنا إبلاً كثيراً ، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيراً ، ونفَّلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً . أخرجاه في « الصحيحين » من حديث مالك ، ورواه مسلم أيضاً من حديث الليث ، ومن حديث عبيد الله ، كلُّهم عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه[٣] .

وقال أبو داود[٤] : حدَّثنا هنَّاد ، حدَّثنا عبدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى نجد، فخرجتُ فيها، فأصبنا نعماً كثيراً فنفَّلنا أميرنا بعيراً بعيراً لكلِّ إنسان، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم بيننا غنيمتنا، فأصاب كلُّ رجل منا اثني عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا، ولا عاب عليه ما صنع، فكان لكلٍّ منا ثلاثة عشر بعيراً بنفله[٥] .

سريَّـة كعب بن عُمَير إلى بني قُضَاعَة من أرض الشام

قال الواقديُّ[٦] : حدَّثنا محمد بن عبد الله ، [عن] الزُّهْريِّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ كَعْبَ بن عُمير الغِفَاريَّ في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهَوا إلى ذات أطلاح[٧] من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنَّبل، فلمَّا رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ،

---

(١) لفظ « الجارية » الذي بين الحاصرتين لم يرد في (آ) وورد في (ط) بعد قوله : « التي عنده » وموقعها الصحيح في المكان الذي أثبته كما يقتضيه السياق .
(٢) هو في « مسند الشافعي » (٢/ ١٢٤ بترتيب السِّندِي) .
(٣) رواه البخاري رقم (٣١٣٤) ومسلم (١٧٤٩) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧٤٣) .
(٥) هو حديث صحيح بطرقه وشواهده انظر أبا داود رقم (٢٧٤١) .
(٦) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٢) .
(٧) انظر « معجم البلدان » (١/ ٣١١) .

قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا ، فأفلت منهم رجل جريح في القتلى ، فلمَّا أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فهمَّ بالبعثة إليهم ، فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .

***

غزوة مُؤْتَةَ[1]

وهي سَرِية زيد بن حارثة ، في نحو من ثلاثة آلاف ، إلى أرض البلقاء مِنْ أرض الشام .

قال [محمد] بن إسحاق[2] بعد قصة عُمْرَة القضيَّة : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجَّة ـ وولي تلك الحجة المشركون ـ والمحرَّم وصفراً وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بَعْثَه إلى الشام ، الذين أصيبوا بمؤتة ، فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُروة بن الزُّبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مُؤْتَـةَ في جمـادى الأولى من سنة ثمـان ، واستعمل عليهـم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أُصِيبَ زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة على النّاس » .

فتجهَّز الناس ثم تهيَّؤوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف .

وقال الواقديُّ[3] : حدَّثني ربيعة بن عُثمان ، عن عمر بن الحكم ، عن أبيه قال : جاء النُّعمان بن فُنْحُصٍ اليهوديُّ ، فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة ، فإن قتل عبد الله بن رَوَاحَة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً ، فليجعلوه عليهم » .

فقال النُّعمـان : أبا القاسم ، إن كنت نبيَّاً ، فلو سمَّيت من سمَّيت قليلاً أو كثيراً ، أُصيبوا [جميعاً] ، إن الأنبياء من بني إسرائيل كانوا إذا سمَّوا الرجل على القوم ، فقالوا : إن أُصيب فلان

---

(١) مؤتة : بالضم ثم واو مهموزة ساكنة ، وتاء فوقها نقطتان ، وبعضهم لا يهمزه : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٣٣٠) .
وانظر خبر هذه الغزوة في « كتاب المغازي » ص(٣٦٦ ـ ٣٧٨) و« عيون الأثر » (٢/ ٢٠٨ ـ ٢١٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٤٠) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص(١٩٣ ـ ١٩٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) لابن العماد الحنبلي بتحقيقي .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٣) طبع دار ابن كثير .

(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٥٥) .

ففلان . فلو سمَّوا مئة أُصيبوا جميعاً . ثم جعل اليهوديُّ يقول لزيد : اعهد فإنَّك لا ترجع أبداً ، إن كان محمد نبيّاً . فقال زيد : أشهد أنه نبيٌّ صادق بارٌّ . رواه البيهقيُّ(١) .

قال ابن إسحاق(٢) : فلما حضر خروجهم ، ودَّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم ، فلمَّا ودَّع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع بكى ، فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم : ٧١] . فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة(٣) : [من البسيط]

لكنَّني أسأل الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا
أو طعنةً بيدَي حرَّان مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا
حتى يُقَال إذا مَرُّوا على جَدَثي ... أرشَدَهُ الله من غازٍ وقد رَشَدا

قال ابن إسحاق(٤) : ثم إن القوم تهيَّؤوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ ، فودَّعه ثم قال(٥) : [من البسيط]

فَثَبَّتَ الله مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِرُوا
إنِّي تَفَرَّسْتُ فيك الخَيْرَ نافلةً(٦) ... الله يَعْلَمُ أنِّي ثابتُ البَصَرِ(٧)
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ ... والوَجْهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ

قال ابن إسحاق(٨) : ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيِّعهم ، حتى إذا ودَّعهم وانصرف قال عبد الله بن رواحة(٩) : [من الكامل]

خَلَفَ السَّلامُ عَلَى امرئٍ وَدَّعْتُهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرِ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلِ

---

(١) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦١ _ ٣٦٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٣) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص (١٤٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) .
(٥) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) و« ديوانه » ص(١٥٩) مع تقديم وتأخير وخلاف يسير .
(٦) في « ديوانه » : « إني تفرست فيك الخير أعرفه » .
(٧) في هذا البيت إقواء .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٤) .
(٩) البيت في « ديوانه » ص(١٤٨) .

وقال الإمام أحمد[(١)] : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن الحجّاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث إلى مُؤْتَة ، فاستعمل زيداً ، فإن قُتل زيدٌ فجعفر ، فإن قُتل جعفر فابنُ رَوَاحَة ، فتخلَّف ابن رَوَاحَة ، فجمَّع مع النبيِّ ﷺ ، فرآه فقال : « مَا خَلَّفك ؟ » فقال : أُجمِّع معك . قال : « لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا » .

وقال أحمد[(٢)] : ثنا معاوية ، ثنا الحَجَّاج ، عن الحَكَم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رَوَاحَة في سرية ، فوافق ذلك يوم الجمعة . قال : فقدَّم أصحابه ، وقال : أتخلَّف فأصلِّي مع رسول الله ﷺ الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فلمَّا صلَّى رسول الله ﷺ رآه فقال : « ما مَنَعَكَ أن تغدوَ مع أصحابك ؟ » قال : فقال : أردت أن أُصلِّيَ معك الجمعة ، ثم ألحقهم . قال : فقال رسول الله ﷺ : « لَو أَنْفَقْتَ ما في الأرض جَميعاً مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَتَهُمْ » .

وهذا الحديث قد رواه الترمذيُّ[(٣)] من حديث أبي مُعَاوية ، عن الحَجَّاج ـ وهو ابن أرطاة ـ ثم علَّله الترمذيُّ بما حكاه عن شُعْبَة أنه قال : لم يسمع الحكم عن مِقْسَم إلّا خمسة أحاديث ، وليس هذا منها .

قلت : والحجَّاج بن أرطاة في روايته نظر ، والله أعلم ، والمقصود من إيراد هذا الحديث ، أنه يقتضي أن خروج الأمراء إلى مُؤْتَةَ كان في يوم جمعة ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق[(٤)] : ثم مضوا حتى نزلوا مَعَان من أرض الشام[(٥)] ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآبَ[(٦)] من أرض البلقاء ، في مئة ألف من الرُّوم ، وانضمَّ إليه من لخْم وجذام والقين وبهراء وبليٍّ مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بليٍّ ، ثم أحد إراشة ، يقال له : مالك بن زافلة ـ وفي رواية يونس ، عن ابن إسحاق : فبلغهم أن هرقل نزل بمآب ، في مئة ألف من الرُّوم ومئة ألف من المستعربة . [وقيل : كان الرُّوم مئتي ألف ، ومَن عداهم خمسون ألفاً . وأقلُّ ما قيل : إن الرُّوم كانوا مئة ألف ، ومن العرب خمسون ألفاً . حكاه السُّهَيليُّ[(٧)]] فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معانَ ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدوِّنا ؛ فإما أن يمدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضيَ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٥٦) ، وإسناده ضعيف ، وفي الباب عن ابن عمر عند البخاري رقم (٤٢٦١) دون آخره كما سيأتي بعد صفحات ، وآخره رواه البخاري رقم (٢٧٩٢) ومسلم (١٨٨٠) من حديث أنس .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٢٤) ، وإسناده ضعيف .

(٣) رقم (٥٢٧) وإسناده ضعيف .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٥) .

(٥) المدينة الشهيرة في جنوب المملكة الأدرنية الهاشمية . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢٨٧) .

(٦) انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢١٦) .

(٧) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٤١) .

له . قال : فشجَّع الناس عبد الله بن رَوَاحة وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلتي خرجتم تطلبون ؛ الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ؛ إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رَوَاحة ، فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رَوَاحَة في محبسهم ذلك[1] : [من الوافر]

جَلَبْنَا الخيل من أجإٍ وَفَرْعٍ ... تُغَرُّ من الحشيش لها العُكُومُ
حَذْونَاهَا من الصَّوَّان سِبْتاً ... أَزَلَّ كأَنَّ صَفْحَتَهُ أَديمُ
أَقَامتْ ليلتينِ على معانٍ ... فأُعقب بعد فَتْرَتِهَا جُمُومُ
فَرُحْنَا والجيادُ مُسوَّمات ... تنفَّسُ في مناخِرِهَا السَّمُومُ
فلا وأبي مآبَ لنأتينها ... وإن كَانَتْ بها عَرَبٌ ورُوْمُ
فعبَّأنا أَعِنَّتها فَجَاءَتْ ... عوابسَ والغبارُ لها بريمُ
بذي لَجَب كأَنَّ البَيْضَ فيهِ ... إذا برزت قَوَانِسُهَا النّجومُ
فراضيةُ المعيشة طلّقتْها ... أَسِنَّتُنا فتنكحُ أو تَئِيْمُ

قال ابن إسحاق[2] : فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن زيد بن أَرْقَم قال : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره ، فخرج بي في سفره ذلك ، مُرْدِفي على حقيبةِ رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه[3] : [من الوافر]

إذا أَدَّيتِني[4] وحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيْرَةَ أَرْبَعٍ بعدَ الحِسَاءِ[5]
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أَرْجِعْ إلى أَهْلي وَرائي
وجَاءَ المُسْلِمُونَ وغَادَرُوني ... بأرض الشّام مشتهيَ الثَّواءِ
وردَّكِ كُلُّ ذي نسبٍ قريبٍ ... إلى الرحمن مُنْقَطِعَ الإخاءِ
هُنَالِكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ ... ولا نَخْلٍ أسافلُها رَواءِ

قال : فلمَّا سمعتهن منه بكَيت ، فخفقني بالدِّرَّة وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبتي الرَّحل ؟! ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز[6] : [من الرجز]

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٤٩ ـ ١٥٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٣٧٦) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص(١٥١) وشرح الألفاظ عنه .
(٤) أي : أوصلتني . والخطاب للناقة الذي كان يركبها .
(٥) جمع حِسْيٍ ، ويجمع على أحساء أيضاً ، وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً .
(٦) البيت في « ديوانه » ص(١٥٢) مع زيادة لم يبين جامعه مصدرها في موطنها عنده .

يـا زيـدَ زيـدَ اليَعْمَـلاتِ الـذُّبَّـلِ تطـاول اللَّيـلُ هُـدِيـتَ فَـانـزِلِ

قال ابن إسحاق[١] : ثم مضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها : مشارف . ثم دنا العدوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها : مؤتة . فالتقى الناس عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له : قطبة بن قتادة . وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له : عباية بن مالك .

وقال الواقديُّ[٢] : حدَّثني ربيعة بن عثمان ، عن المقبريِّ ، عن أبي هُريرة قال : شهدت مُؤْتَةَ ، فلمَّا دنا منا المشركون ، رأينا ما لا قبل لأحد به ، من العُدَّة ، والسِّلاح ، والكُراع ، والدِّيباج ، والحرير ، والذهب ، فَبَرِقَ بَصَري ، فقال لي ثابت بن أَقْرَمَ : يا أبا هُريرة ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم . قال : إنك لم تشهد معنا بدراً ، إنا لم نُنْصَر بالكثرة . رواه البيهقيُّ[٣] .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[٥] في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر ، فقاتل [بها ، حتى إذا ألحمه القتال] ، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام .

وقال ابن إسحاق[٦] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد [بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد] حدَّثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول : [من الرجز]

يـا حبَّـذا الجنـةُ واقتـرابهـا طيبـة وبـارداً شـرابُهـا
والـروم روم قـد دنـا عـذابهـا كـافـرةً بعيـدةً أنسـابُهـا
عليَّ إن لاقيتها ضِرابُهَا

وهذا الحديث قد رواه أبو داود[٧] من حديث ابن إسحاق ، ولم يذكر الشعر . وقد استدل [به] من

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٧) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٠) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٥) أي : هلك .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٧) رواه أبو داود رقم (٢٥٧٣) ، قال العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر في « مختصر سنن أبي داود » (٣/ ٣٩٧) : هكذا قال أبو داود ، ولا أدري لماذا هو ليس بالقوي ، الإسناد صحيح لا علة فيه ، وصرح ابن إسحاق بسماعه من يحيى بن عباد .

جوَّز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به العدوُّ ، كما يقول أبو حنيفة في الأغنام إذا لم تتبع في السَّير ، ويخشى من لحوق العدو لها وانتفاعهم بها ، أنها تذبح وتحرَّق ؛ ليحال بينهم وبين ذلك . والله أعلم .

قال السهيليُّ[١] : ولم يُنكر أَحَدٌ على جعفر ، فدلّ على جوازه [إذا خيف] أخذ العدوِّ له ، ولا يدخل ذلك في النهي عن قتل الحيوان عبثاً .

قال ابن هشام[٢] : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم أن جعفراً أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنةً ، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء ، ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه بنصفين .

قال ابن إسحاق[٣] : وحدَّثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد قال : حدَّثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرَّة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردَّد بعض التردُّد ، ثم قال[٤] : [من الرجز]

أَقسمـت يـا نفسُ لتنـزِلنَّـهْ ... لتنـــزِلـــنَّ أو لتكـــرهنَّـــهْ
إن أجلب الناس وشدُّوا الرَّنَّه ... مـالـي أراك تكـرهيـن الجنَّـهْ
قد طال ما قد كنت مطمئنَّهْ ... هـل أنـت إلا نطفـة فـي شنَّـهْ

وقال أيضاً : [من الرجز]

يا نفسُ إن لا تقتلي تموتي ... هذا حِمام الموت قد صَليْتِ
ومـا تَمَنّيـتِ فقـد أُعطيـت ... إن تفعلـي فعلهمـا هُـدِيـتِ

يريد صاحبيه ؛ زيداً وجعفراً ثم نزل ، فلمَّا نزل أتاه ابن عمٍّ له بعَرق من لحم فقال : شدَّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيَّامك هذه ما لقيت . فأخذه من يده ، فانتهس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال : وأنت في الدنيا ؟! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قتل ، رضي الله عنه . قال : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم ، أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٧٩) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (١٥٣) مع بعض الخلاف .

قال ابن إسحاق[١] : ولما أُصيب القوم، قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني : « أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيَّرت وجوه الأنصار، وظنُّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم قال : « لقد رفعوا إليَّ في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سُرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه ، فقلت : عمَّ هذا؟» فقيل لي : مضيا ، وتردَّد عبد الله بن رواحة بعض التردُّد ثم مضى » . هكذا ذكر ابن إسحاق هذا منقطعاً .

وقد قال البخاريُّ[٢] : ثنا أحمد بن واقد ، ثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس ، قبل أن يأتيَهم خبرهم ، فقال : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم » . تفرَّد به البخاريُّ ، ورواه في موضع آخر[٣] ، وقال فيه وهو على المنبر : « وما يسرُّهم أنهم عندنا » .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا أحمد بن أبي بكر ، ثنا مُغِيْرَة بن عبد الرحمن ـ المَخْزُوميُّ وليس بالخزاميِّ ـ عن عبد الله بن سعيد ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ، فقال رسول الله ﷺ : « إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال عبد الله : كنت فيهم في تلك الغزوة ، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب ، فوجدناه في القتلى ، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية . تفرَّد به البخاريُّ أيضاً .

وقال البخاريُّ أيضاً[٥]: حدَّثنا أحمد، ثنا ابن وهب، عن عمرو، عن ابن أبي هلال ـ هو سعيد بن أبي هلال اللَّيثيُّ ـ قال : وأخبرني نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل ، فعددت به خمسين ، بين طعنة وضربة ، ليس منها شيء في دُبره . وهذا أيضاً من أفراد البخاريِّ . ووجه الجمع بين هذه الرواية والتي قبلها ، أن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، اطَّلع على هذا العدد ، وغيره اطَّلع على أكثر من ذلك. أو أن هذه في قُبُله أصيبها قبل أن يقتل ، فلمَّا صرع إلى الأرض ، ضربوه أيضاً ضربات في ظهره ، فعدَّ ابن عمر ما كان في قُبُله وهو في وجوه الأعداء قبل أن يقتل ، رضي الله عنه .

ومما يشهد لما ذكره ابن هشام من قطع يمينه وهي ممسكة اللواء ، ثم شماله ، ما رواه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٢٧٩٨) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦١) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٠) .

البخاريُّ[١] ، ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا عمر بن علي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر قال : كان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال : السلام عليك يا بن ذي الجناحين .

ورواه أيضاً[٢] في المناقب ، والنسائيُّ من حديث يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية .

ثم رواه[٤] عن محمد بن المثنَّى ، عن يحيى ، عن إسماعيل ، حدَّثني قيس ، سمعت خالد بن الوليد يقول : لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وصبرت في يدي صفيحة يمانية . انفرد به البخاريُّ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقيُّ[٥] : أخبرنا أبو نصر بن قَتَادَة ، أخبرنا أبو عمرو بن مَطَر ، ثنا أبو خليفة الفضل بن الحُبَاب الجُمَحيُّ ، ثنا سليمان بن حَرْب ، ثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَير قال : قدم علينا عبد الله بن رباح الأنصاريُّ ، وكانت الأنصار تفقِّهه ، فغشيه الناس ، فغشيتُه في من غشيه فقال : حدَّثنا أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ قال : بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء ، وقال : « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » . قال : فوثب جعفر وقال : يا رسول الله ، ما كنت أرهب أن تستعمل زيداً عليَّ . قال : « امض ، فإنك لا تدري أيُّ ذلك خير » . فانطلقوا فلبثوا ماشاء الله ، فصعِد رسول الله ﷺ المنبر ، فأمر فنودي : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال : « أخبركم عن جيشكم هذا ؛ إنَّهم انطلقوا فلقوا العدوَّ ، فقتل زيد شهيداً ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء جعفر ، فشدَّ على القوم حتى قتل شهيداً ـ شهد له بالشهادة ، واستغفر له ـ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ـ فاستغفر له ـ ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمَّر نفسه » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره » . فمن يومئذ سمي خالد سيف الله .

ورواه النسائي[٦] من حديث عبد الله بن المبارك، عن الأسود بن شيبان، به نحوه . وفيه زيادة حسنة، وهو أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لمَّا اجتمع إليه الناس قال: «ثاب خبر، ثاب خبر . . .» وذكر الحديث .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .
(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٧٠٩) وهو عند النسائي أيضاً في « السنن الكبرى » رقم (٨١٥٨) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٥) .
(٤) يعني البخاري وعو عنده رقم (٤٢٦٦) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٦٧) .
(٦) في « السنن الكبرى » رقم (٨١٥٩) ، وهو حديث صحيح .

وقال الواقديُّ[(١)] : حدَّثني عبد الجَبَّار بن عُمَارَة بن غزيَّة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال : لمَّا التقى الناس بمؤتة ، جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وكشف الله له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى معتَركهم ، فقال : « أخذ الراية زيد بن حارثة ، فجاءه الشيطان ، فحبَّب إليه الحياة ، وكرَّه إليه الموت ، وحبَّب إليه الدُّنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين ، تحبِّب إليَّ الدُّنيا ؟! فمضى قدماً حتى استشهد » . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، وقال : « استغفروا له ، فقد دخل الجنة وهو يسعى » .

قال الواقديُّ[(٢)] : وحدَّثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لمَّا قتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فجاءه الشيطان ، فحبَّب إليه الحياة ، وكره إليه الموت ، ومنَّاه الدُّنيا ، فقال : الآن حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تُمنِّيني الدنيا ؟! ثم مضى قدما حتى استشهد » . فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « استغفروا لأخيكم ، فإنَّه شهيد ، دخل الجنة ، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت ، حيث يشاء من الجنة » . قال : « ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فاستشهد ، ثم دخل الجنة معترَضاً » . فشقَّ ذلك على الأنصار ، فقيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : « لمَّا أصابته الجراح نكل ، فعاتب نفسه فتشجَّع ، واستشهد فدخل الجنة » . فسُرِّي عن قومه .

قال الواقديُّ[(٣)] : وحدَّثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل ، عن أبيه قال : لمَّا أخذ خالد بن الوليد الراية ، قال رسول الله ﷺ : « الآن حَمِيَ الوَطِيس » .

قال الواقديُّ[(٤)] : فحدَّثني العَطَّاف بن خالد قال : لمَّا قتل ابن رواحة مساءً ، بات خالد بن الوليد ، فلمَّا أصبح ، غدا وقد جعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمنته ميسرته . قال : فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم ، وقالوا : قد جاءهم مدد . فرُعبوا وانكشفوا منهزمين . قال : فقتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم . وهذا يوافق ما ذكره موسى بن عقبة ، رحمه الله ، في « مغازيه » ، فإنَّه قال بعد عمرة الحديبية : ثم صدر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فمكث بها ستة أشهر ، ثم إنه بعث جيشاً إلى مؤتة ، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب فجعفر بن أبي طالب أميرهم ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة أميرهم » . فانطلقوا ، حتى لقوا ابن أبي سبرة الغسَّانيَّ بمؤتة ، وبها جموع من نصارى العرب والروم ، بها تنوخ وبهراء ، فأغلق ابن أبي سبرة دون المسلمين الحصن ثلاثة أيام ، ثم خرجوا فالتقَوا على

(١) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦١) .
(٢) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦١) .
(٣) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٤) .
(٤) انظر « المغازي » (٢/ ٧٦٤) .

رَدَغٍ[(١)] أحمر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقتل ، ثم أخذه جعفر فقتل ، ثم أخذه عبد الله بن رواحة فقتل ، ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزوميِّ ، فهزم الله العدوَّ ، وأظهر المسلمين . قال : وبعثهم رسول الله ﷺ في جمادى الأولى ، يعني سنة ثمان . قال موسى بن عقبة : وزعموا أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مرَّ عليَّ جعفر في الملائكة ، يطير كما يطيرون ، له جناحان » . قال : وزعموا ، والله أعلم ، أنَّ يعلى بن أميَّة قدم على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : « إن شئت فأخبرني ، وإن شئت أخبرتُك » . قال : أخبرني يا رسول الله . قال : فأخبرهم رسول الله ﷺ خبرهم كلَّه ووصفه لهم . فقال : والذي بعثك بالحقِّ ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإنَّ أمرهم لكما ذكرت . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم».

فهذا السياق فيه فوائد كثيرة ليست عند ابن إسحاق ، وفيه مخالفة لما ذكره ابن إسحاق ، من أنَّ خالداً إنَّما حاشى بالقوم ، حتى تخلَّصوا من الروم وعرب النصارى فقط ، وموسى بن عقبة والواقديُّ مصرِّحان بأنهم هزموا جموع الروم والعرب الذين معهم ، وهو ظاهر الحديث المتقدم عن أنس مرفوعاً : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . رواه البخاريُّ[(٢)] ، وهذا هو الذي رجَّحه ومال إليه الحافظ البيهقيُّ[(٣)] بعد حكاية القولين ؛ لما ذكره من الحديث .

قلت : ويمكن الجمع بين قول ابن إسحاق وبين قول الباقين ، وهو أن خالداً لمَّا أخذ الراية حاشى بالقوم المسلمين ، حتى خلَّصهم من أيدي الكافرين من الروم والمستعربة ، فلمَّا أصبح وحوَّل الجيش ميمنةً وميسرة ، ومقدمة وساقة ، كما ذكره الواقديُّ ، توهَّم الروم أن ذلك عن مدد جاء إلى المسلمين ، فلما حمل عليهم خالد ، هزموهم بإذن الله ، والله أعلم .

ولكن قال ابن إسحاق[(٤)] : حدَّثني محمد بن جعفر ، عن عروة قال : لمَّا أقبل أصحاب مؤتة ، تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، قال : ولقيهم الصِّبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصِّبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون عليهم بالتراب ويقولون : يا فرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! . فقال رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله تعالى » . وهذا مرسل من هذا الوجه ، وفيه غرابة . وعندي ، أن ابن إسحاق قد وهم في هذا السياق ، فظنَّ أن هذا لجمهور الجيش ، وإنَّما كان للذين فرُّوا حين التقى الجمعان ، وأما بقيَّتُهم فلم يفرُّوا ، بل نصروا ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ

---

(١) في (آ) و(ط) : « زرع » والتصحيح من « النهاية » لابن الأثير (٢/ ٢١٥) والردغ : الطين والوحل الكثير .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٢) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

المسلمين وهو على المنبر ، في قوله : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، ففتح الله على يديه » . فما كان المسلمون ليسمُّوهم فُرَّاراً بعد ذلك ، وإنما تلقَّوهم ؛ إكراماً لهم وإعظاماً ، وإنما كان التأنيبُ وحَثي التُّراب للذين فرّوا وتركوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا حسن ، ثنا زهير ، ثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبد الله بن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص ، فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا . ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ ، فإن كانت لنا توبة ، وإلا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « مَن القوم ؟ » قال : فقلنا : نحن الفرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكَّارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين » . قال : فأتيناه حتى قبَّلنا يده .

ثم رواه عن غُنْدرٍ[٢] ، عن شعبة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : كنّا في سريَّة ففررنا ، فأردنا أن نركب البحر ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، نحن الفرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العكَّارون » .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه[٣] من حديث يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذيُّ : حسن ، لا نعرفه إلا من حديثه .

وقال أحمد[٤] : ثنا إسحاق بن عيسى ، وأسود بن عامر قالا : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن ابن عمر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة ، فلمَّا لقينا العدوَّ انهزمنا في أول غادية ، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا ، ثم قلنا : لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه . فخرجنا إليه ، فلمَّا لقيناه قلنا : نحن الفرَّارون يا رسول الله . قال : « بل أنتم العكَّارون ، وأنا فئتكم » . قال الأسود : « وأنا فئة كلِّ مسلم » .

وقال ابن إسحاق[٥] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عامر بن عبد الله بن الزُّبير ، [عن بعض آل الحارث بن هشام ، وهم أخواله] أنَّ أمَّ سلمة زوج النبي ﷺ قالت لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ؟ قالت : ما يستطيع أن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٧٠) ، وإسناده ضعيف .
(٢) يعني الإمام أحمد في « المسند » (٢/ ٨٦) ، وإسناده ضعيف .
(٣) هو عند أبي داود رقم (٢٦٤٧) و(٥٢٢٣) والترمذي رقم (١٧١٦) وابن ماجه رقم (٣٧٠٤) ، ويزيد بن أبي زياد ، ضعيف .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٠) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

يخرج ، كلمَّا خرج صاح به الناس : يا فُرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! حتى قعد في بيته ما يخرج . وكان في غزاة مؤتة .

قلت : لعلَّ طائفة منهم فرُّوا لمَّا عاينوا كثرة جموع العدوِّ ، وكانوا أكثر منهم بأضعاف مضاعفة ؛ فإنَّ الصحابة ، رضي الله عنهم ، كانوا ثلاثة آلاف ، وكان العدُو ـ على ما ذكروه ـ مئتي ألف ، ومثل هذا يسوِّغ الفرار ، على ما قد تقرَّر ، فلمَّا فرَّ هؤلاء ، ثبت باقيهم ، وفتح الله عليهم ، وتخلصوا من أيدي أولئك ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، كما ذكره الواقديُّ وموسى بن عقبة من قبله .

ويؤيّد ذلك [أيضاً ويزيده قوة ويشهد له] بالصحة ، ما رواه الإمام أحمد[١] : ثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن عوف بن مالك الأشجعيِّ قال : خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين ، في غزوة مؤتة ، [ورافقني][٢] مدديٌّ من اليمن ، ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المدديُّ طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذه كهيئة الدَّرقة ، ومضينا فلقينا جموع الروم ، وفيهم رجل على فرس له أشقر ، عليه سرج مذهَّب وسلاح مذهَّب ، فجعل الروميُّ يغري بالمسلمين ، وقعد له المدديُّ خلف صخرة ، فمرَّ به الروميُّ فعرقب فرسه ، فخرَّ وعلاه ، فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلمَّا فتح الله للمسلمين ، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه السلب . قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمتَ أنَّ رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنِّي استكثرته . فقلت : لتردَّنَّه إليه أو لأعرِّفنَّكها عند رسول الله ﷺ . فأبى أن يردَّ عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ ، فقصصت عليه قصة المدديِّ وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خالد ، ردَّ عليه ما أخذت منه » . قال عوف : فقلت : دونك يا خالد ، ألم أفِ لك ؟! فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : « يا خالد ، لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركو لي أمرائي ، لكم صفوة أمرهم ، وعليهم كدره » . قال الوليد : سألت ثوراً عن هذا الحديث ، فحدَّثني عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عوف ، بنحوه .

ورواه مسلم وأبو داود[٣] ، من حديث جبير بن نفير ، عن عوف بن مالك ، به نحوه .

وهذا يقتضي أنَّهم غنموا منهم ، وسلبوا من أشرافهم ، وقتلوا من أمرائهم ، وقد تقدَّم فيما رواه البخاريُّ[٤] أن خالداً ، رضي الله عنه ، قال : اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٦/٢٧) .
(٢) في (ط) : « ووافقني » .
(٣) رواه مسلم رقم (١٧٥٣) وأبو داود رقم (٢٧١٩) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٦) .

صفيحة يمانية . وهذا يقضي أنَّهم أثخنوا فيهم قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلُّص منهم ، وهذا وحده دليل مستقلٌّ ، والله أعلم .

وهذا هو اختيار موسى بن عقبة والواقديِّ والبيهقيِّ ، وحكاه ابن هشام[١] عن الزهريِّ .

قال البيهقيُّ[٢] ، رحمه الله : اختلف أهل المغازي في فرارهم وانحيازهم ، فمنهم من ذهب إلى ذلك ، ومنهم من زعم أن المسلمين ظهروا على المشركين ، وأن المشركين انهزموا . قال : وحديث أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ: « ثم أخذها خالد ، ففتح الله عليه » يدلُّ على ظهورهم عليهم . والله أعلم.

قلت : وقد ذكر ابن إسحاق[٣] أنَّ قُطبة بن قتادة العذريَّ ، وكان رأس ميمنة المسلمين ، حمل على مالك بن زافلة ـ قال ابن هشام : ويقال : رافلة . بالراء ـ وهو أمير أعراب النَّصارى ، فقتله ، وقال يفتخر بذلك : [من المتقارب]

طعنتُ ابن زافلةَ بن الإراش ... برُمحٍ مضى فيه ثم انحطَمْ
ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السَّلَمْ
وسقنا نساء بني عمِّه ... غداة رقوقين سوق النَّعَمْ

وهذا يؤيِّد ما نحن فيه ؛ لأنَّ من عادة أمير الجيش إذا قتل ، أن يفرَّ أصحابه ، ثم إنَّه صرَّح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم ، وهذا واضح فيما ذكرناه . والله أعلم . وأمَّا ابن اسحاق فإنه ذهب إلى أنه لم يكن إلا المخاشاة والتخلُّص من أيدي الروم ، وسمَّى هذا نصراً وفتحاً ؛ أي : باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوِّ بهم ، وتراكمهم وتكاثرهم وتكاثفهم عليهم ، فكان مقتضى العادة أن يصطلموا بالكليَّة ، فلمَّا تخلَّصوا منهم وانحازوا عنهم ، كان هذا غاية المرام في هذا المقام ، وهذا محتمل ، لكنَّه خلاف الظاهر من قوله عليه الصلاة والسلام : « ففتح الله عليهم » .

والمقصود أن ابن اسحاق يستدلُّ على ما ذهب إليه ، فقال : وقد قال ـ فيما كان من أمر الناس ، وأمر خالد بن الوليد ، ومخاشاته بالناس ، وانصرافه بهم ـ قيس بن المحسَّر اليعمريُّ ، يعتذر ممَّا صنع يومئذ وصنع الناس : [من الطويل]

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسي تَلُومني ... على موقفي والخَيل قابعةٌ قُبُلُ
وقفت بها لا مُستجِيراً فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حمَّ لَهُ القَتْلُ
على أنَّني آسيت نفسي بخالدٍ ... أَلا خالدٌ في القوم ليس له مِثْلُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨١) .

وجاشت إليَّ النفسُ من نحو جعفرٍ   بمُـؤْتَـةَ إذ لا يَنْفَـعُ النّـابِـلَ النَّبْـلُ
وضَـمَّ إلينـا حُجْـزَتَيْهِـمْ كِلَيْهِمَـا   مُهَـاجِـرَةٌ لا مُشْـركـون ولا عُـزْل

قال ابن اسحاق[١] : فبيَّن قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ؛ أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقَّق انحياز خالد بمن معه . قال ابن هشام : وأمَّا الزهريُّ فقال ، فيما بلغنا عنه : أمَّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى رجع إلى المدينة .

***

فصل

قال ابن إسحاق[٢] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أمِّ عيسى الخُزَاعيَّة ، عن أمِّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدَّتها أسماء بنت عُمَيس قالت : لمَّا أُصيب جعفر وأصحابه ، دخل عليَّ رسول الله ﷺ ، وقد دبغت أربعين مَنّاً ، وعجنت عجيني ، وغَسَّلْت بَنِيَّ ودهَّنتهم ونظّفتهم .

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « ائتيني ببني جعفر » . فأتيته بهم فشمَّهم وذرفت عيناه ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمِّي ، ما يُبكيك ، أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : « نعم ، أُصيبوا هذا اليوم » . قالت : فقُمت أَصيح ، واجتمع إليَّ النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً ؛ فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » .

وهكذا رواه الإمام أحمد[٣] من حديث ابن اسحاق .

ورواه ابن ماجه[٤] من طريق محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن أمِّ عيسى ، عن أمِّ عون بنت محمد بن جعفر ، عن أسماء ، فذكر الأمر بعمل الطعام ، والصواب أنَّها أمُّ جعفر وأمُّ عون .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا سفيان ، ثنا جعفر بن خالد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : لمَّا جاء نَعي جعفر حين قتل ، قال النبيُّ ﷺ : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً ، فقد أتاهم أمر يشغلهم » . أو : « أتاهم ما يشغلهم » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٠) .
(٣) في « المسند » (٦/ ٣٧٠) وإسناده ضعيف بطوله .
(٤) رواه ابن ماجة رقم (١٦١١) : وهو حديث حسن .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٥) وإسناده حسن ، له شواهده حسب جمع من العلماء .

وهكذا رواه أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه[١] من حديث سُفيان بن عُيينة ، عن جعفر بن خالد بن سَارَة المَخْزُوميِّ المكيِّ ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، وقال الترمذيُّ : حسن .

ثم قال محمد بن إسحاق[٢] : حدَّثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبيِّ ﷺ قال : لما أتى نعيُ جعفر ، عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحُزْنَ . قالت : فدخل عليه رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن النساء عنَّيننا وفتنَّنا . قال : « ارجع إليهنَّ فأسكتْهنَّ » . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك . قالت : وربما ضرَّ التَّكلُّف ، يعني أهله . قالت : قال : « فاذهب فأسكتْهن ، فإن أَبين فاحثُ في أفواههنَّ التُّراب » . قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله ، فوالله ما تركتَ نفسك ، وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ . قالت : وعرفت أنَّه لا يقدر [على أن] يحثي في أفواههنَّ التراب . انفرد به ابن إسحاق من هذا الوجه ، وليس في شيء من الكتب .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا قتيبة ، ثنا عبد الوهَّاب ، سمعت يحيى بن سعيد قال : أخبرتني عَمْرَة قالت : سمعت عائشة تقول : لمَّا قُتل ابن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة ، جلس رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الحُزن . قالت عائشة : وأنا أطَّلع من صائر الباب ـ شقِّ ـ فأتاه رجل فقال : أي رسول الله ، إن نساء جعفر . وذكر بكاءهنَّ ، فأمره أن ينهاهنَّ . قالت : فذهب الرجل ، ثم أتى فقال : والله لقد غلبننا . فَزَعَمَتْ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « فاحث في أفواههنَّ من التُّرَاب » . قالت عائشة ، رضي الله عنها : فقلت : أَرْغَمَ الله أَنْفَكَ ، فو الله ما أنت تفعل ، وما تركتَ رسول الله ﷺ من العناء .

وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ[٤] من طُرُقٍ، عن يحيى بن سعيد الأنصاريِّ، عن عَمْرَة، عنها .

وقال الإمام أحمد[٥] : ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت محمد بن أبي يعقوب يحدِّث عن الحسن بن سعد ، عن عبد الله بن جعفر قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً ، استعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن قُتِلَ زيدٌ أو استشهد فأميركم جعفر ، فإن قتل أو استشهد فأميركم عبد الله بن رواحة » فلقوا العدوَّ ، فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله عليه ، وأتى خبرُهم النبيَّ ﷺ فخرج إلى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣١٣٢) والترمذي رقم (٩٩٨) وابن ماجه رقم (١٦١٠) ، وهو حديث حسن .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨١) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٦٣) .
(٤) رواه مسلم رقم (٩٣٥) وأبو داود رقم (٣١٢٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٨٤٦) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٤ ، ٢٠٥) ، وإسناده ضعيف ، فإن خالد بن سارة والد جعفر مجهول الحال فقد روى عنه اثنان وذكره ابن حبان في الثقات ، لذلك قال ابن القطاف : لا تعرف حاله ولا أعلم له إلا حديثين . أما قول الحافظ ابن حجر في التقريب أنه « صدوق » ففيه نظر ، كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب » (١/ ٣٤٤) .

الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنَّ إخوانكم لقوا العدوَّ ، وإنَّ زيداً أخذ الراية فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل أو استشهد ، ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ؛ خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه » . قال : ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال : « لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا لي بني أخي » . قال : فجيء بنا كأننا أفرخ ، فقال : « ادعوا لي الحلاق » . فجيء بالحلاق ، فحلق رؤوسنا ، ثم قال : « أما محمد فشبيه عمِّنا أبي طالب ، وأمَّا عبد الله فشبيه خَلقي وخُلقي » . ثم أخذ بيدي فأشالها وقال : « اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه » . قالها ثلاث مرات . قال : فجاءت أُمُّنا فذكرت له يتمنا ، وجعلت تفرح له ، فقال : « العيلة تخافين عليهم وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة ؟! » ورواه أبو داود ببعضه ، والنسائيُّ في السِّير بتمامه من حديث وهب بن جرير ، به[1] . وهذا يقتضي أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أرخص لهم في البكاء ثلاثة أيام ، ثم نهاهم عنه بعدها .

ولعلَّه معنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد[2] ، من حديث الحكم ، عن عبد الله بن شداد ، عن أسماء ، أنَّ رسول الله ﷺ قال لها لمَّا أصيب جعفر : « تسلَّبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت » . تفرد به أحمد . فيحتمل أنه أذن لها في التسلُّب ، وهو المبالغة في البكاء وشق الثياب ، ويكون هذا من باب التخصيص لها بهذا ؛ لشدَّة حزنها على جعفرٍ أبي أولادها ، وقد يحتمل أن يكون أمراً لها بالتسلُّب ، وهو المبالغة في الإحداد ثلاثة أيام ، ثم تصنع بعد ذلك ما شاءت ؛ مما يفعله المعتدات على أزواجهنَّ ، من الإحداد المعتاد ، والله أعلم .

ويُروى : « تسلَّي ثلاثاً » أي : تصبَّري ، ثلاثاً ، وهذا بخلاف الرِّواية الأخرى ، والله أعلم .

فأما الحديث الذي قال الإمام أحمد[3] : ثنا يزيد ، ثنا محمد بن طلحة ، ثنا الحَكَم بن عُتيبة ، عن عبد الله بن شدَّاد، عن أسماء بنت عُميس قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر فقال : « لا تُحِدِّي بعد يومك هذا » فإنه من أفراد أحمد أيضاً ، وإسناده لا بأس به[4] ، ولكنَّه مشكل إن حمل على ظاهره؛ لأنَّه قد ثبت في « الصحيحين »[5] أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَحِلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحدَّ على ميتها أكثر من ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » ، فإن كان ماورواه الإمام أحمد

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤١٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٠٤) وهو حديث صحيح .
(٢) في « المسند » (٦/٤٣٨) ، وهو حديث ضعيف .
(٣) في « المسند » (٦/٣٦٩) .
(٤) قال الإمام أحمد : إنه مخالف للأحاديث الصحيحة في الإحداد .
قال الحافظ ابن حجر : وهو مصير منه إلى أن يُعِلَّه بالشذوذ . انظر « فتح الباري » رقم (٥٣٣٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٢٨٠) ومسلم رقم (١٤٨٦) .

محفوظاً ، فتكون مخصوصة بذلك ، أو هو أمر بالمبالغة في الإحداد هذه الثلاثة أيام كما تقدم ، والله أعلم .

قلت : وَرَثَتْ أسماء بنت عميس زَوجها بقصيدة تقول فيها : [من الطويل]

فآليت لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً عليكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْديَ أَغْبَرا

فلله عينا مَنْ رأى مثلَه فتىً أَكَرَّ وأَحْمَى في الهِيَاجِ وأَصْبَرا

ثم لم تَنْشَبْ أن انقضت عدَّتُها ، فخطبها أبو بكر الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، فتزوَّجها ، فأَولم ، وجاء الناس للوليمة ، فكان فيهم عليُّ بن أبي طالب ، فلمَّا ذهب الناس استأذن عليُّ أبا بكر ، رضي الله عنهما ، في أن يكلِّم أسماء من وراء السِّتر ، فأذن له ، فلما اقترب من السِّتر نفحه ريح طيبها ، فقال لها عليٌّ ، على وجه البَسْطِ : من القائلة في شعرها : [من الطويل]

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسي حزينةً عليك ولا يَنْفَكُّ جِلْديَ أَغْبَرا

قالت : دعنا منك يا أبا الحسن ، فإنَّك امرؤ فيك دُعَابة ، فولدت للصِّدِّيق محمد بن أبي بكر ، ولدته بالشجرة بين مكة والمدينة ، ورسول الله ﷺ ذاهب إلى حَجَّة الوَدَاع ، فأمرها أن تغتسل وتُهِلَّ ، وسيأتي في موضعه ، ثم لمَّا توفي الصِّدِّيق ، تزوَّجها بعده عليُّ بن أبي طالب ، وولدت له أولاداً ، رضي الله عنه وعنها وعنهم أجمعين .

***

فصل

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عُرْوَة بن الزُّبير قال : فلما دنوا من المدينة تلقَّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون . قال : ولقيهم الصِّبيان يشتدُّون ، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : « خذوا الصِّبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر » . فأُتي بعبد الله بن جعفر ، فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون : يا فرَّار ، فررتم في سبيل الله ؟! قال : فيقول رسول الله ﷺ : « ليسوا بالفرَّار ، ولكنهم الكرَّار إن شاء الله » وهذا مرسل .

وقد قال الإمام أحمد[٢] : ثنا أبو مُعَاوية ، ثنا عاصم ، عن مُورِّق العِجْليِّ ، عن عبد الله بن جعفر قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلقِّي بالصبيان من أهل بيته ، وإنه قدم من سفر فسبق بي إليه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٢) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٣) .

قال : فحملني بين يديه . قال : ثم جيء بأحد ابنَي فاطمة ، إما حَسَنٌ وإما حُسَين ، فأردفه خلفه ، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة .

وقد رواه مسلم وأبو داود والنسائيُّ وابن ماجه[١] من حديث عاصم [الأحول] عن مورِّق به .

وقال الإمام أحمد[٢] : [ثنا روح] ، ثنا ابن جريج ، ثنا جعفر بن خالد بن سَارَة ، أن أباه أخبره أن عبد الله بن جعفر قال : لو رأيتني وقثم وعبيد الله ابنَي العباس ونحن صبيان نلعب ، إذ مر النبيُّ ﷺ على دابة فقال : « ارفعوا هذا إليَّ » . [فحملني أَمامه وقال لقثم : « ارفعوا هذا إليَّ »] فجعله وراءه ، وكان عبيد الله أحبَّ إلى عباس من قثم ، فما استحى من عمِّه أن حمل قثم وتركه . قال : ثم مسح على رأسي ثلاثاً ، وقال كلَّما مسح : « اللهم اخلف جعفراً في ولده » . قال : قلت لعبد الله : ما فعل قثم ؟ قال : استُشهد . قال : قلت : الله ورسوله أعلم بالخير ، قال : أجل .

ورواه النسائيُّ في « اليوم والليلة »[٣] من حديث ابن جُريج ، به .

وهذا كان بعد الفتح ؛ فإن العَبَّاس إنما قدم المدينة بعد الفتح .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٤] : ثنا إسماعيل ، ثنا حبيب بن الشَّهيد ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : قال عبد الله بن جعفر لابن الزبير : أتذكر إذ تلقَّينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم . فحملنا وتركك .

هكذا رأيته في « المسند » ، وكأنه غلط في النسخة ، فإنه من مسند عبد الله بن جعفر ، فصوابه : قال : قال عبد الله بن الزبير لعبد الله بن جعفر : أتذكر إذ تلقَّينا رسول الله ﷺ أنا وأنت وابن العباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك .

وبهذا اللفظ أخرجه البخاريُّ ، ومسلم[٥] من حديث حبيب بن الشَّهيد . وهذا يعدُّ من الأجوبة المسكتة ، ويروى أن عبد الله بن عباس أجاب به ابن الزبير أيضاً ، وهذه القصة قصة أخرى كانت بعد الفتح ، كما قدَّمنا بيانه ، والله أعلم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٢٨) وأبو داود رقم (٢٥٦٦) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢٤٦) وابن ماجة رقم (٣٧٧٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠٥) ، وهو حديث حسن .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٩٠٥) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/٢٠٣) .

(٥) رواه البخاري رقم (٣٠٨٢) ومسلم رقم (٢٤٢٧) وقد جاء الحديث عند مسلم مقلوباً ، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » في ذلك منبِّهاً : جعل ـ يعني مسلم ـ المستفهِم عبد الله بن جعفر ، والقائل « فحملنا » عبد الله بن الزبير ، والذي في « صحيح البخاري » أصح .

فصل

في فضل هؤلاء الأمراء الثلاثة ؛ زيد وجعفر وعبد الله ،

[رضي الله عنهم]

أما زيد بن حارثة[١] بن شَرَاحِيلَ بن كعب بن عبد العُزَّى بن امرئ القيس بن عامر بن النّعمان بن عامر بن عبد ودٍّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيد اللاّت بن رُفَيدة بن ثَور بن كلب بن وَبرَةَ بن تَغْلِبَ بن حُلْوَان بن عِمْرَان بن الحافِ بن قُضَاعة الكلبيُّ القضاعي ، مولى رسول الله ﷺ ؛ وذلك أن أُمَّه ذهبت تزور أهلها ، فأغارت عليهم خيل بلقَين فأخذوه ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمَّته خديجة بنت خويلد . وقيل : اشتراه رسول الله ﷺ لها ، فوهبته من رسول الله قبل النبوة ، فوجده أبوه ، فاختار المقام عند رسول الله ﷺ ، فأعتقه وتبنّاه فكان يقال له : زيد بن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبُّه حُبّاً شديداً ، وكان أول من أسلم من الموالي ، ونزل فيه آيات من القرآن ؛ منها قوله [تعالى] : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤] . وقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وقوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

أجمعوا أن هذه الآيات أنزلت فيه ، ومعنى ﴿ أنعم الله عليه ﴾ أي بالإسلام ، ﴿ وأنعمتَ عليه ﴾ أي بالعِتْقِ ، وقد تكلَّمنا عليها في « التفسير »[٢] .

والمقصود أن الله تعالى لم يسمِّ أحداً من الصحابة في القرآن غيره ، وهداه إلى الإسلام ، وأعتقه رسول الله ﷺ ، وزوَّجه مولاته أمَّ أيمن ، واسمها بركة ، فولدت له أسامة بن زيد ، فكان يقال له : الحِبُّ بن الحِبِّ . ثم زوَّجه بابنة عمَّته زينب بنت جحش ، وآخى بينه وبين عمِّه حمزة بن عبد المطلب ، وقدَّمه في الإمرة على ابن عمِّه جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة ، كما ذكرناه .

وقد قال الإمام أحمد[٣] ، والإمام الحافظ أبو بكر بن أبي شَيبة ـ وهذا لفظه ـ : ثنا محمد بن عُبيد ،

---

(١) ترجمته في « الاستيعاب » (٤/ ٤٧) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٠٢) و« جامع الأصول » (١٤/ ١٠٥) و« أسد الغابة » (٢/ ٢٨١) و« الإصابة » (١/ ٥٦٣) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٢٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٦/ ٣٧٧ ـ ٣٧٩ و٤١٩ ـ ٤٢٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٢٦) وابن أبي شيبة في « المصنّف » رقم (١٨٨٢٤) .

عن وائل بن داود ، سمعت البَهِيّ[١] يُحَدِّث أن عائشة كانت تقول : ما بَعَثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة في سريةٍ إلّا أمَّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه .

ورواه النسائيُّ[٢] ، عن أحمد بن سليمان ، عن محمد بن عبيد الطَّنافسيِّ ، به ، وهذا إسناد جيد قويٌّ على شرط الصحيح ، وهو غريب جداً ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا سليمان ، ثنا إسماعيل ، أخبرني ابن دينار ، عن ابن عمر ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً ، وأمَّر عليهم أُسامةَ بن زيد ، فطعن بعض الناس في إمرته ، فقام رسول الله ﷺ فقال : « إنْ تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ ، وإن هذا لمن أَحبِّ الناس إليَّ بعده » .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٤] عن قُتيبة ، عن إسماعيل ـ هو ابن جعفر بن أبي كثير المدنيُّ ـ عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر . . . فذكره .

ورواه البخاريُّ[٥] من حديث موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن أبيه .

ورواه البزّار من حديث عاصم بن عمر ، عن عبيد الله بن عمر العُمَريِّ ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ثم استغربه من هذا الوجه .

وقال الحافظ أبو بكر البزّار[٦] : ثنا عمر بن إسماعيل [بن مجالد ، حدثني أبي] عن مجالد ، عن الشعبيِّ ، عن مَسروق ، عن عائشة قالت : لما أُصيب زيد بن حارثة ، جيء بأُسامة بن زيد ، فأُوقف بين يدي رسول الله ﷺ ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فأُخِّرَ ، ثم عاد من الغد فوقف بين يديه فقال : « أُلاقي [مِنْكَ] اليوم ما لقيت منك أَمس » وهذا الحديث فيه غَرَابة ، والله أعلم .

وقد تقدم في « الصحيحين »[٧] أنه لما ذكر مُصَابهم وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ فوق المنبر ، جعل يقول : « أَخَذَ الراية زَيد فأُصيب ، ثم أَخذها جعفر فأُصيب ، ثم أخذها [عبد الله] بن رَوَاحَة [فأُصيب] ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم » . قال : وإن عينيه لتَذْرِفَان . وقال : «وما يسرُّهم أنهم عندنا» .

---

(١) وهو (عبد الله مولى مصعب بن الزبير) . انظر « خلاصة تذهيب تهذيب الكمال » للخزرجي (٣/ ٣٤٧) .
(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨١٨٢) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٠) .
(٤) رواه البخاري رقم (٦٦٢٧) ومسلم رقم (٢٤٢٦) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٤٦٨) .
(٦) كما في « كشف الأستار عن زوائد البزّار » رقم (٢٦٧٥) وفيه عمر بن إسماعيل بن مجالد وهو متروك ، كما قال الحافظ في « التقريب » .
(٧) هو عند البخاري رقم (٤٢٦٢) وليس هو عند مسلم ، كما أومأ إليه المصنف سابقاً .

وفي الحديث الآخر أنه شهد لهم بالشهادة ، فهم ممن يقطع لهم بالجنَّة[١] .

وقد قال حَسَّان بن ثابت[٢] يرثي زيد بن حارثة وابن رَوَاحَة : [من الخفيف]

عَيـنُ جُـودي بـدمعِـكِ المنـزُورِ ... واذكُـري فـي الـرَّخـاءِ أَهْـلَ القُبُـورِ
واذكـري مُـؤْتَـةَ ومـا كـان فيهـا ... يـوم راحـوا فـي وقعـة التَّغـويـرِ
حيـنَ راحـوا وغـادروا ثَـمَّ زَيـداً ... نعـم مَـأوى الضَّـريـكِ[٣] والمـأسـورِ
حِـبَّ خيـر الأنـام طُـرّاً جميعـاً ... سَيِّـدِ النـاس حُبُّـهُ فـي الصُّـدورِ
ذاكُـمُ أحمـدُ الـذي لا سِـوَاهُ ... ذاك حُـزْنـي لـه معـاً وَسُـرُوري
إنَّ زيـداً قـد كـان مِنَّـا بـأمـرٍ ... ليـس أَمْـرَ المُكَـذَّب المَغـرورِ
ثـم جُـودي للخَـزْرجـيِّ بـدمـعٍ ... سَيِّـداً كـان ثَـمَّ غيـر نَـزُورِ
قـد أَتَـانَـا مـن قتلهـم مـا كَفَـانَـا ... فَبحُـزنٍ نبيـتُ غيـرِ سـرورِ

وأما جعفر بن أبي طالب[٤] بن عبد المطلب بن هاشم ، فهو ابن عُمِّ رسول الله ﷺ ، وكان أكبر من أخيه عليٍّ بعشر سنين ، وكان عَقيلٌ أَسَنَّ من جعفر بعشر سنين ، وكان طَالب أَسَنَّ من عَقيلٍ بعشر سنين ، أسلم جعفرٌ قديماً ، وهاجر إلى الحبشة ، وكانت له هنالك مواقف مشهورة ، ومقامات محمودة ، وأجوبة سديدة ، وأحوال رشيدة ، وقد قدَّمنا ذلك في هجرة الحبشة ، ولله الحمد . وقد قَدِم على رسول الله ﷺ يوم خيبر فقال عليه الصلاة والسلام : « ما أدري بأيهما أنا أسر ؛ أبقدوم جعفرٍ ، أم بفتح خيبر ؟ » وقام إليه واعتنقه وقبَّل بين عينيه ، وقال له يوم خرجوا من عمرة القضية : « أشبهت خَلقي وخُلقي » . فيقال : إنَّه حجل عند ذلك فرحاً . كما تقدَّم ذلك في موضعه . ولله الحمد والمنة . ولمَّا بعثه إلى مؤتة جعله في الإمرة مصلِّياً ـ أي : ثانياً ـ لزيد بن حارثة ، ولمَّا قتل وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، وهو في ذلك كلِّه مقبل غيرُ مدبر ، وكانت قد قطعت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك اللواء ، فلمَّا فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك . فيقال : إنَّ رجلاً من الرُّوم ضربه بسيف فقطعه باثنتين ، رضي الله عن جعفر ولعن قاتله . وقد أَخبر عنه رسول الله ﷺ بأنه شهيد ، فهو ممن يُقطع له بالجنَّة ، وجاء في الأحاديث تسميته بذي الجَنَاحين .

---

(١) وقد خرجه المصنف من كتاب « دلائل النبوة » للبيهقي .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٩٥) مع بعض الخلاف اليسير .
(٣) الضريك : الفقير السَّيِّىء الحال .
(٤) ترجمته في « الاستيعاب » (٢/ ١٤٩) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٤٨) و« جامع الأصول » (١٣/ ٢٤٦) بتحقيقي و« أسد الغابة » (١/ ٣٤١) و« الإصابة » (١/ ٨٥) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٠٦) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

وروى البخاريُّ[١] ، عن ابن عُمَرَ أنَّه كان إذا سَلَّم على ابنه عبد الله بن جعفر يقول : السلام عليك يا بن ذي الجَنَاحَين .

وبعضهم يرويه عن عمر بن الخَطَّاب نفسِه ، والصحيح ما في « الصحيح » عن ابن عمر .

قالوا : لأن الله تعالى عَوَّضه عن يديه بجَنَاحين في الجَنَّة ، وقد تقدَّم بعض ما رُوي في ذلك .

قال الحافظ أبو عيسى الترمذيُّ[٢] : ثنا عليُّ بن حجر ، ثنا عبد الله بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة » .

وتقدَّم في حديث أنَّه ، رضي الله عنه ، قُتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة .

وقال ابن الأثير في « الغابة »[٣] : كان عمره يوم قتل إحدى وأربعين سنة . قال : وقيل غير ذلك .

قلت : وعلى ما قيل : إنَّه كان أسنَّ من عليٍّ بعشر سنين . يقتضي أن عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة ؛ لأن علياً أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وهاجر وعمره إحدى وعشرون سنة ، ويوم مؤتة كان في سنة ثمان من الهجرة ، والله أعلم .

وقد كان يقال لجعفر بعد قتله : الطَّيَّار . لما ذكرنا ، وكان كريماً جواداً ممدَّحاً ، وكان لكرمه يُقال له : أبو المَسَاكين ، لإحسانه إليهم .

قال الإمام أحمد[٤] : ثنا عفَّان ، ثنا وُهيب ، ثنا خالد ، عن عِكْرمة ، عن أبي هُريرة قال : ما احتذى النعال ولا انتعل ، ولا ركب المطايا ، ولا لبس الثياب من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضلُ من جعفر بن أبي طالب . وهذا إسناد جيِّد إلى أبي هريرة ، وكأنه [إنَّما] يفضِّله في الكَرَم ، فأما في الفضيلة الدِّينية ، فمعلوم أنَّ الصِّديق والفَاروق بل وعثمان بن عفَّان أفضل منه ، وأمَّا أخوه عليٌّ ، رضي الله عنهما ، فالظَّاهر أنَّهما متكافئان ، أو عليٌّ أفضل منه .

وإنَّما أراد أبو هُريرة تفضيله في الكرم ، بدليل ما رواه البخاريُّ[٥] ؛ ثنا أحمد ابن أبي بكر ، ثنا محمد بن إبراهيم بن دينار أبو عبد الله الجُهَنيُّ ، عن ابن أبي ذئب ، عن سعيد المَقْبُريِّ ، عن أبي هُريرة أنَّ

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٩) و(٤٢٦٤) .

(٢) في « جامعه » رقم (٣٧٦٣) ، وهو حديث حسن بشواهده ، من حديث ابن عمر ، وابن عباس وعلي بن أبي طالب ، والبراء ، وغيرهم.

(٣) يعني « أُسد الغابة في معرفة الصحابة » وهو فيه (١/ ٣٤٤) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤١٣) .

(٥) في « صحيحه » رقم (٣٧٠٨) .

الناس كانوا يقولون : أكثر أبو هريرة ، وإنِّي كنت ألزم رسول الله ﷺ بشِبَع بطني حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلان وفلانة ، وكنت أُلصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإنِّي كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي ؛ كي ينقلب [بي] فيطعمني ، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكَّة التي ليس فيها شيء فنشقُّها فنلعق ما فيها . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال حسَّان [بن ثابت] يرثي جعفراً(١) : [من الكامل]

ولقد بَكيتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ ... حبُّ النبيِّ على البريَّة كُلِّهَا
ولقد جَزِعْتُ وقُلْتُ حين نُعِيْتَ لي ... مَن للجِلادِ لدى العُقَاب وظِلِّهَا
بالبيض حين تُسَلُّ من أَغمادِهَا ... ضرباً وإنهال الرِّماح وعلِّهَا
بعد ابنِ فَاطمةَ المُبَاركِ جعفرٍ ... خيرِ البريَّة كُلِّهَا وأجلِّهَا
رُزْءاً وأَكرَمِهَا جميعاً مَحْتِداً ... وأعزِّها متظلِّماً وأذلِّهَا
للحَقِّ حين يَنُوب غير تَنَحُّلٍ ... كَذِباً وأنداهَا يَداً وأقلِّهَا
فُحْشاً وأكثرها إذا ما يُجتدى ... فَضْلاً وأبذَلِهَا ندىً وأبلِّهَا
بالعرفِ غيرَ مُحمدٍ لا مثلُه ... حَيٌّ مِنَ احياء البريَّة كُلِّهَا

وأمَّا ابن رَوَاحَة ، فهو عبد الله بن رَوَاحَة(٢) بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك بن الأغرِّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج أبو محمد ـ ويقال : أبو رواحة . ويقال : أبو عمر ـ الأنصاريُّ الخزرجيُّ ، وهو خال النعمان بن بشير ، أخته عمرة بنت رواحة ، أسلم قديماً وشهد العقبة ، وكان أحد النُّقباء ليلتئذ لبني الحارث بن الخزرج ، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية وخيبر ، وكان يبعثه صلى الله عليه وسلم على خرصها كما قدَّمنا ، وشهد عمرة القضاء ، ودخل يومئذ وهو ممسك بزمام ناقة رسول الله ﷺ ـ وقيل : بغرزها . يعني الرِّكاب ـ وهو يقول :

خلُّوا بني الكُفَّار عن سبيله

الأبيات ، كما تقدَّم .

وكان أحد الأمراء الشهداء يوم مؤتة ، كما تقدَّم ، وقد شجَّع المسلمين للقاء الروم حين اشتوروا في

(١) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٣٢٣) مع بعض الخلاف اليسير .
(٢) ترجمته في « الاستيعاب » (٣/ ٨٩٨) و« تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ٢٦٥) و« الإصابة » (٢/ ٣٠٦) و« سير أعلام النبلاء » (١/ ٢٣٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٦) بتحقيقي .

ذلك ، وشجّع نفسه أيضاً حتى نزل بعدما قتل صاحباه ، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة ، فهو ممن يقطع له بدخول الجنة . ويروى أنّه لمّا أنشد النبيَّ ﷺ شعره ـ حين ودّعه ، الذي يقول فيه : [من البسيط]

فثبّت الله ما أَتاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً كالّذي نُصروا ـ

قال رسول الله ﷺ : « وأنت فثبّتك الله » .

قال هشام بن عروة : فثبّته الله حتى قتل شهيداً ودخل الجنّة .

وروى حَمّاد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، أنَّ عبد الله بن رَوَاحة أتى رسول الله ﷺ وهو يخطب فسمعه يقول : « اجلسوا » . فجلس مكانَه خارجاً من المسجد ، حتى فرغ النبيُّ من خطبته ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله » .

وقال البخاريُّ في « صحيحه »(١) :

وقال مُعاذ : اجلس بنا نؤمن ساعة .

وقد ورد الحديث المرفوع في ذلك ، عن عبد الله بن رواحة بنحو ذلك ، فقال الإمام أحمد(٢) : حدَّثنا عبد الصمد ، عن عمارة ، عن زياد النُّميريِّ ، عن أنس قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربّنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل ، فغضب الرجل فجاء فقال : يا رسول الله ، ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة ! فقال النبيُّ ﷺ : « يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحبُّ المجالس التي تتباهى بها الملائكة » . وهذا حديث غريب جداً .

وقال البيهقيُّ : أنبأ الحاكم ، أنبأ أبو بكر ، أنبأ محمد بن أيوب ، أنبأ أحمد بن يونس ، ثنا شيخ من أهل المدينة ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار أنَّ عبد الله بن رواحة قال لصاحب [له] : تعال [حتى] نؤمن ساعة . قال : أولسنا بمؤمنين ؟ قال : بلى ، ولكنَّا نذكر الله فنزداد إيماناً .

وقد روى الحافظ أبو القاسم اللّالكائيُّ ، من حديث أبي اليمان ، عن صفوان بن سُلَيم ، عن شريح بن عبيد ، أنَّ عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول : قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر . وهذا مرسل من هذين الوجهين ، وقد استقصينا الكلام على ذلك في أول « شرح البخاري » . ولله الحمد والمنة .

---

(١) في الباب قبل الحديث رقم (٨) في الإيمان : باب الإيمان وقول النبي ﷺ : « بني الإسلام على خمس » تعليقاً ، ووصله أبو بكر بن أبي شيبة في « مصنَّفه » (١١/ ٢٦) و(١٣/ ٣٤٦) عن الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : اجلس بنا نؤمن ساعة ، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١/ ٤٨) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٦٥) ، وإسناده ضعيف .

وفي « صحيح [البخاري] »[١] عن أبي الدَّرداء قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر في حرٍّ شديد ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة . رضي الله عنه . وقد كان من شعراء الصَّحابة المشهورين .

وممَّا نقله البخاريُّ[٢] من شعره قوله في رسول الله ﷺ[٣] : [من الطويل]

وَفِينا رسولُ الله يتلو كتابَهُ ... [إذا] انشقَّ معروف من الفجر ساطعُ
يَبِيتُ يُجافي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا استَثْقَلَتْ بالمشركين المَضَاجِعُ
أتى بالهُدى بعد العمى فقُلوبُنَا ... به مُوقِناتٌ أنَّ ما قال واقعُ

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا عِمْرَان بن مَيْسَرة ، ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عامر ، عن النعمان بن بشير قال : أغمي على عبد الله بن رواحة ، فجعلت أخته عمرة تبكي : واجبلاه ، واكذا ، واكذا تعدِّد عليه ، فقال حين أفاق : ما قلت شيئاً إلا قيل لي : أنت كذلك ؟!

ثنا قُتيبة ، ثنا عَبْثَرٌ ، عن حصين ، عن الشعبيِّ ، عن النعمان بن بشير قال : أُغمي على عبد الله بن رواحة . . . بهذا ، فلمَّا مات لم تبك عليه .

وقد قدَّمنا ما رثاه به حسان بن ثابت مع غيره .

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من مؤتة مع من رجع ، رضي الله عنهم :

كفى حزناً أنِّي رجعت وجعفر ... وزيد وعبد الله في رَمس أقبُرِ
قضوا نحبهم لمَّا مضوا لسبيلهم ... وخلِّفت للبلوى مع المتغبِّرِ

وسيأتي إن شاء الله تعالى بقية ما رثي به هؤلاء الأمراء الثلاثة من شعر حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، رضي الله عنهما وأرضاهما .

فصل
في ذكر من استشهد يوم مُؤْتَةَ من المسلمين[٥]

فمن المهاجرين : جعفر بن أبي طالب ، ومولاهم زَيد بن حارثة [الكلبيُّ] ومسعود بن الأسود بن

(١) صحيح البخاري رقم (١٩٤٥) ، ورواه مسلم في « صحيحه » أيضاً رقم (١١٢٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١١٥٥) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » ص(١٦٢) مع بعض الخلاف والتقديم والتأخير ، ومع بيت رابع هو :
وأعلم عِلماً ليس بالظنّ أنني ... إلى الله محشورٌ هناك وراجِعُ
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٧) و(٤٢٦٨) .
(٥) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم ص(٢٢٢) وقد زاد على ما ذكره المؤلف شهداء آخرين .

حارثة بن نضلة العَدَويُّ ، وَوَهْب بن سعد بن أبي سَرْح ، فهؤلاء أربعة نفر .

ومن الأنصار : عبد الله بن رَوَاحَة ، وعبَّاد بن قيس الخزرجيَّان ، والحارث بن النُّعمان بن إساف بن نَضْلَة النجّاريُّ ، وسُرَاقة بن عمرو بن عطيَّة بن خَنْسَاء المازنيُّ ، أربعة نفر .

فمجموع من قتل من المسلمين يومئذٍ هؤلاء الثمانية ، على ما ذكره ابن إسحاق[١] .

لكن قال ابن هشام[٢] : وممَّن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكره ابن شِهَاب الزّهريُّ ، أبو كُلَيب ، وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول المازنيَّان ، وهما شقيقان لأب وأم ، وعمرو ، وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى . فهؤلاء أربعة من الأنصار أيضاً[٣] ، فالمجموع على القولين اثنا عشر رجلاً ، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين ؛ أحدهما ، وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله ، عدَّتها ثلاثة آلاف مقاتل ، وأخرى كافرة عدَّتها مئتا ألف مقاتل ؛ من الروم مئة ألف ، ومن نصارى العرب مئة ألف ، يتبارزون ويتصاولون ، ثم مع هذا كله لا يُقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير . هذا خالد وحده يقول : لقد اندقَّت في يدي يومئذ تسعة أسياف ، وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية . فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلِّها ؟! دع غيره من الأبطال والشجعان ، من حَمَلَةِ القرآن ، وقد تحكَّموا في عبدة الصُّلبان ، عليهم لعائن الرحمن ، في ذلك الزمان ، وفي كلِّ أوان . وهذا مما يدخل في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

***

حديثٌ

فيه فضيلة عظيمة لأمراء هذه السَّريَّة

وهم : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رَوَاحة ، رضي الله عنهم .

قال الإمام العالم الحافظ أبو زُرْعَة عُبَيْدُ الله[٤] بن عبد الكريم الرَّازيّ ـ نضَّر الله وجهه ـ في كتابه

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩) .
(٣) وهو ما ذكره ابن حزم في « جوامع السيرة » .
(٤) في (آ) و(ط) : « عبد الله » وهو خطأ ، والتصحيح من « شذرات الذهب » (٣/ ٢٧٨) بتحقيقي .

« دلائل النبوة » وهو كتاب جليل[١] ـ : ثنا صَفْوان بن صالح الدمشقيُّ ، ثنا الوليد ، ثنا ابن جابر .

(ح) وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، ثنا الوليد وعمرو ـ يعني ابن عبد الواحد ـ قالا : ثنا ابن جابر ، سمعت سُلَيم بن عامر الخبائريَّ يقول : أخبرني أبو أمامة الباهليُّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان ، فأخذا بضَبْعيَّ فأتيا بي جبلاً وعراً فقالا : اصعد . فقلت : لا أطيقه . فقالا : إنَّا سنسهله لك . قال : فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت : ما هؤلاء الأصوات ؟ فقالا : عواء أهل النار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم معلَّقين بعراقيبهم ، مشقَّقة أشداقهم ، تسيل أشداقُهم دماً ، فقلت : ما هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلَّة صومهم » . فقال : « خابت اليهود والنصارى » . قال سُليم : [لا أدري] أسمعه من رسول الله ﷺ أم من رأيه « ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشدُّ شيء انتفاخاً ، وأنتنُ شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء قتلى الكفار . ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم أشد [شيء] انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً ، كأنَّ ريحهم المراحيض . قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء الزانون والزواني ، ثم انطلقا بي ، فإذا بنساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحِيات ، فقلت : ما بال هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن . ثم انطلقا بي ، فإذا بغِلْمَان يلعبون بين بحرين ، قلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء ذراريُّ المؤمنين . ثم أشرفا بي شرفاً ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة . ثم أشرفا بي شرفاً آخر ، فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت : من هؤلاء ؟ قالا : هؤلاء إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام ، وهم ينتظرونك »[٢] .

***

فصل
فيما قيل من الأشعار في غَزْوَة مُؤْتَة

قال ابن إسحاق[٣] : وكان مما بُكِي به أصحاب مؤتة قول حَسَّان[٤] : [من الطويل]

تــأوّبنــي ليــلٌ بيثــربَ أَعســرُ ... وهــمٌّ إذا مــا نــوَّم النــاس مسهــرُ

---

(١) قلت : وهو مخطوط لم يطبع بعد فيما أعلم .

(٢) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » رقم (١٩٨٦) وعنه ابن حبان في « صحيحه » رقم (٧٤٩١) وإسناده صحيح . وذكره بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » رقم (٧٦٦٧) وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٧٦ ـ ٧٧) : « ورجاله رجال الصحيح » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٣) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٩٨) مع بعض الخلاف في ألفاظها .

لـذكـرى حبيـبٍ هَيَّجَتْ لـي عَبـرةً ... سَفُـوحـاً وأسبـابُ البُكـاء التَّـذَكُّـرُ
بلـى إنّ فُقـدان الحبيـبِ بليّـةٌ ... وكـم مـن كـريـم يُبتلـى ثـم يَصْبِـرُ
رأيـت خيـارَ المسلميـن تـواردوا ... شعـوبـاً وخلفـاً بعـدهـم يتـأخـرُ
فـلا يُبْعِـدَنَّ الله قتلـى تتـابعـوا ... بمـؤتـة منهـم ذو الجنـاحيـن جعفـرُ
وزيـد وعبـد الله حيـن تتـابعـوا ... جميعـاً وأسبـاب المنيّـة تخطـرُ
غـداة مضَـوا بـالمـؤمنيـن يقـودهـم ... إلـى المـوت ميمـون النقيبـة أزهـرُ
أغـرُّ كضـوء البـدر مـن آل هـاشـم ... أبـيّ إذا سيـم الظـلامـة مجسـرُ
فَطَـاعَـنَ حتّـى مَـالَ غيـر مـوسّـدٍ ... بمعتـرَك فيـه القنـا مُتَكَسِّـرُ
فَصَـارَ مـع المستشهـديـن ثَـوَابُـهُ ... جِنَـانٌ وملتـفّ الحـدائـقِ أخضـرُ
وكنـا نـرى فـي جعفـر مِـنْ محمـدٍ ... وفـاءً وأَمـراً حـازمـاً حيـن يـأمـرُ
وما زال في الإسلام من آل هاشمٍ ... دعـائـمُ عـزّ لا يُـزلْـن ومفخـرُ
هُمُ جبل الإسلام والناس حولهم ... رِضـام إلـى طـود يـروق ويقهـرُ
بهـاليـلُ منهـم جعفـر وابـن أمـه ... علـيّ ومنهـم أحمـد المتخيَّـرُ
وحمـزة والعبّـاس منهـم ومنهـمُ ... عقيل وماء العود من حيث يُعصرُ
بهـم تفـرجُ الـلأواء فـي كـلّ مـأزق ... عَمَاسٍ إذا ما ضَاقَ بالناس مَصْدَرُ
هُـمُ أوليـاء الله أنـزل حكمَـه ... عليهـم وفيهـم ذا الكتـاب المطهّـرُ

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه[1] : [من الكامل]

نـام العيـونُ ودمـعُ عينـك يهمُـلُ ... سَحّـاً كمـا وَكَفَ الطِّبـابُ المُخضِلُ
فـي ليلـة وردت علـيَّ هُمُـومُهَـا ... طـوراً أَحِـنُّ وتـارةً أتمَلمـلُ
واعتـادنـي حُـزْنٌ فبِـتّ كـأنّنـي ... ببنـاتِ نعـشٍ والسِّمَـاكُ مُـوَكَّـلُ
وكـأنمـا بيـن الجَـوانِـحِ والحَشَـا ... ممّـا تـأوَّبنـي شِهَـابٌ مُـدْخَـلُ
وَجـداً علـى النّفر الـذيـن تتـابعـوا ... يـومـاً بمـؤتـة أسنـدوا لـم ينقلـوا
صلـى الإلـه عليهـمُ مـن فتيـةٍ ... وسقـى عِظَـامَهُـمُ الغَمَـامُ المسبـلُ
صبـروا بمُـؤْتَـةَ لـلإلـه نفـوسهـمْ ... حَـذَرَ الـرّدى ومَخَـافَـةً أن يَنْكُلُـوا
فمَضَـوا أمـام المسلميـن كـأنّهـم ... فُنُـقٌ[2] عليهـن الحـديـد المـرفـلُ
إذ يهتـدونَ بجعفـرٍ ولـوائـهِ ... قُـدَّام أولهـم فنعـم الأوّلُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٢٠٥ ـ ٢٠٦) .
(٢) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد فنيق .

حتى تفرجت الصفوف وجعفرٌ حيث التقى وعث الصفوف مجدّلُ
فتغيّر القمرُ المنيرُ لفقدهِ والشمسُ قد كَسَفَتْ وكادت تأفِلُ
قرْم علا بنيانه من هاشم فرعاً أشمّ وسؤددا ما ينقلُ
قوم بهم عَصَمَ الإلهُ عِبَادَهُ وعليهمُ نَزَلَ الكِتَابُ المنزلُ
فضلوا المعاشر عزّة وتكرّماً وتغمّدت أحلامهم من يجهلُ
لا يطلقون إلى السّفاه حُبُاهُمْ ويرى خطيبهمُ بحق يفصلُ
بيض الوجوه ترى بطون أَكُفِّهِمْ تندى إذا اعتَذَرَ الزَّمَانُ الممحلُ
وبهَدْيِهِمْ رضي الإلهُ لِخَلْقِهِ وبجدّهم نُصِرَ النَّبيّ المرسلُ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

بعث رسول الله ﷺ إلى ملوك الآفاق وكتبه إليهم يدعوهم إلى الله ، عزَّ وَجَلَّ ، وإلى الدخول في الإسلام[1]

ذكر الواقديّ[2] أن ذلك كان في آخر سنة ستّ في ذي الحجَّة ، بعد عُمْرَة الحُديبية .

وذكر البيهقيّ[3] هذا الفصل في هذا الموضع ، بعد غزوة مُؤْتَةَ ، والله أعلم . ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحُديبية ؛ لقول أبي سُفيان لِهِرَقْلَ حين سأله : هل يَغْدرُ ؟ فقال : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها .

وفي لفظ للبخاري[4] : وذلك في المدة التي مادّ[5] فيها أبو سُفيان رسول الله .

---

(١) لتمام الفائدة فيما يتصل برسائل رسول الله ﷺ لملوك الأمم وزعماء القبائل راجع كتاب « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ، بتحقيقي .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٤) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٧٦) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٧) .
(٥) أي : صالحهم إلى مدة استقرت بينهم . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٢) .

وقال محمد بن إسحاق[١] : كان ذلك ما بين الحُدَيبية ووفاته ، عليه الصلاة والسلام . ونحن نذكر ذلك هاهنا ، وإن كان قول الواقدي محتملاً ، والله أعلم .

وقد روى مسلم[٢] ، عن يوسف بن حَمَّاد المعنيّ ، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد بن أبي عَرُوْبَة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى وقَيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كلّ جَبّار ؛ يدعوهم إلى الله ، عزّ وجلّ ، وليس بالنجاشيّ الذي صلّى عليه .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني الزّهريّ[٣] ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن عبد الله بن عباس ، حدثني أبو سفيان ، مِن فيه إلى فيّ ، قال : كنا قوماً تُجّاراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ، فلمّا كانت الهُدْنَة ـ هُدْنَة الحُدَيبية ـ بيننا وبين رسول الله ﷺ لم نأمن أن وجدنا أمناً ، فخرجْتُ تاجراً إلى الشام مع رهطٍ من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة ولا رجلاً إلا وقد حمّلني بضاعةً ، وكان وجه متجرنا من الشام غَزَّة من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها ، وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم على من كان في بلاده من الفرس ، فأخرجهم منها ، وردّ عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه ، فلمّا أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بحمص من أرض الشام ، فخرج منها يمشي متشكّراً إلى بيت المقدس ؛ليصلي فيه ، تُبسط له البسط ، وتطرح له عليها الرَّياحين ، حتى انتهى إلى إيلياء فصلّى بها ، فأصبح ذات غداة وهو مهموم ، يقلّب طرفه إلى السماء ، فقالت بطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهرٌ . فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختتن إلا اليهود ، وهم تحت يديك وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع هذا في نفسك منهم ، فابعث في مملكتك كلّها ، فلا يبقى يهوديّ إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فإنهم في ذلك من رأيهم يدبرونه ، إذ أتاهم رسول صاحب بُصْرَى برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من العرب من أهل الشاء والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فاسأله عنه . فلمّا انتهى إليه ، قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟ فسأله فقال : رجل من العرب من قريش ، خرج يزعم أنه نبيّ ، وقد اتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن ، فخرجتُ من بلادي وهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبر قال : جرّدوه . فإذا هو مختون ، فقال : هذا والله الذي قد أُريت ، لا ما تقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قَلِّب لي الشام ظهراً لبطنٍ ، حتى تأتيَ برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٥) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٧٧٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٤٦) و« دلائل النبوة » (٤/ ٣٨١) .

قال أبو سفيان : فوالله إنّي وأصحابي لَبِغزّة ، إذ هجم علينا ، فسألنا : ممّن أنتم ؟ فأخبرناه ، فساقنا إليه جميعاً ، فلمّا انتهينا إليه ، قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت من رجل قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأغلف ـ يريد هرقل ـ قال : فلمّا انتهينا إليه قال : أيكم أمسّ به رحماً ؟ فقلت : أنا . قال : أدنوه مني . قال : فأجلسني بين يديه ثم أمر بأصحابي ، فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب فردوا عليه .

قال أبو سفيان : فلقد عرفت أني لو كذبت ما ردوا عليّ ، ولكنّي كنت امرءاً سَيّداً ، أتكرم وأستحي من الكذب ، وعرفت أنّ أدنى ما يكون في ذلك أن يرووه عنّي ، ثم يتحدثوا به عنّي بمكّة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم . فزهّدْتُ له شأنه ، وصَغّرت له أَمْرَهُ ، فوالله ما التفت إلى ذلك منّي ، وقال لي : أخبرني عما أسألك عنه من أمره . فقلت : سلني عما بدا لك ؟ فقال : كيف نسبه فيكم ؟ فقلت : محضاً[1] ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله ، فهو يتشبّه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرني هل كان له مُلك فاستلبتموه إيّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوه عليه ؟ قلت : لا . قال : فأخبرني عن أتباعه ، من هم ؟ فقلت : الأحداثُ والضّعفاء والمساكين ، فأمّا أشرافهم وذوو الأسنان[2] فلا . قال : فأخبرني عمّن يصحبه ، أيحبه ويلزمه ، أم يقليه ويفارقه ؟ قلت : قلّ ما صحبه رجل ففارقه . قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟ فقلت : سِجَال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغرّه به إلا هي ، قلت : لا ، ونحن منه في مدّة ، ولا نأمن غدره فيها ، فوالله ما التفت إليها مني . قال : فأعاد عليّ الحديث ، فقال : زعمتَ أنه [من] أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبّه به ، فقلت : لا . وسألتك هل كان له مُلك فاستلبتموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ، فقلتَ : لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كلّ زمان ، وسألتك عمّن يتبعه ، أيحبه ويلزمه ، أم يَقليه ويفارقه ، فزعمت أنه قلّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سِجَال ؛ يُدال عليكم وتدالون عليه ، وكذلك تكون حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة ، وسألتك هل يغدر ، فزعمت أنه لا يغدر ، فلئن كنت صدقتني ، ليغلبنّ على ما تحت قدميّ هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل عن قدميه . ثم قال : الحَق بشأنك . قال : فقمت وأنا أضرب بإحدى يديّ على الأخرى ، وأقول : يا عباد الله ، لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة[3] ! أصبح ملوك بني

---

(١) أي : خالص النسب . انظر « لسان العرب » (محض) .

(٢) أي : كبار السنّ .

(٣) أي : كبر شأنه وعظم واتسع ، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، لأن أبا كبشة الخزاعي ، واسمه وجز ، كان قد خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، وعبد الشِّعرى العبور ، وهو النجم المعروف في نجوم السماء ، فلما=

الأصفر[١] يخافونه في سلطانهم .

قال ابن إسحاق[٢] : وحدثني الزّهريّ قال : حدثني أُسقفٌ من النَّصارى ، قد أدرك ذلك الزمان قال : قدم دِحْيَةُ بن خليفة على هِرَقْل بكتاب رسول الله ﷺ فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم ، سَلاَمٌ على من اتَّبَع الهُدَى .

أمّا بعد : فأسلِم تَسلَم ، وأَسلِم يؤتك الله أَجْرَكَ مَرَّتين ، فإن أَبَيْتَ فإنَّ إثم الأكّارين[٣] عَلَيْكَ » .
قال : فلمّا انتهى إليه كتابه وقرأه، أخذه فجعله بين فخذه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل من أهل رُومية، كان يقرأ من العِبْرَانِيّة ما يقرأ ، يخبره عما جاءه من رسول الله ﷺ ، فكتب إليه : إنه النبيُّ الذي ينتظر لا شك فيه ، فاتّبعه . فأمر بعظماء الرُّوم ، فجمعوا له في دَسْكرة[٤] ملكه ، ثم أمر بها فأشرجت عليهم ، واطلع عليهم من عِلِّيّة له وهو منهم خائف، فقال: يا معشر الرُّوم ، إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبيّ الذي كُنَّا ننتظر ونجد ذكره في كتابنا، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا واتبعوه تسلم لكم دنياكم وآخرتكم . فنخروا نَخرة رجل واحد، وابتدروا أبواب الدَّسكرة فوجدوها مُغْلَقةً دونهم، فخافهم وقال: ردُّوهم عليَّ. فردّوهم عليه ، فقال لهم : يا معشر الرُّوم ، إني إنما قلت لكم هذه المقالة أختبركم بها ؛ لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فلقد رأيت منكم ما سرَّني . فوقعوا له سُجَّداً ، ثم فتحت لهم أبواب الدَّسْكَرَة فخرجوا .

وقد روى البخاريُّ قصة أبي سفيان مع هرقل بزيادات أُخر ، أحببنا أن نوردها بسندها وحروفها من « الصحيح » ؛ ليُعلم ما بين السياقين من التباين ، وما فيها من الفوائد .

قال البخاريُّ قبل الإيمان من « صحيحه »[٥] : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، ثنا شعيب ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مَسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ، أن أبا سُفْيَان أخبره أن هِرَقْلَ أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تُجّاراً بالشام في المدَّة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكُفّار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء[٦] ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الرّوم ، ثم دعاهم

= خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأصنام شبّهوه به ، وقيل : كان جدَّ جدِّ النبي ﷺ لأمه ، أرادوا : أنه نزع إليه في الشبه . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٣) .

(١) بنو الأصفر : هم الروم ، سمُّوا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة . عن « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٣) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٤) .

(٣) الأكارون : الذين يحرثون الأرض . انظر « القاموس المحيط » (أكر) .

(٤) الدَّسْكَرَة : بناء على هيئة القصر . انظر « النهاية » (٢/ ١١٧) .

(٥) رقم (٧) .

(٦) إيلياء : هي بيت المقدس . انظر « الروض المعطار في خبر الأقطار » للحميري ص(٦٨) .

ودعا بالتَّرجمان فقال : أيّكم أَقْرَبُ نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ ؟ . قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً . قال : أدنوه مني ، وقرِّبوا أصحابه ، فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبني فكذِّبوه ، فوالله لولا أن يأثِروا عنِّي كذباً لكذبت عنه ، ثم كان أوّل ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قطُّ قبله ؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل كُنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدَّة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكنِّي كلمة أُدخِل فيها شيئاً غيرَ هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إيَّاه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سِجَالٌ ؛ ينال منَّا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصِّدْق والعَفَاف والصِّلة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرُّسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يتأسَّى بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ، فذكرت أن لا ، فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب مُلْكَ أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم ، وسألتك أيرتدُّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرُّسل لا تغدِر . وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصّدق والعَفَاف ، فإن كان ما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظنُّ أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص إليه ، لتجشَّمت لقاءه ، ولو كنت عنده ، لغَسّلْتُ عن قدميه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْيَةَ إلى عظيم بُصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ عبد الله ورسولهِ إلى هِرَقْلَ عظيم الرُّوم ، سَلاَمٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسْلَم ، يؤتك الله أجرك مَرَّتين ، فإن توليتَ فإنّ عليك إثم الأريسيِّين[1] ، و : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ

---

(١) أي : الفلاحين . انظر « جامع الأصول » (١١/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] [١] .

قال أبو سفيان : فلمَّا قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصَّخب ، وارتفعت الأصوات ، وأُخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أُخرجنا : لقد أَمِرَ أمْرُ ابن أبي كَبْشَة ! إنَّه يخافه مَلِكُ بني الأصفر ! فما زلت موقناً أنَّه سيظهر ، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام . قال : وكان ابن النَّاطور ـ صاحب إيلياء وهرقل ـ سُقُفّاً على نصارى الشام، يُحَدِّثُ أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيثَ النَّفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزَّاءً ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إنِّي رأيت حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمَّنَّك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أَرسل به ملك غسَّان ، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلمَّا استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه، فحدثوه أنَّه مختتن. وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون. فقال هرقل : هذا مُلْك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه ، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبيٌّ ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت ، ثم اطَّلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُّشد ، وأن يثبُت لكم مُلككم ، فتبايعوا لهذا النبيِّ . فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلِّقت، فلمَّا رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان قال: ردُّوهم عليَّ. وقال : إني إنما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل . قال البخاري : ورواه صالح بن كيسان ، ويونس ، ومعمر ، عن الزهريِّ .

وقد رواه البخاريُّ في مواضع كثيرة في « صحيحه » بألفاظ يطول استقصاؤها [٢] .

وأخرجه بقية الجماعة ، إلا ابن ماجه ، من طرق عن الزُّهريِّ [٣] .

وقد تكلَّمنا على هذا الحديث مطولاً في أول شرحنا لـ « صحيح البخاريِّ » بما فيه كفاية ، وذكرنا فيه من الفوائد والنُّكت المعنوية واللفظية ، ولله الحمد والمنَّة .

---

(١) انظر نصّ الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(٧٠) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) ومنها في الأرقام (٢٩٤١) و(٤٥٥٣) و(٢٨٠٤) و(٢٩٤١) و(٢٩٧٨) و(٦٢٦٠) وغيرها .

(٣) رواه مسلم رقم (١٧٧٣) وأبو داود رقم (٥١٣٦) والترمذي رقم (٢٧١٧) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٠٦٤) .

وقال ابن لهيعة ، عن الأسود ، عن عُرْوَة قال[١] : خرج أبو سفيان بن حرب إلى الشام تاجراً في نفر من قريش ، وبلغ هرقل شأن رسول الله ﷺ ، فأراد أن يعلم ما يعلم من أمر رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى صاحب العرب الذي بالشام في ملكه ، فأمره أن يبعث إليه برجال من العرب يسألهم عنه ، فأرسل إليه ثلاثين رجلاً ، منهم أبو سفيان بن حرب ، فدخلوا عليه في كنيسة إيلياء التي في جوفها ، فقال هرقل : أرسلت إليكم لتخبروني عن هذا الذي بمكة ، ما أمره ؟ قالوا : ساحر كذاب ، وليس بنبيٍّ . قال : فأخبروني بأعلمِكم به وأقربكم منه رحماً ؟ قالوا : هذا أبو سفيان ابن عَمِّه ، وقد قاتله . فلمَّا أخبروه ذلك ، أمر بهم فأخرجوا عنه ، ثم أجلس أبا سفيان فاستخبره ، قال : أخبرني يا أبا سفيان . فقال : هو ساحر كذاب . فقال هرقل : إني لا أريد شتمه ، ولكن كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو والله من بيت قريش . قال : كيف عقله ورأيه ؟ قال : لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط . قال هرقل : هل كان حَلاّفاً كذَّاباً مخادعاً في أمره ؟ قال : لا والله ما كان كذلك . قال : لعله يطلب مُلكاً أو شرفاً كان لأحد من أهل بيته قبله ؟ قال أبو سفيان : لا . ثم قال : من يتبعه منكم هل يرجع إليكم منهم أحد ؟ قال : لا . قال هرقل : هل يغدر إذا عاهد ؟ قال : لا ، إلا أن يغدر مدَّته هذه . فقال هرقل : وما تخاف من مدَّته هذه ؟ قال : إن قومي أمدُّوا حلفاءهم على حلفائه وهو بالمدينة . قال هرقل : إن كنتم أنتم بدأتم فأنتم أغدر . فغضب أبو سفيان وقال : لم يغلبنا إلا مرة واحدة وأنا يومئذ غائب ـ وهو يوم بدر ـ ثم غزوته مرَّتين في بيوتهم ، نبقر البطون ، ونجدِّع الآذان والفروج . فقال هرقل : أكاذباً تراه أم صادقاً ؟ فقال : بل هو كاذب . فقال : إن كان فيكم نبي ، فلا تقتلوه ، فإنَّ أفعل الناس لذلك اليهود . ثم رجع أبو سفيان .

ففي هذا السياق غَرَابة ، وفيه فوائد ليست عند ابن إسحاق ، ولا البخاريِّ . وقد أورد موسى بن عقبة في « مغازيه » قريباً مما ذكره عُروة بن الزُّبير ، والله أعلم .

وقال ابن جرير في « تاريخه »[٢] : ثنا ابن حُميد ، ثنا سلمة ، ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدِحْيَةَ بن خليفة الكلبيِّ حين قدم عليه بكتاب رسول الله ﷺ : والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ، ولكنِّي أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف ، فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله في الروم أعظم منِّي ، وأجوز قولاً عندهم منِّي ، فانظر ماذا يقول لك ؟ قال : فجاءه دحية ، فأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ إلى هرقل ، وبما يدعو إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل ، نعرفه بصفته ، ونجده في كتابنا

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٤) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٠) .

باسمه . ثم دخل وألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثيابا بياضاً ، ثم أخذ عصاه فخرج على الروم في الكنيسة فقال : يامعشر الرُّوم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ، يدعونا فيه إلى الله ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله . قال : فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . قال : فلما رجع دحية إلى هرقل ، فأخبره الخبر ، قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ، فضغاطر والله كان أعظم عندهم ، وأجوز قولاً منِّي .

وقد روى الطبرانيُّ[١] من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن عبد الله بن شداد ، عن دحية الكلبيِّ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى قيصر صاحب الرُّوم بكتاب ، فقلت : استأذنوا لرسولِ رسولِ الله ﷺ . فأُتي قيصر فقيل له : إن على الباب رجلاً يزعم أنَّه رسول الله . ففزعوا لذلك ، فقال : أدخله . فأدخلني عليه وعنده بطارقته ، فأعطيته الكتاب ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » . فنخر ابن أخ له أحمر أَزرق سبط ، فقال : لا تقرأ الكتاب اليوم ، فإنه بدأ بنفسه ، وكتب صاحبَ الرُّوم ، ولم يكتب ملكَ الرُّوم . قال : فقرئَ الكتاب حتى فرغ منه ، ثم أمرهم فخرجوا من عنده ، ثم بعث إليَّ ، فدخلت عليه ، فسألني فأخبرته ، فبعث إلى الأسقفِّ فدخل عليه ، وكان صاحب أمرهم ، يصدرون عن رأيه وعن قوله ، فلمَّا قرأ الكتاب قال الأسقفُّ : هو والله الذي بشَّرنا به موسى وعيسى ، الذي كنا ننتظر . قال قيصر : فما تأمرني ؟ قال الأسقفُّ : أمَّا أنا فإنِّي مُصَدِّقه ومتَّبعه . فقال قيصر : أعرف أنَّه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلتُ ذهب مُلْكي وقتلني الرُّوم .

وبه قال محمد بن إسحاق[٢] ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام قال : لمَّا أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينيَّة ؛ لِما بلغه من أمر النبيِّ ﷺ جمع الرُّوم فقال : يا معشر الرُّوم ، إني عارض عليكم أموراً ، فانظروا فيما أردت بها . قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل ، نجده في كتابنا ، نعرفه بصفته التي وُصف لنا ، فهلمَّ فلنتَّبعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . فقالوا : نحن نكون تحت أيدي العرب ، ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأقصاهم بلداً ؟! قال : فهلمَّ أعطيه الجزية كلَّ سنة ، أكسر عنِّي شوكته ، وأستريح من حربه بما أعطيه إياه. قالوا: نحن نعطي العرب الذُّلّ والصغار بخرج يأخذونه منَّا، ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً ؟! لا والله لا نفعل هذا أبداً . قال : فهلمَّ فلأصالحه على أنْ أُعطيه أرض سورية ، ويدعني وأرضَ الشام ـ قال : وكانت أرض سورية ؛ فلسطين ، والأردن ، ودمشق ، وحمص ، وما دون

---

(١) في « المعجم الكبير » رقم (٤١٩٨) وفيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو متروك ، ويحيى بن عبد الحميد الحِمّاني وهو ضعيف .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥١) .

الدرب من أرض سورية ، وما كان وراء الدَّرب عندهم فهو الشام ـ فقالوا : نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفتَ أنها سُرَّة الشام ؟! لا نفعل هذا أبداً . فلمَّا أبوا عليه قال : أما والله لتودُّن أنَّكم قد ظفرتم ، إذا امتنعتم منه في مدينتكم . قال : ثم جلس على بغل له فانطلق ، حتى إذا أشرف على الدَّرب ، استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليكِ يا أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينيَّة ، والله أعلم .

***

ذكر

إرساله ﷺ إلى ملك العرب من النصارى الذين بالشام

قال ابن إسحاق[١] : ثم بعث رسول الله ﷺ شُجَاع بن وَهْب ، أخا بني أسد بن خُزيمة ، إلى المنذر بن الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيِّ ، صاحب دمشق .

قال الواقديُّ[٢] : وكتب معه : « سَلاَمٌ على من اتَّبع الهُدى وآمنَ بهِ ، وأدعوكَ إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريكَ له ؛ يبقى لك مُلْكُكَ »[٣] ، فقدم شُجَاع بن وَهْب فقرأه عليه فقال : ومن ينتزع ملكي ؟ إنِّي سأسير إليه .

***

ذكر

بعثه ﷺ إلى كِسْرى مَلِكِ الفُرس

روى البخاريُّ[٤] من حديث اللّيث ، عن يونس ، عن الزُّهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبةَ ، عن ابن عبَّاس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه كسرى مزّقَهُ . قال : فحسبت أن ابن المُسَيّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزّقوا كلّ مُمَزّقٍ .

---

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٢) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٢) .
(٣) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(١٠٦ ـ ١٠٨) بتحقيقي.
(٤) في « صحيحه » رقم (٧٢٦٤) .

وقال عبد الله بن وهب[١] ، عن يونس ، عن الزُّهريِّ ، حدثني عبد الرحمن بن عبد القاريُّ ، أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يومٍ على المنبر خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وتشهَّد ثم قال : « أمَّا بعد : فإنِّي أُريد أن أبعث بعضكم إلى مُلُوك الأعاجم ، فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم » . فقال المهاجرون : يا رسول الله ، إنا لا نختلف عليك في شيء أبداً فمرنا وابعثنا . فبعث شُجَاع بن وَهْب إلى كسرى ؛ فأمر كسرى بإيوانه أن يزيَّن ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشُجَاع بن وَهْب ، فلما أن دخل عليه أمرَ كسرى بكتاب رسول الله ﷺ أن يقبض منه ، فقال شُجَاع بن وهب : لا ، حتى أدفعه أنا إليك كما أمرني رسول الله ﷺ . فقال كسرى : ادنه . فدنا فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه ، فإذا فيه : « من محمد عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس » . قال : فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه ، وصَاح وغضب ومَزَّق الكِتَاب قبل أن يعلم ما فيه ، وأمر بشُجَاع بن وهب فأُخرج ، فلمَّا رأى ذلك قعد على راحلته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أُبالي على أيّ الطريقين أكون إذ أَدَّيت كتاب رسول الله ﷺ . قال : ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتُمس فلم يوجد ، فطُلِبَ إلى الحيرة فسَبَق ، فلما قدم شُجَاع على النبيِّ ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَزَّق كِسْرى مُلْكَهُ » .

وروى محمد بن إسحاق[٢] ، عن عبد الله بن أبي بكر ، [عن الزُّهريِّ] عن أبي سلمة ، أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ قال : « مزَّق ملكه » .

وقال ابن جرير[٣] : ثنا أحمد بن حُمَيد ، ثنا سلمة ، ثنا ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : وبَعَثَ عبدَ الله بن حُذَافَةَ بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس ، وكتب معه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس ، سَلامٌ على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ؛ لأُنذر من كان حياً ، ويحقَّ القول على الكافرين ، فإن تُسلِمْ تَسلَمْ ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك »[٤] قال : فلما قرأه شقَّه ، وقال : يكتب إليَّ بهذا وهو عبدي ؟! قال : ثم كتب كسرى إلى باذام ، وهو نائبه على اليمن ، أن ابعث إلى هذا الرجل

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٣٨٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٥) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٤) .
(٤) انظر نص الرسالة ومصادرها في « إعلام السائلين عن كتب سيّد المرسلين » لابن طولون ص(٦٦) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

بالحجاز رجلين من عندك جَلدين فليأتياني به . فبعث باذام قهرمانه ، وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : خُرخرة . وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لأباذويه : ائت بلاد هذا الرجل وكلِّمه وأتني بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف ، فسألوه عنه فقال : هو بالمدينة . واستبشر أهل الطائف ـ يعني وقريش بهما ـ وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض : أبشروا ، فقد نصِب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلَّمه أباذويه فقال : شاهنشاه ملك الملوك [كسرى] قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك ، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادك . ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال : « ويلكما ! من أمركما بهذا ؟! » قالا : أمرنا ربُّنا . يعنيان كسرى ، فقال رسول الله ﷺ : « ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي » . ثم قال : « ارجعا حتى تأتياني غداً » . قال : وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء ، بأن الله قد سلَّط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ، في ليلة كذا وكذا ؛ من الليل ؛ سُلِّط عليه ابنه شيرويه فقتله . قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا : هل تدري ما تقول ؟! إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال : « نعم أخبراه ذلك عني ، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخفِّ والحافر ، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » . ثم أعطى خُرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك ، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبيّاً كما يقول ، وليكوننَّ ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فإنه نبيٌّ مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا . فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ، فإني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ؛ لما كان استحلَّ من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قِبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه ، فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه . فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال : إن هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن . قال : وقد قال باذويه لباذام : ما كلَّمت أحداً أهيب عندي منه . فقال له باذام : هل معه شُرَط ؟ قال : لا .

قال الواقديُّ[١] ، رحمه الله : وكان قتل كسرى على يدي ابنه شيرويه ليلة الثلاثاء ، لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى من سنة سبع من الهجرة ، لست ساعات مضت منها .

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢/ ٦٥٦) .

قلت : وفي شعر بعضهم ما يُرشد أن قتله كان في شهرٍ حَرامٍ ، وهو قول بعض الشعراء : [من الرمل]

قَتَلوا كسرى بليلٍ مُحْرِماً فتـولَّـى لـم يُمَتَّـع بكَفَـنْ

وقال بعض شعراء العرب : [من الوافر]

وكِسْرى إذ تقـاسمه بنُـوهُ بأسيافٍ كما اقتُسِمَ اللِّحامُ
تمخضت المنُونُ له بيومٍ أتـى ولكـلِّ حـاملـةٍ تَمَـامُ

وروى الحافظ البيهقي[1] من حديث حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن حُمَيد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، أن رجلاً من أهل فارس أتى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ رَبّي قد قتل الليلة ربَّك » . قال : وقيل له ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ : إنه قد استخلف ابنته . فقال : « لا يُفْلِحُ قومٌ تَمْلِكُهُمُ امْرَأَةٌ » .

قال البيهقيُّ[2] : وروي في حديث دحية بن خليفة ، أنه لما رجع من عند قيصر وجد عند رسول الله ﷺ رسل عامل كسرى ، وذلك أن كسرى بعث يتوعَّد صاحب صنعاء ، ويقول له : ألا تكفيني أمر رجل قد ظهر بأرضك يدعوني إلى دينه ؟ لتكفينَّه أو لأفعلنَّ بك . فبعث إليه ، فقال لرسله : « أخبروه أن ربي قد قتل ربَّه الليلة » . فوجدوه كما قال .

قال[3] : وروى داود بن أبي هند ، عن عامر الشعبيِّ نحو هذا .

ثم روى البيهقيُّ[4] من طريق أبي بكر بن عيَّاش ، عن داود بن أبي هند ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : أقبل سعد إلى رسول الله ﷺ فقال : « إن في وجه سعد خبراً » . فقال : يا رسول الله ، هلك كسرى . فقال : « لعن الله كسرى ، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب » .

قلت : الظّاهر أنه لما أَخبر رسول الله ﷺ بهلاك كسرى لذينك الرجلين ـ يعني الأميرين اللذين قدما من نائب اليمن باذام ـ فلما جاء الخبر بوفق ما أخبر به ، عليه الصلاة والسلام ، وشاع في البلاد ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من سمع ، جاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بوفق إخباره ، عليه السلام ، وهكذا بنحو هذا التقدير . ذكره البيهقي ، رحمه الله .

ثم روى البيهقيُّ[5] من غير وجه ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن كسرى بينما هو في دسكرة ملكه بُعث له ـ أو قيض له ـ عارض يعرض عليه الحقَّ ، فلم يفجأ كسرى إلا

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٠ ـ ٣٩١) .
(٣) يعني في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩١) .

برجل يمشي وفي يده عصا ، فقال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، لا تكسرها . فولَّى الرجل ، فلما ذهب ، أرسل كسرى إلى حجَّابه فقال : من أذن لهذا الرجل عليَّ ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد . فقال : كذبتم . قال : فغضب عليهم وتهدَّدهم ، ثم تركهم . قال : فلما كان رأس الحول ، أتى ذلك الرجل ومعه العصا ، قال : يا كسرى ، هل لك في الإسلام قبل أن أكسر هذه العصا ؟ قال : نعم ، لا تكسرها . فلما انصرف عنه دعا حجَّابه ، فقال لهم كالمرة الأولى ، فلما كان العام المستقبل أتاه ذلك الرجل ، معه العصا ، فقال له : هل لك يا كسرى في الإسلام قبل أن أكسر العصا ؟ فقال : لا تكسرها . فكسرها ، فأهلك الله كسرى عند ذلك .

وقال الإمام الشافعيُّ : أنبأنا ابن عُيينة ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هُريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هَلَكَ كِسرى فلا كِسْرى بعده ، وإذا هَلَكَ قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله » . أخرجه مسلم[١] من حديث ابن عُيينة ، وأخرجاه[٢] من حديث الزُّهريِّ ، به .

قال الشافعيُّ : ولما أُتي كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مَزَّقه ، فقال رسول الله ﷺ : « تَمَزَّقَ مُلْكُهُ » .

وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مَسْكٍ[٣] ، فقال رسول الله ﷺ : « ثَبَتَ مُلْكُهُ » .

قال الشافعيُّ وغيره من العلماء[٤] : ولمَّا كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة ، فأسلم من أسلم منهم ، شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » . قال : فباد مُلك الأكاسرة بالكُلِّية ، وزال مُلْكُ قيصر عن الشام بالكُلِّية ، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عَظَّموا كتابه ، والله أعلم .

قلت : وفي هذا بشارة عظيمة بأن مُلْكَ الروم لا يعود أبداً إلى أرض الشام ، وكانت العرب تُسمِّي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الرُّوم ، وكسرى لمن ملك الفُرس ، والنجاشيُّ لمن ملك الحَبَشة ، والمقوقس لمن ملك الإسكندرية ، وفرعون لمن ملك مصر كافراً ، وبطليموس لمن ملك الهند ، ولهم أعلامُ أجناس غير ذلك ؛ وقد ذكرناها في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٩١٨) (٧٥) .
(٢) يعني البخاري وهو عنده رقم (٣٦١٨) ومسلم وهو عنده رقم (٢٩١٨) (٧٥) .
(٣) المَسْكُ : الجلد . انظر « القاموس المحيط » (مسك) .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٤) .

وروى مسلم[١] ، عن قُتيبة وغيره ، عن أبي عَوَانة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرَة قال : قال رسول الله ﷺ : « لتَفتحنَّ عِصَابَةٌ من المسلمين كُنُوزَ كسرى في القصر الأبيض » .

وروى أسباط ، عن سماك ، عن جابر بن سَمُرَة مثل ذلك[٢] ، وزاد : وكنت أنا وأبي فيهم ، فأصبنا من ذلك ألف درهم .

***

بعثه - ﷺ - [إلى] المُقَوقِس صاحب مدينة الإسكندرية واسمه جُرَيج بن مِيْنَا القِبْطِيُّ

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدَّثني الزُّهريُّ ، عن عبد الرحمن بن عبد القاريِّ ، أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه ، فَقَبَّلَ الكتاب ، وأكرم حاطباً وأحسن نزله ، وسرَّحه إلى النبيِّ ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة ، وبغلة بسرجها ، وجاريتين ؛ إحداهما أمُّ إبراهيم[٣] ، وأمّا الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدي . رواه البيهقي[٤] .

ثم روى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، عن جدِّه حاطب بن أبي بلتعة ، قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية . قال : فجئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلني في منزله وأقمت عنده ، ثم بعث إليَّ وقد جمع بطارقته ، وقال : إنِّي سائلك عن كلام ، فأحبُّ أن تفهم عني . قال : قلت : هَلُمَّ . قال : أخبرني عن صاحبك ، أليس هو نبيّاً ؟ قلت : بلى ، هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا ، لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال : فقلت : عيسى ابن مريم ، أليس تشهد أنَّه رسول الله ؟ قال : بلى . قلت : فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألاَّ يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم ، هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد ، وأرسل معك ببذرقة يبذرقونك إلى مأمنك . قال : فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوار ، منهنَّ أمُّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدويِّ ،

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٩١٩) .
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٨٩) .
(٣) واسمها (مارية القبطية) . انظر ترجمتها ومصادرها في « جامع الأصول » (١٢/ ٢٦٩) بتحقيقي .
(٤) في « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٥) .

وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لحسَّان بن ثابت الأنصاريِّ[١] ، وأرسل إليه بطرف من طرفهم .

وذكر ابن إسحاق[٢] أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ أربع جوارٍ ؛ إحداهنَّ مارية أمُّ إبراهيم ، والأخرى سِيْرين التي وهبها لحَسَّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حَسَّان[٣] .

قلت : وكان في جملة الهديَّة غلام أسود خصي ، اسمه مأبور ، وخُفَّان ساذَجان أسودان ، وبغلة بيضاء اسمها الدُّلدل ، وكان مأبور هذا خصيّاً ، ولم يعلموا بأمره بادئ الأمر ، فصار يدخل على مارية ، كما كان من عاداتهم ببلاد مصر ، فجعل بعض الناس يتكلم فيهما بسبب ذلك ، ولا يعلمون بحقيقة الحال ، وأنَّه خصي ، حتى قال بعضهم : إنَّه الذي أمر رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب بقتله ، فوجده خصيّاً فتركه ، والحديث في « صحيح مسلم »[٤] .

قال ابن إسحاق[٥] : وبعث رسول الله ﷺ سَلِيطَ بن عمرو بن عبد ودٍّ ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى هَوذَة بن عليٍّ صاحب اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرميِّ ، إلى المنذر بن ساوى ، أخي بني عبد القيس ، صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر بن الجلندى وعمَّار[٦] بن الجُلَنْدى الأزديَّين ، صاحبي عُمَان .

***

غَزْوَةُ ذاتِ السّلاسِلِ[٧]

ذكرها الحافظ البيهقي[٨] هاهنا قبل غزوة الفتح ، فساق من طريق موسى بن عقبة وعُروة بن الزّبير ، قالا : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل من مشارف الشام في بَلِيٍّ ، وعبد الله ، ومن يليهم من قُضَاعَة ـ قال عُرْوَةُ بن الزّبير : بنو بَلِيٍّ أخوال العاص بن وائل ـ فلما صار إلى هناك خاف من كثرة

---

(١) وهو المشهور عند المؤرخين وأصحاب السِّير .
(٢) انظر « الذخائر والتحف » لابن الزُّبير ص(٦ ـ ٧) .
(٣) قال ابن الزبير في « الذخائر والتحف » ص(٧) : « وكان لهما شأن عظيم وجمال بارع ، لم يكن بمصر أحسن منهما » .
(٤) رقم (٢٧٧١) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٦٠٧) .
(٦) المعروف في اسمهما (جيفر وعبد) .
(٧) انظر أخبارها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفا » (٢/ ٤٢١) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٤٠) و« السيرة النبوية الصحيحة » (٢/ ٤٧١) . وقال الإمام ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٣٤١) : « وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماءٍ لجذام يقال له : السلسل ، قال : وبذلك سمّيت ذات السلاسل » .
(٨) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٣٩٧) .

عدوّه ، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين ، فانتدب أبو بكر وعمر في جماعة من سَراة المهاجرين ، رضي الله عنهم أجمعين ، وأَمَّر عليهم رسول الله ﷺ أَبا عبيدة بن الجَرَّاح .

قال موسى بن عُقبة : فلما قَدِموا على عمرو قال : أنا أَميركم ، وأنا أَرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم . فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأَبو عبيدة أمير المهاجرين . فقال عمرو : إنَّما أنتم مددٌ أُمددته . فلما رأى ذلك أَبو عُبيدة ـ وكان رجلاً حسن الخلُق ليِّن الشِّيمة ـ قال : تعلَّم يا عمرو أن آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا قَدِمْتَ على صَاحِبكَ فتطاوعا » . وإنك إن عَصيتني لأُطيعَنَّك ، فسلَّم أبو عُبيدة الإمارة لعمرو بن العاص .

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصَين التَّميمي قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أمَّ العاص بن وائل كانت من بني بليٍّ ، فبعثه رسول الله ﷺ [إليهم] يستألفهم بذلك ، حتى إذا كان على ماءٍ بأرض جذام يقال له : السلاسل . وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل . قال : فلمَّا كان عليه وخاف ، بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأوَّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجَّهه : « لا تختلفا » . فخرج أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه قال له عمرو : إنَّما جئت مدداً إليَّ . فقال له أبو عبيدة : لا ، ولكنِّي على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عبيدة رجلاً ليِّناً سهلاً ، هيِّناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : أنت مددي . فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إنَّ رسول الله ﷺ قد قال لي : « لاتختلفا » . وإنك إن عصيتني أطعتك . فقال له عمرو : فإني أميرٌ عليك ، وإنَّما أنت مددٌ لي . قال : فدونك . فصلى عمرو [بن العاص] بالناس .

وقال الواقديُّ[٢] : حدثني ربيعة بن عثمان ، عن يزيد بن رومان ، أنَّ أبا عبيدة لمَّا آب إلى عمرو بن العاص ، فصاروا خمسمئة ، فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بليٍّ ودوَّخها ، وكلَّما انتهى إلى موضع بلغه أنَّه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلمَّا سمعوا بك تفرَّقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليٍّ وعذرة وبلقين ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير ، فاقتتلوا ساعةً ، وتراموا بالنَّبل ، ورمي يومئذٍ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهربوا ، وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرَّقوا ، ودوَّخ عمرو ما هناك ، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم ، فكانوا ينحرون ويذبحون ، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك ، ولم تكن غنائم تقسم .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٣٩٩) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/٤٠١) .

وقال أبو داود[(١)] : ثنا ابن المثنّى ، ثنا وهب بن جرير ، ثنا أبي ، سمعت يحيى بن أيوب يُحَدِّث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عِمْرَان بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عمرو بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السَّلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك . قال : فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « يا عمرو ، صليتَ بأصحابك وأنت جنب ؟ » قال : فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضحك نبي الله ﷺ ولم يقل شيئاً .

ثنا[(٢)] محمد بن سلمة ، [ثنا ابن وهب ،] ثنا ابن لهيعة ، وعمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عِمْرَان بن أبي أنس ، عن عبد الرحمن بن جُبير ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص ، أنَّ عمرو بن العاص كان على سرية . فذكر الحديث بنحوه ، قال : فغسل مغابنه وتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم صلى بهم . فذكر نحوه ، ولم يذكر التيمم .

قال أبو داود : وروى هذه القصة عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، وقال فيه : فتيمَّم .

وقال الواقدي[(٣)] : حدثني أفلح بن سعيد بن عبد الرحمن بن رُقَيش[(٤)] ، عن أبي بكر بن حزم قال : كان عمرو بن العاص حين قفلوا ، احتلم في ليلة باردة كأشد ما يكون من البرد ، فقال لأصحابه : ما ترون ؟ قد والله احتلمت ، فإن اغتسلت مت . فدعا بماءٍ فتوضأ ، وغسل فرجه وتيمَّم ، ثم قام فصلى بهم ، فكان أوَّل من بعث عوف بن مالك بريداً ، قال عوف : فقدمت على رسول الله ﷺ في السحر وهو يصلي في بيته ، فسلمت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : « عوف بن مالك ؟ » فقلت : عوف بن مالك يا رسول الله . قال : « صاحب الجزور ؟ » قلت : نعم . ولم يزد على هذا بعد ذلك شيئاً ، ثم قال : « أخبرني » . [فأخبرته] بما كان من مسيرنا ، وما كان بين أبي عبيدة وعمرو ، ومطاوعة أبى عبيدة ، فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا عبيدة بن الجراح » . قال : ثم أخبرته أن عَمراً صلى بالناس وهو جنب ومعه ماءٌ ، لم يزد على أن غسل فرجه وتوضأ . فسكت رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته ، فأخبره فقال : والذي بعثك بالحق ، إني لو اغتسلت لمت ، لم أجد برداً قط مثله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . قال : فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يبلغنا أنَّه قال له شيئاً .

---

(١) في « سننه » رقم (٣٣٤) ، وهو حديث صحيح .
(٢) القائل أبو داود ، والحديث في « سننه » رقم (٣٣٥) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠١) .
(٤) في (آ) و(ط) : « حدثني أفلح بن سعيد عن ابن عبد الرحمن بن رُقيش » والتصحيح من « دلائل النبوة » و« تقريب التهذيب » لابن حجر العسقلاني .

وقال ابن إسحاق[١] : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن عوف بن مالك الأشجعي قال : كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ، وهي غزوة ذات السلاسل ، فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها[٢] ، وكنت امرأً جازراً ، فقلت لهم : تعطوني منها عَشيراً[٣] على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم . فأخذت الشفرة ، فجزَّأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً فحملته إلى أصحابي ، فاطَّبخناه وأكلناه ، فقال أبو بكر وعمر : أنَّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ فأخبرتهما ، فقالا : لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيَّآن ما في بطونهما منه ، فلمَّا أن قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، فجئته وهو يصلي في بيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال : « أعوف بن مالك ؟ » فقلت : نعم ، بأبي أنت وأمي . فقال : « صاحبُ الجزور ؟ » ولم يزدني على ذلك شيئاً .

هكذا رواه محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن عوف بن مالك ، وهو منقطع ، بل معضل .

قال الحافظ البيهقي[٤] : وقد رواه ابن لهيعة وسعيد بن أبي أيوب ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن ربيعة بن لقيط ، عن مالك بن هِدم ، أظنُّه عن عوف بن مالك ، فذكر نحوه ، إلا أنَّه قال : فعرضته على عمر فسألني عنه ، فأخبرته فقال : قد تعجلت أجرك . ولم يأكله . ثم حكى عن أبي عُبَيْدَة مثله ، ولم يذكر فيه أبا بكر ، وتمامه كنحو ما تقدَّم .

وقال الحافظ البيهقي[٥] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا عليُّ بن عاصم ، ثنا خالد الحَذَّاء ، عن أبي عثمان النَّهْديِّ ، سمعت عمرو بن العاص يقول : بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السَّلاسل ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فحدَّثت نفسي أنَّه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده . قال : فأتيته حتى قعدت بين يديه ، فقلت : يا رسول الله ، من أحبُّ الناس إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : إنِّي لست أسألك عن أهلك . قال : « فأبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « عمر » . قلت : ثم من ؟ حتى عدَّد رهطاً ، قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٦٢٥) .
(٢) أي : يقسموها أعضاءً .
(٣) أي : نصيباً .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٤/ ٤٠٥) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٤/ ٤٠٠) .

وهذا الحديث مخرَّج في « الصحيحين »[١] من طريق خالد بن مِهْرَان الحَذَّاء ، عن أبي عثمان النَّهديِّ ، واسمه عبد الرحمن بن مَلٍّ ، حدثني عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السَّلاسل ، فأتيته فقلت : أيُّ الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » . قلت : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها » . قلت : ثم من ؟ قال : « ثمَّ عمر بن الخطاب » . فعدَّ رجالاً ، وهذا لفظ البخاري .

وفي رواية[٢] : قال عمرو : فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم .

***

سَرِيةُ أَبي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ إلى سيف البحر[٣]

قال الإمام مالك ، عن وهب بن كيسان ، عن جابر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل ، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجرَّاح ، وهم ثلاثمئة . قال جابر : وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأتوا أبا عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجُمع كلُّه ، فكان مزودَي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني ، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة . قال : فقلت : وما تُغني تمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فإذا حوت مثل الظرب . قال : فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة ، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ، ثم مرَّت تحتهما فلم تصبهما . أخرجاه في « الصحيحين »[٤] من حديث مالك ، بنحوه .

وهو في « الصحيحين » أيضاً[٥] من طريق سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمئة راكب ، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد ، حتى أكلنا الخبَط ، فسمى ذلك الجيش جيش الخبَط . قال : ونحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم ثلاثاً ، فنهاه أبو عبيدة . قال : وألقى البحر دابة يقال لها : العنبر . فأكلنا منها نصف شهر وادّهنّا ، حتى ثابت إلينا أجسامنا وصلحت . ثم ذكر قصة الضِّلع . فقوله في الحديث : نرصد عيراً لقريش . دليل على أنَّ هذه السريَّة كانت قبل صلح الحُدَيبية ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٦٢) و(٤٣٥٨) ومسلم رقم (٢٣٨٤) .
(٢) وهي عند البخاري رقم (٤٣٥٨) .
(٣) انظر خبرها في « الاكتفا في مغازي الرسول ﷺ والثلاثة الخلفا » للكلاعي (٢/٤٢٨) .
(٤) رواه البخاري رقم (٢٤٨٣) و(٤٣٦٠) ومسلم رقم (١٩٣٥) (٢١) .
(٥) رواه البخاري رقم (٤٣٦١) و(٥٤٩٤) ومسلم رقم (١٩٣٥) .

والرجل الذي نحر لهم الجزائر هو قَيس بن سَعد بن عُبَادَة ، رضي الله عنهما .

وقال الحافظ البيهقي[١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو بكر بن إسحاق ، ثنا إسماعيل بن قُتيبة ، ثنا يحيى بن يحيى ، ثنا أبو خَيْثَمَة ، وهو زُهير بن معاوية ، عن أبي الزّبير ، عن جابر قال : بعثنا رسول الله ﷺ ، وأَمَّر علينا أبا عُبيدة ، نتلقَّى عيراً لقريش ، وزوَّدنا جِرَاباً[٢] من تمرٍ ، لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة . قال : فقلت : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نمصها كما يمص الصبيُّ ، ثم نشرب عليها الماء ، فتكفينا يومنا إلى الليل ، وكنا نضرب بعِصيِّنا الخبَط ، ثم نبلُّه بالماء فنأكله . قال : فانطلقنا إلى ساحل البحر ، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم ، فأتيناه فإذا به دابَّة تدعى العنبر ، فقال أبو عبيدة : ميتة . ثم قال : لا ، بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم ؛ فكلوا . قال : فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاثمئة حتى سمنَّا ، ولقد كنّا نغرف من وقب عينه بالقلال الدُّهن ، ونقتطع منه الفِدَر كالثَّور ، أو كقَدر الثور ، ولقد أخذ منَّا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في عينه ، وأخذ ضلعاً من أضلاعه ، فأقامها ثم رحل أعظم بعير منها ، فمرَّ تحتها ، وتزوَّدنا من لحمها وشائقَ ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له ، فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا ؟ » قال : فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه . ورواه مسلم ، عن يحيى بن يحيى وأحمد بن يونس ، وأبو داود ، عن النُّفيليِّ ، ثلاثتهم عن أبي خيثمة زهير بن معاوية الجعفي [الكوفي] عن أبي الزُّبير محمد بن مسلم بن تَدْرُس المَكِّي ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، [به] .

قلت : ومقتضى [أكثر] هذه السِّيَاقَات ، أنَّ هذه السريَّة كانت قبل صُلح الحُديبية ، ولكن أوردناها هاهنا تبعاً للحافظ البيهقيِّ ، رحمه الله ، فإنَّه أوردها بعد مُؤْتَةَ وقبل غزوة الفتح ، والله أعلم .

وقد ذكر البخاري[٣] بعد غزوة مؤتة سرية أُسامة بن زيد إلى الحُرَقَاتِ[٤] من جُهينة ، فقال : حدَّثنا عمرو بن محمد ، ثنا هشيم ، أنبأنا حصين بن جندب ، ثنا أبو ظبيان ، قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة ، فصبَّحْنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلمَّا غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكف الأنصاري ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلمّا قدمنا بلغ النبيَّ ﷺ فقال : « يا أسامة ، أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله ؟ » قلت : كان متعوِّذاً . فما زال يكرِّرها ، حتى تمنَّيت أنِّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم . وقد تقدَّم هذا الحديث والكلام عليه فيما سلف .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٤/٤٠٨) .
(٢) الجراب : المزود أو الوعاء . انظر « القاموس المحيط » (جرب) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٦٩) .
(٤) انظر « مراصد الاطلاع » (١/٣٩٣) .

ثم روى البخاري[(١)] من حديث يزيد بن أبي عُبيد ، عن سلمة بن الأكوع قال : غزوتُ مع رسول الله ﷺ سبع غزوات ، وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات ، علينا مرّةً أبو بكر ، ومرّة أُسامة بن زيد ، رضي الله عنهما .

ثم ذكر الحافظ البيهقيُّ[(٢)] هاهنا موت النجاشي ـ صاحب الحبشة ـ على الإسلام ، ونَعيَ رسول الله ﷺ له إلى المسلمين ، وصلاته عليه[(٣)] ، فروى من طريق مالك ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هُريرة ، أنَّ رسول الله ﷺ نَعى إلى الناس النجاشيَّ في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلَّى ، فصفَّ بهم وكبَّر أربع تكبيرات . أخرجاه[(٤)] من حديث مالك ، وأخرجاه أيضاً[(٥)] من حديث اللّيث ، عن عقيل ، عن الزهريِّ ، عن سعيد وأبي سلمة ، عن أبي هريرة بنحوه .

وأخرجاه[(٦)] من حديث ابن جُريج ، عن عطاءٍ ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاتَ اليومَ رَجُلٌ صَالِحٌ » فصلَّوا على أَصْحَمَة .

وقد تقدَّمت هذه الأحاديث أيضاً والكلام عليها ، ولله الحمد .

قلت : والظَّاهر أن موت النجاشيِّ كان قبل الفتح بكثير ؛ فإنَّ في « صحيح مسلم » أنَّه لمَّا كتب إلى ملوك الآفاق ، كتب إلى النَّجاشيِّ ، وليس هو بالمسلم[(٧)] ، وزعم آخرون كالواقدي أنَّه هو ، والله أعلم .

وروى الحافظ البيهقي[(٨)] من طريق مسلم بن خالد الزَّنجيِّ ، عن موسى بن عقبة ، عن أبيه ، عن أم كلثوم قالت : لمَّا تزوج النبيّ ﷺ أُمَّ سَلَمة قال : « قد أَهْدَيْتُ إلى النجاشيِّ أواقي من مِسكٍ وحُلّة ، وإنِّي لا أراه إلا قد مات ، ولا أرى الهدية إلا ستُرَدُّ عليَّ ، فإن ردَّت عليَّ ـ أظنُّه قال ـ قسمتها بينكنَّ » أو « فهي لكِ » . قال : فكان كما قاله رسول الله ﷺ ؛ مات النجاشيُّ وردَّت الهدية ، فلمَّا رُدَّت عليه ، أعطى كلَّ

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٠) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤١٠) .
(٣) انظر « عمدة الأحكام » للمقدسي ص (١١٧) بتحقيقي ، ومراجعة والدي وأستاذي المحدّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار الثقافة العربية بدمشق ، و« إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون ص(٥٧ ـ ٨٠) بتحقيقي .
(٤) رواه البخاري رقم (١٢٤٥) و(١٣٣٣) ومسلم رقم (٩٥١) (٦٢) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٣٢٧) و(١٣٢٨) ومسلم رقم (٩٥١) (٦٣) .
(٦) رواه البخاري رقم (١٣٢٠) و(٣٨٧٧) ومسلم رقم (٩٥٢) (٦٥) .
(٧) قلت : ولكنه أسلم حين وصلته الرسالة وردّ عليها ردّاً حسناً كما هو مبين فيما ساقه ابن طولون من النصوص في « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » ص(٥٥ ـ ٥٦) بتحقيقي ، والذي أرجحه هو أن الذي كتب له هو نفسه الذي صلى عليه ، ﷺ .
(٨) في « دلائل النبوة » (٤/ ٤١٢) .

امرأةٍ من نسائهِ أوقيَّةً من ذلك المِسْكِ ، وأعطى سائره أُمَّ سلمة ، وأعطاها الحُلّة ، والله أعلم .

* * *

غَزْوَةُ الفتح الأعظم(١)

وكانت في رمضان سنة ثمان

وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع ، فقال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الآية[الحديد : ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النصر : ١ ـ ٣] .

وكان سبب الفتح بعد هُدنة الحُديبية ما ذكره محمد بن إسحاق ، حدثني الزُّهريُّ ، عن عُرْوَة بن الزّبير ، عن المسور بن مَخْرَمَة ، ومروان بن الحكم ، أنهما حدَّثاه جميعاً قالا : كان في صُلح الحُديبية أنه من شاء أن يدخُل في عقد محمدٍ وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل ، فتواثبت خُزَاعَة وقالوا : نحن ندخل في عقد محمدٍ وعهده . وتواثبت بنو بكر وقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم . فمكثوا في تلك الهُدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً ، ثم إن بني بكر وثبوا على خُزَاعة ليلاً ، بماءٍ يقال له : الوتير . وهو قريب من مكة ، وقالت قريش : ما يعلم بنا محمدٌ ، وهذا الليل وما يرانا أحد . فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح ، وقاتلوهم معهم ، للضِّغن على رسول الله ﷺ ، وإنَّ عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خُزَاعَة وبني بكر بالوتير ، حتى قدم على رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها :[من الرجز]

لا هُـمَّ إنـي نـاشـدٌ محمـدا ... حِلْـفَ أبيـه وأبينـا الأتلَـدَا

قـد كنتـم وُلـداً وكنـا والـدا ... ثُمَّـت أسلمنـا فلـم ننـزع يـدا

فانصر رَسُولَ الله نصراً أعتدا(٢) ... وادعُ عبـاد الله يـأتـوا مَـدَدَا

فيهـم رسـولُ الله قـد تجـرَّدا ... إن سِيـمَ خسفـاً وجهـهُ تَـربَّـدَا

---

(١) انظر خبرها في « عيون الأثر » (٢/ ٢٢٣) و« زاد المعاد » (٣/ ٣٤٧) و« الفصول في سيرة الرسول » ص (١٩٥) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٧) بتحقيقي و« صحيح السيرة النبوية » (٢/ ٤٧٣) .

(٢) أي : نصراً حاضراً .

في فَيْلَقٍ كالبحر يجري مُزبدا ... إن قريشاً أخلفوك الموعدَا
ونقضوا ميثاقَكَ المؤكَّدا ... وجعلوا لي في كَداءٍ رُصَّدا
وزعموا أن لستُ أدعو أحدا ... فهم أَذَلُّ وأقلُّ عددا
هم بيّتونا بالوتير هُجَّدا ... وقتّلونا رُكَّعاً وسُجَّدا

فقال رسول الله ﷺ : « نصرت يا عمرو بن سالم » . فما برح رسول الله ﷺ حتى مرّت بنا عَنَانَةٌ[1] في السماء ، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذه السَّحَابَة لَتَسْتَهِلُّ بنصر بني كعب » . وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز ، وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يُعَمِّي على قريش خبره ، حتى يبغتهم في بلادهم .

قال ابن إسحاق[2] : وكان السبب الذي هاجهم ، أنَّ رجلاً من بني الحضرميِّ ، اسمه مالك بن عبّاد ، من خلفاء الأسود بن رزن خرج تاجراً ، فلمّا توسط أرض خُزَاعَة ، عدوا عليه ، فقتلوه وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من بني خُزَاعَة فقتلوه ، فعدت خُزَاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدِّئِليِّ ـ وهم منخر بني كنانة وأشرافهم ؛ سلمى وكلثوم وذؤيب ـ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق[3] : وحدثني رجل من الدُّئِل قال : كان بنو الأسود بن رزن يودَون في الجاهلية ديتين ديتين .

قال ابن إسحاق[4] : فبينا بنو بكر وخُزَاعَة على ذلك ، إذ حجز بينهم الإسلام ، فلمّا كان يوم الحُديبية ، ودخل بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خُزَاعَةُ في عقد رسول الله ﷺ ، وكانت الهُدْنة ، اغتنمها بنو الدُّئل من بني بكر ، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأراً بأولئك النفر ، فخرج نوفل بن معاوية الدُّئليُّ في قومه ، وهو يومئذٍ سيدُهم وقائدهم ، وليس كلُّ بني بكر تابعة ، فبيَّت خزاعة وهم على الوتير ـ ماءٍ لهم ـ فأصابوا رجلاً منهم ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلمّا انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : [يا نوفل] إنا قد دخلنا الحرم ! إلهك إلهك . فقال كلمةً عظيمةً : لا إله اليوم ، يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنّكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! ولجأت خزاعة إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة ، وإلى دار مولى لهم يقال له : رافعٌ .

---

(١) أي : سحابة .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٨٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٠) .

وقد قال الأخزر بن لُعْطٍ الدُّئليُّ في ذلك[١] : [من الطويل]

ألا هل أتى قُصوى الأحابيش أنَّنا ... رَدَدْنا بني كعبٍ بأفوقَ ناصلِ
حَبَسْنَاهُمُ في دارةِ العبدِ رافعٍ ... وعندَ بُدَيْلٍ مَحْبِساً غيرِ طَائلِ
بدار الذليل الآخذ الضّيم بعدما ... شفَينا النُّفوس مِنْهمُ بالمناصلِ
حبسناهمُ حتى إذا طالَ يومهم ... نَفَحْنَا لهم مِنْ كُلِّ شعبٍ بوابلِ
نُذَبِّحُهمْ ذبح التيُوس كأنَّنا ... أُسُودٌ تبارى فيهمُ بالقواصلِ
هم ظلَمونا واعتدَوا في مسيرهمْ ... وكانوا لدى الأنصاب أوَّل قاتلِ
كأنَّهم بالجِزْعِ إذ يطرودُنَهم ... قَفَا ثورَ حَفَّانُ النَّعام الجَوَافلِ

قال : فأجابه بُدَيل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له : بُديل بن أُمِّ أَصْرَم ، فقال : [من الطويل]

تعاقد قوم يفخرونَ ولم نَدَعْ ... لهم سيّداً يندوهمُ غير نافلِ
أمِن خيفةِ القوم الأُلى تزدريهمُ ... تجيز الوتير خائفاً غير آيلِ
وفي كلِّ يوم نحن نحبو حباءنا ... لعقلٍ ولا يُحبى لنا في المعاقلِ
ونحن صبحنا بالتَّلاعة داركم ... بأسيافنا يسبقن لوم العواذلِ
ونحن منعنا بين بيض وعتْوَد ... إلى خَيف رضوى من مجرِّ القنابلِ
ويوم الغميم قد تكفَّتَ ساعياً ... عبيس فجعناه بجلد حلاحلِ
أأنْ أجمرت في بيتها أُمُّ بعضكم ... بجعموسها تنزون إن لم نُقاتلِ
كذبتم وبيتِ اللهِ ما إن قتلتمُ ... ولكن تركنا أمركم في بَلابِلِ

قال ابن إسحاق[٢] : فحدثني عبد الله بن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ قال : « كأنكم بأبي سُفيان قد جاءكم يشدُّ في العقد ويزيد في المدة » .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فأخبروه بما أصيب منهم ، ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين ، حتى لقوا أبا سفيان بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ يشدُّ العقد ويزيد في المدة ، وقد رهبوا للذي صنعوا ، فلمّا لقي أبو سفيان بُديلاً قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ ، فقال : سرت في

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٢) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٥) .

خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي . قال : فعمَد أبو سفيان إلى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففتَّه ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً . ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة ، فلمَّا ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عنِّي ؟ فقالت : هو فراش رسول الله ﷺ ، وأنت مشرك نجس ، فلم أحبَّ أن تجلس على فراشه . فقال : يا بنية ، والله لقد أصابك بعدي شرٌّ . ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فكلَّمه ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلَّمه أن يكلِّم له رسول الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب فكلَّمه ، فقال عمر : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟! فوالله لو لم أجد لكم إلا الذَّرَّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب ، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وعندها حسن ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا عليُّ ، إنك أمسُّ القوم بي رحماً ، وأقربهم مني قرابةً ، وقد جئت في حاجةٍ ، فلا أرجعنَّ كما جئت بن خائباً ، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ . فقال : ويحك أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد ، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ فقالت : والله ما بلغ بُنيَّ ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحدٌ على النبيِّ ﷺ . فقال : يا أبا الحسن ، إنِّي أرى الأمور قد اشتدت عليَّ ، فانصحني ؟ قال : والله ما أعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنَّك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك . فقال : أوَترى ذلك مغنياً عنِّي شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنُّ ، ولكن لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيُّها الناس ، إنِّي قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلمَّا قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمر فوجدته أعدى العدوِّ ، ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار عليَّ بأمر صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني عنَّا شيئاً أم لا ؟ قالوا : بماذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت . قالوا : هل أجاز ذلك محمدٌ ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ! ما زادك الرجل على أن لعب بك ، فما يغني عنَّا ما قلت . فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

فائدةٌ ذكرها السُّهيليُّ[١] ، تكلَّم على قول فاطمة في هذا الحديث : وما يُجِيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ . على ما جاء في الحديث : « ويجير على المسلمين أدناهم » . قال : وجه الجمع بينهما ، بأن المراد بالحديث من يجير واحداً أو نفراً يسيراً ، وقول فاطمة فيمن يجير عدوّاً من غزو الإمام إيَّاهم فليس له ذلك . قال : كان سحنون وابن الماجشون يقولان : إن أمان المرأة موقوفٌ على إجازة الإمام ، لقوله ﷺ

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٨٥) .

لأمِّ هانئ : « قد أجرنا من أجرت يا أمَّ هانئ » . قال : ويروى هذا عن عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وقال أبو حنيفة : لا يجوز أمان العبد .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « ويجير عليهم أدناهم » . ما يقتضي دخول العبد والمرأة ، والله أعلم .

وقد روى البيهقي[1] من طريق حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هُريرة قال : قالت بنو كعبٍ : [من الرجز]

لاهُـمَّ إنِّـي نـاشـدٌ محمـداً حلـف أبينـا وأبيــه الأتْلَـدَا

فانصر هداك الله نصراً أعْتدا وادع عبـاد الله يـأتـوا مـددا

وقال موسى بن عقبة في فتح مكة[2] : ثم إن بني نفاثة من بني الدُّئل أغاروا على بني كعب ، وهم في المدَّة التي بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، وكانت بنو كعب في صلح رسول الله ﷺ ، وكانت بنو نفاثة في صلح قريش ، فأعانت بنو بكر بني نفاثة ، وأعانتهم قريش بالسلاح والرَّقيق ، واعتزلتهم بنو مدلج ، ووفوا بالعهد الذي كانوا عاهدوا عليه رسول الله ﷺ ، وفي بني الدُّئل رجلان هما سيداهم ؛ سلم بن الأسود ، وكلثوم بن الأسود ، ويذكرون أن ممَّن أعانهم صفوان بن أمية ، وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو ، فأغارت بنو الدُّئل على بني عمرو ، وعامَّتهم ـ زعموا ـ نساءٌ وصبيانٌ وضعفاءُ الرجال ، فألجؤوهم وقتلوهم حتى أدخلوهم إلى دار بُديل بن ورقاء بمكة ، فخرج ركبٌ من بني كعب حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا له الذي أصابهم ، وما كان من قريش عليهم في ذلك ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ارجعوا فتفرَّقوا في البلدان » . وخرج أبو سفيان من مكَّة إلى رسول الله ﷺ ، وتخوَّف الذي كان ، فقال : يا محمد ، اشدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال رسول الله ﷺ : « ولذلك قدمتَ ؟ هل كان من حدث قِبلكم ؟ » فقال : معاذ الله ، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية ، لا نغيّر ولا نبدل . فخرج من عند رسول الله ﷺ فأتى أبا بكر فقال : جدد العقد ، وزدنا في المدة . فقال أبو بكر : جواري في جوار رسول الله ﷺ ، والله لو وجدت الذَّرَّ تقاتلكم لأعنتها عليكم . ثم خرج فأتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال عمر بن الخطاب : ما كان من حلفنا جديداً فأخلقه الله ، وما كان منه متيناً فقطعه الله ، وما كان منه مقطوعاً فلا وصله الله . فقال له أبو سفيان : جزيت من ذي رحم شرّاً . ثم دخل على عثمان فكلَّمه ، فقال عثمان : جواري في جوار رسول الله ﷺ . ثم اتَّبع أشراف قريش يكلمهم ، فكلُّهم ، يقول : عقدنا في عقد رسول الله ﷺ . فلمَّا يئس ممَّا عندهم ، دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكلمها ، فقالت : إنما أنا امرأة ، وإنَّما ذلك

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٩) .

إلى رسول الله ﷺ . فقال لها : فأمري أحد ابنيك . فقالت : إنَّهما صبيَّان ، وليس مثلهما يجير . قال : فكلِّمي عليّاً .

فقالت : أنت فكلِّمه . فكلَّم عليّاً ، فقال له : يا أبا سفيان ، إنَّه ليس أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يفتات على رسول الله ﷺ بجوار ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأمنعها ، فأجِر بين عشيرتك . قال : صدقت ، وأنا كذلك ، فخرج فصاح : ألا إنِّي قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرني أحدٌ . ثم دخل على النبيِّ ﷺ فقال : يا محمد ، إني قد أجرت بين الناس ، ولا والله ما أظنُّ أن يُخفرني أحدٌ ولا يردَّ جواري . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟! » فخرج أبو سفيان على ذلك ، فزعموا ـ والله أعلم ـ أن رسول الله ﷺ قال حين أدبر أبو سفيان : « اللهمَّ خذ على أسماعهم وأبصارهم ، فلا يرونا إلا بغتةً ، ولا يسمعوا بنا إلا فجأة » . وقدم أبو سفيان مكة ، فقالت له قريش : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله ، لقد أبى عليَّ ، وقد تتبعت أصحابه ، فما رأيت قوماً لملك عليهم أطوع منهم له ، غير أنَّ عليَّ بن أبي طالب قد قال لي : لم تلتمس جوار الناس على محمد ، ولا تجير أنت عليه وعلى قومك ، وأنت سيد قريش وأكبرها وأحقُّها أن لا يُخفر جواره ؟ فقمت بالجوار ، ثم دخلت على محمد ، فذكرت له أنِّي قد أجرت بين الناس ، وقلت : ما أظنُّ أن تُخفرني . فقال : « أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ؟! » فقالوا مجيبين له : رضيت بغير رضا ، وجئتنا بما لا يغني عنَّا ولا عنك شيئاً ، وإنما لعب بك عليٌّ ، لعمر الله ما جوارك بجائز ، وإنَّ إخفارك عليهم لهيِّنٌ . ثم دخل على امرأته فحدَّثها الحديث فقالت : قبحك الله من وافد قوم ، فما جئت بخير . قال : ورأى رسولُ الله ﷺ سحاباً فقال : « إنَّ هذه السحاب لتبِضُّ بنصر بني كعب » . فمكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان ، ثم أخذ في الجَهاز ، وأمر عائشة أن تجهّزه وتخفي ذلك ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته ، فدخل أبو بكر على عائشة ، فوجد عندها حنطة تُنسف وتُنقَّى ، فقال لها : يا بنيَّة ، لماذا تصنعين هذا الطعام ؟ فسكتت ، فقال : أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فصمتت ، فقال : يريد بني الأصفر ؟ ـ وهم الرُّوم ـ فصمتت ، قال : فلعله يريد أهل نجد ؟ فصمتت ، قال : فلعله يريد قريشاً ؟ فصمتت . قال : فدخل رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، أتريد أن تخرج مخرجاً ؟ قال : « نعم » . قال : فلعلك تريد بني الأصفر ؟ قال : « لا » . قال : أتريد أهل نجد ؟ قال : « لا » . قال : فلعلك تريد قريشاً ؟ قال : « نعم » . قال أبو بكر : يا رسول الله ، أليس بينك وبينهم مدَّةٌ ؟ قال : « ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ » قال : وأذَّن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش ، وأطلع الله رسوله ﷺ على الكتاب . وذكر القصة كما سيأتي .

وقال محمد بن إسحاق[١] : حدثني محمد بن جعفرٍ ، عن عُروة ، عن عائشة أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة ، فقال : ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت : نعم فتجهز . قال : وإلى أين ؟ قالت : ما سمَّى لنا شيئاً ، غير أنَّه قد أمرنا بالجهاز .

قال ابن إسحاق[٢] : ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنَّه سائر إلى مكة ، وأمر بالجدِّ والتهيُّؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها » . فتجهز الناس ، فقال حَسَّان يحرّض الناس ، ويذكر مصاب خُزَاعَة[٣] : [من الطويل]

عنـانـي ولـم أشهـد ببطحـاء مكَّـة ... رجـال بنـي كَعْـبٍ تحـزُّ رِقَـابُهَـا
بـأيـدي رجـال لـم يَسُلّوا سيوفهـم ... وقتلـى كثيـر لـم تجـنَّ ثيـابهـا
أَلا لَيْتَ شِعْرِي هل تنالنَّ نُصرتي ... سهيـل بـن عمـرو حـرُّهـا وعقـابهـا
وصفـوان عَـود حزَّ من شُفـر استـه ... فهـذا أوان الحـرب شُـدَّ عصـابهـا
فـلا تـأمننَّـا يـا بـن أمِّ مجـالـد ... إذا احتلبـت صـرفـاً وأعصـل نـابُهـا
ولا تجـزعـوا منهـا فـإن سيـوفنـا ... لهـا وقعـة بـالمـوت يفتـح بـابُهـا

* * *

قصةُ حاطب بن أبي بَلْتَعَة

قال محمد بن إسحاق[٤] : حدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزُّبير وغيره من علمائنا قالوا : لمَّا أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكَّة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ـ زعم محمد بن جعفر أنَّها من مزينة ، وزعم لي غيره أنَّها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ـ وجعل لها جُعلاً على أن تبلِّغه قريشاً ، فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث عليَّ بن أبي طالب ، والزُّبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذِّرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم » . فخرجا حتى أدركاها بالخليقة خليقة بني أبي أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمساه في رحلها فلم يجدا فيه شيئاً ، فقال لها عليٌّ : إنِّي أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا ، ولتخرجِنَّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنَّك .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٧) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٩٦) مع بعض الخلاف .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٨) .

فلمَّا رأت الجدَّ منه قالت : أعرض . فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال : « يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، أما والله إنِّي لمؤمنٌ بالله وبرسوله ، ما غيَّرت ولا بدلت ، ولكنَّني كنت امرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلأضرب عنقه ؛ فإنَّ الرَّجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر ، لعلَّ الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر . فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . وأنزل الله تعالى في حاطب : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى آخر القصة .

هكذا أورد ابن إسحاق هذه القصة مرسلة ، وقد ذكر السهيليُّ[1] أنه كان في كتاب حاطب : إنَّ رسول الله ﷺ قد توجَّه إليكم بجيش كالليل يسير كالسَّيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم ، فإنَّه منجز له ما وعده . قال : وفي « تفسير ابن سَلام »[2] أنَّ حاطباً كتب : إن محمداً قد نفر ؛ فإمَّا إليكم وإمَّا إلى غيركم ، فعليكم الحذر .

وقد قال البخاري[3] : ثنا قُتيبة ، ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، أخبرني الحسن بن محمد ، أنَّه سمع عبيد الله بن أبي رافع ، سمعت علياً يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزُّبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنَّ بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها » . فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا حتى أتينا الرَّوضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي كتاب . فقلنا : لتخرجِنَّ الكتاب أو لنلقينَّ الثياب . قال : فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة . إلى ناسٍ بمكَّة من المشركين ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال : « يا حاطب ، ما هذا ؟ » فقال : يا رسول الله ، لاتعجل عليَّ ، إنِّي كنت امرأً ملصقاً في قريش ـ يقول : كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها ـ وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاً

---

(١) في « الروض الأنف » (٧/٨٦) .

(٢) ومؤلِّفه الإمام يحيى بن سَلاَّم بن أبي ثعلبة التّيمي البَصْري ثم الإفريقي ، وكان مفسّراً ، فقيهاً ، عالماً بالحديث واللغة . أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم . و« تفسيره » الذي أشار إليه المؤلّف مخطوط لم يطبع بعد ، ومنه أجزاء في تونس والقيروان ، مات سنة (٢٠٠)هـ . انظر ترجمته ومصادرها والتعليق عليها في « الأعلام » للزركلي (٨/١٤٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٢٧٤) .

بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : « أما إنَّه قد صدقكم » . فقال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنَّه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » . فأنزل الله السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وأخرجه بقية الجماعة[١] ، إلا ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا حُجَينٌ ويونس قالا : حدثنا ليث بن سعد ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، أنَّ حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكَّة يذكر أنَّ رسول الله ﷺ أراد غزوهم ، فدُلَّ رسول الله ﷺ على المرأة التي معها الكتاب ، فأرسل إليها ، فأخذ كتابها من رأسها ، وقال : « يا حاطب ، أفعلت ؟ » قال : نعم . قال : أما إنّي لم أفعله غشّاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً ، قد علمت أنَّ الله مظهر رسوله ، ومتمٌّ له أمره ، غير أنِّي كنت عريراً[٣] بين ظَهريهم ، وكانت والدتي معهم ، فأردت أن أتخذ هذا عندهم . فقال له عمر : ألا أضرب رأس هذا ؟ فقال : « أتقتل رجلاً من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله قد اطَّلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم » . تفرد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد ، وإسناده على شرط مسلم ، ولله الحمد .

* * *

فصـــل

قال ابن إسحاق[٤] : فحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهريُّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكَديد ، بين عسفان وأمج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مرَّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ـ وقال عروة بن الزُّبير : كان معه اثنا عشر ألفاً .

وكذا قال الزهريُّ وموسى بن عقبة ـ فسبَّعت سُلَيم ، وبعضهم يقول : ألَّفت سليم ـ وألَّفت مزينة ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٤) وأبو داود رقم (٢٦٥٠) والترمذي (٣٣٠٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٥٨٥) .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٥٠) .
(٣) أي دخيلاً غريباً ، ولم أكن من حميمهم .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٣٩٩) .

وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد . وروى البخاريُّ[١] ، عن محمود ، عن عبد الرَّزَّاق ، عن معمر ، عن الزهريِّ نحوه .

وقد روى البيهقي[٢] من حديث عاصم بن علي ، عن الليث بن سعد ، عن عقيل ، عن الزهريِّ ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان . قال : وسمعت سعيد بن المسيَّب يقول مثل ذلك ، لا أدري أخرج في ليال من شعبان فاستقبل رمضان ، أو خرج في رمضان بعدما دخل ؟ غير أن عبيد الله بن عبد الله أخبرني أن ابن عباس قال : صام رسول الله ﷺ حتى بلغ الكدَيد ـ الماء الذي بين قُديد وعسفان ـ أفطر ، فلم يزل يفطر حتى انصرم الشهر . ورواه البخاريُّ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، غير أنَّه لم يذكر التَّرديد بين شعبان ورمضان .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عليُّ بنُ عبدِ الله ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : سافر رسول الله ﷺ في رمضان ، فصام حتى بلغ عُسفان ، ثم دعا بإناءٍ فشرب نهاراً ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة . قال : وكان ابن عباس يقول : صام رسول الله ﷺ في السَّفر وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر .

وقال يونس ، عن إبن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله ﷺ لسفرة الفتح ، واستعمل على المدينة أبا رُهم كلثوم بن الحصين الغفاريَّ ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام وصام الناس معه ، حتى أتى الكَديد ـ ماءً بين عسفان وأمَج ـ فأفطر ، ودخل مكة مفطراً ، فكان الناس يرون أن آخر الأمرين من رسول الله ﷺ الفطر ، وأنَّه نسخ ما كان قبله .

قال البيهقيُّ[٤] : فقوله : خرج لعشر من رمضان . مدرج في الحديث ، وكذلك ذكره عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحاق . ثم روى من طريق يعقوب بن سفيان ، عن حامد بن يحيى ، عن صدقة ، عن ابن إسحاق ، أنَّه قال : خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان سنة ثمان .

ثم روى البيهقيُّ[٥] من حديث أبي إسحاق الفزاريِّ ، عن محمد بن أبي حفصة ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : كان الفتح لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان . قال البيهقيُّ : وهذا الإدراج وهم ، إنما هو من كلام الزهريِّ .

ثم روى من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهريِّ قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ـ فتح

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٦) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٧٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٠) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣) .

مكة ـ فخرج من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثماني سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة ، وافتتح مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان .

وروى البيهقيُّ[1] من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج في رمضان ومعه عشرة آلاف من المسلمين ، فصام حتى بلغ الكَديد ثم أفطر . فقال الزهريُّ : وإنَّما يؤخذ بالأحدث فالأحدث . قال الزهريُّ : فصبَّح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . ثم عزاه إلى « الصَّحيحين » من طريق عبد الرزاق ، والله أعلم .

وروى البيهقيُّ[2] من طريق سعيد بن عبد العزيز التَّنوخيِّ ، عن عطية بن قيس ، عن قزعة بن يحيى ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكَديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس شَرجين ؛ منهم الصَّائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغنا المنزل الذي نلقى العدوَّ فيه ، أمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون .

وقد رواه الإمام أحمد[3] ، عن أبي المغيرة ، عن سعيد بن عبد العزيز ، حدَّثني عطية بنُ قيس ، عمَّن حدَّثه ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : آذننا رسول الله ﷺ بالرَّحيل عام الفتح لليلتين خلتا من رمضان ، فخرجنا صُوَّاماً حتى بلغنا الكَديد ، فأمرنا رسول الله ﷺ بالفطر ، فأصبح الناس منهم الصَّائم ومنهم المفطر ، حتى إذا بلغ أدنى منزل تلقاء العدوِّ ، أمرنا بالفطر ، فأفطرنا أجمعون .

قلت : فعلى ما ذكره الزهريُّ من أن الفتح كان يوم الثالث عشر من رمضان ، وما ذكره أبو سعيد من أنَّهم خرجوا من المدينة في ثاني شهر رمضان ، يقتضي أنَّ مسيرهم كان بين مكة والمدينة في إحدى عشرة ليلة .

ولكن روى البيهقيُّ[4] ، عن أبي الحسين بن الفضل ، عن عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن سفيان ، عن الحسن بن الربيع ، عن ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، ومحمد بنِ علي بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم قالوا : كان فتح مكة في عشر بقيت من شهر رمضان سنة ثمان .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ[5] : ثنا وهيب ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله قال :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤) .
(٣) في « المسند » (٣/ ٨٧) وأصله في « صحيح مسلم » رقم (١١٢٠) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤) .
(٥) في « مسنده » رقم (١٦٦٧) .

خرج رسول الله ﷺ عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم ، والناس معه مشاة وركباناً ، وذلك في شهر رمضان ، فقيل : يا رسول الله ، إنَّ الناس قد اشتدَّ عليهم الصوم ، وإنَّما ينظرون إليك كيف فعلت . فدعا رسول الله ﷺ بقدح فيه ماءٌ فرفعه ، فشرب والناس ينظرون ، فصام بعض الناس وأفطر البعض ، حتى أُخبر النبيُّ ﷺ أنَّ بعضهم صائمٌ ، فقال رسول الله ﷺ : « أولئك العصاة » . وقد رواه مسلم[١] من حديث الثَّقفيِّ والدَّراورديِّ ، عن جعفر بن محمد .

وروى الإمام أحمد[٢] من حديث محمد بن إسحاق ، حدَّثني بُشَير بن يسار ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في رمضان ، فصام وصام المسلمون معه ، حتى إذا كان بالكَديد دعا بماءٍ في قعب وهو على راحلته ، فشرب والناس ينظرون ؛ يُعلمهم أنَّه قد أفطر ، فأفطر المسلمون . تفرَّد به أحمد .

***

فصل

في إسلام العبَّاس بن عبد المطَّلب عمِّ النبيِّ ﷺ وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ابن عمِّ رسول الله ﷺ وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزوميِّ أخي أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين وهجرتهم إلى رسول الله ﷺ فوجدوه في أثناء الطريق وهو ذاهب إلى فتح مكة

قال ابن إسحاق[٣] : وقد كان العبَّاس بن عبد المطَّلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق . قال ابن هشام : لقيه بالجُحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكره ابن شهاب الزهريُّ .

قال ابن إسحاق[٤] : وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وعبد الله بن أبي أُميَّة قد لقيا رسول الله ﷺ أيضاً بنِيقِ العُقَاب فيما بين مكَّة والمدينة[٥] ، والتمسا الدُّخول عليه ، فكلَّمته أُمُّ سلمة

---

(١) في « صحيحه » رقم (١١١٤) .
(٢) في « المسند » (١/ ٢٦١) ، وهو حديث صحيح .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠ـ٤٠١) .
(٥) انظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص (٤١٩) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .

فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابنُ عمِّك ، وابن عمَّتك وصهرك . قال : « لا حاجة لي بهما ؛ أمَّا ابن عَمِّي فهتك عِرْضي[١] ، وأمَّا ابن عَمَّتي فهو الذي قال لي بمكَّة ما قال »[٢] . قال : فلمَّا خرج إليهما الخبر بذلك ومع أبي سفيان بُنيٌّ له ، فقال : والله ليأذننَّ لي أو لآخذنَّ بيد بنيَّ هذا ، ثم لنذهبنَّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلمَّا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ رقَّ لهما ، ثم أذن لهما فدخلا عليه فأسلما ، وأنشد أبو سفيان قوله في إسلامه ، واعتذر إليه ممَّا كان مضى منه : [من الطويل]

لَعَمْـرُكَ إنـي يـومَ أحمـلُ رايـةً ... لِتَغْلِـبَ خيـلُ الـلاَّتِ خيـلَ محمـدِ

لكَـالْمُـدلـج الحَيْـرَان أظلـم لَيْلُـهُ ... فهـذا أَوَانـي حيـن أُهـدى وأَهْتَـدي

هَـدَانـي هـادٍ غيـر نفسـي ونـالنـي ... مـع الله مـن طَـرَّدْتُ كـلَّ مطـرَّدِ

أَصُـدُّ وأنـأى جـاهـداً عـن محمـدٍ ... وأُدعـى وإنْ لـم أنتسـب مـن محمـد

هُـمُ مـا هُـمُ مـن لـم يَقُـلْ بِهـواهُـمُ ... وإن كـان ذَا رأى يُلَـمْ ويفنَّـدِ

أُريـد لأُرضيهـم ولَسْـتُ بـلائـطٍ ... مع القوم ما لم أُهد في كل مقعدِ

فقُـلْ لثقيـف لا أُريـد قِتَـالَهَـا ... وقُـل لثقيـفٍ تلـك غيـريَ أَو عـدي

فما كُنْتُ في الجيش الذي نال عَامراً ... وما كان عن جَرَّا لساني ولا يدي

قبـائـلُ جـاءَت مـن بـلادٍ بعيـدةٍ ... نـزائـعُ جـاءت مِـنْ سهـامٍ وسَـرْدُدِ

قال ابن إسحاق[٣] : فزعموا أنَّه حين أنشد رسول الله ﷺ :

. . . . ونـالنـي ... مـع الله مـن طـرَّدت كـلَّ مُطَـرَّد

ضرب رسول الله ﷺ بيده في صدره وقال : « أنت طَرَّدتني كُلَّ مُطَرَّد ! » .

* * *

فصل

ولمَّا انتهى رسول الله ﷺ إلى مرِّ الظَّهران[٤] ، نزل فيه فأقام ؛ كما روى البخاريُّ عن يحيى بن بكير ،

---

(١) لأنه كان يؤذي رسول الله ـ ﷺ ـ ويهجوه .

(٢) فهو الذي قال له ﷺ : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سُلَّماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك . قاله السُّهيلي في « الروض الأنف » (٧/ ٨٩) بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن الوكيل .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠١) .

(٤) مرّ الظَّهران : موضع على مرحلة من مكة . انظر « مراصد الاطلاع » (٣/ ١٢٥٧) .

عن اللَّيث ، ومسلم[١] عن أبي الطَّاهر ، عن ابن وهب كلاهما ، عن يونس ، عن الزهريِّ ، عن أبي سلمة ، عن جابر قال : كنَّا مع رسول الله ﷺ بمرِّ الظَّهران نجتني الكباثَ[٢] ، وإنَّ رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالأسود منه فإنَّه أطيب » . قالوا : يا رسول الله ، أكنت ترعى الغنم ؟ قال : « نعم ، وهل من نبيٍّ إلا وقد رعاها ؟ » .

وقال البيهقيُّ[٣] : عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بُكير ، عن سِنَان بن إسماعيل ، عن أبي الوليد سعيد بن مينا قال : لمَّا فرغ أهل مُؤْتَةَ ورجعوا ، أمَرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى مَكّة ، فلمَّا انتهى إلى مرِّ الظَّهران نزل بالعقبة ، فأرسل الجُناة يَجْتَنُون الكَبَاث، فقلت لسعيد : وما هو ؟ قال : ثمر الأراك . قال : فانطلق ابن مسعود فيمن يجتني . قال : فجعل أحدهم إذا أصاب حَبَّة طيِّبة قذفها في فيه ، وكانوا ينظرون إلى دقَّة ساقي ابن مسعود وهو يرقى في الشَّجرة فيضحكون ، فقال رسول الله ﷺ : « تَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّة سَاقَيْهِ ؟ فوالذي نفسي بيَدِهِ لهُمَا أَثْقَلُ في الميزان من أُحد » .

وكان ابن مسعود ما اجتنى من شيءٍ ، جاء به وخياره فيه إلى رسول الله ﷺ ، فقال في ذلك[٤] :

هَـذَا جَنَـايَ وخِيَـارُه فيـهْ إذْ كـلُّ جـانٍ يـدهُ إلـى فِيـهْ

وفي « الصَّحيحين »[٥] عن أنس قال : أنفجنا[٦] أرنباً ونحن بمرِّ [الظَّهران] فسعى القوم فلغبوا ، فأدركتها فأخذتها ، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها ، وبعث إلى رسول الله ﷺ بورِكها أو فخذيها فقبله .

وقال ابن إسحاق[٧] : ونزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران ، وقد عُمِّيت الأخبار عن قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا يدرون ما رسول الله ﷺ فاعل ، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به .

وذكر ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُروة[٨] أنَّ رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلاً يقتصُّون

---

(١) في « صحيحه » رقم (٣٤٠٦) ومسلم رقم (٢٠٥٠) .
(٢) انظر فوائده في « زاد المعاد » (٤/ ٣٣٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٩) .
(٤) هذا مثل من أمثال العرب الشهيرة . انظره مع مصادره في « معجم الأمثال العربية » (١/ ٣٦٥) لصديقي وزميلي الأستاذ رياض عبد الحميد مراد ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
(٥) رواه البخاري رقم (٢٥٧٢) و(٥٤٨٩) و(٥٥٣٥) ومسلم رقم (١٩٥٣) .
(٦) أي : أثرنا . انظر « لسان العرب » (نفج) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٠) .
(٨) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٦) .

العيون ، وخُزَاعَة لا تدع أحداً يمضي وراءها ، فلمَّا جاء أبو سفيان وأصحابه أخذتهم خيل المسلمين ، وقام إليه عمر يجأ في عنقه ، حتى أجاره العبَّاس بن عبد المطَّلب ، وكان صاحباً لأبي سفيان .

قال ابن إسحاق[١] : وقال العبَّاس حين نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهران : قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلّي أجد بعض الحطَّابة ، أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً ! قال : يقول بُديل : هذه والله خُزَاعَة حمشتها الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خُزَاعَة أذلُّ وأقلُّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . قال : فعرفت صوته فقلت : يا أبا حنظلة . فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم . قال : مالك ، فدى لك أبي وأُمي ؟ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ، فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنَّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك . قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ـ وقال عُرْوَة : بل ذهبا إلى النبي ﷺ فأسلما ، وجعل يستخبرهما عن أهل مكّة . وقال الزهريُّ وموسى بن عقبة : بل دخلوا مع العباس على رسول الله ﷺ [قال ابن إسحاق :] قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله ﷺ . حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوُّ الله ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . [وزعم عُرْوَة بن الزّبير أن عمر وجأ[٢] في رقبة أبي سفيان ، وأراد قتله فمنعه منه العباس .

وهكذا ذكر موسى بن عقبة ، عن الزُّهريِّ أن عيون رسول الله ﷺ أخذوهم بأزمَّة جِمالهم ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : وفد رسول الله ﷺ . فلقيهم العباس ، فدخل بهم على رسول الله ، فحادثهم عامَّة الليل ، ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فشهدوا ، وأن محمداً رسول الله ، فشهد حكيم وبديل ، وقال أبو سفيان : ما أعلم ذلك . ثم أسلم بعد الصبح ، ثم سألوه أن يؤمِّن قريشاً ، فقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ـ وكانت بأعلى مكة ـ ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ـ وكانت بأسفل مكة ـ ومن أغلق بابه فهو آمن » .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٢) .

(٢) وجأه باليد والسكين : ضربه . انظر « القاموس المحيط » (وجأ) .

قال العباس :] ثم خرج [عمر] يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقتحمتُ عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه . قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته . ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر عمر في شأنه . قال : قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن [لو] كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال : مهلاً يا عباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به » . قال : فذهبت به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد . قال : « ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أمَّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق فأسلم . قال العباس : فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحبُّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً . قال : « [نعم] من دخل دار أبي سفيان فهو آمن [زاد عُرْوَة : « ومن دخل دار حكيم بن حِزَام فهو آمن » .

وهكذا قال موسى بن عقبة عن الزهريِّ] ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : « يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل ؛ حتى تمرَّ به جنود الله فيراها » .

[وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ أن أبا سفيان وبُدَيْلاً ، وحكيم بن حِزَام كانوا وقوفاً مع العباس عند خطم الجبل ، وذكر أن سعداً لما قال لأبي سفيان : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحُرمة . فشكى أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ ، فعزله عن راية الأنصار ، وأعطاها الزبير بن العوَّام ، فدخل بها من أعلى مكة وغرزها بالحَجون ، ودخل خالد من أسفل مكة ، فلقيه بنو بكر وهذيل ، فقتل من بني بكر عشرين ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، وانهزموا فقتلوا بالحزْورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد] .

قال [العباس[١] :] فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٢) .

أحبسه . قال : ومرَّت القبائل على راياتها ، كلما مرَّت قبيلة قال : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : سُلَيم . فيقول : مالي ولسليم . ثم تمرُّ به القبيلة فيقول : يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول : مالي ولمزينة . حتى نفِدت القبائل ، ما تمرُّ به قبيلة إلا سألني عنها ، فإذا أخبرته قال : مالي ولبني فلان . حتى مرَّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحَدق من الحديد ، فقال : سبحان [الله] يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً . قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذاً . قال : قلت : النَّجاء إلى قومك . حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عُتبة ، فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحمِيت الدَّسم الأحمس ، قبِّح من طليعة قوم . فقال أبو سفيان : ويلكم لا تغرَّنَّكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وذكر عُرْوَة بن الزُّبير أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بأبي سفيان قال له : إني لأرى وجوهاً كثيرة لا أعرفها ، لقد كثرت هذه الوجوه عليَّ . فقال له رسول الله ﷺ : « أنت فعلت هذا وقومك ، إن هؤلاء صدَّقوني إذ كذَّبتموني ، ونصروني إذ أخرجتموني » . ثم شكى إليه قول سعد بن عبادة حين مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحُرمة . فقال رسول الله ﷺ : « كذب سعد ، بل هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » .

وذكر عُرْوَة أن أبا سُفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ، ورأى الناس يجنحون للصلاة ، وينتشرون في استعمال الطَّهارة خاف وقال للعباس : ما بالهم ؟ قال : إنهم سمعوا النّداء ، فهم ينتشرون للصلاة . فلما حضرت الصلاةُ ورآهم يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده قال : يا عباس ، ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه ! قال : نعم ، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه .

وذكر موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ[١] ، أنه لما توضَّأ رسول الله ﷺ جعلوا يتكفَّفون ، فقال : يا عَبَّاس ، ما رأيت كالليلة ولا مُلْكَ كِسْرى وقَيْصَرَ .

وقد روى الحافظ البيهقيُّ[٢] ، عن الحاكم وغيره ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجَبّار ، عن

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٤٠) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٢) .

يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر هذه القصة بتمامها كما أوردها زياد البكَّائيُّ ، عن ابن إسحاق منقطعة . فالله أعلم . على أنه قد روى البيهقيُّ[1] من طريق أبي بلال الأشعري ، عن زياد البكَّائيِّ ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس قال : جاء العباس بأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ ، قال : فذكر القصة ، إلا أنه ذكر أنه أسلم من ليلته قبل أن يصبح بين يدي رسول الله ﷺ ، وأنه لما قال له رسول الله ﷺ : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال أبو سفيان : وما تسع داري ؟ فقال : « ومن دخل الكعبة فهو آمن » . قال : وما تسع الكعبة ؟ فقال : « ومن دخل المسجد فهو آمن » . قال : وما يسع المسجد ؟ فقال : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . فقال أبو سفيان : هذه واسعة .

وقال البخاريُّ[2] : ثنا عُبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حِزَام ، وبُديل بن وَرْقَاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظَّهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ! فقال بديل بن ورقاء : نيران بني عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقلُّ من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله ﷺ ، فأسلم أبو سفيان ، فلما سار ، قال للعباس : « احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين » . فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمرُّ مع رسول الله ﷺ ، تمرُّ كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرَّت كتيبة فقال : يا عباس ، من هذه ؟ قال : هذه غفار . قال : ما لي ولغفار . ثم مرَّت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرَّت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرَّت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار ، عليهم سعد بن عبادة معه الراية . فقال سعد بن عبادة : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الكعبة . فقال أبو سفيان : يا عباس ، حبذا يوم الذِّمار . ثم جاءت كتيبة ، وهي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال : « ما قال ؟ » قال : كذا وكذا . فقال : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة » . وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون . قال عروة : وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم ، قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوَّام : ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : نعم . قال : وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يدخل مِن أعلى مكة من كَداء ، ودخل رسول الله ﷺ من كُدى فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان ؛ حبيش بن الأشعر ، وكُرز بن جابر الفهريُّ .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٣١ ـ ٣٢) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٠) .

وقال أبو داود[١] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا يحيى بن آدم ، ثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ عام الفتح جاءه العباس بن عبد المطلب بأبي سفيان بن حرب ، فأسلم بمرِّ الظَّهران ، فقال له العباس : يا رسول الله ، إن أبا سفيان [رجل] يحبُّ هذا الفخر ، فلو جعلت له شيئاً ؟ قال : « نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » .

صِفَةُ دُخُولِهِ ـ ﷺ ـ مَكَّةَ

ثبت في « الصحيحين »[٢] من حديث مالك ، عن الزُّهريِّ ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ دخل مكَّة وعلى رأسه المِغْفَر ، فلما نزعه ، جاءه رجل فقال : إن ابن خَطَل[٣] متعلق بأستار الكعبة . فقال : « اقتلوه » . قال مالك : ولم يكن رسول الله ﷺ ، فيما نرى ، والله أعلم ، محرِماً .

وقال أحمد[٤] : ثنا عَفَّان ، ثنا حمَّاد ، أنا أبو الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل [يوم فتح] مكّة وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاء .

ورواه أهل السنن الأربعة[٥] ، من حديث حماد بن سلمة ، وقال الترمذيُّ : حسن صحيح .

ورواه مسلم[٦] ، عن قتيبة ويحيى بن يحيى ، عن معاوية بن عمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، من غير إحرام[٧] .

وروى مسلم[٨] من حديث أبي أُسامة ، عن مساور الوَرَّاق ، عن جعفر بن عمرو بن حُريث ، عن أبيه

(١) في « سننه » رقم (٣٠٢١) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٨٦) ومسلم رقم (١٣٥٧) وانظر « جامع الأصول » (٨/ ٣٧٣) .

(٣) ابن خَطَل : هو عبد الله بن خَطَل التيمي ، مشرك ، أمر النبي ﷺ ، بقتله يوم فتح مكة فقتل ، وله قصة . انظر ترجمته وقصته في « جامع الأصول » (١٣/ ٤٥٥) بتحقيقي ، وإشراف والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، طبع دار ابن الأثير ببيروت .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٦٣) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رواه أبو داود رقم (٤٠٧٦) والترمذي رقم (١٧٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٩٧٥٧) وابن ماجه رقم (٢٨٢٢) و(٣٥٨٥) .

(٦) في « صحيحه » رقم (١٣٥٨) .

(٧) جاء في «صحيح مسلم»: دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء . قال النووي: فيه جواز لباس الثياب السوداء وفي الرواية الأخرى: «خطب الناس وعليه عمامة سوداء» فيه جواز لباس الأسود في الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه، كما ثبت في الحديث «خير ثيابكم البياض» وأما لباس الخطباء السواد في حال الخطبة، فجائز، ولكن الأفضل البياض، وإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بياناً للجواز .

(٨) في « صحيحه » رقم (١٣٥٩) (٤٥٣) وليس لفظ « الحرقانية » عنده وإنما سبق إلى ذهن المؤلف رحمه الله من=

قال : كأنّي أنظر إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مَكّة وعليه عِمَامَةٌ حَرَقانيّة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه .

وروى مسلم في « صحيحه » ، والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[١] من حديث عَمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر ، أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء .

وروى أهل السنن الأربعة[٢] من حديث يحيى بن آدم ، عن شريك القاضي ، عن عمَّار الدُّهنيِّ ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر قال : كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض .

وقال ابن إسحاق[٣] ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عائشة قالت : كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء تُسمَّى العُقَاب ، وكانت قطعة من مرط مرحَّل .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن معاوية بن قُرَّة قال : سمعت عبد الله بن مُغَفَّل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة « الفتح » يرجِّع . وقال[٥] : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجَّعت كما رجَّع .

[وقال محمد بن إسحاق[٦] : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، أن] رسول الله ﷺ لمَّا انتهى إلى ذي طُوى ، وقف على راحلته معتجراً بشقَّة برد [حِبَرة] حمراء ، وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسُّ واسطة الرَّحل .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٧] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا دَعْلَج بن أحمد ، ثنا أحمد بن عليٍّ الأبَّار ، ثنا عبد الله بن أبي بكر المقدَّميُّ ، ثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وذَقَنه على راحلته متخشعاً .

وقال[٨] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو بكر بن بالويه ، ثنا أحمد بن صاعد ، ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، ثنا جعفر بن عون ، ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن أبي مسعود أن رجلاً كلَّم

= رواية النسائي في « السنن الكبرى » رقم (٩٧٥٩) والله أعلم .

(١) رواه مسلم رقم (١٣٥٨) والترمذي رقم (١٦٧٩) والنسائي رقم (٢٨٦٦) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٥٩٢) والترمذي رقم (١٦٧٩) والنسائي رقم (٢٨٦٦) وابن ماجه رقم (٢٨١٧) ، وهو حديث حسن عند العلماء .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٦٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٢٨١) .

(٥) القائل (معاوية بن قرّة) راوي الحديث . وانظر « فتح الباري » (٨/ ١٤) .

(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٥) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٦٨) وهو عند الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٧) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وفي إسناده عبد الله بن أبي بكر المقدَّمي ، وهو ضعيف .

(٨) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٩) .

رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فأخذته الرِّعدة ، فقال : « هوِّن عليك ، فإنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » . قال : وهكذا رواه محمد بن سليمان بن فارس ، وأحمد بن يحيى بن زهير ، عن إسماعيل بن أبي الحارث ، موصولاً .

ثم رواه[1] عن أبي زكريا المزكِّي ، عن أبي عبد الله محمد بن يعقوب ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن عون ، عن إسماعيل عن قيس ، مرسلاً ، قال : وهو المحفوظ .

وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكَّة ، في مثل هذا الجيش الكثيف العَرَمْرَم ، بخلاف ما اعتمده سُفَهَاء بني إسرائيل ، حين أُمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود ، أي رُكَّعٌ ، يقولون : حِطَّة . فدخلوا يزحفون على أستاههم وهم يقولون : حنطة في شعرة .

وقال البخاريُّ[2] : ثنا الهيثم بن خارجة ، ثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح من كَداءٍ التي بأعلى مَكّة، وتابعه أبو أسامة ووهيب: في كَداء .

ثنا[3] عُبيد بن إسماعيل ، ثنا أبو أُسامة ، عن هشام ، عن أبيه : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كداء ، وهو أصحُّ .

إن أراد أن المرسل أصحُّ من المسند المتقدم انتظم الكلام ، وإلا فكداء بالمدِّ هي المذكورة في الروايتين ، وهي في أعلى مكَّة ، وكُدى مقصوراً في أسفل مكة ، وهذا هو المشهور والأنسب .

وقد تقدَّم أنَّه ، عليه السلام ، بعث خالد بن الوليد من أعلى مكّة ، ودخل هو ، عليه السلام ، من أسفلها من كُدى ، وهو في « صحيح البخاريِّ » ، فالله أعلم .

وقد قال البيهقيُّ[4] : أنبأنا أبو الحسن بن عَبْدَان ، أنبأنا أحمد بن عبيد الصَّفَّارُ ، ثنا عبد الله بن [الصَّقر ، عن][5] إبراهيم بن المنذر الحزاميّ ، ثنا معن ، ثنا عبد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لمَّا دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل ، فتبسَّم إلى أبي بكر وقال : « يا أبا بكر ، كيف قال حَسَّان ؟ » فأنشده أبو بكر ، رضي الله عنه[6] :

---

(١) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٩٠) .
(٣) القائل البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٩١) .
(٤) في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٦) .
(٥) ما بين الحاصرتين مستدرك من « دلائل النبوة » .
(٦) البيتان في « ديوان حسَّان بن ثابت » (١/ ١٧) مع بعض الخلاف في ألفاظهما وهما الحادي عشر والثاني عشر من قصيدة مؤلَّفة من واحد وثلاثين بيتاً .

عدِمت بنيَّتي إن لم تروها تثير النَّقع من كتفي كَداء[١]
ينازعن الأعنَّة مسرَجات يلطِّمهن بالخُمُر النساء

فقال رسول الله ﷺ : « ادخُلُوها مِنْ حَيْثُ قال حَسَّان » .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : حدَّثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه ، عن جدتَّه أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لمَّا وقف رسول الله ﷺ بذي طوى ، قال أبو قُحَافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنيَّة ، اظهري بي على أبي قُبيس . قالت : وقد كُفَّ بصره . قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنيَّة ، ماذا تَرين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً . قال : تلك الخيل . قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السَّواد مقبلاً ومُدْبراً . قال : أي بنيّة ، ذلك الوازع . يعني الذي يأمر الخيل ويتقدَّم إليها . ثم قالت : قد والله انتشر السَّواد .

فقال : قد والله إذاً دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي . فانحطَّت به ، وتلقَّاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته . قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورِق ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها . قالت : فلمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ قال : « هلاَّ تركت الشَّيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ » قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشيَ أنت إليه . قال : فقالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال : « أسلم » . فأسلم . قالت : ودخل به أبو بكر ، وكان رأسه كالثَّغامة بياضاً ، فقال رسول الله ﷺ : « غيِّروا هذا من شعره » . ثم قام أبو بكر ، فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشُد الله والإسلام طوق أختي . فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أي أُخيَّة ، احتسبي طوقك ، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل . يعني الصِّدِّيق ذلك اليوم على التَّعيين ؛ لأن الجيش فيه كثرة ، ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس ، ولعل الذي أخذه تأوَّل أنَّه من حربيٍّ ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٣] : ثنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو العبَّاس الأصمُّ ، ثنا بحر بن نصر ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن جريج ، عن أبي الزُّبير ، عن جابر أن عمر بن الخطاب أخذ بيد أبي قحافة ، فأتى به النبيَّ ﷺ ، فلمَّا وقف به على رسول الله ﷺ قال : « غيِّروه ولا تقرِّبوه سواداً » .

قال [ابن وهب] : وأخبرني عمر بن محمد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله ﷺ هنَّأ أبا بكر بإسلام أبيه .

---

(١) في رواية هذا البيت إقواء .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٠٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٩٦) .

قال ابن إسحاق[١] : فحدَّثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن رسول الله ﷺ حين فرَّق جيشه من ذي طوى ، أمر الزُّبير بن العوَّام أن يدخل في بعض الناس من كُدى ، وكان الزُّبير على المجنَبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كَداء .

قال ابن إسحاق[٢] : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجَّه داخلاً قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة . فسمعها رجل ، قال ابن هشام : يقال : إنه عمر بن الخطاب ، فقال : [يا رسول الله ،] أتسمع ما يقول سعد بن عبادة ؟! ما نأمن أن يكون له في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ : « أدركه فخذ الراية منه ، فكن أنت تدخل بها » .

قلت : وذكر غير محمد بن إسحاق ، أن رسول الله ﷺ لما شكى إليه أبو سفيان قول سعد بن عبادة حين مرَّ به . وقال : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحلُّ الحرمة ـ يعني الكعبة ـ فقال النبيُّ ﷺ : « بل هذا يوم تعظَّم فيه الكعبة » . وأمر بالراية ـ راية الأنصار ـ أن تؤخذ من سعد بن عبادة كالتأديب له ، ويقال : إنها دُفعت إلى ابنه قيس بن سعد . وقال موسى بن عقبة ، عن الزهريِّ : دفعها إلى الزُّبير بن العوام . فالله أعلم .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة يعقوب بن إسحاق بن دينار ، ثنا عبد الله بن السَّريِّ الأنطاكيُّ ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، وحدَّثني موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دفع رسول الله ﷺ الراية يوم فتح مكة إلى سعد بن عبادة ، فجعل يهزُّها ويقول : اليوم يوم الملحمة ، يوم تستحلُّ الحرمة . قال : فشقَّ ذلك على قريش وكبُر في نفوسهم . قال : فعارضت امرأة رسول الله ﷺ في مسيره وأنشأت تقول[٣] : [من الخفيف]

يـا نبـيَّ الهُـدى إليـك لَجَـا حَيْـ	يُ قـريـشٍ ولاتَ حيـنَ لَجَـاءِ
حيـن ضـاقـت عليهـمُ سَعَـةُ الأر	ضِ وعَـادَاهُـمْ إلـهُ السَّمَـاء
[والتقت حلقتا البِطَانِ على القو	مِ ونُـودُوا بـالصَّيلـم الصَّلعـاءِ][٤]
إن سعـداً يـريـد قـاصِمَـة الظَّهْـ	ـرِ بـأهـل الحَجُـونِ والبَطْحَـاءِ
خَـزْرَجـيٌّ لـو يستطيـعُ مـن الغَيْـ	ـظِ رَمَـانَـا بـالنَّسـر والعَـوَّاءِ
فَـانهَيَنْـهُ فـإنّـه الأَسَـدُ الأسْـ	ـودُ واللّيـث والـغٌ فـي الـدِّمَـاءِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٦) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٦) .

(٣) الأبيات الثاني والثالث والرابع والخامس والسابع والثامن في « الروض الأُنف » للسهيلي (٧/٩٩ ـ ١٠٠) ونسبها لضرار بن الخطّاب .

(٤) هذا البيت لم يرد في (آ) و(ط) وأثبته من « الروض الأنف » (٧/١٠٠) .

فلئن أقحم اللواءَ ونادَى يا حُمَاةَ اللّوَاءِ أَهْلَ اللّواءِ
لتكُونَنَّ بالبطَاح قريشٌ بقعة القاع في أكفِّ الإماءِ
إنّه مُصْلَتٌ يُريد لها الرأْ يَ صَمُوتٌ كالحيَّةِ الصَّمَّاءِ

قال : فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورَأْفةٌ بهم ، وأمر بالراية فأخذت من سعد بن عبادة ، ودفعت إلى ابنه قيس بن سعد . قال : فيروى أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أحبَّ أن لا يخيِّبها إذ رغبت إليه واستغاثت به ، وأحبَّ أن لا يغضب سعد ، فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه .

قال ابن إسحاق[١] : وذكر ابن أبي نَجيح في حديثه أن رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط أسفل مكَّة في بعض الناس، وكان خالد على المجنبة اليمنى، وفيها: أسلم، وسليم، وغفار، ومزينة ، وجهينة، وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجرَّاح بالصَّفِّ من المسلمين، ينصبُّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، فضربت له هنالك قُبَّتُهُ .

وروى البخاريُّ[٢] ، من حديث الزُّهريِّ ، عن عليِّ بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أُسامة بن زيد ، أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله ، أين تنزل غداً ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رِباع ؟ » . ثم قال : « لا يرث المؤمن الكافر ولا الكافر المؤمن » .

ثم قال البخاريُّ[٣]: ثنا أبو اليَمَان، ثنا شعيب ، ثنا أبو الزِّناد ، عن عبد الرحمن ، عن أبي سلمى عن أبي هُريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: « منزلنا ـ إن شاء الله، إذا فتح الله ـ الخَيْفُ، حيث تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ » .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يونس ، ثنا إبراهيم ، يعني ابن سعد ، عن الزُّهريِّ ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « منزلنا غداً ، إن شاء الله ، بخَيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر » . ورواه البخاريُّ[٥] من حديث إبراهيم بن سعد ، به نحوه .

وقال ابن إسحاق[٦] : وحدَّثني عبد الله بن أبي نَجيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صَفْوَان بن أُمية ، وعِكْرِمَة بن أبي جهل ، وسُهَيل بن عمرو ، كانوا قد جمعوا ناساً بالخَنْدَمَةِ ليقاتلوا ، وكان حِمَاسُ بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر يُعِدُّ سلاحاً قبل قدوم رسول الله ﷺ ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٧) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٥٨٨) و(٤٢٨٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٤) .
(٤) في « المسند » (٢/٣٥٣) .
(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٥) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٧) .

تُعِدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . فقالت : والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء . قال : والله إني لأرجو أن أُخدمك بعضهم . ثم قال : [من الرجز]

إن يُقْبلوا اليوم فما لي عِلَّهْ ... هَـذَا سِـلاَحٌ كَـامِـلٌ وألَّـهْ

وذو غِرَارَينِ سريعُ السَّلَّهْ

قال : ثم شهد الخَنْدَمَة[1] مع صفوان ، وعِكْرِمَة ، وسهيل ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بني محارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقذ ، وكانا في جيش خالد ، فشذا عنه ، فسلكا غير طريقه ، فقتلا جميعاً ، وكان قبل كرز قتل خنيس . قالا : وقتل من خيل خالد أيضاً سلمة بن الميلاء الجهنيُّ ، وأصيب من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال : [من الرجز]

إنّـك لـو شَهِـدْتِ يـوم الخَنْـدَمَـه ... إذ فـرَّ صَفْـوانُ وفَـرَّ عِكْـرِمَـهْ

وأبـو يـزيـدَ قـائـمٌ كـالمـوتَمـة[2] ... واستقبلتهـم بـالسيـوف المسلمـهْ

يقطعـن كـلَّ سـاعـد وجُمجمـة ... ضـربـاً فـلا يسمـع إلا غمغمـهْ

لهـم نَهيـت خلفنـا وهمهمـة ... لـم تنطقـي فـي اللـوم أدنـى كلِمـهْ

قال ابن هشام[3] : وتُروى هذه الأبيات للرَّعَّاش الهُذليِّ .

قال : وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف : يا بني عبد الرحمن . وشعار الخزرج : يا بني عبد الله . وشعار الأوس : يا بني عبيد الله .

وقال الطبرانيُّ[4] : ثنا عليُّ بن سعيد الرازيُّ ، ثنا أبو حسان الزِّياديُّ ، ثنا شعيب بن صفوان ، عن عطاء بن السائب ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله حرّم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض وصاغه يوم صاغ الشمس والقمر ، وما حِياله من السماء حرام ، وإنه لا يحلُّ لأحد قبلي ، وإنما حلَّ لي ساعة من نهار ، ثم عاد كما كان » . فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل . فقال : « قم يا فلان فأْت خالد بن الوليد ، فقل له فليرفع يديه من القتل » . فأتاه الرجل فقال : إن النبيَّ ﷺ

---

(١) الخندمة : جبل بمكّة . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٨٤) .

(٢) قال الخشني : الموتمة : هي التي قتل زوجها فبقي لها أيتام . « شرح غريب السيرة » (٣/ ٧٨) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٠٩) .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » (١١٠٠٣) وفي « الأوسط » رقم (٣٨٧٨) وفي « سنده » شعيب بن صفوان الثقفي وهو ضعيف عند التفرد ، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط ، ورواية شعيب بن صفوان عنه بعد الاختلاط .

يقول : اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين إنساناً ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له ، فأرسل إلى خالد فقال : « ألم أنهك عن القتل ؟ » فقال : جاءني فلان فأمرني أن أقتل من قدرتُ عليه . فأرسل إليه : « ألم آمرك ؟ » قال : أردتُ أمراً ، وأراد الله أمراً ، فكان أمر الله فوق أمرك ، وما استطعت إلا الذي كان . فسكت عنه النبيُّ ﷺ ، فما ردَّ عليه شيئاً .

قال ابن إسحاق[١] : وقد كان رسول الله ﷺ عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سمَّاهم ، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، وهم عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ؛ كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتدَّ ، فلما دخل رسول الله ﷺ مكَّة وقد أهدر دمه ، فرَّ إلى عثمان ، وكان أخاه من الرَّضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له ، صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : « نعم » . فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حوله : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني قد صمتُّ فيقتله » . فقالوا : يا رسول الله ، هلا أومأت إلينا ؟ فقال : « إن النبيَّ لا يقتُل بالإشارة » .

وفي رواية : « إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين » .

قال ابن هشام[٢] : وقد حَسُنَ إسلامه بعد ذلك ، وولاه عمر بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان .

قلت : ومات وهو ساجد في صلاة الصبح ، أو بعد انقضاء صلاتها في بيته ، كما سيأتي بيانه .

قال ابن إسحاق[٣] : وعبد الله بن خطل ؛ رجل من بني تيم بن غالب ـ قلت : ويقال : إن اسمه عبد العزَّى بن خطل . ويحتمل أنه كان كذلك ، ثم لما أسلم سمِّي عبد الله ـ ولما أسلم بعثه رسول الله ﷺ مصدِّقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له فغضب عليه غضبة فقتله ، ثم ارتدَّ مشركاً[٤] ، وكان له قَينتان ؛ فَرْتَنَى وصاحبتها ، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر دمه ودم قَينتيه ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، اشترك في قتله أبو برزة الأسلميُّ ، وسعيد بن حُريث المخزوميُّ ، وقتلت إحدى قَينتيه ، واستؤمن للأخرى . قال : والحُويرث بن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قصيٍّ ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ بمكَّة ، ولما تحمَّل العباس بفاطمة وأمِّ كلثوم ليذهب بهما إلى المدينة يلحقهما برسول الله ﷺ أول الهجرة ، نخس بهما الحُويرث هذا الجمل الذي هما عليه ، فسقطتا إلى الأرض ، فلما أُهدر دمه قتله عليُّ بن أبي طالب . قال : ومِقْيَس بن صُبابة ؛ لأنه قتل قاتل أخيه خطأً بعدما أخذ الدِّيَة ، ثم ارتدَّ مشركاً ، قتله رجل من قومه يقال له : نُميلة بن عبد الله . قال : وسَارَة

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٩) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٠٩ـ٤١٠) .

(٤) ولتمام الفائدة انظر « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » (٤/٦١) وتعليقي على « عمدة الأحكام » ص (١٥٧) .

مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبي جهل ؛ لأنها كانت تؤذي رسول الله ﷺ وهي بمكَّة .

قلت : وقد تقدم عن بعضهم أنها التي تحمَّلت الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة ، وكأنها عُفي عنها أو هربت ثم أُهدر دمها ، والله أعلم ، فهربت حتى استؤْمن لها من رسول الله ﷺ فأمَّنها ، فعاشت إلى زمن عمر فأَوطَأها رجلٌ فرساً فماتت . وذكر السُّهيليُّ[١] أن فَرْتَنَى أسلمت أيضاً .

قال ابن إسحاق[٢] : وأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أُمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، واستأمنت له من رسول الله ﷺ فَأَمَّنه ، فذهبت في طلبه ، حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم .

وقال البيهقي[٣] : أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمِش الفقيه ، أنبأ أبو بكر محمد بن الحسين القطَّان ، أنبأ أحمد بن يوسف السُّلميُّ ، ثنا أحمد بن المفضَّل ، ثنا أسباط بن نصر الهمدانيُّ ، قال : زعم السُّدِّيُّ ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين ، وقال : « اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة » . وهم عِكْرِمَة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خَطَل ، ومِقْيَسُ بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . فأما عبد الله بن خَطَل فأُدرك وهو متعلِّق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حُريث ، وعمَّار بن ياسر ، فسبق سعيد عمَّاراً ، وكان أشبَّ الرجلين ، فقتله ، وأما مِقْيَسُ فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عِكْرِمَةُ فركب البحر فأصابتهم قاصف ، فقال أهل السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا . فقال عكرمة : والله لئن لم ينج في البحر إلا الإخلاص فإنه لا ينجي في البرِّ غيره ، اللهم إنَّ لك عليَّ عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه ، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنَّه عفوّاً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح فإنه اختبأ عند عثمان بن عَفَّان ، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبيِّ ﷺ فقال : يا رسول الله ، بايع عبد الله . فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ، كلُّ ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله ؟ » فقالوا : ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ، هلا أومأت إلينا بعينك ؟ فقال : « إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن تكون له خائنة الأعين » .

ورواه أبو داود والنَّسائيُّ[٤] من حديث أحمد بن المفضَّل به نحوه .

---

(١) انظر « الرّوض الأنف » (٧/ ١١١) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٠) .

(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٥٩) .

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٦٨٣) والنسائي رقم (٤٠٧٨) ، وهو حديث صحيح .

وقال البيهقيُّ[١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أنبأنا أبو العباس الأصمُّ ، أنبأنا أبو زُرعة الدِّمشقيُّ ، ثنا الحَسَن بن بِشْر الكُوفيُّ ، ثنا الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : أَمَّن رسول الله ﷺ الناس يوم فتح مَكَّة إلا أربعة ؛ عبد العزَّى بن خَطَل ، ومِقْيَسَ بن صُبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، وأُمَّ سَارَة .

فأمَّا عبد العزَّى بن خَطَل فإنه قُتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة . قال : ونذر رجل من الأنصار أن يقتل عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح إذا رآه ، وكان أخا عثمان بن عَفّان من الرَّضاعة ، فأتى به رسولَ الله ﷺ ليشفع له ، فلما بُصر به الأنصاريُّ اشتمل على السَّيف ، ثم أتاه فوجده في حلقة رسول الله ﷺ ، فجعل يتردَّد ويكره أن يقدم عليه ، فبسط النبيُّ ﷺ يده فبايعه ، ثم قال للأنصاريِّ : « قد انتظرتك أن توفي بنذرك » . قال : يا رسول الله ، هِبْتك ، أفلا أَومَضْتَ إليَّ ؟ قال : « إنه ليس للنبيِّ أن يُومِض » .

وأما مِقْيَس بن صُبَابة ، فذكر قصته في قتله رجلاً مسلماً بعد إسلامه ، ثم ارتداده بعد ذلك . قال : وأما أُمُّ سَارَة فكانت مولاة لقريش ، فأتت النبيَّ ﷺ فشكت إليه الحاجة فأعطاها شيئاً ، ثم بعث معها رجلٌ بكتاب إلى أهل مكّة ، فذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة .

وروى محمد بن إسحاق[٢] ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، أن مِقْيَس بن صُبابة قُتل أخوه هشام يوم بني المصطلق ، قتله رجل من المسلمين وهو يظنُّه مشركاً ، فقدم مِقْيَس مظهراً للإسلام ليطلب دِيَة أخيه ، فلما أخذها عدا على قاتل أخيه فقتله ، ورجع إلى مَكَّة مشركاً ، فلما أهدر رسول الله ﷺ دمه قُتِلَ وهو بين الصَّفا والمروة .

وقد ذكر ابن إسحاق والبيهقيُّ[٣] شعره حين قتل قاتل أخيه ، وهو قوله : [من الطويل]

شفى النفس من[٤] قد بات بالقاع مسنداً ... يضـرِّج ثـوبيـه دمـاءُ الأخـادع
وكـانـت هموم النفس من قبـل قتله ... تلـمُّ وتنسينـي وطـاء المضـاجـع
قتلـت بـه فِهـراً وغـرَّمـت عقلـه ... سَـراة بنـي النَّجّـار أربـاب فـارع
حللـت بـه نـذري وأدركـت ثـؤرتـي ... وكنـت إلـى الأوثـان أول راجـع

[قلت :] وقيل : إن القَينتين اللّتين أُهدر دمهما كانتا لمِقْيَس بن صُبابة هذا ، وإنَّ ابن عمه قتله بين الصفا والمروة .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٦٠) .
(٢) وهو عند البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٦١) من طريقه .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٩٣) و« دلائل النبوة » (٥/ ٦١) .
(٤) في « السيرة النبوية » و« دلائل النبوة » : « أن » .

وقال بعضهم : قتل ابن خَطَل الزُّبير بن العَوّام ، رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق[١] : حدَّثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرَّة مولى عقيل بن أبي طالب ، أن أُمَّ هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم .

قال ابن هشام[٢] : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أُمية بن المغيرة .

قال ابن إسحاق[٣] : وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزوميّ ، قالت : فدخل عليَّ أخي عليُّ بن أبي طالب فقال : والله لأقتلنّهما . فأغلقتُ عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مَكّة ، فوجدته يغتسل من جفنة[٤] ، إنَّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشَّح به ، ثم صلى ثمانيَ ركعات من الضحى ، ثم انصرف إليَّ ، فقال : « مرحباً وأهلاً بأُمِّ هانئ ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليٍّ ، فقال : « قد أجرنا من أَجْرتِ وأَمَّنَّا من أَمَّنتِ ، فلا يَقْتُلُهما » .

وقال البخاريُّ[٥] : ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، عن ابن أبي ليلى قال : ما أخبرنا أحد أنه رأى النبيَّ ﷺ يصلِّي الضُّحى غير أمِّ هانئ ، فإنها ذكرت أنه يوم فتح مَكّة اغتسل في بيتها ، ثم صلَّى ثمانيَ ركعات . قالت : ولم أره صلَّى أخفَّ منها ، غير أنه يتمُّ الرّكوع والسجود .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث اللَّيث ، عن يزيد بن أبي حَبيب ، عن سعيد بن أبي هند ، أن أبا مُرَّة مولى عقيل حَدَّثَهُ أن أمَّ هانئ بنت أبي طالب حدَّثته أنه لما كان عام الفتح ، فَرَّ إليها رجلان من بني مخزوم فأجارتْهما ، قالت : فدخل عليَّ عليٌّ فقال : أقتلهما . فلما سمعتُه أتيت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مَكَّة ، فلما رآني رحَّب ، وقال : « ما جاء بكِ ؟ » قلت : يا نبيَّ الله ، كنت أمَّنت رجلين من أحمائي ، فأراد عليٌّ قتلهما . فقال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا من أجرتِ يا أمَّ هانئ » .

ثم قام رسول الله ﷺ إلى غسله فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوباً فالتحف به ، ثم صلى ثمانيَ ركعات سبحة الضُّحى .

وفي رواية[٧] : أنها دخلت عليه وهو يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوب ، فقال : « من هذه ؟ » قالت :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .

(٤) الجفنة : كالقصعة . انظر « مختار الصحاح » (جفن) .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٢) .

(٦) رقم (٣٣٦) (٧١) مختصراً في الحيض : باب تستر المغتسل بثوب ونحوه ، واللفظ الذي ساقه المؤلف فهو للبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٨٠) .

(٧) وهي بنحوها عند البخاري في « صحيحه » رقم (٣٥٧) وعند مسلم رقم (٣٣٦) (٨٢) .

أمُّ هانئ . قال : « مرحباً بأمِّ هانئ » . قالت : يا رسول الله ، زعم ابن أُمّي عليُّ بن أبي طالب أنه قاتلٌ رجلين قد أجرتهما . فقال : « قَدْ أَجَرْنَا من أجرت يا أمَّ هانئ » . قالت : ثم صلى ثماني ركعات ، وذلك ضحى . فظَن كثير من العلماء أن هذه كانت صلاة الضحى . وقال آخرون : بل كانت هذه صلاة الفتح . وجاء التصريح بأنه كان يسلِّم مِنْ كلِّ ركعتين .

وهو يردُّ على السهيليِّ [١] وغيره ممن يزعم أن صلاة الفتح تكون ثمانياً بتسليمة واحدة .

وقد صلى سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن في إيوان كسرى ، ثماني ركعات ، يُسَلّم من كل ركعتين ، ولله الحمد .

قال ابن إسحاق [٢] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صَفية بنت شَيبة أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكّة واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الرُّكن بمحجن في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له فدخلها فوجد فيها حَمَامَةً من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفَّ له الناس في المسجد .

وقال موسى بن عقبة [٣] : ثم سَجَدَ سَجْدَتين ، ثم انصرف إلى زمزم فاطَّلع فيها ودعا بماءٍ فشرب منها وتوضأ ، والناس يبتدرون وضوءه ، والمشركون يتعجَّبون من ذلك ، ويقولون : ما رأينا ملكاً قط ولا سمعنا به ـ يعني مثل هذا ـ وأخَّر المقام إلى مقامه اليوم وكان ملصقاً بالبيت .

قال محمد بن إسحاق [٤] : فحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كلُّ مأثُرة أو دم أو مال يُدَّعى فهو موضوع تحت قدميَّ هاتين ، إلا سِدانة البيت وسقاية الحاجِّ ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسَّوط والعصا ففيه الدية مغلَّظة ؛ مئة من الإبل ؛ أربعون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية كلها [الحجرات : ١٣]. ثم قال : « يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيراً ؛ أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطُّلقاء » . ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه عليُّ بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ،

---

(١) انظر « الروض الأنف » (٧/ ١٠٨) والمقصود بقوله : « وغيره » الطبري كما جاء مبيناً عند السُّهيلي .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١١) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٤٥) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٢) ، وإسناده معضل . قال الحافظ العراقي في تخريجه : رواه ابن الجوزي في « الوفا » من طريق ابن أبي الدنيا ، وفيه ضعف .

فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السّقَاية ، صلَّى الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعي له فقال : « هاكَ مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برٍّ ووفاء » .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا سفيان ، عن ابن جُدْعَان ، عن القاسم بن ربيعة ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ، يوم فتح مَكَّة، وهو على درج الكعبة : « الحمد لله الذي صدَق وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزاب وحدَه، ألا إن قتيل العمد الخطأ بالسَّوط أو العصا فيه مئة من الإبل ». وقال مرة أخرى: « مغلَّظة فيها، أربعون خَلِفة في بطونها أولادها، ألا إن كلَّ مأثُرة كانت في الجاهلية ودم ودعوى ـ وقال مرة: ومال ـ تحت قدميَّ هاتين ، إلا ما كان من سقاية الحاجِّ وسِدَانَة البيت ، فإني أمضيتهما لأهلهما على ما كانت » .

وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه[٢] من حديث علي بن زيد بن جُدْعَان ، عن القاسم بن ربيعة بن جوشن الغطفانيِّ ، عن ابن عمر به .

قال ابن هشام[٣] : وحدَّثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، ورأى إبراهيم ، عليه السلام ، مصوَّراً في يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ؟! ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ »[آل عمران : ٦٧] ثم أمر بتلك الصُّور كلِّها فطمست .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا سليمان ، أنبأ عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كان في الكعبة صور ، فأمر رسول الله ﷺ [عمر بن الخطاب] أن يمحوها ، فبلَّ عمر ثوباً ومحاها به ، فدخلها رسول الله ﷺ وما فيها منها شيء .

وقال البخاريُّ[٥] : ثنا صدقة بن الفضل ، ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمئة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ، ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، جاء الحقُّ وما يبدئ الباطل وما يعيد » .

وقد رواه مسلم[٦] من حديث ابن عُيينة .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١)، إسناده ضعيف بطوله ، ولأوله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو عند أبي داود رقم (٤٥٤٧) فهو به حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٥٤٩) وابن ماجة رقم (٢٦٢٨) ، وإسناده ضعيف .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٣) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٩٦) ، وهو حديث صحيح .

(٥) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٧) .

(٦) رقم (١٧٨١) في الجهاد والسّير : باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

وروى البيهقيُّ[١] ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عليِّ بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح مكة ، وعلى الكعبة ثلاثمئة صنم ، فأخذ قضيبه فجعل يهوي به إلى الصنم ، وهو يهوي ، حتى مرَّ عليها كلِّها .

ثم من طريق سويد ، عن القاسم بن عبد الله ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مَكَّة وجد بها ثلاثمئة وستين صنماً ، فأشار إلى كلِّ صنم بعصاً وقال : « جاء الحقّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فكان لا يشير إلى صَنَمٍ إلا ويَسْقُطُ من غير أن يمسَّه بعصاه .

ثم قال : وهذا وإن كان ضعيفاً ، فالذي قبله يؤكده .

وقال حنبل بن إسحاق[٢] : أنبأنا أبو الربيع ، عن يعقوب القمِّيِّ ، ثنا جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبزى قال : لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة ، جاءت عجوز شمطاء حبشيَّة تخمش وجهها ، وتدعو بالويل ، فقال رسول الله ﷺ : « تلك نائلة ، أيست أن تعبد ببلدكم هذا أبداً » .

وقال ابن هشام[٣] : حدَّثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنَّه قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها ، وحول الكعبة أصنام مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبيُّ ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أَسدٍ الخزاعيُّ : [من الوافر]

وفي الأصنام معتبَرٌ وعلمٌ   لمن يرجو الثَّواب أو العِقَابَا

وفي « صحيح مسلم »[٤] عن شيبان بن فروخ ، عن سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح ، عن أبي هريرة ، في حديث فتح مكة ، قال : وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه ، وطاف بالبيت ، وأتى إلى صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله ﷺ قوس ، وهو آخذ بسِيتها ، فلمَّا أتى على الصنم ، جعل يطعُن في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » . فلمَّا فرغ من طوافه أتى الصفا ، فعلا عليه ، حتى نظر إلى البيت ، فرفع يديه وجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٧٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٦) .
(٤) رقم (١٧٨٠) .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا إسحاق بن منصور، ثنا عبد الصّمد، ثنا أبي ، ثنا أيوب ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا قدم مَكَّة، أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت ، فأُخرج صورة إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، وفي أيديهما من الأزلام، فقال: « قاتلهم الله ، لقد علموا ما استقسما بها قطُّ » . ثم دخل البيت ، فكبَّر في نواحي البيت ، وخرج ولم يصلِّ . تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم .

وقال الإمام أحمد[٢] : ثنا عبد الصمد ، ثنا همام ، ثنا عطاء ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة وفيها ست سوار ، فقام إلى كلِّ سارية ، فدعا ولم يصلِّ فيه . ورواه مسلم ، عن شيبان بن فرُّوخ ، عن همام بن يحيى العوذيِّ ، عن عطاء به .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا هارون بن معروف ، ثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، أنَّ بكيراً حدَّثه عن كريب ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول الله ﷺ حين دخل البيت وجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم ، فقال : « أمَّا هم فقد سمعوا أنَّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا إبراهيم مصوَّراً ، فما باله يستقسم ؟! » .

وقد رواه البخاريُّ والنسائيُّ[٤] من حديث ابن وهب به .

وقال الإمام أحمد[٥]: ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزريُّ، أنَّه سمع مِقسماً يحدِّث عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ البيت فدعا في نواحيه ، ثم خرج فصلَّى ركعتين . تفرَّد به أحمد .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا إسماعيل ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ صلَّى في البيت ركعتين .

قال البخاريُّ[٧] : وقال الليث : ثنا يونس ، أخبرني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، أنَّ رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته ، مردفاً أسامة بن زيد ، [ومعه بلال] ، ومعه عثمان بن طلحة ، من الحجبة ، حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بمفتاح الكعبة ، فدخل ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهاراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناسُ ، فكان عبد الله بن عمر أول

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٨٨) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣١١) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٣٣١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٧٧) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٥١) والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٧٧٢) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٨٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٥٠) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٢٨٩) تعليقاً ورقم (٢٩٨٨) موصولاً .

من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلّى فيه . قال عبد الله : فنسيت أن أسأله كم صلّى من سجدة .

ورواه الإمام أحمد[١] ، عن هشيم ، ثنا غير واحد وابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ البيت ومعه الفضل بن عباس ، وأسامة بن زيد ، وعثمان بن طلحة ، وبلال ، فأمر بلالاً فأجاف عليهم الباب ، فمكث فيه ما شاء الله ، ثم خرج . قال ابن عمر : فكان أوّل من لقيت منهم بلالاً ، فقلت : أين صلّى رسول الله ﷺ ؟ قال : هاهنا بين الأسطوانتين .

قلت : وقد ثبت في « صحيح البخاريِّ » وغيره[٢] ، أنَّه ﷺ صلى في الكعبة تلقاء وُجهة بابِها من وراء ظهره ، فجعل عمودين عن يمينه ، وعموداً عن يساره ، وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ، وكان بينه وبين الحائط الغربيِّ مقدار ثلاثة أذرع .

قال ابن هشام[٣] : وحدَّثني بعض أهل العلم ، أنَّ رسول الله ﷺ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذِّن ، وأبو سفيان بن حرب وعتَّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتَّاب : لقد أكرم الله أَسِيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محقٌّ لاتَّبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلَّمت لأَخبرت عني هذه الحصا . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال : « قد علمت الذي قلتم » . ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتَّاب : نشهد أنَّك رسول الله ، ما اطَّلع على هذا أحد كان معنا فنقول : أخبرك .

وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني والدي ، حدَّثني بعض آل جبير بن مطعم ، أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مكة أمر بلالاً ، فعلا على الكعبة على ظهرها ، فأذَّن عليها بالصلاة ، فقال بعض بني سعيد بن العاص : لقد أكرم الله سعيداً إذ قبضه قبل أن يسمع[٤] هذا الأسود على ظهر الكعبة .

وقال عبد الرزاق[٥] ، عن معمر ، عن أيوب قال : قال ابن أبي مليكة : أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذَّن يوم الفتح فوق الكعبة ، فقال رجل من قريش للحارث بن هشام : ألا ترى إلى هذا العبد أين صعِد ؟! فقال : دعه ، فإن يكن الله يكرهه ، فسيغيِّره .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/٣) ، وهو حديث صحيح ، لكن قوله : ومعه الفضل بن عباس شاذ .
(٢) هو عند البخاري رقم (٥٠٥) وعند أبي داود رقم (٢٠٢٣) وعند النسائي رقم (٧٤٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٣) .
(٤) في « دلائل النبوة » للبيهقي : « قبل أن يرى » .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/٧٩) .

وقال يونس بن بكير وغيره ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلالاً عام الفتح فأذن على الكعبة ليغيظ به المشركين .

وقال محمد بن سعد[١] ، عن محمد بن عبيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي إسحاق ، أنَّ أبا سفيان بن حرب بعد فتح مكة كان جالساً ، فقال في نفسه : لو جمعت لمحمد جمعاً ، فإنَّه ليحدِّث نفسه بذلك ، إذ ضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال : « إذاً يُخْزِيْكَ الله » . قال : فرفع رأسه ، فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسه ، فقال : ما أَيْقَنْتُ أنَّك نبيٌّ حتى السَّاعة .

قال البيهقيُّ : وقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إجازة ، أنبأنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرى ، أنبأنا أحمد بن يوسف السُّلميُّ ، ثنا محمد بن يوسف الفِرْيَابيُّ ، ثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي السَّفر ، عن ابن عباس قال : رأى أبو سفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطؤون عقبه ، فقال بينه وبين نفسه : لو عاودت هذا الرجل القتال . فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال : « إذاً يخزيك الله » . فقال : أتوب إلى الله ، وأستغفر الله مما تفوَّهتُ به . ثم روى البيهقيُّ ، من طريق ابن خزيمة وغيره ، عن أبي حامد بن الشَّرقيِّ ، عن محمد بن يحيى الذُّهليِّ ، ثنا [محمد] بن موسى بن أعين الجزريُّ ، ثنا أبي ، عن إسحاق بن راشد ، عن الزُّهريِّ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمَّا كان ليلة دخل الناس مكة ليلة الفتح ، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا ، فقال أبو سفيان لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله . قال : ثم أصبح أبو سفيان فغدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « قلت لهند : أترين هذا من الله ؟ قالت : نعم ، هذا من الله » . فقال أبو سفيان : أشهد أنَّك عبد الله ورسوله ، والذي يحلف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا إسحاق ، ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، أخبرني حسن بن مسلم ، عن مجاهد ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ، لم تحلَّ لأحد قبلي ، ولا تحلُّ لأحد بعدي ، ولم تحلل لي إلا ساعة من الدَّهر ، لا ينفَّر صيدها ، ولا يعضد شوكها ، ولا يختلى خلاها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد » . فقال العباس بن عبد المطلب : إلا الإذخر يا رسول الله ؛ فإنَّه لا بدَّ منه للقَين والبيوت . فسكت ثم قال : « إلا الإذخر ، فإنَّه حلال » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٠٢) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣١٣) .

وعن ابن جريج ، أخبرني عبد الكريم ـ هو ابن مالك الجزريُّ ـ عن عكرمة[١] ، عن ابن عباس بمثل هذا أو نحو هذا . ورواه أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ . تفرَّد به البخاريُّ من الوجه الأوَّل ، وهو مرسل ، ومن الوجه الثاني أيضاً .

وبهذا الحديث وأمثاله استدلَّ من ذهب إلى أن مَكَّة فتحت عَنْوَة ، وللوقعة التي كانت في الخَنْدَمَة[٢] ، كما تقدَّم ، وقد قتل فيها قريب من عشرين نفساً من المسلمين والمشركين ، وهي ظاهرة في ذلك ، وهو مذهب جمهور العلماء . والمشهور عن الشافعيِّ أنها فتحت صلحاً ؛ لأنها لم تقسم ، ولقوله ﷺ ليلة الفتح : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل الحرم فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن » . وموضع تقرير هذه المسألة في كتاب « الأحكام الكبير » ، إن شاء الله تعالى .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا سعيد بن شرحبيل ، ثنا الليث ، عن المقبريِّ ، عن أبي شريح العدويِّ ، أنَّه قال لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيُّها الأمير ، أحدِّثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعتْه أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلَّم به ؛ إنَّه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إنَّ مكة حرَّمها الله ولم يحرِّمها الناس ، لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، فإنْ أحد ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إنَّ الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم . وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد الغائب » . فقيل لأبي شريح : ماذا قال لك عمرو ؟ قال : قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فارّاً بدم ، ولا فاراً بخربة .

وروى البخاريُّ أيضاً ومسلم[٤] ، عن قتيبة ، عن اللّيث بن سعد به نحوه .

وذكر ابن إسحاق[٥] أن رجلاً يقال له : ابن الأَثْـوَع . قتل رجلاً في الجاهلية من خُزَاعَة يقال له : أحمر بأساً . فلمَّا كان يوم الفتح قتلت خزاعة ابن الأثوع وهو بمكة ، قتله خراش بن أمية ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، لقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم رجلاً لأدينَّه » .

---

(١) يعني (عكرمة البَرْبَريّ) مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، مات سنة (١٠٤) وقيل (١٠٥)هـ . انظر « تقريب التهذيب » ص(٣٩٧) و« شذرات الذهب » (٢/ ٣٢) بتحقيقي .

(٢) الخندمة : جبل بمكَّة . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٤٨٤) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٥) .

(٤) هو عند البخاري رقم (١٨٣٢) وعند مسلم رقم (١٣٥٤) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلميُّ ، عن سعيد بن المسيَّب قال : لمَّا بلغ رسولَ الله ﷺ ما صنع خراش بن أميَّة قال : « إنَّ خراشاً لقتَّال » .

وقال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني سعيد بن أبي سعيد المقبريُّ ، عن أبي شريح الخزاعيِّ العدويِّ قال : لمَّا قدم عمرو بن الزّبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلمَّا كان الغد من يوم الفتح ، عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال : « يا أيُّها الناس ، إن الله قد حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام من حرام الله إلى يوم القيامة ، فلا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً ، ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحلُّ لأحد يكون بعدي ، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة ؛ غضباً على أهلها ، ألا ثُمَّ قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلِّغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إنَّ رسول الله ﷺ قد قاتل فيها . فقولوا : إنَّ الله قد أحلَّها لرسوله ، ولم يحلَّها لكم . يا معشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل فلقد كثر إن نفع ، لقد قتلتم قتيلاً لأدينَّه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النَّظرين ؛ إن شاؤوا فدم قاتله ، وإنْ شاؤوا فعقله » . ثم ودى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيُّها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية . فقال أبو شريح : إني كنتُ شاهداً ، وكنتَ غائباً ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلِّغ شاهدنا غائباً ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام[٣] : وبلغني أنَّ أوَّل قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلتْه بنو كعب ، فوداه رسول الله ﷺ بمئة ناقة .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا يحيى ، عن حسين ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : لمَّا فتحت مكَّة على رسول الله ﷺ قال : « كُفُّوا السّلاح ، إلا خُزاعَة عن بني بكر » . فأذن لهم حتى صلَّى العصر ، ثم قال : « كفُّوا السلاح » . فلقي رجل من خُزَاعَة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال ـ فرأيته وهومسند ظهره إلى الكعبة قال ـ : « إنَّ أعدى الناس على الله من قتل في الحرم ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية » . وذكر تمام الحديث ، وهذا غريب جداً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ١٧٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٧٩) ، وإسناده حسن ، ولبعضه شواهد يصح بها .

وقد روى أهل السُّنَن[١] بعض هذا الحديث ، فأما ما فيه من أنه رخَّص لخُزَاعة أن تأخذ بثأرها من بني بكر إلى العصر من يوم الفتح ، فلم أره إلا في هذا الحديث[٢] ، وكأنه ـ إن صحَّ ـ من باب الاختصاص لهم ممَّا كانوا أصابوا منهم ليلة الوتير . والله أعلم .

وروى الإمام أحمد[٣] ، عن يحيى بن سعيد ، وسفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، ومحمد بن عبيد ، كلُّهم عن زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبيِّ ، عن الحارث بن مالك ابن البرصاء الخزاعيِّ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة : « لا تُغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة » .

ورواه الترمذيُّ[٤] ، عن بُنْدَار ، عن يحيى بن سعيد القطَّان به ، وقال : حسن صحيح .

قلت : فإن كان نهياً ، فلا إشكال ، وإن كان نفياً ، فقال البيهقيُّ[٥] : معناه على كفر أهلها .

وفي « صحيح مسلم »[٦] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن عامر الشعبيِّ ، عن عبد الله بن مطيع ، عن أبيه مطيع بن الأسود العدويِّ قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكَّة : « لا يقتل قرشيٌّ صبراً بعد اليوم إلى يوم القيامة » . والكلام عليه كالأول سواء .

قال ابن هشام[٧] : وبلغني أنَّ رسول الله ﷺ حين افتتح مكَّة ودخلها ، قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرون رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلمَّا فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسول الله ﷺ : « معاذ الله ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم » .

وهذا الذي علَّقه ابن هشام قد أسنده الإمام أحمد بن حنبل في « مسنده »[٨] فقال : ثنا بهز وهاشم ، قالا : حدَّثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، وقال هاشم : حدَّثني ثابت البنانيُّ ، ثنا عبد الله بن رباح ، قال : وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، وذلك في رمضان ، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام . قال : وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا ـ قال هاشم : يكثر أن يدعونا ـ إلى رحله . قال : فقلت :

---

(١) هو عند أبي داود رقم (٣٥٤٦) و(٤٥٦٢) و(٤٥٦٦) والترمذي رقم (١٣٩٠) و(١٥٨٥) والنسائي رقم (٢٥٣٩) و(٣٧٦٦) و(٤٨٦٦) وابن ماجه رقم (٢٦٥٥) .

(٢) قلت : بل ورد ذلك من حديث مجاهد عن ابن عمر ، رواه ابن حبان (٥٩٩٦) بإسناد حسن ، ويصلح أن يكون شاهداً للحديث الذي ذكره المؤلف (بشار) .

(٣) في « المسند » (٣/ ٤١٢) و(٤/ ٣٤٣) .

(٤) رواه الترمذي رقم (١٦١١) في السِّير : باب ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : « إن هذه لا تغزى بعد اليوم » .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٥) .

(٦) رقم (١٧٨٢) .

(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٦) .

(٨) (٢/ ٥٣٨) ، وهو حديث صحيح .

ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ قال : فأمرت بطعام يصنع ، ولقيت أبا هريرة من العشاء . قال : قلت : يا أبا هريرة ، الدَّعوة عندي الليلة . قال : أستبقتني ؟! ـ قال هاشم : قلت : نعم ـ قال : فدعوتهم فهم عندي . قال : فقال أبو هريرة : ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة . قال : أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة . قال : فبعث الزبير على إحدى المجنِّبتين ، وبعث خالداً على المجنِّبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر ، وأخذوا بطن الوادي ، ورسول الله ﷺ في كتيبته . قال : وقد وبَّشت قريش أوباشها . قال : قالوا : نقدِّم هؤلاء ، فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أُصيبوا أعطيناه الذي سئلنا . قال أبو هريرة : فنظر فرآني فقال : « يا أبا هريرة » . فقلت : لبيك رسول الله . فقال : « اهتف لي بالأنصار ، ولا يأتيني إلا أنصاريٌّ » . فهتفت بهم ، فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ . قال : فقال رسول الله ﷺ : « أتَرون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ » ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : « احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا » . قال : فقال أبو هريرة : فانطلقنا ، فما يشاء أحد منا أن يقتل منهم ما شاء ، وما أحد منهم يوجِّه إلينا منهم شيئاً . قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله ، أُبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم قال : فقال رسول الله ﷺ : « من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » . قال : فغلَّق الناس أبوابهم . قال : وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت . قال : وفي يده قوس ؛ آخذ بسِية القوس . قال : فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه . قال : فجعل يطعُن بها في عينه ويقول : « جاء الحقُّ وزهق الباطل » . قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه . قال : والأنصار تحته . قال : يقول بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته . قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي .

قال هاشم : فلما قضى الوحي رفع رأسه ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أقلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ؟ » قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : « فما اسمي إذاً ؟! كلا ، إني عبد الله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والممات مماتكم » . قال : فأقبلوا إليه يبكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضِّنَّ بالله ورسوله . قال : فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرانكم » .

وقد رواه مسلم والنَّسائيُّ[١] من حديث سليمان بن المغيرة ، زاد النَّسائيُّ : وسلام بن مسكين .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨٠) (٨٤) و(٨٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٢٩٨) من حديث سليمان بن المغيرة وسلّام بن مسكين .

ورواه مسلم أيضاً[١] من حديث حَمَّاد بن سلمة ، ثلاثتهم عن ثابت ، عن عبد الله بن رباح الأنصاريِّ نزيل البصرة ، عن أبي هريرة به نحوه .

وقال ابن هشام[٢] : وحدَّثني ـ يعني بعض أهل العلم ـ أن فضالة بن عمير بن الملوَّح ، يعني الليثيَّ ، أراد قتل النبيِّ ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : « أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : « ماذا كنت تحدِّث به نفسك ؟ » قال : لا شيء ، كنت أذكر الله .

قال : فضحك النبيُّ ﷺ ثم قال : « استغفر الله » . ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شي أحبَّ إليَّ منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدَّث إليها فقالت : هلمَّ إلى الحديث . فقال : لا . وانبعث فضالة يقول[٣] : [من الكامل]

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليكِ اللهُ والإسلامُ
أو ما رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسَّر الأصنامُ
لرأيتِ دين الله أضحى بيِّناً ... والشِّرك يغشى وجهه الإظلامُ

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبيَّ الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر ، فأمِّنه يا رسول الله ، صلَّى الله عليك . فقال : « هو آمن » . فقال : يا رسول الله ، فأعطني آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان ، فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، هذا أمان من رسول الله ﷺ وقد جئتك به ، قال : ويلك ! اعزُب عني فلا تكلِّمني . قال : أي صفوان ، فداك أبي وأمي ، أفضل الناس وأبرُّ الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك ، عِزُّه عزُّك وشرفه شرفك وملكه ملكك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك وأكرم . فرجع معه حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنتني . قال : « صدق » . قال : فاجعلني بالخيار فيه شهرين . قال : « أنت بالخيار أربعة أشهر » .

ثم حكى ابن إسحاق[٥] ، عن الزهريِّ أن فاختة بنت الوليد امرأة صفوان ، وأمَّ حكيم بنت الحارث بن

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٨٠) (٨٦) من حديث حَمَّاد بن سلمة .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) .
(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) مع بعض الخلاف في ألفاظها .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٧) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤١٨) وما بين الحاصرتين مستدرك منها .

هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل [أسلمتا] ، وقد ذهبت وراءه إلى اليمن ، فاسترجعتْه فأسلم ، فلما أسلما أقرَّهما رسول الله ﷺ تحتهما بالنكاح الأول .

قال ابن إسحاق(١) : وحدَّثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال : رمى حسَّان ابنَ الزِّبعرى وهو بنَجْرَان ببيت واحد ما زاد عليه : [من الكامل]

لا تَعْدَمَنْ رجلاً أحلَّك بُغْضُه ... نجران في عيش أحذَّ لئيمِ

فلما بلغ ذلك ابن الزِّبعرى(٢) ، خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم ، وقال حين أسلم : [من الخفيف]

يا رسول المَلِيْكِ إنَّ لساني ... راتِقٌ ما فتقتُ إذ أنا بُورُ

إذ أُباري الشيطان في سنن الغَـ ... ـيِّ ومن مال ميله مثبورُ

آمَنَ اللحم والعظام لربِّي ... ثم قلبي الشّهيد أنت النَّذيرُ

إنني عنك زاجرٌ ثَمَّ حيّاً ... من لؤيٍّ وكلُّهم مغرورُ

قال ابن إسحاق(٣) : وقال عبد الله بن الزِّبعرى(٤) أيضاً حين أسلم : [من الكامل]

مَنَعَ الرُّقَادَ بلابلٌ وهمومُ ... والليل معتلجُ الرِّواق بهيمُ

ممّا أتاني أنَّ أحمدَ لامني ... فيه فبتُّ كأنني محمومُ

يا خير مَنْ حملت على أوصالها ... عيرانةٌ سُرُحُ اليدين غَشومُ

إني لمعتذر إليكَ من الذي ... أَسْدَيْتَ إذ أنا في الضَّلالِ أَهيمُ

أيام تأمرني بأغوى خُطَّةٍ ... سهمٌ وتأمرني بها مخزومُ

وأَمُدُّ أسباب الرَّدى ويَقُودني ... أمر الغُواة وأمرهم مشؤومُ

فاليوم آمنَ بالنبيِّ محمدٍ ... قلبي ومخطئ هذه محرومُ

مضت العَدَاوَةُ وانقضت أسبابها ... ودعت أواصر بيننا وحلومُ

فاغفر فدىً لك والِدايَ كلاهما ... زَلَلي فإنك راحمٌ مرحومُ

وعليك من علم المليك عَلامةٌ ... نورٌ أغرُّ وخاتم مختومُ

أعطاكَ بعد محبة برهانَهُ ... شرفاً وبرهانُ الإله عظيمُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٨) .

(٢) الأبيات مع ثلاثة أبيات أخرى في « ديوان عبد الله بن الزبعرى » ص(٣٦) بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤١٩) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص (٤٥ ـ ٤٦) .

ولقد شَهِدْتُ بأن دينكَ صادقٌ ... حقٌّ وأنك في العباد جسيمُ
واللهُ يشهدُ أن أحمدَ مصطفىً ... مستقبلٌ في الصَّالحين كَريمُ
قَرْمٌ علا بنيانُه من هاشم ... فرعٌ تمكَّن في الذُّرى وأُرومُ

قال ابن هشام(١) : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

قلت : كان عبد الله بن الزِّبعرى السَّهْميُّ من أكبر أعداء الإسلام ، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين ، ثم مَنَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام والقيام بنصره والذَّبِّ عنه .

* * *

فصل

قال ابن إسحاق(٢) : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بني سُليم سبعمئة ، ويقول بعضهم : ألف . ومن بني غِفَار أربعمئة ، ومن أسلم أربعمئة ، ومن مُزَيْنَة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصارِ وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد . وقال عُرْوَة والزُّهريُّ وموسى بن عقبة : كان المسلمون يوم الفتح الذين مع رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق(٣) : وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حَسَّان بن ثابت(٤) : [من الوافر]

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِوَاءُ ... إلى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ
ديارٌ من بني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ
وكَانَتْ لا يَزَالُ بها أنيسٌ ... خِلالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وشاءُ
فَدَعْ هَذَا ولكن مَن لِطَيفٍ ... يُؤرقني إذا ذَهَبَ العَشَاءُ
لشَعْثَاءَ التي قد تيَّمته ... فليس لقلبه منها شفاءُ
كأن خبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ ومَاءُ
إذا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يوماً ... فَهُنَّ لطيِّب الرَّاح الفِدَاءُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢١) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢١) .
(٤) الأبيات في « ديوانه » (١/ ١٧ ـ ١٨) مع بعض الخلاف في ألفاظها ، وبعضها في « معجم الشعراء من تاريخ مدينة دمشق » (٢/ ١٥٣) بتحقيقي بالاشتراك مع مجموعة من الأصدقاء الأفاضل ، وإشراف أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحّام ، طبع دار الفكر بدمشق .

نُـولِّيهَـا المـلامـة إنْ ألمنـا ... إذَا مَـا كَـانَ مَغْـثٌ أو لِحَـاءُ
ونَشْـرَبُهَـا فَتَتْـرُكُنَـا ملـوكـاً ... وأُسـداً مَـا يُنَهْنِهُنَـا اللقَـاءُ
عَـدِمْنَـا خَيْلَنَـا إنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا ... تُثِيـرُ النَّقْـعَ مـوعـدهَـا كَـدَاءُ
يُنَـازعـن الأعنَّـة مصغيـاتٍ ... علـى أكتـافهـا الأَسَـلُ الظِّمَـاءُ
تَظَـلُّ جيـادُنَـا مُتَمَطِّـرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُـنَّ بـالخُمُـرِ النِّسَـاءُ
فَـإِمَّـا تُعـرضـوا عنَّـا اعتمـرنـا ... وكـان الفَتْـحُ وانكشـف الغِطَـاءُ
وإلا فَـاصْبِـروا لجِـلادِ يـوم ... يعـزُّ الله فيـه مـن يشـاءُ
وجبـريـل رسـولُ الله فِيْنَـا ... ورُوح القُـدْسِ ليـس لَـهُ كِفَـاءُ
وقـال اللهُ قـد أرسلـتُ عبـداً ... يقـول الحَـقَّ إن نفـع البـلاءُ
شَهِـدْتُ بـه فقـومـوا صـدِّقـوه ... فقُلْتُـم لا نَقُـوم ولا نَشَـاءُ
وقـال الله قـد سيَّـرت جُنْـداً ... هُـمُ الأَنْصَـارُ عُـرضتهـا اللقَـاءُ
لنـا فـي كـل يـوم مـن معـدّ ... سِبـاب أو قِتَـالٌ أو هِجَـاءُ
فنُحكـم بـالقَـوافـي مـن هَجَـانَـا ... ونضـربُ حيـنَ تختلـطُ الـدِّمـاءُ
ألا أَبْلِـغْ أبـا سُفْيَـانَ عنِّـي ... مغلغلـة فقـد بـرح الخَفَـاءُ
بـأنَّ سيُـوفنـا تـركتـك عبـداً ... وعبـد الـدَّار سَـادَتُهَـا الإمـاءُ
هجـوتَ محمـداً فـأجبـت عنـه ... وعنـد الله فـي ذاك الجَـزَاءُ
أتهجـوه وَلَسْـتَ لَـهُ بكُـفءٍ ... فشـرُّكمـا لخيـركُمـا الفِـدَاءُ
هجـوتَ مبـاركـاً بـراً حَنِيْفـاً ... أميـنَ الله شِيْمَتُـهُ الـوفـاءُ
أمـن يهجـو رَسُـولَ الله مِنْكُـم ... ويَمْـدَحُـهُ ويَنْصُـرُهُ سَـوَاءُ
فـإنَّ أبـي ووالـده وعِـرْضـي ... لِعْـرضِ مُحمـدٍ مِنْكُـمْ وِقَـاءُ
لِسَـانـي صَـارِمٌ لا عَيْـبَ فيـهِ ... وبَحْـري لا تُكَـدِّرهُ الـدِّلاءُ

قال ابن هشام[١] : قالها حَسَّان قبل الفتح .

قلت : والذي قاله متوجِّه ؛ لما في أثناء هذه القصيدة مما يدلُّ على ذلك ، وأبو سُفْيَان المذكور في البيت هو أبو سُفيان بن الحَارث بن عبد المطلب .

قال ابن هشام[٢] : وبلغني عن الزُّهري أنه قال : لما رأى رسول الله ﷺ النساء يلطِّمن الخيل بالخمُر ، تبسَّم إلى أبي بكر ، رضي الله عنه .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .

قال ابن إسحاق[١] : وقال أنس بن زُنَيم الدُّئليُّ ، يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخُزَاعيُّ ـ يعني لما جاء يستنصر عليهم ، كما تقدَّم ـ[٢] : [من الطويل]

أأنتَ الذي تُهدَى معدٌّ بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشْهَدِ
وما حَمَلَتْ من ناقة فوق رَحْلها ... أبرَّ وأوفى ذمَّة من محمدِ
أحثَّ على خير وأسبغ نائلاً ... إذا راح كالسيف الصَّقيل المُهَنَّدِ
وأَكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السَّابق المتجرِّدِ
تعلَّمْ رسولَ الله أنك مُدركي ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليدِ
تعلَّمْ رسول الله أنك قادرٌ ... على كلِّ صرم متهِمين ومنجدِ
تعلَّم بأنَّ الرَّكب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفو كلِّ موعدِ
ونبَّوا رسول الله أني هجوته ... فلا حملت سوطي إليَّ إذاً يدي
سوى أنني قد قُلت ويل امِّ فِتْيَةٍ ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعدِ
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزَّت عبرتي وتبلُّدي
وإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً ... بعبد بن عبد الله وابنة مهودِ
ذؤيب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فإن لا تدمع العين أكمدِ
وسَلْمَى وسَلْمى ليس حيٌّ كمثله ... وإخوتهِ وهل مُلوك كأَعبدِ
فإنِّيَ لا ديناً فتقت ولا دماً ... هرقت تبيَّنْ عالم الحقِّ واقصدِ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح[٤] : [من الوافر]

نفَى أهلَ الحَبَلَّقِ[٥] كلَّ فجٍّ ... مزينةُ غدوة وبنو خفافِ
ضَربناهم بمكَّة يوم فتح النْـ ... ـبِيِّ الخيرِ بالبيضِ الخِفَافِ
صَبَحْنَاهم بسبع من سُلَيم ... وألفٍ من بني عثمان وافِ
نَطَا أَكْتَافَهُمْ ضرباً وطعناً ... ورشقاً بالمُرَيَّشةِ اللِّطافِ
ترى بين الصُّفوف لها حفيفاً ... كما انْصَاعَ الفُواق من الرِّصافِ
فرحنا والجياد تجول فيهم ... بأرماح مقوَّمة الثِّقافِ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥) .
(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٥) .
(٤) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٩٥) .
(٥) قال الخشني : الحبلق : الغنم الصغار . انظر « شرح غريب السيرة النبوية » (٣/ ٨٧) .

فـأُبنـا غـانميـن بمـا اشتهينـا ... وآبـوا نـادميـن علـى الخـلافِ
وأعطينـــا رســـولَ الله مِنَّـــا ... مـواثقنـا علـى حُسـنِ التَّصـافـي
وقَـدْ سَمِعُـوا مَقَـالَتَنَـا فهمُّـوا ... غَـدَاةَ الـرَّوع مِنَّـا بـانْصِـرَافِ

وقال ابن هشام[١] : وقال عباس بن مِرْدَاس السُّلميُّ في فتح مكة[٢] : [من الكامل]

منَّـا بمكّـة يـوم فتـح محمـدٍ ... ألـفٌ تسيـل بـه البِطَـاح مُسَـوَّمُ
نَصـروا الـرَّسُـولَ وشَـاهَـدوا آيـاتـهِ ... وشِعَـارُهُـمْ يَـومَ اللِّقـاءِ مُقَـدَّمُ
فـي منـزل ثبتـت بـه أَقْـدَامُهُـمْ ... ضَنْـكٍ كـأنَّ الهـامَ فيـه الحَنْتَـمُ
جـرَّت سَنَـابِكَهَـا بنجـدٍ قَبْلَهَـا ... حتـى استقـامَ لهـا الحِجَـازُ الأَدْهَـمُ
الله مَكَّنَـــهُ لَـــهُ وأذلَّـــه ... حُكْـم السيـوفِ لنـا وجـدٌّ مِـزْحَـمُ
عُـود الـرِّيـاسـة شـامـخ عِـرْنِيْنُـهُ ... متطلِّـعٌ ثُغَـرَ المَكَـارِمِ خِضْـرِمُ

وذكر ابن هشام[٣] في سبب إسلام عباس بن مِرْدَاس ، أن أباه كان يعبد صنماً من حجارة يقال له : ضِمَار . فلما حضرته الوفاة أوصاه به ، فبينما هو يوماً يخدمه إذ سمع صوتاً من جوفه وهو يقول : [من الكامل]

قُـل للقبـائـل مـن سُلَيـم كلِّهـا ... أودى ضِمَـارُ وعَـاشَ أَهْلُ المَسْجِدِ
إنَّ الـــذي ورث النّبـوّةَ والهُـدى ... بعدَ ابن مَرْيَمَ مِنْ قُرَيشٍ مُهتدي
أودى ضِمَـارُ وكـان يُعْبَـدُ مَـرَّةً ... قبـل الكِتَـابِ إلـى النَّبـيِّ محمـدِ

قال : فحرَّق عباس ضِمَاراً ، ثم لحق برسول الله ﷺ فأسلم .

وقد تقدَّمت هذه القصة بكمالها في باب هواتف الجانِّ ، مع أمثالها وأشكالها ، ولله الحمد والمِنَّة .

* * *

بعثه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جَذِيْمَة من كِنَانَة

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني حكيم بن حكيم بن عَبَّاد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٦) .
(٢) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٨) .

قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكّة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب ؛ سُلَيم بن منصور ومُدْلج بن مُرَّة ، فوطئوا بني جَذيمة بن عامر بن عبد مَنَاة بن كِنَانة ، فلمَّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جَذيمة قال : لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح ، قال رجل منا ـ يقال له : جحدم ـ : ويلكم يا بني جَذيمة ، إنه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم سلاحهم لقول خالد .

قال ابن إسحاق[٢] : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : فلمَّا وضعوا السِّلاح أمر بهم خالد [عند ذلك] ، فَكُتِّفوا ، ثم عرضهم على السَّيف ، فقتل من قتل منهم ، فلمَّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السَّمَاء ثم قال : « اللهمَّ إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد »[٣] .

قال ابن هشام : حدَّثني بعض أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : « هَلْ أَنكَرَ عليه أحد ؟ » فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة ، فنهمه خالد[٤] ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعه فاشتدَّت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أمَّا الأول يا رسول الله ، فابني عبد الله ، وأمَّا الآخر فسالم مولى أبي حُذيفة .

قال ابن إسحاق[٥] : فحدَّثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر قال : ثم دعا رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب فقال : « يا عليُّ ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » . فخرج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى إنه لَيَدِي مِيلغة الكلب[٦] ، حتى إذا لم يبق شيء من دمٍ ولا مالٍ إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم عليٌّ حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٩) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٠) .

(٣) ورواه بنحوه البخاري رقم (٤٣٣٩) في « المغازي » : باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٣٧) في آداب القضاء : باب الردّ على الحاكم إذا قضى بغير الحق ، وأحمد في « المسند » (٢/ ١٥١) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وسيشير المؤلف إليه بعد قليل .

(٤) أي : فزجره . انظر « القاموس المحيط » (نهم) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٢٩) .

(٦) وهي عبارة عن إناءٍ من خشب يشرب منه كلب الحراسة عند أصحاب الأغنام . وانظر « شرح غريب السيرة » للخشني (٣/ ٩٠) .

أُعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا نعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال : « أَصبتَ وأَحْسَنْتَ » . ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القِبْلَةَ قائماً شاهراً يديه ، حتى إنه ليُرى ما تحت منكبيه يقول : « اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق[١] : وقد قال بعض من يعْذِرُ خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذَافَة السَّهميُّ ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام[٢] : قال أبو عمرو المدينيُّ : لمَّا أتاهم خالد بن الوليد قالوا : صبأنا[٣] صبأنا ، وهذه مرسلات ومنقطعات .

وقد قال الإمام أحمد : حدَّثنا عبد الرَّزَّاق ، ثنا مَعْمَر ، عن الزُّهريِّ ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني ـ أحسبه قال : ـ جَذيمة . فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يُحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ؛ فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا . وجعل خالد بهم أسراً وقتلاً[٤] . قال : ودفع إلى كلِّ رجل منا أسيراً ، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كلُّ رجل منَّا أسيره . قال ابن عمر : فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره . قال : فقدموا على النبيِّ ﷺ فذكروا له صنيع خالد ، فقال النبيُّ ﷺ ورفع يديه : « اللهم إني أبرأ إليك ممَّا صنع خالد » مرتين[٥] .

ورواه البخاريُّ والنسائيُّ[٦] من حديث عبد الرزاق به نحوه .

قال ابن إسحاق[٧] : وقد قال لهم جَحْدَم لمَّا رأى ما يَصنع بهم خالد : يا بني جَذيمة ، ضاع الضَّرب ، قد كنت حذَّرتكم ما وقعتم فيه .

قال ابن إسحاق[٨] : وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ـ فيما بلغني ـ كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ؟ فقال : إنما ثأَرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٠) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٣) قال ابن الأثير في « جامع الأصول » (٨/ ٤١٥) : « صبأ : إذا خرج من دين إلى دينٍ غيره » .
(٤) أسراً وقتلاً ، بالنصب ، على أنه مفعول مطلق ، أي جعل يأسرهم أسراً ويقتلهم قتلاً .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١) .
(٦) رواه البخاري رقم (٤٣٣٩) والنسائي في « المجتبى » (٨/ ٢٣٧) وانظر التعليق المتقدم ص(٨٣٦) .
(٧) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .
(٨) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .

كذبتَ ، قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك ثأرتَ بعمِّك الفاكه بن المغيرة . حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ، ما أدركتَ غَدوة رجل من أصحابي ولا رَوحتَه » .

ثم ذكر ابن إسحاق[١] قصة الفَاكِه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، عمِّ خالد بن الوليد ، في خروجه هو وعوف بن عبدعوف[٢] بن عبد الحارث بن زُهرة ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، وعَفَّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ومعه ابنه عثمان في تجارة إلى اليمن ، ورجوعهم ، ومعهم مال لرجل من بني جذيمة كان هلك باليمن ، فحملوه إلى ورثته ، فادَّعاه رجل منهم يقال له : خالد بن هشام . ولقيهم بأرض بني جذيمة فطلبه منهم قبل أن يصلوا إلى أهل الميِّت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم فقاتلوه ، حتى قتل عَوف والفاكه وأخذت أموالهما ، وقتل عبد الرحمن قاتل أبيه خالد بن هشام ، وفرَّ منهم عفَّان ومعه ابنه عثمان إلى مكة ، فهمَّت قريش بغزو بني جَذيمة ، فبعثت بنو جَذيمة يعتذرون إليهم بأنه لم يكن عن ملأ منهم ، ووَدَوا لهم القتيلين وأموالهما ، ووضعوا الحرب بينهم .

يعني فلهذا قال خالد بن الوليد لعبد الرحمن : إنما ثأرتُ بأبيك . يعني حين قتلته بنو جَذيمة ، فأجابه بأنه قد أخذ ثأره وقتل قاتله ، وردَّ عليه بأنه إنما ثأر بعمِّه الفاكه بن المغيرة حين قتلوه وأخذوا أمواله ، والمظنون بكلٍّ منهما أنه لم يقصد شيئاً من ذلك ، وإنما يُقال هذا في وقت المخاصمة ، فإنما أراد خالد بن الوليد نُصرة الإسلام وأهله ، وإن كان قد أخطأ في أمر ، واعتقد أنهم ينتقصون الإسلام بقولهم : صبأنا صبأنا . ولم يفهم عنهم أنهم أسلموا ، فقتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيَّتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضاً ، ومع هذا لم يعزله رسول الله ﷺ ، بل استمرَّ به أميراً ، وإن كان قد تبرَّأ منه في صنيعه ذلك ، ووَدَى ما كان جناه خطأً في دمٍ أو مالٍ ، ففيه دليلٌ لأحد القولين بين العلماء في أن خطأ الإمام يكون في بيت المال لا في ماله ، والله أعلم ، ولهذا لم يعزله الصِّدِّيق حين قتل مالك بن نُوَيْرَة أيام الرِّدَّة ، وتأوَّل عليه ما تأوَّل حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أمَّ تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله ؛ فإن في سيفه رهقا . فقال الصديق : لا أغمد سيفاً سلَّه الله على المشركين[٣] .

وقال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهريِّ ، عن ابن أبي

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣١) .

(٢) مطبوع في « السيرة النبوية » لابن هشام الذي بين يدي و« الروض الأنف » (٧/ ١٢٩) : « وعوف بن عبد مناف » وهو خطأ ، والصواب ما في كتابنا هنا . وانظر « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ص(١٣١) .

(٣) لتمام الفائدة راجع ما ذكره ابن العماد الحنبلي في هذه القصة في « شذرات الذهب » (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦) بتحقيقي .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٣) .

حَدْرَد الأَسْلَميِّ قال : كنت يومئذٍ في خيل خالد بن الوليد ، فقال فتى من بني جَذيمة ، وهو في سنِّي ، وقد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه برُمَّة ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى . فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة ، فقائدي إلى هؤلاء النِّسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردَّني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسيرٌ ما طلبت . فأخذت برُمَّته فقدته بها ، حتى وقفته عليهن فقال : اسلَمي حُبَيش على نفد العيش[١] : [من الطويل]

أَريتُـكِ إذ طـالبتُكـم فَـوَجَـدْتُكُـمْ ... بحَلْيَـةَ أو ألفيتكُـم بـالخـوانِـقِ

ألـم يَـكُ أهـلاً أن يُنـوَّل عـاشـقٌ ... تكلَّـف إدلاج السُّـرى والـودائـقِ

فلا ذَنْبَ لي قَدْ قُلْتُ إذ أَهْلُنا مَعاً ... أثيبـي بـودٍّ قبـل إحـدى الصَّفـائـقِ

أثيبـي بـودٍّ قبـل أن تشحـط النَّـوى ... وينـأى الأميـر بـالحَبيـب المُفَـارقِ

فـإنِّـيَ لا ضيَّعـتُ سِـرَّ أَمَـانَـةٍ ... ولا رَاقَ عينـي عنـكِ بعـدكِ رائـقُ

سـوى أنَّ مـا نـال العَشيـرة شَـاغـلٌ ... عـن الـودِّ إلا أن يكـون التَّـوامـقُ[٢]

قالت : وأنت فحُييت عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى[٣] .

قال : ثم انصرفت به ، فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق[٤] : فحدَّثني أبو فراس بن أبي سُنبلة الأسلميُّ ، عن أشياخ منهم ، عمَّن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُرِبَتْ عنقه فأكبَّت عليه ، فما زالت تقبِّله حتى ماتت عنده .

وروى الحافظ البيهقيُّ[٥] من طريق الحُمَيديِّ ، عن سفيان بن عُيينة ، عن عبد الملك بن نوفل بن مُسَاحق ، أنه سمع رجلاً من مزينة يقال له : ابن عِصَام ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال : « إذا رأيتم مسجداً أو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أحداً » . قال : فبعثنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا بذلك ، فخرجنا قِبَل تهامة ، فأدركنا رجلاً يسوق بظعائن ، فقلنا له : أسلم . فقال : وما الإسلام ؟ فأخبرناه به ، فإذا هو لا يعرفه ، قال : أفرأيتم إن لم أفعل ، ما أنتم صانعون ؟ قال : قلنا : نقتلك . فقال : فهل أنتم منظريّ حتى أدرك الظَّعائن ؟ قال : قلنا : نعم ، ونحن مدركوك . قال : فأدرك الظَّعائن فقال : اسلمي حُبَيش قبل نفاد العيش . فقالت الأخرى : اسلم عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تترى . ثم

---

(١) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٣) و« الروض الأُنف » (٧/ ١٣١) وقال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منهما له .

(٢) « التوامق » : الحب ، وفي هذا البيت والذي قبله إقواء .

(٣) في رواية السُّهيلي في « الروض الأنف » بعض الخلاف عما هنا فراجعه .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٤) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ١١٦) .

ذكر الشعر المتقدِّم إلى قوله : وينأى الأمير بالحَبيب المفارق . ثم رجع إلينا فقال : شأنكم . قال : فقدَّمناه ، فضربنا عنقه . قال : فانحدرت الأخرى من هَوْدَجها ، فحنت عليه حتى ماتت .

ثم روى البيهقيُّ[١] من طريق أبي عبد الرحمن النسائي ، ثنا محمد بن عليِّ بن حرب المروزيُّ ، ثنا عليُّ بن الحُسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحويِّ ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا ، وفيهم رجل فقال لهم : إنِّي لست منهم ، إنِّي عشقت امرأة فلحقتها ، فدعوني أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم . قال : فإذا امرأة أدماء طويلة ، فقال لها : اسلَمي حُبَيش قبل نفاد العيش . ثم ذكر البيتين بمعناهما . قال : فقالت : نعم فديتك . قال : فقدَّموه فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه ، فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فلمَّا قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « أَمَا كَانَ فِيْكُمْ رَجُلٌ رَحِيْمٌ ؟ » .

***

بعث خالد بن الوليد لهدمِ العُزَّى

قال ابن جرير[٢] : وكان هدمها لخمس بقين من رمضان عامئذ .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزَّى ، وكانت بيتاً بنخلة يعظِّمه قريش وكِنَانة ومُضر ، وكان سدنتها وحُجَّابُهَا من بني شيبان من بني سُلَيم حلفاء بني هاشم ، فلمَّا سمع حاجبها السُّلميُّ بمسير خالد بن الوليد إليها علَّق سيفه عليها ، ثم اشتدَّ في الجبل الذي هي فيه وهو يقول :

[من الطويل]

أيـا عُـزَّ شُـدِّي شـدَّة لا شَـوَى لهـا ... علـى خـالـد ألقـي القنـاع وشمِّـري

أيا عُزَّ إن لم تقتُلي المرءَ خالداً ... فبـوئـي بـإثـم عـاجـلٍ أو تَنَصَّـري

قال : فلمَّا انتهى خالد إليها هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

وقد روى الواقديُّ[٤] وغيره أنه لمَّا قدمها خالد لخمسٍ بقين من رمضان فهدمها ، ورجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « ما رأيتَ ؟ » قال : لم أر شيئاً ، فأمره بالرُّجوع ، فلمَّا رجع خرجت إليه من ذلك البيت امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول ، فعلاها بالسيف وجعل يقول : [من الرجز]

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ١١٧) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٦٥) بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٦) و« الروض الأنف » (٧/ ١٣٤) .

(٤) انظر « المغازي » (٣/ ٨٧٣) .

يا عُزَّ كُفْرَانَك لا سُبحانَكِ إنـي رأيـتُ اللهَ قَـدْ أَهَـانَـكِ

ثم خرّب ذلك البيت الذي كانت فيه ، وأخذ ما كان فيه من الأموال ، رضي الله عنه وأرضاه ، ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ ، فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعْبَدُ أَبَداً » .

وقال البيهقيُّ[1] : أنبأنا محمد بن أبي بكر الفقيه ، أنبأنا محمد بن أبي جعفر ، أنبأنا أحمد بن عليٍّ ، ثنا أبو كُريب ، عن ابن فُضيل ، عن الوليد بن جُميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لمَّا فتح رسول الله ﷺ مَكَّة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة ، وكانت بها العُزَّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاث سَمُرات ، فقطع السَّمرات وهَدَمَ البيت الذي كان عليها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» . فرجع خالد ، فلمَّا نظرت إليه السَّدنة وهم حجَّابها ، أمعنوا هرباً في الجبل وهم يقولون : يا عُزَّى خَبِّليه ، يا عُزَّى عوِّريه ، وإلا فموتي برغمٍ . قال : فأتاها خالد ، فإذا امرأة عُرْيَانَةٌ ناشرةٌ شعرها ، تحثو التُّراب على رأسها ووجهها ، فعمَّمها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع إلى النبي فأخبره ، فقال : « تلك العُزَّى » .

* * *

فصل

في مدة إقامته ، عليه السلام ، بمكَّة

لا خلاف أنه ، عليه الصلاة والسلام ، أقام بقية شهر رمضان يَقْصُرُ الصَّلاة ويُفطرُ ، وهذا دليل من قال من العلماء : إن المسافر إذا لم يجمع الإقامة فله أن يَقْصُرَ ويُفْطِرَ إلى ثمانية عشر يوماً في أحد القولين ، وفي القول الآخر ، كما هو مقرَّر في موضعه .

قال البخاريُّ[2] : ثنا أبو نُعيم ، ثنا سُفيان .

(ح) وحدَّثنا قَبيصة ، ثنا سفيان ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن أنس بن مالك قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ عشراً نَقْصُرُ الصلاة .

وقد رواه بقية الجماعة[3] من طرق متعددة ، عن يحيى بن أبي إسحاق الحضرميِّ البصريِّ ، عن أنس به نحوه .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٧٧) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٢٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) هو عند مسلم رقم (٦٩٣) وأبو داود رقم (١٢٣٣) والترمذي رقم (٥٤٩) والنسائي في « المجتبى » (٣/ ١٢١) وابن ماجه رقم (١٠٧٧) وانظر « جامع الأصول » (٥/ ٧٠١) .

ثم قال البخاريُّ[١] : ثنا عبدان ، ثنا عبد الله ، أنبأنا عاصم ، عن عِكْرِمَة ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين .

ورواه البخاريُّ أيضاً من وجه آخر ـ زاد البخاريُّ : وحصين كلاهما ـ وأبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه ، من حديث عاصم بن سليمان الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس به[٢] .

وفي لفظ لأبي داود : سبع عشرة .

وحدَّثنا[٣] أحمد بن يونس ، ثنا أبو شهاب ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ تسع عشرة نَقْصُرُ الصلاة .

وقال ابن عباس : فنحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة ، فإذا زدنا أتممنا .

وقال أبو داود[٤] : ثنا إبراهيم بن موسى ، ثنا ابن عليَّة ، ثنا عليُّ بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن عمران بن حصين قال : غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح ، فأقام ثماني عشرة ليلة لا يصلِّي إلا ركعتين ، يقول : « يا أهل البلد ، صلُّوا أربعاً فإنا سَفْر » .

وهكذا رواه الترمذيُّ[٥] من حديث عليِّ بن زيد بن جدعان ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

ثم روى أبو داود[٦] من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : أقام رسول الله ﷺ عام الفتح خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ثم قال : رواه غير واحد ، عن ابن إسحاق ، لم يذكروا ابن عباس .

وقال ابن إدريس[٧] ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهريِّ ، ومحمد بن عليِّ بن الحسين ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعمرو بن شعيب ، وغيرهم قالوا : أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة .

* * *

(١) في « صحيحه » رقم (٤٢٩٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٠٨٠) وأبو داود رقم (١٢٣٠) والترمذي رقم (٥٤٩) وابن ماجه رقم (١٠٧٥) .
(٣) القائل (الإمام البخاري) رقم (٤٢٩٩) .
(٤) رقم (١٢٢٩) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف .
(٥) رواه الترمذي برقم (٥٤٥) بلفظ مختلف ، وفي سنده أيضاً علي بن زيد بن جدعان ، ولكن له شواهد يقوى بها .
(٦) رقم (١٢٣١) وفي سنده ضعف .
(٧) انظر « المعرفة والتاريخ » للفسوي (٣/٢٩٦) .

فصل
فيما حكم به صلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّة من الأحكام

قال البخاريُّ[١] : حدَّثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبيِّ ﷺ .

(ح) وقال اللّيث[٢] : حدَّثني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عُروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : كان عُتبة بن أبي وقّاص عهد إلى أخيه سعد أن يقبِض ابن وليدة زمعة ، وقال عُتبة : إنه ابني . فلمَّا قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح ، أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة ، فأقبل به إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه عبد بن زمعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : هذا ابن أخي ، عهد إليَّ أنه ابنهُ ، فقال عبد بن زمعة : يا رسول الله ، هذا أخي ، هذا ابن زمعة ولد على فراشه . فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة ، فإذا هو أشبه الناس بعتبة بن أبي وقَّاص ، فقال رسول الله ﷺ : « هو لك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة ، من أجل أنه ولد على فراشه » . وقال رسول الله ﷺ : « احتجبي منه يا سودة » . لما رأى من شبه عتبة بن أبي وقَّاص .

قال ابن شهاب ، قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . قال ابن شهاب : وكان أبو هريرة يصرِّح بذلك .

وقد رواه البخاريُّ أيضاً ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذيُّ ، جميعاً عن قتيبة ، عن الليث به . وابن ماجه من حديثه[٣] ، وانفرد البخاريُّ بروايته له من حديث مالك ، عن الزهريِّ .

ثم قال البخاريُّ[٤] : ثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا عبد الله ، أنا يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه . قال عروة : فلمَّا كلَّمه أسامة فيها ، تلوَّن وجه رسول الله ﷺ وقال : « أتكلِّمني في حدٍّ من حدود الله ؟! » فقال أسامة : استغفر لي يا رسول الله . فلمَّا كان العشيُّ قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أمَّا بعد ، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدَّ ، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٠٣) .
(٢) ووصله الذهلي في « الزهريات » . قاله الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨/ ٢٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (٢٢١٨) ومسلم (١٤٥٧) من طريق الليث عن الزهري به ، ليس بينهما يونس ، وأخرجه أبو داود (٢٢٧٣) وابن ماجه رقم (٢٠٠٤) من طريق ابن عيينة عن الزهري ولم نقف عليه في الترمذي .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٤) .

سرقت لقطعت يدها » . ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوَّجت ، قالت عائشة : فكانت تأتيني بعد ذلك فأَرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ .

وقد رواه البخاريُّ في موضع آخر ، ومسلم[١] من حديث ابن وهب ، عن يونس ، عن الزّهريِّ ، عن عروة ، عن عائشة به .

وفي « صحيح مسلم »[٢] من حديث سبرة بن معبد الجُهنيِّ قال : أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخل مكة ، ثم لم يخرج حتى نهانا عنها . وفي رواية فقال : « ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة » .

وفي رواية في « مسند أحمد » و« السنن » أن ذلك كان في حجة الوداع[٣] ، فالله أعلم .

وفي « صحيح مسلم »[٤] عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يونس بن محمد ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن أبي العُميس ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه أنه قال : رخَّص لنا رسول الله ﷺ عام أوطاس في متعة النساء ثلاثاً ، ثم نهانا عنها .

قال البيهقيُّ[٥] : وعام أوطاس هو عام الفتح ، فهو وحديث سبرة سواء . قلت : من أثبت النَّهي عنها في غزوة خيبر قال : إنها أُبيحت مرتين وحرِّمت مرتين ، وقد نصَّ على ذلك الشافعيُّ وغيره . وقد قيل : إنها أبيحت وحرِّمت أكثر من مرتين ، فالله أعلم . وقيل : إنها حرِّمت مرة واحدة ، وهي هذه المرة في غزوة الفتح . وقيل : إنها إنما أبيحت للضرورة . فعلى هذا إذا وجدت ضرورة أبيحت ، وهذا رواية عن الإمام أحمد[٦] ، وقيل : بل لم تحرَّم مطلقاً ، وهي على الإباحة .

هذا هو المشهور عن ابن عباس وأصحابه وطائفة من الصحابة ، وموضع تحرير ذلك في « الأحكام » .

***

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٤٨) و(٦٨٠٠) ومسلم رقم (١٦٨٨) .

(٢) رقم (١٤٠٦) (٢٢) وقد أطال الإمام ابن القيم الكلام حول هذا الموضوع بما لا مزيد عليه في كتابه العظيم « زاد المعاد في هدي خير العباد » (٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٧) فليراجع .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٠٤) وأبو داود رقم (٢٠٧٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٥٥٤١) وابن ماجه (١٩٦٢) وهذه الرواية مخالفة لما قبلها ، فهي شاذة .

(٤) رقم (١٤٠٥) (١٨) .

(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٨٩) .

(٦) وقد سلف قول المؤلف رحمه الله في الكلام على غزوة خيبر ص(٤١٢) أنها رواية ضعيفة عن الإمام أحمد ولا تصح أيضاً عنه .

فصل

قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عبد الرزاق ، ثنا ابن جريج ، أنبأنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح . قال : جلس عند قرن مسقلة ، فبايع الناس على الإسلام والشهادة . قال : قلت : وما الشهادة ؟ قال : أخبرني محمد بن الأسود بن خلف أنه بايعهم على الإيمان بالله ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . تفرَّد به أحمد .

وعند البيهقي : فجاءه الناس ؛ الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، فبايعهم على الإسلام والشهادة .

وقال ابن جرير[٢] : ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام ، فجلس لهم ـ فيما بلغني ـ على الصَّفا ، وعمر بن الخطاب أسفل من مجلسه ، فأخذ على الناس السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا . قال : فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء ، وفيهن هند بنت عتبة متنقِّبة متنكِّرة بحديثها ؛ لما كان من صنيعها بحمزة ، فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك ، فلما دنين من رسول الله ﷺ ليبايعهن قال : « بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً » . فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال . قال : « ولا تسرقن » . فقالت : والله إني كنت أصبت من مال أبي سفيان الهَنة بعد الهنة ، وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان ، وكان شاهداً لما تقول : أما ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حلٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « وإنك لهند بنت عتبة ؟! » قالت : نعم ، فاعف عما سلف ، عفا الله عنك . ثم قال : « ولا تزنين » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟! ثم قال : « ولا تقتلن أولادكن » . قالت : قد ربَّيناهم صغاراً ، وقتلتهم ببدر كباراً ، فأنت وهم أعلم . فضحك عمر بن الخطاب حتى استغرب ، ثم قال : « ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن » .

فقالت : والله إنَّ إتيان البهتان لقبيح ، ولبعض التَّجاوز أمثل . ثم قال : « ولا تعصينني » . فقالت : في معروف . فقال رسول الله ﷺ لعمر : « بايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم » . فبايعهن عمر ، وكان رسول الله ﷺ لا يصافح النساء ، ولا يمسُّ إلا امرأة أحلَّها الله له ، أو ذات محرم منه .

وثبت في « الصحيحين »[٣] عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : لا والله ما مسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قطُّ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤١٥) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٦١) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٩١) و(٥٢٨٨) و(٧٢١٤) ومسلم رقم (١٨٦٦) .

وفي رواية : ما كان يبايعهن إلا كلاماً ويقول : « إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمئة امرأة »[١] .

وفي « الصحيحين »[٢] عن عائشة ، أن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل شحيح ، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بَنِيَّ ، فهل عليَّ من حرج إذا أخذت من ماله بغير علمه ؟ قال : « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك » .

وروى البيهقيُّ[٣] ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله ، ما كان مما على وجه الأرض أخباء أو أهل خِباء ـ الشكُّ من ابن بكير ـ أحبَّ إليَّ من أن يذلُّوا من أهل أخبائك ـ أو خِبائك ـ ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل أخباء ـ أو خِباء ـ أحبَّ إليَّ من أن يعزُّوا من أهل أخبائك ـ أو خبائك ـ . فقال رسول الله ﷺ : « وأيضا والذي نفس محمد بيده » . قالت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل مسيك ، فهل عليَّ حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال : « لا ، إلا بالمعروف » . ورواه البخاريُّ[٤] ، عن يحيى بن بكير بنحوه ، وتقدَّم ما يتعلَّق بإسلام أبي سفيان .

وقال أبو داود[٥] : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة : « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . ورواه البخاريُّ[٦] ، عن عثمان ابن أبي شيبة ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، عن جرير .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا عفان ، ثنا وهيب ، ثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن صفوان بن أمية أنه قيل له : إنه لا يدخل الجنة إلا من هاجر . فقلت له : لا أدخل منزلي حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله . فأتيته فذكرت له فقال : « لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » . تفرد به أحمد .

وقال البخاريُّ[٨] : ثنا محمد بن أبي بكر ، ثنا الفضيل بن سليمان ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان النَّهديِّ ، عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبدٍ إلى النبيِّ ﷺ ليبايعه على الهجرة ، فقال :

---

(١) وهي عند الترمذي رقم (١٥٩٧) والنسائي (٧/ ١٤٩) وأحمد في « المسند » (٦/ ٣٥٧) وإسناده صحيح .
(٢) رواه البخاري رقم (٢٢١١) و(٥٣٦٤) و(٥٣٨٠) و(٧١٨٠) ومسلم رقم (١٧١٤) .
(٣) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٠٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٦٦٤١) .
(٥) في « سننه » رقم (٢٤٨٠) .
(٦) في « صحيحه » رقم (١٨٣٤) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١٣٥٣) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٠١) و(٦/ ٤٦٥) ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .
(٨) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٧) و(٤٣٠٨) .

« مضت الهجرة لأهلها ، أُبايعه على الإسلام والجهاد » . فلقيت أبا معبدٍ فسألته ، فقال : صدق مجاشع . وقال خالد ، عن أبي عثمان عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجالد .

وقال البخاريُّ[(١)] : ثنا عمرو بن خالد ، ثنا زهير ، ثنا عاصم ، عن أبي عثمان قال : حدَّثني مجاشع قال : أتيت رسول الله ﷺ بأخي بعد يوم الفتح فقلت : يا رسول الله ، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، قال : « ذهب أهل الهجرة بما فيها » . فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : « أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد » . فلقيت أبا معبد بعد ، وكان أكبرهما سنّاً ، فسألته ، فقال : صدق مجاشع .

وقال البخاريُّ[(٢)] : ثنا محمد بن بشَّار ، ثنا غندر ، ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد قال : قلت لابن عمر : أريد أن أهاجر إلى الشام . فقال : لا هجرة ، ولكن جهاد ، انطلق فاعرض نفسك ، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت . وقال النَّضر : أنا شعبة ، أنا أبو بشر ، سمعت مجاهداً قال : قلت لابن عمر ، فقال : لا هجرة اليوم - أو بعد رسول الله ﷺ - . . . مثله .

حدَّثنا[(٣)] إسحاق بن يزيد ، ثنا يحيى بن حمزة ، حدَّثني أبو عمرو الأوزاعيُّ ، عن عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد بن جبر ، أن عبد الله بن عمر قال : لا هجرة بعد الفتح .

وقال البخاريُّ[(٤)] : ثنا إسحاق بن يزيد ، أنا يحيى بن حمزة ، أنا الأوزاعيُّ ، عن عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير ، فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، وإلى رسوله ﷺ ؛ مخافة أن يفتن عليه ، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام ، فالمؤمن يعبد ربَّه حيث يشاء ، ولكن جهاد ونيَّة .

وهذه الأحاديث والآثار دالة على أن الهجرة - إما الكاملة أو مطلقاً - قد انقطعت بعد فتح مكة ؛ لأن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً ، وظهر الإسلام وثبتت أركانه ودعائمه ، فلم تبق هجرة ، اللهمَّ إلا أن يعرض حال يقتضي الهجرة بسبب مجاورة أهل الحرب ، وعدم القدرة على إظهار الدين عندهم ، فتجب الهجرة إلى دار الإسلام ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء ، ولكنَّ هذه الهجرة ليست كالهجرة قبل الفتح ، كما أن كلاًّ من الجهاد والإنفاق في سبيل الله مشروع ومرغَّب فيه إلى يوم القيامة ، ولكن ليس كالإنفاق ولا الجهاد قبل الفتح ، فتح مكة . قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٥) و(٤٣٠٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٩) و(٤٣١٠) .
(٣) القائل هو الإمام البخاري ، والحديث في « صحيحه » رقم (٤٣١١) .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣١٢) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، عن أبي البختري الطَّائيِّ ، عن أبي سعيد الخدريِّ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : لما نزلت هذه السورة الكريمة : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر : ١ ـ ٣] . قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها ، وقال : « الناس حيز وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيَّة » . فقال له مروان : كذبت . وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السَّرير ، فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدَّثاك ، ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عِرافة قومه ، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة . فرفع مروان عليه الدِّرَّة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق . تفرَّد به أحمد .

وقال البخاريُّ[٢] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا أبو عَوَانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأنَّ بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رُئيت أنه أدخلني فيهم يومئذ إلا ليريهم ، فقال : ما تقولون في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا بن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ؛ قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . فذلك علامة أجلك ؛ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ . قال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرَّد به البخاريُّ .

وهكذا روي من غير وجه ، عن ابن عباس أنه فسَّر ذلك بنعي رسول الله ﷺ في أجله . وبه قال مجاهد وأبو العالية والضَّحَّاك وغير واحد كما قال ابن عباس وعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

فأما الحديث الذي قال [فيه] الإمام أحمد[٣] : ثنا محمد بن فضيل ، ثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . قال رسول الله ﷺ : « نُعيت إلي نفسي » . بأنه مقبوض في تلك السنة . تفرَّد به الإمام أحمد ، وفي إسناده عطاء بن أبي مسلم الخُرَاساني ، وفيه ضعف ، تكلَّم فيه غير واحد من الأئمة ، وفي لفظه نكارة شديدة ، وهو قوله بأنه مقبوض في تلك السنة ، وهذا باطل ؛ فإن الفتح كان في سنة ثمان في رمضان منها ، كما تقدَّم بيانه ، وهذا لا خلاف فيه .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٢) ، وإسناده ضعيف بطوله . ولبعض فقراته شواهد .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٩٧٠) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢١٧) .

وقد توفِّي رسول الله ﷺ في ربيع الأول من سنة إحدى عشرة ، بلا خلاف أيضاً .

وهكذا الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطَّبرانيُّ(١) ، رحمه الله : ثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعيُّ ، ثنا أبي ، ثنا جعفر بن عون ، عن أبي العُمَيس ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ وفيه نكارة أيضاً ، وفي إسناده نظر أيضاً ، ويحتمل أن يكون أنها آخر سورة نزلت جميعها كما قال ، والله أعلم .

وقد تكلَّمنا على تفسير هذه السورة الكريمة بما فيه كفاية(٢) ، ولله الحمد والمنَّة .

وقال البخاريُّ(٣) : ثنا سليمان بن حرب ، ثنا حمَّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قِلَابة ، عن عمرو بن سلِمة ـ قال لي أبو قِلَابة : ألا تلقاه فتسأله فلقيته فسألته ـ قال : كنا بماءٍ ممرَّ الناس ، وكان يمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم ما للناس ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله وأوحى إليه كذا . فكنت أحفظ ذاك الكلام ، فكأنما يَغرى في صدري ، وكانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كلُّ قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم . فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبيِّ حقاً ، قال : « صلُّوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن أحدكم ، وليؤمَّكم أكثرُكم قرآناً » . فنظروا فلم يكن أحد أكثرَ قرآناً مني ؛ لما كنت أتلقَّى من الرُّكبان ، فقدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ستٍّ أو سبع سنين ، وكانت عليَّ بردة إذا سجدت تقلَّصت عنِّي . فقالت امرأة من الحيِّ : ألا تغطُّون عنا استَ قارئكم ؟ فاشتروا ، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص ، تفرَّد به البخاريُّ دون مسلم .

***

غزوة هَوَازن يوم حُنَينٍ

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٣٦٩) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٨/ ٥٢٩) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٠٢) .

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٢٥ ـ ٢٧] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسارٍ في كتابه(١) أن خروج رسول الله ﷺ إلى هَوَازن بعد الفتح في خامس شوالٍ سنة ثمان ، وزَعَمَ أن الفتح كان لعشرٍ بقين من شهر رمضان قبل خروجه إليهم بخمس عشرة ليلةً .

وهكذا رَوَى عن ابن مسعودٍ ، وبه قال عُرْوَة بن الزُّبير ، واختاره ابن جريرٍ في « تاريخه »(٢) .

وقال الواقديُّ(٣) : خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن لستٍّ خلون من شوالٍ ، فانتهى إلى حُنينٍ في عاشره .

وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيق : لن نُغْلَبَ اليوم من قلَّةٍ ، فانهزموا ، فكان أول من انهزم بنو سليمٍ ، ثم أهل مَكَّة ، ثم بقية الناس .

قال ابن إسحاق(٤) : ولما سَمِعَتْ هَوَازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكَّة جمعها مَلِكها مالكُ بن عوفٍ النَّصريُّ ، فاجتمع إليه مع هَوَازن ثقيفٌ كلُّها ، واجتمعت نصرٌ ، وجُشم كلُّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلالٍ وهم قليلٌ ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها ، ولم يحضرها من هوازن كعبٌ وكلابٌ ، ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ ، وفي بني جُشم دريد بن الصِّمَّة شيخٌ كبيرٌ ، ليس فيه شيءٌ إلا التَّيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرَّباً ، وفي ثقيفٍ سيِّدان لهم ، وفي الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتِّبٍ ، وفي بني مالكٍ ذو الخمار سُبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماع أمر الناس إلى مالك بن عوفٍ النَّصريِّ ، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاسٍ اجتمع إليه الناس ، وفيهم دُريد بن الصِّمَّة في شجارٍ له يقاد به ، فلما نزل قال : بأيِّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاسٍ . قال : نعم مجال الخيل ، لا حَزنٌ ضرس ، ولا سهلٌ دِهس ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟! قالوا : ساق مالك بن عوفٍ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالكٌ ؟ قالوا : هذا مالكٌ . ودُعي له . قال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٥٦) .
(٣) انظر « المغازي » (٣/ ٨٨٩ ـ ٨٩٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٧) .

مالي أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كلِّ رجلٍ أهله وماله ليقاتل عنهم . قال : فأنقض به[١] . ثم قال : راعي ضأنٍ والله ، هل يردُّ المنهزم شيءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ؟ قال : لم يشهدها منهم أحدٌ . قال : غاب الحدُّ والجِدُّ ، لو كان يوم غلاءٍ ورفعةٍ لم تغب عنه كعبٌ وكلابٌ ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ وكلابٌ ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامرٍ ، وعوف بن عامرٍ . قال : ذانك الجذَعان من عامرٍ لا ينفعان ولا يضران . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ثم قال دريدٌ لمالك بن عوفٍ : ارفعهم إلى متمنَّع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصُّبِيَّ على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . ثم قال مالكٌ : والله لتطيعنَّني يا معشر هوازن أو لأتّكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ـ وكره أن يكون لدريدٍ فيها ذِكرٌ أو رأيٌ ـ فقالوا : أطعناك . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهده ولم يَفُتْني[٢] : [من مجزوء الرجز]

يـا ليتنـي فيهـا جَـذَع   أخـبُّ فيهـا وأضَـعْ

أقـود وطْفـاء الـزَّمـع   كـأنهـا شـاةٌ صَـدَعْ

ثم قال مالكٌ للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدُّوا شدة رجلٍ واحدٍ .

قال ابن إسحاقٍ[٣] : وحدَّثني أُمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حدَّث أن مالك بن عوفٍ بعث عيوناً من رجاله ، فأتَوه وقد تفرَّقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ، وما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلقٍ ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى . فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدردٍ الأسلميَّ ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، فانطلق ابن أبي حدردٍ ، فدخل فيهم

---

(١) أي : زجره .

(٢) البيتان في « السيرة النبوية » (٢/ ٤٣٩) و« الروض الأنف » (٧/ ١٣٦) وانظر « معجم الشعراء من تاريخ دمشق » (٣/ ٧٠) .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٩) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٣٩) .

فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالكٍ وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر . فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذٍ مشركٌ فقال : « يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً » . فقال صفوان : أغَصباً يا محمد ؟ قال : « بل عاريَّةً مضمونةً حتى نُؤدِّيَها إليك » . قال : ليس بهذا بأسٌ . فأعطاه مائة درعٍ بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل . هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسنادٍ .

وقد روى يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه . وعن عمرو بن شعيبٍ والزهريِّ وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزمٍ وغيرهم ، قصة حُنينٍ ، فذكر نحو ما تقدم ، وقصة الأدراع كما تقدم ، وفيه أن ابن حدردٍ لما رجع فأخبر رسول الله ﷺ خبر هوازن كذَّبه عمر بن الخطَّاب ، فقال له ابن أبي حدردٍ : لئن كذَّبتني يا عمر ، فربما كذَّبت بالحقِّ . فقال عمر : ألا تسمع ما يقول يا رسول الله ؟ فقال : « قد كنت ضالاًّ فهداك الله » .

وقد قال الإمام أحمد[1] : ثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريكٌ ، عن عبد العزيز بن رُفيعٍ ، عن أمية بن صفوان بن أمية ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنينٍ أدراعاً فقال : أغصباً يا محمد ؟ فقال : « بل عاريَّةً مضمونةً » . قال : فضاع بعضها ، فعرض عليه رسول الله ﷺ أن يضمنها له ، فقال : أنا اليوم يا رسول الله في الإسلام أرغب . ورواه أبو داود والنسائيُّ[2] من حديث يزيد بن هارون به ، وأخرجه النَّسائيُّ من رواية إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ ، عن ابن أبي مُلَيكة ، عن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان دروعاً ، فذكره . ورواه من حديث هشيمٍ ، عن حجَّاجٍ ، عن عطاءٍ أن رسول الله ﷺ استعار من صفوان أدراعاً وأفراساً . . . وساق الحديث .

وقال أبو داود[3] : ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا جريرٌ ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ ، عن أُناسٍ من آل عبد الله بن صفوان أن رسول الله ﷺ قال : « يا صفوان ، هل عندك من سلاحٍ ؟ » قال : عاريَّة أم غصباً ؟ قال : « لا ، بل عاريَّةً » . فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزا رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما هزم المشركون جُمعت دروع صفوان ففقد منها أدراعاً ، فقال رسول الله ﷺ لصفوان : « قد فقدنا من أدراعك

---

(١) في « مسنده » (٣/ ٤٠٠) و(٦/ ٤٦٥) ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه أبو داود في « سننه » رقم (٣٥٦٢) ، والنسائي في « سننه الكبرى » رقم (٥٧٧٩) من طريق يزيد بن هارون . والنسائي رقم (٥٧٨٠) من طريق إسرائيل . والنسائي ايضاً رقم (٥٧٧٨) من حديث هشيم . وينظر « تحفة الأشراف » للمزي (الحديث ٤٩٤٥) .

(٣) في « سننه » رقم (٣٥٦٣) ، وهو حديث حسن .

أدراعاً ، فهل نغرم لك ؟ » قال : لا يا رسول الله ، إن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذٍ . وهذا مرسلٌ أيضاً .

قال ابن إسحاق[١] : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلافٍ من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً .

قلت : وعلى قول عُرْوَة ، والزُّهريِّ ، وموسى بن عقبة ، يكون مجموع الجيشين اللَّذين سار بهما إلى هَوَازن أربعة عشر ألفاً؛ لأنه قدم باثني عشر ألفاً إلى مكة على قولهم ، وأُضيف إليهم ألفان من الطُّلقاء .

وذكر ابن إسحاق أنه خرج من مكة في خامس شوالٍ ، قال : واستخلَف على أهل مَكَّة عَتَّاب بن أُسِيد بن أبي العِيص بن أُمية بن عبد شمسٍ الأمويَّ .

قلت : وكان عُمُرُهُ إذ ذاك قريباً من عشرين سنةً . قال : ومضى رسول الله ﷺ يُريد لقاء هَوَازن . وذكر قصيدة العباس بن مرداسٍ السُّلميِّ في ذلك ، منها قوله[٢] : [من البسيط]

أَبْلِغ هَوَازن أَعَلاها وأَسْفَلَهَا ... مِنّي رسالةَ نُصحٍ فيه تِبْيَانُ
إنّي أظنُّ رسولَ الله صابِحكم ... جيشاً له في فضاء الأرض أركانُ
فيهم سُلَيمٌ أخوكُم غيرُ تارككم ... والمسلمون عبادُ الله غسَّانُ
وفي عِضادته اليمنى بنو أَسدٍ ... والأَجْرَبَان بنو عَبْسٍ وذُبيانُ
تكاد تَرْجُفُ منه الأرض رهبَتَه ... وفي مقدَّمِه أوسٌ وعُثمانُ

قال ابن إسحاق : أوسٌ وعثمان قبيلا مُزينة .

قال : وحدَّثني الزهريُّ ، عن سنان بن أبي سنانٍ الدُّئليِّ ، عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ أن الحارث بن مالكٍ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنينٍ ونحن حديثو عهدٍ بالجاهلية . قال : فسرنا معه إلى حنينٍ . قال : وكانت لكفار قريشٍ ومن سواهم من العرب شجرةٌ عظيمةٌ خضراء يقال لها : ذات أنواطٍ . يأتونها كلَّ سنةٍ فيعلِّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرةً خضراء عظيمةً . قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ ؟ فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر ، قلتم والذي نفس محمدٍ بيده كما قال قوم

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٠) .

(٢) الأبيات مع غيرها في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤١) و« الروض الأنف » (٧/ ١٦٥) وهي مع أبيات غيرها في « ديوان العباس بن مرداس » ص(١٥٤ ـ ١٥٥) جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور يحيى الجبوري ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

موسى لموسى : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] . إنها السَّنن ، لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم » .

وقد روى هذا الحديث الترمذيُّ ، عن سعيد بن عبد الرحمن المخزوميِّ ، عن سفيان ، والنَّسائيُّ ، عن محمد بن رافعٍ ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، كلاهما عن الزهريِّ ، كما رواه ابن إسحاق عنه . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ[١] . ورواه ابن أبي حاتمٍ في « تفسيره »[٢] من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوفٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه مرفوعاً .

وقال أبو داود[٣] : ثنا أبو توبة ، ثنا معاوية بن سلامٍ ، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلامٍ ، عن السَّلوليِّ أنه حدَّثه سهلُ بن الحنظلية أنهم ساروا مع رسولَ الله ﷺ يوم حنينٍ فأطنبوا السير[٤] حتى كان عشيةً ، فحضرت صلاة الظهر عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجلٌ فارسٌ ، فقال : يا رسول الله ، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعتُ جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازنَ عن بِكرة أبيهم بظُعُنهم وبنَعَمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنينٍ ، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال : « تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله » . ثم قال : « من يحرسنا الليلة » . قال أنس بن أبي مَرثدٍ : أنا يا رسول الله . قال : « فارْكب » . فركب فرساً له ، وجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « استقبل هذا الشِّعب حتى تكون في أعلاه ولا نُغرَّنَّ[٥] من قبلك الليلة » . فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين ، ثم قال : « هل أحسستم فارسكم ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ما أحسسنا . فثُوِّب بالصلاة فجعل رسول الله ﷺ يصلِّي ، ويلتفت إلى الشِّعب ، حتى إذا قضى صلاته قال : « أبشروا فقد جاءكم فارسُكم » . فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب ، وإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحتُ طلعت الشِّعبين كليهما ، فنظرت فلم أر أحداً . فقال له رسول الله ﷺ : « هل نزلتَ الليلة ؟ » قال : لا ، إلا مصلِّياً أو قاضيَ حاجةٍ . فقال له رسول الله ﷺ : « قد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها » .

وهكذا رواه النسائيُّ[٦] ، عن محمد بن يحيى بن كثيرٍ الحرَّانيِّ ، عن أبي توبة الربيع بن نافعٍ به .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١١٨٥) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال .
(٢) وذكره السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ١١٤) .
(٣) في « سننه » رقم (٢٥٠١) ، وهو حديث صحيح .
(٤) أي : بالغوا فيه .
(٥) أي : نؤْتينَّ .
(٦) في « السنن الكبرى » رقم (٨٨٧٠) .

فصل
في كيفية الوقعة وما كان في أول الأمر من الفرار ثم كانت العاقبة للمتقين

قال يونس بن بكيرٍ وغيره ، عن محمد بن إسحاق[١] : حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : فخرج مالك بن عوفٍ بمن معه إلى حنينٍ فسبق رسولَ الله إليها ، فأعدُّوا وتهيَّئوا في مضايق الوادي وأحنائه ، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى انحطَّ بهم الوادي في عَماية الصبح ، فلمّا انحطَّ الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدَّت عليهم ، وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحدٌ على أحدٍ ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين يقول : « أين أيها الناس ؟ هلمُّوا إليَّ ، أنا رسول الله ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » . قال : فلا شيء ، وركبت الإبل بعضها بعضاً ، فلمّا رأى رسول الله ﷺ أمر الناس ، ومعه رهطٌ من أهل بيته ؛ عليُّ بن أبي طالبٍ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ـ وقيل : الفضيل بن أبي سفيان ـ وأيمن بن أمِّ أيمن ، وأسامة بن زيدٍ ، ومن الناس من يزيد فيهم قُثَم بن العباس ، ورهطٌ من المهاجرين منهم ؛ أبو بكر وعمر ، والعباس آخذٌ بحَكَمة بغلته البيضاء وهو عليها قد شجرها . قال : ورجلٌ من هوازن على جملٍ له أحمر ، بيده رايةٌ سوداء في رأس رمحٍ طويلٍ أمام هوازن ، وهوازن خلفه إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتَّبعوه . قال : فبينما هو كذلك إذ هوى له عليُّ بن أبي طالبٍ ورجلٌ من الأنصار يريدانه . قال : فيأتي عليٌّ من خلفه فضرب عرقوبي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاريُّ على الرجل فضربه ضربةً أطنَّ قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأُسارى مكتَّفين عند رسول الله ﷺ .

ورواه الإمام أحمد[٢] ، عن يعقوب بن إبراهيم الزُّهريِّ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق .

قال ابن إسحاق[٣] : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذٍ [مع رسول الله ﷺ] ، وكان حسن الإسلام حين أسلم وهو آخذٌ بثفر بغلة رسول الله ﷺ فقال : « من هذا ؟ » قال : ابن أمِّك يا رسول الله .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٢) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧٦) ، وإسناده حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٦) .

قال ابن إسحاق[١] : ولمَّا انهزم الناس تكلَّم رجالٌ من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضِّغن ، فقال أبو سفيان صخر بن حربٍ ـ وكان إسلامه بعدُ مدخولاً ، وكانت الأزلام معه يومئذٍ ـ : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وصرخ كلدة بن الحنبل ، وهو مع أخيه صفوان بن أمية ـ يعني لأمِّه ـ وهو مشركٌ في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السِّحر اليوم . فقال له صفوان : اسكت ، فضَّ الله فاك ، فوالله لأن يرُبَّني رجلٌ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من أن يربَّني رجلٌ من هوازن .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا عفَّان بن مسلم ، ثنا حمَّاد بن سلمة ، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالكٍ أن هوازن جاءت يوم حنينٍ بالنساء والصبيان والإبل والغنم ، فجعلوها صفوفاً يكثِّرون على رسول الله ﷺ ، فلما التقوا ولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . ثم قال : « يا معشر الأنصار ، أنا عبد الله ورسوله » . قال : فهزم الله المشركين ، ولم يُضرب بسيفٍ ولم يطعن برمحٍ . قال : وقال رسول الله ﷺ يومئذٍ : « من قتل كافراً فله سلبه » . قال : فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم . وقال أبو قتادة : يا رسول الله ، إني ضربت رجلاً على حبل العاتق وعليه درعٌ له ، فأُجهضت عنه ، فانظر من أخذها . قال : فقام رجلٌ فقال : أنا أخذتها ، فأرضه منها وأعطنيها . قال : وكان رسول الله ﷺ لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت ، فسكت رسول الله ﷺ ، فقال عمر : والله لا يفيئها الله على أَسدٍ من أُسد الله ويعطيكها . فقال رسول الله ﷺ : « صدق عمر » . قال : ولقي أبو طلحة أمَّ سليم ومعها خَنجرٌ ، فقال أبو طلحة : ما هذا ؟ فقالت : إن دنا مني بعض المشركين أن أبعج به بطنه . فقال أبو طلحة : أما تسمع ما تقول أمُّ سليمٍ ؟ فضحك رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، اقتلْ من بعدنا من الطُّلقاء ؛ انهزموا بك . فقال : « إن الله قد كفى وأحسن يا أمَّ سليمٍ » .

وقد روى مسلمٌ[٣] منه قصة خَنْجَر أمِّ سليمٍ ، وأبو داود[٤] قوله : « من قتل قتيلاً فله سلبه » . كلاهما من حديث حماد بن سلمة به . وقول عمر في هذا مستغربٌ ، والمشهور أن ذلك أبو بكرٍ الصديق .

وقال الإمام أحمد[٥]: حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، ثنا أبي ، ثنا نافع أبو غالبٍ ، شهد أنس بن مالكٍ قال : فقال العلاء بن زيادٍ العدويُّ : يا أبا حمزة ، بسنِّ أيِّ الرجال كان رسول الله ﷺ إذ بُعث ؟ فقال : ابن أربعين سنةً . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٣) .
(٢) في « مسنده » (٣/ ٢٧٩) ، وإسناده صحيح .
(٣) في « صحيحه » رقم (١٨٠٩) .
(٤) في « سننه » رقم (٢٧١٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٥١) ، وإسناده صحيح .

فتمَّت له ستون سنةً ، ثم قبضه الله إليه . قال : بسنِّ أيِّ الرجال هو يومئذٍ ؟ قال : كأشبِّ الرجال وأحسنه وأجمله وألحمه . قال : يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غزوت معه يوم حنينٍ ، فخرج المشركون بُكرة ، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ، وفي المشركين رجلٌ يحمل علينا فيدقُّنا ويحطِمنا ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ نزل ، فهزمهم الله فولَّوا ، فقام رسول الله ﷺ حين رأى الفتح ، فجُعل يُجاء بهم أُسارى رجلاً رجلاً ، فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجلٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ : إن عليَّ نذراً ، لئن جيء بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربنَّ عنقه . قال : فسكت رسول الله ﷺ ، وجيء بالرجل ، فلما رأى نبيَّ الله ﷺ قال : يا نبيَّ الله ، تبت إلى الله . قال : وأمسك نبيُّ الله ﷺ أن يبايعه ليوفي الآخر نذره . قال : وجعل ينظر إلى النبيِّ ﷺ ليأمره بقتله ، ويهاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى النبيُّ ﷺ أنه لا يصنع شيئاً بايعه ، فقال : يا نبيَّ الله ، نذري ؟! قال : « لم أُمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك » . فقال : يا رسول الله ، ألا أومأت إليَّ ؟ قال : « إنه ليس لنبيٍّ أن يومئ » تفرد به أحمد[١] .

وقال أحمد[٢] : حدَّثنا يزيد ، ثنا حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يوم حنينٍ : « اللهم إنك إن تشأْ لا تعبد بعد اليوم » . إسناده ثلاثيٌّ على شرط الشيخين ، ولم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا غندرٌ ، ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازبٍ ـ وسأله رجلٌ من قيسٍ : أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ؟ فقال : ـ لكنَّ رسول الله ﷺ لم يفرَّ ؛ كانت هَوَازن رماةً ، وإنا لمَّا حملنا عليهم انكشفوا ، فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلتنا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان آخذٌ بزمامها ، وهو يقول :

« أنا النبيُّ لا كذب »

ورواه البخاريُّ ، عن أبي الوليد ، عن شعبة به وقال : [من مجزوء الرجز]

« أَنَـا النَّبِـيُّ لاَ كَـذِبْ أَنَا ابنُ عَبدِ المَطَّلِبْ »

قال البخاريُّ[٤] : وقال إسرائيل وزهيرٌ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : ثم نزل عن بغلته .

ورواه مسلمٌ والنسائيُّ[٥] عن بندارٍ . زاد مسلمٌ : وأبي موسى . كلاهما عن غندرٍ به .

---

(١) قلت : روى أبو داود بعضه في سننه (رقم ٣١٩٤) الشطر الثاني منه عن داود بن معاذ عن عبد الوارث عن نافع أبي غالب ، به ، وزاد فيه صفة القيام في صلاة الجنازة على الرجل والمرأة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٢١) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣١٧) .

(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣١٧) .

(٥) رواه مسلم رقم (١٧٧٦) (٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٣٨) .

وروى مسلمٌ[(١)] من حديث زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

« أَنَـا النَّبـيُّ لا كَـذِبْ   أَنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

اللهم نزِّل نصرك » . قال البراء : ولقد كنا إذا حمي البأس نتَّقي برسول الله ﷺ ، وإن الشُّجَاع الذي يحاذي به .

وروى البيهقيُّ[(٢)] من طرقٍ أن رسول الله ﷺ قال يومئذٍ : « أنا ابن العواتك » .

وقال الطبرانيُّ[(٣)] : ثنا عباس بن الفضل الأسفاطيُّ ، ثنا عمرو بن عوفٍ الواسطيُّ ، ثنا هشيمٌ ، أنبأنا يحيى بن سعيدٍ ، عن عمرو بن سعيد بن العاص ، عن سيَّابة بن عاصمٍ السُّلميِّ أن رسول الله ﷺ قال يوم حنينٍ : « أنا ابن العَوَاتِك » .

وقال البخاريُّ[(٤)] : ثنا عبد الله بن يوسف ، أنبأنا مالكٌ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمدٍ مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنينٍ ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولةٌ ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ، فضربتُه من ورائه على حبل عاتقه بالسيف ، فقطعتُ الدرع ، وأقبل عليَّ فضمَّني ضمَّةً وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت ، فأرسلني فلحقت عمر ، فقلت : ما بال الناس ؟ فقال : أمر الله ، عزَّ وجلَّ . ثم رجعوا ، وجلس رسول الله ﷺ فقال : « من قتل قتيلاً له عليه بيِّنةٌ فله سلبه » . فقمت فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، فقال رسول الله ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي ؟ ثم جلست ، ثم قال رسول الله ﷺ مثله ، فقمت فقال : « ما لك يا أبا قتادة ؟ » فأخبرته ، فقال رجلٌ : صدق ، سلبُه عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكرٍ : لاها الله إذاً لا يعمِد إلى أَسدٍ من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « صدق فأعطه » . فأعطانيه فابتعت به مخرَفاً في بني سلمة ، فإنه لأول مالٍ تأثَّلته في الإسلام .

ورواه بقية الجماعة إلاّ النسائيَّ[(٥)] من حديث يحيى بن سعيدٍ به .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٧٦) (٧٩) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٣٥) .
(٣) في « المعجم الكبير » (٧/ ٢٠١) رقم (٦٧٢٤) والبيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٣٥ ـ ١٣٦) وغيرهما ، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٣٢١) .
(٥) رواه مسلم رقم (١٧١٥) وأبو داود رقم (٢٧١٧) والترمذي رقم (١٥٦٢) وابن ماجه رقم (٢٨٣٧) .

قال البخاريُّ[١] : وقال اللَّيث بن سعدٍ : حدَّثني يحيى بن سعيدٍ ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمدٍ مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنينٍ نظرت إلى رجلٍ من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين ، وآخر من المشركين يختِله من ورائه ليقتُله ، فأسرعت إلى الذي يختِله ، فرفع يده ليضربني فأضربُ يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمَّني ضماً شديداً حتى تخوَّفت ، ثم ترك فتحلَّل ، فدفعتُه ثم قتلته ، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له : ما شأن الناس ؟ قال : أمر الله . ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « من أقام بينةً على قتيلٍ فله سلبه » . فقمت لألتمس بيِّنةً على قتيلي، فلم أر أحداً يشهد لي ، فجلست ، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ، فقال رجلٌ من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يَذكر عندي ، فأرضه مني . فقال أبو بكرٍ : كلا ، لا يعطيه أُصيبع من قريشٍ، ويدع أَسداً من أُسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال : فقام رسول الله فأدَّاه إليَّ، فاشتريت به خرافاً ، فكان أول مالٍ تأثَّلته . وقد رواه البخاريُّ في موضعٍ آخر ومسلمٌ ، كلاهما عن قتيبة ، عن الليث بن سعدٍ به ، وقد تقدم من رواية نافعٍ أبي غالبٍ ، عن أنسٍ أن القائل لذلك عمر بن الخطاب، فلعله قاله متابعةً لأبي بكرٍ الصديق ، ومساعدةً وموافقةً له ، أو قد اشتبه على الراوي ، والله أعلم .

وقال الحافظ البيهقيُّ[٢] : أنبأنا الحاكم ، أنبأنا الأصمُّ ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبَّار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني عاصم بن عمر ، عن عبد الرحمن بن جابرٍ ، عن أبيه جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم حنينٍ حين رأى من الناس ما رأى : « يا عباس ، ناد : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة » . فأجابوه : لبَّيك لبَّيك . فجعل الرجل يذهب ليعطِف بعيره ، فلا يقدر على ذلك فيقذف درعه في عنقه ، ويأخذ سيفه وقوسه ، ثم يؤمُّ الصوت حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مئةٌ ، فاستعرض الناس فاقتتلوا ، وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم جُعِلت آخراً بالخزرج ، وكانوا صُبُراً عند الحرب ، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال : « الآن حمي الوطيس » . قال : فوالله ما رجعتْ راجعة الناس إلا والأُسارى عند رسول الله ﷺ مكتَّفون ، فقتل الله منهم من قتل ، وانهزم منهم من انهزم ، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناءهم .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، وذكر موسى بن عقبة في « مغازيه »[٣] أن رسول الله ﷺ لما فتح الله عليه مكة وأقرَّ بها عينه ، خرج إلى هوازن ، وخرج معه أهل مكة ، لم يغادر منهم أحداً ركباناً ومشاةً حتى خرج النساء يمشين على غير دينٍ نُظَّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٢) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٢٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٢٩) .

يكرهون مع ذلك أن تكون الصَّدمة برسول الله ﷺ وأصحابه ، قالوا : وكان معه أبو سفيان بن حربٍ وصفوان بن أمية ، وكانت امرأته مسلمةً ، وهو مشركٌ لم يفرَّق بينهما . قالوا : وكان رئيس المشركين يومئذٍ مالك بن عوفٍ النَّصريُّ ، ومعه دُريد بن الصِّمَّة يرعش من الكبر ، ومعه النساء والذَّراريُّ والنَّعم ، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدردٍ عيناً ، فبات فيهم ، فسمع مالك بن عوفٍ يقول لأصحابه : إذا أصبحتم فاحملوا عليهم حملة رجلٍ واحدٍ ، واكسروا أغماد سيوفكم ، واجعلوا مواشيَكم صفّاً ونساءكم صفّاً . فلما أصبحوا اعتزل أبو سفيان ، وصفوان وحكيم بن حزامٍ وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، وصفَّ الناس بعضهم لبعضٍ ، وركب رسول الله ﷺ بغلةً له شهباء فاستقبل الصفوف ، فأمرهم وحضَّهم على القتال وبشَّرهم بالفتح إن صبروا ، فبينما هم كذلك حمل المشركون على المسلمين حملة رجلٍ واحدٍ ، فجال المسلمون جولةً ، ثم ولَّوا مدبرين ، فقال حارثة بن النعمان : لقد حزرت من بقي مع رسول الله ﷺ حين أدبر الناس ، فقلت : مائة رجلٍ . قالوا : ومرَّ رجلٌ من قريشٍ بصفوان بن أمية ، فقال : أبشر بهزيمة محمدٍ وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً . فقال له صفوان : تبشِّرني بظهور الأعراب ! فوالله لربٌّ من قريشٍ أحبُّ إليَّ من ربٍّ من الأعراب . وغضب صفوان لذلك . قال موسى : وبعث صفوان غلاماً له فقال : اسمع لمن الشِّعار ؟ فجاءه فقال : سمعتهم يقولون : يا بني عبد الرحمن ، يا بني عبد الله ، يا بني عبيد الله . فقال : ظهر محمدٌ . وكان ذلك شعارهم في الحرب . قالوا : وكان رسول الله ﷺ لما غشيه القتال قام في الركابين وهو على البغلة ، فرفع يديه إلى الله يدعوه يقول : « اللهم إني أَنشُدك ما وعدتني ، اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا » . ونادى أصحابه وذمَّرهم : « يا أصحاب البيعة يوم الحديبية ، الله الله ، الكرَّة على نبيِّكم » . ويقال : حرَّضهم فقال : « يا أنصار الله وأنصار رسوله ، يا بني الخزرج ، يا أصحاب سورة البقرة » . وأمر من أصحابه من ينادي بذلك . قالوا : وقبض قُبضةً من الحصباء ، فحصب بها وجوه المشركين ونواحيهم كلَّها ، وقال : « شاهت الوجوه » . وأقبل أصحابه إليه سراعاً يبتدرون . وزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « الآن حمي الوطيس » . فهزم الله أعداءه من كلِّ ناحيةٍ حصبهم منها ، واتَّبعهم المسلمون يقتلونهم ، وغنَّمهم الله نساءهم وذراريَّهم ، وفرَّ مالك بن عوفٍ حتى دخل حصن الطائف هو وأناسٌ من أشراف قومه ، وأسلم عند ذلك ناسٌ كثيرٌ من أهل مكة حين رأوا نصرَ الله رسولَه ﷺ وإعزازه دينه . رواه البيهقيُّ .

وقال ابن وهبٍ[1] : أخبرني يونس ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني كثير بن العباس بن عبد المطلب قال : قال العباس : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ، فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث لا نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلةٍ بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجُذاميُّ ، فلمَّا التقى الناس ولَّى المسلمون

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٣٧) .

مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس : وأنا آخذٌ بلجامها أكفُّها إرادة أن لا تسرع ، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أي عباس ، نادِ اصحاب السَّمرة » . قال : فوالله لكأنَّما عَطفتُهم حين سمعوا صوتي عطفةَ البقرة على أولادها ، فقالوا : يا لبَّيكاه ، يا لبَّيكاه . قال : فاقتتلوا هم والكفار ، والدعوة في الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار . ثم قُصِرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال : « هذا حين حمي الوطيس » . ثم أخذ صلَّى الله عليه وسلَّم حصياتٍ فرمى بهن في وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا وربِّ محمدٍ » . قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى ـ ، قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحصياته ، فما زلت أرى حدَّهم كليلاً ، وأمرهم مدبراً .

ورواه مسلمٌ[١] ، عن أبي الطاهر ، عن ابن وهبٍ به نحوه . ورواه أيضاً ، عن محمد بن رافعٍ ، عن عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ نحوه .

وروى مسلمٌ[٢] من حديث عكرمة بن عمَّارٍ ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدوَّ تقدَّمت فأعلو ثنيَّةً فاستقبلني رجلٌ من المشركين فأرميه بسهمٍ ، وتوارى عني ، فما دريت ما صنع ، ثم نظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنيَّةٍ أخرى ، فالتقوا هم وصحابة رسول الله ﷺ ، فولَّى أصحاب رسول الله ﷺ وأرجع منهزماً ، وعليَّ بردتان متَّزراً بإحداهما مرتدياً بالأخرى، قال : فاستطلق إزاري فجمعتها جمعاً ومررت على النبيِّ ﷺ وأنا منهزمٌ ، وهو على بغلته الشَّهباء، فقال ﷺ : « لقد رأى ابن الأكوع فزعاً » . فلما غَشوا رسولَ الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قُبضةً من ترابٍ من الأرض واستقبل به وجوههم، وقال : « شاهت الوجوه » . فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القُبضة، فولَّوا مدبرين، فهزمهم الله، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ في « مسنده »[٣] : ثنا حَمَّاد بن سَلَمَة ، عن يعلى بن عطاءٍ ، عن عبد الله بن يسارٍ ، عن أبي عبد الرحمن الفِهْري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في حنينٍ ، فسرنا في يومٍ قائظٍ شديد الحرِّ، فنزلنا تحت ظلال السَّمُر ، فلما زالت الشمس لبست لأمتي ، وركبت فرسي ، فأتيت رسول الله ﷺ وهو في فُسطاطه ، فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قد حان الرَّواح يا رسول الله ؟

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٧٧٥) (٧٦) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١٧٧٧) .
(٣) رقم (١٤٦٨) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » (٥/ ٢٨٦) وهو حديث حسن ، يشهد له معنى حديث سلمة بن الأكوع الذي قبله وحديث العباس عند أحمد (١/ ٢٠٧).

قال : « أجل » . ثم قال رسول الله ﷺ : « قم يا بلال » . فثار من تحت سَمُرةٍ كأن ظلَّه ظلُّ طائرٍ فقال : لبيك وسعديك ، وأنا فداؤك . فقال : « أسرج لي فرسي » . فأتاه بدَفَّتين من ليفٍ ليس فيهما أشرٌ ولا بطرٌ . قال : فركب فرسه فسرنا يومنا ، فلقينا العدوَّ ، وتشامت الخَيْلان ، فقاتلناهم فولَّى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله » . واقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه ، وحدَّثني من كان أقرب إليه مني أنه أخذ حفنةً من التراب ، فحثى بها وجوه العدوِّ وقال : « شاهت الوجوه » . قال يعلى بن عطاءٍ : فحدَّثنا أبناؤهم عن آبائهم قالوا : ما بقي أحدٌ إلا امتلأت عيناه وفمه من التراب ، وسمعنا صلصلةً من السماء ، كمرِّ الحديد على الطَّست الجديد ، فهزمهم الله عزو وجل .

ورواه أبو داود السِّجستانيُّ في « سننه »[١] عن موسى بن إسماعيل ، عن حَمَّاد بن سَلَمة به نحوه .

وقال الإمام أحمدُ[٢] : ثنا عَفَّان ، ثنا عبد الواحد بن زياد ، ثنا الحارث بن حصيرة ، ثنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعودٍ ، عن أبيه قال : قال عبدُ الله بن مسعود : كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولَّى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قَدَماً ، ولم نولّهم الدُّبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة . قال : ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قُدُماً ، فحادت به بغلته ، فمال عن السَّرج ، فقلت له : ارتفع رفعك الله . فقال : « ناولني كفّاً من تراب » . فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً ، قال : « أين المهاجرون والأنصار ؟ » قلت : هم أولاء . قال : « اهتف بهم » . فهتفت بهم ، فجاؤوا وسيوفهم بأيمانهم كأنَّها الشُّهب ، وولَّى المشركون أدبارهم . تفرَّد به أحمد .

وقال البيهقيُّ[٣] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القَنطريُّ ، ثنا أبو قلابة ، ثنا أبو عاصم ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطَّائفيُّ ، أخبرني عبد الله بن عياض بن الحارث الأنصاريُّ ، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أتى هوازن في اثني عشر ألفاً ، فقُتل من أهل الطائف يوم حنين مثل من قُتل يوم بدر . قال : وأخذ رسول الله ﷺ كفّاً من حصىً ، فرمى بها وجوهنا فانهزمنا .

ورواه البخاريُّ في « تاريخه »[٤] ولم ينسب عِياضاً .

وقال مسدَّدٌ : ثنا جعفر بن سليمان ، ثنا عوف ، ثنا عبد الرحمن مولى أمِّ بُرْثُن ، عمن شهد حُنيناً

---

(١) رقم (٥٢٣٣) ، وهو حديث حسن ، كما في حديث أحمد الذي قبله .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٥٣) ، وفي إسناده ضعف .
(٣) في « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٢) .
(٤) انظر « التاريخ الكبير » (٧/ ١٩) .

كافراً قال : لما التقينا نحن ورسول الله ﷺ والمسلمون ، لم يقوموا لنا حلب شاةٍ ، فجئنا نهُشُّ سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ ، حتى إذا غشيناه ، فإذا بيننا وبينه رجالٌ حسان الوجوه فقالوا : شاهت الوجوه ، فارجعوا . فهُزِمنا من ذلك الكلام . رواه البيهقيُّ[١] .

وقال يعقوب بن سفيان[٢] : ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، حدَّثني محمد ابن عبد الله الشُّعيثيُّ ، عن الحارث بن بدل النَّصريِّ ، عن رجلٍ من قومه شهد ذلك يوم حنين ، وعمرو بن سفيان الثَّقفيِّ قال : انهزم المسلمون يوم حنين ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عباسٌ وأبو سفيان بن الحارث . قال : فقبض رسول الله ﷺ قُبضةً من الحصباء ، فرمى بها في وجوههم . قال : فانهزمنا فما خيِّل إلينا إلا أنَّ كلَّ حجرٍ أو شجرٍ فارسٌ يطلبنا . قال الثَّقفيُّ : فأعجزتُ على فرسي حتى دخلت الطائف .

وروى يونس بن بُكير في « مغازيه »[٣] عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله[٤] أنه لم يبق مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين إلا رجلٌ واحدٌ اسمه زيدٌ .

وروى البيهقيُّ[٥] من طريق الكُدَيميِّ ، ثنا موسى بن مسعودٍ ، ثنا سعيد بن السائب بن يسار الطائفيُّ ، عن السائب بن يسار ، عن يزيد بن عامر السُّوائيِّ أنه قال : عند انكشافةٍ انكشفها المسلمون يوم حنين فتبعهم الكفار ، وأخذ رسول الله ﷺ قبضةً من الأرض ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها وجوههم وقال : « ارجعوا شاهت الوجوه » . فما أحدٌ يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذىً في عينيه .

ثم روى[٦] من طريقين ، عن أبي حذيفة ، ثنا سعيد بن السَّائب بن يسار الطائفيُّ ، حدَّثني أبي السائب بن يسار ، سمعت يزيد بن عامرٍ السُّوائيَّ ـ وكان شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعدُ ـ قال : فنحن نسأله عن الرُّعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين كيف كان ؟ قال : فكان يأخذ لنا بحصاةٍ فيرمي بها في الطَّست فيطِنُّ . قال : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقال البيهقيُّ[٧] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ومحمد بن موسى بن الفضل قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا العباس ، عن محمد بن بكير الحضرميِّ ، ثنا أيوب بن جابر ، عن صدقة بن

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/١٤٣) .
(٢) انظر « المعرفة والتاريخ » (١/٣٢٧) .
(٣) وهو مرسل ، البزار في « كشف الأستار » رقم (١٨٢٨) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه موصولاً . قال البزار : لا نعلم رواه إلا بريدة ، ولا رواه عن عبد الله إلا يوسف بن صهيب ، وهو كوفي مشهور .
(٤) يعني عبد الله بن بريدة .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/١٤٣) .
(٦) يعني البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/١٤٤) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٤٥) .

سعيدٍ ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والله ما أخرجني إسلامٌ ولا معرفةٌ به ، ولكن أبيت أن تظهر هوازن على قريش ، فقلت وأنا واقفٌ معه : يا رسول الله ، إني أرى خيلاً بُلقاً . فقال : « يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافرٌ » . فضرب يده في صدري ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثانية فقال : « اللهم اهد شيبة » . ثم ضربها الثالثة ، ثم قال : « اللهم اهد شيبة » . قال : فوالله ما رفع يده عن صدري في الثالثة حتى ما كان أحدٌ من خلق الله أحبَّ إليَّ منه . ثم ذكر الحديث في التقاء الناس ، وانهزام المسلمين ، ونداء العباس ، واستنصار رسول الله ﷺ حتى هزم الله المشركين .

وقال البيهقيُّ[١] : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، ثنا أبو محمدٍ أحمد بن عبد الله المزنيُّ ، ثنا يوسف بن موسى ، ثنا هشام بن خالدٍ ، ثنا الوليد بن مسلم ، حدَّثني عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر الهذليِّ ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان قال : لما رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين قد عُرِّي ، ذكرت أبي وعمِّي ، وقتل عليٍّ وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري من رسول الله ﷺ . قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائماً ، عليه درعٌ بيضاء كأنها فضةٌ ينكشف عنها العجاج ، فقلت : عمُّه ولن يخذله . قال : ثم جئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابنُ عمِّه ولن يخذله . قال : ثم جئته من خلفه ، فلم يبق إلا أن أُساوره سَوْرةً بالسيف إذْ رفع شُواظٌ من نار بيني وبينه ، كأنه برقٌ ، فخفت أن يمحشني ، فوضعت يدي على بصري ومشيت القهقرى ، فالتفت رسول الله ﷺ وقال : « يا شيب [يا شيب] ادن مني ، اللهم أذهب عنه الشيطان » . قال : فرفعت إليه بصري ولهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري . فقال : « يا شيب ، قاتل الكُفَّار » .

وقال ابن إسحاق[٢] : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أُدرك ثأري ـ وكان أبوه قد قتل يوم أحدٍ ـ اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله ﷺ لأقتله ، فأقبل شيءٌ حتى تغشَّى فؤادي ، فلم أُطق ذاك وعلمت أنه ممنوع منّي .

وقال محمد بن إسحاق[٣] : وحدَّثني والدي إسحاق بن يسار ، عمن حدَّثه ، عن جبير بن مطعمٍ قال : إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذ نظرتُ إلى مثل البِجاد الأسود يهوي من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نملٌ منثورٌ قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشكُّ

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٤٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .

أنها الملائكة . ورواه البيهقيُّ ، عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق به . وزاد : فقال خَديج بن العوجاء النَّصريُّ ـ يعني في ذلك ـ : [من الطويل]

ولما دَنَونا من حُنينٍ ومائه ... رأينا سواداً مُنْكَرَ اللَّونِ أَخْصَفا
بملمومةٍ شهباءَ لو قَذفوا بها ... شَمَاريخَ من عَروى إذاً عادَ صَفْصَفَا
ولو أنَّ قومي طاوعتني سَرَاتُهم ... إذاً ما لقينا العارضَ المتكشِّفا
إذاً ما لقِينا جندَ آل محمدٍ ... ثمانين ألفاً واستَمَدُّوا بخِنْدِفا

وقد ذكر ابن إسحاق[1] من شعر مالك بن عوف النَّصريِّ رئيس هوازن يوم القتال وهو في حومة الوغى يرتجز ويقول : [من الرجز]

أَقْدِمْ مُحاجُ إنَّه يومٌ نُكُرْ ... مثلي على مِثْلكَ يَحمي ويكُرّ
إذا أُضيع الصَّفُّ يوماً والدُّبُرْ ... ثم احزألَّت زمرٌ بعد زُمرْ
كتائبٌ يكِلُّ فيهن البَصر ... قد أطعُنُ الطَّعنة تقذي بالسُّبُرْ
حينَ يُذَمُّ المُسْتكينُ المُنْجَحِرْ ... وأطْعُنُ النَّجْلاءَ تَعْوِي وتَهرّ
لها مِن الجَوْفِ رَشاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَقُ تاراتٍ وحيناً تَنْفَجِرْ
وثَعْلَبُ العاملِ فيها مُنْكَسِرْ ... يا زينُ يا بنَ هَمْهَمٍ أين تَفِرّ
قد نَفِذ الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ ... قد علِم البيضُ الطَّويلاتُ الخُمُرْ
أنِّيَ في أمثالِها غيرُ غَمِرْ ... إذ تَخْرُجُ الحاضِنُ مِن تحتِ السُّتُرْ

وذكر البيهقيُّ[2] من طريق يونس بن بكيرٍ ، عن أبي إسحاق أنه أنشد من شعر مالكٍ أيضاً حين ولَّى أصحابه منهزمين ، وذلك قوله بعد ما أسلم ، وقيل : هي لغيره : [من البسيط]

اذكُرْ مسيرَهمُ للناسِ كلِّهمُ ... ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ
ومالكٌ مالكٌ ما فوقَه أحدٌ ... يومَ حنينٍ عليه التاجُ يأْتَلِقُ
حتى لقُوا الناسَ حينَ البأسِ يَقْدُمُهمْ ... عليهم البَيْضُ والأبْدانُ والدَّرَقُ
فضارَبوا الناسَ حتى لم يَرَوْا أحَداً ... حولَ النبيِّ وحتى جَنَّه الغَسَقُ
حتى تنَزَّل جبريلٌ بنصرِهمُ ... فالقومُ منهزمٌ منا ومُعْتَلِقُ
منا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلُنا ... لَمَنَّعَتْنا إذاً أسيافُنا الغُلُقُ
وقد وفَى عمرُ الفاروقُ إذ هزَموا ... بطعنةٍ بلَّ منها سَرجَه العَلَقُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٤٧) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٤٧) .

قال ابنُ إسحاق[١] : ولما هزم الله المشركين ، وأمكن الله ورسوله ﷺ منهم ، قالت امرأةٌ من المسلمين : [من الرجز]

قد غلَبَتْ خيلُ الله خيلَ اللاَّتْ   واللهُ أَحَـــقُّ بـــالثَّبـــاتْ

قال ابن هشامٍ : وقد أنشدنيه بعض أهل الرواية للشعر : [من الرجز]

غلَبْتِ خيـلَ الله خيـلَ الـلاّتِ   وخيلُــه أحـــقُّ بـــالثَّبـــاتِ

قال ابن إسحاق[٢] : فلما انهزمت هوازن استحرَّ القتل من ثقيفٍ في بني مالكٍ ، فقُتِل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، وكانت مع ذي الخِمار ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيبٍ ، فقاتل بها حتى قتل ، فأخبرني عامر بن وهب بن الأسود أن رسول الله ﷺ لما بلغه قتله قال : « أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشاً » .

وذكر ابن إسحاق[٣] ، عن يعقوب بن عُتبة أنه قتل مع عثمان هذا غلامٌ له نصرانيٌّ ، فجاء رجلٌ من الأنصار ليسلُبه ، فإذا هو أغرل ، فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب ، يعلم الله أن ثقيفاً غُرْلٌ . قال المغيرة بن شعبة الثقفيُّ : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل كذلك ، فداك أبي وأمي ، إنما هو غلامٌ لنا نصرانيٌّ . ثم جعلتُ أكشف له القتلى فأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى ؟

قال ابن إسحاق[٤] : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرةٍ ، وهرب هو وبنو عمِّه وقومُه ، فلم يُقتل من الأحلاف غير رجلين ؛ رجلٌ من بني غِيَرة يقال له : وهبٌ . ورجلٌ من بني كُبَّة يقال له : الجُلاح . فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح : « قتل اليوم سيد شباب ثقيفٍ ، إلا ما كان من ابن هنيدة » . يعني الحارث بن أويسٍ .

قال ابن إسحاق[٥] : فقال العباس بن مِرْدَاسٍ[٦] يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه وذا الخِمار وحبسه نفسه وقومه للموت : [من الوافر]

ألا مَـن مُبْلِـغٌ غَيْـلانَ عنِّـي   وسـوف إخـالُ يـأتيـه الخَبيـرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٤٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٠) .
(٦) الأبيات في« ديوانه » ص (٦٨ـ٧١) .

وعـروةَ إنمـا أُهْـدِي جـوابـاً ... وقـولاً غيـرَ قـولِكمـا يَسيـرُ
بـأنَّ محمـداً عبـدٌ رسـولٌ ... لـربٍّ لا يَضِـلُّ ولا يَجـورُ
وجَـدْنـاه نبيّـاً مثـلَ مـوسـى ... فكـلُّ فتـىً يُخـايِـرُه مَخيـرُ
وبئـس الأمـرُ أمـرُ بنـي قَسِـيٍّ ... بـوَجٍّ إذ تُقُسِّمَـت الأمـورُ
أضـاعـوا أمْـرَهـم ولكـلِّ قـومٍ ... أميـرٌ والـدوائـرُ قـد تَـدورُ
فجِئْنـا أُسْـدَ غـابـاتٍ إليهـم ... جنـودُ الله ضـاحيـةً تَسيـرُ
نـؤُمُّ الجمـعَ جمـعَ بنـي قسـيٍّ ... علـى حَنَـقٍ نَكـادُ لـه نَطِيـرُ
وأُقْسِـمُ لـو هُـمُ مَكَثـوا لسِـرْنـا ... إليهـم بـالجنـودِ ولـم يَغُـوروا
فكنـا أُسْـدَ لِيَّـةَ ثَـمَّ حتـى ... أَبَحْنـاهـا وأسْلَمَـت النُّصـورُ
ويـومٌ كـان قبـلُ لـدَى حنيـنٍ ... فـأقْلَـع والـدمـاءُ بـه تَمـورُ
مِـن الأيـامِ لـم تَسْمَـعْ كيـومٍ ... ولـم يَسْمَـعْ بـه قـومٌ ذُكـورُ
قتَلْنـا فـي الغُبـارِ بنـي حُطَيْـطٍ ... علـى رايـاتِهـا والخيـلُ زُورُ
ولـم يَـكُ ذو الخِمـارِ رئيـسَ قـومٍ ... لهـم عَقْـلٌ يُعـاقِـبُ أو نَكِيـرُ
أقـام بهـم علـى سَنَـنِ المَنـايـا ... وقـد بـانـت لمُبْصِـرِهـا الأمـورُ
فـأفْلَـتَ مَـن نجـا منهـم جَـرِيْضـاً ... وقُتِّـلَ منهـمُ بَشَـرٌ كثيـرُ
ولا يُغْنـي الأمـورَ أخـو التَّـوانـي ... ولا الغَلِـقُ الصُّـرَيِّـرَةُ الحَصـورُ
أحـانهـمُ وحـان ومَلَّكـوه ... أمـورَهـمُ وأَفْلَتَـتِ الصُّقـورُ
بنـو عـوفٍ تَمِيـحُ بهـم جِيـادٌ ... أُهِيـنَ لهـا الفَصـافِـصُ والشَّعيـرُ
فلـولا قـاربٌ وبنـو أبيـه ... تُقُسِّمَـت المَـزارِعُ والقُصـورُ
ولكـنّ الـرِّيـاسـةَ عُمِّمـوهـا ... علـى يُمْـنٍ أشـار بـه المُشِيـرُ
أطـاعـوا قـارِبـاً ولهـم جُـدُودٌ ... وأحْـلامٌ إلـى عِـزٍّ تَصيـرُ
فـإن يُهْـدَوْا إلـى الإسـلامِ يُلْفَـوا ... أُنُـوفَ النـاسِ مـا سمَـر السَّمِيـرُ
فـإن لـم يُسْلِمـوا فهُـمُ أذانٌ ... بحـربِ الله ليـس لهـم نَصِيـرُ
كمـا حَكَّـتْ بنـو سَعْـدٍ وحـربٍ ... بـرَهْـطِ بنـي غَـزِيَّـةَ عَنْقَفِيـرُ
كـأنَّ بنـي مُعـاويـةَ بـنِ بكـرٍ ... إلـى الإسـلامِ ضَـائِنـةٌ تَخـورُ
فقلْنـا أسْلِمـوا إنـا أخـوكـم ... وقـد بـرَأت مِـن الإحَـنِ الصُّـدورُ
كـأن القـومَ إذ جـاؤوا إلينـا ... مِـن البَغْضـاءِ بعـدَ السِّلْـمِ عُـورُ

* * *

فصــلٌ

ولما انهزمت هَوَازن وقف ملكُهم مالك بن عوفٍ النَّصريُّ على ثنيَّةٍ مع طائفةٍ من أصحابه ، فقال : قفوا حتى تجوز ضعفاؤكم وتلحق أُخراكم .

قال ابن إسحاق (١) : فبلغني أن خيلاً طلعت ، ومالكٌ وأصحابه على الثَّنيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُّهم . فقال : هؤلاء بنو سُليمٍ ، ولا بأس عليكم منهم . فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيلٌ أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضي رماحهم أغفالاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتَهوا إلى أصل الثَّنية سلكوا طريق بني سُليمٍ ، ثم طلع فارسٌ ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى فارساً طويل البادِّ ، واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسه بمُلاءةٍ حمراء . قال : هذا الزبير بن العوام ، وأقِسم باللات ليخالطنَّكم فاثبتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنيَّة أبصر القوم فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

* * *

فصــل

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم ، فجمعت من الإبل والغنم والرقيق ، وأمر أن تساق إلى الجِعْرَانة فتحبس هناك .

قال ابن إسحاق (٢) : وجعل رسول الله ﷺ على الغنائم مسعود بن عمروٍ الغِفاريَّ .

* * *

فصــل

قال ابن إسحاق (٣) : وحدَّثني بعض أصحابنا أن رسول الله ﷺ مرَّ يومئذٍ بامرأةٍ قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصِّفون عليها ، فقال لبعض أصحابه : « أدرك خالداً فقل له : إن رسول الله ﷺ ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأةً أو عسيفاً » . هكذا رواه ابن إسحاق منقطعاً .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٦) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٧) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : ثنا أبو عامرٍ عبد الملك بن عمروٍ ، ثنا المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزِّناد ، حدَّثني المرقَّع بن صيفيٍّ ، عن جدِّه رباح بن ربيعٍ أخي حنظلة الكاتب أنه أخبره أنه خرج مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها ، وعلى مقدِّمته خالد بن الوليد ، فمرَّ رباحٌ وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأةٍ مقتولةٍ مما أصابت المقدِّمة ، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجَّبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ﷺ على راحلته ، فانفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله ﷺ فقال : « ما كانت هذه لتقاتل » . فقال لأحدهم : « الحق خالداً فقل له : لا تقتلنَّ ذرِّيَّةً ولا عسيفاً » .

وكذلك رواه أبو داود ، والنسائيُّ ، وابن ماجه[٢] من حديث المرقَّع بن صيفيٍّ به نحوه .

* * *

سريّة أوطاسٍ[٣]

وكان سببها أن هَوَازن لما انهزمت ذهبت فرقةٌ منهم ، فيهم الرئيس مالك بن عوفٍ النصريُّ ، فلجؤوا إلى الطائف فتحصَّنوا بها ، وسارت فرقةٌ فعسكروا بمكانٍ يقال له : أوطاسٌ . فبعث إليهم رسول الله ﷺ سريةً من أصحابه ، عليهم أبو عامرٍ الأشعريُّ ، فقاتلوهم فغلبوهم ، ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة ، فحاصر أهل الطائف كما سيأتي .

قال ابن إسحاق[٤] : ولما انهزم المشركون يوم حُنينٍ ، أتوا الطَّائف ومعهم مالك بن عوفٍ ، وعسكر بعضهم بأوطاسٍ ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلةَ ، ولم يكن فيمن توجَّه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيفٍ ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثَّنايا . قال : فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان السُّلميُّ ـ ويعرف بابن الدُّغُنَّة[٥] ، وهي أمُّه ـ دريد بن الصِّمَّة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظنُّ أنه امرأةٌ ، وذلك أنه في شجارٍ له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخٌ كبيرٌ ، وإذا دُريد بن الصِّمَّة ، ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريدٌ : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السُّلميُّ . ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئاً ، قال : بئس ما سلَّحتْك أمُّك ، خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في الشِّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام واخفض عن الدِّماغ ، فإني كذلك كنت

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٨٨) ، وإسناده حسن .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٦٦٩) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٨٦٢٥) و(٨٦٢٦) وابن ماجه رقم (٢٨٤٢) ، وهو حديث حسن .

(٣) أوطاس : وادٍ في ديار هوازن . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ١٣٢) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٣) .

(٥) ويقال : بفتح الدال ، وكسر الغين وتخفيف النون .

أضرب الرجال ، ثم إذا أتيتَ أمَّك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصِّمَّة ، فربَّ ـ والله ـ يومٍ منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليمٍ أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشَّف ، فإذا عِجانه وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراءً . فلما رجع ربيعة إلى أمِّه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثاً . ثم ذكر ابن إسحاق ما رثت به عَمرة بنت دريدٍ أباها ، فمن ذلك قولها : [من البسيط]

قالوا قتَلْنا دُريداً قلتُ قد صدَقوا ... فظلَّ دمعي على السِّرْبال منحدرُ[1]

لولا الذي قهر الأقوام كلَّهمُ ... رأتْ سُلَيمٌ وكعبٌ كيف تأْتمِرُ

إذاً لصبَّحَهم غِبّاً وظاهرةً ... حيث استقَرَّت نوَاهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ

قال ابن إسحاق[2] : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبل أوطاس أبا عامرٍ الأشعريَّ ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمي أبو عامرٍ فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعريُّ وهو ابن عمِّه فقاتلهم ، ففتح الله عليه ، وهزمهم الله ، عز وجل ، ويزعمون أن سلمة بن دريدٍ هو الذي رمى أبا عامرٍ الأشعريَّ بسهمٍ ، فأصاب ركبته فقتله ، وقال : [من الرجز]

إن تسْألوا عني فإني سَلَمهْ ... ابنُ سَمادِيرَ لمن توَسَّمهْ

أضْرِبُ بالسيفِ رؤوسَ المُسْلِمَهْ

قال ابن هشامٍ[3] : وحدَّثني من أثق به من أهل العلم بالشعر وحديثه ، أن أبا عامرٍ الأشعريَّ لقي يوم أوطاسٍ عشرة إخوةٍ من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامرٍ ، ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقتله أبو عامرٍ ، ثم جعلوا يحملون عليه وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعةً ، وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامرٍ ، وحمل عليه أبو عامرٍ ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه . فقال الرجل : اللهم لا تشهد عليَّ . فكفَّ عنه أبو عامرٍ ، فأَفلت ، فأسلم بعدُ ، فحسن إسلامه ، فكان النبيُّ ﷺ إذا رآه قال : « هذا شريد أبي عامرٍ » . قال : ورمى أبا عامرٍ أخَوان ؛ العلاء وأوفى أبناء الحارث من بني جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه ، وولَّى الناس أبا موسى ، فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجلٌ من بني جشم يرثيهما : [من المتقارب]

وإن الرَّزيَّة قتل العلاءِ ... وأوفى جميعاً ولم يُسْنَدا

هما القَاتِلان أبا عامرٍ ... وقد كان ذا هبَّةٍ أَرْبَدا

---

(١) كذا في (آ) و(ط) وفي « السيرة النبوية » لابن هشام : « ينحدرُ » .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٤٥٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢ / ٤٥٧) .

هما تركاه لدى مَعْركٍ ... كأنَّ على عطفه مُجْسَدا

فلم يَرَ في الناس مثليهما ... أقلَّ عِثاراً وأرمى يَدا

وقال البخاريُّ[١] : ثنا محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من حنينٍ بعث أبا عامرٍ على جيشٍ إلى أوطاسٍ ، فلقي دُريد بن الصِّمَّة ، فقتل دريدٌ وهزم الله أصحابه .

قال أبو موسى : وبعثني مع أبي عامرٍ ، فرمي أبو عامرٍ في ركبته ، رماه جُشَميٌّ بسهمٍ فأثبته في ركبته . قال : فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمِّ ، من رماك ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال : ذاك قاتلي الذي رماني . فقصدت له فلحقته ، فلما رآني ولَّى ، فاتَّبعته وجعلت أقول له : ألا تستحي ؟ ألا تثبت ؟ فكفَّ ، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلتُه ، ثم قلت لأبي عامرٍ : قتل الله صاحبك . قال : فانزع هذا السهم . فنزعته فنزا منه الماء . قال : يا بن أخي أقرئ رسول الله ﷺ السلام ، وقل له : استغفر لي . واستخلفني أبو عامرٍ على الناس ، فمكث يسيراً ثم مات ، فرجعت فدخلت على رسول الله ﷺ في بيته على سريرٍ مُرَمَّلٍ ، وعليه فراشٌ قد أثَّر رمال السَّرير بظهره وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقوله : قل له : استغفر لي . قال : فدعا بماءٍ فتوضَّأ ، ثم رفع يديه فقال : « اللهم اغفر لعُبَيدٍ أبي عامرٍ » . ورأيت بياض إبطيه ، ثم قال : « اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلقك » . أو « من الناس » . فقلت : ولي فاستغفر . فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيسٍ ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً » . قال أبو بردة : إحداهما لأبي عامرٍ ، والأخرى لأبي موسى ، رضي الله عنهما .

ورواه مسلمٌ[٢] ، عن أبي كريبٍ محمد بن العلاء وعبد الله بن برَّادٍ ، عن أبي أسامة به نحوه .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أنبأنا سفيان ـ هو الثوريُّ ـ عن عثمان البتِّيِّ ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : أصبنا نساءً من سبي أوطاسٍ ولهن أزواجٌ ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواجٌ ، فسألنا النبيَّ ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٢٤] . قال : فاستحللنا بها فروجهن .

وهكذا رواه الترمذيُّ والنسائيُّ[٤] من حديث عثمان البتِّيِّ به .

وأخرجه مسلمٌ في «صحيحه»[٥] من حديث شعبة، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٣) .

(٢) في « صحيحه » رقم (٢٤٩٨) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٧٢) ، وهو حديث صحيح .

(٤) رواه الترمذي رقم (١١٣٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١١٠٩٧) ، وهو حديث صحيح .

(٥) رقم (١٤٥٦) (٣٥) .

وقد رواه الإمام أحمد، ومسلمٌ، وأبو داود، والنسائيُّ[١] من حديث سعيد بن أبي عروبة ـ زاد مسلمٌ : وشعبة ـ والترمذيُّ[٢] من حديث همام بن يحيى ، ثلاثتهم عن قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشميِّ ، عن أبي سعيدٍ أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاسٍ لهن أزواجٌ من أهل الشرك ، فكان أناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كفُّوا وتأثَّموا من غشيانهن ، فنزلت هذه الآية في ذلك : ﴿ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ .

وهذا لفظ أحمد بن حنبلٍ ، فزاد في هذا الإسناد أبا علقمة الهاشميَّ ، وهو ثقةٌ ، وكأن هذا هو المحفوظ . والله أعلم .

وقد استدل جماعةٌ من السلف بهذه الآية الكريمة على أن بيع الأمة طلاقها . روي ذلك عن ابن مسعودٍ ، وأُبيِّ بن كعبٍ ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباسٍ ، وسعيد بن المسيَّب ، والحسن البصريِّ ، وخالفهم الجمهور مستدلين بحديث بَرِيرة ، حيث بيعت ثم خيِّرت في فسخ نكاحها أو بقائه ، فلو كان بيعها طلاقاً لها لما خيِّرت ، وقد تقصَّينا الكلام على ذلك في « التفسير » بما فيه كفايةٌ ، وسنذكره إن شاء الله في « الأحكام الكبير » . وقد استدل جماعةٌ من السلف على إباحة الأمة المشركة بهذا الحديث في سبايا أوطاسٍ ، وخالفهم الجمهور ، وقالوا : هذه قضية عَينٍ ، فلعلهن أسلمن أو كنَّ كتابياتٍ ، وموضع تقرير ذلك في « الأحكام الكبير » إن شاء الله تعالى .

***

فصل

فيمن استشهد يوم حنينٍ وسرية أوطاسٍ

أيمن ابن أمِّ أيمن مولى رسول الله ﷺ ، وهو أيمن بن عُبيدٍ[٣] ، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسدٍ[٤] ؛ جمح به فرسه الذي يقال له : الجناح . فمات ، وسُرَاقَة بن مالك بن الحارث بن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٨٤) ومسلم رقم (١٤٥٦) (٣٣) و(٣٤) وأبو داود رقم (٢١٥٥) والنسائي رقم (٣٣٣٣) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠١٦) ، وهو حديث صحيح .

(٣) انظر ترجمته في « الإصابة » (١/ ٩٢) .

(٤) انظر ترجمته في « الإصابة » (٣/ ٦٥٥) .

عديٍّ الأنصاريُّ[١] ، من بني العجلان ، وأبو عامرٍ الأشعريُّ[٢] ، أمير سرية أوطاسٍ ، فهؤلاء أربعةٌ ، رضي الله عنهم .

***

فصل

فيما قيل من الأشعار في غزوة هوازن

فمن ذلك قول بُجَير بن زُهير بن أبي سُلمى[٣] : [من الكامل]

لولا الإلهُ وعبدُه ولَّيتمُ ... حين استخفَّ الرُّعب كُلَّ جَبانِ

بالجِزْع يوم حَبَا لنا أَقْرانُنَا ... وسوابحٌ يكبون للأذقانِ

من بين ساعٍ ثوبُهُ في كفِّه ... ومقطَّرٍ بسنابكٍ ولَبانِ

واللهُ أكرمنا وأظهر دِيْنَنَا ... وأعزَّنا بعبادَةِ الرّحمنِ

والله أَهْلَكَهُمْ وفرَّق جَمْعَهُمْ ... وأَذَلَّهُمْ بعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ

قال ابن هشامٍ : ويروي فيها بعض الرُّواة :

إذ قامَ عَمُّ نبيِّكم ووليُّهُ ... يَدْعُون يا لَكتيبةِ الإيمانِ

أَيْنَ الذين هُمُ أَجَابُوا ربَّهُمْ ... يومَ العُرَيْضِ وبَيْعَةِ الرِّضْوانِ

وقال عباس بن مِرْدَاسٍ السُّلَميُّ[٤] : [من الوافر]

فإني والسَّوابحُ يومَ جمعٍ ... وما يَتْلو الرسولُ مِن الكتابِ

لقد أحْبَبْتُ ما لَقِيَتْ ثقيفٌ ... بجَنْبِ الشِّعْبِ أمسِ مِن العذابِ

هُمُ رأسُ العدوِّ مِنَ اهلِ نجدٍ ... فقتْلُهُمُ ألذُّ مِن الشرابِ

هزَمْنا الجمعَ جمعَ بني قَسيٍّ ... وحَكَّتْ بَرْكَها ببني رِئابِ

---

(١) انظر ترجمته في « الإصابة » (٢/ ١٨) وقيل في اسمه (سُرَاقة بن الحارث بن عدي) كما في « تجريد أسماء الصحابة » (١/ ٢٠٩) و« الفصول في سيرة الرسول » للمؤلف ص (٢٠٧) و(سُرَاقة بن الحباب بن عدي) كما في « الإصابة » لابن حجر ، وأما لفظ (ابن مالك) الذي ورد في الكتاب عندنا فيبدو أنه سبق قلم من المؤلف رحمه الله ، أو أنه مقحم في نسخ الكتاب من النسَّاخ .

(٢) انظر ترجمته في « الإصابة » (٤/ ١٢٣) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٥٩) و« الروض الأُنف » (٧/ ١٤٨) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » ص(٤٧ ـ ٤٨) جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري .

وصِـرْمـاً مِـن هـلالٍ غـادَرَتْهـم ... بـأوطـاسٍ تُعَفَّـرُ بـالتُّـرابِ
ولـو لاقَيْـن جمـعَ بنـي كِـلابٍ ... لقـام نسـاؤُهـم والنَّقْـعُ كـابـي
ركَضْنـا الخيـلَ فيهـم بيـنَ بُـسٍّ ... إلـى الأوْرالِ تَنْحِـطُ بـالنِّهـابِ
بـذي لَجَـبٍ رسـولُ الله فيهـم ... كتيبتُـه تَعَـرَّضُ للضِّـرابِ

وقال عباس بن مرداسٍ[1] أيضاً : [من الكامل]

يـا خـاتَـمَ النُّبـآءِ إنـك مُـرْسَـلٌ ... بـالحَقِّ كـلُّ هُـدَى السَّبيـلِ هُـداكَـا
إن الإلـهَ بنَـى عليـك محبـةً ... فـي خَلْقِـه ومحمـداً سمَّـاكـا
ثـم الـذيـن وفَـوْا بمـا عـاهَـدْتَهـم ... جنـدٌ بعَثْـتَ عليهـمُ الضَّحَّـاكَـا
رجـلاً بـه ذَرَبُ السِّـلاحِ كـأنـه ... لَمَّـا تكنَّفـه العـدوُّ يَـراكَـا
يَغْشَى ذَوِي النَّسبِ القَريبِ وإنما ... يَبْغِـي رِضـا الـرَّحمـنِ ثـم رِضـاكَـا
أُنْبِيـك أنّـي قـد رأيـتُ مَكَـرَّهُ ... تحـتَ العَجـاجـةِ يَـدْمَـغُ الإشْـراكَـا
طَـوْراً يُعـانِـقُ بـاليـديـن وتـارةً ... يَفْـرِي الجَمـاجـمَ صـارمـاً بَتَّـاكَـا
يغْشَـى بـه هـامَ الكُمـاةِ ولـو تَـرى ... منـه الـذي عـايَنْـتُ كـان شِفـاكَـا
وبنـو سُلَيْـمٍ مُعْنِقـون أمـامَـه ... ضَـرْبـاً وطعنـاً فـي العـدوِّ دِراكَـا
يمشـون تحـتَ لـوائِـه وكـأنَّهـم ... أُسْـدُ العَـريـنِ أرَدْنَ ثـمَّ عِـراكَـا
مـا يَـرْتجـون مِـن القـريـبِ قَـرابـةً ... إلا لطـاعـةِ ربِّهـم وهَـواكَـا
هـذي مشـاهـدُنـا التـي كـانـت لنـا ... مَعْـروفـةً ووليُّنـا مَـوْلاكَـا

وقال عباس بن مرداسٍ[2] أيضاً : [من الطويل]

عَفـا مِجْـدَلٌ مِـن أهلِـه فمُتـالِـعُ ... فمِطْلَـى أَريـكٍ قـد خَـلا فـالمَصانِـعُ
دِيـارٌ لنـا يـا جُمْـلُ إذ جُـلُّ عَيْشِنـا ... رَخِيٌّ وصَرْفُ الدَّهْرِ للحيِّ جامِعُ
حُبَيِّبـةٌ أَلْـوَتْ بهـا غُـرْبَـةُ النَّـوَى ... لِبَيْـنٍ فهـل مـاضٍ مِـن العيـشِ راجِـعُ
فـإن تَبْتغـي الكفـارَ غيـرَ مَلـومـةٍ ... فـإنـي وزيـرٌ للنبـيِّ وتـابـعُ
دعـانـا إليـه خيـرُ وَفـدٍ عَلِمْتُـم ... خُـزَيْمـةُ والمَـرَّارُ منهـم وواسِـعُ
فجِئْنـا بـألـفٍ مِـن سُلَيْـمٍ عليهـمُ ... لَبـوسٌ لهـم مِـن نسـجِ داودَ رائِـعُ
نُبـايِعُـه بـالأخْشَبَيْـن وإنمـا ... يـدَ الله بيـنَ الأخْشَبَيْـن نُبـايِـعُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٢٢ ـ ١٢٣) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » ص(١٠٧ ـ ١٠٩) .

فَجُسْنَـا مـع المهـديِّ مكـةَ عَنْـوةً ... بـأسيـافنـا والنَّقْـع كـابٍ وسـاطِـعُ
عَـلانيَـةً والخيـلُ يَغْشَـى مُتـونَهـا ... حميـمٌ وآنٍ مِـن دمِ الجـوفِ نـاقـعُ
ويـومَ حنيـنٍ حيـنَ سـارت هَـوازنٌ ... إلينـا وضـاقـت بـالنفـوسِ الأضـالـعُ
صبَـرْنـا مـع الضَّحَّـاكِ لا يستَفِـزُّنـا ... قِـراعُ الأعـادي منهـمُ والـوَقـائـعُ
أمـامَ رسـولِ الله يَخْفِـقُ فـوقَنـا ... لِـواءٌ كخُـذْروفِ السحـابـةِ لامـعُ
عَشِيَّـةَ ضَحَّـاكُ بـنُ سفيـانَ مُعْتَـصٍ ... بسيـفِ رسـولِ الله والمـوتُ كـانـعُ
نـذُودُ أخـانـا عـن أخينـا ولـو نَـرَى ... مَصـالاً لَكُنَّـا الأقْـرَبيـن نُتـابِـعُ
ولكـنَّ ديـنَ الله ديـنَ محمـدٍ ... رَضِينـا بـه فيـه الهُـدَى والشَّـرائـعُ
أقـام بـه بعـدَ الضَّـلالـةِ أمْـرَنـا ... وليـس لأمـرٍ حمَّـه الله دافـعُ

وقال عباس[1] أيضاً : [من الطويل]

تَقَطَّـعَ بـاقـي وَصْـلِ أُمِّ مُـؤَمَّـلِ ... بعـاقبـةٍ واستَبْـدَلَـت نِيَّـةً خُلْفـا
وقـد حَلَفَـت بـالله لا تَقْطَـعُ القُـوَى ... فمـا صـدَقَـت فيـه ولا بَـرَّتِ الحَلْفـا
خُفـافِيَّـةٌ بَطْـنُ العَقيـقِ مَصِيفُهـا ... وتَحْتَلُّ في البادين وَجْرةَ فالعُرْفا
فـإن تَتْبَـعِ الكفـارَ أمُّ مُـؤَمَّـلٍ ... فقد زَوَّدَت قلبي على نَأيِها شَغْفا
وسـوف يُنَبِّئْهـا الخبيـرُ بـأنَّنـا ... أبَيْنا ولم نَطْلُبْ سِوى ربِّنا حِلْفا
وأنَّـا مـع الهـادي النبـيِّ محمـدٍ ... وفَيْنـا ولـم يسْتَـوفِهـا معشـرٌ ألْفـا
بفتيـانِ صـدقٍ مِـن سُلَيـم أعِـزَّةٍ ... أطاعوا فما يَعْصُون مِن أمرِه حَرْفا
خُفـافٌ وذَكْـوانٌ وعـوفٌ تَخـالُهـم ... مَصاعِبَ زافَتْ في طَروقتِها كُلْفا
كأنَّ النسيجَ الشُّهْبَ والبِيضَ مُلْبَسٌ ... أُسوداً تَلاقَت في مَراصِدِها غُضْفا
بنـا عَـزَّ ديـنُ الله غيـرَ تنَحُّـلٍ ... وزِدْنا على الحيِّ الذي معه ضِعْفا
بمكـةَ إذْ جِئْنـا كـأنَّ لِـواءَنـا ... عُقـابٌ أرادت بعـدَ تحْليقِهـا خَطْفـا
على شُخَّصِ الأبْصارِ تَحْسَب بينَها ... إذا هي جالت في مَراودِها عَزْفا
غـداةَ وَطِئْنـا المشركيـن ولـم نجـدْ ... لأمـرِ رسـولِ الله عَـدْلاً ولا صَـرْفـا
بمُعْتَـرَكٍ لا يَسْمَـعُ القـومُ وسْطَـه ... لنـا زَجْمـةً إلا التَّـذامـرَ والنَّقْفـا
ببِيـضٍ تُطِيـرُ الهـامَ عـن مُسْتَقَـرِّهـا ... ونَقْطِـفُ أعنـاقَ الكُمـاةِ بهـا قَطْفـا
فَكـائِـنْ تـرَكْنـا مِـن قتيـلٍ مُلَحَّـبٍ ... وأرملـةٍ تـدْعـو علـى بعلِهـا لَهْفـا

---

(١) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص(١١٤) .

رِضا الله نَنْوي لا رِضا الناسِ نبْتغي ... ولله ِ مـا يبـدو جميعـاً ومـا يَخْفَـى

قال عباس بن مرداسٍ[١] أيضاً : [من البسيط]

مـا بـالُ عينِـكَ فيهـا عـائـرٌ سَهِـرُ ... مثلُ الحَماطَةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ
عيـنٌ تـأَوَّبهـا مِـن شَجْـوِهـا أرَقٌ ... فـالمـاءُ يَغْمُـرُهـا طَـوْراً ويَنْحَـدِرُ
كـأنَّـه نَظْـمُ دُرٍّ عنـدَ نـاظِمِـه ... تقَطَّـعَ السِّلْـكُ مِنـه فهْـو مُنْتَثِـرُ
يـا بُعْـدَ مَنْـزِلِ مَـن تَـرْجـو مَـوَدَّتَـه ... ومَـن أتَـى دونَـه الصَّمَّـانُ فـالحَفَـرُ
دَعْ ما تقدَّم مِن عهدِ الشبابِ فقد ... ولَّـى الشبابُ وزار الشَّيْبُ والـزَّعَـرُ
واذكُـرْ بـلاءَ سُلَيْـمٍ فـي مـواطِنِهـا ... وفـي سُلَيْـمٍ لأهـلِ الفخـرِ مُفْتَخَـرُ
قَـومٌ هُـمُ نصَـروا الـرحمـنَ واتَّبَعـوا ... ديـنَ الـرسـولِ وأمْـرُ النـاسِ مُشْتَجِـرُ
لا يَغْرِسون فَسِيلَ النخلِ وَسْطَهُم ... ولا تَخـاوَرُ فـي مَشْتـاهُـمُ البقـرُ
إلا سَـوابِـحَ كـالعِقْبـانِ مُقْـرَبَـةً ... فـي دارَةٍ حـولَهـا الأخْطـارُ والعَكَـرُ
تُدْعَى خُفافٌ وعوفٌ في جَوانِبِها ... وحـيُّ ذَكْـوانَ لا مِيـلٌ ولا ضُجُـرُ
الضـاربـون جنـودَ الشِّـرْكِ ضـاحيـةً ... ببطـنِ مكـةَ والأرواحُ تُبْتَـدَرُ
حتـى دفَعْنـا وقَتْـلاهـم كـأنهـمُ ... نخـلٌ بظـاهـرةِ البَطْحـاءِ مُنْقَعِـرُ
ونحـن يـومَ حنيـنٍ كـان مَشْهَـدُنـا ... للـدِّيـنِ عِـزّاً وعنـدَ الله مُـدَّخَـرُ
إذ نَـرْكَـبُ المـوتَ مُخْضَـرّاً بَطـائنُـه ... والخيـلُ يَنْجـابُ عنهـا سـاطعٌ كَـدِرُ
تحـتَ اللِّـواءِ مع الضَّحَّـاكِ يَقْـدُمُنـا ... كما مشَى الليثُ في غاباتِه الخَدِرُ
في مأْزِقٍ مِن مَجَرِّ الحربِ كَلْكَلُها ... تَكـادُ تـأْفُـلُ مِنـه الشمـسُ والقمـرُ
وقـد صبَـرْنـا بـأوطـاسٍ أسِنَّتَنـا ... لله ِ نَنْصُـرُ مَـن شِئْنـا ونَنْتَصِـرُ
حتـى تـأوَّب أقـوامٌ منـازلَهـم ... لولا المليكُ ولولا نحن ما صدَروا
فمـا تَـرى معشـراً قَلُّـوا ولا كثُـروا ... إلا قـدَ أصْبـح منـا فيهـمُ أثَـرُ

وقال عباسٌ[٢] أيضاً : [من الكامل]

يـا أيُّهـا الـرّجـلُ الـذي تَهْـوِي بـه ... وَجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسِمِ عِرْمِسُ[٣]
إمَّـا أتيْـتَ علـى النبـيِّ فقـل لـه ... حقّـاً عليـك إذا اطْمَـأَنَّ المَجْلِـسُ

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(٧٢ ـ ٧٤) .
(٢) أي : ابن مرداس ، والأبيات في « ديوانه » ص(٨٧ ـ ٨٩) .
(٣) أي : شديدة .

يا خيرَ مَن ركِب المَطِيَّ ومَن مشى ... فـوقَ التـرابِ إذا تُعَـدُّ الأنْفُـسُ
إنـا وفَيْنـا بـالـذي عـاهَـدْتَنـا ... والخيـلُ تُقْـدَعُ بـالكُمـاةِ وتُضْـرَسُ
إذْ سـال مِـن أفنـاءِ بُهْثَـةَ كلِّهـا ... جَمْـعٌ تَظَـلُّ بـه المخَـارِمُ تَـرْجُـسُ
حتـى صبَحْنـا أهـلَ مكـةَ فَيْلَقـاً ... شَهْبـاءَ يَقْـدُمُهـا الهُمـامُ الأَشْـوَسُ
مِـن كـلِّ أغْلَـبَ مِـن سُلَيْـمٍ فـوقَـه ... بيضاءُ مُحْكَمَةُ الدِّخالِ وقَوْنَسُ[1]
يَرْوِي القناةَ إذا تَجاسَرَ في الوَغَى ... وتَخـالُـه أسَـداً إذا مـا يَعْبِـسُ
يَغْشَـى الكتيبـةَ مُعْلِمـاً وبكفِّـه ... عَضْـبٌ يَقُـدُّ بـه وَلَـدْنٌ مِـدْعَـسُ[2]
وعلـى حُنيـنٍ قـد وَفَـى مِـن جَمْعِنـا ... ألـفٌ أُمِـدَّ بـه الـرسـولُ عَـرَنْـدَسُ[3]
كـانـوا أمـامَ المـؤمنيـن دَرِيئَـةً ... والشمـسُ يـومئـذٍ عليهـم أشْمُـسُ
نَمْضِـي ويحْـرُسُنـا الإلـهُ بحفظِـه ... واللهُ ليـس بضـائـعٍ مَـن يحْـرُسُ
ولقـد حُبِسْنـا بـالمنـاقِـبِ محْبِسـاً ... رضِـيَ الإلـهُ بـه فنِعْـم المَحْبِـسُ
وغـداةَ أوطـاسٍ شـدَدْنـا شـدةً ... كفَـتِ العـدوَّ وقيـل منهـا يا احبِسـوا
تـدعـو هَـوازِنُ بـالإخـاوةِ بيننـا ... ثَـدْيٌ تمـدُّ بـه هَـوازِنُ أيْبَـسُ
حتـى تـرَكْنـا جمعَهـم وكـأنـه ... عَيْـرٌ تعـاقَبُـه السِّبـاعُ مُفَـرَّسُ

وقال أيضاً[4] ، رضي الله عنه : [من الطويل]

فمَـنْ مُبْلِـغُ الأقـوامِ أن محمـداً ... رسـولَ الإلـهِ راشـدٌ حيث يَمَّمـا
دعـا ربَّـه واستَنْصَـر اللهَ وحـدَه ... فـأصبـح قـد وفَّـى إليـه وأنْعَمـا
سَـرَيْنـا وواعَـدْنـا قُـدَيْـداً محمـداً ... يـؤُمُّ بنـا أمـراً مِـن اللهِ مُحْكَمـا
تَمارَوا بنـا فـي الفجرِ حتى تبَيَّنوا ... مـع الفجـرِ فِتْيـانـاً وغـابـاً مُقَـوَّمـاً
على الخيلِ مَشْدوداً علينا دُروعُنا ... ورَجْـلاً كـدُفَّـاعِ الأَتِـيِّ عَـرَمْـرَمـاً
فـإن سَـراةَ الحـيِّ إن كنـتَ سـائـلاً ... سُلَيـمٌ وفيهـم مِنهـمُ مَـن تسَلَّمـا
وجنـدٌ مِـن الأنصـارِ لا يَخْـذُلـونـه ... أطـاعـوا فمـا يَعْصُـونـه مـا تكَلَّمـا
فإن تَكُ قد أمَّرْتَ في القوم خالداً ... وقـدَّمْتَـه فـإنَّـه قـد تقَـدَّمـا
بجُنـدٍ هـداه اللهُ أنـتَ أميـرُه ... تُصِيبُ به في الحقِّ مَن كان أظْلَما

---

(١) القونس : أعلى بيضة الحديد .
(٢) المدعس : الطعان .
(٣) العرندس : الشديد .
(٤) أي : (العباس بن مرداس) والأبيات في « ديوانه » ص(١٤١ ـ ١٤٣) .

حلَفْــتُ يمينــاً بَــرَّةً لمحمــدٍ ... فـأكْمَلْتُهـا ألفـاً مِـن الخيـلِ مُلْجَمَـا

وقــال نبــيُّ المــؤمنيــن تقَــدَّمــوا ... وحُــبَّ إلينـا أن تكـونَ المُقَــدَّمـا

وبِتْنـا بنَهـيِ المُستـديـرِ ولـم يَكُـنْ ... بنـا الخـوفُ إلا رغْبــةً وتَحَــزُّمَـا

أطَعْنـاكَ حتـى أسْلَـم النـاسُ كلُّهـم ... وحتـى صَبَحْنـا الجمـعَ أهـلَ يَلَمْلَما

يَضِلُّ الحِصانُ الأبْلَقُ الوَرْدُ وَسْطَه ... ولا يطْمَئِـنُّ الشيـخُ حتـى يُسَـوِّمـا

سَمَوْنا لهم وِرْدَ القَطا زَفَّهُ ضُحىً ... وكـلٌّ تَـراهُ عـن أخيـه قَـدَ ٱحْجَمـا

لَــدُنْ غُــدْوةٍ حتـى تـرَكْنـا عَشِيَّــةً ... حُنيناً وقـد سـالـت دَوافِعُـه دَمَـا

إذا شِئْــتَ مِــن كُــلٍّ رأيْـتَ طِمِـرَّةً ... وفـارسَهـا يَهْـوِي ورُمحـاً مُحَطَّمَـا

وقـد أحْـرَزَت مِنـا هَـوازِنُ سَـرْبَهـا ... وحُــبَّ إليهــا أن نَخِيـبَ ونُحْـرَمـا

هكذا أورد الإمام محمد بن إسحاق هذه القصائد من شعر عباس بن مرداسٍ السُّلميِّ ، رضي الله عنه ، وقد تركنا بعض ما أورده من القصائد خشية الإطالة وخوف الملالة ، ثم أورد من شعر غيره أيضاً ، وقد حصل ما فيه كفايةٌ من ذلك . والله أعلم .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة الطَّائف

قال عُرْوَة ، وموسى بن عُقْبَة عن الزهريِّ[١] : قَاتَلَ رسول الله ﷺ يوم حنينٍ ، وحاصر الطّائف في شوالٍ سنة ثمانٍ .

وقال محمد بن إسحاق[٢] : ولما قدم فَلُّ ثقيفٍ الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ، ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عُرْوَةُ بن مسعودٍ ولا غَيْلَان بن سَلَمَة ؛ كانا بجُرَش يتعلَّمان صنعة الدّبابات[٣] ، والمجانيق والضُّبور[٤] .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٥) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٧٨) .

(٣) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ١٢٣) بتحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة ، طبع دار البشير بعَمّان : « الدَّبابات : آلات تصنع من خشب وتغشّى بجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها للأسوار لينقوبها .

(٤) قال الخشني في « شرح غريب السيرة » (٣/ ١٢٣) : « الضُّبور : جلود يُغشى بها يُتقى بها في الحرب » .

قال : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنينٍ ، فقال كعب بن مالكٍ[(١)] في ذلك : [من الوافر]

قضَيْنـا مِـن تِهـامَـة كـلَّ رَيْـبٍ ... وخيبـرَ ثـم أَجْمَمْنـا السُّيـوفـا
نُخَيِّـرُهـا ولـو نطَقَـت لقـالـت ... قَـواطِعُهـنَّ دَوْسـاً أو ثقيفَـا
فلسْـتُ لحـاضـنٍ إن لـم تـرَوْهـا ... بسـاحـةِ دارِكـم منـا أُلـوفـا
وننْتَـزِعُ العُـروشَ ببطـنِ وَجٍّ ... وتُصْبِـحُ دُورُكـم منكـم خُلـوفَـا
ويَـأْتِيكـم لنـا سَـرَعـانُ خيـلٍ ... يُغـادِرُ خلفَـه جمعـاً كثيفَـا
إذا نـزَلـوا بسـاحتِكـم سمِعْتُـم ... لهـا ممـا أنـاخَ بهـا رَجيفَـا
بـأيـديهـم قَـواضِـبُ مُـرْهَفـاتٌ ... يُـزِرْنَ المُصْطَلِيـن بهـا الحتُـوفَـا
كـأمثـالِ العقـائـقِ أخْلَصَتْهـا ... قُيـونُ الهنـدِ لـم تُضْـرَبْ كَتِيفَـا
تَخـالُ جَـدِيَّـةَ الأبْطـالِ فيهـا ... غَـداةَ الـزَّحْـفِ جـادِيّـاً مَـدُوفـا
أجَـدَّهُـمُ أليـس لهـم نَصِيـحٌ ... مِـن الأقـوامِ كـان بنـا عَـرِيفَـا
يُخَبِّـرُهـم بـأنـا قـد جَمَعْنـا ... عِتـاقَ الخيـلِ والنُّجُـبَ الطُّـرُوفـا
وأنَّـا قـد أتَيْنـاهـم بـزَحْـفٍ ... يُحِيـطُ بسـورِ حصنِهـمُ صُفـوفَـا
رئيسُهُـمُ النبـيُّ وكـان صُلْبـاً ... نقـيَّ القلـبِ مُصْطَبِـراً عَـروفَـا
رشيـدَ الأمـرِ ذا حُكْـمٍ وعلـمٍ ... وحِلْـمٍ لـم يَكُـنْ نَـزِقـاً خَفِيفَـاً
نُطِيـعُ نَبِيَّنـا ونُطِيـعُ ربّـاً ... هـو الـرحمـنُ كـان بنـا رؤُوفَـا
فـإن تُلْقُـوا إلينـا السِّلْـمَ نَقْبَـلْ ... ونجْعَلْكـم لنـا عَضُـداً وريفَـا
وإن تـأْبَـوْا نُجاهِـدْكـم ونَصْبِـرْ ... ولا يَـكُ أمْـرُنـا رَعِشـاً ضعيفَـا
نُجـالـدُ مـا بَقِينـا أو تُنِيبـوا ... إلـى الإسـلامِ إذعـانـاً مُضِيفَـا
نُجـاهـدُ لا نُبـالـي مـا لقِينـا ... أأهْلَكْنـا التِّـلادَ أم الطَّـرِيفَـا
وكـم مِـن معشـرٍ ألَبـوا علينـا ... صَميـمَ الجِـذْمِ منهـم والحَلِيفَـا
أتَـوْنـا لا يَـرَوْن لهـم كِفـاءً ... فجَـدَّعْنـا المَسـامـعَ والأُنـوفَـا
بكـلِّ مُهَنَّـدٍ لَيْـنٍ صَقيـلٍ ... نَسـوقُهـمُ بهـا سَـوْقـاً عَنيفَـا
لأمْـرِ الله والإسـلامِ حتـى ... يقـومَ الـدِّيـنُ معتـدلاً حَنيفَـا
وتُنْسَـى الـلاتُ والعُـزَّى ووُدٌّ ... ونَسْلُبَهـا القَـلائـدَ والشُّنـوفَـا
فـأمْسَـوا قـد أقَـرُّوا واطْمَـأنُّـوا ... ومَـن لا يَمْتَنِـعْ يَقْبَـلْ خُسـوفَـا

---

(١) الأبيات في « ديوانه » ص(١٨٨) .

وقال ابن إسحاق[١] : فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عميرٍ الثقفيُّ ـ قلت[٢] : وقد وفد على رسول الله ﷺ بعد ذلك في وفد ثقيفٍ ، فأسلم معهم . قاله موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، وأبو عمر بن عبد البرِّ ، وابن الأثير ، وغير واحدٍ . وزعم المدائنيُّ أنه لم يسلم ، بل صار إلى بلاد الروم فتنصَّر ومات بها ـ : [من الطويل]

فمَن كان يَبْغِينا يريدُ قتالَنا ... فإنا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَريمُها

وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما ترَى ... وكانت لنا أَطْواؤُها[٣] وكُرومُها

وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخْبَرها ذو رأْيِها وحَليمُها

وقد عَلِمَتْ إن قالت الحقَّ أننا ... إذا ما أبَت صُعْرُ الخُدودِ نُقِيمُها

نُقَوِّمُها حتى يَلينَ شَريسُها ... ويُعْرَفَ للحقِّ المُبينِ ظَلومُها

علينا دِلاصٌ مِن تُراثِ مُحَرِّقٍ ... كلَوْنِ السماءِ زيَّنَتْها نُجومُها

نُرَفِّعُها عنا ببِيضٍ صَوارِمٍ ... إذا جُرِّدَت في غَمْرةٍ لا نَشِيمُها

قال ابن إسحاق[٤] : وقال شَدَّاد بن عارضٍ الجُشَميُّ في مسير رسول الله ﷺ إلى الطَّائف : [من البسيط]

لا تَنْصُروا اللاتَ إن الله مُهْلِكُها ... وكيف يُنْصَرُ مَن هوْ ليس ينْتَصِرُ

إن التي حُرِّقَت بالسُّدِّ فاشْتَعَلت ... ولم تُقاتِلْ لدَى أحجارِها هَدَرُ

إن الرسولَ متى ينْزِلْ بلادَكمُ ... يَظْعَنْ وليس بها مِن أهلِها بشَرُ

قال ابن إسحاق[٥] : فسلك رسول الله ﷺ ـ يعني من حُنينٍ إلى الطّائف ـ على نخلَة اليمانية ، ثم على قَرْنٍ ، ثم على المُلَيح ، ثم على بحرة الرُّغاء من لِيَّةَ ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني عمرو بن شعيبٍ أنه ، عليه السلام ، أقاد يومئذٍ ببحرة الرُّغاء حين نزلها بدمٍ ، وهو أول دمٍ أُقيد به في الإسلام ، رجلٌ من بني ليثٍ قتل رجلاً من هذيلٍ فقتله به ، وأمر رسول الله ﷺ ، وهو بلِيَّة ، بحصن مالك بن عوفٍ فهدم .

قال ابن إسحاق : ثم سلك في طريقٍ يقال لها : الضَّيقة . فلما توجَّه رسول الله ﷺ سأل عن اسمها

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨١) .

(٢) القائل هنا (ابن كثير) مؤلف الكتاب معقباً على ابن إسحاق الذي أورد الأبيات التالية في « السيرة النبوية » ونقلها عنه المؤلف .

(٣) الأطواء : الآبار .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨١) .

(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .

فقال : « ما اسم هذه الطريق ؟ » فقيل : الضَّيِّقة . فقال : « بل هي اليُسرى » . ثم خرج منها على نَخِبٍ ، حتى نزل تحت سِدرةٍ يقال لها : الصادرة . قريباً من مال رجلٍ من ثقيفٍ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : « إما أن تخرج إلينا وإما أن نُخرب عليك حائطك » . فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله ﷺ بإخرابه .

وقال ابن إسحاق[١] ، عن إسماعيل بن أُمَيَّة ، عن بُجَير بن أبي بُجَيرٍ ، سمعت عبد الله بن عمروٍ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا قبر أبي رِغالٍ ، وهو أبو ثقيفٍ ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يُدفع عنه ، فلما خرج أصابته النِّقمة التي أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك أنه دفن معه غُصنٌ من ذهبٍ ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه » . قال : فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن .

ورواه أبو داود[٢] ، عن يحيى بن معينٍ ، عن وهب بن جرير بن حازمٍ ، عن أبيه ، عن محمد بن إسحاق به .

ورواه البيهقيُّ[٣] من حديث يزيد بن زُرَيْعٍ عن روح بن القاسم ، عن إسماعيل به أمية به .

قال ابن إسحاق[٤] : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقتل ناسٌ من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، [فكانت النَّبْلُ تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ، فلما أُصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل][٥] فتأخَّروا إلى موضع مسجده ، عليه الصلاة والسلام ، اليوم بالطائف الذي بنته ثقيفٌ بعد إسلامها ، بناه عمرو بن أُمية بن وهبٍ ، وكانت فيه ساريةٌ لا تطلع عليها الشمس صبيحة كلِّ يومٍ إلا سُمع لها نقيضٌ فيما يذكرون . قال : فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلةً .

قال ابن هشامٍ : ويقال : سبع عشرة ليلةً .

وقال عُروة ، وموسى بن عقبة عن الزهريِّ[٦] : ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف وترك السَّبي بالجِعْرانة ، ومُلئت عُرُش مكة منهم ، ونزل رسول الله ﷺ بالأكمة عند حصن الطائف بضع عشرة ليلةً يقاتلهم ويقاتلونه من وراء حصنهم ، ولم يخرج إليه أحدٌ منهم غير أبي بكرة بن مسروحٍ أخي زيادٍ لأمِّه ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وكثرت الجراح ، وقطعوا طائفةً من أعنابهم ليغيظوهم بها ، فقالت لهم ثقيف :

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٦/ ٢٩٧) .
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٨٨) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٦/ ٢٩٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .
(٥) ما بين الحاصرتين تكملة من « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) مصدر المؤلف .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٥٧) .

لا تفسدوا الأموال ، فإنها لنا أو لكم . وقال عروة : أمر رسول الله ﷺ كلَّ رجلٍ من المسلمين أن يقطع خمس نخَلاتٍ أو خمس حُبْلاتٍ ، وبعث منادياً ينادي : « من خرج إلينا فهو حرٌّ » . فاقتحم إليه نفرٌ منهم ، فيهم أبو بكرة بن مسروحٍ أخو زياد بن أبي سفيان لأمِّه ، فأعتقهم ودفع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجلٍ من المسلمين يعوله ويحمله .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يزيد ، ثنا حجاجٌ ، عن الحكم ، عن مِقسَمٍ ، عن ابن عباسٍ أن رسول الله ﷺ كان يعتق من جاءه من العبيد قبل مواليهم إذا أسلموا ، وقد أعتق يوم الطائف رجلين .

وقال أحمد[٢] أيضاً : ثنا عبد القدُّوس بن بكر بن خُنيسٍ ، ثنا الحَجَّاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابن عباسٍ قال : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ، فخرج إليه عبدان فأعتقهما ، أحدهما أبو بكرة ، وكان رسول الله ﷺ يُعتق العبيد إذا خرجوا إليه .

وقال أحمد[٣] أيضاً : ثنا نصر بن بابٍ ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسمٍ ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الطائف : « من خرج إلينا من العبيد فهو حرٌّ » . فخرج عبيدٌ من العبيد فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله ﷺ . هذا الحديث تفرَّد به أحمد ، ومداره على الحَجَّاج بن أرطاة ، وهو ضعيفٌ ، لكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كلَّ عبدٍ جاء من دار الحرب إلى دار الإسلام عتق ، حكماً شرعياً مطلقاً عامّاً .

وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عامّاً ، ولو صَحَّ الحديث لكان التشريع العامُّ أظهر ، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : « من قتل قتيلاً فَلَهُ سَلَبُه »[٤] .

وقد قال يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق[٥] : حدَّثني عبد الله بن المكدَّم الثقفيُّ قال : لما حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف خرج إليه رقيقٌ من رقيقهم ؛ أبو بكرة وكان عبداً للحارث بن كلدة ، والمنبعث وكان اسمه المضطجع ، فسمَّاه رسول الله ﷺ المنبعث ، ويُحنَّس ووَردان ، في رهطٍ من رقيقهم فأسلموا ، فلما قدم وَفْدُ أهل الطائف فأسلموا ، قالوا : يا رسول الله ، ردَّ علينا رقيقنا الذين أتوك . قال : « لا ، أولئك عتقاء الله » . وردَّ على ذلك الرجل ولاء عبده فجعله إليه .

وقال البخاريُّ[٦] : ثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا غندرٌ ، ثنا شعبة ، عن عاصمٍ ، سمعت أبا عثمان قال :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٣٦) ، وهو حديث حسن ، يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .

(٢) في « المسند » (١/ ٢٤٣) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .

(٣) في « المسند » (١/ ٢٤٨) ، وهو حديث حسن يشهد له مرسل عبد الله بن المكدَّم الذي بعده .

(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٢١) ومسلم رقم (١٧٥١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٥٩) .

(٦) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٦) ، ومسلم رقم (٦٣) .

سمعت سعداً ـ وهو أول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ـ وأبا بكرة ـ وكان تسوَّر حصن الطائف في أُناسٍ ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ـ قالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « من ادَّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه ، فالجنة عليه حرامٌ » . ورواه مسلمٌ من حديث عاصمٍ به .

قال البخاريُّ[١] : وقال هشامٌ : أنبأنا معمرٌ ، عن عاصم ، عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النَّهديِّ ، قال : سمعت سعداً وأبا بكرة ، عن النبيِّ ﷺ ، قال عاصمٌ : قلت : لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما . قال : أجل ، أمَّا أحدهما فأول من رمى بسهمٍ في سبيل الله ، وأمَّا الآخر فنزل إلى رسول الله ﷺ ثالث ثلاثةٍ وعشرين من الطائف .

قال محمد بن إسحاق[٢] : وكان مع رسول الله ﷺ امرأتان من نسائه ، إحداهما أمُّ سلمة ، فضرب لهما قبَّتين ، فكان يصلي بينهما ، فحاصرهم وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنَّبْل .

قال ابن هشامٍ[٣] : ورماهم بالمنجنيق ، فحدَّثني من أثق به أن النبيَّ ﷺ أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى به أهل الطائف .

وذكر ابن إسحاق أن نفراً من الصحابة دخلوا تحت دَبَّابةٍ ، ثم زحفوا ليخرقوا جدار أهل الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك الحديد مُحْمَاةً ، فخرجوا من تحتها ، فرمتْهُم ثقيف بالنَّبْل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فحينئذٍ أمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيفٍ ، فوقع الناس فيها يقطِّعون .

قال : وتقدَّم أبو سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة ، فناديا ثقيفاً بالأمان حتى يكلِّماهم ، فأمَّنوهما ، فدعَوا نساءً من قريشٍ وبني كنانة ليخرجن إليهم ـ وهما يخافان عليهن السِّباء إذا فتح الحصن ـ فأبين ، فقال لهما ابن الأسود بن مسعودٍ : ألا أدلُّكما على خيرٍ مما جئتما له ؟ إن مال بني الأسود بن مسعودٍ حيث قد علمتما ـ وكان رسول الله ﷺ نازلاً بوادٍ يقال له : العقيق . وهو بين مال بني الأسود وبين الطائف ـ وليس بالطائف مالٌ أبعد رِشاءً ولا أشدَّ مؤونةً ولا أبعد عِمارةً منه ، وإن محمداً إن قطَّعه لم يعمر أبداً ، فكلِّماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله وللرحم . فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم .

وقد روى الواقديُّ[٤] عن شيوخه نحو هذا ، وعنده أن سلمان الفارسيَّ هو الذي أشار بالمنجنيق وعمله بيده ، وقيل : قدم به وبدبَّابتين . فالله أعلم .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٨٢) .
(٤) انظر « المغازي » (٣/ ٩٢٩) .

وقد أورد البيهقيُّ[١] من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة أن عيينة بن حصنٍ استأذن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام ، فأذن له ، فجاءهم فأمرهم بالثَّبات في حصنهم ، وقال : لا يهولنَّكم قطع ما قطِّع من الأشجار . في كلامٍ طويلٍ ، فلما رجع قال له رسول الله ﷺ : « ما قلت لهم ؟ » قال : دعوتهم إلى الإسلام ، وأنذرتهم النار ، وذكَّرتهم بالجنة . فقال : « كذبت ، بل قلت لهم كذا وكذا » . فقال : صدقت يا رسول الله ، أتوب إلى الله وإليك من ذلك .

وقد روى البيهقيُّ[٢] عن الحاكم ، عن الأصمِّ ، عن أحمد بن عبد الجبار ، عن يونس بن بكيرٍ ، عن هشامٍ الدَّستوائيِّ ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي نجيحٍ السُّلميِّ ؛ وهو عمرو بن عبَسة ، رضي الله عنه ، قال : حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بلغ بسهمٍ فله درجةٌ في الجنة » . فبلَّغت يومئذ ستة عشر سهماً ، وسمعتُه يقول : « من رمى بسهم في سبيل الله ، فهو عَدْل محرَّرٍ ، ومن شاب شيبةً في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، وأيُّما رجلٍ أعتق رجلاً مسلماً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامه وِقاءً ، كلَّ عظم بعظمٍ ، وأيُّما امرأة مسلمةٍ أعتقت امرأةً مسلمةً فإن الله ، عزَّ وجلَّ ، جاعلٌ كلَّ عظمٍ من عظامها وقاء كلِّ عظمٍ من عظامها من النار » .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ وصحَّحه ، والنسائيُّ[٣] ، من حديث قتادة به .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا الحميديُّ ، سمع سفيان ، ثنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن زينب بنت أمِّ سلمة ، عن أمِّ سلمة قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي مخنَّثٌ ، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية : أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخلنَّ هؤلاء عليكن » . قال ابن عيينة : وقال ابن جريجٍ : المخنَّث هِيتٌ . وقد رواه البخاريُّ أيضاً ومسلمٌ من طرقٍ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه به[٥] وفي لفظٍ : وكانوا يرونه من غير أولي الإربة من الرجال . وفي لفظٍ : قال رسول الله ﷺ : « ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا ؟! لا يدخلنَّ عليكن هؤلاء » . يعني إذا كان ممن يفهم ذلك فهو داخلٌ في قوله تعالى : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور : ٣١] . والمراد بالمخنَّث في عرف السلف الذي لا هِمَّة له إلى النساء ، وليس المراد به الذي يُؤتى ؛

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٦٣) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٢/ ١٥٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (٣٩٦٥) والترمذي رقم (١٦٣٨) والنسائي رقم (٣١٤٣) ، وهو حديث صحيح .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٣٢٤) .
(٥) رواه البخاري رقم (٥٢٣٥) ومسلم رقم (٢١٨٠) .

إذ لو كان كذلك لوجب قتله حتماً كما دلَّ عليه الحديث[١] ، وكما قتله أبو بكرٍ الصديق ، رضي الله عنه ، ومعنى قوله : تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . يعني بذلك عُكَن بطنها ، فإنها تكون أربعاً إذا أقبلت ، ثم تصير كلُّ واحدةٍ ثنتين إذا أدبرت ، وهذه المرأة هي بادية بنت غيلان بن سلمة من سادات ثقيفٍ .

وهذا المخنَّث قد ذكر البخاريُّ عن ابن جُريجٍ أن اسمه هِيتٌ ، وهذا هو المشهور .

لكن قال يونس ، عن ابن إسحاق[٢] قال : وكان مع رسول الله ﷺ مولىً لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذٍ مخنَّثٌ يقال له : ماتعٌ . يدخل على نساء رسول الله ﷺ في بيته ، ولا يُرى أنه يفطن لشيءٍ من أمور النساء مما يفطن إليه الرجال ، ولا يُرى أن له في ذلك إرباً ، فسمعه وهو يقول لخالد بن الوليد : يا خالد ، إن افتتح رسول الله ﷺ الطائف فلا تنفلتنَّ منكم بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربعٍ وتدبر بثمانٍ . فقال رسول الله ﷺ حين سمع هذا منه : « ألا أرى هذا يفطن لهذا ؟! » الحديث ، ثم قال لنسائه : « لا يدخلنَّ عليكم » . فحُجِب عن بيت رسول الله ﷺ .

وقال البخاريُّ[٣] : ثنا عليُّ بن عبد الله ، ثنا سفيان ، عن عمروٍ ، عن أبي العباس الشاعر الأعمى ، عن عبد الله بن عمروٍ قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، قال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فثقل عليهم ، وقالوا : نذهب ولا نفتحه؟ فقال : «اغدوا على القتال» . فغدَوا ، فأصابهم جراحٌ ، فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » . فأعجبهم ، فضحك النبيُّ ﷺ . وقال سفيان مرةً : فتبسَّم .

ورواه مسلمٌ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وعنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب[٥] .

واختلف في نُسخ البخاريِّ ؛ ففي نسخةٍ كذلك ، وفي نسخةٍ : عن عبد الله بن عمرو بن العاص . والله أعلم .

وقال الواقديُّ[٦] : حدَّثني كثير بن زيدٍ ، عن الوليد بن رباحٍ ، عن أبي هريرة قال : لما مضت خمس عشرة ليلةً من حصار الطائف استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدُّئليَّ فقال : « يا نوفل ، ما ترى في المقام عليهم ؟ » . قال : يا رسول الله ، ثعلبٌ في جُحرٍ ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرَّك .

---

(١) وهو قوله ﷺ : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٠) وأبو داود رقم (٤٤٦٢) والترمذي رقم (١٤٥٦) وابن ماجة (٢٥٦١) وهو حديث صحيح .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ١٦٠) .

(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٥) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٧٧٨) .

(٥) لكن قال النووي في « شرح مسلم » : هكذا هو في نسخ « صحيح مسلم » : عن عبد الله بن عَمرو ، بفتح العين وهو ابن عمرو بن العاص . وصوّبه الدارقطني من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب .

(٦) انظر « المغازي » (٣/ ٩٣٦) .

قال ابن إسحاق[١] : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكرٍ الصديق وهو محاصرٌ ثقيفاً : « يا أبا بكرٍ ، إني رأيت أني أُهديت لي قَبعةٌ مملوءةٌ زبداً ، فنقرها دِيكٌ ، فهراق ما فيها » . فقال أبو بكرٍ ، رضي الله عنه : ما أظنُّ أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : « وأنا لا أرى ذلك » . قال : ثم إن خويلة بنت حكيمٍ السُّلَمية ، وهي امرأة عثمان بن مظعونٍ قالت : يا رسول الله ، أعطني ـ إن فتح الله عليك الطائف ـ حليَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حليَّ الفارعة بنت عقيلٍ ، وكانتا من أحلى نساء ثقيفٍ ، فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها : « وإن كان لم يؤذن في ثقيفٍ يا خويلة ؟ » . فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حديثٌ حدَّثتْنيه خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : « قد قلته » . قال : أو ما أذن فيهم ؟ قال : « لا » . قال : أفلا أؤذِّن بالرحيل ؟ قال : « بلى » . فأذَّن عمر بالرحيل ، فلما استقلَّ الناس نادى سعيد بن عبيد بن أَسيد بن أبي عمرو بن علاجٍ : ألا إن الحيَّ مقيمٌ . قال : يقول عيينة بن حصنٍ : أجل ، والله مَجَدةً كراماً . فقال له رجلٌ من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمدٌ الطائف ، فأصيب من ثقيفٍ جاريةً أطؤها ، لعلها تلد لي رجلاً ، فإن ثقيفاً مناكير[٢] .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود[٣] ، عن عُرْوَة قصة خويلة بنت حكيم ، وقول رسول الله ﷺ ما قال ، وتأذين عمر بالرحيل ، قال : وأمر رسول الله ﷺ الناس أن لا يسرِّحوا ظهرهم ، فلما أصبحوا ارتحل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ودعا حين ركب قافلاً فقال : « اللهم اهدهم واكفنا مُؤنتهم » .

وروى الترمذيُّ[٤] من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قالوا : يا رسول الله ، أحرقتْنا نبال ثقيفٍ ، فادع الله عليهم . فقال : « اللهم اهد ثقيفاً » . ثم قال : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٥] .

وروى يونس ، عن ابن إسحاق[٦] ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ وعبد الله بن المكدَّم ، عمن أدركوا من أهل العلم قالوا : حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ثلاثين ليلةً أو قريباً من ذلك ، ثم انصرفوا عنهم ،

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٤) .
(٢) جمع منكر ، وهو الداهي الفطن .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٨) .
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٩٤٢) .
(٥) وفيه عنعنة « أبي الزُّبير » فهو ضعيف . لكن رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٣) من طريق عبد الرحمن بن سابط وأبي الزبير عن جابر مقتصراً على قوله « اللهم اهد ثقيفاً » ، وإسناده قوي ، فيتقوى به .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٦٩) .

ولم يؤذن فيهم ، فقدم المدينة ، فجاءه وفدهم في رمضان فأسلموا . وسيأتي ذلك مفصَّلاً في رمضان من سنة تسعٍ إن شاء الله .

وهذه تسمية من استشهد من المسلمين بالطائف فيما قاله ابن إسحاق(١) .

فمن قريشٍ ؛ سعيد بن سعيد بن العاص بن أُمية ، وعُرْفُطَة بن جنّابٍ ، حليفٌ لبني أمية من الأَسد بن الغوث ، وعبد الله بن أبي بكرٍ الصديق ، رمي بسهمٍ فتوفِّي منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي أُمية بن المغيرة المخزوميُّ ، من رميةٍ رُمِيَهَا يومئذٍ ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليفٌ لبني عديٍّ ، والسَّائب بن الحارث بن قيس بن عديٍّ السَّهْمِيُّ ، وأخوه عبد الله ، وجُليحة بن عبد الله من بني سعد بن ليثٍ .

ومن الأنصار ثم من الخزرج ؛ ثابت بن الجِذع السُّلَميُّ ، والحارث بن سهل بن أبي صَعْصَعَة المازنيُّ ، والمنذر بن عبد الله ، من بني ساعدة ، ومن الأوس ، رُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية فقط .

فجميع من استشهد يومئذٍ اثنا عشر رجلاً ؛ سبعةٌ من قريشٍ ، وأربعةٌ من الأنصار ، ورجلٌ من بني ليثٍ ، رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق(٢) : ولما انصرف رسول الله ﷺ راجعاً عن الطائف قال بُجير بن زهير بن أبي سُلْمى يذكر حُنيناً والطّائف(٣) : [من الكامل]

كانت عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ ... وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأَبْرقِ

جَمَعَت بإغْواءٍ هَوازِنُ جَمْعَها ... فتبَدَّدوا كالطائرِ المُتمزِّقِ

لم يَمْنَعوا منا مَقاماً واحداً ... إلا جِدارَهمُ وبطنَ الخندقِ

ولقد تعَرَّضْنا لكيما يَخْرُجوا ... فاسْتَحْصنوا منا ببابٍ مُغْلَقِ

ترْتَدُّ حَسْرَانَا إلى رَجْراجةٍ ... شَهْباءَ تَلْمَعُ بالمنايا فَيْلَقِ

مَلْمومةٍ خضراءَ لو قذَفوا بها ... حَضَناً لظلَّ كأنه لم يُخْلَقِ

مشْيَ الضِّراءِ على الهَراسِ كأننا ... قُدُرٌ تفَرَّقُ في القِيادِ وتَلْتقي

في كلِّ سابغةٍ إذا ما استَحْصَنَت ... كالنِّهي هَبَّت رِيحُه المُتَرَقْرِقِ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٦) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٧) .

(٣) الأبيات في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٧٩) .

جُدُلٌ تَمَسُّ فُضولُهن نِعالَنا مِــن نَسْــجِ داودٍ وآلِ مُحَــرِّقِ

وقال أبو داود[١] : ثنا عمر بن الخطاب أبو حفصٍ ، ثنا الفريابيُّ ، ثنا أبانٌ ـ قال عمر : هو ابن عبد الله بن أبي حازمٍ ـ ، ثنا عثمان بن أبي حازمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه صخرٍ ـ هو ابن الغَيلة الأحمسيُّ ـ أن رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً ، فلما أن سمع ذلك صخرٌ ركب في خيلٍ يُمدُّ النبيَّ ﷺ ، فوجده قد انصرف ولم يفتح ، فجعل صخرٌ حينئذ عهداً وذمّةً لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، وكتب إليه صخرٌ : أما بعد ، فإن ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله ، وأنا مقبلٌ بهم ، وهم في خيلٍ ، فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعةً ، فدعا لأحمس عشر دعواتٍ : « اللهم بارك لأحمس في خيلها ورجالها » . وأتاه القوم ، فتكلَّم المغيرة بن شعبة فقال : يا رسول الله ، إن صخراً أخذ عمَّتي ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون . فدعاه فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم، فادفع إلى المغيرة عمَّته » . فدفعها إليه ، وسأل رسول الله ﷺ ماءً لبني سُليمٍ ، قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء ، فقال : يا رسول الله ، أنزلنيه أنا وقومي . قال : « نعم » . فأنزله ، وأسلم ـ يعني السُّلَميِّين ـ فأتوا صخراً فسألوه أن يدفع إليهم الماء ، فأبى ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أسلمنا وأتينا صخراً ليدفع إلينا ماءنا ، فأبى علينا . فقال : « يا صخر ، إن القوم إذا أسلموا أحْرَزوا أموالهم ودماءهم ، فادفع إليهم ماءهم » . قال : نعم يا نبيَّ الله . فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيَّر عند ذلك حمرةً ؛ حياءً من أخذِه الجارية وأخذه الماء . تفرَّد به أبو داود ، وفي إسناده اختلافٌ .

قلت : وكانت الحكمة الإلهيةُ تقتضي أن يؤخِّر الفتح عامئذٍ ؛ لئلا يستأصلوا قتلاً ، لأنه قد تقدَّم أنه ﷺ لما كان خرج إلى الطائف فدعاهم إلى الله تعالى ، وإلى أن يؤووه حتى يبلِّغ رسالة ربِّه عز وجل ، وذلك بعد موت عمِّه أبي طالبٍ ، فردُّوا عليه قوله وكذَّبوه ، فرجع مهموماً ، فلم يستفق إلا عند قرن الثَّعالب ، فإذا هو بغمامةٍ ، وإذا فيها جبريل ، فناداه ملك الجبال فقال : يا محمد ، إن ربَّك يقرأ عليك السلام ، وقد سمع قول قومك لك ، وما ردُّوا عليك ، فإن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين . فقال رسول الله ﷺ : « بل أستأني بهم ؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئاً »[٢] . فناسب قوله : « بل أستأني بهم » ؛ أن لا يفتح حصنهم لئلا يقتلوا عن آخرهم ، وأن يؤخِّر الفتح ليقدَموا بعد ذلك مسلمين في رمضان من العام المقبل ، كما سيأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٦٧) ، وفي إسناده ضعف ، كما أومأ إليه المصنف في آخر الحديث بقوله : وفي إسناده اختلاف .

(٢) رواه بنحوه البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم رقم (١٧٩٥) .

فصل

في مرجعه ، عليه الصلاة والسلام ، عن الطائف وقِسْمَةِ غنائم هَوَازن التي أصابها يوم حنينٍ قبل دخوله مكة معتمراً من الجعرانة

قال ابن إسحاق[1] : ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا ، حتى نزل الجِعْرَانة فيمن معه من المسلمين ، ومعه من هَوَازن سبيٌ كثيرٌ ، وقد قال له رجلٌ من أَصحابه يوم ظعن عن ثقيفٍ : يا رسول الله، ادع عليهم. فقال: « اللهم اهد ثقيفاً وأْتِ بهم ». قال: ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلافٍ من الذَّراريِّ والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يُدرى عدَّته.

قال ابن إسحاق[2] : فحدَّثني عمرو بن شعيبٍ ـ وفي رواية يونس بن بكيرٍ عنه قال : [حدثنا] عمرو بن شعيبٍ ـ عن أبيه ، عن جدِّه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بحنينٍ ، فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم ، أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصلٌ وعشيرةٌ ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامنن علينا منَّ الله عليك . وقام خطيبهم زهير بن صردٍ أبو صردٍ ، فقال : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر من السبايا خالاتُك [وعماتك] وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا لابن أبي شَمِرٍ أو النعمان بن المنذر ، ثم أصابنا منهما مثل الذي أصابنا منك ، رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت يا رسول الله خير المكفولين ، ثم أنشأ يقول : [من البسيط]

أُمْنُنْ علينا رسولَ الله في كَرَمٍ ... فإنك المرءُ نرجوه وندَّخِرُ
أُمنُنْ على بَيْضةٍ قد عاقَها قدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَملُها في دَهْرِها غِيَرُ
أبْقَت لها الحربُ هُتَّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبِهمُ الغَمَّاءُ والغَمَرُ
إن لم تَدارَكْهُمُ نَعْماءُ تَنْشُرُها ... يا أرجحَ الناسِ حِلْماً حينَ يُخْتَبَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... إذ فوك تَمْلؤُه مِن مَحْضِها الدِّرَرُ
أُمنُنْ على نِسوةٍ قد كنتَ تَرْضَعُها ... وإذْ يَزينُك ما تأتي وما تَذَرُ
لا تَجْعَلَنَّا كمَن شالتْ نَعامَتُه ... واسْتَبْقِ مِنا فإنا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنا لَنشكُرُ آلاءً وإن كُفِرت ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٨٨ ـ ٤٩٠) .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « نساؤكم وأبناؤكم أَحَبُّ إليكم أم أموالكم ؟ » . فقالوا : يا رسول الله ، خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل أبناؤنا ونساؤنا أحبُّ إلينا . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صلَّيت بالناس فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنائنا ونسائنا . فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم » . فلما صلَّى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقال الأقرع بن حابسٍ : أمَّا أنا وبنو تميمٍ فلا . وقال عيينة : أمَّا أنا وبنو فزارة فلا . وقال العباس بن مرداسٍ السُّلميُّ : أما أنا وبنو سليمٍ فلا . فقالت بنو سُليمٍ : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . قال : يقول عباس بن مرداسٍ لبني سُليمٍ : وهَّنتموني . فقال رسول الله ﷺ : « من أمسك منكم بحقِّه فله بكلِّ إنسانٍ ستُّ فرائض من أول فيءٍ نصيبه » . فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم . ثم ركب رسول الله ﷺ واتَّبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى شجرةٍ فانتزعت رداءه ، فقال : « يا أيها الناس ، ردوا عليَّ ردائي ، فوالذي نفسي في يده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نَعَماً لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً » . ثم قام رسول الله ﷺ إلى جنب بعيرٍ فأخذ من سنامه وبرةً فجعلها بين أصبعيه ثم رفعها وقال : « أيها الناس ، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخياط والمِخْيط ، فإنَّ الغلول عارٌ وشنارٌ على أهله يوم القيامة » . فجاء رجلٌ من الأنصار بكبَّةٍ من خيوط شعر فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه لأخيط بها برذعة بعيرٍ لي دَبِرٍ . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا حقي منها فلك » . فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر فيها إلى هذا فلا حاجة لي بها . فرمى بها من يده . وهذا السياق يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام ردَّ إليهم سبيهم قبل القسمة ، كما ذهب إليه محمد بن إسحاق بن يسارٍ ، خلافاً لموسى بن عقبة وغيره .

وفي « صحيح البخاريِّ »[١] من طريق الليث ، عن عقيلٍ ، عن الزهريِّ ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوا أن يردَّ إليهم أموالهم ونساءهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « معي من ترون ، وأحبُّ الحديث إليَّ أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين ؛ إما السَّبي ، وإما المال ، وقد كنتُ استأنيت بكم » . وكان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلةً حين قفل من الطائف ، فلما تبيَّن لهم أن رسول الله ﷺ غير رادٍّ إليهم إلا إحدى الطائفتين ، قالوا : إنا نختار سبينا . فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد ، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أردُّ إليهم سبيهم ، فمن أحبَّ منكم أن

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣١٨) .

يطيِّب ذلك فليفعل ، ومن أحبَّ منكم أن يكون على حظِّه حتى نعطيه إيَّاه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل » . فقال الناس : قد طيَّبنا ذلك يا رسول الله . فقال لهم : « إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممَّن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » . فرجع الناس ، فكلَّمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه بأنهم قد طيَّبوا وأذنوا . فهذا ما بلغنا عن سبي هوازن . ولم يتعرَّض البخاريُّ لمنع الأقرع وعيينة وقومهما ، بل سكت عن ذلك ، والمثبِت مقدَّمٌ على النَّافي ، فكيف الساكت ؟!

وقد روى البخاريُّ[١] من حديث الزهريِّ ، أخبرني عمر بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، أخبره جبير بن مطعمٍ أنه بينما هو مع رسول الله ﷺ ، ومعه الناس مقفَلَه من حنينٍ ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرةٍ فخطِفت رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ ، ثم قال : « أعطوني ردائي ، فلو كان عدد هذه العضاه نَعَماً لقسمته بينكم ، ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً » . تفرَّد به البخاريُّ .

وقال ابن إسحاق[٢] : وحدَّثني أبو وجزة يزيد بن عبيدٍ السَّعديُّ ، أن رسول الله ﷺ أعطى عليَّ بن أبي طالبٍ جاريةً يقال لها : رَيطة بنت هلال بن حيَّان بن عُمَيرة . وأعطى عثمان بن عفان جاريةً يقال لها زينب بنت حيَّان بن عمرو بن حيَّان . وأعطى عمر جاريةً فوهبها لابنه عبد الله .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدَّثني نافعٌ ، عن عبد الله بن عمر قال : بعثت بها إلى أخوالي من بني جُمح ؛ ليصلحوا لي منها ويهيِّئوها ، حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغتُ ، فإذا الناس يشتدُّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا . قلت : تلكم صاحبتكم في بني جمح ، فاذهبوا فخذوها . فذهبوا إليها فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأمَّا عيينة بن حصنٍ فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحيِّ نسباً ، وعسى أن يعظُم فداؤها . فلما ردَّ رسول الله ﷺ السبايا بستِّ فرائض ، أبى أن يردَّها ، فقال له زهير بن صردٍ : خذها عنك ، فوالله ما فوها بباردٍ ، ولا ثديها بناهدٍ ، ولا بطنها بوالدٍ ، ولا زوجها بواجدٍ ، ولا درُّها بماكدٍ . فردَّها بستِّ فرائض . قال : فزعموا أن عيينة لقي الأقرع فشكى إليه بذلك ، فقال : إنَّك والله ما أخذتها بيضاء غريرةً ، ولا نصَفاً وثيرةً .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٠) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٠) .

قال الواقديُّ[١] : ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم بالجعرانة أصاب كلَّ رجلٍ أربعٌ من الإبل وأربعون شاةً .

وقال سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكرٍ أن رجلاً ممن شهد حنيناً قال : والله إني لأسير إلى جنب رسول الله ﷺ على ناقةٍ لي ، وفي رِجلي نعلٌ غليظةٌ ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ﷺ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه ، فقرع قدمي بالسَّوط ، وقال : « أوجعتني فتأخَّر عني » . فانصرفت، فلما كان من الغد إذا رسول الله ﷺ يلتمسني . قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله ﷺ بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقَّع . فقال : « إنك أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني، فقرعت قدمك بالسوط ، فدعوتك لأعوِّضك منها » . فأعطاني ثمانين نعجةً بالضربة التي ضربني .

والمقصود من هذا أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم بعد القسمة ، كما دلَّ عليه هذا السياق وغيره ، وظاهر سياق حديث عمرو بن شعيبٍ الذي أورده محمد بن إسحاق عنه ، عن أبيه ، عن جدِّه أن رسول الله ﷺ ردَّ إلى هوازن سبيهم قبل القسمة ، ولهذا لمَّا ردَّ السَّبي وركب ، علقت الأعراب برسول الله ﷺ يقولون له : اقسم علينا فيئنا . حتى اضطروه إلى سمرةٍ ، فخطِفت رداءه فقال : « ردُّوا عليَّ ردائي أيها الناس ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذَّاباً » . كما رواه البخاريُّ[٢] ، عن جبير بن مطعمٍ بنحوه .

وكأنهم خشُوا أن يردَّ إلى هوازن أموالهم كما رد إليهم نساءهم وأطفالهم ، فسألوه قسمة ذلك ، فقسمها عليه الصلاة والسلام بالجعرانة ، كما أمره الله ، عزَّ وجلَّ ، وآثر أناساً في القسمة ، وتألَّف أقواماً من رؤساء القبائل وأمرائهم ، فعتَب عليه أناسٌ من الأنصار حتى خطبهم ، وبين لهم وجه الحكمة فيما فعله ؛ تطييباً لقلوبهم ، وتنقَّد بعض من لا يعلم من الجهلة والخوارج ، كذي الخويصرة وأشباهه ، قبَّحه الله ، كما سيأتي تفصيله وبيانه في الأحاديث الواردة في ذلك ، وبالله المستعان .

قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا عارمٌ ، ثنا معتمر بن سليمان ، سمعت أبي يقول : ثنا السُّمَيط السَّدوسيُّ ، عن أنس بن مالكٍ قال : فتحنا مكة ، ثم إنَّا غزونا حنيناً ، فجاء المشركون بأحسن صفوفٍ رأيت ، فصفَّت الخيل ، ثم صفَّت المقاتلة ، ثم صفَّت النساء من وراء ذلك ، ثم صفَّت الغنم ، ثم النَّعَم . قال : ونحن بشرٌ كثيرٌ ، قد بلغنا ستة آلافٍ ، وعلى مجنَّبة خيلنا خالد بن الوليد . قال : فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا . قال : فلم نلبث أن انكشف خيلنا ، وفرَّت الأعراب ومن نعلم من الناس .

---

(١) انظر « المغازي » (٣/ ٩٤٩) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٢٨٢١) و(٣١٤٨) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٥٧) .

قال : فنادى رسول الله ﷺ : « يالَلمهاجرين يا للمهاجرين ، يا للأنصار [يا للأنصار] » . قال أنسٌ : هذا حديث عمِّيه . قال : قلنا : لبيك يا رسول الله . قال : وتقدَّم رسول الله ﷺ . قال : وايم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله . . قال : فقبضنا ذلك المال ، ثم انطلقنا إلى الطائف ، فحاصرناهم أربعين ليلة ، ثم رجعنا إلى مكة . قال : فنزلنا ، فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المئة ، ويعطي الرجل المئة . قال : فتحدَّث الأنصار بينها : أمَّا من قاتله فيعطيه ، وأمَّا من لم يقاتله فلا يعطيه ! فرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ ، ثم أمر بسراة المهاجرين والأنصار أن يدخلوا عليه ، ثم قال : « لا يدخلنَّ عليَّ إلا أنصاريٌّ » أو « الأنصار » . قال : فدخلنا القبَّة حتى ملأناها . قال نبيُّ الله ﷺ : « يا معشر الأنصار » ـ أو كما قال ـ « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال « ما حديث أتاني ؟ » قالوا : ما أتاك يا رسول الله ؟ قال : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم ؟ » قالوا : رضينا يا رسول الله . قال : فرضوا . أو كما قال .

وهكذا رواه مسلم(١) من حديث معتمر بن سليمان . وفيه من الغريب قوله : إنهم كانوا يوم هوازن ستة آلاف . وإنما كانوا اثني عشر ألفاً ، وقوله : إنهم حاصروا الطائف أربعين ليلة . وإنما حاصروها قريباً من شهر ، أو دون العشرين ليلة . فالله أعلم .

وقال البخاريُّ(٢) : ثنا عبد الله بن محمد ، ثنا هشامٌ ، ثنا مَعْمَر ، عن الزهريِّ ، حدَّثني أنس بن مالك قال : قال ناسٌ من الأنصار ، حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوزان ، فطفق النبيُّ ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! قال أنس بن مالك : فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبَّة أدم ، ولم يدعُ معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبيُّ ﷺ فقال : « ما حديثٌ بلغني عنكم ؟ » . فقال فقهاء الأنصار : أمّا رؤساؤنا يا رسول الله ، فلم يقولوا شيئاً ، وأما نَاسٌ منا حديثةٌ أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ؛ يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله ﷺ : « فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألَّفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبيِّ إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به » . قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا . فقال لهم النبيُّ ﷺ : « فستجدون أثرةً شديدةً ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض » . قال أنسٌ : فلم يصبروا . تفرَّد به البخاريُّ من هذا الوجه .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٦) .
(٢) رواه البخاري رقم (٤٣٣١) .

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ[١] من حديث ابن عونٍ ، عن هشام بن زيد ، عن جدِّه أنس بن مالكٍ قال : لما كان يوم حنينٍ التقى هوزان ، ومع النبيِّ ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء ، فأدبروا ، فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك ، لبيك نحن بين يديك . فنزل رسول الله ﷺ فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، فأعطى الطُّلقاء والمهاجرين ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبَّة ، فقال : « أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون برسول الله ﷺ ؟ » . قالوا : بلى . فقال رسول الله ﷺ : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار » .

وفي روايةٍ للبخاريِّ[٢] من هذا الوجه قال : لما كان يوم حنينٍ أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنَعمهم وذراريِّهم ، ومع رسول الله ﷺ عشرة آلافٍ والطُّلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذٍ نداءين لم يخلط بينهما ؛ التفت عن يمينه فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . ثم التفت عن يساره فقال : « يا معشر الأنصار » . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك . وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : « أنا عبد الله ورسوله » . فانهزم المشركون ، وأصاب يومئذٍ غنائم كثيرةً ، فقسم بين المهاجرين والطُّلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئاً . فقالت الأنصار : إذا كانت شديدةٌ فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . فبلغه ذلك ، فجمعهم في قبَّة فقال : « يا معشر الأنصار ، ما حديثٌ بلغني ؟ » فسكتوا ، فقال : « يا معشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا ، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار » . قال هشامٌ : قلت : يا أبا حمزة ، وأنت شاهدٌ ذلك ؟ قال : وأين أغيب عنه ؟

ثم رواه البخاريُّ ومسلمٌ[٣] أيضاً من حديث شعبة ، عن قَتَادَة ، عن أنسٍ قال : جمع رسول الله ﷺ الأنصار فقال : « إن قريشاً حديثو عهدٍ بجاهليةٍ ومصيبةٍ ، وإني أردت أن أجبرهم وأتألَّفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار » أو « شعب الأنصار » .

وأخرجاه[٤] أيضاً من حديث شعبة ، عن أبي التَّيَّاح يزيد بن حميد ، عن أنسٍ بنحوه ، وفيه : فقالوا : والله إن هذا لهو العجب ، إن سيوفنا لتقطر من دمائهم ، والغنائم تقسم فيهم ! فخطبهم . وذكر نحو ما تقدم .

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٣) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٥) .

(٢) وهي عنده رقم (٤٣٣٧) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٣٣٤) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٣) .

(٤) يعني الشيخان ، وهو عند البخاري رقم (٤٣٣٢) ومسلم رقم (١٠٥٩) (١٣٤) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا عفَّان ، ثنا حَمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنس بن مالكٍ أن رسول الله ﷺ أعطى أبا سفيان وعيينة والأقرع وسهيل بن عمرو في آخرين يوم حنين ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، سيوفنا تقطر من دمائهم ، وهم يذهبون بالمغنم ؟ فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فجمعهم في قبَّةٍ له حتى فاضت ، فقال : « فيكم أحدٌ من غيركم ؟ » قالوا : لا ، إلا ابن أُختنا . قال : « ابن أُخت القوم منهم » . ثم قال : « أقلتم كذا وكذا ؟ » قالوا : نعم . قال : « أنتم الشِّعار والناس الدِّثار ، أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم ؟ » قالوا : بلى . قال : « الأنصار كرشي وعيبتي ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار » . وقال حمادٌ : أعطى مائةً من الإبل ، فسمَّى كلَّ واحدٍ من هؤلاء . تفرَّد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلمٍ .

وقال الإمام أحمد[٢] : حدَّثنا ابن أبي عديٍّ ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي ؟ ألم آتكم متفرِّقين فجمعكم الله بي ؟ ألم آتكم أعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « أفلا تقولون : جِئْتَنا خائفاً فأمَّنَّاك ، وطريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ؟ » قالوا : بل لله المنُّ علينا ولرسوله . وهذا إسنادٌ ثلاثيٌّ على شرط « الصحيحين » ، فهذا الحديث كالمتواتر عن أنس بن مالكٍ ، وقد روي عن غيره من الصحابة .

فقال البخاريُّ[٣] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا وهيبٌ ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن عبّاد بن تميم ، عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلَّفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، فكأنهم وجدوا في أنفسهم ، إذ لم يصبهم ما أصاب الناس ، فخطبهم فقال : « يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي ؟ وعالةً فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنُّ . قال : « لو شئتم قلتم : جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ، لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعارٌ والناس دثارٌ ، إنكم ستلقون بعدي أثرةً ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » .

ورواه مسلم[٤] من حديث عمرو بن يحيى المازنيِّ به .

وقال يونس بن بكيرٍ[٥] ، عن محمد بن إسحاق ، حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٤٦) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٠٤ و١٠٥) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٣٠) .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٠٦١) .
(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ١٧٦) .

لبيدٍ ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال : لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنينٍ ، وقسم للمتألِّفين من قريشٍ وسائر العرب ما قسم ، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليلٌ ولا كثيرٌ ، وجد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومه . فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا الحيَّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . فقال : « فيم ؟ » . قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ، ولم يكن فيهم من ذلك شيء . فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ » قال : ما أنا إلا امرؤٌ من قومي . قال : فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، فإذا اجتمعوا فأعلمني » فخرج سعدٌ ، فصرخ فيهم ، فجمعهم في تلك الحظيرة ، فجاء رجالٌ من المهاجرين ، فأذن لهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحدٌ إلا اجتمع له ، أتاه فقال : يا رسول الله ، قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم . فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألَّف الله بين قلوبكم ؟ » قالوا : بلى . ثم قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبونني يا معشر الأنصار ؟ » قالوا : وما نقول يا رسول الله ؟ وبماذا نجيبك ؟ المنُّ لله ولرسوله . قال : « أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدِّقتم : جئتنا طريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، وخائفاً فأمَّنَّاك ، ومخذولاً فنصرناك » . فقالوا : المنُّ لله ولرسوله . فقال رسول الله ﷺ : « أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعةٍ من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله قسماً . ثم انصرف وتفرَّقوا .

وهكذا رواه الإمام أحمد[١] من حديث ابن إسحاق ، ولم يروه أحدٌ من أصحاب الكتب من هذا الوجه ، وهو صحيحٌ .

وقد رواه الإمام أحمد[٢] ، عن يحيى بن بكيرٍ ، عن الفضل بن مرزوقٍ ، عن عطية بن سعدٍ العوفيِّ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ : قال رجلٌ من الأنصار لأصحابه : أما والله لقد كنت أحدِّثكم أنه لو قد استقامت الأمور قد آثر عليكم . قال : فردُّوا عليه رداً عنيفاً . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجاءهم ، فقال لهم أشياء

---

(١) في « المسند » (٣/ ٧٦) ، وإسناده حسن .
(٢) في « المسند » (٣/ ٨٩) ، وإسناده ضعيف .

لا أحفظها ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « وكنتم لا تركبون الخيل » . وكلما قال لهم شيئاً قالوا : بلى يا رسول الله . ثم ذكر بقية الخطبة كما تقدّم . تفرّد به أحمد أيضاً .

وهكذا رواه الإمام أحمد(١) منفرداً به من حديث الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيدٍ بنحوه .

ورواه أحمد(٢) أيضاً عن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ مختصراً .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمر بن سعيد بن مسروقٍ ، عن أبيه ، عن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديجٍ ، عن جدِّه رافع بن خديجٍ ، أن رسول الله ﷺ أعطى المؤلَّفة قلوبهم من سبي حنين مئة من الإبل ، فأعطى أبا سفيان بن حربٍ مئةً ، وأعطى صفوان بن أمية مائةً ، وأعطى عيينة بن حصنٍ مئةً ، وأعطى الأقرع بن حابسٍ مئةً ، وأعطى علقمة بن علاثة مئةً ، وأعطى مالكَ بن عوفٍ مئةً ، وأعطى العباس بن مرداس دون المئة ، ولم يبلغ به أولئك ، فأنشأ يقول(٣) : [من المتقارب]

أتجعل نهبي ونهب العُبَيـ ـــد بين عُيينة والأَقرعِ
فما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداس في المجمعِ
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تخفض اليوم لا يُرفعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرإٍ فلم أُعط شيئاً ولم أُمنعِ

قال : فأتمَّ له رسول الله ﷺ مئةً .

رواه مسلمٌ(٤) من حديث ابن عيينة بنحوه ، وهذا لفظ البيهقيِّ(٥) .

وفي روايةٍ ذكرها موسى بن عقبة وعروة بن الزبير وابن إسحاق : فقال : [من المتقارب]

كانت نهاباً تلافيتها بكرِّي على المُهر في الأجرعِ
وإيقاظيَ الحيَّ أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجعِ
فأصبح نهبي ونهب العبيـ ـــد بين عيينة والأقرعِ
وقد كنت في الحرب ذا تُدرإٍ فلم أُعط شيئاً ولم أُمنعِ
إلا أفائل أعطيتُها عديد قوائمها الأربعِ

---

(١) في « المسند » (٣/ ٥٧) ، وإسناده صحيح .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٤٧) ، وإسناده ضعيف .
(٣) بعض هذه الأبيات والتي بعدها في « ديوان العباس بن مرداس » ص(١١١ ـ ١١٢) بتقديم وتأخير .
(٤) رواه مسلم رقم (١٠٦٠) (١٣٧) .
(٥) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في المجمعِ
وَمَا كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يُرفعِ

قال عروة ، وموسى بن عقبة عن الزهريِّ : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « أنت القائل : أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعُيينة ؟ » فقال أبو بكرٍ : ما هكذا قال يا رسول الله ، ولكن والله ما كنت بشاعرٍ وما ينبغي لك . فقال : « كيف قال ؟ » . فأنشده أبو بكرٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « هما سواءٌ ، ما يضرُّك بأيِّهما بدأت » . ثم قال رسول الله ﷺ : « اقطعوا عني لسانه » . فخشي بعض الناس أن يكون أراد المُثلة به ، وإنما أراد النَّبيُّ ﷺ العطية . قال : وعبيدٌ فرسه .

وقال البخاريُّ[١] : حدَّثنا محمد بن العلاء ، ثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : كنت عند النبيِّ ﷺ ، وهو نازلٌ بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلالٌ ، فأتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال : ألا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له : « أبشر » . فقال : قد أكثرت عليَّ من أَبشر . فأقبل على أبي موسى وبلالٍ كهيئة الغضبان فقال : « ردَّ البشرى فاقبلا أنتما » [قالا : قبلنا] ثم دعا بقدحٍ فيه ماءٌ ، فغسل يديه ووجهه فيه ومجَّ فيه ، ثم قال : « اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا » . فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أمُّ سلمة من وراء السِّتر أن أفضلا لأمِّكما . فأفضلا لها منه طائفةً . هكذا رواه .

وقال البخاريُّ[٢] : حدَّثنا يحيى بن بكيرٍ ، ثنا مالكٌ ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أنس بن مالكٍ قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجذبه جذبةً شديدةً ، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرِّداء من شدة جذبته ، ثم قال : مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاءٍ .

وقد ذكر ابن إسحاق[٣] الذين أعطاهم رسول الله ﷺ يومئذٍ مئةً من الإبل ، وهم ؛ أبو سفيان صخر بن حربٍ ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن كَلَدة أخو بني عبد الدار ، وعلقمة بن عُلاثة ، والعلاء بن جارية الثَّقفيُّ حليف بني زهرة ، والحارث بن هشامٍ ، وجبير بن مطعمٍ ، ومالك بن عوفٍ النَّصريُّ ، وسهيل بن عمروٍ ، وحويطب بن عبد العزَّى ، وعُيينة بن حصنٍ ، وصفوان بن أُمية ، والأقرع ابن حابسٍ .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميُّ ، أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٤٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٢) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٦) .

أصحابه : يا رسول الله ، أعطيتَ عيينة والأقرع مئةً مئةً ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضَّمريَّ ! فقال رسول الله ﷺ : « أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيلٌ خيرٌ من طِلاع الأرض ، كلُّهم مثل عيينة والأقرع ، ولكن تألَّفتُهما ليسلما ، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه » .

ثم ذكر ابن إسحاق[١] من أعطاه رسول الله ﷺ دون المئة ممن يطول ذكره .

وفي الحديث الصحيح[٢] عن صفوان بن أمية أنه قال : ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنينٍ وهو أبغض الخلق إليَّ ، حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليَّ منه .

* * *

ذكر
قدوم مَالِك بن عوفٍ النَّصريّ على الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق[٣] : وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن وسألهم عن مالك بن عوفٍ « ما فعل ؟ » فقالوا : هو بالطائف مع ثقيفٍ . فقال ﷺ : « أخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددتُ إليه أهله وماله وأعطيته مئةً من الإبل » . فلمَّا بلغ ذلك مالكاً انسلَّ من ثقيفٍ ، حتى أتى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة ـ أو بمكة ـ فأسلم وحسن إسلامه ، فردَّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مئةً [من الإبل] ، فقال مالك بن عوف رضي الله عنه : [من الكامل]

مَـا إنْ رأيـتُ ولا سمعـت بمثلـه ... فـي النَّـاس كلِّهـمُ بمثـل محمـدِ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجْتُدي ... ومتـى تشـأْ يخبـرك عمَّـا فـي غـدِ
وإذا الكَتيبـةُ عـرَّدت أنيـابُهـا ... بـالسَّمهـريِّ وضـرب كـلِّ مهنَّـدِ
فكـأنّـه ليـثٌ علـى أشبـالـه ... وسْـط الهبـاءة خـادرٌ فـي مـرصـدِ

قال : واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل ؛ ثُمالة وسَلِمة وفَهمٌ ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم .

وقال البخاريُّ[٤] : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا جرير بن حازمٍ ، ثنا الحسن ، حدَّثني عمرو بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٣) .
(٢) الذي رواه مسلم رقم (٢٣١٣) والترمذي رقم (٦٦٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٤٩١) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣١٤٥) .

تغلب ، رضي الله عنه ، قال : أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين ، فكأنهم عَتبوا عليه ، فقال : « إني أعطي قوماً أخاف ظَلَعهم وجزَعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى ، منهم عمرو بن تغلب » . قال عمرٌو : فما أحبُّ أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْر النَّعم . زاد أبو عاصمٍ ، عن جريرٍ ، سمعت الحسن ، ثنا عمرو بن تغلب ، أن رسول الله ﷺ أتي بمال ـ أو سبي ـ فقسمه . . . بهذا .

وفي روايةٍ للبخاريِّ[١] قال : أُتي رسول الله بمالٍ ـ أو بشيءٍ ـ فأعطى رجالاً وترك رجالاً ، فبلغه أن الذين ترك عتَبوا ، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد » . فذكر مثله سواءً . تفرَّد به البخاريُّ .

وقد ذكر ابن هشامٍ[٢] أن حسان بن ثابتٍ[٣] ، رضي الله عنه ، قال فيما كان من أمر الأنصار وتأخُّرهم عن الغنيمة : [من البسيط]

زَادَتْ هُمومٌ فماءُ العينِ مَنْحَدِرُ ... سَحّاً إذا حفَلته عَبرةٌ دِرَرُ
وجداً بشمَّاءَ إذ شمَّاءُ بهكنةٌ ... هيفاءُ لا ذنَنٌ فيها ولا خوَرُ
دع عنك شمَّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نزْراً وشرُّ وصال الواصل النَّزرُ
وأْتِ الرسول فقل يا خير مؤتمنٍ ... للمؤمنين إذا ما عُدِّد البشرُ
عَلامَ تُدعى سُليمٌ وهي نازحةٌ ... قُدَّام قومٍ همُ آووا وهم نصروا
سمَّاهُم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعَوان الحرب تستعرُ
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خانوا وما ضَجِروا
والناس أُلبٌ علينا فيكَ ليس لَنَا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزرُ
نُجالد النَّاس لا نبقي على أحدٍ ... ولا نضيِّع ما توحي به السُّور
ولا تُهِرُّ جناة الحرب نادينَا ... ونحن حين تلظَّى نارها سُعُرُ
كما رددنا ببدرٍ دون ما طَلَبوا ... أهل النِّفاق وفينا ينزل الظَّفرُ
ونحن جُنْدُك يوم النَّعفِ من أُحدٍ ... إذ حزَّبت بَطَراً أحزابها مضرُ
فما ونينا وما خمنا وما خبروا ... منَّا عِثاراً وكلُّ الناس قد عثروا

* * *

(١) في « صحيحه » رقم (٩٢٣) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٤٩٧) .
(٣) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٢٦٥) مع بعض الاختلاف في ألفاظها .

اعتراض بعض الجهلة من أهل الشِّقاق والنِّفاق على رسول الله ﷺ في القسمة العادلة بالاتفاق

قال البخاريُّ[١] : ثنا قَبيصة ، ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائلٍ ، عن عبد الله قال : لما قسم النبيُّ ﷺ قسمة حنينٍ قال رجلٌ من الأنصار : ما أراد بها وجه الله . قال : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فتغيَّر وجهه ، ثم قال : « رحمة الله على موسى ، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر » .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث الأعمش به .

ثم قال البخاريُّ[٣] : ثنا قتيبة بن سعيدٍ ، ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ،عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبيُّ ﷺ ناساً ؛ أعطى الأقرع بن حابسٍ مائةً من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناساً ، فقال رجلٌ : ما أُريد بهذه القسمة وجه الله . فقلت : لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ . قال : « رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » .

وهكذا رواه[٤] من حديث منصور بن المعتمر به .

وفي رواية للبخاريِّ[٥] : فقال رجلٌ : والله إن هذه لقسمةٌ ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرنَّ رسول الله ﷺ . فأتيته فأخبرته ، فقال : « من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟! رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر » .

وقال محمد بن إسحاق[٦] : وحدَّثني أبو عبيدة بن محمد بن عمَّار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : خرجت أنا وتليد بن كلابٍ الليثيُّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلِّقاً نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلَّمه التَّميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجلٌ من بني تميمٍ يقال له : ذو الخويصرة . فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال له : يا محمد ، قد رأيتُ ماصنعتَ في هذا اليوم . فقال رسول الله ﷺ : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » قال : لم أرك عدلت . قال : فغضب النبيُّ ﷺ فقال : « ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٥) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٠٦٢) (١٤١) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٤٣٣٦) .
(٤) يعني مسلم في « صحيحه » رقم (١٠٦٢) (١٤٠) .
(٥) وهي عنده رقم (٣١٥٠) .
(٦) في « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٩٦) .

من يكون ؟! » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا نقتله ؟ فقال : « لا ، دعوه فإنه سيكون له شيعةٌ يتعمَّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّميَّة ، ينظر في النَّصل فلا يوجد شيءٌ ، ثم في القِدح فلا يوجد شيءٌ ، ثم في الفُوق فلا يوجد شيءٌ ، سبق الفرثَ والدم » .

وقال اللّيث بن سعدٍ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : أتى رجلٌ بالجعرانة النبيَّ ﷺ منصرفه من حنينٍ ، وفي ثوب بلالٍ فِضةٌ ، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس ، فقال : يا محمد ، اعدل . قال : « ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إذا لم أكن أعدل » . فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله فأقتلَ هذا المنافق . فقال : « معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميَّة » . رواه مسلم[١] ، عن محمد بن رمحٍ ، عن الليث .

وقال أحمد[٢] : ثنا أبو عامرٍ ، ثنا قُرَّة ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن جابرٍ قال : بينما رسول الله ﷺ يقسم مغانم حنينٍ ، إذ قام إليه رجلٌ فقال : اعدل . فقال : « لقد شقِيت إن لم أعدل » . ورواه البخاريُّ[٣] ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قرَّة بن خالدٍ السَّدوسيِّ به .

وفي « الصحيحين »[٤] من حديث الزهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيدٍ قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة رجلٌ من بني تميمٍ ، فقال : يا رسول الله ، اعدل . فقال رسول الله ﷺ : « ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟! لقد خبت وخسرت إن لم أعدل » فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه . فقال رسول الله ﷺ : « دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيءٌ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم يُنظر إلى نَضيِّه ـ وهو قِدْحُه ـ فلا يوجد فيه شيءٌ ، ثم ينظر إلى قُذذه فلا يوجد فيه شيءٌ ، قد سبق الفرثَ والدم ، آيتهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تَدردر ، ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس » . قال أبو سعيدٍ : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن عليَّ بن أبي طالبٍ قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت .

ورواه مسلم[٥] أيضاً من حديث القاسم بن الفضل ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيدٍ به نحوه .

---

(١) في « صحيحه » رقم (١٠٦٣) .
(٢) في « المسند » (٣/ ٣٣٢) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٣٨) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٦١٠) ومسلم رقم (١٠٦٤) (١٤٨) .
(٥) رواه مسلم (١٠٦٥) (١٥٠) مختصراً .

ذكر
مَجِيءِ أخت رسول الله ﷺ من الرَّضاعة ، إليه وهو بالجِعْرَانة واسمها الشَّيماء

قال ابن إسحاق[١] : وحدَّثني بعض بني سعد بن بكرٍ أن رسول الله ﷺ قال يوم هوازن : « إن قدرتم على بِجادٍ ـ رجلٍ من بني سعد بن بكر ـ فلا يُفلتنَّكم » . وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث بن عبد العزَّى ، أخت رسول الله ﷺ من الرَّضاعة ، قال : فعنفوا عليها في السَّوق ، فقالت للمسلمين : تعلَّموا والله إني لأخت صاحبكم من الرَّضاعة . فلم يصدِّقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدَّثني يزيد بن عبيدٍ السَّعديُّ ـ هو أبو وجزة ـ قال : فلما انتُهي بها إلى رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله ، إني أختك من الرَّضاعة . قال : « وما علامة ذلك ؟ » قالت : عضَّةٌ عضضْتنيها في ظهري وأنا متورِّكتُك . قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وخيَّرها وقال : « إن أحببت فعندي محبَّةً مكرمةً ، وإن أحببت أن أمتِّعك وترجعي إلى قومك فعلت » . قالت : بل تمتِّعني وتردُّني إلى قومي .

فمتَّعها رسول الله ﷺ وردَّها إلى قومها ، فزعمت بنو سعدٍ أنه أعطاها غلاماً يقال له : مكحولٌ ، وجاريةً ، فزوَّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيَّـةٌ .

وروى البيهقيُّ[٢] من حديث الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة قال : لما كان يوم فتح هوازن جاءت جاريةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، أنا أختك ، أنا شيماء بنت الحارث . فقال لها : « إن تكوني صادقةً ، فإن بك مني أثراً لا يبلى » . قال : فكشفت عن عضدها ، فقالت : نعم يا رسول الله ، وأنت صغيرٌ ، فعضضتني هذه العضَّة . قال : فبسط لها رسول الله ﷺ رداءه ، ثم قال : « سلي تُعطَي ، واشفعي تشفعي » .

وقال البيهقيُّ[٣] : أنبأنا أبو نصر بن قتادة ، أنبأنا أبو عمرو إسماعيل بن نُجيدٍ السُّلميُّ ، ثنا أبو مسلم ، ثنا أبو عاصم ، ثنا جعفر بن يحيى بن ثوبان ، أخبرني عمِّي عُمارة بن ثوبان ، أن أبا الطُّفيل أخبره قال : كنت غلاماً أحمل عظم البعير ، ورأيت رسول الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة . قال : فجاءته

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٤٥٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٩٩) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/١٩٩) .

امرأةٌ فبسط لها رداءه ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : أمُّه التي أرضعته . هذا حديثٌ غريبٌ ، ولعله يريد أخته ، وقد كانت تحضُنه مع أمِّها حليمة السَّعديَّة ، وإن كان محفوظاً فقد عُمِّرت حليمة دهراً ، فإنَّ من وقت أرضعت رسول الله ﷺ إلى وقت الجعرانة أزيد من ستين سنةً ، وأقلُّ ما كان عمرها حين أرضعته ﷺ ، ثلاثون سنةً ، ثم الله أعلم بما عاشت بعد ذلك .

وقد ورد حديثٌ مرسلٌ ، فيه أن أبويه من الرَّضاعة قدما عليه ، والله أعلم بصحَّته ؛ قال أبو داود في « المراسيل »[(١)] : ثنا أحمد بن سعيد الهمْدَانيُّ ، ثنا ابن وهبٍ ، ثنا عمرو بن الحارث ، أن عمر بن السائب حدَّثه أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً ، فجاءه أبوه من الرَّضاعة ، فوضع له بعض ثوبه ، فقعد عليه ، ثم أقبلت أمُّه ، فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر ، فجلست عليه ، ثم جاء أخوه من الرَّضاعة ، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه . وقد تقدم أن هوازن بكمالها متواليةٌ برضاعته من بني سعد بن بكرٍ ، وهم شِرذمةٌ من هوازن ، فقال خطيبهم زهير بن صُرَدٍ : يا رسول الله ، إنَّ ما في الحظائر أُمَّهاتك وخالاتك وحواضنك ، فامنن علينا منَّ الله عليك ، وقال فيما قال : [من البسيط]

أُمنن على نسوةٍ قد كُنْتَ تَرْضَعُهَا إذ فُوك يملؤه من مَحْضِهَا دِرر
أُمنن على نسوة قد كنت ترضعها وإذ يَزينك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم ، فعادت فواضله ﷺ عليهم قديماً وحديثاً ، خصوصاً وعموماً .

وقد ذكر الواقديُّ[(٢)] ، عن إبراهيم بن محمد بن شرحبيل ، عن أبيه قال : كان النُّضير بن الحارث بن كَلَدة من أحلم الناس ، فكان يقول : الحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام ، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء ، وقتل عليه الإخوة وبنو العمّ . ثم ذكر عداوته للنبيِّ ﷺ ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حنين وهو على دينهم بعدُ . قال : ونحن نريد إن كانت دائرةٌ على محمد أن نعين عليه ، فلم يمكنَّا ذلك ، فلما صار بالجعرانة ، فوالله إني لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ ، فقال : « أنُضير » . قلت : لبيك . قال : « هذا خيرٌ مما أردتَ يوم حنينٍ مما حال الله بينك وبينه » . قال : فأقبلت إليه سريعاً ، فقال : « قد آن لك أن تبصر ما كنت فيه توضِع » .

قلت : قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى شيئاً ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم زده ثباتاً » . قال النُّضير : فوالذي بعثه بالحقِّ لكأنَّ قلبي حَجرٌ ثباتاً في الدِّين وتبصرةً بالحقِّ .

فقال رسول الله ﷺ : « الحَمْدُ للهِ الذي هَدَاهُ » .

---

(١) لم أقف عليه في كتاب « المراسيل » ونسبه المزي في تحفة الأشراف (١٩١٤١) إلى سنن أبي داود حسب ، وهو في « سنن أبي داود رقم (٥١٤٥) ، وإسناده ضعيف .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٠٥) .

عُمْرَةُ الجِعْرَانَةِ[١] في ذي القعدة

قال الإمام أحمد[٢] : ثنا بهزٌ وعبد الصَّمد ، المعنى ، قالا : ثنا هَمَّامُ بن يحيى ، ثنا قتادة قال : سألت أنس بن مالكٍ قلت : كم حجَّ رسول الله ﷺ ؟ قال : حَجَّةً واحدةً ، واعتمر أربع مِرارٍ ؛ عمرته زَمَنَ الحُديبية ، وعُمْرَتَهُ في ذي القعدة من المدينة ، وعُمْرَتَهُ من الجِعْرَانَة في ذي القعدة ، حيث قسم غنيمة حنينٍ ، وعمرته مع حَجَّته .

ورواه البخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داود ، والترمذيُّ[٣] من طرق ، عن هَمَّام بن يحيى به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو النَّضر ، ثنا داود ، يعني العطَّار ، عن عمروٍ ، عن عكرمة ، عن ابن عباسٍ قال : اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَرٍ ؛ عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي مع حجته .

ورواه أبو داود ، والترمذيُّ ، وابن ماجه[٥] من حديث داود بن عبد الرحمن العطَّار المكيِّ ، عن عمرو بن دينارٍ به ، وحَسَّنه الترمذيُّ .

وقال الإمام أحمد[٦] : ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، ثنا حجَّاج بن أرطاة ، عن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، هو عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عُمَرٍ ، كلُّ ذلك في ذي القعدة يلبِّي حتى يستلم الحَجَر . غريبٌ من هذا الوجه ، وهذه الثلاث عُمَرٍ اللاتي وقعن في ذي القعدة ما عدا عمرته مع حَجَّته ، فإنها وقعت في ذي الحجَّة مع الحجَّة ، وإن أراد ابتداء الإحرام بهن في ذي القعدة فلعله لم يُرد عمرة الحُديبية ؛ لأنه صُدَّ عنها ، ولم يفعلها ، والله أعلم .

قلت : وقد كان نافعٌ ومولاه ابن عمر يُنْكِرَان أن يكون رسول الله ﷺ اعتمر من الجِعْرَانة بالكلية ، وذلك فيما قال البخاريُّ[٧] : ثنا أبو النّعمان ، ثنا حَمَّاد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر أن

---

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكَّة أقرب . انظر « مراصد الاطلاع » (١/ ٣٣٦) .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١٣٤) .
(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٨) ومسلم رقم (١٢٥٣) وأبو داود رقم (١٩٩٤) والترمذي رقم (٨١٥) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٢٦) .
(٥) رواه أبو داود رقم (١٩٩٣) والترمذي رقم (٨١٦) وابن ماجه رقم (٣٠٠٣) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٨٠) لكن التقيد بأنها في ذي القعدة جاء في الرواية التي بعدها في « المسند » من طريق هشيم عن الحجاج بن أرطاة . .
(٧) في « صحيحه » رقم (٣١٤٤) .

عمر بن الخطَّاب قال : يا رسول الله ، إنه كان عليَّ اعتكاف يومٍ في الجاهلية . فأمره أن يفي به . قال : وأصاب عمر جاريتين من سبي حُنينٍ فوضعهما في بعض بيوت مكة . قال : فمنَّ رسول الله ﷺ على سبي حنينٍ فجعلوا يسعون في السِّكك ، فقال عمر : يا عبد الله ، انظر ما هذا ؟ قال : منَّ رسول الله ﷺ على السَّبي . قال : اذهب فأرسل الجاريتين .

قال نافعٌ : ولم يعتمر رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة ، ولو اعتمر لم يخفَ على عبد الله .

وقد رواه مسلمٌ[١] من حديث أيوب السَّختيانيِّ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، به .

ورواه مسلمٌ[٢] أيضاً ، عن أحمد بن عَبْدَة الضَّبِّيِّ ، عن حماد بن زيدٍ ، عن أيوب ، عن نافعٍ قال : ذُكر عند ابن عمر عُمرة رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة ، فقال : لم يعتمر منها . وهذا غريبٌ جداً عن ابن عمر ، وعن مولاه نافعٍ في إنكارهما عُمرة الجِعْرَانة ، وقد أطبق النَّقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلُّهم .

وهذا أيضاً كما ثبت في « الصحيحين »[٣] من حديث عطاء بن أبي رباح ، عن عُرْوَة ، عن عائشة أنها أنكرت على ابن عمر قوله أن رسول الله ﷺ اعتمر في رجبٍ ، وقالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو شاهدٌ ، وما اعتمر في رجبٍ قطُّ .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا ابن نُميرٍ ، ثنا الأعمش ، عن مجاهدٍ قال : سأل عُرْوَةُ بن الزّبير ابنَ عمر : في أيِّ شهرٍ اعتمر رسول الله ﷺ ؟ قال : في رجبٍ . فسمعتنا عائشة ، فسألها ابن الزبير وأخبرها بقول ابن عمر ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر عمرةً إلا وقد شهدها ، وما اعتمر عمرةً قطُّ إلا في ذي القعدة .

وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[٥] من حديث جريرٍ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ به نحوه .

ورواه أبو داود والنسائيُّ[٦] أيضاً من حديث زهيرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهدٍ : سئل ابن عمر : كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال : مرتين . فقالت عائشة : لقد علم ابن عمر أن رسول الله ﷺ اعتمر ثلاثاً سوى التي قرنها بحجَّة الوداع .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٦٥٦) (٢٨) .
(٣) رواه البخاري رقم (١٧٧٧) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢١٩) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٤٣) .
(٥) رواه البخاري رقم (١٧٧٦) ومسلم رقم (١٢٥٥) (٢٢٠) .
(٦) رواه أبو داود رقم (١٩٩٢) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٤٢١٨) .

وقال الإمام أحمد[١] : ثنا يحيى بن آدم ، ثنا مفضَّلٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ قال : دخلت مع عروة بن الزبير المسجد ، فإذا ابن عمر مستندٌ إلى حُجرة عائشة وأناسٌ يصلُّون الضُّحى ، فقال عروة : أبا عبد الرحمن ، ما هذه الصلاة ؟ قال : بدعةٌ . فقال له عروة : أبا عبد الرحمن ، كم اعتمر رسول الله ؟ فقال : أربعاً ، إحداهن في رجبٍ . قال : وسمعنا استنان عائشة في الحجرة . فقال لها عُرْوَة : إن أبا عبد الرحمن يزعم أن رسول الله اعتمر أربعاً ، إحداهن في رجبٍ . فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، ما اعتمر النَّبيُّ ﷺ إلا وهو معه ، وما اعتمر في رجبٍ قطُّ .

وهكذا رواه الترمذيُّ[٢] ، عن أحمد بن منيعٍ ، عن الحسن بن موسى ، عن شيبان ، عن منصورٍ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ .

وقال الإمام أحمد[٣] : ثنا روحٌ ، ثنا ابن جُريجٍ ، أخبرني مزاحم بن أبي مزاحمٍ ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن مُخَرِّشٍ[٤] الكعبيِّ ، أن رسول الله ﷺ خرج من الجِعْرَانة ليلاً حين أمسى معتمراً ، فدخل مكّة ليلاً يقضي عمرته ، ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بالجعرانة كبائتٍ ، حتى إذا زالت الشمس خرج من الجعرانة في بطن سرِفٍ ، حتى جامع الطريق طريق المدينة بسرفٍ . قال مخرِّشٌ : فلذلك خفيت عمرته على كثيرٍ من الناس .

ورواه الإمام أحمد[٥] ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن ابن جريجٍ كذلك وهو من أفراده .

والمقصود أن عُمْرَة الجِعْرَانة ثابتةٌ بالنقل الصحيح الذي لا يمكن منعه ولا دفعه ، ومن نفاها لا حُجَّة معه في مقابلة من أثبتها ، والله أعلم . ثم هم كالمجمعين على أنها كانت في ذي القعدة بعد غزوة الطائف وقَسْمِ غنائم حُنينٍ .

وما رواه الحافظ أبو القاسم الطبرانيُّ في « معجمه الكبير »[٦] قائلاً : حدَّثنا الحسين بن إسحاق التُّستَريُّ ، ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن الحسن الأسديُّ ، ثنا إبراهيم بن طَهْمَان ، عن أبي الزُّبير ، عن عميرٍ مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباسٍ قال : لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١٥٥) ، وإسناده صحيح .
(٢) رواه الترمذي رقم (٩٣٧) .
(٣) في « المسند » (٣/ ٤٢٧) ، وإسناده حسن .
(٤) كذا في (آ) و(ط) : « مُخَرِّش » بالخاء المعجمة ، ورجّح الحافظ بن حجر العسقلاني « مُحَرّش » بالحاء المهملة انظر « تحرير تقريب التهذيب » (٣/ ٣٥١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٦) وهو أيضاً عند الترمذي رقم (٩٣٥) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (٣٨٤٦) وفي « المجتبى » رقم (٢٨٦٣) ، وإسناده حسن .
(٦) (١١/ ٤٣١) رقم (١٢٢٢٣) .

نزل الجِعْرَانة فقسم بها الغنائم ، ثم اعتمر منها ، وذلك لليلتين بقيتا من شوالٍ ، فإنه غريبٌ جداً ، وفي إسناده نظرٌ ، والله أعلم .

وقال البخاريُّ[١] : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، ثنا إسماعيل ، ثنا ابن جُريجٍ ، أخبرني عطاءٌ أن صفوان بن يعلى بن أُمية أخبره أن يعلى كان يقول : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزل عليه . قال : فبينا رسول الله ﷺ بالجِعْرَانة وعليه ثوبٌ قد أُظلَّ به ، معه فيه ناسٌ من أصحابه ، إذ جاءه أعرابيٌ عليه جبَّةٌ متضمِّخٌ بطيبٍ ، فقال : [يا رسول الله ، كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرةٍ في جبَّةٍ بعدما تضمَّخ بالطيب ؟] فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلى بيده أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه ، فإذا النبيُّ ﷺ محمرُّ الوجه يغطُّ كذلك ساعةً ، ثم سُرِّي عنه ، فقال : « أين الذى يسألني عن العمرة آنفاً ؟ » فالتمس الرجل فأتي به ، قال : « أما الطِّيب الذي بك فاغسله ثلاث مراتٍ ، وأمَّا الجبَّة فانزعها ، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجِّك » .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث ابن جريجٍ ، وأخرجاه[٣] من وجهٍ آخر ، عن عطاءٍ ، كلاهما عن صفوان بن يعلى ، عن أبيه به .

وقال الإمام أحمد[٤] : ثنا أبو أُسامة ، أنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح من كَداءٍ من أعلى مكَّة ، ودخل في العمرة من كُدىً .

وقال أبو داود[٥] : ثنا موسى أبو سلمة ، ثنا حَمَّادٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ ، أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة ، فرملوا بالبيت ثلاثاً ومشَوا أربعاً ، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى . تفرد به أبو داود .

ورواه أيضاً ابن ماجه[٦] من حديث ابن خثيمٍ ، عن أبي الطُّفيل ، عن ابن عباسٍ مختصراً .

وقال الإمام أحمد[٧] : ثنا يحيى بن سعيدٍ ، عن ابن جريجٍ ، حدَّثني حسن بن مسلمٍ ، عن طاوسٍ ، أن ابن عباسٍ أخبره أن معاوية أخبره قال : قصَّرت عن رسول الله ﷺ بِمشقصٍ أو قال : رأيته يقصَّر عنه بمشقصٍ عند المروة .

---

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٢٩) .
(٢) في « صحيحه » رقم (١١٨٠) .
(٣) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (١٧٨٩) و(١٨٤٧) و(٤٩٨٥) ، ومسلم في « صحيحه » رقم (١١٨٠) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٦/ ٢٠١ و٢٠٢) وهو عند البخاري رقم (١٥٧٨) ومسلم رقم (١١٨٠) (٦) و(٧) و(٩) و(١٠) .
(٥) رواه أبو داود رقم (١٨٨٤) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أبو داود رقم (١٨٩٠) وابن ماجه رقم (٢٩٥٣) ، وهو حديث صحيح .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٩٨) .

وقد أخرجاه في « الصحيحين »[١] من حديث ابن جريجٍ به .

ورواه مسلمٌ[٢] أيضاً من حديث سفيان بن عُيينة ، عن هشام بن حُجيرٍ ، عن طاوسٍ ، عن ابن عباسٍ ، عن معاوية به .

ورواه أبو داود ، والنسائيُّ[٣] أيضاً من حديث عبد الرزاق ، عن معمرٍ ، عن ابن طاوسٍ ، عن أبيه به .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد[٤] : حدَّثني عمرو بن محمدٍ الناقد ، ثنا أبو أحمد الزُّبيريُّ ، ثنا سفيان ، عن جعفر بن محمدٍ ، عن أبيه ، عن ابن عباسٍ ، عن معاوية قال : قصَّرتُ عن رأس رسول الله ﷺ عند المروة .

والمقصود أن هذا إنما يتوجَّه أن يكون في عمرة الجِعْرَانة ، وذلك أن عُمْرَة الحُديبية لم يدخل إلى مكة فيها ، بل صُدَّ عنها كما تقدم بيانه ، وأما عمرة القضاء فلم يكن أبو سفيان أسلم ، ولم يبق بمكة من أهلها أحدٌ حين دخل رسول الله ﷺ ، بل خرجوا منها ، وتغيَّبوا عنها مدة مقامه ﷺ بها تلك الثلاثة الأيام ، وعمرته التي كانت مع حجته لم يتحلَّل منها بالاتفاق . فتعيَّن أن هذا التقصير الذى تعاطاه معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، من رأس رسول الله ﷺ عند المروة إنما كان في عمرة الجعرانة كما قلنا ، والله تعالى أعلم .

وقال محمد بن إسحاق[٥] ، رحمه الله : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنَّةَ بناحية مرِّ الظَّهران .

قلت : الظَّاهر أنه ﷺ إنما استبقى بعض المغنم ليتألف به من يلقاه من الأعراب فيما بين مكَّة والمدينة .

قال ابن إسحاق[٦] : فلمَّا فرغ رسول الله من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة ، واستخلف عتَّاب بن أَسيدٍ على مكة ، وخلَّف معه معاذ بن جبلٍ يفقِّه الناس في الدين ، ويعلِّمهم القرآن .

وذكر عروة ، وموسى بن عقبة[٧] أن رسول الله ﷺ خلَّف معاذاً مع عتَّابٍ بمكة قبل خروجه إلى هوازن ، ثم خلَّفهما بها حين رجع إلى المدينة .

---

(١) رواه البخاري رقم (١٧٣٠) مختصراً ، ومسلم رقم (١٢٤٦) بنحوه .
(٢) رواه مسلم رقم (١٢٤٦) (٢٠٩) .
(٣) رواه أبو داود رقم (١٨٠٣) والنسائي رقم (٢٩٨٨) .
(٤) وهو في « المسند » (٤/ ٩٧) وانظر « أطراف المسند » (٥/ ٣٤٠) ، وهو حديث صحيح .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .
(٦) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .
(٧) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٠١) .

وقال ابن هشام[١] : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل رسول الله ﷺ عتَّاب بن أَسيدٍ على مكة رزقه كلَّ يومٍ درهماً ، فقام فخطب الناس فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهمٍ ، فقد رزقني رسول الله ﷺ[٢] درهماً كلَّ يومٍ ، فليست بي حاجةٌ إلى أحدٍ .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة ، وقدم المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في أول ذي الحجَّة .

قال ابن هشامٍ : قدمها لستٍّ بقين من ذي القعدة . فيما قال أبو عمرٍو المدينيُّ .

قال ابن إسحاق : وحجَّ الناس ذلك العام على ما كانت العرب تحجُّ عليه ، وحجَّ بالمسلمين تلك السنة عتَّاب بن أَسيدٍ ، وهي سنة ثمانٍ . قال : وأقام أهل الطائف على شِركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إلى رمضان من سنة تسعٍ .

***

إسلام كعب بن زهير بن أبي سُلَمى رضي الله عنه ، وأبوه هو صاحب إحدى المعلَّقات السبع ، الشاعر ابن الشاعر ، وذكر قصيدته التي سمعها رسول الله ﷺ وهي : بانت سُعَاد

قال ابن إسحاق[٣] : ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بُجَير بن زهير بن أبي سُلمى إلى أخيه لأبويه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأنَّ من بقي من شعراء قريشٍ ؛ ابن الزِّبعرى ، وهُبيرة بن أبي وهبٍ ، هربوا في كل وجهٍ ، فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ ، فطِر إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض . وكان كعبٌ قد قال[٤] : [من الطويل]

ألا أبلغا عنِّي بُجَيراً رسالةً ... فوَيحك ممَّا قلت وَيحك هل لَكَا
فبيِّن لنا إن كنت لست بفاعلٍ ... على أيِّ شيءٍ غير ذلك دلَّكا
على خلقٍ لم ألف يوماً أباً له ... عليه وما تُلفي عليه أباً لكا
فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمَّا عثرت لعاً لكا

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٠) .
(٢) أي : بمعنى أعطاني .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠١) .
(٤) الأبيات في « شرح ديوانه » ص (٦) .

سقاك بها المأمون كأساً رويَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلَّكا

قال ابن هشامٍ[١] : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

من مبلغٌ عني بُجيراً رسالةً ... فهل لك فيما قلت بالخَيف هل لَكَا

شربت مع المأمون كأساً رويَّةً ... فأنهلك المأمون منها وعلَّكَا

وخالفت أسباب الهدى واتَّبعته ... على أيِّ شيءٍ ويب غيرك دلَّكَا

على خُلُقٍ لم تلف أمّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكَا

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمّا عثرت لعاً لكَا

قال ابن إسحاق[٢] : وبعث بها إلى بُجيرٍ ، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ ، فأنشده إيّاها ، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : سقاك بها المأمون : « صَدَقَ وإنه لَكَذُوبٌ ، أَنَا المأْمُون » . ولما سمع : على خلقٍ لم تُلفِ أُمّاً ولا أباً عليه . قال : « أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمَّه » . قال : ثم كتب بجيرٌ إلى كعب يقول له : [من الطويل]

مَنْ مبلغ كعباً فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلاً وهي أَحْزَمُ

إلى الله لا العُزَّى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النَّجاءُ وتسلمُ

لدى يومَ لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من الناس إلا طاهر القلب مسلمُ

فدين زهيرٍ وهْو لا شيء دينه ... ودين أبي سُلمى عليَّ محرَّمُ

قال : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوِّه ، وقالوا : هو مقتولٌ . فلما لم يجد من شيءٍ بدّاً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوِّه ، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجلٍ ـ كانت بينه وبينه معرفةٌ ـ من جُهينة ، كما ذُكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ في صلاة الصبح ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنْه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ فجلس إليه ، ووضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهيرٍ قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابلٌ منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فقال : إذاً أنا يا رسول الله كعب بن زهيرٍ .

قال ابن إسحاق[٣] : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه وثب عليه رجلٌ من الأنصار ، فقال :

---

(١) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٥٠٢) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٢) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٠٣) .

يا رسول الله، دعني وعدوَّ الله أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: «دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً».

قال: فغضب كعب بن زهيرٍ على هذا الحيِّ من الأنصار لما صنع به صاحبهم؛ وذلك أنه لم يتكلَّم فيه رجلٌ من المهاجرين إلا بخيرٍ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ(١): [من البسيط]

بانت سُعَادُ فقلبي اليوم متبولُ ... متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ
وما سُعاد غَدَاة البين إذ برزت ... إلا أغنُّ غَضِيضُ الطَّرف مكحولُ
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنَّه مُنهلٌ بالراح معلولُ
شجَّت بذي شبمٍ من ماء محنيةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمولُ
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليلُ
فيا لها خلَّةً لو أنَّها صَدَقَتْ ... بوعدها أو لوَ آنَّ النُّصْحَ مقبول
لكنَّها خلَّةٌ قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ
فما تدوم على حالٍ تكون بها ... كما تلوَّن في أثوابها الغولُ
وما تُمسِّك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يُمسك الماء الغرابيلُ
فلا يغرَّنْك ما منَّت وما وعدت ... إن الأمانيَّ والأحلام تضليلُ
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيلُ
أرجو وآمُل أن يعجلنَ في أبدٍ ... وما لهن إخال الدَّهر تعجيلُ
أمست سُعَادُ بأرضٍ لا يبلِّغها ... إلا العِتاق النَّجيبات المراسيلُ
ولن يبلِّغها إلا عُذافرةٌ ... فيها على الأين إرقالٌ وتبغيلُ
من كل نضَّاخة الذِّفرى إذا عرِقت ... عُرضتُها طامس الأعلام مجهولُ
ترمي النِّجادَ بعيني مفردٍ لَهقٍ ... إذا توقَّدت الحِزَّان والميلُ
ضخمٌ مقلَّدها فعمٌ مقيَّدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيلُ
حرفٌ أخوها أبوها من مُهجَّنة ... وعمُّها خالها قوداء شمليلُ
يمشي القُراد عليها ثم يُزلقه ... منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ
عَيرانةٌ قذفت بالنَّحض عن عُرضٍ ... مرفقها عن بنات الزَّور مفتولُ
قنواءُ في حرَّتيها للبصير بها ... عِتقٌ مبينٌ وفي الخدَّين تسهيلُ
كأنَّ ما فات عينيها ومذبحها ... من خطمها ومن اللَّحيين برطيلُ
تُمرُّ مثل عسيب النخل ذا خُصلٍ ... في غارزٍ لم تخوَّنْه الأحاليلُ

---

(١) الأبيات في «شرح ديوانه» ص(٦ ـ ٢٥).

تهـوي علـى يسـراتٍ وهـي لاهيـةٌ ... ذوابـلٍ وقعهـنَّ الأرض تحليـلُ
[سمر العجايات يتركن الحصا زِيمَاً ... لـم يقِهـنَّ رؤوس الأُكـم تنغيـلُ]
يـومـاً يظـلُّ بـه الحـربـاء مـرتبئـاً ... كـأنَّ ضـاحيـه بـالشمـس مملـولُ
وقـال للقـوم حـاديهـم وقـد جعلـت ... وُرْق الجنادب يركضن الحصا قيلُوا
[كـأنَّ أوب ذراعيهـا وقـد عـرقـت ... وقـد تلفَّـع بـالقُـور العسـاقيـلُ]
أوبَ يـدَي فـاقـدٍ شمطـاءَ مُعـولـةٍ ... قـامـت فجـاوبهـا نُكـدٌ مثـاكيـلُ
نـوَّاحـةٌ رخـوة الضَّبعيـن ليـس لهـا ... لمـا نعـى بكـرَهـا النـاعـون معقـولُ
تفـري اللَّبـان بكفَّيهـا ومـدرعهـا ... مشقَّـقٌ عـن تـراقيهـا رعـابيـلُ
تسعـى الغُـواة جنـابيهـا وقـولهـم ... إنَّـك يـا بـن أبـي سُلمـى لمقتـولُ
وقـال كـلُّ صـديـقٍ كنـت آملـهُ ... لا أُلهينَّـك إنَّـي عنـك مشغـولُ
فقلـت خلـوا سبيلـي لا أبـا لكـمُ ... فكـلُّ مـا قـدَّر الـرحمـن مفعـولُ
كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يـومـاً علـى آلـة حـدبـاء محمـولُ
نبِّئـت أنَّ رسـول الله أوعـدنـي ... والعفـو عنـد رسـول الله مـأمـولُ
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقـرآن فيـه مـواعيـظٌ وتفصيـلُ
لا تـأخـذنِّي بـأقـوال الـوشـاة ولـم ... أُذنـب ولـو كثـرت فـيَّ الأقـاويـلُ
لقـد أقـوم مقـامـاً لـو يقـوم بـه ... أرى وأسمـع مـا قـد يسمـع الفيـلُ
لظـلَّ تُـرعـد مـن وجـدٍ بـوادره ... إن لـم يكـن مـن رسـول الله تنـويـلُ
حتـى وضعـتُ يمينـي مـا أنـازعـه ... فـي كـفٍّ ذي نَقَمـاتٍ قـولـه القيـلُ
فلهْـو أخـوف عنـدي إذ أكلِّمـه ... وقيـل إنَّـك منسـوبٌ ومسـؤولُ
مـن ضيغـمٍ بضـرَاء الأرض مخـدره ... فـي بطـن عثَّـر غِيـلٌ دونـه غيـلُ
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحـمٌ مـن النـاس معفـورٌ خـراديـلُ
إذا يسـاور قـرنـاً لا يحـلُّ لـه ... أن يتـرك القِـرن إلا وهـو مفلـولُ
منـه تظـلُّ حميـر الـوحـش نـافـرةً ... ولا تَمشَّـى بـواديـه الأراجيـلُ
ولا يـزال بـواديـه أخـو ثقـةٍ ... مضـرَّج البـزِّ والـدِّرسـان مـأكـولُ
إن الـرسـول لنـورٌ يستضـاء بـه ... مهنَّـدٌ مـن سيـوف الله مسلـولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قال قائلهم ... ببطـن مكـة لمَّـا اسلمـوا زُولـوا
زالـوا فمـا زال أنكـاسٌ ولا كشـفٌ ... عنـد اللقـاء ولا ميـلٌ معـازيـلُ
يمشون مشيَ الجمال الزُّهر يعصمهم ... ضـربٌ إذا عـرَّد السُّـود التَّنـابيـلُ

شُـمُّ العـرانيـن أبطـالٌ لَبـوسهـمُ ... مـن نسج داود فـي الهيجا سرابيـلُ
بيضٌ سوابغ قد شكَّت لها حلقٌ ... كـأنهـا حَلَـق القفعـاء مجـدولُ
ليسوا مفـاريح إن نـالـت رماحهمُ ... قـومـاً وليسـوا مجـازيعـاً إذا نيلـوا
لا يقـع الطَّعـن إلا فـي نحـورهـمُ ... وما لهم عن حياض الموت تهليلُ

هكذا أورد محمد بن إسحاق هذه القصيدة ، ولم يذكر لها إسناداً .

وقد رواها الحافظ البيهقيُّ في « دلائل النبوة »[١] بإسنادٍ متصلٍ ، فقال : أنا أبو عبد الله الحافظ ، أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الأسديُّ بِهمْدان ، ثنا إبراهيم بن الحسين ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميُّ ، ثنا الحجَّاج ابن ذي الرُّقيبة ـ بن عبد الرحمن ـ بن كعب بن زهير بن أبي سُلْمى ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : خرج كعبٌ وبجيرٌ ابنا زهيرٍ حتى أتيا أبرق العَزَّاف ، فقال بجيرٌ لكعبٍ : اثبت في هذا المكان حتى آتي ـ هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأستمع ما يقول . فثبت كعبٌ ، وخرج بجيرٌ فجاء رسول الله ﷺ ، فعرض عليه الإسلام ، فبلغ ذلك كعباً فقال : [من الطويل]

ألا أبلغـا عنـي بُجيـراً رسـالـةً ... علـى أي شـيءٍ ويـب غيـرك دلَّكـا
علـى خُلُـقٍ لـم نلـف أمّاً ولا أبـاً ... عليـه ولـم تـدرك عليـه أخـاً لكـا
سقـاك أبـو بكـرٍ بكـأسٍ رويَّـةٍ ... وأنهلـك المـأمـون منهـا وعلَّكـا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أَهْدَرَ دمه ، وقال : « مَنْ لَقِي كعباً فليقتله » . فكتب بذلك بجيرٌ إلى أخيه ، وذكر له أن رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ، ويقول له : النَّجاء وما أراك تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : اعلم أنَّ رسول الله ﷺ لا يأتيه أحدٌ يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، إلا قبل ذلك منه وأسقط ما كان قبل ذلك ، فإذا جاءك كتابي هذا ، فأسلم وأقبل . قال : فأسلم كعبٌ ، وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ ، ثم دخل المسجد ورسول الله مع أصحابه كالمائدة بين القوم ، متحلِّقون معه حلقةً خلف حلقةٍ ، يلتفت إلى هؤلاء مرةً فيحدِّثهم ، وإلى هؤلاء مرةً فيحدِّثهم . قال كعبٌ : فأنخت راحلتي بباب المسجد [ثم دخلت المسجد] فعرفت رسول الله ﷺ بالصِّفة ، فتخطَّيت حتى جلست إليه ، فأسلمت وقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّك محمدٌ رسول الله ، الأمان يا رسول الله . قال : « ومن أنت ؟ » قلت : كعب بن زهيرٍ . قال : « الذي يقول » . ثم التَفَتَ رسول الله ﷺ [إلى أبي بكرٍ] فقال : « كيف قال يا أبا بكرٍ ؟ » فأنشده أبو بكرٍ : [من الطويل]

سَقَاكَ أبو بكرٍ بكأسٍ رَوِيَّةٍ ... وأنهلك المأمور منها وعلَّكَا

---

(١) (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩) وما بين الحاصرتين في النقل زيادة منه ، وفي إسنادها ضعف .

قال : يا رسول الله ، ما قلتُ هكذا . قال : « فكيف قلت ؟ » قال : قلت : [من الطويل]

سقـاك أبـو بكـرٍ بكـأسٍ رويَّـةٍ   وأنهلك المأمونُ منها وعلَّكا

فقال رسول الله ﷺ : « مأمونٌ والله » . ثم أنشده القصيدة كلَّها حتى أتى على آخرها ، وهي هذه القصيدة : [من البسيط]

بَانَتْ سُعَاد فقلبي اليوم متبولُ   متَّيـمٌ عنـدهـا لـم يفـد مكبـولُ

وقد تقدَّم ما ذكرناه من الرَّمز لما اختلف فيه إنشاد ابن إسحاق والبيهقيِّ ، رحمهما الله عزَّ وجلَّ .

وذكر أبو عمر بن عبد البرِّ في كتاب « الاستيعاب »[١] أنَّ كعباً لمَّا انتهى إلى قوله :

إنَّ الرَّسولَ لنورٌ يُسْتَضَاءُ بهِ   مهنَّـدٌ مـن سيـوف الله مسلـولُ

نُبِّئت أنَّ رسول الله أوعدني   والعفو عند رسول الله مأمولُ

قال : فأشار رسول الله ﷺ إلى من معه أن اسمعوا .

وقد ذكر ذلك قبله موسى بن عقبة في « مغازيه »[٢] ولله الحمد والمِنَّة .

قلت : ورد في بعض الروايات أنَّ رسول الله ﷺ أعطاه بُرْدَتَهُ حين أنشده القصيدة . وقد نظم ذلك الصَّرصريُّ[٣] في بعض مدائحه .

وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير في « الغابة »[٤] قال : وهي البُردة التي عند الخلفاء .

قلت : وهذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيءٍ من هذه الكتب المشهورة بإسنادٍ أرتضيه ، فالله أعلم .

وقد روي أنَّ رسول الله ﷺ قال له ـ لمَّا قال : بانت سعاد ـ : « ومن سعاد ؟ » قال : زوجتي يا رسول الله ، قال : « لم تَبِنْ » ولكن لم يصحَّ ذلك ، وكأنَّه على ذلك توهَّم أنَّ بإسلامه تبين امرأته ، والظاهر أنَّه إنَّما أراد البينونة الحسِّيَّة لا الحكميَّة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر « الاستيعاب بمعرفة الأصحاب » (٣/ ١٣١٤) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢١١) .
(٣) هو يحيى بن يوسف بن يحيى الصَّرْصري أبو زكريا ، الشيخ العلاَّمة القدوة ، كان إليه المنتهى في معرفة اللغة وحسن الشعر ، وديوانه ومدائحه سائرة . قتله التتار سنة (٦٥٦) حين دخلوا بغداد بعد أن قاومهم وقتل منهم عدداً كبيراً . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (٧/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) لابن العماد الحنبلي ، بتحقيقي .
(٤) انظر « أُسد الغابة » (٤/ ٤٧٧) .

قال ابن إسحاق[(١)] : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلمَّا قال كعبٌ ـ يعني في قصيدته ـ : إذا عرَّد السود التَّنابيل . وإنَّما يريدنا معشر الأنصار ؛ لما كان صاحبنا صنع به ، وخصَّ المهاجرين من قريشٍ بمِدحته ؛ غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم من رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن : [من الكامل]

مـن سَـرَّه كَـرَمُ الحيـاة فـلا يَـزَلْ ... فـي مِقْنَـبٍ مـن صـالحـي الأنصـارِ
ورثـوا المكـارم كـابـراً عـن كـابـرٍ ... إنَّ الخيـار هـمُ بنـو الأخيـارِ
المكـرِهيـن السَّمهـريَّ بـأذرعٍ ... كسـوالـف الهنـديِّ غيـر قصـارِ
والنَّـاظـريـن بـأعيـنٍ محمـرَّةٍ ... كـالجمـر غيـر كليلـة الأبصـارِ
والبَـائعيـن نفـوسهـم لنبيِّهـم ... للمـوت يـوم تَعـانـقٍ وكـرارِ
والقـائـديـن النـاس عـن أديـانهـم ... بـالمشـرفـيِّ وبـالقنـا الخطَّـارِ
يتطهَّـرون يـرونـه نُسُكـاً لهـم ... بـدمـاء مـن علقـوا مـن الكفَّـارِ
دربـوا كمـا دربـت ببطـن خفيَّـةٍ ... غلب الرِّقاب من الأسود ضواري
وإذا حللـتَ ليمنعـوك إليهـمُ ... أصبحـت عنـد معـاقـل الأغفـارِ
ضـربـوا عليًّـا يـوم بـدرٍ ضـربـةً ... دَانَـتْ لـوقعتهـا جميـع نـزارِ
لـو يعلـم الأقـوام علمـيَ كلَّـه ... فيهـم لصـدَّقنـي الـذيـن أُمـاري
قـومٌ إذا خـوت النجـوم فـإنهـم ... للطَّـارقيـن النَّـازليـن مقـاري

قال ابن هشام[(٢)] : ويقال : إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد : « لولا ذكرت الأنصار بخيرٍ ، فإنهم لذلك أهلٌ » . فقال كعبٌ هذه الأبيات ، وهي في قصيدةٍ له .

قال : وبلغني عن عليِّ بن زيد بن جدعان أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ في المسجد : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول .

وقد رواه الحافظ البيهقيُّ[(٣)] بإسناده المتقدم إلى إبراهيم بن المنذر الحزاميِّ ، حدَّثني معن بن عيسى ، حدَّثني محمد بن عبد الرحمن الأوقص ، عن ابن جدعان ، فذكره ، وهو مرسلٌ .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البرِّ ، رحمه الله ، في كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب »[(٤)] بعد

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٥) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١١) .
(٤) (٣/ ١٣١٣) .

ما أورد طرفاً من ترجمة كعب بن زهيرٍ إلى أن قال : وقد كان كعب بن زهيرٍ شاعراً مجوِّداً كثير الشعر مقدَّماً في طبقته هو وأخوه بُجيرٌ ، وكعبٌ أشعرهما ، وأبوهما زهيرٌ فوقهما ، ومما يستجاد من شعر كعب بن زهيرٍ قوله : [من البسيط]

لو كنت أَعْجَبُ من شيءٍ لأعجبني سَعْيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يُدركها فالنفس واحدةٌ والهمُّ منتشر

والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ثم أورد له ابن عبد البرِّ أشعاراً كثيرةً يطول ذكرها ولم يؤرِّخ وفاته ، وكذا لم يؤرِّخها أبو الحسن بن الأثير في كتاب « الغابة في معرفة الصحابة »[١] ولكن حكى أن أباه توفِّي قبل المبعث بسنةٍ ، فالله أعلم .

وقال السهيليُّ[٢] : ومما أجاد فيه كعبُ بن زهيرٍ قوله يمدح رسول الله ﷺ : [من البسيط]

تجري به النَّاقةُ الأدماء مُعتجراً بالبُرد كالبَدر جلَّى ليلة الظُّلم

ففي عطافيه أو أثناء بُردته ما يعلم الله من دينٍ ومن كرمِ

* * *

فصل

فيما كان من الحوادث المشهورة في سنة ثمانٍ والوفيات

فكان في جمادى منها وقعة مؤتة ، وفي رمضان غزوة فتح مكة ، وبعدها في شوالٍ غزوة هوازن بحُنينٍ ، وبعدها كان حصار الطائف ، ثم كانت عمرة الجِعْرَانة في ذي القعدة ، ثم عاد إلى المدينة في بقية السنة .

قال الواقديُّ[٣] : رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليالٍ بقين من ذي الحجَّة في سفرته هذه .

قال الواقديُّ : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفرٍ وعمروٍ ابني الجُلَنْدى[٤]

---

(١) انظر « أسد الغابة » (٧/ ٣٠٤) .

(٢) انظر « الروض الأنف » (٧/ ٣٠٤) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ٩٥) .

(٤) انظر « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » لابن طولون الدمشقي ص(٩٦ ـ ١٠٠) بتحقيقي ، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت .

من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب . قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضَّحَّاك بن سفيان الكلابيِّ في ذي القعدة ، فاستعاذت منه ﷺ ، ففارقها ، وقيل : بل خيَّرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال : وفي ذي الحِجَّة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية ، فاشتدَّت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً ، وكانت قابلتها فيه سَلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى أبي رافعٍ فأخبرته فذهب فبشَّر به رسولَ الله ﷺ فأعطاه مملوكاً ، ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عديٍّ بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد ابن الجعد بن عوف بن مبذولٍ . وكانت فيها وفاة من ذكرنا من الشهداء في هذه الوقائع . وقد قدَّمنا هدم خالد بن الوليد البيت الذي كانت العزَّى تعبد فيه بنخلة بين مكة والطائف ، وذلك لخمسٍ بقين من رمضان منها .

قال الواقديُّ : وفيها كان هدم سُواعٍ الذي كانت تعبده هذيلٌ برُهاطٍ ، هدمه عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، ولم يجد في خزانته شيئاً . وفيها هُدم مناة بالمشلَّل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن زيدٍ الأشهليُّ ، رضي الله عنه .

وقد ذكرنا من هذا فصلاً مفيداً مبسوطاً في تفسير « سورة النجم »[1] عند قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٩ ـ ٢٠] .

قلت : وقد ذكر البخاريُّ بعد فتح مكة قصة تخريب خثعم البيت الذي كانت تعبده ويسمُّونه الكعبة اليمانية مضاهيةً للكعبة التي بمكة ، ويسمُّون التي بمكة الكعبة الشاميَّة ، ولتلك الكعبة اليمانية .

فقال البخاريُّ[2] : ثنا يوسف بن موسى ، ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن جريرٍ قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا تريحني من ذي الخلصة ؟ » فقلت : بلى . فانطلقت في خمسين ومئة فارسٍ من أحمس ، وكانوا أصحاب خيلٍ ، وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فضرب يده في صدري حتى رأيت أثر يده على صدري ، وقال : « اللهم ثبّته واجعله هادياً مهدياً » . قال : فما وقعت عن فرسٍ بعدُ . قال : وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعمٍ وبجيلة ، فيه نصبٌ تعبد ، يقال له : الكعبة اليمانية . قال : فأتاها فحرَّقها في النار وكسرها . قال : فلما قدم جريرٌ اليمن كان بها رجلٌ يستقسم بالأزلام ، فقيل له : إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير ، فقال : لَتكسرنَّها وتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربنَّ عنقك . فكسرها وشهد . ثم بعث جريرٌ رجلاً من أحمس يكنَّى أبا أرطاة إلى النبيِّ ﷺ يبشره بذلك ، قال : فلما

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٧/ ٤٣٠) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٣٥٧) .

أتى رسولَ الله ﷺ قال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحقِّ ما جئت حتى تركتها كأنها جملٌ أجرب .
قال : فبرَّك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مراتٍ .

ورواه مسلمٌ[١] من طرقٍ متعددةٍ ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ ، عن قيس بن أبي حازمٍ ، عن جرير بن عبد الله البجليِّ بنحوه .

* * *

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٧٦) (١٣٧) .

سنة تسع من الهجرة

ذكر
غزوة تبُوك[1] في رجبٍ منها

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٨ـ٢٩] .

روي عن ابن عباسٍ ، ومجاهدٍ ، وعِكْرِمَة ، وسعيد بن جُبيرٍ ، وقتادة ، والضَّحَّاك وغيرهم ، أنه لما أمر الله تعالى أن يمنع المشركون من قُربان المسجد الحرام في الحجِّ وغيره قالت قريشٌ : لينقطعنَّ عنا المتاجر والأسواق أيام الحجِّ ، وليذهبنَّ ما كنا نُصيب منها ، فعوَّضهم الله عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

قلت : فعزم رسول الله ﷺ على قتال الرُّوم ؛ لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدّعوة إلى الحقِّ ؛ لقربهم إلى الإسلام وأهله .

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

فلما عزم رسول الله ﷺ على غزو الرُّوم عام تَبُوك ـ وكان ذلك في حرٍّ شديدٍ وضيق من الحال ـ جلَّى للناس أمرها ودعا من حوله من أحياء الأعراب للخروج معه ، فأوعب معه بشرٌ كثيرٌ ، كما سيأتي ، قريباً من ثلاثين ألفاً ، وتخلَّف آخرون ، فعاتب الله من تخلَّف منهم لغير عذرٍ من المنافقين والمقصِّرين ، ولامهم ووبَّخهم وقرَّعهم أشدَّ التَّقريع ، وفضحهم أشدَّ الفضيحة ، وأنزل فيهم قرآناً يُتلى وبيَّن أمرهم في

(١) انظر أخبارها في « الاكتفا بمغازي الرسول والثلاثة الخلفا » و« الروض الأنف » (٧/ ٣٠٤) و« عيون الأثر » (٢/ ٢٩٢) و« زاد المعاد » (٣/ ٤٦٠) و« الفصول في سيرة الرسول » ص(٢١٠) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) بتحقيقي .

سورة « براءةٌ » كما قد بيَّنَّا ذلك مبسوطاً في « التفسير »[(١)] وأمر المؤمنين بالنَّفْر على كلِّ حالٍ . فقال تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ثم الآيات بعدها [التوبة : ٤١ ـ ٤٢] .

ثم قال تعالى : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] . فقيل : إن هذه ناسخةٌ لتلك . وقيل : لا ، فالله أعلم .

قال ابن إسحاق[(٢)] : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحِجَّة إلى رجبٍ يعني من سنة تسعٍ ثم أمر الناس بالتهيُّؤ لغزو الروم . فذكر الزهريُّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبى بكرٍ ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ يحدِّث عن غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعضٌ ، أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسْرةٍ من الناس وشدةٍ من الحرِّ وجدبٍ من البلاد ، وحين طابت الثمار ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص في الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قلَّما يخرج في غزوة إلا كنَّى عنها إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد المشقة وشدة الزمان وكثرة العدوِّ الذي يصمد إليه ليتأهب الناس لذلك أُهبته ، فأمرهم بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم ، فقال رسول الله ﷺ ذات يومٍ وهو في جَهازه ذلك ، للجدِّ بن قيسٍ أحد بني سِلمة : « يا جدُّ ، هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتنِّي ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما رجلٌ بأشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : « قد أذنت لك » . ففي الجدِّ أنزل الله هذه الآية : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة : ٤٩] .

وقال قومٌ من المنافقين بعضهم لبعضٍ : لا تنفروا في الحرِّ ، زهادةً في الجهاد وشكّاً في الحقِّ وإرجافاً بالرسول ﷺ ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ۝٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٨١ ـ ٨٢] .

قال ابن هشام[(٣)] : حدثني الثقة ، عمَّن حدَّثه ، عن محمد بن طلحةَ بن عبد الرحمن ، عن إسحاق بن

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٩٤) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن إسحاق (٢/ ٥١٥) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٥١٧) .

إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدِّه قال : بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيلم اليهوديِّ ـ وكان بيته عند جاسوم ـ يثبِّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفرٍ من أصحابه ، وأمره أن يحرِّق عليهم بيت سُوَيْلم ، ففعل طلحة ، فاقتحم الضَّحَّاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه فأفلتوا ، فقال الضَّحَّاك في ذلك :

[من الطويل]

كـادَت وبيـتِ الله نـارُ محمـدٍ يشيـط بهـا الضَّحـاكُ وابـن أُبيـرقِ
وظلْـت وقـد طبَّقـت كبس سَويلم أنـوء علـى رجلـي كسيـراً ومـرفقـي
سـلامٌ عليكـم لا أعـودُ لمثلهـا أخـاف ومـن تشمـل بـه النار يُحرقِ

قال ابن إسحاق[١] : ثم إن رسول الله ﷺ جدَّ في سفره وأمر الناس بالجَهاز والانكماش ، وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله ، فحمل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفَّان نفقةً عظيمةً لم ينفق أحدٌ مثلها .

قال ابن هشام[٢] : فحدَّثني من أثق به أن عثمان أنفق في جيش العُسْرَة في غزوة تبوك ألف دينارٍ ، فقال رسول الله ﷺ : « اللَّهُمَّ ارض عن عثمان ، فإني عنه راضٍ » .

وقد قال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا هارون بن معروفٍ ، ثنا ضمرة ، ثنا عبد الله بن شَوذبٍ ، عن عبد الله بن القاسم ، عن كثيرٍ مولى عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عَفَّان إلى النبيِّ ﷺ بألف دينارٍ في ثوبه حين جهَّز النبيُّ ﷺ جيش العسرة . قال : فصبَّها في حجر النبيِّ ، فجعل النبيُّ ﷺ يقلِّبها بيده ، ويقول : « ما ضرَّ ابنَ عَفَّان ما عمل بعد اليوم » .

ورواه الترمذيُّ[٤] ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقعٍ ، عن ضمرة به . وقال : حسنٌ غريبٌ .

وقاله عبد الله بن أحمد في « مسند » أبيه[٥] : حدَّثني أبو موسى العنزيُّ ، حدَّثنا عبد الصَّمد بن عبد الوارث ، حدَّثني سكن بن المغيرة ، حدَّثني الوليد بن أبي هشامٍ ، عن فرقدٍ أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن خَبَّابٍ السُّلميِّ قال : خطب النبيُّ ﷺ فحثَّ على جيش العسرة ، فقال عثمان بن عفان : عليَّ مئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاةً من المنبر ثم حثَّ ، فقال عثمان : عليَّ مئةٌ أخرى

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٧ ـ ٥١٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٨) .
(٣) في « المسند » (٥/٦٣) ، وإسناده حسن .
(٤) رواه الترمذي رقم (٣٧٠١) .
(٥) انظر « أطراف المسند » (٤/٢٥٧) .

بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يُحَرِّكها ، وأخرج عبد الصَّمَد يده ، كالمتعجِّب : « ما على عثمان ما عمل بعد هذا » .

وهكذا رواه الترمذيُّ[١] ، عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن سكن بن المغيرة أبي محمد مولى لآل عثمان به . وقال : غريبٌ من هذا الوجه .

ورواه البيهقيُّ[٢] ، من طريق عمرو بن مرزوقٍ ، عن سكن بن المغيرة به . وقال : ثلاث مراتٍ ، وإنه التزم بثلاثمئة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها . قال عبد الرحمن : فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر : « ما ضرَّ عثمان بعدها » . أو قال : « بعد اليوم » .

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ[٣] : حدَّثنا أبو عَوَانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوان ، عن الأحنف بن قيسٍ قال : سمعت عثمان بن عَفَّان يقول لسعد بن أبي وقَّاص وعليٍّ والزُّبير وطلحة : أَنشُدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من جهَّز جيش العسرة غفر الله له » فجهَّزتهم حتى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً . قالوا : اللهم نعم .

ورواه النسائيُّ[٤] من حديث حصينٍ به .

***

فصلٌ

فيمن تخلَّف معذوراً من البكَّائين وغيرهم

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٠٠) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٤) .

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم (٨٢) بتحقيق الدكتور محمد عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطال في تخريجه فليراجع .

(٤) رواه النسائي رقم (٣٦٠٨) ، وهو حديث صحيح .

لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٨٦-٩٣] . قد تكلَّمنا على تفسير هذا كله في « التفسير »[١] بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنَّة .

والمقصود ذكر البكَّائين الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ليحملهم ، حتى يصحبوه في غزوته هذه ، فلم يجدوا عنده من الظَّهر ما يحملهم عليه ، فرجعوا وهم يبكون ؛ تأسُّفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله ، والنَّفقة فيه .

قال ابن إسحاق[٢] : وكانوا سبعة من الأنصار وغيرهم ؛ فمن بني عمرو بن عوفٍ سالم بن عميرٍ ، وعُلبة بن زيدٍ أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعبٍ أخو بني مازن بن النَّجّار ، وعمرو بن الحُمَام بن الجَمُوح أخو بني سلِمة ، وعبد الله بن المغفَّل المزنيُّ ، وبعض الناس يقولون : بل هو عبد الله بن عمروٍ المزنيُّ . وهرَميُّ بن عبد الله أخو بني واقفٍ ، وعرباض بن سارية الفَزَاريُّ .

قال ابن إسحاق[٣] : فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعبٍ النَّضريَّ لقي أبا ليلى ، وعبد الله بن مغفَّلٍ وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوَّى به على الخروج معه . فأعطاهما ناضحاً له فارتحلاه ، وزوَّدهما شيئاً من تمرٍ ، فخرجا مع النبيِّ ﷺ . زاد يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق : وأمَّا عُلبة بن زيدٍ فخرج من الليل ، فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى وقال : اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغَّبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوَّى به . ولم تجعل في يد رسولك ﷺ ما يحملني عليه ، وإني أتصدَّق على كلِّ مسلمٍ بكلِّ مظلمةٍ أصابني فيها ؛ في مالٍ أو جسدٍ أو عرضٍ . ثم أصبح مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « أين المتصدِّق هذه الليلة ؟ » فلم يقم أحدٌ ، ثم قال : « أين المتصدِّق ؟ فليقم » . فقام إليه فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : « أبشر ، فوالذي نفسي بيده ، لقد كُتبت في الزكاة المتقبَّلة » .

وقد أورد الحافظ البيهقيُّ[٤] هاهنا حديث أبي موسى الأشعريِّ ، فقال : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثيُّ ، حدَّثنا أبو أسامة ، عن بُريدٍ ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسى قال : أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله لهم الحُملان ، إذ هم معه في جيش العُسْرَة ، وهو في غزوة تبوك ، فقلت : يا نبيَّ الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال : « والله لا أحملكم على شيءٍ » . ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، فرجعت حزيناً من منع

---

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٤/ ١٣٥) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٨) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٨) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢١٦) .

رسول الله ، ومن مخافة أن يكون رسول الله قد وجد في نفسه عليَّ ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله ﷺ ، فلم ألبث إلا سُوَيعةً إذ سمعت بلالاً ينادي : أين عبد الله بن قيسٍ ؟ فأجبته فقال : أجب ، رسولُ الله ﷺ يدعوك . فلمَّا أتيت رسول الله ﷺ قال : « خذ هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين » . لستة أبعرةٍ ابتاعهنَّ حينئذٍ من سعدٍ ، فقال : « انطلق بهنَّ إلى أصحابك ، فقل : إن الله ـ أو قال : إنَّ رسول الله ـ يحملكم على هؤلاء ، فاركبوهم » فقلتُ : إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ حين سألته لكم ، ومنعه لي في أول مرةٍ ، ثم إعطاءه إياي بعد ذلك ، لا تظنُّوا أنِّي حدَّثتكم شيئاً لم يقله . فقالوا لي : والله إنَّك عندنا لمصدَّقٌ ولنفعلنَّ ما أحببت . قال : فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم ، حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله ﷺ من منعه إياهم ، ثم إعطائه بعد ، فحدَّثوهم بما حدَّثهم به أبو موسى سواءً . وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[(١)] جميعاً ، عن أبي كريبٍ ، عن أبي أسامة . وفي روايةٍ لهما[(٢)] ، عن أبي موسى قال : أتيت رسول الله في رهطٍ من الأشعريِّين ليحملنا ، فقال : « والله ما أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه » . قال : ثم جيء رسولُ الله ﷺ بنهب إبلٍ ، فأمر لنا بستِّ ذودٍ غرِّ الذُّرى ، فأخذناها ، ثم قلنا : تغفَّلنا رسول الله ﷺ يمينه ، والله لا يبارك لنا . فرجعنا له فقال : « ما أنا حملتكم ، ولكنَّ الله حملكم » . ثم قال : « إنِّي والله ، إن شاء الله ، لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خيرٌ وتحلَّلتها » .

قال ابن إسحاق[(٣)] : وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النِّيَّة حتى تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ من غير شكٍّ ولا ارتيابٍ ؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعبٍ أخو بني سلِمة ، ومرارة بن ربيعٍ أخو بني عمرو بن عوفٍ ، وهلال بن أمية أخو بني واقفٍ ، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوفٍ ، وكانوا نفر صدقٍ لا يُتَّهمون في إسلامهم .

قلت : أما الثلاثة الأول فستأتي قصتهم مبسوطة قريباً ، إن شاء الله تعالى ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ﴾ [التوبة : ١١٨] .

وأما أبو خيثمة ، فإنَّه عاد وعزم على اللُّحوق برسول الله ﷺ ، كما سيأتي .

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٤٤١٥) ومسلم (١٦٤٩) (٨) .
(٢) رواه البخاري رقم (٣١٣٣) ومسلم (١٦٤٩) (٧) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥١٩) .

فصلٌ

قال يونس بن بكيرٍ ، عن ابن إسحاق[١] : ثم استتبَّ برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير ، فلما خرج يوم الخميس ضرب عسكره على ثنية الوداع ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضرب عبد الله بن أُبيٍّ عدوُّ الله عسكره أسفل منه ، وما كان فيما يزعمون بأقلِّ العسكرين ، فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف عنه عبد الله بن أُبيٍّ في طائفةٍ من المنافقين وأهل الرَّيب .

قال ابن هشامٍ[٢] : واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاريَّ . قال : وذكر الدَّراورديُّ أنه استخلف عليها عام تبوك سِبَاع بن عُرْفُطَة .

قال ابن إسحاق[٣] : وخلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلَّفه إلا استثقالاً له وتخفُّفاً منه . فلما قالوا ذلك أخذ عليٌّ سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله ﷺ وهو نازلٌ بالجرف ، فأخبره بما قالوا فقال : « كذبوا ولكنِّي خلَّفتك لما تركتُ ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليُّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » فرجع عليٌّ ، ومضى رسول الله ﷺ في سفره .

ثم قال ابن إسحاق[٤] : حدَّثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقّاصٍ ، عن أبيه سعدٍ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ هذه المقالة .

وقد روى البخاريُّ ومسلمٌ[٥] هذا الحديث من طريق شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاصٍ ، عن أبيه به .

وقد قال أبو داود الطَّيالسيُّ في « مسنده »[٦] : حدَّثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مصعب بن سعدٍ ، عن أبيه قال : خلَّف رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ، أتخلِّفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » وأخرجاه من طرقٍ ، عن شعبة نحوه . وعلَّقه البخاريُّ أيضاً من طريق أبي داود ، عن شعبة .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢١٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٩) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥١٩) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٠) .
(٥) رواه البخاري رقم (٣٧٠٦) ومسلم رقم (٢٤٠٤) .
(٦) رقم (٢٠٦) بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، طبع دار هجر بالقاهرة ، وقد أطال في تخريجه فليراجع .

وقال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا قُتيبة بن سعيدٍ ، حدَّثنا حاتم بن إسماعيل ، عن بكير بن مسمارٍ ، عن عامرٍ بن سعدٍ ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلَّفه في بعض مغازيه ، فقال عليٌّ : يا رسول الله ، تخلِّفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « يا عليُّ ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي ؟ » ورواه مسلمٌ ، والترمذيُّ[٢] ، عن قتيبة ، زاد مسلمٌ : ومحمد بن عبَّادٍ ، كلاهما عن حاتم بن إسماعيل به . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه .

قال ابن إسحاق[٣] : ثم إن أبا خيثمة رجع بعدما سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارٍّ ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشَّت كلُّ واحدةٍ منهما عريشها ، وبرَّدت له فيه ماءً ، وهيَّأت له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ والريح والحرِّ ، وأبو خيثمة في ظلٍّ باردٍ وطعامٍ مُهيَّأٍ وامرأةٍ حسناء ، في ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنَّصَف . والله لا أدخل عريش واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيِّئا زاداً . ففعلتا ، ثم قدَّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهبٍ الجمحيُّ في الطريق يطلب رسول الله ﷺ فترافقا ، حتى إذا دنَوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهبٍ : إنَّ لي ذنباً فلا عليك أن تخلَّف عني حتى آتي رسول الله ﷺ . ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ قال الناس : هذا راكبٌ على الطريق مقبلٌ . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا خيثمة » . فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة . فلما بلغ أقبل فسلَّم على رسول الله ﷺ ، فقال له : « أولى لك يا أبا خيثمة ! » . ثم أخبر رسول الله الخبر ، فقال خيراً ، ودعا له بخيرٍ .

وقد ذكر عُرْوَة بن الزُّبير ، وموسى بن عُقْبَة قصة أبي خيثمة بنحوٍ من سياق محمد بن إسحاق وأبسط ، وذكر أن خروجه ، عليه السلام ، إلى تبوك كان في زمن الخريف . فالله أعلم .

قال ابن هشامٍ[٤] : وقال أبو خيثمة ، واسمه مالك بن قيسٍ ، في ذلك : [من الطويل]

لمَّا رأيتُ الناس في الدِّين نافقوا … أَتَيتُ التي كانت أَعَفَّ وأكرمَا
وبايعتُ باليمنى يدي لمحمدٍ … فلم أكتسب إثماً ولم أغشَ محرمَا
تركت خضيباً في العريش وصِرمةً … صَفايا كِراماً بُسْرُهَا قد تحمَّمَا
وكنتُ إذا شكَّ المُنَافق أَسمَحَتْ … إلى الدِّين نفسي شطرَه حيث يمَّما

(١) في « المسند » (١/ ١٨٥) .
(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٤٠٤) ، والترمذي رقم (٣٧٢٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢١) .

قال يونس بن بكيرٍ ، عن محمد بن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان ، عن محمد بن كعبٍ القرظيِّ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : لمَّا سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلَّف ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلَّف فلانٌ . فيقول : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . حتى قيل : يا رسول الله ، تخلَّف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره . فقال : « دعوه ، إن يك فيه خيرٌ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » . فتلَّوم أبو ذرٍّ بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره ، ثم خرج يتَّبع رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله ، ونظر ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل ماشٍ على الطريق . فقال رسول الله ﷺ : « كن أبا ذرٍّ » . فلما تأمَّله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذرٍّ . فقال رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . قال : فضرب الدَّهر من ضربه ، وسُيِّر أبو ذرٍّ إلى الرَّبذة ، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال : إذا متُّ فاغسلاني وكفِّناني من الليل ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأوَّل ركبٍ يمرُّون بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ . فلما مات فعلوا به كذلك ، فاطَّلع ركبٌ ، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره ، فإذا ابن مسعودٍ في رهطٍ من أهل الكوفة فقال : ما هذا ؟ فقيل : جنازة أبي ذرٍّ . فاستهلَّ ابن مسعودٍ يبكي ، وقال : صدق رسول الله ﷺ : « يرحم الله أبا ذرٍّ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » . فنزل فوليه بنفسه حتى أجنَّه . إسناده حسنٌ ، ولم يُخرِّجوه[1] .

قال الإمام أحمد[2] : حدَّثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيلٍ في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة : ١١٧] . قال : خرجوا في غزوة تبوك ، الرجلان والثلاثة على بعيرٍ واحدٍ ، وخرجوا في حرٍّ شديدٍ ، فأصابهم في يومٍ عطشٌ حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها ، فكان ذلك عسرةً في الماء وعسرةً في النفقة وعسرةً في الظَّهر .

قال عبد الله بن وهبٍ : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلالٍ ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبيرٍ ، عن عبد الله بن عباسٍ أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدِّثنا عن شأن ساعة العسرة . فقال عمر : خرجنا إلى تبوك في قيظٍ شديدٍ ، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطشٌ حتى ظننَّا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحْل فلا يرجع حتى يظنَّ أن رقبته ستنقطع ، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره

---

(١) هذا اجتهاده رحمه الله في تحسين الحديث ، فالحديث إسناده ضعيف لضعف بريدة بن سفيان الأسلمي ، ضعّفه البخاري والنسائي والجوزجاني وأبو حاتم الرازي ، وقال الدارقطني : متروك ، وقال العقيلي : سئل أحمد عن حديثه فقال : بلية ! (كما بيناه في « تحرير تقريب التهذيب ١ / ١٦٨) ولعل هذا هو الذي دعاهم إلى عدم تخريجه . قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : وفي السيرة النبوية لابن إسحاق بسند ضعيف .

(٢) رواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥ / ٢٢٧) ، وهو في « تفسير عبد الرزاق » مرسلاً .

فيعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال أبو بكرٍ الصديق : يا رسول الله ، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً ، فادع الله لنا . فقال : « أتحبُّ ذلك ؟ » قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء ، فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلَّت ثم سكبت ، فملؤوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر . إسناده جيدٌ ، ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقد ذكر ابن إسحاق[١] ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجالٍ من قومه أن هذه القضيَّة كانت وهم بالحجر ، وأنَّهم قالوا لرجلٍ معهم منافقٍ : ويحك! هل بعد هذا من شيءٍ ؟! فقال : سحابةٌ مارَّةٌ . وذكر أن ناقة رسول الله ﷺ ضلَّت ، فذهبوا في طلبها ، فقال رسول الله ﷺ لعمارة بن حزمٍ الأنصاريِّ ـ وكان عنده ـ : « إن رجلاً قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبيٌّ ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمني الله ، وقد دلَّني الله عليها ، هي في الوادي قد حبستْها شجرةٌ بزمامها » . فانطلقوا فجاؤوا بها فرجع عمارة إلى رحله ، فحدَّثهم عما جاء رسولَ الله ﷺ من خبر الرجل ، فقال رجلٌ ممن كان في رحل عمارة : إنما قال ذلك زيد بن اللُّصَيت ، وكان في رحل عمارة قبل أن يأتيَ ، فأقبل عمارة على زيدٍ يجأ في عنقه ويقول : إن في رحلي لداهيةً وأنا لا أدري ، اخرج عني يا عدوَّ الله . فلا تصحبني . فقال بعض الناس : إن زيداً تاب . وقال بعضهم : لم يزل مصرّاً حتى هلك .

قال الحافظ البيهقيُّ[٢] : وقد روينا من حديث ابن مسعودٍ شبيهاً بقصة الراحلة . ثم روى من حديث الأعمش ، وقد رواه الإمام أحمد[٣] ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرة ، أو عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ـ شكَّ الأعمش ـ قال : لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعةٌ ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذنت لنا فننحر نواضحنا ، فأكلنا وادَّهنَّا . فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » . فجاء عمر فقال : يا رسول الله ، إن فعلتَ قلَّ الظَّهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة ، لعل الله أن يجعل فيها البركة . فقال رسول الله ﷺ : « نعم » . فدعا بنِطْعٍ فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذُرةٍ ، ويجيء الآخر بكفٍّ من التمر ، ويجيء الآخر بكسرةٍ حتى اجتمع على النِّطَع من ذلك شيءٌ يسيرٌ ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم : « خذوا في أوعيتكم » . فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلةٌ ، فقال رسول الله ﷺ : «أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، لا يلقى الله بها عبدٌ غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة».

ورواه مسلمٌ[٤] ، عن أبي كُرَيبٍ ، عن أبي مُعَاوية ، عن الأعمش به .

---

(١) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣١) .
(٢) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣٢) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ١١) .
(٤) في « صحيحه » (٢٧) (٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه الإمام أحمد[١] من حديث سهيل بن أبي صالحٍ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . ولم يذكر غزوة تبوك ، بل قال : كان في غزوةٍ غزاها .

ذكر
مروره ﷺ في ذهابه إلى تبوك
بمساكن ثمود وصرحتهم بالحِجْرِ

قال ابن إسحاق[٢] : وقد كان رسول الله ﷺ حين مرَّ بالحِجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : « لا تشربوا من مياهها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ عجنتموه فأعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً » . هكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسنادٍ .

وقال الإمام أحمد[٣] : حدَّثنا يعمر بن بشرٍ ، حدَّثنا عبد الله ـ هو ابن المبارك ـ أخبرنا معمرٌ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ؛ أن يصيبكم ما أصابهم » . وتقنَّع بردائه وهو على الرَّحل .

ورواه البخاريُّ[٤] من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق ، كلاهما عن معمرٍ بإسناده نحوه .

وقال مالكٌ[٥] ، عن عبد الله بن دينارٍ ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم » . ورواه البخاريُّ[٦] من حديث مالكٍ ومن حديث سليمان بن بلالٍ، كلاهما عن عبد الله بن دينارٍ .

ورواه مسلمٌ[٧] من وجهٍ آخر ، عن عبد الله بن دينارٍ نحوه .

وقال الإمام أحمد[٨] : حدَّثنا عبد الصمد ، حدَّثنا صخرٌ ـ هو ابن جويرية ـ عن نافعٍ ، عن ابن عمر

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٤٢١) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢١) .
(٣) في « المسند » (٢/ ٦٦) .
(٤) رواه البخاري رقم (٣٣٨٠) و(٤٤١٩) .
(٥) ورواه من طريقه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٣٣) .
(٦) رواه البخاري في « صحيحه » رقم (٤٣٣) و(٤٤٢٠) و(٤٧٠٢) من حديث مالك ، و(٣٣٧٨) من حديث سليمان بن بلال .
(٧) في « صحيحه » رقم (٢٩٨٠) .
(٨) في « المسند » (٢/ ١١٧) .

قال : نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك الحِجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم ، فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور ، وعلفوا العجين الإبل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا فقال : « إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، فلا تدخلوا عليهم » . وهذا الحديث إسناده على شرط « الصحيحين » من هذا الوجه ، ولم يخرجوه ، وإنما أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[1] من حديث أنس بن عياضٍ أبي ضَمْرَة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر به . قال البخاريُّ : وتابعه أسامة ، عن نافعٍ .

ورواه مسلمٌ[2] من حديث شعيب بن إسحاق ، عن عبيد الله ، عن نافعٍ به .

وقال الإمام أحمد[3] : حدَّثنا عبد الرزاق ، حدَّثنا معمرٌ ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيمٍ ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قال : لما مرَّ النبيُّ ﷺ بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالحٍ ، فكانت ترد من هذا الفجِّ ، وتصدر من هذا الفجِّ ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحةٌ أهمد الله من تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله » . قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : « هو أبو رِغالٍ ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه » . إسناده صحيحٌ ، ولم يخرجوه .

وقال الإمام أحمد[4] : حدَّثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا المسعوديُّ ، عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة الأنماريِّ ، عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجر يدخلون عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنودي في الناس : الصلاةَ جامعةً . قال : فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسكٌ بعيره وهو يقول : « ما تدخلون على قومٍ غضب الله عليهم ؟ » فناداه رجلٌ منهم : نعجب منهم [يا رسول الله] . قال : « أفلا أنبِّئكم بأعجب من ذلك ؟ رجلٌ من أنفسكم ينبِّئكم بما كان قبلكم وما هو كائنٌ بعدكم ، فاستقيموا وسدِّدوا ، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً ، وسيأتي قومٌ لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً » . إسناده حسنٌ ، ولم يخرجوه .

وقال يونس بن بكيرٍ[5] ، عن ابن إسحاق ، حدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزمٍ عن العباس بن سهل بن سعدٍ الساعديِّ ـ أو عن العباس ، [عن سهل] بن سعدٍ ، الشكُّ منِّي ـ أن رسول الله ﷺ حين مرَّ

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٣٧٩) ومسلم رقم (٢٩٨١) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨١) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٩٦) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣١) ، وإسناده ضعيف .
(٥) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٠) .

بالحجر ونزلها استقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ للناس : « لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضَّؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجينٍ عجنتموه فأعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له » . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلا رجلين من بني ساعدة ، خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيرٍ له ؛ فأما الذي ذهب لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره ، فاحتملته الريح حتى ألقته بجبلي طيِّئٍ ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « ألم أنهكم أن يخرج رجلٌ إلا ومعه صاحبٌ له ؟ » ثم دعا للذي أُصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ [حين قدم] من تبوك ـ وفي رواية زيادٍ ، عن ابن إسحاق أن طيّئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة ـ قال ابن إسحاق : وقد حدَّثني عبد الله بن أبي بكرٍ أن العباس بن سهلٍ سمَّى له الرجلين ، لكنه استكتمه إيَّاهما ، فلم يحدِّثني بهما .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدَّثنا عَفَّان ، حدَّثنا وهيب بن خالدٍ ، ثنا عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعدٍ الساعديِّ ، عن أبي حميدٍ الساعديِّ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأةٌ في حديقةٍ لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « اخرصوا » . فخرص القوم وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسقٍ ، وقال رسول الله ﷺ للمرأة : « أحصي ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله » . قال : فخرج حتى قدم تبوك ، فقال رسول الله ﷺ : « إنها ستهبُّ عليكم الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقومنَّ فيها رجلٌ ، فمن كان له بعيرٌ فليوثق عقاله » . قال أبو حميدٍ : فعقلناها ، فلما كان من الليل ، هبَّت علينا ريحٌ شديدةٌ ، فقام فيها رجلٌ فألقته في جبل طيِّئٍ ، ثم جاء رسول الله ملك أيلة ، فأهدى لرسول الله بغلةً بيضاء ، وكساه رسول الله برداً ، وكتب له ببحرهم ، ثم أقبل وأقبلنا معه ، حتى جئنا وادي القرى ، فقال للمرأة : « كم جاءت حديقتكِ ؟ » قالت : عشرة أوسقٍ ، خرصَ رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « إني متعجِّلٌ ، فمن أحبَّ منكم أن يتعجَّل فليفعل » . قال : فخرج رسول الله وخرجنا معه ، حتى إذا أوفى على المدينة ، قال : « هذه طابة » . فلما رأى أُحداً قال : « هذا أحدٌ ، يحبُّنا ونحبُّه ، ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « خير دور الأنصار بنو النجّار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كلِّ دور الأنصار خيرٌ » .

وأخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[٢] من غير وجهٍ عن عمرو بن يحيى به نحوه .

وقال الإمام مالكٌ[٣] ، رحمه الله ، عن أبي الزُّبير ، عن أبي الطُّفيل عامر بن واثلة ، أن معاذ بن جبلٍ

(١) في « المسند » (٥/ ٤٢٤) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٤٨١) و(١٨٧٢) و(٣١٦١) و(٣٧٩١) و(٤٤٢٢) ومسلم رقم (١٣٩٢) .
(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١/ ١٤٣ ـ ١٤٤) .

أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء . قال : فأخَّر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلَّى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ، ثم خرج فصلَّى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال : « إنكم ستأتون غداً ، إن شاء الله ، عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائها شيئاً حتى آتيَ » . قال : فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبضُّ بشيءٍ من ماءٍ ، فسألهما رسول الله ﷺ : « هل مسستما من مائها شيئاً ؟ » قالا : نعم . فسبَّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيءٍ ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماءٍ كثيرٍ ، فاستقى الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ ، يوشك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً » .

وأخرجه مسلمٌ(١) من حديث مالكٍ به .

* * *

ذكر
خطبته ، عليه الصلاة والسلام ،
في تبوك إلى نخلةٍ هناك

روى الإمام أحمد(٢) ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، ويونس بن محمدٍ المؤدِّب ، وحجَّاج بن محمدٍ ، ثلاثتهم عن اللّيث بن سعدٍ ، عن يزيد بن أبي حبيبٍ ، عن أبي الخير ، عن أبي الخطاب ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنه قال : إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسندٌ ظهره إلى نخلةٍ فقال : « ألا أخبركم بخير الناس وشرِّ الناس ؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه ، أو على ظهر بعيره ، أو على قدميه ، حتى يأتيَه الموت ، وإنَّ من شرِّ الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيءٍ منه » . ورواه النسائي(٣) ، عن قتيبة ، عن الليث به . وقال : أبو الخطاب لا أعرفه .

وروى البيهقيُّ(٤) من طريق يعقوب بن محمدٍ الزُّهريِّ ، عن عبد العزيز بن عمران ، حدَّثنا عبد الله بن مصعب بن منظور بن جَميل بن سنانٍ ، أخبرني أبي ، سمعت عقبة بن عامرٍ الجهنيَّ يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فاسترقد رسول الله ﷺ فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قِيد رمحٍ ، قال :

---

(١) رواه مسلم رقم (٧٠٦) (١٠) في الفضائل : باب من معجزات النبي ﷺ .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٧) و(٣/ ٤١) و(٣/ ٥٧) .
(٣) رواه النسائي رقم (٣١٠٦) وإسناده ضعيف .
(٤) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤١) .

«ألم أقل لك يا بلال: اكلأ لنا الفجر؟» فقال: يا رسول الله، ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك . قال: فانتقل رسول الله ﷺ من منزله غير بعيدٍ، ثم صلّى وسار بقية يومه وليلته ، فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : « أيها الناس ، أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التَّقوى، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السُّنن سنة محمدٍ ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدي ما اتُّبع، وشرُّ العمى عمى القلب ، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفْلَى ، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى ، وشرَّ المعذرة حين يحضر الموت ، وشرَّ النَّدامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبْراً ، ومن الناس من لا يذكر الله إلا هَجراً، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذّاب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، عز وجل، وخير ما وقر في القلوب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنِّياحة من عمل الجاهليَّة ، والغلول من جثى جهنم ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبائل الشيطان ، والشباب شعبةٌ من الجنون ، وشرَّ المكاسب كسب الرِّبا ، وشرَّ المآكل أكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره، والشقيَّ من شقي في بطن أمِّه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرعٍ، والأمر إلى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشرَّ الرَّوايا روايا الكذب ، وكلَّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وسِباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفرٌ ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألَّ على الله يكذبه ، ومن يستغفره يغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم يأجره الله ، ومن يصبر على الرَّزيَّة يعوِّضه الله ، ومن يبتغ السُّمعة يسمِّع الله به . ومن يصبر يضعِّف الله له ، ومن يعص الله يعذِّبه الله ، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي » . قالها ثلاثاً ، ثم قال : « أستغفر الله لي ولكم » . وهذا حديثٌ غريبٌ ، وفيه نكارةٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ، والله تعالى أعلم بالصواب .

وقال أبو داود[1] : ثنا أحمد بن سعيدٍ الهَمدانيُّ ، وسليمان بن داود قالا : أخبرنا ابن وهبٍ ، أخبرني معاوية ، عن سعيد بن غَزْوَان ، عن أبيه أنه نزل بتبوك وهو حاجٌّ ، فإذا رجلٌ مقعدٌ ، فسأله عن أمره فقال : سأحدِّثك حديثاً ، فلا تحدِّث به ما سمعت أنِّي حيٌّ ؛ إنَّ رسول الله ﷺ نزل بتبوك إلى نخلةٍ فقال : « هذه قبلتنا » . ثم صلَّى إليها . قال : فأقبلتُ وأنا غلامٌ أسعى ، حتى مررت بينه وبينها ، فقال : « قطع صلاتنا قطع الله أثره » . قال : فما قمت عليها إلى يومي هذا .

ثم رواه أبو داود[2] من حديث سعيدٍ بن عبد العزيز التَّنوخيِّ ، عن مولى ليزيد بن نمران ، عن يزيد بن

---

(١) رواه أبو داود رقم (٧٠٧) ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو داود رقم (٧٠٥) ، وإسناده ضعيف .

نمران قال : رأيت بتبوك مُقعداً فقال : مررت بين يدي رسول الله ﷺ وأنا على حمارٍ ، وهو يصلِّي ، فقال : « اللهم اقطع أثره » .

فما مَشَيت عليها بعدُ .

وفي رواية : « قطع صلاتنا قطع الله أثره »[١] .

* * *

ذكر
الصَّلَاة على مُعَاوية بن مُعَاوية[٢]
إن صحَّ الخبر في ذلك

روى البيهقيُّ[٣] من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا العلاء أبو محمد الثقفيُّ قال : سمعت أنس بن مالكٍ قال : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاعٍ ونورٍ لم أرها طلعت فيما مضى ، فأتى جبريل رسول الله فقال : « يا جبريل ، ما لي أرى الشمس اليوم طلعت بضياءٍ ونورٍ وشعاعٍ لم أرها طلعت فيما مضى ؟ » قال : ذلك أن معاوية بن معاوية الليثيَّ مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملكٍ يصلُّون عليه . قال : « وممَّ ذاك ؟ » قال : بكثرة قراءته ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص : ١] بالليل والنهار ، وفي ممشاه وفي قيامه وقعوده ، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلِّي عليه ؟ قال : « نعم » . فصلَّى عليه ثم رجع . وهذا الحديث فيه غرابةٌ شديدةٌ ونكارةٌ ، والناس يسندون أمره إلى العلاء بن زيدٍ هذا ، وقد تكلَّموا فيه .

ثم قال البيهقيُّ[٤] : أخبرنا عليُّ بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيدٍ الصَّفَّار ، حدَّثنا هشام بن عليٍّ ، أخبرنا عثمان بن الهيثم ، حدَّثنا محبوب بن هلالٍ ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنسٍ قال : جاء جبريل فقال : يا محمد ، مات معاوية بن مُعَاوية المُزَنيُّ ، أفتحبُّ أن تصلي عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه ، فلم يبق من شجرةٍ ولا أكَمةٍ إلا تضعضعت له . قال : فصلَّى وخلفه صفَّان من الملائكة ، في كل صفٍّ سبعون ألف ملكٍ . قال : قلت : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله ؟ » قال : بحبّه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يقرؤها قائماً وقاعداً ، وذاهباً وجائياً ، وعلى كلِّ حالٍ . قال عثمان :

---

(١) وهي عند أبي داود رقم (٧٠٦) وهي ضعيفة .
(٢) ترجمته في « تجريد أسماء الصحابة » (٢/ ٨٣) و« الإصابة في تمييز الصحابة » (٣/ ٤٣٦) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٥) .
(٤) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٤٦) .

فسألت أبي : أين كان النبيُّ ﷺ ؟ قال : بغزوة تبوك بالشام ، ومات معاوية بالمدينة ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وصلَّى عليه ، وهذا أيضاً منكرٌ من هذا الوجه .

***

قدوم رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ بتبوك

قال الإمام أحمد[1] : حدَّثنا إسحاق بن عيسى ، حدَّثنا يحيى بن سُلَيم ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشدٍ قال : لقيت التَّنوخيَّ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص ، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفنَد أو قُرب . فقلت : ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ؟ فقال : بلى ، قدم رسول الله ﷺ تبوك ، فبعث دحية الكلبيَّ إلى هرقل ، فلما جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسِّيسي الرُّوم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار ، فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إليَّ يدعوني إلى ثلاث خصالٍ ؛ يدعوني إلى أن أتَّبعه على دينه ، أو على أن نعطيَه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقي إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب ليأخذنَّ [ما تحت قدميَّ] فهلمَّ فلنتَّبعه على دينه أو نعطه مالنا على أرضنا . فنخروا نخرة رجلٍ واحدٍ حتى خرجوا من برانسهم ، وقالوا : تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابيٍّ جاء من الحجاز ؟ فلما ظنَّ أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم ولم يكد ، وقال : إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم . ثم دعا رجلاً من عرب تُجيب كان على نصارى العرب ، قال : ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربيَّ اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه . فجاء بي فدفع إليَّ هرقل كتاباً ، فقال : اذهب بكتابي إلى هذا الرجل ، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصالٍ ؛ انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشيءٍ ، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل ، وانظر في ظهره هل به شيءٌ يريبك . قال : فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالسٌ بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء ، فقلت : أين صاحبكم ؟ قيل : ها هو ذا . فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي ، فوضعه في حجره ثم قال : « ممن أنت ؟ » فقلت : أنا أخو تنوخ . قال : « هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم ؟ » قلت : إني رسول قوم وعلى دين قوم ، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم . فضحك وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] يا أخا تنوخ ، إني كتبت بكتابٍ إلى كسرى فمزَّقه ، واللهُ ممزِّقه وممزِّقٌ ملكه ، وكتبت إلى النجاشيِّ بصحيفةٍ فخرَّقها ، واللهُ مُخَرِّقه ، ومُخَرِّقٌ مُلكه ، وكتبتَ إلى صاحبك بصحيفةٍ فأمسكها ، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خيرٌ » . قلت :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢) ، وإسناده ضعيف ، سعيد بن أبي راشد فيه جهالة .

هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي . فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره ، قلت : من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا : معاوية . فإذا في كتاب صاحبي : تدعوني إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض أُعدَّت للمتقين ، فأين النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سبحان الله ! أين الليل إذا جاء النهار ؟! » قال : فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي . فلما أن فرغ من قراءة كتابي ، قال : « إن لك حقاً وإنك رسول ، فلو وجدتَ عندنا جائزةً جوَّزناك بها ، إنَّا سَفْرٌ مرملون » . قال : فناداه رجلٌ من طائفة الناس ، قال : أنا أجوِّزه . ففتح رحله ، فإذا هو يأتي بحلةٍ صفُّوريَّةٍ فوضعها في حَجري ، قلت : من صاحب الجائزة ؟ قيل لي : عثمان . ثم قال رسول الله : « أيُّكم ينزل هذا الرجل ؟ » فقال فتى من الأنصار : أنا . فقام الأنصاريُّ وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله فقال : « تعال يا أخا تنوخ » . فأقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه ، فحلَّ حُبوته عن ظهره ، وقال : « هاهنا امض لما أمرت به » . فجُلت في ظهره ، فإذا أنا بخاتمٍ في موضع غضون الكتف مثل الحَجمة الضخمة . هذا حديثٌ غريبٌ ، وإسناده لا بأس به ، تفرَّد به الإمام أحمد .

* * *

ذكر

مصالحته ، عليه الصلاة والسلام ، مَلِكَ أَيْلَة وأهل جَرْبَاء وأَذْرُحَ وهو مُخَيِّمٌ على تَبُوكَ قبل رجوعه

قال ابن إسحاق[١] : ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رُؤبة صاحب أَيلة ، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فهو عندهم ، فكتب ليُحَنَّة بن رُؤبة وأهل أيلة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمنةٌ من الله ومحمدٍ النبيِّ رسول الله ليُحَنَّة بن رؤبة وأهل أيلة ، سُفنهم وسيَّارتهم في البرِّ والبحر ، لهم ذمَّة الله ومحمدٍ النبيِّ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحلُّ أن يمنعوه ماءً يرِدونه ولا طريقاً يردونه من برٍّ أو بحرٍ » .

زاد يونس بن بكيرٍ[٢] ، عن ابن إسحاق بعد هذا : وهذا كتابُ جُهيم بن الصَّلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٥) .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٤٨) .

قال يونس ، عن ابن إسحاق[(١)] : وكتب لأهل جرباء وأذرح : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ النبيِّ رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمدٍ ، وأن عليهم مئة دينارٍ في كلِّ رجبٍ ، ومائة أوقيَّةٍ طَيِّبةٍ ، وأن الله عليهم كفيلٌ بالنُّصح والإحسان إلى المسلمين ، ومن لجأ إليهم من المسلمين » . قال : وأعطى النبيُّ ﷺ أهل أيلة بُرده مع كتابه أماناً لهم . قال : فاشتراه بعد ذلك أبو العباس عبد الله بن محمدٍ بثلاثمئة دينارٍ .

***

بَعْثُهُ ، عليه الصلاة والسلام ، خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُومة

قال ابن إسحاق[(٢)] : ثم إنَّ رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دُومة ، وهو أُكَيدر بن عبد الملك ؛ رجلٌ من كِندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله ﷺ لخالدٍ : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالدٌ ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلةٍ مقمرةٍ صائفةٍ ، وهو على سطحٍ له ، ومعه امرأته ، وباتت البقر تحكُّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قطُّ ؟! قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأُسرج له . وركب معه نفرٌ من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له : حسَّان . فركب وخرجوا معه بمَطاردهم . فلمَّا خرجوا تلقَّتهم خيل النبيِّ ﷺ ، فأخذته وقتلوا أخاه ، وكان عليه قَباءٌ من ديباجٍ مخوَّصٌ بالذهب ، فاستلبه خالدٌ ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . قال : فحدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالكٍ قال : رأيت قَباء أُكيدرٍ حين قدم به على رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : « أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذٍ في الجنة أحسن من هذا » .

قال ابن إسحاق[(٣)] : ثم إن خالد بن الوليد لمَّا قدم بأكيدرٍ على رسول الله ﷺ حقن له دمه فصالحه على الجزية ، ثم خلَّى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجلٌ من بني طيِّئٍ ـ يقال له : بُجير بن بَجرة ـ في ذلك : [من الوافر]

تبـارك سـائـق البقـرات إنِّـي ... رأيـت الله يهـدي كـلَّ هـاد
فمن يك حائداً عن ذي تبوكٍ ... فـإنَّـا قـد أمـرنـا بـالجهـاد

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/٢٤٨ ـ ٢٤٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٦) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٦ ـ ٥٢٧) .

وقد حكى البيهقيُّ[١] أنَّ رسول الله ﷺ قال لهذا الشاعر : لا يفضض الله فاك » . فأتت عليه تسعون سنةً ما تحرَّك له فيها ضرسٌ ولا سنٌّ .

وقد روى ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عُرْوَة ، أنَّ رسول الله ﷺ بعث خالداً مرجعه من تبوك في أربعمائةٍ وعشرين فارساً إلى أكيدر دومة . فذكر نحو ما تقدَّم ، إلا أنَّه ماكَره حتى أنزله من الحصن ، وذكر أنَّه قدم مع أُكَيدر إلى رسول الله ﷺ ثمانمئةٍ من السَّبي ، وألف بعيرٍ ، وأربعمئة درعٍ ، وأربعمئة رُمحٍ ، وذكر أنَّه لمَّا سمع عظيم أيلة يُحَنَّة بن رؤبة بقضية أُكَيدر دومة أقبل قادماً على رسول الله ﷺ ليصالحه ، فاجتمعا عند رسول الله ﷺ بتبوك ، فالله أعلم .

وروى يونس بن بكيرٍ[٢] ، عن سعد بن أوسٍ ، عن بلال بن يحيى ، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل ، وخالد بن الوليد على الأعراب في غزوة دومة الجندل ، فالله أعلم .

***

فصــلٌ

قال ابن إسحاق[٣] : فأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلةً بتبوك لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة . قال : وكان في الطريق ماءٌ يخرج من وَشَلٍ ، يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له : وادي المشقَّق . فقال رسول الله ﷺ : « من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقينَّ منه شيئاً حتى نأتيَه » . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقَوا ما فيه ، فلمَّا أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال : « من سبقنا إلى هذا الماء ؟ » فقيل له : يا رسول الله ، فلانٌ وفلانٌ . فقال : « أوَ لم أنهَهم أن يستقوا منه حتى آتيَه ؟ » ثم لعنهم ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوَشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصبَّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا بما شاء الله أن يدعوَ ، فانخرق من الماء ـ كما يقول من سمعه ـ ما إنَّ له حسّاً كحسِّ الصَّواعق ، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن بقيتم أو من بقي منكم ليسمعنَّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه » .

قال ابن إسحاق[٤] : وحدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميُّ ، أنَّ عبد الله بن مسعودٍ كان يحدِّث قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك ، فرأيت شُعلةً من نارٍ في ناحية

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٥١) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٥٣) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .

العسكر ، فاتَّبعتها أنظر إليها . قال : فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجادين قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكرٍ وعمر يدلِّيانه إليه ، وإذا هو يقول : « أدنيا إليَّ أخاكما » . فدلَّياه إليه ، فلمَّا هيَّأه لشقِّه قال : « اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه ، فارض عنه » . قال : يقول ابن مسعودٍ : يا ليتني كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشامٍ(١) : إنَّما سمِّي ذا البِجادين ، لأنَّه كان يريد الإسلام ، فمنعه قومه وضيَّقوا عليه ، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجادٌ ، وهو الكساء الغليظ ، فشقَّه باثنتين ، فَأْتزر بواحدةٍ وارتدى بالأخرى ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فسمِّي ذا البِجادين .

قال ابن إسحاق(٢) : وذكر ابن شهابٍ الزهريُّ ، عن ابن أُكَيْمَة اللَّيثيِّ ، عن ابن أخي أبي رُهمٍ الغفاريِّ ، أنَّه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلةٍ معه ونحن بالأخضر ، وألقى الله عليَّ النُّعاس ، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة النبيِّ ﷺ ، فيُفزعني دنوُّها منه ؛ مخافة أن أُصيب رجله في الغرز ، فطفقت أحوز راحلتي عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، فزاحمت راحلتي راحلته ورجله في الغرز ، فلم أستيقظ إلا بقوله : « حسِّ » . فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . قال : « سر » . فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمَّن تخلَّف عنه من بني غفارٍ ، فأُخبره به ، فقال وهو يسألني : « ما فعل النَّفر الحُمر الطِّوال الثِّطاط الذين لا شعر في وجوههم ؟ » فحدَّثته بتخلُّفهم ، قال : « فما فعل النفر السُّود الجعاد القصار ؟ » قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منّا . قال : « بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشبكة شَدَخٍ » . فتذكَّرتهم في بني غفارٍ ، فلم أذكرهم ، حتى ذكرت أنَّهم رهطٌ من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهطٌ من أسلم حلفاء فينا . فقال رسول الله ﷺ : « ما منع أحد أولئك حين تخلَّف أن يحمل على بعيرٍ من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله ؟ إنَّ أعزَّ أهلي عليَّ أن يتخلَّف عني ؛ المهاجرون والأنصار وغفارٌ وأسلم » .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير قال : لمَّا قفل رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة ، همَّ جماعةٌ من المنافقين بالفتك به ، وأن يطرحوه من رأس عَقَبةٍ في الطريق ، فأخبر بخبرهم ، فأمر الناس بالمسير من الوادي ، وصعِد هو العقبة ، وسلكها معه أولئك النفر وقد تلثَّموا ، وأمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسرٍ وحُذَيفة بن اليمان أن يمشيا معه ، عمارٌ آخذٌ بزمام الناقة ، وحُذَيفة يسوقها ، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم ، فغضب رسول الله ﷺ ، وأبصر حذيفة غضبه ، فرجع إليهم ومعه محجنٌ ، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه ، فلما رأوا حذيفة ظنُّوا أن قد أظهر على

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٧) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٢٨) .

ما أضمروه من الأمر العظيم ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس ، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ ، فأمرهما فأسرعا حتى قطعوا العقبة ، ووقفوا ينتظرون الناس ، ثم قال رسول الله ﷺ لحذيفة : « هل عرفت هؤلاء القوم ؟ » قال : ما عرفت إلا رواحلهم في ظلمة الليل حين غشِيتُهم . ثم قال : « علمتما ما كان من شأن هؤلاء الرَّكب ؟ » . قالا : لا . فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه ، وسمَّاهم لهما ، واستكتمهما ذلك ، فقالا : يا رسول الله ، أفلا تأمر بقتلهم ؟ فقال : « أكره أن يتحدَّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه » .

وقد ذكر ابن إسحاق هذه القصة ، إلا أنَّه ذكر أنَّ النبيَّ ﷺ إنَّما أعلم بأسمائهم حذيفة بن اليمان وحده ، وهذا هو الأشبه ، والله أعلم ، ويشهد له قول أبي الدَّرداء لعلقمة صاحب ابن مسعودٍ : أليس فيكم ـ يعني أهل الكوفة ـ صاحب السَّواد والوساد ؟ ـ يعني ابن مسعودٍ ـ أليس فيكم صاحب السرِّ الذي لا يعلمه غيره ؟ ـ يعني حذيفة ـ أليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان محمدٍ ﷺ ؟ ـ يعني عماراً . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنَّه قال لحذيفة : أقسمت عليك بالله ، أنا منهم ؟ قال : لا ولا أبرِّئ بعدك أحداً . يعني حتى لا يكون مفشياً سرَّ النبيِّ ﷺ .

قلت : وقد كانوا أربعة عشر رجلاً ، وقيل : كانوا اثني عشر رجلاً .

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث إليهم حذيفة بن اليمان فجمعهم له ، فأخبرهم رسول الله ﷺ بما كان من أمرهم وبما تمالؤوا عليه .

ثم سرد ابن إسحاق أسماءهم ، قال : وفيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

وروى البيهقيُّ[١] من طريق محمد بن سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرَّة ، عن أبي البَختريِّ ، عن حذيفة بن اليمان قال : كنت آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ أقود به ، وعمارٌ يسوق الناقة ـ أو أنا أسوق وعمارٌ يقود به ـ حتى إذا كنّا بالعقبة إذا أنا باثني عشر راكباً قد اعترضوه فيها . قال : فأنبهت رسول الله ﷺ ، فصرخ بهم فولَّوا مدبرين ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « هل عرفتم القوم ؟ » . قلنا : لا يا رسول الله ، قد كانوا متلثِّمين ، ولكنَّا قد عرفنا الرِّكاب . قال : « هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ » . قلنا : لا . قال : « أرادوا أن يزحموا رسول الله في العقبة ، فيلقوه منها » . قلنا : يا رسول الله ، أو لا تبعث إلى عشائرهم ؛ حتى يبعث إليك كلُّ قومٍ برأس صاحبهم ؟ قال : « لا ، أكره أن تحدَّث العرب بينها أن محمداً قاتل بقومٍ ، حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم » . ثم قال : « اللهم ارمهم بالدُّبَيلة » . قلنا : يا رسول الله ، وما الدُّبيلة ؟ قال : « شهابٌ من نارٍ يقع على نياط قلب أحدهم فيهلك » .

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٠) .

وفي « صحيح مسلم »[(١)] من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عبادٍ قال : قلت لعمارٍ : أرأيتم صنيعكم هذا فيما كان من أمر عليٍّ ؛ أرأياً رأيتموه ، أم شيئاً عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس كافَّةً ، ولكن حذيفة أخبرني عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ، منهم ثمانيةٌ لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط » .

وفي رواية له[(٢)] من وجهٍ آخر عن قتادة : « إن في أمتي اثني عشر منافقاً ، لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط ، ثمانيةٌ منهم تكفيكهم الدُّبَيلة ؛ سراجٌ من النار يظهر بين أكتافهم حتى ينجُم من صدورهم » .

قال الحافظ البيهقيُّ[(٣)] : وروينا عن حُذَيفة أنَّهم كانوا أربعة عشر ، أو خمسة عشر ، وأشهد بالله أنَّ اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله ﷺ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثةً أنَّهم قالوا : ما سمعنا المنادي ولا علمنا بما أراد .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد في « مسنده »[(٤)] قال : حدثنا يزيد ـ هو ابن هارون ـ أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جُميع ، عن أبي الطُّفيل قال : لمَّا أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى : إنَّ رسول الله ﷺ آخذٌ بالعقبة ، فلا يأخذها أحدٌ . فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمارٌ ، إذ أقبل رهطٌ متلثِّمون على الرَّواحل ، فغشُوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمارٌ يضرب وجوه الرَّواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة : « قُد[(٥)] قُد » . حتى هبط رسول الله ﷺ ، فلمَّا هبط نزل ورجع عمارٌ ، قال : « يا عَمَّار ، هل عرفت القوم ؟ » قال : قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثِّمون . قال : « هل تدري ما أرادوا ؟ » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه » . قال : فسارَّ عمارٌ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر . فقال : إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثةً قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمارٌ : أشهد أن الاثني عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد .

***

---

(١) رقم (٢٧٧٩) (٩) .
(٢) أي : للإمام مسلم وهي عنده رقم (٢٧٧٩) (١٠) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٦٢) .
(٤) (٥/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ، وإسناده حسن .
(٥) أي : أسرع .

قصة مسجد الضِّرَار

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٧ - ١١٠] .

وقد تكلَّمنا على تفسير ما يتعلَّق بهذه الآيات الكريمة في كتابنا « التفسير » بما فيه كفايةٌ(١) ، ولله الحمد .

وذكر ابن إسحاق(٢) كيفية بناء هذا المسجد الظالم أهله ، وكيفية أمر رسول الله ﷺ بخرابه مرجعه من تبوك قبل دخوله المدينة . ومضمون ذلك ؛ أن طائفةً من المنافقين بنَوا صورة مسجدٍ قريباً من مسجد قباءٍ ، وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله ﷺ فيه ؛ حتى يروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر والعناد ، فعصم الله رسوله ﷺ من الصلاة فيه ؛ وذلك أنه كان على جناح سفرٍ إلى تبوك ، فلما رجع منها فنزل بذي أوانٍ ـ مكانٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ ـ نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ الآية . أما قوله : ﴿ ضِرَارًا ﴾ . فلأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباءٍ ، ﴿ وَكُفْرًا ﴾ بالله لا للإيمان به ، ﴿ وَتَفْرِيقًا ﴾ للجماعة عن مسجد قباءٍ ، ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ وهو أبو عامرٍ الراهب الفاسق ، قبَّحه الله ، وذلك أنه لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبى عليه ، ذهب إلى أهل مكة فاستنفرهم ، فجاؤوا عام أحدٍ ، فكان من أمرهم ما قدَّمناه ، فلما لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ؛ ليستنصره على رسول الله ﷺ ، وكان أبو عامرٍ على دين هرقل ممن تنصَّر معهم من العرب ، وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعِدهم ويمنِّيهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كلَّ حينٍ ، فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة ، وباطنه دار حربٍ ومقرٌّ لمن يفد من عند أبي عامرٍ الراهب ، ومجمعٌ لمن هو على طريقتهم من المنافقين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ . ثم قال : ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ ﴾ . أي الذين بنوه ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ . أي ؛ إنما أردنا

(١) انظر « تفسير القرآن العظيم » (٤/١٤٨) .

(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/٥٢٩) .

بنائه الخير . قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ . ثم قال الله تعالى لرسوله : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ . فنهاه عن القيام فيه لئلا يقرِّر أمره ، ثم أمره وحثَّه على القيام في المسجد الذي أسِّس على التقوى من أول يومٍ ، وهو مسجد قباءٍ ، لما دل عليه السياق ، والأحاديث الواردة في الثناء على تطهير أهله مشيرةٌ إليه ، وما ثبت في « صحيح مسلم »[١] من أنه مسجد رسول الله ﷺ لا ينافي ما تقدَّم ؛ لأنه إذا كان مسجد قباءٍ أسِّس على التقوى من أول يومٍ ، فمسجد الرسول أولى بذلك وأحرى ، وأثبت في الفضل منه وأقوى ، وقد أشبعنا القول في ذلك في « التفسير » ولله الحمد .

والمقصود أن رسول الله ﷺ لما نزل بذي أَوانٍ ، دعا مالك بن الدُّخشم ومعن بن عديٍّ ـ أو أخاه عاصم بن عديٍّ ـ رضي الله عنهما ، فأمرهما أن يذهبا إلى هذا المسجد الظالم أهله فيحرِّقاه بالنار ، فذهبا فحرَّقاه بالنار ، وتفرَّق عنه أهله .

قال ابن إسحاق[٢] : وكان الذين بنَوه اثني عشر رجلاً وهم ؛ خِذام بن خالدٍ وفي جنب داره كان بناء هذا المسجد ، وثعلبة بن حاطبٍ ، ومعتِّب بن قشيرٍ ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبَّاد بن حنيفٍ أخو سهل بن حنيفٍ ، وجارية بن عامرٍ ، وابناه مجمِّعٌ وزيدٌ ، ونبتل بن الحارث ، وبَحزجٌ وهو إلى بني ضبيعة ، وبِجاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابتٍ وهو إلى بني أميَّة .

قلت : وفي غزوة تبوك هذه صلَّى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوفٍ صلاة الفجر ، أدرك معه الركعة الثانية منها ، وذلك أن رسول الله ﷺ ذهب يتوضَّأ ومعه المغيرة بن شعبة ، فأبطأ على الناس ، فأقيمت الصلاة ، فتقدَّم عبد الرحمن بن عوفٍ ، فلما سلَّم الناس أعظموا ما وقع ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « أحسنتم وأصبتم » وذلك فيما رواه البخاريُّ[٣] ، رحمه الله ، قائلاً : حدَّثنا .

[قدومه ﷺ المدينة]

وقال البخاريُّ[٤] : حدَّثنا أحمد بن محمدٍ ، حدَّثنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا حميدٌ الطويل ، عن أنس بن مالكٍ ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة فقال : « إن بالمدينة أقواماً ، ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . فقالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟! قال : « وهم بالمدينة ، حبسهم العذر » . تفرد به من هذا الوجه .

---

(١) رقم (١٣٩٨) في الحج : باب لا تشد الرحَّال إلا إلى ثلاثة مساجد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٠) .
(٣) روى البخاري منه قصة الوضوء فقط رقم (٤٤٢١) وروى مسلم تاماً رقم (٢٧٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٤٢٣) .

وقال البخاريُّ[١] : حدَّثنا خالد بن مخلدٍ ، حدَّثنا سليمان ، حدَّثني عمرو بن يحيى ، عن العباس بن سهل بن سعدٍ ، عن أبي حميدٍ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحدٌ ؛ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه » .

ورواه مسلمٌ[٢] ، من حديث سليمان بن بلالٍ به نحوه .

وقال البخاريُّ[٣] : حدَّثنا عبد الله بن محمدٍ ، حدَّثنا سفيان ، عن الزهريِّ ، عن السائب بن يزيد قال : أذكر أنِّي خرجت مع الصبيان نتلقَّى رسول الله ﷺ إلى ثنيَّة الوداع مقدمه من غزوة تبوك .

ورواه أبو داود والترمذيُّ[٤] من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال البيهقيُّ[٥] : أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أخبرنا أبو عمرو بن مطرٍ ، سمعت أبا خليفة يقول : سمعت ابن عائشة يقول : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة[٦] ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن : [من مجزوء الرمل]

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعِ
وجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا للهِ داعِ

قال البيهقيُّ[٧] : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة ، لا أنه لما قدم المدينة من ثنيَّات الوَدَاع عند مقدمه من تبوك ، والله أعلم ، فذكرناه هاهنا أيضاً .

قال البخاريُّ[٨] ، رحمه الله :

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٤٢٢) .
(٢) رواه مسلم رقم (١٣٩٢) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٤٢٧) .
(٤) رواه أبو داود رقم (٢٧٧٩) والترمذي رقم (١٧١٨) .
(٥) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦) وهو ما ذهب إليه ابن القيم في « زاد المعاد » (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) وقال : « وبعض الرواة يهم في هذا ويقول : إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر ، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام ، لا يراها القادم من مكّة إلى المدينة ، ولا يمرُّ بها إلا إذا توجه إلى الشام ، فلما أشرف على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أُحُد جبل يحبنا ونحبه » . وانظر « المغانم المطابة في معالم طابة » للفيروزابادي ص(٨٠ ـ ٨١) بتحقيق شيخنا العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله .
(٦) يعني من غزوة تبوك .
(٧) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٦) .
(٨) رواه البخاري رقم (٤٤١٨) .

حديث كعب بن مالكٍ
رضي الله عنه

حدَّثنا يحيى بن بكيرٍ ، حدَّثنا اللّيث ، عن عقيلٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ، أن عبد الله بن كعب بن مالكٍ ـ وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عمي ـ قال : سمعت كعب بن مالكٍ يحدِّث حين تخلَّف عن قصة تبوك ، قال كعبٌ : لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدرٍ ، ولم يعاتَب أحدٌ تخلَّف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريشٍ ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوِّهم على غير ميعادٍ ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدرٍ ، وإن كانت بدرٌ أذكر في الناس منها ، كان من خبري أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطُّ ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله يريد غزوةً إلا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله في حرٍّ شديدٍ ، واستقبل سفراً بعيداً ، ومفازاً ، وعدوّاً كثيراً ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ؛ ليتأهبوا أُهبة غزوتهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ، ولا يجمعهم كتابٌ حافظٌ ـ يريد الدِّيوان ـ قال كعبٌ : فما رجلٌ يريد أن يتغيَّب إلا ظنَّ أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظِّلال ، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي : أنا قادرٌ عليه . فلم يزل يتمادى بي ، حتى اشتد بالناس الجدُّ ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه ولم أقض من جَهازي شيئاً ، فقلت : أتجهَّز بعده بيومٍ أو يومين ، ثم ألحقهم . فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهَّز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، وهممت أن ارتحل فأدركهم ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدَّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله فطفت فيهم ، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموضاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوك : « ما فعل كعبٌ ؟ » فقال رجلٌ من بني سَلِمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، ونظره في عطفيه . فقال معاذ بن جبلٍ : بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب بن مالكٍ ، قال : فلما بلغني أنه توجَّه قافلاً ، حضرني همِّي ، وطفقت أتذكَّر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غداً ؟ واستعنت على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيءٍ فيه كذبٌ ، فأجمعت صدقه ، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد ، فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاء المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً ، فقبل منهم

رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، عز وجل ، فجئته ، فلما سلَّمت عليه تبسَّم تبسُّم المغضب . ثم قال : « تعال » . فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلَّفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقلت : بلى ، إنِّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذرٍ ، ولقد أُعطيت جَدَلاً ، ولكني والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني ، لَيُوشِكَنَّ الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حدَّثتك حديث صدقٍ تجد عليَّ فيه ، إنِّي لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذرٍ ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منِّي حين تخلَّفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : « أمَّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك » . فقمت ، وثار رجالٌ من بني سَلِمة فاتَّبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلَّفون ، وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله لك . فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى هممت أن أرجع فأكذِّب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العَمْريُّ ، وهلال بن أميَّة الواقفيُّ . فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوةٌ ، فمضيت حين ذكروهما لي . ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلَّف عنه ، فاجتنَبنا الناس وتغيَّروا لنا ، حتى تنكَّرت في نفسي الأرض ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأما صاحباي فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلَدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلِّمني أحدٌ ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا ؟ ثم أصلِّي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة الناس ، مَشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمِّي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلَّمت عليه ، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أُنشُدك بالله هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار . قال : وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بطعامٍ يبيعه بالمدينة يقول : من يدلُّني على كعب بن مالكٍ ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسَّان ، فإذا فيه : أمَّا بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعةٍ ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء . فتيمَّمت بها التَّنُّور فسجرته بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلِّقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم ، حتى يقضيَ الله في هذا الأمر . قال كعب :

فجاءت امرأة هلال بن أميَّة إلى رسول الله فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أميَّة شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « لا ، ولكن لا يقربك » . قالت : إنه والله ما به حركةٌ إلى شيءٍ ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدُمه . فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجلٌ شابٌّ ! قال : فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ ، حتى كملت لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله عن كلامنا ، فلما صلَّيت الفجر صبح خمسين ليلةً وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله ، عز وجل ، قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، سمعت صوت صارخٍ أوفى على جبل سَلعٍ بأعلى صوته : يا كعب بن مالكٍ ، أبشر . فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشِّروننا ، وذهب قبل صاحبيَّ مبشِّرون ، وركض رجلٌ إليَّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسلم ، فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشِّرني ، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقَّاني الناس فوجاً فوجاً يهنِّئوني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك . قال كعبٌ : حتى دخلت المسجد ، فإذا برسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس ، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّأني ، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة . قال كعبٌ : فلما سلَّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك » . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « لا ، بل من عند الله » . وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمرٍ ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه ، قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله : « أمسك عليك بعض مالك ، فهو خيرٌ لك » . قلت : فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر . فقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما نجَّاني بالصدق ، وإن من توبتي ألا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيت . فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، ما تعمَّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله ﷺ : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٧ ـ ١١٩] . فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ : قال الله تعالى : ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٩٥ ـ ٩٦] . قال

كعبٌ : وكنا تخلَّفنا أيُّها الثلاثة عن أَمْرِ أولئك الذين قبل منهم رسول الله حين حلفوا له فيبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾ [التوبة : ١١٨] . ليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا من الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

وهكذا رواه مسلمٌ[١] ، من طريق الزهريِّ بنحوه .

وهكذا رواه محمد بن إسحاق[٢] ، عن الزهريِّ مثل سياق البخاريِّ ، وقد سقناه في « التفسير »[٣] من « مسند الإمام أحمد »[٤] ، وفيه زياداتٌ يسيرة ، ولله الحمد والمنَّة .

* * *

ذكر
أقوامٍ تخلَّفوا من العصاة غير هؤلاء

قال عليُّ بن طلحة الوالبيُّ ، عن ابن عباسٍ في قوله تعالى : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] . قال : كانوا عشرة رهطٍ تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوعه أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسواري المسجد ، وكان ممرُّ النبيِّ ﷺ إذا رجع من المسجد عليهم ، فلما مرَّ بهم رسول الله قال : « من هؤلاء ؟ » قالوا : أبو لبابة وأصحابٌ له ، تخلَّفوا عنك ، حتى تطلقهم وتعذرهم . قال : « وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله ، عز وجل ، هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني ، وتخلَّفوا عن الغزو مع المسلمين » . فلما أن بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ . . . ﴾ . الآية . و ﴿ عَسَى ﴾ من الله واجبٌ ، فلما أُنزلت ، أرسل إليهم رسول الله فأطلقهم وعذرهم ، فجاؤوا بأموالهم وقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدَّق بها عنا ، واستغفر لنا . فقال : « ما أُمرت أن آخذ أموالكم » . فأنزل الله : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ ﴾ [التوبة : ١٠٣ ـ ١٠٦] . وهم الذين لم يربطوا أنفسهم بالسواري فأرجئوا ، حتى نزل قوله تعالى :

---

(١) رقم (٢٧٦٩) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣١) .
(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ١٦٥) .
(٤) (٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٩) ، وإسناده صحيح .

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ . . . ﴾ إلى آخرها [التوبة : ١١٧ ـ ١١٨] .

وكذا رواه عطية بن سعدٍ العوفيُّ ، عن ابن عباسٍ بنحوه .

وقد ذكر سعيد بن المسيَّب ومجاهدٌ ومحمد بن إسحاق[١] قصة أبي لبابة وما كان من أمره يوم بني قريظة ، وربطه نفسه حتى تيب عليه ، ثم إنه تخلَّف عن غزوة تبوك ، فربط نفسه أيضاً حتى تاب الله عليه ، وأراد أن ينخلع من ماله كلِّه صدقةً ، فقال له رسول الله ﷺ : « يكفيك من ذلك الثُّلث » . قال مجاهدٌ وابن إسحاق : وفيه نزل : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ . . . ﴾ الآية . قال سعيد بن المسيَّب : ثم لم يُر منه بعد ذلك في الإسلام إلا خيرٌ ، رضي الله عنه وأرضاه .

قلت : ولعل هؤلاء الثلاثة لم يذكروا معه بقية أصحابه ، واقتصروا على أنه كان كالزعيم لهم ، كما دلَّ عليه سياق ابن عباسٍ ، والله أعلم .

وروى البيهقيُّ[٢] من طريق أبي أحمد الزبيريِّ عن سفيان الثوريِّ ، عن سلمة بن كهيلٍ ، عن عياض بن عياضٍ ، عن أبيه ، عن أبي مسعودٍ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « إنَّ منكم منافقين ، فمن سَمَّيتُ فليقم ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان » . حتى عدَّ ستةً وثلاثين ، ثم قال : « إن فيكم ـ أو إن منكم ـ منافقين فسلوا الله العافية » . قال : فمرَّ عمر برجلٍ متقنِّعٍ ، وقد كان بينه وبينه معرفةٌ ، فقال : ما شأنك ؟ فأخبره بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : بُعداً لك سائر اليوم .

قلت : كان المتخلِّفون عن غزوة تبوك أربعة أقسامٍ ؛ مأمورون مأجورون كعليِّ بن أبي طالبٍ ومحمد بن مسلمة وابن أمِّ مكتومٍ ، ومعذورون وهم الضعفاء والمرضى والمقلُّون وهم البكَّاؤون ، وعصاةٌ مذنبون وهم الثلاثة وأبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون .

* * *

ذكر
ما كان من الحوادث بعد رجوعه ﷺ إلى المدينة منصرفه من تبوك

قال الحافظ البيهقيُّ[٣] : حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدَّثنا أبو البختريِّ عبد الله بن [محمد بن] شاكرٍ ، حدَّثنا زكريا بن يحيى ، حدَّثنا عمُّ أبي زَحر بن

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٢٣٦) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٣) .
(٣) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٧) .

حصنٍ ، عن جدِّه حميد بن منهبٍ قال : سمعت جدي خُرَيم بن أوس بن حارثة بن لامٍ يقول : هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك ، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك . فقال رسول الله ﷺ : « لا يفضض الله فاك » . فقال : [من المنسرح]

مِنْ قَبْلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي ... مُسْتَوْدَعٍ حيث يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثم هبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنت ولا مُضغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطفةٌ تَرْكَبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَم نَسْراً وأهلَه الغَرَقُ
تُنْقَلُ مِن صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضَى عالَمٌ بدَا طَبَقُ
حتى احتوى بيتَك المهيمنُ مِن ... خِنْدِفَ عَلْياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنت لمَّا وُلِدْتَ أشْرَقَت الأرْ ... ضُ وضاءتْ بنورِك الأُفُقُ
فنحن في ذلك الضياءِ وفي النو ... ر وسُبُلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

ورواه البيهقيُّ[1] من طريقٍ أخرى ، عن أبي السُّكين زكريا بن يحيى الطائيِّ ، وهو في جزءٍ له مرويٍّ عنه .

قال البيهقيُّ : وزاد : ثم قال رسول الله ﷺ : « هذه الحِيرة البيضاء رُفعت لي ، وهذه الشَّيماء بنت بُقيلة الأزدية على بغلةٍ شهباء معتجرةً بخمارٍ أسود » . فقلت : يا رسول الله ، إن نحن دخلنا الحيرة فوجدتها كما تصف فهي لي ؟ قال : « هي لك » . قال : ثُمَّ كانت الرِّدَّة ، فما ارتد أحدٌ من طيءٍ ، وكنا نقاتل من يلينا من العرب على الإسلام ، فكنا نقاتل قيساً وفيها عيينة بن حصنٍ ، وكنا نقاتل بني أسدٍ وفيهم طليحة بن خويلدٍ ، وكان خالد بن الوليد يمدحنا ، وكان فيما قال فينا : [من الطويل]

جزَى الله عَنَّا طيِّئاً في ديارِها ... بمُعْتَرَكِ الأبطالِ خيرَ جزاءِ
همُ أهلُ راياتِ السَّماحةِ والنَّدَى ... إذا ما الصَّبَا أَلْوَتْ بكلِّ خِباءِ
همُ ضرَبوا قَيْسَاً على الدِّينِ بعدَما ... أجابوا مُنادي ظلمةٍ وعَماءِ

قال : ثم سار خالد إلى مُسَيْلِمَة الكَذَّاب فسرنا معه ، فلما فرغنا من مسيلمة أقبلنا إلى ناحية البصرة ، فلقينا هرمز بكاظمةَ في جيشٍ هو أكبر من جمعنا ، ولم يكن أحدٌ من الناس أعدى للعرب والإسلام من هرمز ، فخرج إليه خالدٌ ودعاه إلى البِراز ، فبرز له فقتله خالدٌ ، وكتب بخبره إلى الصديق ، فنفَّله سلبه ، فبلغت قلنسوة هرمز مائة ألف درهم ، وكانت الفرس إذا شَرُف فيها الرجل جعلت قلنسوته بمئة ألف درهم . قال : ثم أقبلنا على طريق الطَّفِّ إلى الحيرة ، فأول من تلقَّانا حين دخلناها الشَّيماء بنت بقيلة ، كما قال رسول الله ﷺ : « على بغلةٍ شهباء معتجرةً بخمارٍ أسود » . فتعلَّقت بها وقلت : هذه وهبها لي

---

(١) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٦٨) .

رسول الله ﷺ . فدعاني خالدٌ عليها بالبينة ، فأتيته بها ، وكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بَشِيرٍ الأنصاريَّ ، فسلَّمها إليَّ ، فنزل إليَّ أخوها عبد المسيح يريد الصلح ، فقال : بِعنيها . فقلت : لا أنقصها والله عن عشر مئة درهمٍ . فأعطاني ألف درهمٍ ، وسلَّمتها إليه ، فقيل : لو قلت مئة ألفٍ لدفعها إليك . فقلت : ما كنت أحسب أن عدداً أكثر من عشر مئةٍ .

***

قدوم وفد ثقيفٍ على رسول الله ﷺ
في رمضان من سنة تسعٍ

تقدم أن رسول الله ﷺ لما ارتحل عن ثقيفٍ سئل أن يدعوَ عليهم فدعا لهم بالهداية ، وقد تقدم أن رسول الله ﷺ حين أسلم مالك بن عوفٍ النَّصريُّ أنعم عليه وأعطاه ، وجعله أميراً على من أسلم من قومه ، فكان يغزو بلاد ثقيفٍ ويضيِّق عليهم ، حتى ألجأهم إلى الدخول في الإسلام ، وتقدم أيضاً فيما رواه أبو داود ، عن صخر بن العيلة الأحمسيِّ أنه لم يزل بثقيفٍ حتى أنزلهم من حصنهم على حكم رسول الله ﷺ ، فأقبل بهم إلى المدينة النبوية بإذن رسول الله ﷺ له في ذلك .

قال ابن إسحاق[١] : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيفٍ ، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتَّبع أثره عروة بن مسعودٍ ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ـ كما يتحدث قومه ـ : « إنهم قاتلوك » . وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع ؛ للذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم . وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، رجاء أن لا يخالفوه ؛ لمنزلته فيهم ، فلما أشرف على عِلِّيَّةٍ له ، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رمَوه بالنبل من كلِّ وجهٍ فأصابه سهمٌ فقتله ، فيزعم بنو مالكٍ أنه قتله رجلٌ منهم يقال له : أوس ابن عوفٍ . أخو بني سالم بن مالكٍ ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بني عتَّابٍ يقال له : وهب بن جابرٍ . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمني الله بها ، وشهادةٌ ساقها الله إليَّ ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم . فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مثَله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » . وهكذا ذكر موسى بن عقبة قصة عروة ، ولكن زعم أن ذلك كان بعد حجة أبي بكرٍ الصديق ، وتابعه أبو بكرٍ البيهقيُّ في ذلك وهذا بعيدٌ ، والصحيح أن ذلك قبل حجة أبي بكرٍ كما ذكره ابن إسحاق . والله أعلم .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٧) .

قال ابن إسحاق(١) : ثم أقامت ثقيفٌ بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، فائتمروا فيما بينهم ، وذلك عن رأي عمرو بن أمية أخي بني علاجٍ ، فائتمروا بينهم ، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم ، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عُميرٍ ، ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثةٌ من بني مالكٍ ، وهم ؛ الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّبٍ ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتِّبٍ ، وعثمان بن أبي العاص ، وأوس بن عوفٍ أخو بني سالمٍ ، ونُمير بن خرشة بن ربيعة .

وقال موسى بن عقبة : كانوا بضعة عشر رجلاً ، فيهم كنانة بن عبد ياليل ، وهو رئيسهم ، وفيهم عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغر الوفد .

قال ابن إسحاق(٢) : فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناةَ ، ألفوا المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رآهم ذهب يشتدُّ ليبشِّر رسول الله بقدومهم ، فلقيه أبو بكرٍ الصديق فأخبره عن ركب ثقيفٍ أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله شروطاً ، ويكتتبوا كتاباً في قومهم ، فقال أبو بكرٍ للمغيرة : أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدِّثه . ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكرٍ فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظَّهر معهم ، وعلَّمهم كيف يحيُّون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ضربت عليهم قبَّةٌ في المسجد ، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيدٍ قبلهم ، وهو الذي كتب لهم كتابهم . قال : وكان مما اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية [وهي اللات] ثلاث سنين ، فما برحوا يسألونه سنةً سنةً ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألَّفوا سفهاءهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمىً إلا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة ليهدماها ، وسألوه مع ذلك أن لا يصلُّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، فقال : « أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير في دينٍ لا صلاة فيه » . فقالوا : سنؤتيكها وإن كانت دناءةً .

وقد قال الإمام أحمد(٣) : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، عن حميدٍ ، عن الحسن ، عن عثمان بن أبي العاص ، أنَّ وفد ثقيفٍ قدموا على رسول الله ﷺ ، فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يُحشروا ولا يُعشروا ولا يُجبُّوا ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٨) .
(٢) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٣٩) .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وفيه عنعنة الحسن البصري .

رسول الله ﷺ : « لكم أن لا تُحشروا ولا تُعشَروا ، ولا يُستعمل عليكم غيركم ، ولا خير في دينٍ لا ركوع فيه » . وقال عثمان بن أبي العاص : يا رسول الله ، علِّمني القرآن واجعلني إمام قومي .

وقد رواه أبو داود[١] من حديث أبي داود الطَّيالسيِّ ، عن حماد بن سلمة ، عن حميدٍ به .

وقال أبو داود[٢] : حدَّثنا الحسن بن الصَّبَّاح ، ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، حدثني إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبِّهٍ ، [عن أبيه] ، عن وهبٍ قال : سألت جابراً عن شأن ثقيفٍ إذ بايعت ، قال : اشترطت على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك : « سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا » .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما أسلموا وكتب لهم كتابهم أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص ـ وكان أحدثهم سناً ـ لأن الصِّدِّيق قال : يا رسول الله ، إني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن .

وذكر موسى بن عقبة أن وفدهم كانوا إذا أتوا رسول الله خلَّفوا عثمان بن أبي العاص في رحالهم ، فإذا رجعوا وسط النهار جاء هو إلى رسول الله ﷺ فسأله عن العلم فاستقرأه القرآن ، فإن وجده نائماً ذهب إلى أبي بكرٍ الصديق ، فلم يزل دأبُه حتى فقه في الإسلام ، وأحبَّه رسول الله ﷺ حبّاً شديداً .

قال ابن إسحاق[٤] : حدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبي العاص قال : كان من آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ حين بعثني إلى ثقيفٍ أن قال : « يا عثمان ، تجوَّز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة » .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدثنا عفَّان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا سعيدٌ الجريريُّ ، عن أبي العلاء ، عن مطرِّفٍ ، عن عثمان بن أبي العاص قال : قلت : يا رسول الله ، اجعلني إمام قومي . قال : « أنت إمامهم ، فاقتد بأضعفهم ، واتَّخذ مؤذِّناً لا يأخذ على أذانه أجراً » .

رواه أبو داود والترمذي[٦] من حديث حمَّاد بن سلمة به .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٦) ، وفيه عنعنة الحسن البصري .
(٢) رواه أبو داود رقم (٣٠٢٥) ، وإسناده حسن .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٠) .
(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤١) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وإسناده حسن .
(٦) رواه أبو داود رقم (٥٣١) وليس الحديث عند الترمذي ، ورواه أيضاً النسائي في « المجتبى » رقم (٦٧٢) ، وإسناده حسن .

ورواه ابن ماجه[1] ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن إسماعيل بن عليَّة ، عن محمد بن إسحاق ، كما تقدم .

وروى أحمد[2] ، عن عَفَّان ، عن وهيبٍ ، وعن معاوية بن عمروٍ ، عن زائدة ، كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن داود بن أبي عاصمٍ ، عن عثمان بن أبي العاص أن آخر ما فارقه رسول الله حين استعمله على الطائف أن قال : « إذا صلَّيت بقومٍ فخفِّف بهم » . حتى وقَّت لي : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ . [العلق : ١] . وأشباهها من القرآن .

وقال أحمد[3] : حدثنا محمد بن جعفرٍ ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرَّة ، سمعت سعيد بن المسيَّب قال : حدَّث عثمان بن أبي العاص قال : آخر ما عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال : « إذا أممت قوماً فخفِّف بهم الصلاة » . ورواه مسلم[4] ، عن محمد بن مثنّى وبندارٍ ، كلاهما عن محمد بن جعفرٍ غندرٍ به .

وقال أحمد[5] : حدَّثنا أبو أحمد الزبيريُّ ، ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفيُّ ، عن عبد الله بن الحكم ، أنه سمع عثمان بن أبي العاص يقول : استعملني رسول الله ﷺ على الطائف ، فكان آخر ما عهده إليَّ أن قال : « خفِّف عن الناس الصلاة » . تفرد به من هذا الوجه .

وقال أحمد[6] : حدَّثنا يحيى بن سعيدٍ ، أخبرنا عمرو بن عثمان ، حدَّثني موسى ـ هو ابن طلحة ـ أن عثمان بن أبي العاص حدَّثه أن رسول الله ﷺ أمره أن يؤمَّ قومه ، ثم قال : « من أمَّ قوماً فليخفِّف بهم ، فإن فيهم الضعيف والكبير والمريض وذا الحاجة ، فإذا صلَّى وحده فليصلِّ كيف شاء » . ورواه مسلم[7] من حديث عمرو بن عثمان به .

وقال أحمد[8] : حدثنا محمد بن جعفرٍ[9] ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالمٍ ، سمعت أشياخاً من ثقيفٍ قالوا : حدَّثنا عثمان بن أبي العاص أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « أُمَّ قومك ، وإذا أممت قوماً فأخفَّ بهم الصلاة ؛ فإنه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة » .

---

(١) رواه ابن ماجة رقم (٩٨٧) ، وهو حديث حسن .
(٢) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وإسناده صحيح .
(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وإسناده صحيح .
(٤) في « صحيحه » رقم (٤٦٨) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٨) ، وهو حديث صحيح .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٦) وإسناده صحيح .
(٧) في « صحيحه » رقم (٤٦٨) .
(٨) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١) ، وهو حديث صحيح .
(٩) في « المسند » : « محمد بن بكر » وفي « أطراف المسند » كما هنا .

وقال أحمد[١] : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن الجريريِّ ، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير ، أن عثمان قال : يا رسول الله ، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي . قال : « ذاك شيطانٌ يقال له : خِنزبٌ . فإذا أنت حسسته فتعوَّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً » . قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عني .

ورواه مسلمٌ[٢] من حديث سعيدٍ الجُرَيريِّ به .

وروى مالكٌ وأحمد ومسلمٌ وأهل السنن[٣] من طرقٍ ، عن نافع بن جبير بن مطعمٍ ، عن عثمان بن أبي العاص أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده ، فقال له : « ضع يدكَ على الذي تألَّم من جسدك ، وقل : بسم الله . ثلاثاً ، وقل سبع مراتٍ : أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر » .

وفي بعض الروايات : ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي ، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم .

وقال أبو عبد الله بن ماجه[٤] : حدَّثنا محمد بن بشَّارٍ ، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاريُّ ، حدثني عيينة بن عبد الرحمن ـ وهو ابن جوشنٍ ـ حدثني أبي ، عن عثمان بن أبي العاص قال : لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف جعل يعرض لي شيءٌ في صلاتي ، حتى ما أدري ما أُصلِّي ، فلما رأيت ذلك رحلت إلى رسول الله ﷺ ، فقال : « ابن أبي العاص ؟ » قلت : نعم يا رسول الله . قال : « ما جاء بك ؟ » قلت : يا رسول الله ، عرض لي شيءٌ في صلاتي حتى ما أدري ما أُصلِّي . قال : « ذاك الشيطان ، ادنه » . فدنوت منه ، فجلست على صدور قدميَّ . قال : فضرب صدري بيده وتفل في فمي ، وقال : « اخرج عدوَّ الله » . ففعل ذلك ثلاث مراتٍ ، ثم قال : « الحق بعملك » . قال : فقال عثمان : فلعمري ما أحسبه خالطني بعدُ . تفرَّد به ابن ماجه .

قال ابن إسحاق[٥] : وحدَّثني عيسى بن عبد الله ، عن عطيَّة بن سفيان بن ربيعة الثقفيِّ ، عن بعض وفدهم قال : كان بلالٌ يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من شهر رمضان بفَطورنا وسَحورنا ، فيأتينا بالسَّحور ، فإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع . فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ يتسحَّر لتأخير السَّحور . ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس ذهبت كلُّها بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ . ثم يضع يده في الجفنة فيلقم منها .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢١٦) .
(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٠٣) .
(٣) رواه الإمام مالك في « الموطأ » (٢/ ٩٤٢) ومسلم رقم (٢٢٠٢) وأبو داود رقم (٣٨٩١) والترمذي رقم (٢٠٨٠) والنسائي في « السنن الكبرى » رقم (١٠٨٣٧) وابن ماجة رقم (٣٥٢٢) .
(٤) رواه ابن ماجة رقم (٣٥٤٨) ، وهو حديث صحيح .
(٥) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٠) .

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه[١] ، من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفيِّ ، عن عثمان بن عبد الله بن أوسٍ ، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيفٍ . قال : فنزِّلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالكٍ في قبَّةٍ له ، كلَّ ليلةٍ يأتينا بعد العشاء يحدِّثنا قائماً على رجليه ، حتى يراوح بين رجليه من طول القيام فأكثر ما يحدِّثنا ما لقي من قومه من قريشٍ ، ثم يقول : « لا أنسى وكنا مستضعفين مستذلِّين بمكة ، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سِجال الحرب بيننا وبينهم ، نُدال عليهم ويُدالون علينا » . فلما كانت ليلةٌ أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : لقد أبطأت عنَّا الليلة . فقال : « إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجيءَ حتى أتمَّه » . قال أوسٌ : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاثٌ ، وخمسٌ ، وسبعٌ ، وتسعٌ ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصَّل[٢] وحده ، لفظ أبي داود .

قال ابن إسحاق[٣] : فلما فرغوا من أمرهم وتوجَّهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حربٍ والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك عليه أبو سفيان وقال : ادخل أنت على قومك . وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرْم ، فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه بنو معتِّبٍ دونه ؛ خشية أن يُرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعودٍ . قال : وخرج نساء ثقيفٍ حُسَّراً يبكين عليها ، ويقلن : لتُبكينَّ دفَّاع ، أسلمها الرُّضَّاع ، لم يحسنوا المِصاع .

قال ابن إسحاق[٤] : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لكِ إهلاككِ . فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وقال له : إن رسول الله قد أمرنا أن نقضي عن عروة بن مسعودٍ وأخيه الأسود بن مسعودٍ ، والد قارب بن الأسود ، دَيْنهما من مال الطاغية . فقضى ذلك عنهما . قلت : كان الأسود قد مات مشركاً ، ولكن أمر رسول الله بذلك تأليفاً وإكراماً لولده قارب بن الأسود ، رضي الله عنه .

وذكر موسى بن عقبة[٥] أن وفد ثقيفٍ كانوا بضعة عشر رجلاً ، فلما قدموا أنزلهم رسول الله المسجد ليسمعوا القرآن ، فسألوه عن الربا والزنى والخمر ، فحرَّم عليهم ذلك كلَّه ، فسألوه عن الرَّبَّة ما هو صانعٌ

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٩ و٣٤٣) وأبو داود رقم (١٣٩٣) وابن ماجة رقم (١٣٤٥) ، وإسناده ضعيف .

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري » (٢/ ٢٥٩) : « المفصل من القرآن الكريم هو من سورة ﴿ ق ﴾ إلى آخر القرآن على الصحيح ، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة » .

(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤١) .

(٤) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٢) .

(٥) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٣٠٠) .

بها . قال : « اهدموها » . قالوا : هيهات ، لو تعلم الرَّبَّة أنك تريد أن تهدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب : ويحك يا بن عبد ياليل ! ما أجهلك ! إنما الرَّبَّة حجرٌ . فقالوا : إنا لم نأتك يا بن الخطاب . ثم قالوا : يا رسول الله ، تولَّ أنت هدمها ، أما نحن فإنا لن نهدمها أبداً . فقال : « سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها » . فكاتبوه على ذلك ، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم ، فلما جاؤوا قومهم تلقَّوهم ، فسألوهم ما وراءكم ؟ فأظهروا الحزن ، وأنهم إنما جاؤوا من عند رجلٍ فظٍّ غليظٍ ، قد ظهر بالسيف ، يحكم ما يريد وقد دوَّخ العرب ، قد حرَّم الربا والزنى والخمر ، وأمر بهدم الرَّبَّة ، فنفرت ثقيفٌ وقالوا : لا نطيع لهذا أبداً . قال : فأهِّبوا للقتال وأعدُّوا السلاح . فمكثوا على ذلك يومين أو ثلاثةً ، ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب ، فرجعوا وأنابوا ، وقالوا : ارجعوا إليه ، فشارطوه على ذلك وصالحوه عليه . قالوا : فإنا قد فعلنا ذلك ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه، فافهموا مافي القضية واقبلوا عافية الله. قالوا : فلِم كتمتمونا هذا أولاً ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان. فأسلموا مكانهم، ومكثوا أياماً، ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمر عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة ، فعمدوا إلى اللات ، وقد استكفَّت ثقيفٌ رجالها ونساؤها والصبيان ، حتى خرج العواتق من الحِجال ، ولا يرى عامة ثقيفٍ أنها مهدومةٌ ، ويظنون أنها ممتنعةٌ ، فقام المغيرة بن شعبة ، فأخذ الكرزين ـ يعني المعْول ـ وقال لأصحابه : والله لأضحكنَّكم من ثقيفٍ .

فضرب بالكرزين ، ثم سقط يركض برجله ، فارتجَّ أهل الطائف بصيحةٍ واحدةٍ وفرحوا وقالوا : أبعد الله المغيرة ، قتلته الرَّبَّة . وقالوا لأولئك : من شاء منكم فليقترب . فقام المغيرة فقال : والله يا معشر ثقيفٍ إنما هي لَكاعِ حجارةٌ ومدرٌ ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه . ثم إنه ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها ، وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوَّوها بالأرض ، وجعل سادنها يقول : ليغضبنَّ الأساس فليَخسفنَّ بهم . فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالدٍ : دعني أحفر أساسها . فحفروه حتى أخرجوا ترابها ، وجمعوا ماءها وبناءها ، وبُهتت عند ذلك ثقيفٌ ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فقسم أموالها من يومه ، وحمدوا الله تعالى على اعتزاز دينه ونصرة رسوله .

قال ابن إسحاق[1] : وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ النبيِّ رسول الله إلى المؤمنين ؛ إن عضاه وجٍّ وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، وإن تعدَّى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبيَّ محمداً ، وإنَّ هذا أمر النبيِّ محمدٍ . وكتب خالد بن سعيدٍ بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدَّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمدٌ رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٢) .

وقد قال الإمام أحمد[١] : حدثنا عبد الله بن الحارث ـ من أهل مكة مخزوميٌّ ـ حدثني محمد بن عبد الله بن إنسان ـ وأثنى عليه خيراً ـ عن أبيه ، عن عروة بن الزبير ، [عن أبيه] قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من لِيَّة حتى إذا كنا عند السِّدرة وقف رسول الله ﷺ في طرف القرن الأسود حذوها ، فاستقبل نخِباً ببصره ، يعني وادياً ، ووقف حتى اتَّقف الناس كلُّهم ، ثم قال : « إن صيد وجٍّ وعضاهه حرمٌ محرَّمٌ لله » . وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً .

وقد رواه أبو داود[٢] من حديث محمد بن عبد الله بن إنسان الطائفيِّ ، وقد ذكره ابن حبان في « ثقاته »[٣] . وقال ابن معينٍ[٤] : ليس به بأسٌ . تكلَّم فيه بعضهم ، وقد ضعَّف أحمد والبخاريُّ وغيرهما هذا الحديث[٥] ، وصحَّحه الشافعيُّ وقال بمقتضاه ، والله أعلم .

***

ذكر
موت عبد الله بن أُبيٍّ
قبَّحه الله

قال محمد بن إسحاق[٦] : حدَّثني الزُّهْري عن عروة ، عن أسامة بن زيدٍ ، رضي الله عنه ، قال : دخل رسول الله ﷺ على عبد الله بن أُبيٍّ يعوده في مرضه الذي مات فيه ، فلما عرف فيه الموت قال رسول الله ﷺ : « أما والله إن كنت لأنهاكَ عن حبِّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فمَه ؟

وقال الواقديُّ[٧] ، مرض عبد الله بن أُبيٍّ في ليالٍ بقين من شوالٍ ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلةً ، فكان رسول الله يعوده فيها ، فلما كان اليوم الذي مات فيه دخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه ، فقال : « قد نهيتك عن حبِّ يهود » . فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نفعه ؟ ثم قال : يا رسول الله ، ليس هذا بحِين عتابٍ ! هو الموت ، [فإن متُّ] فاحضُر غُسلي ، وأعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفِّنِّي فيه ، وصلِّ عليَّ واستغفر لي . ففعل ذلك به رسول الله ﷺ . وروى

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٦٥) ، وإسناده ضعيف .
(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٢٣) ، وإسناده ضعيف .
(٣) انظر « الثقات » (٩/ ٣٣) .
(٤) انظر « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٩٤) .
(٥) انظر « التاريخ الكبير » (١/ ١٤٠) و« ميزان الاعتدال » (٢/ ٣٩٣) .
(٦) انظر « دلائل النبوة » للبيهقي (٥/ ٢٨٥) .
(٧) انظر « المغازي » (٣/ ١٠٥٧) .

البيهقيُّ[١] من حديث سالم بن عجلان ، عن سعيد بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ نحواً مما ذكره الواقديُّ ، فالله أعلم .

وقد قال إسحاق بن راهويه[٢] : قلت لأبي أسامة : أحدثَّكم عبيد الله ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر قال : لما توفِّي عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن يعطيَه قميصه ليكفِّنه فيه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصلِّي عليه ، فقام رسول الله ﷺ يصلِّي عليه ، فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوبه فقال : يا رسول الله ، تصلِّي عليه وقد نهاك الله عنه ؟! فقال رسول الله ﷺ : « إن ربي خيَّرني فقال : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨٠] . وسأزيد على السبعين » . فقال : إنه منافق أتصلِّي عليه ؟! فأنزل الله ، عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة : ٨٤] فأقرَّ به أبو أسامة ، وقال : نعم .

وأخرجاه في « الصحيحين »[٣] من حديث أبي أسامة .

وفي رواية للبخاريِّ وغيره[٤] : قال عمر ، رضي الله عنه : فقلت : يا رسول الله ، تصلِّي عليه وقد قال في يوم كذا : كذا وكذا ، وقال في يوم كذا : كذا وكذا ؟! فقال : « دعني يا عمر ، فإني بين خيرتين ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين غُفر له لزدت » . ثم صلَّى عليه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ . . . ﴾ الآية . قال عمر : فعجبت بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم .

وقال سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينارٍ ، سمع جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، يقول : أتى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أبيٍّ بعدما أدخل حفرته ، فأمر به فأخرج ، فوضعه على ركبتيه ـ أو فخذيه ـ ونفث عليه من ريقه ، وألبسه قميصه . فالله أعلم .

وفي « صحيح البخاريِّ »[٥] بهذا الإسناد مثله ، وعنده أنه إنما ألبسه قميصه مكافأةً لما كان كسا العباس ، رضي الله عنه ، قميصاً حين قدم المدينة ، فلم يجدوا قميصاً يصلح له إلا قميص عبد الله بن أُبيٍّ . وقد ذكر البيهقيُّ هاهنا قصة ثعلبة بن حاطبٍ ، وكيف افتتن بكثرة المال ، ومنعه الصدقة ، وقد حرَّرنا ذلك في « التفسير »[٦] عند قوله تعالى : ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ . . . ﴾ الآية[التوبة : ٧٥] .

---

(١) في « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٨) .
(٢) انظر « دلائل النبوة » (٥/ ٢٨٧) .
(٣) رواه البخاري رقم (٤٦٧٠) ومسلم رقم (٢٧٧٤) .
(٤) رواه البخاري رقم (٤٦٧١) وأحمد في « المسند » (١/ ١٦) .
(٥) رقم (١٣٥٠) و(٣٠٠٨) .
(٦) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ١٢٤) .

فصل

قال ابن إسحاق[١] : وكانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

وقال حسَّان بن ثابتٍ[٢] ، رضي الله عنه ، يعدِّد أيَّام الأنصار مع رسول الله ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه .

قال ابن هشامٍ : وتُروى لابنه عبد الرحمن بن حسَّان : [من البسيط]

أَلَسْتُ خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نفَراً ... ومَعْشراً إن هُمُ عُمُّوا وإن حُصِلوا

قومٌ همُ شهِدوا بدراً بأجْمعِهِمْ ... مع الرسولِ فما آلَوْا وما خَذَلوا

وبايَعوه فلم يَنْكُثْ به أحدٌ ... منهم ولم يَكُ في إيمانهِ دَخَلُ

ويومَ صبَّحَهم في الشِّعْبِ مِن أُحُدٍ ... ضَرْبٌ رَصِينٌ كحرِّ النارِ مُشْتَعِلُ

ويومَ ذي قَرَدٍ يومَ استَثار بهمْ ... على الجِيادِ فما خاموا وما نكَلوا

وذا العُشَيْرةِ جاسُوها بخيلِهمُ ... مع الرسولِ عليها البِيضُ والأَسَلُ

ويومَ وَدَّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصاً ... بالخيلِ حتى نهانا الحَزْنُ والجبلُ

وليلةً طلَبوا فيها عدوَّهمُ ... للهِ واللهُ يَجْزِيهم بما عمِلوا

وليلةً بحُنينٍ جالَدوا معهُ ... فيها يَعُلُّهمُ في الحربِ إذ نهِلوا

وغزوةً يومَ نَجْدٍ ثَمَّ كان لهمْ ... مع الرسولِ بها الأَسْلابُ والنَّفَلُ

وغزوةَ القاعِ فرَّقْنا العدوَّ به ... كما تُفَرَّقُ دونَ المَشْرَبِ الرَّسَلُ

ويومَ بُويِعَ كانوا أهلَ بيعتِه ... على الجِلادِ فآسَوْه وما عدَلوا

وغزوةَ الفتحِ كانوا في سَرِيَّتِه ... مُرابِطِين فما طاشوا وما عَجِلوا

ويومَ خيبرَ كانوا في كَتيبتِه ... يَمْشُون كلُّهمُ مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ

بالبِيضِ تُرْعَشُ في الأَيْمانِ عاريةً ... تَعْوَجُّ في الضَّرْبِ أحياناً وتَعْتَدِلُ

ويومَ سار رسولُ الله مُحْتَسِباً ... إلى تبوكَ وهم راياتُه الأُوَلُ

وساسةُ الحربِ إن حربٌ بدَتْ لهمُ ... حتى بَدَا لهمُ الإقْبالُ فالقَفَلُ

أولئك القومُ أنصارُ النبيِّ وهمْ ... قومي أَصِيرُ إليهمْ حينَ أتَّصِلُ

ماتوا كِراماً ولم تُنْكَثْ عهودُهمُ ... وقَتْلُهمْ في سبيلِ الله إذ قُتِلوا

---

(١) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٥٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (١/ ٥٠٢ـ٥٠٣) .

ذكر
بعث رسول الله ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيق أميراً على الحجّ سنة تسعٍ[١]
ونزول سورة « براءة »

قال ابن إسحاق بعد ذكره وفود أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ في رمضان كما تقدم بيانه مبسوطاً . قال : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوَّالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكرٍ أميراً على الحجِّ من سنة تسعٍ ؛ ليقيم للمسلمين حجَّهم ، وأهل الشرك على منازلهم من حجِّهم لم يصدُّوا بعد عن البيت ، ومنهم من له عهدٌ مؤقَّتٌ إلى أمدٍ ، فلما خرج أبو بكرٍ ، رضي الله عنه ، بمن معه من المسلمين ، وفصل عن المدينة ، أنزل عز وجل هذه الآيات من أول سورة التوبة : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ إلى آخر القصة .

ثم شرع ابن إسحاق يتكلَّم على هذه الآيات ، وقد بسطنا الكلام عليها في « التفسير »[٢] ولله الحمد والمنة .

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث عليّاً ، رضي الله عنه ، بعد أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، ليكون معه ، ويتولَّى عليٌّ بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابةً عن رسول الله ﷺ ؛ لكونه ابن عمِّه من عصبته .

قال ابن إسحاق[٣] : حدثني حكيم بن حكيم بن عبَّاد بن حُنيفٍ ، عن أبي جعفرٍ محمد بن عليٍّ أنه قال : لما نزلت « براءةٌ » على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكرٍ الصديق ، رضي الله عنه ، ليقيم للناس الحجَّ ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثتَ بها إلى أبي بكرٍ . فقال : « لا يؤدِّي عني إلا رجلٌ من أهل بيتي » . ثم دعا عليَّ بن أبي طالبٍ فقال : « اخرج بهذه القصة من صدر « براءة » وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىً : ألا إنه لا يدخل الجنة كافرٌ ، ولا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عُريانٌ ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مدته » . فخرج عليُّ بن أبي طالبٍ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكرٍ بالطريق ، فلما رآه أبو بكرٍ قال : أميرٌ أو مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ . ثم مضيا ، فأقام أبو بكرٍ للناس الحجَّ ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجِّ التي كانوا عليها في

(١) انظر « حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج » للرشيدي ص (٩٠) بتحقيق الدكتورة ليلى عبد اللطيف أحمد ، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٤٤) .
(٣) انظر « السيرة النبوية » لابن هشام (٢/ ٥٤٥) .

الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام عليُّ بن أبي طالبٍ فأذَّن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ ، وأجَّل الناسَ أربعة أشهرٍ من يوم أذَّن فيهم ؛ ليرجع كلُّ قومٍ إلى مأمنهم وبلادهم ، ثم لا عهد لمشركٍ ولا ذمة إلَّا أحدٍ كان له عند رسول الله ﷺ عهدٌ ، فهو له إلى مدته ، فلم يحجَّ بعد ذلك العام مشركٌ ، ولم يطف بالبيت عُريانٌ ، ثم قدما على رسول الله ﷺ ، وهذا مرسلٌ من هذا الوجه .

وقد قال البخاريُّ[١] : باب حجِّ أبي بكرٍ ، رضي الله عنه ، بالناس سنة تسعٍ ، حدَّثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، حدثنا فليحٌ ، عن الزهريِّ ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، أن أبا بكرٍ الصِّدِّيق ، رضي الله عنه ، بعثه في الحجَّة التي أمَّره النبيُّ عليها قبل حَجَّة الوَدَاع في رهطٍ يؤذِّن في الناس أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ .

وقال البخاريُّ[٢] في موضع آخر : حدَّثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، حدثني عقيلٌ ، عن ابن شهابٍ ، أخبرني حميد بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكرٍ الصديق في تلك الحجة في المؤذِّنين ، بعثهم يوم النحر يؤذِّنون بمنىً أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ . قال حميدٌ : ثم أردف النبيُّ ﷺ بعليٍّ ، فأمره أن يؤذِّن بـ « براءةٌ » . قال أبو هريرة : فأذَّن معنا عليٌّ في أهل منىً يوم النحر بـ « براءةٌ » أن لا يحجَّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريانٌ .

وقال البخاريُّ[٣] في كتاب الجهاد : حدثَّنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيبٌ ، عن الزهريِّ ، أخبرني حميدٌ بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر الصديق فيمن يؤذِّن يوم النحر بمنىً ؛ لا يحجُّ بعد العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ . ويوم الحجِّ الأكبر يوم النَّحر ، وإنما قيل : الأكبر . من أجل قول الناس : الحجُّ الأصغر . فنبذ أبو بكرٍ إلى الناس في ذلك العام ، فلم يحجَّ عام حجة الوداع ـ الذي حجَّ فيه رسول الله ﷺ ـ مشركٌ .

ورواه مسلمٌ[٤] من طريق الزهريِّ به نحوه .

وقال الإمام أحمد[٥] : حدَّثنا محمد بن جعفرٍ ، حدَّثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن الشعبيِّ ، عن محرَّر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع عليِّ بن أبي طالبٍ حين بعثه رسول الله ﷺ . فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال : كنَّا ننادي : إنه لا يدخل الجنة إلَّا مؤمنٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهدٌ فإن أجله ـ أو أمده ـ إلى أربعة أشهرٍ ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريءٌ من

(١) في « صحيحه » رقم (٤٣٦٣) .
(٢) في « صحيحه » رقم (٤٦٥٦) .
(٣) في « صحيحه » رقم (٣١٧٧) .
(٤) في « صحيحه » رقم (١٣٤٧) .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٩٩) .

المشركين ورسوله ، ولا يحجُّ هذا البيت بعد العام مشركٌ . قال : فكنت أنادي حتى صحِل صوتي . وهذا إسنادٌ جيدٌ لكن فيه نكارةٌ من جهة قول الراوي : إنَّ من كان له عهدٌ فأجله إلى أربعة أشهرٍ . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكنَّ الصحيح أن من كان له عهدٌ ، فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهرٍ ، ومن ليس له أمدٌ بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهرٍ ، بقي قسمٌ ثالثٌ وهو من له أمدٌ يتناهى إلى أقلَّ من أربعة أشهرٍ من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأوَّل فيكون أجله إلى مدته وإن قلَّ ، ويحتمل أن يقال : إنه يؤجَّل إلى أربعة أشهرٍ ؛ لأنه أولى ممن ليس له عهدٌ بالكلية ، والله تعالى أعلم .

وقال الإمام أحمد(١) : حدَّثنا عفان ، ثنا حمَّادٌ ، عن سماكٍ ، عن أنس بن مالكٍ ، أن رسول الله ﷺ بعث بـ « براءةٌ » مع أبي بكرٍ ، فلمَّا بلغ ذا الحليفة قال : « لا يبلِّغها إلا أنا أو رجلٌ من أهل بيتي » . فبعث بها مع عليّ بن أبي طالب .

وقد رواه الترمذي(٢) من حديث حماد بن سلمة ، وقال : حسنٌ غريبٌ من حديث أنس .

وقد روى عبد الله بن أحمد(٣) ، عن لُوَيْن ، عن محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنشٍ ، عن عليٍّ أن رسول الله ﷺ لما أردف أبا بكر بعليٍّ فأخذ منه الكتاب بالجحفة ، رجع أبو بكر فقال : يا رسول الله ، نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : « لا ، ولكن جبريل جاءني فقال : لا يؤدِّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك » . وهذا ضعيف الإسناد ، ومتنه فيه نكارةٌ ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد(٤) : حدَّثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثيع ـ رجل من همدان ـ قال : سألنا عَلِيّاً : بأيِّ شيءٍ بُعِثتَ ؟ يوم بعثه رسول الله ﷺ مع أبي بكر في الحجة ، قال : بأربع ؛ لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنةٌ ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ، ولا يحجُّ المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا . وهكذا رواه الترمذي(٥) ، من حديث سفيان ـ هو ابن عُيَيْنة ـ عن أبي إسحاق السَّبيعيِّ ، عن زيد بن يُثيع ، عن عليٍّ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ . ثم قال : وقد رواه شعبةُ ، عن أبي إسحاق فقال : عن زيد بن أُثيل ، ورواه الثوريُّ ، عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عليٍّ .

قلت : رواه ابن جرير(٦) ، من حديث معمرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليٍّ .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢١٢) .
(٢) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٠) .
(٣) في « المسند » (١/ ١٥١) .
(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٧٩) .
(٥) في « جامعه » رقم (٣٠٩٢) .
(٦) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٦٤) .

وقال ابن جرير[1] : حدَّثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا أبو صخرٍ ، أنه سمِع أبا معاوية البجليَّ من أهل الكوفة يقول : سمعت أبا الصَّهباء البكريَّ وهو يقول : سألت عليَّ بن أبي طالب عن يوم الحجِّ الأكبر فقال : إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يُقيمُ للناس الحجَّ ، وبعثني معه بأربعين آيةً من « براءة » حتى أتى عرفة ، فخطب الناس يوم عرفة ، فلمَّا قضى خطبته التفت إليَّ فقال : قمْ يا عليُّ فأدِّ رسالة رسول الله ﷺ . فقمتُ ، فقرأتُ عليهم أربعين آيةً من « براءة » ، ثم صدرنا حتى أتينا منىً ، فرميت الجمرة ، ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حُضوراً كلُّهم خطبة أبي بكر ، رضي الله عنه ، يوم عرفة ، فطفقْت أتتبَّعُ بها الفساطيط أقرؤها عليهم . قال عليٌّ : فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عَرَفة .

وقد تقصَّيْنا الكلام على هذا المقام في « التفسير »[2] وذكرنا أسانيد الأحاديث والآثار في ذلك مبسوطاً بما فيه كفايةٌ ، ولله الحمد والمِنَّة .

قال الواقديُّ[3] : وقد كان خرج مع أبي بكر من المدينة ثلاثمئة من الصحابة ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وخرج أبو بكر معه بخمس بدَنات ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ، ثم أردفه بعليٍّ ، فلحقه بالعرج فنادى بـ « براءةٌ » أمام الموسم .

* * *

فصــل

كان في هذه السنة ـ أعني في سنة تسعٍ ـ من الأمور الحادثة غزوة تبوك في رجب منها كما تقدم بيانه .

قال الواقديُّ[4] : وفي رجبٍ منها مات النجاشيُّ صاحب الحبشة ونعاه رسولُ الله ﷺ إلى الناس .

وفي شعبان منها ـ أي من هذه السنة ـ توفِّيت أمُّ كُلثوم بنتُ رسول الله ﷺ[5] ، فغسَّلتْها أسماءُ بنتُ عُميس ، وصفية بنت عبد المطلب ، وقيل : غسَّلها نسوةٌ من الأنصار فيهن أمُّ عطية .

---

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٦٧) .
(٢) انظر « تفسير القرآن العظيم » للمؤلف (٤/ ٤٤) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ١٢٢) .
(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٣/ ١٢٢) و« شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) بتحقيقي .
(٥) انظر « شذرات الذهب » (١/ ١٢٨) .

قلت : وهذا ثابتٌ في « الصحيحين »(١) وثبت في الحديث أيضاً(٢) أنه ، عليه الصلاة والسلام ، لمّا صلَّى عليها وأراد دفنها قال : « لا يدخله أحدٌ قارف الليلة أهلَه » . فامتنع زوجها عثمان لذلك ، ودفنها أبو طلحة الأنصاريُّ ، رضي الله عنه ، ويحتمل أنه أراد بهذا الكلام مـن كان يتولَّى ذلك ممن يتبرَّع بالحفر والدَّفن من الصحابة كأبي عبيدة ، وأبي طلحة ، ومن شابههم فقال : « لا يدخل قبرها إلا من لم يُقارف أهله من هؤلاء » . إذ يبعدُ أن عثمان كان عنده غيرُ أمِّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ ، هذا بعيدٌ . والله أعلمُ .

وفيها صالح ملك أَيْلَة وأهل جرباء وأذرُح وصاحب دومة الجندل كما تقدَّم إيضاح ذلك كلّه في مواضعه .

وفيها هُدم مسجدُ الضِّرار الذي بناه جماعة المنافقين صورة مسجد ، وهو دار حرب في الباطن فأمر به ، عليه الصلاة والسلام ، فحُرِّق .

وفي رمضان منها قدم وفد ثقيف فصالحوا عن قومهم، ورجعوا إليهم بالأمان، وكسِّرت اللات كما تقدَّم .

وفيها توفي عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلُول رأس المنافقين(٣) ، لعنه الله ، في أواخرها .

وقبله بأشهر توفي معاوية بن معاوية اللّيثيُّ ـ أو المزنيُّ ـ وهو الذي صلَّى عليه رسول الله ﷺ وهو نازلٌ بتبوك إن صحَّ الخبرُ في ذلك(٤) .

وفيها حجَّ أبو بكر ، رضي الله عنه ، بالناس عن إذن رسول الله ﷺ له في ذلك(٥) .

وفيها كان قدوم عامَّة وفود أحياء العرب ، ولذلك تُسمَّى سنةُ تسعٍ : سنة الوفود ، وها نحن نعقِدُ لذلك كتاباً برأسه اقتداءً بالبخاريِّ وغيره .

[تم الجزء الرابع من كتاب « البداية والنهاية » للإمام الحافظ المُؤَرِّخ ابن كثير الدمشقي رحمه الله حسب تقسيمنا له(٦) ، ويتلوه الجزء الخامس وأوله كتاب الوفود الواردين إلى رسول الله ﷺ] .

●●●

(١) رواه البخاري رقم (١٢٥٣) و(١٢٥٤) و(١٢٦٣) ومسلم رقم (٩٣٩) .
(٢) رواه البخاري رقم (١٢٨٥) .
(٣) انظر « شذرات الذهب » (١٢٨/١) .
(٤) وقد تقدم التعليق عليه ص (٦٦٨) .
(٥) وقد تقدم التعليق عليه ص (٦٩٥) .
(٦) وكان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه وتصحيح تجاربه في الثامن عشر من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٢هـ ، والحمد لله على ما أنعم ووفق ، وأسأله تعالى المزيد من فضله وتوفيقه ، إنه تعالى خير مسؤول وأعظم معين ، والله أسأل أن يجزي خير الجزاء من أسهم في تدقيقه ومراجعته وتصحيح تجاربه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * *